

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

(٢٢٤هـ - ٣٢٠هـ)

تحقيق

الدكتور عبد بن عبد المحسن التركي

بالتعاون مع

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

المجلد الأول

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

(١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ / [١/ظ] *

٣/١

(٢) قُرِئَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ ، فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، قَالَ (٣) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَبَّبَتْ (٣) الْأَلْبَابُ بَدَائِعَ حُكْمِهِ (٤) ، وَخَصَّصَتْ الْعُقُولَ لَطَائِفِ حُجَجِهِ ، وَقَطَعَتْ غُدْرَ الْمُلْحِدِينَ عَجَائِبُ صُنْعِهِ ، وَهَتَفَ (٥) فِي أَسْمَاعِ الْعَالَمِينَ أَلْسُنُ أَدْلَتِهِ ، شَاهِدَةً أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الَّذِي لَا عِذْلَ لَهُ مُعَادِلٌ (٦) ، وَلَا مِثْلَ لَهُ مُمَائِلٌ ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ مُظَاهِرٌ ، وَلَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ، وَلَا كُفُؤًا أَحَدٌ ، وَأَنَّهُ الْجَبَّارُ الَّذِي خَضَعَتْ لَجَبْرُوتِهِ الْجَبَابِرَةُ ، وَالْعَزِيزُ الَّذِي ذَلَّتْ لِعَزَّتِهِ الْمُلُوكُ الْأَعِزَّةُ ، وَخَشَعَتْ لِمَهَابَةِ سَطْوَتِهِ (٧) ذَوُ الْمَهَابَةِ ، وَأَذَعْنَ لَهُ جَمِيعُ الْخَلْقِ بِالطَّاعَةِ ، طَوْعًا وَكَرْهًا ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلًّا لَّهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [الرعد : ١٥] .

* الأرقام التي بين المعقوفين أرقام المخطوط المشار له بالرمز ت ١ ، وهو أحد نسخ مكتبة الفاتح التي حصلنا عليها من مكتبة آياصوفيا .

(١) بعده في ص : « رب تم برحمتك » ، وفي م : « وبه ثقني وعليه اعتمادى رب يسر » ، وفي ت ١ : « وبه نستعين » .

(٢ - ٢) في ص : « قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله » ، ومثله في ت ١ دون قوله : « الإمام » .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ : « حببت » .

(٤) في ت ٢ : « حكمته » .

(٥) في ت ١ ، ت ٢ : « هتفت » .

(٦) سقط من : ر ، ت ٢ .

(٧) في ت ٢ : « سطواته » .

فكلُّ موجودٍ إلى وَخْدَانِيَّتِهِ دَاعٍ ، وَكُلُّ مَخْسُوسٍ إِلَى رُبُوبِيَّتِهِ هَادٍ ، بِمَا وَسَمَهُمْ بِهِ مِنْ آثَارِ الصَّنْعَةِ ؛ مِنْ نَقْصٍ وَزِيَادَةٍ ، وَعَجْزٍ وَحَاجَةٍ ، وَتَضَرُّفٍ فِي عَاهَاتٍ عَارِضَةٍ ^(١) ، وَمُقَارَنَةِ أَحْدَاثٍ لَازِمَةٍ ؛ لِتَكُونَ لَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ، ثُمَّ أُرْدِفَ مَا شَهِدَتْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ أَدْلَتُهُ ، وَأُكِّدَ مَا اسْتَنَارَتْ فِي الْقُلُوبِ مِنْهُ بِهِجَّتُهُ ، بِرُسُلٍ ابْتَعَثَهُمْ إِلَى ^(٢) عِبَادِهِ ، دُعَاءً إِلَى مَا اتَّضَحَتْ لَدَيْهِمْ صَحَّتُهُ ، وَثُبَّتْ فِي الْعُقُولِ حُجَّتُهُ ؛ ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] . وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو النُّهَى وَالْحِلْمِ ، فَأَمَدَّهُمْ بِعَوْنِهِ ، وَأَبَانَهُمْ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ ، بِمَا دَلَّ بِهِ عَلَى صَدَقِهِمْ مِنَ الْأَدَلَةِ ، وَأَيَّدَهُمْ بِهِ مِنَ الْحُجَجِ الْبَالِغَةِ ، وَالْآيِ الْمُعْجِزَةِ ؛ لِئَلَّا يَقُولَ الْقَائِلُ مِنْهُمْ ^(٣) : ﴿ مَا هَذَا ^(٤) إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [٢٢] وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣٣ ، ٣٤] .

فَجَعَلَهُمْ سَفَرَاءَ ^(٥) بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ ، وَأَمْنَاءَ عَلَى وَحْيِهِ ، وَاخْتَصَّصَهُمْ بِفَضْلِهِ ، وَاضْطَفَّاهُمْ بِرِسَالَتِهِ ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِيمَا خَصَّصَهُمْ بِهِ مِنْ مَوَاهِبِهِ ، وَمَنْنَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَرَامَاتِهِ - مَرَاتِبَ مُخْتَلِفَةً ، وَمَنَازِلَ مُفْتَرَقَةً ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتٍ مُتَفَاضِلَاتٍ مُتَبَايِنَاتٍ ؛ فَكَرَّمَهُمْ بِالتَّكْلِيمِ وَالتَّجْوَى ، وَأَيَّدَهُمْ بِبُرُوحِ الْقُدُسِ ، وَخَصَّصَهُمْ بِإِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَإِبْرَاءِ أُولَى الْعَاهَةِ وَالْعَمَى ، / وَفَضَّلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا ، وَمِنَ الْمَرَاتِبِ الْعُظْمَى ، فَجَبَاهُ مِنْ أَقْسَامِ كَرَامَتِهِ بِالْقِسْمِ الْأَفْضَلِ ، وَخَصَّصَهُ مِنْ دَرَجَاتِ النُّبُوَّةِ بِالْحِطِّ الْأَجْزَلِ ، وَمِنَ الْأَتْبَاعِ وَالْأَصْحَابِ بِالنَّصِيبِ الْأَوْفَرِ ، وَابْتَعَثَهُ بِالدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، وَالرِّسَالَةِ الْعَامَةِ ، وَحَاطَهُ

٤/١

(١) فِي ر : « الْمَعَارِضَةُ » .

(٢) بَعْدَهُ فِي م ، ت ، ١ : « مِنْ يَشَاءُ مِنْ » .

(٣) فِي م « فِيهِمْ » .

(٤) فِي ص : « هَؤُلَاءِ » ، وَفِي ر ، ت ، ٢ : « هُوَ » .

(٥) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « سَفَرَاءُ » .

وحيداً، وعصمه^(١) قريداً، من كل جبارٍ عانيد، وكل شيطانٍ ماردٍ، حتى أظهر به الدينَ، وأوضح به السبيلَ، وأنهج^(٢) به معالمَ الحقِّ، ومحق به منارَ الشركِ، وزهق به الباطلَ، واضمحَلَّ به الضلالُ، وتخدَعُ الشيطانَ، وعبادةُ الأصنامِ والأوثانِ، مؤيِّداً بدلالةٍ على الأيامِ باقيةً، وعلى الدهورِ والأزمانِ ثابتةً، وعلى مرِّ^(٣) الشهورِ والسنينِ دائمةً، يزدادُ ضياءُها على كَرِّ الدهورِ إشراقاً، وعلى مرِّ الليالي والأيامِ انبثاقاً^(٤)، خِصِّصَ^(٥) من الله له بها دونَ سائرِ رسلِهِ الذين قهَرَتهم الجبابرةُ، واستدَلَّتْهم الأممُ الفاجرةُ، فتعفَّتْ بعدهم منهم الآثارُ، وأخملتْ ذكرهم الليالي والأيامُ، ودونَ مَنْ كان منهم مُرسلاً إلى أمةٍ دونَ أمةٍ، وخاصةٍ دونَ عامَّةٍ، وجماعةٍ دونَ كافَّةٍ.

فالحمدُ لله الذي كرَّمنا بتصديقه، وشرَّفنا باتِّباعه، وجعلنا من أهلِ الإقرارِ والإيمانِ به، وبما دعا إليه وجاء به، صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم، أزكى صلواته، وأفضل سلامه، وأتمَّ تحياته^(٦).

ثمَّ أمَّا بعدُ، فإن من جَسِيمِ ما خَصَّ اللهُ به أمةَ نبيِّنا محمدٍ ﷺ من الفضيلةِ، وشرَّفهم به على سائرِ الأممِ من المنازلِ الرفيعةِ، وحَبَّاهم به من الكرامةِ السَّنيَّةِ، حَفِظَ ما حَفِظَ عليهم جلَّ ذكره وتقدَّست أسماؤه، من وحيه وتنزيله، الذي جعله على

(١) سقط من : ر .

(٢) فى ر ، ت ٢ : « أبهج » .

(٣) فى م : « ممر » .

(٤) فى ر ، ت ٢ : « انفلاقا » .

(٥) فى م : « تخصيصا » . يقال : خصه بالشئ ، خصّاً وخصوصاً وخصوصيةً وخصيصى ، ويمد : إذا فضله دون غيره .

(٦ - ٦) زيادة من : م .

حقيقة نُبُوَّة نبيِّهم ﷺ دلالةً ، وعلى ما خَصَّه به من الكرامة علامةً واضحةً ، وحُجَّةً بالغةً ، أبانه [٢/١] به من كلِّ كاذبٍ ومُفْتَرٍ ، وفصل به بينهم وبين كلِّ جاحِدٍ ومُلْحِدٍ ، وفرق به بينهم وبين كلِّ كافرٍ ومُشْرِكٍ ، الذى لو اجتمع جميعٌ من بين أقطارِها ؛ من جنِّها وإنْسِها ، وصغيرِها وكبيرِها ، على أن يأتوا بسورةٍ من مثله ، لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً^(١) ، فجعله لهم فى دُجَى الظلم نوراً ساطعاً ، وفى سُدفٍ^(٢) الشُّبه^(٣) شهاباً لامعاً ، وفى مَضَلَّةِ المسالكِ دليلاً هادياً ، وإلى سُبلِ النجاةِ والحقِّ هادياً ، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكَ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة : ١٦] . حرَّسه بعينٍ منه لا تنام ، وحاطه برُكنٍ منه لا يُضام ، لا تَهْي على الأيامِ دَعَائِمُهُ ، ولا تَبِيدُ على طولِ الأزمانِ مَعَالِمُهُ ، ولا يَجُوزُ^(٤) عن قصدِ المحجَّةِ تابِعُهُ ، ولا يَضِلُّ عن سُبلِ الهدى مُصَاحِبُهُ ، مَنْ اتَّبَعَهُ فازَ وَهَدَى ، وَمَنْ حَادَ عَنْهُ ضَلَّ وَعَوَى ، فهو مَوْثُلُهُم الذى إليه عندَ الاختلافِ يَعلُون ، ومَعْقِلُهُم الذى إليه فى التَّوَالِي يَعتَقِلُون^(٥) ، وَحِصْنُهُم الذى به من وَساوسِ الشَّيْطَانِ يَتَخَصَّنُون ، وَحِكْمَةُ رَبِّهِم التى إليها يَحْتَكِمُون ، وَفَضْلُ قَضَائِهِ بَيْنَهُم الذى إليه يَنْتَهَوْنَ ، وعن الرِّضَا به يَصْدُرُونَ ، وَحَبْلُهُ الذى بالتَّمَسُّكِ^(٦) به من الهَلَكَةِ يَغْتَصِمُونَ .

اللهم فوفقنا لإصابة صواب القول فى مُحْكَمِهِ ومُتَشَابِهِهِ ، وحلالِهِ وحَرَامِهِ ،

(١) اقتباس من الآية ٨٨ من سورة الإسراء .

(٢) السدف ، واحداها سدفة : وهى ظلمة الليل يخالطها بعض الضوء ، وتكون فى أول الليل وآخره . ينظر تاج

العروس (س د ف) .

(٣) فى ص ، ت ١ : « الشبهة » .

(٤) فى ر : « يجوز » .

(٥) فى ر : « يعقلون » .

(٦) فى ر : « يتمسك » .

وعائمه وخاصه ، ومُجمّله ومُفسّره ، وناسخه ومُنسوخه ، وظاهره وباطنه ، وتأويل آيه ، وتفسير مُشكِله ، وألّهنا التمسك به ، / والاغتصام بمُحكّمه ، والثبات ^(١) على ٥/١ التسليم لمُتّشابهه ، وأوزعنا الشكر على ما أنعمت به علينا ، من حفظه ، والعلم بحدوده ، إنك سميع الدعاء ، قريب الإجابة ، وصلى الله على محمد النبي وآله ، وسلم تسليمًا .

اعلموا عباد الله ، رحمكم الله ، أن أحق ما صُرفت إلى علمه العناية ، وتُبلغ في معرفته الغاية ، ما كان لله في العلم به رضا ، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هُدى ، وأن أجمع ذلك لباغيه ، كتاب الله الذي لا ريب فيه ، وتزيله الذي لا مزية فيه ، الفائز بجزيل الذخر وسنن الأجر تاليه ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ^(٢) .

ونحن في شرح تأويله وبيان ما فيه من معانيه ، مُنشئون ، إن شاء الله ذلك ، كتابًا مُستَوْعِبًا لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه ، جامعًا ، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيًا ، ومُخبرون في كل ذلك بما انتهَى إلينا من اتفاق الحجة فيما اتَّفقت عليه منه ، واختلافها فيما اختلفت فيه منه ، ومُبيّنون ^(٣) علل كل مذهب من مذاهبهم ، وموضحو الصحيح لدينا من ذلك ، بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك ، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه ، والله أَسأل ^(٤) عونه وتوفيقه لما يُقرب من محابه ، ويُبعد من مساخطه ، وصلى الله على صفوته من خلقه وعلى آله ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

(١) في ر : « البيان » .

(٢) اقتباس من الآية ٤٢ من سورة فصلت .

(٣) في ص : « مبيّنون » ، وفي ر ، ت ٢ : « مثبتو » .

(٤) في ر : « يسأل » ، وفي م : « نسأل » ، وفي ت ٢ : « يسأله » .

و^(١) أول ما تَبَدُّأُ به مِنَ الْقِيلِ فِي ذَلِكَ الْإِبَانَةُ عَنْ الْأَسْبَابِ الَّتِي الْبِدَايَةُ بِهَا أَوَّلَى ،
وَتَقْدِيمُهَا قَبْلَ مَا عَدَاهَا أُخْرَى ؛ وَذَلِكَ الْبَيَانُ عَمَّا فِي آيِ الْقُرْآنِ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي مِنْ
قَبْلِهَا يَدْخُلُ اللَّبْسُ عَلَى مَنْ لَمْ يُعَانَ رِيَاضَةَ الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَلَمْ تَسْتَحْكَمْ مَعْرِفَتُهُ
بِتَصَارِيفِ وُجُوهِ مَنْطِقِ الْأَلْسِنِ السَّلَاقِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ .

القول في البيان عن اتفاق معاني آي القرآن ومعاني منطق من نزل
بلسانه من وجه البيان ، والدلالة على أن ذلك من الله جل وعز هو
الحكمة البالغة ، مع الإبانة^(٢) عن فضل المعنى الذي به باين القرآن
سائر الكلام

قال أبو جعفر: إن من عظيم^(٣) نعم الله على عباده ، وجسيم منته^(٤) على خلقه ،
ما منحهم من فضل البيان ، الذي به عن ضمائر صدورهم يُبينون ، وبه على غزائم
نفوسهم يَدُلُّون ، فذلل به منهم الألسن ، وسهل به عليهم المُسْتَضْعَب ، فبه إياه
يُوحِّدون ، وإياه به يُسَبِّحُونَ وَيُقَدِّسُونَ ، وإلى حاجاتهم به يَتَوَصَّلُونَ ، وبه بينهم
يَتَحَاوَرُونَ ، فَيَتَعَارَفُونَ وَيَتَعَامَلُونَ .

ثم جعلهم جل ذكره - فيما منحهم من ذلك - طبقات ، ورفع بعضهم فوق
بعض درجات ، فبينَ خطيب مُسَهَّبٍ ، وذليق اللسان مُهَذَّبٍ ، ومُفَحِّمٍ عن نفسه لا
يُبين ، وعَبِيٍّ عن ضمير قلبه لا يُعَبِّرُ ، وجعل أغلاهم فيه رُتْبَةً ، وأزفَعهم فيه درجةً ،
أَبْلَغهم فيما أراد به بلاغاً ، وأبينهم عن نفسه به بياناً ، / ثم عَرَّفهم في تنزيله ومُحْكَم

٦/١

(١) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ : « إن » .

(٢) في ر : « الأمانة » .

(٣) في ص ، ر : « أعظم » .

(٤) في م ، ت ١ ، ت ٢ : « منته » .

آي كتابه ، فضل ما حباهم به من البيان ، على من فضلهم به عليه من ذى البكم
والمستعجم اللسان ، فقال تعالى ذكره : ﴿ أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِیَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ
غَيْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الزخرف : ١٨] .

فقد وضح إذن لذوى الأفهام ، وتبين لأولى الأبواب ، أن فضل أهل البيان على
أهل البكم والمستعجم اللسان ، بفضل اقتدار هذا من نفسه على إبانة ما أراد إبانته عن
نفسه ببيانه ، واستعجم لسان هذا عما حاول إبانته بلسانه .

فإن كان ذلك كذلك ، وكان المعنى الذى به باين الفاضل^(١) المفضول فى
ذلك ، فصار به فاضلاً ، والآخر مفضولاً ، هو ما وصفنا^(٢) من فضل إبانة ذى البيان
عما قصر عنه المستعجم اللسان ، وكان ذلك مُحْتَلَفَ الأقدار ، مُتَفَاوَتِ الغايات
والنِّهَايَاتِ ، فلا شك أن أعلى منازل البيان درجته ، وأسنى مراتبه مرتبة ، أبلغه فى
حاجة المبين عن نفسه ، وأبينه عن مراد قائله ، وأقربه^(٣) من فهم سامعه ، فإن تجاوز
ذلك المقدار ، وارتفع عن وسع الأنام ، وعجز عن أن يأتى بمثله جميع العباد ، كان
حُجَّةً وَعَلَمًا لرسول الواحد القهار ، كما كان حجةً وَعَلَمًا لها إحياء الموتى وإبراء
الأبرص وذوى العمى ، بارتفاع ذلك عن مقادير أعلى منازل طب المتطبين ، وأرفع
مراتب علاج المعالجين ، إلى ما يعجز عنه جميع العالمين ، وكالذى كان لها حجة
وَعَلَمًا قطع مسافة شهرين فى الليلة الواحدة ، بارتفاع ذلك عن وسع الأنام ، وتعذر
مثله على جميع العباد ، وإن كانوا على قطع القليل من المسافة قادرين ، وليسير منه
فاعلين .

(١) بعده فى ر : « و » .

(٢) بعده فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « به » .

(٣) فى ر ، ت ، ١ : « بهم » .

فإن كان ما وصفنا من ذلك كالذى وصفنا، فبيِّن ألا بيان أُتيَن، ولا حِكْمَةٌ أبلغُ، [٢/١] ولا مَنْطِقٌ أعلى، ولا كلامٌ أشرف، من بيانٍ وَمَنْطِقٍ تحدَّى به امرؤٌ قومًا، فى زمانٍ هم فيه رؤساءُ صناعةِ الخطبِ والبلاغةِ، وقيل الشعرِ والفصاحةِ، والسَّجْعِ والكِهانةِ^(١)، على^(٢) كلِّ^(٣) خطيبٍ منهم وبلغ، وشاعرٍ منهم وفصيح، وكلِّ ذى سَجْعٍ وكِهانةٍ - فسفَهَ أحلامَهم، وقصَّرَ بعقولهم^(٤)، وتبرَّأ من دينهم، ودعا جميعهم إلى اتِّباعه، والقَبُولِ منه، والتَّصديقِ به، والإقرارِ بأنه رسولٌ إليهم من ربِّهم، وأخبرهم أنَّ دلالته على صدقِ مقالته، وحجَّته على حقيقةِ نبوته، ما أتاهاهم به من البيانِ والحكمةِ والفُرْقانِ، بلسانٍ مثلِ ألسنتهم، وَمَنْطِقٍ موافقةٍ معانيه معانى مَنْطِقِهِمْ، ثم أنبأ جميعهم أنهم عن أن يأتوا بمثلِ بعضه عَجْزَةٌ، ومن القُدرةِ عليه نَقْصَةٌ، فأقرَّ جميعهم بالعجزِ، وأدَّعَوا له بالتَّصديقِ، وشهدوا على أنفسهم بالنقصِ، إلا مَنْ تجاهلَ منهم وتَعَامَى، واشتَكَبَر وتعاشَى، فحاولَ تَكْلُفَ ما قد عِلِمَ أنه عنه عاجزٌ، ورامَ ما قد تَبَيَّنَ أنه عليه غيرُ قادرٍ، فأبْدَى مِن ضَعْفِ عقله ما كان مُسْتَتِرًا، ومن عَيَّ لسانه ما كان مَصُونًا، فأَتَى بما لا يَعْجِزُ عنه الضَّعيفُ الأخرقُ، والجاهلُ الأحمقُ، فقال^(٥): والطاحناتِ طحْنًا، والعاجناتِ عَجْنًا، فالخابزاتِ خَبْزًا، والثارذاتِ ثَرْدًا، واللاقماتِ لَقْمًا. ونحو ذلك من الحماقاتِ^(٦) المُشْبِهَةِ دَعْوَاهِ الكاذبةِ.

(١) إنما ضرب المثل بالكهان فى السجع؛ لأنهم كانوا يروجون أقاويلهم الباطلة بأسجاع تروق السامعين، يستميلون بها القلوب ويستصغنون إليها الأسماع. اللسان (ك ه ن).

(٢) زيادة من: ر.

(٣) سقط من: ص.

(٤) فى م: «معقولهم».

(٥) يعنى مسيلة الكذاب. ينظر تاريخ المصنف ٢٨٤/٣، والبداية والنهاية ٤٧٣/٩.

(٦) فى ص، ر: «الحمقات».

فإذ كان تَفَاضُلُ مراتبِ البَيَانِ ، وَتَبَايُئُ منازلِ دَرَجَاتِ الكلامِ بما وَصَفْنَا قَبْلُ ،
وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ / وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ أَحْكَمَ الحُكْمَاءِ ، وَأَحْلَمَ الحُلَمَاءِ ، كَانَ ٧/١
مَعْلُومًا أَنَّ أَيْسَرَ البَيَانِ بَيَانُهُ ، وَأَفْضَلَ الكلامِ كَلَامُهُ ، وَأَنَّ قَدْرَ فَضْلِ بَيَانِهِ جَلْ ذِكْرُهُ
عَلَى بَيَانِ^(١) جَمِيعِ خَلْقِهِ ، كَفَضْلِهِ عَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ .

فإن كان ذلك كذلك ، وَكَانَ غَيْرُ مُبِينٍ مَنَّا عَنْ نَفْسِهِ مَن خَاطَبَ غَيْرَهُ بِمَا لَا
يَفْهَمُهُ عَنْهُ المَخَاطَبُ ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُخَاطَبَ جَلْ ذِكْرُهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ
إِلَّا بِمَا يَفْهَمُهُ المَخَاطَبُ ، وَلَا يُرْسَلُ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ رَسُولًا بِرِسَالَةٍ إِلَّا بِلِسَانٍ وَبَيَانٍ يَفْهَمُهُ
الْمُرْسَلُ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّ^(٢) المَخَاطَبَ وَ^(٣) الْمُرْسَلَ إِلَيْهِ إِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَا خُوطِبَ بِهِ وَأُرْسِلَ بِهِ إِلَيْهِ ،
فَحَالُهُ قَبْلَ الخُطَابِ وَقَبْلَ مَجِيءِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِ وَبَعْدَهُ سَوَاءٌ ، إِذْ لَمْ يُفْهَدْ الخُطَابُ
وَالرِّسَالَةُ شَيْئًا كَانَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ جَاهِلًا ، وَاللَّهُ جَلْ ذِكْرُهُ يَتَعَالَى عَنْ أَنْ يُخَاطَبَ خِطَابًا
أَوْ يُرْسَلَ رِسَالَةً لَا تُوجِبُ فَائِدَةً لِمَنْ خُوطِبَ أَوْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ فِينَا مِنْ فَعْلِ
أَهْلِ النِّقْصِ وَالْعَبَثِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ مُتَعَالٍ ، وَلِذَلِكَ قَالَ جَلْ ثَنَائُهُ فِي مُحْكَمِ
تَنْزِيلِهِ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤] .
وَقَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل : ٦٤] . فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ بِهِ^(٤) مُهْتَدِيًا مَنْ
كَانَ بِمَا^(٤) يُهْدَى إِلَيْهِ جَاهِلًا .

فَقَدْ تَبَيَّنَ إِذَنْ - بِمَا عَلَيْهِ دَلَّلْنَا مِنَ الدَّلَالَةِ - أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ لِلَّهِ جَلْ

(١) سقط من : ص ، ت ، ١ .

(٢ - ٣) سقط من : ص .

(٣) سقط من : ر .

(٤) في م : « بها » .

ثناؤه أُرسله إلى قوم، فإنما أُرسله بلسانٍ مَنْ أُرسله إليه، وكلُّ كتابٍ أُنزلَه على نبيٍّ، ورسالةٍ أُرسلها إلى أُمَّةٍ، فإنما أُنزلَه بلسانٍ مَنْ أُنزلَه أو أُرسله إليه. فَاتَّضَحَ بما قلنا ووصفنا أَنَّ كتابَ اللَّهِ الذي أُنزلَه إلى نبيِّنا محمدٍ ﷺ^(١) بلسانٍ محمدٍ ﷺ، وإذْ كان لسانُ محمدٍ ﷺ عَرَبِيًّا، فَبَيَّنَ أَنَّ القرآنَ عَرَبِيٌّ، وبذلك أَيْضًا نَطَقَ مُحْكَمُ تَنْزِيلِ رَبِّنا، فقال جل ذكره: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]. وقال: ﴿وَلَنُزِيلُهُ لِنَزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١٩٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. وإذْ كانت واضحةٌ صحيحةٌ ما قلنا - بما عليه اسْتَشْهَدْنَا مِنَ الشُّواهِدِ، ودَلَّلْنَا عليه مِنَ الدَّلَائِلِ - فالواجبُ أَنْ تكونَ معاني كتابِ اللَّهِ الْمُتَزَّلِ على نبيِّنا محمدٍ ﷺ، لمعاني كلامِ العربِ موافقةً، وظاهرُه لظاهرِ كلامِها ملائمةً، وإنْ بايَنَه كتابُ اللَّهِ بِالْفَضِيلَةِ^(٢) التي فَضَّلَ بها سائرَ الكلامِ والبيانِ، بما قد تَقَدَّمَ وَصَفُناه^(٣).

فإذْ كان ذلك كذلك، فَبَيَّنَ - إذْ كان موجودًا في كلامِ العربِ الإيجازُ والاختصارُ، والاجتزاءُ^(٤) بالإخفاءِ مِنَ الإظهارِ، وبالقلةِ مِنَ الإكثارِ في بعضِ الأحوالِ، واستِعْمالُ الإطالةِ والإكثارِ، والتَّزَادُ والتَّكْرارِ، وإظهارُ المعاني بالأسماءِ دونَ الكِنَايةِ عنها^(٥)، والإسراؤُ في بعضِ الأوقاتِ، والخبرُ عن الخاصِّ في المرادِ بالعامِّ الظاهرِ، وعن العامِّ في المرادِ بالخاصِّ الظاهرِ، وعن الكِنَايةِ والمرادِ منه المُصَرِّحُ، وعن

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) في ص : « بالفضلة » .

(٣) في م ، ت ، ٢ : « وصفنا » .

(٤) في ص : « الإجزاء » .

(٥) زيادة من : م .

الصفة والمراد الموصوف ، وعن الموصوف والمراد الصفة ، وتقديم^(١) ما هو فى المعنى مؤخّر ، وتأخير ما هو فى المعنى مقدّم ، والاكتفاء ببعض من بعض ، وبما يظهر عما يُحذف^(٢) ، وإظهار ما حظّه الحذف - أن يكون ما فى كتاب الله المتّزل على نبيه محمد ﷺ من ذلك ، فى كلّ ذلك له نظير ، وله مثلاً وشبيهاً^(٣) .

ونحن مبينون جميع ذلك فى أماكنه ، إن شاء الله ذلك ، وأيد^(٤) منه بعون وقوة .

٨/١ / القول فى البيان عن الأحرف التى اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم

قال أبو جعفر : إن سألنا سائل ، فقال : إنك ذكرت أنه غير جائز أن يخاطب الله أحداً من خلقه إلا بما يفهمه ، وأن يُرسَل إليه رسالة إلا باللسان الذى يفقهه ، فما أنت قائل فيما حدّثكم به محمد بن حمّيد الرازى ، قال : حدّثنا حكّام بن سلّم ، قال : حدّثنا عنبسة ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأخوص ، عن أبى موسى : ﴿ يُوْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الحديد : ٢٨] . قال : الكِفْلان ضعفان من الأجر ، بلسان الحبشية .

وفى ما حدّثكم به ابن حمّيد ، قال : حدّثنا حكّام ، قال حدّثنا عنبسة ، عن أبى [٣/١] إسحاق ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ [الزلزال : ٦] .

(١) فى ص : « تقدير » .

(٢) فى ص : « يحد » .

(٣) فى ر : « تشبيها » .

(٤) فى م : « أمد » .

قال : بلسان الحبشية إذا قام الرجل من الليل قالوا : نشأ .

وفيما حدثكم به ابنُ حميد ، قال : حدثنا حكام ، قال : حدثنا عنبسة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة : ﴿ يَجِبَالُ أَوْي مَعَهُ ﴾ [سأ : ١٠] . قال : سبّحى ، بلسان الحبشية .

قال أبو جعفر : وكل ما قلنا فى هذا الكتاب : حدثكم . فقد حدثونا به .

وفيما حدثكم به محمد بن خالد بن خدّاش^(١) الأزدي ، قال : حدثنا سلم^(٢) ابن قتيبة ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، أنه سُئل عن قوله : ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر : ٥١] . قال : هو بالعربية الأسد ، وبالفارسية شار^(٣) ، وبالتبطينية أريا ، وبالحبشية قسورة .

وفيما حدثكم به ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : قالت قريش : لولا أنزل هذا القرآن^(٤) أعجميًا وعربيًا ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ ﴾ [فصلت : ٤٤] . فأنزل الله بعد هذه الآية فى القرآن بكل لسان ، فمنه^(٥) : ﴿ حِكَاةٌ

(١) فى ص : « حداس » ، وفى ر : « خدّاش » ، وفى ت ٢ : « خراش » . وينظر تهذيب الكمال ١٣٥/٢٥ .

(٢) فى ر : « سالم » ، وفى ت ٢ : « مسلم » . وينظر تهذيب الكمال ٢٣٢/١١ ، ٢٣٤ .

(٣) كذا فى النسخ ، وفارسيته : شير . ينظر المعجم الذهبى ص ٣٨١ .

(٤) بعده فى م ، ت ٢ : « على رجل » .

(٥) فى ص ، م ، ت ١ : « فيه » .

مِنْ سِجِيلٍ ﴿٨٢﴾. قال : فارسيَّةٌ أُعْرِبَتْ «سنگ» و«گِل»^(١).

وفيما حدِّثكم به محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ ، قال : حدَّثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاقَ ، عن أبي مَيْسَرَةَ ، قال : في القرآنِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ^(٢) . وفيما أَشْبَهَ ذلكَ مِنَ الْأَخْبَارِ التي يَطُولُ بِذِكْرِها الكتابُ ، مما يَدُلُّ على أَن فيه مِنْ غَيْرِ لِسَانِ الْعَرَبِ ؟

قيل له : إن الذي قالوه مِنْ ذلكَ غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ معنى ما قلنا - مِنْ أَجْلِ أَنهم لم يقولوا : هذه الْأَحْرَفُ وما أَشْبَهَها لم تُكُنْ لِلْعَرَبِ كَلَامًا ، ولا كان ذاكَ لها مَنْطِقًا قَبْلَ نَزْوِلِ الْقُرْآنِ ، ولا كانت بها الْعَرَبُ عَارِفَةً قَبْلَ مَجِيءِ الْفُرْقَانِ - فيكونَ ذلكَ قولًا لِقَوْلِنَا خِلَافًا ، وإنما قال بعضهم : حرفُ كذا بلسانِ الْحَبَشَةِ معناه كذا ، / وحرفُ ٩/١ كذا بلسانِ الْعَجَمِ معناه كذا . ولم نَسْتَثْنِ أَنْ يكونَ مِنَ الْكَلَامِ ما يَتَّفِقُ فيه أَلْفَاظُ جميعِ أَجْناسِ الْأُمَمِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَلْسِنِ بِمعْنَى واحدٍ ، فكيفَ بِجنسَيْنِ منها ؟ كما قد وجدنا اتفاقَ كثيرٍ منه فيما قد عَلِمْنَاهُ مِنَ الْأَلْسِنِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وذلكَ كالدرهمِ والدينارِ والدَّوَاةِ والقلمِ والقِرْطاسِ ، وغيرِ ذلكَ - مما يُثْعَبُ إِحْصَاؤُهُ ، ويُحِيلُ تَعَدَّادُهُ ، كَرِهْنَا إِطَالََةَ الْكِتَابِ بِذِكْرِهِ - مما اتَّفَقَتْ فيه الْفَارِسيَّةُ وَالْعَرِيبِيَّةُ بِاللِّفْظِ وَالْمَعْنَى . ولعلَّ ذلكَ كذلكَ في سائرِ الْأَلْسِنِ التي يُجْهَلُ مَنْطِقُها ، ولا يُعْرَفُ كَلَامُها .

فلو أن قائلًا قال فيما ذكّرنا مِنَ الْأَشْيَاءِ التي عدَدْنَا ، وأخْبَرْنَا اتفاقَها في اللفْظِ والمعْنَى بِالْفَارِسيَّةِ وَالْعَرِيبِيَّةِ ، وما أَشْبَهَ ذلكَ ، مما سَكَنَّا عَنْ ذِكْرِهِ : ذلكَ كُلُّهُ فارسيٌّ لا

(١) سيأتى الكلامُ في سورة هود على هذه الكلمة .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٤٦٩/١٠ من طريق إسرائيل به ، بلفظ : نزل القرآن بكل لسان .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦٧/٥ إلى عبد بن حميد .

عربيّ ، أو ذلك كلّهُ عربيّ لا فارسيّ ، أو قال : بعضُهُ عربيّ وبعضُهُ فارسيّ . أو قال : كان مَخْرُجُ أصلِهِ مِنْ عِنْدِ الْعَرَبِ ، فَوَقَعَ إِلَى الْعَجَمِ فَنَطَقُوا بِهِ . أو قال : كان مَخْرُجُ أصلِهِ مِنْ عِنْدِ الْفَرَسِ ، فَوَقَعَ إِلَى الْعَرَبِ فَأَعْرَبْتَهُ . كَانَ مُسْتَجْهَلًا ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ لَيْسَتْ بِأَوَّلَى أَنْ تَكُونَ كَانَ مَخْرُجُ أَصْلِ ذَلِكَ مِنْهَا إِلَى الْعَجَمِ ، وَلَا الْعَجَمُ بِأَحَقُّ أَنْ تَكُونَ كَانَ مَخْرُجُ أَصْلِ ذَلِكَ مِنْهَا إِلَى الْعَرَبِ ، إِذْ كَانَ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ وَمَعْنَى وَاحِدٍ مَوْجُودًا فِي الْجَنْسَيْنِ .

وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ مَوْجُودًا عَلَى مَا وَصَفْنَا فِي الْجَنْسَيْنِ ، فَلَيْسَ أَحَدُ الْجَنْسَيْنِ بِأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ أَصْلُ ذَلِكَ كَانَ مِنْ عِنْدِهِ مِنَ الْجَنْسِ الْآخَرِ ، وَالْمُدَّعَى أَنَّ مَخْرَجَ أَصْلِ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَحَدِ الْجَنْسَيْنِ إِلَى الْآخَرِ - مُدَّعٍ ^(١) أَمْرًا لَا يُوصَلُ إِلَى حَقِيقَةِ صَحَّتِهِ إِلَّا بِخَيْرٍ ^(٢) يُوجِبُ الْعِلْمَ ، وَيُزِيلُ الشَّكَّ ، وَيَقْطَعُ الْعُذْرَ مَجِيئُهُ ^(٣) .

بَلِ الصَّوَابُ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنْ يُسَمَّى عَرَبِيًّا أَعْجَمِيًّا ، أَوْ حَبَشِيًّا عَرَبِيًّا ؛ إِذْ كَانَتِ الْأُمْتَانِ لَهُ مُسْتَعْمَلَتَيْنِ فِي بَيَانِهَا وَمَنْطِقِهَا ، اسْتِعْمَالُ سَائِرِ مَنْطِقِهَا وَبَيَانِهَا ، فَلَيْسَ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ كُلِّ أُمَّةٍ مِنْهُمَا بِأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ إِلَيْهَا مَنْسُوبًا مِنْهُ .

فَكَذَلِكَ سَبِيلُ كُلِّ كَلِمَةٍ وَاسِمٍ اتَّفَقَتْ أَلْفَاظُ ^(٤) أَجْنَاسِ أُمَمٍ فِيهَا وَفِي ^(٥) مَعْنَاهَا ، وَوُجِدَ ذَلِكَ مُسْتَعْمَلًا فِي كُلِّ جَنْسٍ مِنْهَا ، اسْتِعْمَالُ سَائِرِ مَنْطِقِهِمْ ^(٦) ، فَسَبِيلُ

(١) فِي ص : « يَدْعَى » .

(٢) فِي ر : « بِخَيْرٍ » ، وَفِي ت ١ : « بِمَعْنَى » .

(٣) فِي ص ، م ، ت ١ : « صَحَّتِهِ » ، وَفِي ر : « جِيئَهُ » . وَجِيئَهُ وَمَجِيئُهُ بِمَعْنَى .

(٤) سَقَطَ مِنْ : ر .

(٥) زِيَادَةٌ مِنْ : ر .

(٦) فِي ر : « مَنْطِقُهَا » .

إضافته إلى كل جنس منها سبيل ما وصفنا من الدرهم والدينار والدواة والقلم ، التي اتفقت ألسنُ الفرس والعرب فيها بالألفاظ الواحدة ، والمعنى الواحد ، في أنه مُستَحَقٌّ إضافته إلى كل جنس من تلك الأجناس باجتماع وافتراق^(١) .

وذلك هو معنى قول^(٢) مَنْ رَوَيْنَا عَنْهُ الْقَوْلَ فِي الْأَحْرِفِ الَّتِي مَضَتْ فِي صَدْرِ هَذَا الْبَابِ^(٣) ، مِنْ نَسْبَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضٌ ذَلِكَ إِلَى لِسَانِ الْحَبَشَةِ ، وَنَسْبَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضٌ ذَلِكَ إِلَى لِسَانِ الْفَرَسِ ، وَنَسْبَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضٌ ذَلِكَ إِلَى لِسَانِ الرُّومِ ؛ لِأَنَّ مَنْ نَسَبَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا نَسَبَهُ إِلَيْهِ ، لَمْ يَنْفِ - بِنَسْبَتِهِ^(٤) إِيَّاهُ إِلَى مَا نَسَبَهُ إِلَيْهِ - أَنْ يَكُونَ عَرَبِيًّا ، وَلَا مَنْ قَالَ مِنْهُمْ : هُوَ عَرَبِيٌّ . نَفَى ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَحَقًّا لِلنَّسْبَةِ إِلَى مَنْ هُوَ مِنْ كَلَامِهِ مِنْ سَائِرِ أَجْناسِ الْأُمَمِ غَيْرِهَا ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْإِبْثَاتُ دَلِيلًا عَلَى النَّفْيِ فِيمَا لَا يَجُوزُ اجْتِمَاعُهُ مِنَ الْمَعَانِي ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ : فَلَانٌ قَائِمٌ . فَيَكُونُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ دَالًّا عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ قَاعِدٍ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَمْتَنِعُ اجْتِمَاعُهُ لَتَنَافِيهِمَا .

فَأَمَّا مَا جاز اجتماعه ، فهو خارجٌ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ : فَلَانٌ قَائِمٌ مُكَلَّمٌ فَلَانًا . فَلَيْسَ / فِي تَثْبِيْتِ الْقِيَامِ لَهُ مَا دَلَّ عَلَى نَفْيِ كَلَامٍ آخَرَ ؛ لَجَوَازِ ١٠/١ اجتماع ذلك في حالٍ واحدةٍ مِنْ شَخْصٍ وَاحِدٍ ، فَقَائِلُ ذَلِكَ صَادِقٌ إِذَا كَانَ صَاحِبُهُ عَلَى مَا وَصَفَهُ بِهِ .

فكَذَلِكَ مَا قُلْنَا فِي الْأَحْرِفِ الَّتِي ذَكَرْنَا ، وَمَا أَشْبَهَهَا ، غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ أَنْ يَكُونَ عَرَبِيًّا بَعْضُهَا أَعْجَمِيًّا ، وَحَبَشِيًّا بَعْضُهَا عَرَبِيًّا ؛ إِذْ كَانَ مَوْجُودًا اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ فِي كِلْتَا الْأُمْتِنَيْنِ ، فَنَاسِبٌ مَا نَسَبَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى إِحْدَى الْأُمْتِنَيْنِ أَوْ كِلْتَاهُمَا مُحِقٌّ غَيْرُ مُبْطِلٍ .

(١) فِي ر : « وَاقْتِرَان » .

(٢) زِيَادَةٌ مِنْ : ر .

(٣) فِي ص : « الْكِتَاب » .

(٤) فِي ر : « بِنَسْبِهِ » .

فإن ظنَّ ذو عِبَاءٍ أن اجتماعَ ذلك في الكلامِ مستحيلٌ - كما هو مستحيلٌ في أنسابِ بنى آدمَ - فقد ظنَّ جهلاً ، وذلك أن أنسابَ بنى آدمَ محصورةٌ على أحدِ الطرفين دونَ الآخرِ ، لقولِ اللَّهِ تعالى ذكره : ﴿ اَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٥] . وليس ذلك كذلك في المنطِقِ والبيانِ ؛ لأن المنطِقَ إنما هو منسوبٌ إلى مَنْ كان به معروفاً استعماله .

فلو عُرِفَ استعمالُ بعضِ الكلامِ في أجناسٍ من الأممِ - جنسين^(١) أو أكثرَ - بلفظٍ واحدٍ ومعنى واحدٍ ، كان ذلك منسوباً إلى كلِّ جنسٍ من تلك الأجناسِ ، لا يَسْتَحِقُّ جنسٌ منها أن يكونَ به أولى من سائرِ الأجناسِ غيره ؛ كما لو أن أرضاً بينَ سهْلٍ وجبيلٍ ، لها هواءُ السهْلِ وهواءُ الجبيلِ ، [٣/١ ظ] أو بينَ برٍّ وبحرٍ ، لها هواءُ البرِّ وهواءُ البحرِ ، لم يَمْتَنِعْ ذو عقلٍ صحيحٍ أن يَصِفَهَا بأنها سُهْلِيَّةٌ جبليَّةٌ ، أو بأنها بريَّةٌ بحريَّةٌ ؛ إذ لم تُكُنْ نسبُها إلى إحدى صفتيها^(٢) نافيةً حقَّها من النسبةِ إلى الأخرى ، ولو أفرد لها مُفْرِدَ إحدى صفتيها^(٣) ولم يَسْلُبْها صفتها الأخرى ، كان صادقاً مُحِقّاً .

وكذلك القولُ في الأحرفِ التي تقدَّم ذكرُناها^(٣) في أولِ هذا البابِ .

وهذا المعنى الذى قلناه فى ذلك ، هو معنى قولِ مَنْ قال : فى القرآنِ مِنْ كُلِّ لسانٍ . عندنا بمعنى - واللَّهُ أعلمُ - أن فيه مِنْ كُلِّ لسانٍ اتَّفَقَ فيه لفظُ العربِ ولفظُ غيرها مِنَ الأممِ التى تَنطِقُ به ، نظيرَ ما وصَّفنا مِنَ القولِ فيما مضى .

وذلك أنه غيرُ جائزٍ أن يُتَوَهَّمَ على ذى فِطْرَةٍ صحيحةٍ مُقَرَّرٌ بكتابِ اللَّهِ ، مَن قد قرأ القرآنَ ، وعرفَ حدودَ اللَّهِ ، أن يَعتقدَ أن بعضَ القرآنِ فارسىٌّ لا عربىٌّ ، وبعضُه

(١) فى ر ، ت ٢ : « خمسين » .

(٢ - ٢) سقط من : ر .

(٣) فى ص : « ذكرها » ، وفى م ، ت ٢ : « ذكرناها » .

نَبَطِيٌّ لَا عَرَبِيٌّ ، وَبَعْضُهُ ^(١) رُومِيٌّ لَا عَرَبِيٌّ ^(١) ، وَبَعْضُهُ حَبَشِيٌّ لَا عَرَبِيٌّ ، بَعْدَ مَا أَخْبَرَ
 اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ عَنْهُ أَنَّهُ جَعَلَهُ قَرَأْنَا عَرَبِيًّا ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنْ كَانَ كَذَلِكَ ، فَلَيْسَ قَوْلُ
 الْقَائِلِ : الْقُرْآنُ حَبَشِيٌّ أَوْ فَارَسِيٌّ . وَلَا نَسْبُهُ مَنْ نَسَبَهُ إِلَى بَعْضِ أَلْسِنِ الْأُمَمِ الَّتِي بَعْضُهُ
 بِلْسَانِهَا دُونَ الْعَرَبِ ، بِأُولَى بِالتَّطْوِيلِ ^(٢) مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : هُوَ عَرَبِيٌّ . وَلَا قَوْلُ الْقَائِلِ :
 هُوَ عَرَبِيٌّ . بِأُولَى بِالصَّحَةِ وَالصَّوَابِ مِنْ قَوْلِ نَاسِبِهِ إِلَى بَعْضِ الْأَجْنَاسِ الَّتِي ذَكَرْنَا ،
 إِذْ كَانَ الَّذِي بِلِسَانِ غَيْرِ الْعَرَبِ مِنْ سَائِرِ أَلْسِنِ الْأَجْنَاسِ الْأُمَمِ فِيهِ ، نَظِيرُ الَّذِي فِيهِ مِنْ
 لِسَانِ الْعَرَبِ .

وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَبَيِّنُ إِذْنُ خَطَأُ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقَائِلَ مِنَ السَّلَفِ : فِي
 الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ . إِنَّمَا عَنَى بِقِيلِهِ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ مَا لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ ، وَلَا جَائِزَةً
 نَسِبُهُ ^(٣) إِلَى لِسَانِ الْعَرَبِ .

وَيَقَالُ لِمَنْ أَتَى مَا قُلْنَا - مِمَّنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَحْرَفَ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا فِي أَوَّلِ الْبَابِ
 وَمَا أَشْبَهَهَا ، إِنَّمَا هِيَ كَلَامُ أَجْنَاسٍ مِنَ ^(٤) الْأُمَمِ سِوَى الْعَرَبِ ، وَقَعَتْ إِلَى الْعَرَبِ
 فَعَرَبَتْهُ ^(٥) - : مَا بَرَهَانُكَ عَلَى صَحَّةِ مَا قُلْتَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ
 لَهُ ، فَقَدْ عَلِمْتَ مَنْ خَالَفَكَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ فِيهِ خِلَافٌ قَوْلِكَ ؟ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَكَ
 /وَبَيْنَ مَنْ عَارَضَكَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : هَذِهِ الْأَحْرَفُ وَمَا أَشْبَهَهَا مِنَ الْأَحْرَفِ غَيْرِهَا ١١/١

(١ - ١) فِي النُّسخِ : « عَرَبِيٌّ لَا فَارَسِيٌّ » ، وَهُوَ خَطَأٌ لَا يَسْتَقِيمُ مَعَهُ الْمَعْنَى ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ تَحْقِيقِ الشَّيْخِ
 شَاكِرٍ .

(٢) فِي ر : « بِالْبَطُولِ » ، وَفِي م ، ت ١ : « بِالتَّطْوِيلِ » ، وَفِي ت ٢ : « بِالْقَوْلِ » . وَالْمُرَادُ الْإِطَالَةُ وَالتَّرِيدُ فِي
 الْكَلَامِ .

(٣) فِي ر ، ت ١ : « بِسَبَبِهِ » .

(٤) سَقَطَ مِنْ : م ، ت ٢ .

(٥) بَعْدَهُ فِي م : « وَ » .

أصلها عربى ، غير أنها وقعت إلى سائر أجناس الأمم غيرها ، فنطقت كل أمة منها ببعض ذلك بألسنتها ، من الوجه الذى يجب التسليم له ؟ فلن يقول فى شىء من ذلك قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

فإن اعتلّ فى ذلك بأقوال السلف التى قد ذكرنا بعضها وما أشبهها ، طوب مطالبتنا من تأول عليهم فى ذلك تأويله ، بالذى قد تقدّم فى بياننا ، وقيل له : ما أنكرت أن يكون من نسب شيئاً من ذلك منهم إلى من نسبه من أجناس الأمم سوى العرب ، إنما نسبه إلى إحدى نسبتيه التى هولها مُستحقّ ، من غير نفي منه عنه النسبة الأخرى . ثم يقال له : أرايت من قال لأرض شُهلية جبلية : هى شُهلية . ولم يُنكَر أن تكون جبلية . أو قال : هى جبلية . ولم يذفَع أن تكون شُهلية ، أناف عنها أن تكون لها الصفة الأخرى بقيله ذلك ؟ فإن قال : نعم . كابر عقله ، وإن قال : لا . قيل له : فما أنكرت أن يكون قول من قال فى سجّيل : هى فارسية . وفى القسطاس : هى رومية . نظير ذلك . وسئل الفرق بين ذلك ، فلن يقول فى أحدهما قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

القول فى اللغة التى نزل بها القرآن من لغات العرب

قال أبو جعفر : قد دللنا على صحة القول ، بما فيه الكفاية لمن وُفق لفهمه ، على أن الله جل ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم ، وعلى فساد قول من زعم أن منه ما ليس بلسان العرب ولغتها^(١) .

فنقول الآن - إذ كان ذلك صحيحاً - فى الدلالة عليه بأى ألسن العرب أنزل : بألسن جميعها ، أم بألسن بعضها ؟ إذ كانت العرب ، وإن جمّع جميعها اسمُ أنهم

(١) فى ص : « لغاتها » .

عربٌ ، فهم مُخْتَلِفُو الْأَلْسِنِ بِالْبَيَانِ ، مُتَبَايِنُو الْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ .

وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَكَانَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّهُ قَدْ جَعَلَ الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا ، وَأَنَّهُ أَنْزَلَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ، ثُمَّ كَانَ ظَاهِرُهُ ^(١) مُخْتَمَلًا خُصُوصًا وَعُمُومًا ، لَمْ يَكُنْ لَنَا السَّبِيلُ إِلَى الْعِلْمِ بِمَا عَنِ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مِنْ خُصُوصِهِ وَعُمُومِهِ ، إِلَّا بَيَانٍ مَنْ جُعِلَ إِلَيْهِ بَيَانُ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَكَانَتِ الْأَخْبَارُ قَدْ تَظَاهَرَتْ عَنْهُ ﷺ بِمَا حَدَّثَنَا بِهِ خَلَادُ بْنُ أَسْلَمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ ، عَنْ أَبِي ^(٢) حَازِمٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، قَالَ : لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُوفٍ ، فَلَمِيزَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ » ثَلَاثَ مَرَاتٍ « فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاغْمَلُوا بِهِ ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ » ^(٣) .

وَحَدَّثَنِي عُيَيْدُ بْنُ أَشْبَاطَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُوفٍ ؛ عَلِيمٌ حَكِيمٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ^(٤) .

وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ ^(٥) .

(١) بعده في ر ، ص ، ت ١ : « هذا القول ظاهرا » .

(٢) في ص : « ابن » ، وهو سلمة بن دينار ، ينظر تهذيب الكمال ٢٧٢/١١ .

(٣) أخرجه أحمد ٣٦٩/١٣ (٧٩٨٩) ، والنسائي في الكبرى (٨٠٩٣) ، وأبو يعلى (٦٠١٦) ، وابن حبان (٧٤) ، وغيرهم من طريق أنس بن عياض به .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٥١٦/١٠ ، وأحمد ١٢٠/١٤ ، ٤٢٤/١٥ (٨٣٩٠) ، (٩٦٧٨) ، وغيرهما من طريق محمد بن عمرو به .

(٥) أخرجه ابن حبان (٧٤٣) من طريق عبدة به . وقوله : « عليم حكيم غفور رحيم » . قال ابن حبان : قول محمد بن عمرو أدرجه في الخبر ، والخبر إلى « سبعة أحرف » فقط .

وحدثنا محمد بن حميد الرازي، قال: حدثنا جريز بن عبد الحميد، عن
مغيرة^(١)، عن واصل بن حيآن، عن ذكره، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن
مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، لِكُلِّ حَرْفٍ
مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطْلَعٌ»^(٢).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، قال: حدثنا [٤/١] سفيان، عن
إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ
مثله^(٣).

حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: حدثنا
عاصم، عن زرر، عن عبد الله، قال: اختلف رجلان في سورة، فقال هذا:
أقرأني النبي ﷺ. وقال هذا: أقرأني النبي ﷺ. فأتى النبي ﷺ فأخبر بذلك،
قال: فتغير وجهه، وعنده رجل، فقال: اقرءوا كما علمتم - فلا أدرى أبشىء أم
أم بشيء ابتدعه من قبل نفسه - فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على

(١) في ص: « معاوية ». وهو مغيرة بن مقسم، ينظر تهذيب الكمال ٣٩٧/٢٨.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٥١٤٩)، والطحاوي في المشكل (٣٠٩٥)، والطبراني في الكبير (١٠١٠٧)، وفي
الأوسط (٧٧٣)، والبيهقي في تفسيره ٤٦/١ من طريق جرير به، مطولا ومختصرا، وسما المهيم عبد الله بن
أبي الهذيل، وعند البغوي: عن أبي الهذيل. وينظر ضعيف الجامع (١٣٣٨).

وينظر تعريف الحد والمطلع من كلام المصنف في ص ٦٦، ٦٧.

(٣) أخرجه الخطيب في الموضح ٣٨١/١ من طريق ابن حميد به مختصرا.

وأخرجه أيضا ٣٨١/١، ٣٨٢ من طريق سفيان به. وأخرجه ابن أبي شيبة ٥١٦/١٠، والبزار
(٢٠٨١)، وأبو يعلى (٥٤٠٣)، والطحاوي في المشكل (٣٠٧٧)، وابن حبان (٧٥)، والطبراني في
الكبير (١٠٠٩٠) من طريق أبي إسحاق إبراهيم ابن مسلم الهجري به مختصرا. والهجري لين الحديث
رفع موقوفات. وقد اختلف في إسناد هذا الحديث. ينظر ما سيأتي في ص ٤٠.

أنبيائهم . قال : فقام كل رجلٍ منا ، وهو لا يقرأُ على قراءة صاحبه^(١) . نحو هذا ومعناه .

حدَّثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي ، قال : حدَّثنا أبي ، قال : حدَّثنا الأعمش^(٢) ، وحدَّثني أحمد بن منيع ، قال : حدَّثنا يحيى بن سعيد الأموي ، عن الأعمش^(٣) ، عن عاصم ، عن زب بن حبيش ، قال : قال عبد الله بن مسعود : تمارينا في سورة من القرآن ، فقلنا : خمس وثلاثون ، أو ست وثلاثون آية . قال : فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا علياً يُناجيه^(٤) ، قال : فقلنا : إنا اختلفنا في القراءة ، قال : فاحمر وجه رسول الله ﷺ وقال : « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ بَيْنَهُمْ » . قال : ثم أسرَّ إلى علي شياً ، فقال لنا علي : إن رسول الله ﷺ يأمركم أَنْ تَقْرَءُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ^(٥) .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : حدَّثنا^(٦) عُبيد الله بن موسى ، عن عيسى بن قزطاس ،

(١) أخرجه أبو يعلى (٥٠٥٧) عن أبي كريب به . وأخرجه أحمد ٨٨ / ٧ ، ١٠٠ (٣٩٨١ ، ٣٩٩٣) من طريق أبي بكر بن عياش به ، مطولاً ومختصراً .

وأصل الحديث عند البخاري من حديث النزال بن سبرة عن ابن مسعود مرفوعاً . وينظر مسند الطيالسي (٣٨٧) ، وعلل الدارقطني ٧١ / ٣ ، وما سيأتي في ص ٤٣ .

(٢ - ٣) سقط من : ر .

(٣) في ر ، ت ١ : « بناحية » .

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ١٩٩ / ٢ (٨٣٢) ، وابن حبان (٧٤٦) من طريق سعيد بن يحيى بن سعيد به ، دون المرفوع منه . وأخرجه عبد الله بن أحمد - أيضاً - والبخاري (٤٤٩) ، وابن حبان (٧٤٧) ، والحاكم ٢ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ من طريق يحيى بن سعيد به ، نحوه .

وأخرجه أحمد ٧ / ١٠٠ ، ٣٤٥ (٣٩٩٢ ، ٤٣٢٢) من طريق عاصم به نحوه .

(٥) بعده في ر : « أبو » . وينظر تهذيب الكمال ٢٣ / ٢٢ .

(١) عن زيد القصار^(١)، عن زيد بن أرقم، قال: كنا معه في المسجد، فحدثنا ساعة، ثم قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أقرأني عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد، وأقرأنيها أبي بن كعب، فاختلفت / قراءتهم، فقراءة^(٢) أيهم أخذ؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ، قال: وعلى إلى جنبه، فقال علي: ليقرأ كل إنسان كما علم، كل حسن جميل^(٣).

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير، أن المصور بن مخزومة وعبد الرحمن ابن عبد القاري، أخبراه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة «الفرقان»^(٤) في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ كذلك^(٥)، فكذت أساوره^(٦) في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلما سلم لبسته^(٧) بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ. قال^(٨): فقلت: كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ هو^(٨) أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها. فأنطقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إني سمعت

(١ - ١) سقط من: ص، ر.

(٢) في ص، ر، ت ٢: «بقراءة»، وفي م: «بقراءة».

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٠٧٨) من طريق أبي كريب به. وقال الهيثمي في المجمع ١٥٣/٧: فيه عيسى بن قرقاس، وهو متروك. اهـ. وزيد القصار هذا لم نجد له ترجمة، وينظر تعليق الشيخ أحمد شاكر عليه.

(٤) في م: «الدخان».

(٥) سقط من: م.

(٦) في ر، ت ١، ت ٢: «أساوره». وأساوره: أى: أوثابه وأقاتله.

(٧) يقال: أخذ بتليب فلان: إذا جمع عليه ثوبه الذي هو لابس به عند صدره وقبض عليه يجره. التاج (ل ب ب).

(٨) في ر، م: «لهو».

هذا يَقْرَأُ سورةَ الْفُرْقَانِ على حروفٍ لم تُقَرِّئِهَا ، وأنتَ أَقْرَأْتَنِي سورةَ « الْفُرْقَانِ » ! قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوْسِلْهُ يَا عُمَرُ ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ » . فقرأَ عليه القراءةَ التي سَمِعْتَهُ يَقْرُؤُهَا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هَكَذَا أَنْزَلْتُ » . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اقْرَأْ يَا عُمَرُ » . فقرأْتُ القراءةَ التي أَقْرَأَنِي رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هَكَذَا أَنْزَلْتُ » . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهَا » ^(١) ^(٢) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، قال : ^(٣) حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ ، قال : ^(٤) حَدَّثَنَا « حَرْبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ » مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، قال : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قال : قرأ رجلٌ عندَ عمرَ بنِ الخطابِ فغَيَّرَ عليه ، فقال : لقد قرأتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فلم يُعَيِّرْ عَلَيَّ . قال : فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ألم تُقَرِّئْنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا ؟ قال : « بَلَى » . قال : فَوَقَعَ فِي صَدْرِ عُمَرَ شَيْءٌ ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، قال : فَضْرَبَ صَدْرَهُ ، وقال : « ابْعُدْ شَيْطَانًا » . قالها ثلاثًا ، ثم قال : « يَا عُمَرُ ، إِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ صَوَابٌ ، مَا لَمْ تَجْعَلْ رَحْمَةً عَذَابًا ، أَوْ عَذَابًا رَحْمَةً » ^(٥) .

(١) في مصادر التخریج : « منه » .

(٢) أخرجه المصنف في مسند عمر من تهذيب الآثار ص ٧٧٦ ، والنسائي (٩٣٧) عن يونس به .

وأخرجه مسلم (٨١٨) من طريق ابن وهب به . وأخرجه البخاري (٢٤١٩ ، ٤٩٩٢ ، ٥٠٤١) ، ومسلم (٨١٨) ، والترمذي (٢٩٤٣) ، وغيرهم من طريق الزهري به . وينظر مسند الطيالسي (٣٩) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤ - ٤) كذا في النسخ ، والصواب : حرب بن ثابت . ينظر تعجيل المنفعة ٤٣٨/١ .

(٥) أخرجه أحمد ٢٨٥/٢٦ (١٦٣٦٦) عن عبد الصمد به ، دون قوله : فوقع في صدر عمر ... وقال : « ابعد شيطاناً » . وقال ابن كثير في فضائل القرآن ص : ٧٣ : إسناده حسن . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبي إسحاق الحويني ٢١٨/١ .

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرِيَّابِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْمُونٍ ، قَالَ :
 حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ - يَعْنِي ابْنَ عَمَرَ - عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عَمَرَ ، قَالَ : سَمِعَ عَمْرُ بْنُ
 الْخَطَّابِ رَجُلًا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَسَمِعَ آيَةً عَلَى غَيْرِ مَا سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَتَى بِهِ عَمْرُ
 إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا قَرَأَ آيَةً كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ : « أُتِرِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ » ^(١) .

١٤/١ / حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي هِشَامُ
 ابْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ ، عَنْ زَيْدٍ ، عَنْ عَلْقَمَةَ النَّخَعِيِّ ، قَالَ : لما خَرَجَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ مِنَ الْكُوفَةِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَوَدَّعَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : لَا تَنَازَعُوا فِي
 الْقُرْآنِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَتَلَاشَى ^(٢) ، وَلَا يَنْفَقُ ^(٣) لِكثَرَةِ الرَّدِّ ، وَإِنْ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ
 وَحُدُودَهُ وَفَرَائِضَهُ فِيهِ وَاحِدَةٌ ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ مِنَ الْحَرْفَيْنِ يَنْتَهَى عَنْ شَيْءٍ يَأْمُرُ بِهِ
 الْآخَرُ ، كَانَ ذَلِكَ الْاِخْتِلَافَ ، وَلَكِنَّهُ جَامِعٌ ذَلِكَ كُلَّهُ ، لَا تَخْتَلِفُ فِيهِ الْحُدُودُ وَلَا
 الْفَرَائِضُ ، وَلَا شَيْءٌ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا تَنَازَعُ فِيهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
 فَيَأْمُرُنَا فَنَقْرَأُ عَلَيْهِ ، فَيُخْبِرُنَا أَنَّا كُلُّنَا مُحْسِنٌ ، وَلَوْ أَعْلَمَ ^(٤) أَحَدًا أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى
 رَسُولِهِ مَنَّى لَطَلَّبْتُهُ حَتَّى أَزْدَادَ عِلْمَهُ إِلَى عِلْمِي ، وَلَقَدْ قَرَأْتُ مِنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 سَبْعِينَ سُورَةً ، وَقَدْ كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ ، حَتَّى كَانَ
 عَامُ [٥/١] قُبُضٍ ، فُعْرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ ، فَكَانَ إِذَا فَرَّغَ أَقْرَأَ عَلَيْهِ ، فَيُخْبِرُنِي [٥/١] أَنِّي
 مُحْسِنٌ ، فَمَنْ قَرَأَ عَلَى قِرَاءَتِي فَلَا يَدْعُئُهَا رَغْبَةً عَنْهَا ، وَمَنْ قَرَأَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ

(١) عزاه المتقي الهندي في الكنز (٣٠٩٤) إلى المصنف . وعبد الله بن ميمون القداح متروك .

(٢) في المسند : « وَلَا يُسْتَشَنَّ » - أَيْ لَا يَخْلُقُ - وَفِي تَارِيخِ الْمَدِينَةِ : « وَلَا يَنْسَانُ » . وَيَنْظُرُ تَعْلِيقُ الشَّيْخِ
 شَاكِر .

(٣) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « يَتَغَيَّرُ » .

(٤) بَعْدَهُ فِي ر : « أَنْ » .

الحروف فلا يدَعْنَهُ رغبةً عنه ، فإنه من جحد بآية جحد به كله^(١) .

حدَّثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، وحدَّثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدَّثنا رِشْدِينُ بنُ سَعْدٍ ، عن عُقَيْلِ بنِ خَالِدٍ ، جميعًا عن ابنِ شِهَابٍ ، قال : حدَّثني عُبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ ، أن ابنَ عباسٍ حدَّثه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَقْرَأْنِي جَبْرِيلُ على حَرْفٍ ، فراجَعْتُهُ ، فلم أزلُ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَافٍ » . قال ابنُ شِهَابٍ : بَلَغْنِي أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يَكُونُ واحدًا ، لا يَخْتَلِفُ في حلالٍ ولا حرامٍ^(٢) .

حدَّثني محمد بن عبد الله بن أبي مَخْلَدٍ الواسطي ويونس بن عبد الأعلى الصَّدْفِيُّ ، قالا : حدَّثنا سفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن عُبيدِ اللَّهِ ، أخبره أبوه ، أن أمَّ أيوبَ أَخْبَرَتْه ، أن النبي ﷺ قال : « نَزَلَ^(٣) الْقُرْآنُ على سَبْعَةِ أَحْرَافٍ ، أُلِيَّهَا قَرَأَتْ

(١) إسناده ضعيف جدا ؛ على بن أبي على اللهبى منكر الحديث ، وزيد لم يدرك علقمة .

وأخرجه عمر بن شبة في تاريخ المدينة ٣/ ١٠٠٨ ، وابن عساكر في تاريخه ٣٩/ ٩٢ (طبعة مجمع اللغة بدمشق) من طريق زبيد ، عن عبد الرحمن بن عابس ، عن رجل ، عن ابن مسعود ، نحوه .

وأخرجه أحمد ٦/ ٣٩٥ (٣٨٤٥) - ومن طريقه ابن عساكر ٣٩/ ٩٢ - عن غندر ، عن شعبة ، عن عبد الرحمن بن عابس به ، نحوه . وسيأتي جزء منه في ص ٤٦ من طريق آخر عن شعبة .

وقوله : لا أعلم أحدًا أعلم بما أنزل الله على رسوله ﷺ منى سيأتي نحوه في ص ٧٥ .

وقوله : لقد قرأت من لسان رسول الله ﷺ سبعين سورة أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما ، وينظر مسند الطيالسى (٤٠٥) .

وقوله : وقد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان أخرجه البخارى (٤٩٩٨) من حديث أبي هريرة .

وقوله : من جحد بآية جحد به كله . سيأتي في ص ٤٩ من وجه آخر عن ابن مسعود .

(٢) أخرجه الطحاوى فى المشكل (٣١١٦) عن يونس بن عبد الأعلى به .

وأخرجه مسلم (٨١٩) من طريق ابن وهب به . وأخرجه البخارى (٣٢١٩) من طريق يونس بن يزيد ، (٤٩٩١) من طريق عقيل ، كلاهما عن الزهرى به .

(٣) فى ص ، م : « أنزل » .

أَصَبَتْ»^(١).

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى الشَّدِيدِ^(٢)، قَالَ: أُنْبَأْنَا شَرِيكَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدَ يَزْفَعُهُ قَالَ: «أَتَانِي مَلَكَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: اقْرَأْ. قَالَ: عَلَى كَمْ؟ قَالَ: عَلَى حَرْفٍ. قَالَ: زِدْهُ. حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَافٍ»^(٣).

حَدَّثَنَا ابْنُ الْبَرَقِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْزُومٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَاسْتَرَدُّهُ فَرَادَنِي، ثُمَّ اسْتَرَدُّهُ فَرَادَنِي، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَافٍ»^(٤).

حَدَّثَنِي الرَّيْعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ أَيُّوبَ تُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ ١٥/١ نَحْوَهُ. ^(٥) يَعْنِي نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي مُخَلَّدٍ.

(١) أخرجه الطحاوى فى المشكل (٣١٠٠) عن يونس بن عبد الأعلى به .

وأخرجه الحميدى (٣٤٠)، وسعيد بن منصور فى سننه (٣٢- تفسير)، وابن أبى شيبة ٥١٥/١٠، وأحمد ٤٣٣/٦ (الميمنية)، وابن أبى عاصم فى الأحاد والمثنى (٣٣٢٠) من طريق ابن عيينة به . وقال ابن كثير فى فضائل القرآن ص ٦٤: هذا إسناد صحيح .

(٢) قال الحافظ فى التقریب : نسيب السدى ، أو ابن بنته ، أو ابن أخته . وينظر تهذيب التهذيب ٣٣٦/١ .

(٣) أخرجه الطحاوى فى المشكل (٣١١٤) من طريق إسماعيل بن موسى به .

وأخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند ١٢٥/٥ (الميمنية) من طريق شريك ، عن أبى إسحاق ، عن سليمان بن صرد ، عن أبى بن كعب . وأخرجه الطحاوى (٣١١٥) ، والطبرانى فى الأوسط (١١٦٧) من طريق أبى إسحاق ، عن سليمان بن صرد . بدون ذكر أبى . وسيأتى حديث أبى والخلاف فيه .

(٤) تقدم فى الصفحة السابقة .

(٥ - ٥) زيادة من : م ، ت ٢ ، وفى ت ١ : « مثل الحديث الذى تقدم عن الربيع » .

حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ السَّمَّانُ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي ^(١) عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أُمِّ أَيُّوبَ ، أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُوفٍ ، فَمَا قَرَأَتْ أَصَبَتْ » .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ فُلَانِ الْعَبْدِيِّ - قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : ذَهَبَ عَنِّي اسْمُهُ - عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدَ ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، قَالَ : رُحْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَسَمِعْتُ رَجُلًا يَقْرَأُ ، فَقُلْتُ : مَنْ أَقْرَأَكَ ؟ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : اسْتَقْرَيْ هَذَا . قَالَ : فَقْرَأْ ، فَقَالَ : « أَحْسَنْتَ » . قَالَ : فَقُلْتُ : إِنَّكَ ^(٢) أَقْرَأْتَنِي كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ : « وَأَنْتَ قَدْ أَحْسَنْتَ » . قَالَ : فَقُلْتُ : قَدْ أَحْسَنْتَ ! قَدْ أَحْسَنْتَ ! قَالَ : فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْ أُبَيِّ الشُّكَّ » . قَالَ : فَفِضْتُ عَرَقًا ، وَامْتَلَأَ جَوْفِي فَرَقًا ^(٣) ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ الْمَلَكََيْنِ أَتَيَانِي ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : اقْرَأْ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ . وَقَالَ الْآخَرُ : زِدْهُ . قَالَ : فَقُلْتُ ^(٤) : زِدْنِي . قَالَ : اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ . حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُوفٍ ، ^(٥) فَقَالَ : اقْرَأْ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُوفٍ ^(٦) » .

(١ - ١) فِي ص : « عَبْدُ اللَّهِ » .

(٢) فِي ص ، ت ١ : « فَإِنَّكَ » .

(٣) بَعْدَهُ فِي ص ، ر : « قَالَ » . وَالْفَرْقُ : الْخَوْفُ . اللَّسَانُ (ف ر ق) .

(٤) فِي ص ، ر ، ت ١ : « قُلْتُ » .

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ : ص .

(٦) أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ ص ٢٠٢ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي زَوَائِدِ الْمُسْنَدِ ١٢٤/٥ (الْيَمِينِيَّةُ) ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّهْمِيدِ ٨/ ٢٨٥ ، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ ٣٢٩/٧ مِنْ طَرِيقِ إِسْرَائِيلَ بِهِ . وَعِنْدَهُمْ : سَقِيرُ الْعَبْدِيِّ . وَهُوَ مَجْهُولٌ ، وَيَنْظُرُ تَعْجِيلُ الْمَنْفَعَةِ ١/ ٥٩٤ . وَأَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ ص ٢٠١ ، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكِبَرِيِّ (١٠٥٠٦) مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ ، عَنْ الْعَوَامِ بْنِ حَوْشَبَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدَ ، عَنْ أَبِي .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ الزَّعْفَرَانِيُّ، جَمِيعًا عَنْ حُمَيْدِ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ : مَا حَاكَ^(١) فِي صَدْرِي شَيْءٌ مِّنْذُ أَسْلَمْتُ، إِلَّا أَنِّي^(٢) قَرَأْتُ آيَةَ^(٣)، فَقَرَأَهَا رَجُلٌ غَيْرَ قِرَاءَتِي، فَقُلْتُ : أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ الرَّجُلُ : أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ : أَقْرَأْتَنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ : « بَلَى ». قَالَ الرَّجُلُ : أَلَمْ تُقَرِّئْنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ : « بَلَى، إِنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ أَتَيَانِي، فَقَعَدَ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِي وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِي، فَقَالَ جِبْرِيلُ : اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ^(٤) حَرْفٍ وَاحِدٍ^(٥)، وَقَالَ مِيكَائِيلُ : اسْتَزِدْهُ. قَالَ جِبْرِيلُ : اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ. فَقَالَ مِيكَائِيلُ : اسْتَزِدْهُ. حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ^(٦) ». الشُّكُّ مِنْ أَبِي كُرَيْبٍ. وَقَالَ ابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ : « حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُوفٍ - وَلَمْ يَشُكَّ^(٧) فِيهِ - وَكُلُّ شَافٍ كَافٍ ». وَلَفْظُ الْحَدِيثِ لِأَبِي كُرَيْبٍ^(٨).

= وأخرجه أحمد بن منيع في مسنده - كما في فضائل القرآن لابن كثير ص ٦١ - والنسائي في الكبرى (١٠٥٠٧)، والبيهقي في الدلائل ١٨٨/٦ من طريق إسحاق الأزرق ويزيد بن هارون، عن العوام، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صرد، قال : أتى أبي بن كعب رسول الله ﷺ برجلين. فذكره.

وقال ابن كثير : فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبي بن كعب، والظاهر أن سليمان بن صرد الخزاعي شاهد ذلك، والله أعلم.

(١) في ص : « حال ».

(٢ - ٢) في ت ١ : « قرأنا به ».

(٣ - ٣) في ص، ر : « حرف »، وفي ت ٢ : « حرفين ».

(٤) بعده في ت ١ : « أحرف ».

(٥) في ر، ت ١، ت ٢ : « يشكك ».

(٦) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٠١، وابن أبي شيبه ٥١٧/١٠، وأحمد ٥/١١٤، ١٢٢

(الميمية)، وعبد بن حميد (١٦٤)، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند ١٢٢/٥ (الميمية)،

والنسائي (٩٤٠)، والطحاوي في المشكل (٣١١١)، وابن حبان (٧٣٧) من طرق عن حميد به.

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يَحْيَى ابْنُ أَيُّوبَ ، عَنْ حُمَيْدِ الطَّوِيلِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ كَعْبٍ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ . وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ : « حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ ^(١) أَحْرَفٍ ، قَالَ : أَقْرَأَهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، كُلُّ شَافٍ كَافٍ » .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ حَمِيدٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ عُبادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ كَعْبٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : / « أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » ^(٢) .

١٦/١

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ وَأَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ زَائِدَةَ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ زُرَّ ، عَنْ أَبِي ، قَالَ : لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَبْرِيلَ عِنْدَ أَحْجَارِ الْمِرَاءِ ^(٣) ، فَقَالَ : « إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ ، مِنْهُمْ الْغُلَامُ وَالْحَادِثُ وَالشَّيْخُ الْعَاسِي ^(٤) وَالْعَجُوزُ » . فَقَالَ جَبْرِيلُ : فَلْيَقْرَأُوا الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ . وَلَفْظُ الْحَدِيثِ لِأَبِي أُسَامَةَ ^(٥) .

(١) في ت ١ ، ت ٢ : « سبعة » .

(٢) أخرجه أحمد ١١٤/٥ (الميمية) ، والطحاوي في المشكل (٣٠٩٦ ، ٣٠٩٧) ، وابن حبان (٧٤٢) ، والطبراني في الأوسط (٥٢٥٠) ، وابن عدى ٦٧٩/٢ ، وتمام في الفوائد (١٣٢٢ - الروض البسام) من طرق عن حماد بن سلمة به . وقد تفرد حماد بذكر عبادة في إسناده .

(٣) المراء - بكسر الميم - : قباء . النهاية ٣٢٣/٤ .

(٤) في ص : « العاشي » ، وفي م ، وجامع المسانيد ٦٧/١ : « الفاني » ، وفي المسند : « العاصي » ، وفي الترمذي : « الكبير » . والعاسي بمعنى ما في هذه المصادر .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٥١٨/١٠ - ومن طريقه ابن حبان (٧٣٩) - وأحمد ١٣٢/٥ (الميمية) عن حسين بن علي به . وأخرجه أحمد من طريق زائدة به . وأخرجه الطيالسي (٥٤٥) ، والترمذي (٢٩٤٤) ، والبخاري (٢٩٠٩) ، والطحاوي في المشكل (٣٠٩٨) من طريق عاصم به . وقال الترمذي :

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مُنْمِرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ ،
وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدُ بْنُ بَيَانَ الْقَنَادُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْوَاسِطِيُّ ، عَنْ
إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيْسَى بْنِ^(١) عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ أَبِي
ابْنِ كَعْبٍ ، قَالَ : كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ^(٢) ،
ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ آخَرُ ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً غَيْرَ قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ ، فَدَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ هَذَا فَقَرَأَ قِرَاءَةً
غَيْرَ قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ . فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَا ، فَحَسَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَأْنَهُمَا ،
فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ [و٥/١]
اللَّهُ ﷺ مَا غَشِيَنِي ضَرْبٌ فِي صَدْرِي ، فَفِضْتُ عِرْقًا ، كَأَنَّمَا أَنْظَرُ إِلَى اللَّهِ فِرْقًا ، فَقَالَ
لِي : « يَا أُنَيْتِي ، أُرْسِلَ إِلَيَّ : أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ : أَنْ هَوْنٌ عَلَى
أُمَّتِي . فَرَدَّدَ عَلَيَّ فِي الثَّانِيَةِ : أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ . فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ : أَنْ هَوْنٌ عَلَى
أُمَّتِي . فَرَدَّدَ عَلَيَّ فِي الثَّالِثَةِ : أَنْ أَقْرَأَهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، وَلَكِ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا^(٣)
مَسْأَلَةً تَسْأَلُنِيهَا . فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي . وَأَخْرَجْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ
يَزْعَبُ إِلَيَّ فِيهِ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ » . إِلَّا أَنَّ ابْنَ بَيَانَ قَالَ فِي حَدِيثِهِ : فَقَالَ
لَهُمُ^(٤) النَّبِيُّ ﷺ : « قَدْ أَصَبْتُمْ وَأَحْسَنْتُمْ » . وَقَالَ أَيْضًا : فَارْفَضْتُ^(٥) عِرْقًا^(٦) .

= وَرَوَى عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ زُرِّ ، عَنْ حَذِيفَةَ . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٥/ ٣٩١ ، ٤٠٥ (الميمنية) ، والبخاري (٢٩٠٨) ،
والطحاوي في المشكل (٣٠٩٨) ، وابن قانع في معجمه ١/ ١٩١ ، ١٩٢ ، والطبراني في الكبير (٣٠١٨) .
(١) في ت ١ : « عن » . وينظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤١٢ .

(٢) بعده في ص ، ت ١ : « قال » .

(٣) في ص ، م : « رددتها » .

(٤) في ص ، ت ١ : « لهما » .

(٥) ارفض عرقا : جرى عرقه وسال . انظر النهاية ٢/ ٢٤٣ .

(٦) أخرجه مسلم (٨٢٠) - ومن طريقه البغوي في شرح السنة (١٢٢٧) - من طريق ابن نمير به . =

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، بِإِسْنَادِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ ^(١) ، وَقَالَ : قَالَ لِي : « أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنَ الشُّكِّ وَالتَّكْذِيبِ » . وَقَالَ أَيْضًا : « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي . فَقَالَ : اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ . فَأَمَرَنِي ^(٢) أَنْ أَقْرَأَهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْزَابٍ ، مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ » .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى بْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى ، ^(٣) وَعَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى ^(٤) ، عَنِ الْحَكَمِ ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ أَبِي ، قَالَ : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ ، فَقَرَأْتُ « النُّحْلَ » ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ ، فَقَرَأَهَا عَلَى غَيْرِ قِرَاءَتِي ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَرَأَ خِلَافَ قِرَاءَتِنَا ، فَدَخَلَ ^(٥) نَفْسِي مِنَ الشُّكِّ وَالتَّكْذِيبِ أَشَدُّ مِمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَخَذْتُ بِأَيْدِيهِمَا ، فَأَتَيْتُ بِهِمَا النَّبِيَّ ﷺ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَقْرِئْ هَذَيْنِ . فَقَرَأَ أَحَدُهُمَا ، فَقَالَ : « أَصَبْتُ » . قَالَ : ثُمَّ اسْتَقْرَأَ الْآخَرَ ، / فَقَالَ : « أَصَبْتُ » . فَدَخَلَ ١٧/١ قَلْبِي أَشَدُّ مِمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الشُّكِّ وَالتَّكْذِيبِ ، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

= وأخرجه ابن أبي شيبة ٥١٦/١٠ ، وأحمد ١٢٧/٥ (الميمنية) ، ومسلم (٨٢٠) ، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند ١٢٨/٥ (الميمنية) ، وابن حبان (٧٤٠) ، والبيهقي ٣٨٣/٢ من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به .

(١) أعاده المصنف في ص ٦٣ ، وفيه : عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي . وهكذا ذكره ابن كثير في فضائل القرآن ص ٥٦ عنه .

(٢) في ت ١ : « وأمرني » .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، ر ، ت ٢ . وابن أبي ليلى الذي يروي عنه عبد الله بن عيسى والحكم هو عبد الرحمن بن أبي ليلى ، والذي يروي عن الحكم هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى .

(٤) بعده في م : « في » .

صدرى ، وقال : « أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنَ الشُّكِّ ، وَأَخْسَأَ عَنْكَ الشَّيْطَانُ » . قال إسماعيلُ :
فَفَضْتُ عِرْقًا . ولم يَقُلْهُ ابنُ أبى ليلَى . قال : فقال : « أَتَانِي جَبْرِيلُ ، فَقَالَ : اقْرَأْ
الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ . فَقُلْتُ : إِنَّ أُمَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ . حَتَّى قَالَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ،
فَقَالَ لِي : اقْرَأْ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رُدَّتْهَا مَسْأَلَةٌ » . قال : « فَاحْتَاجُ
إِلَيْهَا فِيهَا الْخَلَائِقُ ، حَتَّى إِبْرَاهِيمَ » .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ^(١) ، عن ابنِ أبى ليلَى ، عن الحكمِ ، عن
عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلَى ، عن أُتَيْيَ ، عن النّبِيِّ ﷺ بنحوه .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطُّوسِيُّ ، قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ ، قال : ^(٢) حَدَّثَنِي أبى ،
قال ^(٣) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جُحَادَةَ ، عن الحكمِ بنِ عُثَيْبَةَ ^(٤) ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ أبى
ليلَى ، عن أُتَيْيَ بنِ كَعْبٍ ، قال : أَتَى جَبْرِيلُ النّبِيَّ ﷺ وهو عندَ أَصَابَةِ بَنَى غِفَارٍ ^(٥) ،
فقال : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، فَمَنْ قَرَأَ
مِنْهَا حَرْفًا فَهُوَ كَمَا قَرَأَ ^(٥) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قال : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عن

(١) فى ر ، ت ١ ، ت ٢ : « عبيد الله » . والظاهر أنه عبد الله بن نمير ، فهو يروى عن ابن أبى ليلَى كما فى
المسند ٢٢/٥ (٢٨٠٨) ، ويروى عنه أبو كريب كما تقدم فى ص ٣٢ .

(٢ - ٢) سقط من : ر .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢ : « عيينة » .

(٤) أضابة بنى غفار : موضع بالمدينة . معجم ما استعجم ١/ ١٦٤ .

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند ١٢٨/٥ (الميمنة) - وعنه الطبرانى فى الكبير (٥٣٥) ،
والقطيعى فى جزء الألف دينار (٢٨) - وابن حبان (٧٣٨) من طريق عبد الوارث بن سعيد به . وسيأتى فى
ص ٤٠ ، ٤١ من طريق آخر عن عبد الوارث .

الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، أن النبي ﷺ كان عند أضاح بن غفار ، قال : فأتاه جبريل ، فقال : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ . قال : « أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، وَإِنْ أُمْتِنِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ » . قال : ثم أتاه الثانية ، فقال : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ . قال : « أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، وَإِنْ أُمْتِنِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ » . ثم جاءه الثالثة ، فقال : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ . قال : « أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، وَإِنْ أُمْتِنِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ » . ثم جاءه الرابعة ، فقال : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا ^(١) .

حدثنا محمد بن المنثني ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى قال : أتى جبريل النبي ﷺ عند أضاح بن غفار . فذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا موسى بن داود ، قال : حدثنا شعبة ، وحدثنا الحسن بن عرفة ، قال : حدثنا شبابة ، قال : حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، عن النبي ﷺ بنحوه ^(٢) .

(١) أخرجه مسلم (٨٢١) ، وأبو داود (١٤٧٨) عن محمد بن المنثني به .

وأخرجه أحمد ١٢٧/٥ (الميمية) ، ومسلم (٨٢١) ، والنسائي (٩٣٨) ، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند ١٢٨/٥ (الميمية) من طريق محمد بن جعفر به . وأخرجه الطيالسي (٥٥٩) ، والطحاوي في المشكل (٣١١٧) ، والبيهقي ٣٨٤/٢ من طريق شعبة به . وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٠٢ عن حجاج بن محمد ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن ابن أبي ليلى ، ليس فيه : عن مجاهد . وقال النسائي : هذا الحديث خولف فيه الحكم ، خالفه منصور بن المعتمر ، رواه عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، مرسلا .

(٢) أخرجه الطحاوي في المشكل (٣١١٧) من طريق شبابة به .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام ابن سعيد ، عن ^(١) «عبيد الله» بن عمر ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب أنه قال : سمعت رجلاً يقرأ في سورة «النحل» قراءة تُخالف قراءتي ، ثم سمعت آخر يقرأها ^(٢) «قراءة تُخالف ذلك» ، فأنطلقت بهما إلى رسول الله ﷺ / فقلت : إني سمعت هذين يقرآن في سورة «النحل» ، فسألتهما من أقرأهما ؟ فقالا : رسول الله ﷺ . فقلت : لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ ، إذ خالفتما ما أقرأني رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ لأحدهما : «اقرأ» . فقرأ ، فقال : «أحسنست» . ثم قال للآخر : «اقرأ» . فقرأ ، فقال : «أحسنست» . قال أبي : فوجدت في نفسي وشوشت الشيطان ، حتى احمر وجهي ، فعرف ذلك رسول الله ﷺ في وجهي ، فضرب بيده في صدرى ، ثم قال : «اللهم أخسئ الشيطان عنه ، يا أئبي أتاني آت من ربي ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حروفٍ واحدٍ . فقلت : رب ، خفف عني ^(٣) . ثم أتاني الثانية ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على ^(٤) «حروفٍ واحدٍ» . فقلت : رب ، خفف عن أمتي . ثم أتاني الثالثة ، فقال مثل ذلك ، وقلت مثل ذلك ، ثم أتاني الرابعة ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحروف ، ولك بكل ردوة مسألة . فقلت :

١٨/١

(١ - ١) في ص : «عبد الله» .

(٢ - ٢) في ص ، ر ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : «فخالف» .

(٣) في فضائل القرآن : «عن أمتي» . وفي نسخة منه كالذى هنا . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبي إسحاق

الحويى ١/ ١٩٤ .

(٤ - ٤) في الفضائل : «حرفين» . وفي نسخة منه كالذى هنا .

يَا رَبِّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي ، ^(١) يَا رَبِّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي ^(٢) ، ^(٣) وَاخْتَبَأْتُ الثَّالِثَةَ شَفَاعَةً لِأُمَّتِي ^(٤) .
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٥) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصُّنْعَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ :
سَمِعْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍ ، عَنْ [٥/١ ظ] سَيَّارٍ ^(٤) أَبِي الْحَكَمِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي
لَيْلَى ، رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ : ذَكَرَ أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَكُلٌّ يَزْعُمُ أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ أَقْرَأَهُ ، فَتَقَارَأُ إِلَى أَبِي ، فَخَالَفَهُمَا أَبِي ، فَتَقَارَعُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ ^(٥) :
يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، اخْتَلَفْنَا فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَكُلُّنَا يَزْعُمُ أَنَّكَ أَقْرَأْتَهُ . فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا :
« أَقْرَأْ » . قَالَ : فَقَرَأَ ، فَقَالَ : « أَصَبْتُ » . وَقَالَ لِلْآخَرِ : « أَقْرَأْ » . فَقَرَأَ خِلَافَ مَا قَرَأَ
صَاحِبُهُ ، فَقَالَ : « أَصَبْتُ » . وَقَالَ لِأَبِي : « أَقْرَأْ » . فَقَرَأَ فَخَالَفَهُمَا ، فَقَالَ :
« أَصَبْتُ » . قَالَ أَبِي : فَدَخَلَنِي مِنَ الشُّكِّ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا دَخَلَ فِيَّ مِنْ أَمْرِ
الْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ : فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي فِي وَجْهِهِ ، فَرَفَعَ يَدَهُ ، فَضْرَبَ
صَدْرِي ، وَقَالَ : « اسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » . قَالَ : فِفَضْتُ عِرْقًا ، وَكَانَنِي
أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ فَرَقًا ، وَقَالَ : « إِنَّهُ أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي ^(٦) » ، فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ
الْقُرْآنَ عَلَى حُرُوفٍ وَاحِدٍ . فَقُلْتُ : رَبُّ حَقْفٍ عَنْ أُمَّتِي ^(٧) . قَالَ : « ثُمَّ جَاءَ الثَّانِيَةَ ^(٨) » ،

(١ - ١) سقط من : ر ، ت ٢ .

(٢ - ٢) سقط من : ت ٢ .

(٣) إسناده منقطع . ذكره ابن كثير في فضائل القرآن ص ٥٦ ، ٥٧ عن المصنف . وعلقه ابن عبد البر في
التمهيد ٢٨٨/٨ عن الليث ، عن هشام به .

وصحح إسناده ابن كثير ، وقال الحري - كما في تهذيب التهذيب ٤٠/٧ - : عبيد الله لم يدرك
عبد الرحمن بن أبي ليلى . وقد روى عنه بواسطة كما في الطريق الآتي .

(٤) في ت ١ : « سنان » .

(٥) في ص : « فقالوا » .

(٦) في ص : « عن » .

(٧) زيادة من : ت ١ .

فقال : إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ . فَقُلْتُ : رَبِّ خَفِّفْ عَن أُمْتِي . قال : ^(١) « ثُمَّ جَاءَ الثَّالِثَةُ ، فقال : إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ . فَقُلْتُ : رَبِّ خَفِّفْ عَن أُمْتِي . قال : ^(٢) « ثُمَّ جَاءَنِي الرَّابِعَةُ ، فقال : إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ مَسْأَلَةٌ » . قال : « قُلْتُ : رَبِّ اغْفِرْ لِأُمْتِي ، رَبِّ اغْفِرْ لِأُمْتِي ، وَاخْتَبَأْتُ الثَّالِثَةَ شَفَاعَةً لِأُمْتِي ، حَتَّى إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ لَيَرْغَبُ فِيهَا » ^(٣) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قال : حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ ، عن حمادِ بنِ سلمة ، عن عليِّ بنِ زَيْدٍ ^(٣) ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أَبِي بَكْرَةَ ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قال ^(٤) جَبْرِيلُ : اقْرَءُوا الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ . فَقَالَ مِيكَائِيلُ : اسْتَرِدُّهُ . فَقَالَ : عَلَى حَرْفَيْنِ . حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ ، فقال : كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ ، مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ ^(٥) بِآيَةِ رَحْمَةٍ ^(٦) ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ ^(٦) بِآيَةِ عَذَابٍ ^(٧) ، كَقَوْلِكَ : هَلُمَّ وَتَعَالَ » ^(٧) .

١٩/١ / حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ

(١ - ٢) سقط من : ت ٢ .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣٢٩/٧ من طريق ابن وهب ، عن عمرو ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عبيد الله بن عمر ، عن أبي الحكم ، عن أبي بن كعب ، نحوه .

(٣) في ت ١ : « يزيد » .

(٤) بعده في ر : « لى » .

(٥ - ٥) في م : « برحمة » .

(٦ - ٦) في م : « بعذاب » .

(٧) أخرجه أحمد ٥١ / ٤١ ، (الميمنية) ، والطحاوى في المشكل (٣١١٨) من طريق حماد به .

وعزاه الهيثمي في المجمع ١٥١/٧ إلى الطبراني .

ابن بلال، عن يزيد بن خُصيفة، عن بُشَيْر^(١) بن سعيد، أن أبا جُهَيْم^(٢) الأنصاري أخبره أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، فقال هذا: تَلَقَّيْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وقال الآخر: تَلَقَّيْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فسألا رسولَ اللَّهِ ﷺ عنها، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَلَا تَمَارَوْا فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْمِرَاءَ فِيهِ كُفْرٌ»^(٣).

حدثنا يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن عمرو بن دينار، قال: قال النبي ﷺ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ»^(٤).

حدثني يونس،^(٥) قال: أخبرنا ابنُ وهب^(٦)، قال: أخبرني سليمان بن بلال، عن أبي عيسى بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، عن جدّه، عن عبد الله بن مسعود، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، كُلُّ كَافٍ شَافٍ»^(٨).

(١) في ر، م، ت ١، ت ٢: «بشير». وينظر تهذيب الكمال ١٧٢/٣٢.

(٢) في ر، م: «جهيم». وينظر تهذيب الكمال ٢٠٩/٣٣.

(٣) أخرجه الطحاوي في المشكل (٣٠٩٩) عن يونس به. وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٢٨٢/٨ من طريق ابن وهب به. وأخرجه أحمد ٨٥/٢٩ (١٧٥٤٢) من طريق سليمان بن بلال به. وقال ابن كثير في فضائل القرآن ص ٦٤: هذا إسناد صحيح. وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبي إسحاق الحويني ٢٠٧/١.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣٣ - تفسير)، وابن أبي شيبة ٥١٦/١٠ عن ابن عينة به.

(٥ - ٥) سقط من: ت ١.

(٦) سقط من: م.

(٧) زيادة من: ر. وهذا إسناد مشكل كما قال الشيخ أحمد شاكر، ومن بعده الشيخ الألباني في الصحيحة ٢/٤٢٤ (٨٤٤). ولم نهتد إلى معرفة من أبو عيسى هذا. ولعله أبو العيس عتبة بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود، ثقة، مات في حدود سنة ١٥٠، مترجم في تهذيب الكمال ٣٠٩/١٩، وذكر روايته عن أبيه.

(٨) عزاه السيوطي في الجامع الكبير (٤٤٣٢)، والمتقي الهندي في الكنز (٣٠٩٢) إلى المصنف.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ الْغِفَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو خَلْدَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْعَالِيَةِ ، قَالَ : قَرَأَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كُلِّ خَمْسِ رَجُلٍ ، فَاخْتَلَفُوا فِي اللِّغَةِ ، فَرَضِي قِرَاءَتَهُمْ كُلَّهُمْ ، فَكَانَ بَنُو تَمِيمٍ أَعَزَّ^(١) الْقَوْمِ .

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَثْمَانَ^(٢) الْعُثْمَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ^(٣) ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَخِي ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ ، عَنْ الْمُقْبِرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ . فَأَقْرَأُوا وَلَا حَرْجَ ، وَلَكِنْ لَا تَخْتِمُوا^(٤) ذِكْرَ رَحْمَةِ بَعْدَايَ ، وَلَا ذِكْرَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ^(٥) » .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ^(٦) ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ^(٧) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْحَجَّاجِ^(٨) ، قَالَ : حَدَّثَنَا^(٩) عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ^(١٠) ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ^(١١) بْنُ

(١) فِي ر : « أَعْرَفَ » .

(٢) فِي ص ، ت ١ : « مُحَمَّدٌ » .

(٣) فِي ص : « إِدْرِيسٌ » .

(٤) فِي ت ١ : « تَجَمَّعُوا » .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّمْهِيدِ ٢٨٨/٨ مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي أُوَيْسٍ بِهِ .

وَأَخْرَجَهُ الطُّحَاوِيُّ فِي الْمَشْكَلِ (٣١٠١) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَجْلَانَ بِهِ .

وَاخْتَلَفَ فِيهِ عَلَى ابْنِ أَبِي أُوَيْسٍ ، فَأَخْرَجَهُ الْبَزَارُ ، وَأَبُو يَعْلَى ، وَابْنُ حِبَّانَ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ طَرُقِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ أَبِي أُوَيْسٍ ، عَنْ أَخِيهِ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ ، عَنْ ابْنِ عَجْلَانَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الْهَجَرِيِّ ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ . وَقَدْ تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ عَجْلَانَ عَنْ الْهَجَرِيِّ . وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ الْهَجَرِيِّ فِي ص ٢٢ .

(٦) فِي ت ٢ : « يُوسُفٌ » .

(٧) بَعْدَهُ فِي ت ٢ : « عَنْ » .

(٨) سَقَطَ مِنْ : ص .

(٩) فِي ت ١ : « الْعَجَّاجُ » .

(١٠ - ١٠) سَقَطَ مِنْ : ص .

(١١ - ١١) فِي ت ٢ : « يَعْنِي » .

مُحَادَّةٌ^(١)، عن الحكم بن عُثَيْبَةَ^(٢)، عن مُجَاهِدٍ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أُبَيِّ بن كعب، قال: أتى النبي ﷺ جبريلُ وهو بأَصَاةِ بنى غِفَارٍ، فقال: إن الله يأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أَمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ. قال: فقال: «أَسْأَلُ اللَّهَ مَغْفِرَتَهُ وَمُعَافَاتَهُ» - «أَوْ قَالَ: مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ»^(٣) - سَلِيَ اللَّهُ لَهُمُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ». فَانْطَلَقَ ثُمَّ رَجَعَ، فقال: إن الله يأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أَمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ. فقال: «أَسْأَلُ اللَّهَ مَغْفِرَتَهُ وَمُعَافَاتَهُ» - «أَوْ قَالَ: مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ»^(٤) - إِنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَسَلِيَ اللَّهُ لَهُمُ التَّخْفِيفَ. فَانْطَلَقَ ثُمَّ رَجَعَ. فقال: إن الله يأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أَمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ^(٥) أَحْرَفٍ. فقال: «أَسْأَلُ اللَّهَ مَغْفِرَتَهُ وَمُعَافَاتَهُ» - أَوْ قَالَ^(٥): مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ - إِنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، «سَلِيَ اللَّهُ لَهُمُ التَّخْفِيفَ». فَانْطَلَقَ ثُمَّ رَجَعَ، فقال: إن الله يأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أَمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ^(٦)، فَمَنْ قَرَأَ مِنْهَا بِحَرْفٍ فَهُوَ كَمَا قَرَأَ^(٧).

قال أبو جعفر: صحَّ وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب، البعض منها دون الجميع؛ إذ كان معلوماً أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة، بما يُعْجَزُ عن إحصائه.

فإن قال: وما برهانك على أن معنى قول النبي ﷺ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ». وقوله: «أَمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ». هو ما ادَّعَيْتَهُ - من أنه

(١) فى ت ٢: «حجارة».

(٢) فى ت ١، ت ٢: «عينة».

(٣ - ٣) سقط من: ص، ت ٢.

(٤) فى ص، ت ٢: «سبعة».

(٥) زيادة من: م.

(٦ - ٦) سقط من: ت ١.

(٧) أخرجه ابن عبد البر فى التمهيد ٢٨٧/٨ من طريق أبى معمر به.

نَزَلَ بِسَبْعِ لُغَايَ ، وَأُمِرَ بِقِرَاءَتِهِ عَلَى سَبْعَةِ أَلْسِنٍ - دُونَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ مَا قَالَهُ مَخَالِفُوكَ ، مِنْ أَنَّهُ نَزَلَ بِأَمْرِ ، وَزَجَرٍ ، وَتَرْغِيبٍ ، وَتَرْهِيْبٍ ، وَقَصَصٍ ، وَمَثَلٍ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ ، فَقَدْ عَلِمْتَ قَائِلَ ذَلِكَ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَخِيَارِ الْأُمَّةِ ؟

قِيلَ لَهُ : إِنْ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ لَمْ يَدْعُوا أَنْ تَأْوِيلَ الْأَخْبَارِ الَّتِي تَقَدَّمُ ذِكْرُهَا هُوَ مَا زَعَمْتَ أَنَّهُمْ قَالُوهُ فِي الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ دُونَ غَيْرِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ لِقَوْلِنَا مُخَالِفًا ، وَإِنَّمَا أَخْبَرُوا أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، يَغْنُونُ بِذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَوْجِهٍ . وَالَّذِي قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ [٦/١] كَمَا قَالُوا .

وَقَدْ رَوَيْنَا بِمِثْلِ الَّذِي قَالُوا مِنْ ذَلِكَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، أَخْبَارًا قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا بَعْضُهَا ، وَسَسْتَقْصِي ^(١) ذِكْرَ بَاقِيهَا بَيَانَهُ ، إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَأَمَّا الَّذِي تَقَدَّمَ ^(٢) ذِكْرُهَا مِنْ ذَلِكَ ، فَخَبَرُ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، مِنْ رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ ، عَنْ ابْنِ فَضَيْلٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ مِنْ ^(٣) الْجَنَّةِ » . وَالسَّبْعَةُ الْأَحْرَفُ هُوَ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّهُ الْأَلْسُنُ السَّبْعَةُ . وَالْأَبْوَابُ السَّبْعَةُ مِنَ الْجَنَّةِ هِيَ الْمَعَانِي الَّتِي فِيهَا ؛ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَهْيِ ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ ، وَالْقَصَصِ وَالْمَثَلِ ، الَّتِي إِذَا عَمِلَ بِهَا الْعَامِلُ ، وَانْتَهَى إِلَى حُدُودِهَا الْمُنتَهَى ، اسْتَوْجِبَ بِهِ الْجَنَّةَ . وَلَيْسَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - فِي قَوْلِ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ خِلَافٌ لَشَيْءٍ مِمَّا قُلْنَاهُ .

(١ - ١) فِي ص ، ١ ، ت ٢ : « ذَكَرْنَا فِيهَا » .

(٢) تَقَدَّمَ فِي ص ٣٣ .

(٣) سَقَطَ مِنْ : م .

والدلالة على صحة ما قلناه ، من أن معنى قول النبي ﷺ : « نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » . إنما هو أنه نزل بسبع لغات ، كما تقدّم ذكرنا من الروايات الثابتة عن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وسائر من قد قدّمنا الرواية عنه عن النبي ﷺ في أول هذا الباب ، أنهم تمارّوا في القرآن ، فخالف بعضهم بعضاً في نفس التلاوة ، دون ما في ذلك من المعاني ، وأنهم احتكّموا فيه إلى النبي ﷺ ، فاستقرأ كل رجل منهم ، ثم صوّب جميعهم في قراءتهم على اختلافها ، حتى ارتاب بعضهم لتصويبه إياهم ، فقال ﷺ للذي ارتاب منهم عند تصويبه جميعهم : « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » .

ومعلوم أن تماريهم فيما تمارّوا فيه من ذلك ، لو كان تمارياً واختلافاً فيما دلّت عليه تلاوتهم^(١) ؛ من / التحليل والتحرّيم ، والوعيد والوعيد ، وما أشبه ذلك ، لكان ٢١/١ مستحيلاً أن يُصوّب^(٢) جميعهم ﷺ ، ويأمر^(٣) كل قارئ منهم أن يلزم قراءته في ذلك على النحو الذي هو عليه ؛ لأن ذلك لو جاز أن يكون صحيحاً وجب أن يكون الله جل ثناؤه قد أمر بفعل شيء بعينه ، وفرضه في تلاوة من دلّت تلاوته على فرضه ، ونهى عن فعل ذلك الشيء بعينه وزجر عنه في تلاوة الذي دلّت تلاوته على النهي والزجر عنه ، وأباح وأطلق فعل ذلك الشيء بعينه ، وجعل لمن شاء من عباده أن يفعلَه فَعَلَه ، ولمن شاء منهم أن يتركه تركه ، في تلاوة من دلّت تلاوته على^(٤) التخيير ! وذلك من قائله - إن قاله - إثبات ما قد نفى الله جل ثناؤه عن تنزيهه وحكم

(١) في ت ٢ : « تلاوتهم » .

(٢) في ت ٢ : « تصوب » .

(٣) في ت ٢ : « تأمر » .

(٤) في م ، ت ٢ : « عن » .

كتابه ، فقال تعالى ذكره : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] . وفي نفى الله جل ثناؤه ذلك عن حكم كتابه ، أوضح الدليل على أنه لم يُنزل كتابه على لسان محمد ﷺ إلا بحكم واحد مُتَّفِق في جميع خلقه ، لا بأحكام فيهم مختلفة .

وفي صحة كون ذلك ما يُعْطَلُ دعوى من ادعى خلاف قولنا في تأويل قول النبي ﷺ : « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » . للذين تخاصموا إليه عند اختلافهم في قراءتهم ؛ لأنه ﷺ قد أمر جميعهم بالثبوت على قراءته ، ورضى قراءه كل قارئ منهم - على خلافها قراءة خصومه ومنازعيه فيها - وصوبها .

ولو كان ذلك منه تصويريًا فيما اختلفت فيه المعاني ، وكان قوله ^(١) ﷺ : « أُنْزِلَ عَلَى الْقُرْآنِ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » . إعلاما منه لهم أنه نزل بسبعة أوجه مختلفة ، وسبعة معانٍ مُفْتَرِقَةٍ - كان ذلك إثباتا لما قد نفى الله عن كتابه من الاختلاف ، ونفيا لما قد أوجب له من الائتلاف .

مع أن في قيام الحجة بأن النبي ﷺ لم يَقْضِ في شيء واحد في وقت واحد بحكمين مختلفين ولا أذن بذلك لأمتيه - ما يُغْنِي عن الإكثار في الدلالة على أن ذلك منفي عن كتاب الله .

وفي انتفاء ذلك عن كتاب الله وجوب صحة القول الذي قلناه في معنى قول النبي ﷺ : « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » . عند اختصاص المختصمين إليه فيما اختلفوا فيه من ^(٢) تلاوة ما تلوّه من القرآن ، وفساد تأويل قول من خالف قولنا في ذلك .

(١) بعده في ر : « لهم » .

(٢) في ص ، ت ١ : « في » .

وأخرى^(١) ، أن الذين تَمَارَوْا فيما تَمَارَوْا فيه مِنْ قِرَاءَتِهِمْ^(٢) فَاسْتَكَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، لَمْ يَكُنْ مُنْكَرًا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَأْمُرَ اللَّهُ عِبَادَهُ جَل ثَنَاؤُهُ فِي كِتَابِهِ وَتَنْزِيلِهِ بِمَا شَاءَ ، وَيَنْهَى عَمَّا شَاءَ ، وَيَعِدُ فِيمَا أَحَبَّ مِنْ طَاعَاتِهِ ، وَيُوعِدُ عَلَى مَعَاصِيهِ ، وَيَخْتِمُ^(٣) لِنَبِيِّهِ وَيَعْظُمُ^(٤) فِيهِ ، وَيَضْرِبُ فِيهِ لِعِبَادِهِ الْأَمْثَالَ ، فَيُخَاصِمُ غَيْرَهُ عَلَى إِنْكَارِهِ سَمَاعَ ذَلِكَ مِنْ قَارِئِهِ ؛ بَلْ عَلَى الْإِقْرَارِ بِذَلِكَ كُلِّهِ كَانَ إِسْلَامٌ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ . فَمَا الْوَجْهَ الَّذِي أَوْجَبَ لَهُ إِنْكَارَ مَا أَنْكَرَ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ ذَلِكَ اخْتِلَافًا مِنْهُمْ فِي الْأَلْفَاظِ وَاللُّغَاتِ ؟

وبعدُ ، فقد أَبَانَ صَحَّةَ مَا قُلْنَا الْخَبِيرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَصًّا ، وَذَلِكَ الْخَبِيرُ الَّذِي ذَكَرْنَا^(٥) : / أَنْ أَبَا كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ، قَالَ : حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ ، ٢٢/١ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ جَبْرِيلُ : اقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ . قَالَ مِيكَائِيلُ : اسْتَرِذْهُ . فَقَالَ : عَلَى حَرْفَيْنِ . حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ ، فَقَالَ : كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ ، مَا لَمْ يَخْتِمِ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ ، كَقَوْلِكَ : هَلُمَّ وَتَعَالَ » .

فقد أَوْضَحَ نَصُّ هَذَا الْخَبِيرِ أَنَّ اخْتِلَافَ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ إِنَّمَا هُوَ اخْتِلَافُ الْأَلْفَاظِ ، كَقَوْلِكَ : هَلُمَّ وَتَعَالَ . بِاتِّفَاقِ الْمَعَانِي ، لَا بِاخْتِلَافِ مَعَانٍ مُوجِبَةٍ لاختلاف أحكام ، وبمثل الذي قلنا في ذلك صَحَّتْ^(٦) الْأَخْبَارُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « أخرى » .

(٢) في ص : « قراءاتهم » .

(٣) في ر ، م : « يختج » .

(٤) في ر ، ت ، ١ : « يعظم » ، وفي ت ٢ : « بعضا » .

(٥) تقدم في ص ٣٨ .

(٦) بعده في ص ، ت ، ١ : « به » .

السلف والخلف .

حدَّثني أبو السائب [٦/١ ظ] سَلَمُ^(١) بنُ جُنَادَةَ الشَّوَّائِي ، قال : حدَّثنا أبو معاوية ، وحدَّثنا محمدُ بنُ المُنْثَى ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي عَدِيٍّ ، عن شعبة ، جميعاً عن الأعمش ، عن شَقِيقٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ : إني قد سَمِعْتُ القَرَاءَةَ^(٢) فوجدتهم مُتَقَارِبِينَ ، فاقْرَءُوا كما عَلَّمْتُمْ ، وإياكم والتَّنَطُّعُ ، فإنما هو كقولِ أحدِكم : هَلُمَّ وتعال^(٣) .

وحدَّثنا محمدُ بنُ المُنْثَى ، قال : حدَّثنا أبو داودَ ، قال : حدَّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عَمَّنْ سَمِعَ ابنَ مسعودٍ يقولُ : مَنْ قرأَ منكم على حرفٍ فلا يَتَحَوَّلَنَّ ، ولو أَعْلَمَ أحداً أَعْلَمَ مني بكتابِ اللَّهِ لَأَتَيْتُهُ^(٤) .

وحدَّثنا ابنُ المُنْثَى ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ ، قال : حدَّثنا شعبة ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عابِسٍ ، عن رجلٍ من أصحابِ عبدِ اللَّهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : مَنْ قرأَ القرآنَ^(٥) على حرفٍ فلا يَتَحَوَّلَنَّ منه إلى غيره^(٦) .

فمعلومٌ أن عبدَ اللَّهِ لم يَقْنِ بقوله هذا : مَنْ قرأَ ما في القرآنِ مِنَ الأمرِ والنهي فلا يَتَحَوَّلَنَّ منه إلى قراءةٍ ما فيه مِنَ الوعدِ والوعيدِ ، وَمَنْ قرأَ ما فيه مِنَ الوعدِ والوعيدِ

(١) في ر ، م ، ت ١ : « سالم » . وينظر تهذيب الكمال ٢١٨/١١ .

(٢) في ص : « إلى القراءة » ، وفي ر : « إلى القراءة » ، وفي م : « القراء » .

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٠٧ ، ٢١٧ ، وابن أبي شبة ٤٨٨/١٠ عن أبي معاوية به . وأخرجه البيهقي ٣٨٥/٢ من طريق شعبة به . وسيأتي في سورة يوسف ، الآية ٢٣ من وجه آخر عن الأعمش .

(٤) روى من طرق عن ابن مسعود ، وسيأتي تخريجه في ص ٧٥ .

(٥) زيادة من : م ، ت ٢ .

(٦) أخرجه أحمد وغيره من طريق شعبة به . وهو جزء من أثر مطول تقدم في ص ٢٦ .

فلا يَتَحَوَّلَنَّ منه إلى قراءة ما فيه من القَصَصِ والمَثَلِ . وإنما عَنَى رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ مَنْ قَرَأَ بِحَرْفِهِ - وحرْفُهُ قِراءَتُهُ ، وكذلك تقولُ العربُ لقراءة رجلٍ : حَرْفُ فلانٍ . وتقولُ للحرفِ مِنْ حُرُوفِ الهِجَاءِ الْمُقْطَعَةِ : حَرْفٌ . كما تقولُ لقصيدَةٍ مِنْ قِصَائِدِ الشَّاعِرِ : كَلِمَةُ فلانٍ - فلا يَتَحَوَّلَنَّ عنه إلى غيرِهِ رَغْبَةً عنه . وَمَنْ قَرَأَ بِحَرْفِ أُبَيٍّ ، أو بِحَرْفِ زَيْدٍ ، أو بِحَرْفِ بَعْضِ مَنْ قَرَأَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَبْعُضُ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ - فلا يَتَحَوَّلَنَّ عنه إلى غيرِهِ رَغْبَةً عنه ، فَإِنَّ الْكُفْرَ بِبَعْضِهِ كُفْرٌ بِجَمِيعِهِ ، وَالْكَفْرُ بِحَرْفٍ مِنْ ذَلِكَ كُفْرٌ بِجَمِيعِهِ . يَعْنَى بِالْحَرْفِ مَا وَصَفْنَا مِنْ قِراءَةٍ بَعْضِ مَنْ قَرَأَ يَبْعُضُ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ .

وقَدْ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ دَاوُدَ الْوَاسِطِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، قَالَ : قَرَأَ أَنَسُ هَذِهِ الْآيَةَ : (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَصْوَبُ قِيلًا) . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ : يَا أَبَا حَمْزَةَ ، إِنَّمَا هِيَ ﴿ وَأَقْوَمُ ﴾ . فَقَالَ : « أَقَوْمٌ » وَ « أَصَوْبٌ » وَ « أَهْيَأُ » ^(١) وَاحِدٌ .

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ الرَّازِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَكَّامٌ ، عَنْ عَنَبَسَةَ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى خَمْسَةِ أَحْرَفٍ .

/وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَكَّامٌ ، عَنْ عَنَبَسَةَ ، عَنْ سَالِمٍ ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ ٢٣/١ جُبَيْرٍ كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مُغِيرَةَ ، قَالَ : كَانَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ .

(١) فِي م : « أَهْدَى » ، وَفِي ت ٢ : « أَهْنَى » .

أَفْتَرَى الزَّاعِمَ أَنْ تَأْوِيلَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « أَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » . إِنَّمَا هُوَ أَنَّهُ نَزَلَ ^(١) عَلَى الْأَوْجِهِ السَّبْعَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا ؛ مِنَ الْأَمْرِ ، وَالنَّهْيِ ، وَالْوَعْدِ ، وَالْوَعِيدِ ، وَالْجَدَلِ ، وَالْقَصَصِ ، وَالْمَثَلِ - كَانَ يَرَى أَنْ مُجَاهِدًا وَسَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ لَمْ يَقْرَأَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ وَجْهِهِ أَوْ وَجْهِهِ الْخَمْسَةِ دُونَ سَائِرِ مَعَانِيهِ ؟ لَمَنْ كَانَ ظَنُّ ذَلِكَ بِهِمَا لَقَدْ ظَنَّ بِهِمَا غَيْرَ الَّذِي يُعْرِفَانِ بِهِ مِنْ مَنَازِلِهِمَا مِنَ الْقُرْآنِ ، وَمَعْرِفَتُهُمَا بِآيِ الْقُرْآنِ .

وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَيُّوبُ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : نُبِّئْتُ أَنَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ أَتَيَا النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ جَبْرَائِيلُ : اقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ . فَقَالَ لَهُ مِيكَائِيلُ : اسْتَرِذْهُ . فَقَالَ : اقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ . فَقَالَ لَهُ مِيكَائِيلُ : اسْتَرِذْهُ . قَالَ : حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ . قَالَ مُحَمَّدٌ : لَا تَخْتَلِفُ فِي حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ ، وَلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ ، هُوَ كَقَوْلِكَ : تَعَالَ وَهَلُمَّ وَأَقْبِلْ . قَالَ : وَفِي قِرَاءَتِنَا ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً ﴾ [يس : ٢٩] . وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ : (إِنْ كَانَتْ إِلَّا زُقْيَةً وَاحِدَةً) ^(٢) .

وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ - يَعْنِي ابْنَ الْحَبَابِ - قَالَ : كَانَ أَبُو الْعَالِيَةِ إِذَا قَرَأَ عَنْدهُ رَجُلٌ لَمْ يَقُلْ : لَيْسَ كَمَا تَقْرَأُ . وَإِنَّمَا يَقُولُ : أَمَا أَنَا فَأَقْرَأُ كَذَا وَكَذَا . قَالَ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ ، فَقَالَ : أَرَى

(١) فِي ص ، ت ١ : « أَنْزَلَ » .

(٢) أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سَنَنِهِ (٥٥ - تَفْسِيرٍ) مِنْ طَرِيقِ أَيُّوبَ وَهْشَامٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ إِلَى قَوْلِهِ : حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ . وَأَخْرَجَ بَاقِيَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ عَنْ ابْنِ عَلَيْهِ بِهِ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٢٦٢/٥ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ .

صاحبك قد سمع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله^(١).

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : حدثنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب أن الذي ذكر الله تعالى ذكره ﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُ بَسْرٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] . إنما افتتن أنه كان يكتئب الوحي ، فكان يئلى^(٢) عليه رسول الله ﷺ : سميع عليهم ، أو عزيز حكيم ، أو غير ذلك من خواتم الآي ، ثم يشتغل عنه رسول الله ﷺ وهو على الوحي ، فيستفهم رسول الله ﷺ فيقول : أعزى حكيم ، أو سميع عليهم ، أو عزيز عليهم ؟ فيقول له رسول الله ﷺ : « أئ ذلك كتبت فهو كذلك » . ففتنه ذلك ، فقال : إن محمداً وكل ذلك إلى فأكتئب ما شئت . وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : من كفر بحرف من القرآن أو بآية منه فقد كفر به كله^(٣).

/قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فإذا^(٤) كان تأويل قول النبي ﷺ : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » . عندك ما وصفت ، بما عليه استشهدت ، فأوجدنا حرفاً في كتاب الله مقرأً بسبع لغات ، فتحقق بذلك قولك ، وإلا ، فإن لم تجد ذلك كذلك ، كان معلوماً بعدمك صحة قول من زعم أن تأويل ذلك أنه نزل بسبعة معان ؛ وهو الأمر ، والنهي ، والوعد ، والوعيد ، والجدل ، والقصاص ، والمثل ، وفساد قولك . أو تقول في ذلك : إن الأحرف السبعة لغات في القرآن سبع ، متفرقة

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٧٤/١٨ من طريق ابن عليه به .

وأخرجه ابن أبي شيبة ٥١٣/١٠ من طريق شعيب به . وينظر ما تقدم في ص ٢٧ .

(٢) في ص ، ت ، ١ : « يئلى » . وهما بمعنى .

(٣) تقدم في ص ٢٦ ، ٢٧ ضمن أثر طويل من طريق آخر عن ابن مسعود .

(٤) تفسير الطبري ٤/١

(٤) في ص : « فإن » ، وفي م : « فإذا » .

فى جميعه ، من لغاتِ أحياءٍ من قبائلِ العربِ مُختلفةِ الألسنِ ، كما كان يقولُه بعضُ من لم يُنعم^(١) النظرُ فى ذلك ، فيصيرُ بذلك إلى القولِ بما لا يجهلُ فسادهُ ذو عقلٍ ، ولا يلتبسُ خطؤه على ذى لبٍّ ؛ وذلك أن الأخبارَ التى بها اختلفتْ لتصحيحِ مقالتيك فى تأويلِ قولِ النبىِّ ﷺ : « نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » . وهى الأخبارُ التى رويتها^(٢) عن عمرَ بنِ الخطابِ ، وعبدِ الله بنِ مسعودٍ ، وأبى بنِ كعبٍ ، رحمةُ الله عليهم ، وعمن رويت ذلك عنه من أصحابِ رسولِ الله ﷺ ، بأنهم تمارَوْا فى تلاوةِ بعضِ القرآنِ ، فاختلَفوا فى قراءته دونَ تأويله ، وأنكرَ بعضُ قراءه بعضُ ، مع دَعْوَى كُلِّ قارئٍ منهم قراءةً منها أن رسولَ الله [٧/١ و] ﷺ أَقْرَأَهُ ما قرأ بالصفةِ التى قرأ ، ثم اختلفوا^(٣) إلى رسولِ الله ﷺ ، فكان من حكمِ رسولِ الله ﷺ بينهم أن صَوَّبَ قراءةَ كُلِّ قارئٍ منهم ، على خلافِها قراءةَ أصحابِه الذين نازعوه فيها ، وأمرَ كُلَّ امرئٍ منهم أن يَقْرَأَ كما عُلِّمَ ، حتى خالطَ قلبَ بعضهم الشكُّ فى الإسلامِ ؛ لما رأى من تصويبِ رسولِ الله ﷺ قراءةَ كُلِّ قارئٍ منهم على اختلافِها ، ثم جلَّاه الله عنه ببيانِ رسولِ الله ﷺ له أن القرآنَ أنزلَ على سبعةِ أحرفٍ .

فإن كانتِ الأحرفُ السبعةُ التى نزلَ بها القرآنُ عندك - كما قال هذا القائلُ - مُتَّفَرِّقَةٌ فى القرآنِ ، مُثَبَّتَةٌ اليومَ فى مصاحفِ أهلِ الإسلامِ ، فقد بطلتْ معانى الأخبارِ التى رويتها عمن رويت^(٤) عنه من أصحابِ رسولِ الله ﷺ أنهم اختلفوا فى قراءةِ سورةٍ من القرآنِ ، فاختصموا إلى رسولِ الله ﷺ ، فأمرَ كلًّا أن يَقْرَأَ كما عُلِّمَ ؛ لأن

(١) فى م : « يعنى » ، وفى ت ٢ : « يعنى » .

(٢) فى ت ٢ : « رويتها » .

(٣) فى ص ، ت ١ : « اختلفوا » .

(٤) فى م ، ت ١ : « رويتها » .

الأحرف السبعة إذا كانت لغات متفرقة في جميع القرآن ، فغير موجب حرف من ذلك اختلافاً بين تاليه ؛ لأن كل تالي فإنما يتلو ذلك الحرف تلاوة واحدة ، على ما هو به في المصحف ، وعلى ما أنزل .

ولما كان ذلك كذلك ، بطل وجه اختلاف الذين روى عنهم ^(١) أنهم اختلفوا في قراءة سورة ، وفسد معنى أمر النبي ﷺ كل قارئ منهم أن يقرأه على ما علم ؛ إذ كان لا معنى هنالك يوجب اختلافاً في لفظ ، ولا افتراقاً في معنى ، وكيف يجوز أن يكون هنالك اختلاف بين القوم ، والمعلم واحد ، والعلم واحد غير ذي أوجه ؟ وفي صحة الخبر عن الذين روى عنهم الاختلاف في حروف القرآن على عهد رسول الله ﷺ بأنهم اختلفوا وتحاكموا إلى رسول الله ﷺ في ذلك ، على ما تقدم وصفناه - أي الدلالة على فساد القول بأن الأحرف السبعة إنما هي / أحرف سبعة ٢٥/١ متفرقة في سور القرآن ، لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني .

مع أن المتدبر إذا تدبر قول هذا القائل ، في تأويله قول النبي ﷺ : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » . وادعائه أن معنى ذلك أنها سبع لغات متفرقة في جميع القرآن ، ثم جمع بين قيله ذلك واعتلاله لقيله ذلك بالأخبار التي رويت عن روى ذلك عنه من الصحابة والتابعين أنه قال : هو بمنزلة قولك : تعال وهلم وأقبل . وأن بعضهم قال : هو بمنزلة قراءة عبد الله : (إلا زقية) . وهي في قراءتنا : ﴿إِلَّا صِيحَةً﴾ . وما أشبه ذلك من حججه - علم أن حججه مفسدة في ذلك مقالته ، وأن مقالته فيه مضادة لحججه ؛ لأن الذي نزل به القرآن عنده إحدى القراءتين : إما ﴿صِيحَةً﴾ ^(٢) ، وإما (زقية) ، وإما « تعال » ، أو « أقبل » ، أو « هلم » ، لا جميع

(١) في م : منهم .

(٢) في م : صحيحة .

ذلك ؛ لأن كل لغة من اللغات السبع عنده في كلمة أو حرف من القرآن ، غير الكلمة أو الحرف الذى فيه اللغة الأخرى .

وإذ كان ذلك كذلك ، بطل اعتلاؤه لقوله بقول من قال : ذلك بمنزلة « هلم » ، و « تعال » ، و « أقبل » ؛ لأن هذه الكلمات هي ألفاظ مختلفة يجمعها فى التأويل معنى واحد . وقد أبطل قائل هذا القول الذى حكينا قوله اجتماع اللغات السبع فى حرف واحد من القرآن ، فقد تبين بذلك إفساده ^(١) حجته لقوله بقوله ، وإفساده ^(٢) قوله بحجته .

ف قيل له : ليس القول فى ذلك بواحد من الوجهين اللذين وصفت ، بل الأحرف السبعة التى أنزل الله بها القرآن هن لغات سبع ، فى حرف واحد وكلمة واحدة ، باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى ، كقول القائل : « هلم » ، و « تعال » و « أقبل » ، و « إلی » ، و « قصدى » ، و « نحوى » ، و « قزى » ، ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق ، وتتفق فيه المعانى ، وإن اختلفت بالبيان به الألسن ، كالذى رويناه أنفاً عن رسول الله ﷺ ، وعمن رويناه ذلك عنه من الصحابة ، أن ذلك بمنزلة قوله ^(٣) : « هلم » ، و « تعال » ، و « أقبل » . وقوله : ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً ﴾ ، و (إلا زقية) .

فإن قال : فى أى كتاب الله نجد حرفاً واحداً مقروءاً بلغات سبع مختلفات الألفاظ متفقات المعنى ، فئسلم لك صحة ما ادعيت من التأويل فى ذلك ؟

قيل : إنا لم ندع أن ذلك موجود اليوم ، وإنما أخبرنا أن معنى قول النبى ﷺ : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » . على نحو ما جاءت به الأخبار التى تقدم

(١) فى ص ، ت ١ : « إفساد » .

(٢) فى م : « قولك » ، وفى ت ١ : « قولهم » .

ذُكِرَناها ، وهو ما وصَفْنَا ، دون ما ادَّعاه مُخَالِفُونَا فِي ذَلِكَ ، لِلْعَلَلِ الَّتِي قَدْ يَبَيَّنَّا .
فَإِنْ قَالَ ^(١) : فَمَا بِالْأَحْرَفِ الْآخِرِ السَّتَةِ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ ، إِنْ كَانَ الْأَمْرُ فِي
ذَلِكَ عَلَى مَا وَصَفْتِ ، وَقَدْ أَقْرَأَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ ، وَأَمَرَ بِالْقِرَاءَةِ بِهِنَ ،
وَأَنْزَلَهُنَّ اللَّهُ مِنْ عِنْدِهِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ ، أَنْسَخَتْ فُرِفَعَتْ ، فَمَا الدَّلَالَةُ عَلَى نَسْخِهَا
وَرَفْعِهَا ؟ أَمْ نَسِيَتْهُنَّ الْأُمَّةُ ؟ فَذَلِكَ تَضْيِيعُ مَا قَدْ أَمُرُوا بِحِفْظِهِ ، أَمْ مَا الْقِصَّةُ فِي
ذَلِكَ ؟

قِيلَ لَهُ : لَمْ تُنَسَخْ فُتْرَفَعْ ، وَلَا ضَيِّعَتْهُنَّ الْأُمَّةُ وَهِيَ مَأْمُورَةٌ بِحِفْظِهَا ، وَلَكِنَّ الْأُمَّةَ
أُمِرَتْ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ ، وَخُيِّرَتْ فِي قِرَائَتِهِ وَحِفْظِهِ بِأَيِّ تِلْكَ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ شَاءَتْ ،
كَمَا أُمِرَتْ إِذَا هِيَ حَتَّتْ فِي يَمِينٍ وَهِيَ مُوسِرَةٌ ، أَنْ تُكْفَرَ بِأَيِّ الْكُفَّارَاتِ الثَّلَاثِ
شَاءَتْ ؛ إِمَّا بَعْتِي ، أَوْ إِطْعَامٍ ، أَوْ كِسْوَةٍ ، فَلَوْ أَجْمَعَ جَمِيعُهَا عَلَى /التَّكْفِيرِ فِيهَا^(٢) ٢٦/١
بِوَاحِدَةٍ مِنَ الْكُفَّارَاتِ الثَّلَاثِ ، دُونَ حَظَرِهَا التَّكْفِيرِ فِيهَا^(٣) بِأَيِّ الثَّلَاثِ شَاءَ الْمُكْفَرُ ،
كَانَتْ مُصِيبَةً حُكْمَ اللَّهِ ، مُؤَدِّيَةً فِي ذَلِكَ الْوَاجِبَ عَلَيْهَا مِنْ حَقِّ اللَّهِ . فَكَذَلِكَ
الْأُمَّةُ أُمِرَتْ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ وَقِرَائَتِهِ ، وَخُيِّرَتْ فِي قِرَائَتِهِ بِأَيِّ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ
شَاءَتْ ، فَرَأَتْ لَعْلَةً مِنَ الْعَلَلِ أَوْجَبَتْ عَلَيْهَا الثَّبَاتَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ قِرَائَتَهُ
بِحَرْفٍ وَاحِدٍ ، [٧/١ ظ] وَرَفُضَ الْقِرَاءَةَ بِالْأَحْرَفِ السَّتَةِ الْبَاقِيَةِ ، وَلَمْ تَحْظَرْ قِرَائَتَهُ
بِجَمِيعِ حُرُوفِهِ عَلَى قَارِئِهِ ، بَمَا أُذِنَ لَهُ فِي قِرَائَتِهِ بِهِ .

فَإِنْ قَالَ : وَمَا الْعِلَّةُ الَّتِي أَوْجَبَتْ عَلَيْهَا الثَّبَاتَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ دُونَ سَائِرِ
الْأَحْرَفِ السَّتَةِ الْبَاقِيَةِ ؟

(١) بعده في ر : « قائل » .

(٢) زيادة من : ر .

(٣) سقط من : ص ، وفي ت ١ : « بها » .

قيل : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّبِيِّ ، قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَزْدِيُّ ، عن عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ ، عن ابْنِ شِهَابٍ ، عن خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عن أَبِيهِ زَيْدٍ ، قال : لما قُتِلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْيَمَامَةِ ، دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، فقال : إن أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْيَمَامَةِ تَهَاوَتْ تَهَاوَتْ الْفَرَّاشِ فِي النَّارِ ، وَإِنِّي أَخْشَى أَلَّا يَشْهَدُوا مَوْطِنًا إِلَّا فَعَلُوا ذَلِكَ حَتَّى يُقْتَلُوا - وَهُمْ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ - فَيُضَيِّعُ الْقُرْآنُ وَيُنْسَى ، فَلَوْ جَمَعْتَهُ وَكَتَبْتَهُ . فنَفَرَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ ، وقال : أَفَعَلُ مَا لَمْ يَفْعَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ! فترَاجَعَا فِي ذَلِكَ ، ثم أَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قال زَيْدٌ : فدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، وَعُمَرُ مُحْزَنٌ^(١) ، فقال أَبُو بَكْرٍ : إن هَذَا قَدْ دَعَانِي إِلَى أَمْرٍ فَأَبِيتُ عَلَيْهِ ، وَأَنْتَ كَاتِبُ الْوَحْيِ ، فَإِنْ تَكُنْ مَعَهُ اتَّبَعْتُكَمَا ، وَإِنْ تُوَافِقُنِي لَا أَفْعَلُ . قال : فاقْتَصَّ أَبُو بَكْرٍ قَوْلَ عُمَرَ ، وَعُمَرُ سَاكِتٌ ، فَنَفَرْتُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقُلْتُ : نَفْعَلُ مَا لَمْ يَفْعَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ إِلَى أَنْ قَالَ عُمَرُ كَلِمَةً : وما عليكما لو فَعَلْتُمَا ذَلِكَ ؟ قال : فَذَهَبْنَا نَنْظُرُ ، فَقُلْنَا : لَا شَيْءَ ، وَاللَّهِ مَا عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ شَيْءٌ . قال زَيْدٌ : فَأَمَرَنِي أَبُو بَكْرٍ فَكَتَبْتُهِ فِي قِطْعِ الْأُذْمِ وَكَسَرِ الْأَكْتافِ وَالْعُسْبِ^(٢) ، فلما هَلَكَ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ عُمَرُ ، كَتَبَ ذَلِكَ فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ ، فلما هَلَكَ كَانَتْ الصَّحِيفَةُ عِنْدَ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، ثم إن حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ مِنْ غَزْوَةٍ كَانَ غَزَاهَا فِي فَرَجِ^(٣) إِرْمِينِيَّةَ ، فلم يَدْخُلْ بَيْتَهُ حَتَّى أَتَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،

(١) محزول : أى منضم بعضه إلى بعض ، وقيل : مستوفر . النهاية ١ / ٣٧٩ .

(٢) الأُذْمُ ، جمع أُذِمَ : وهو الجلد المدبوغ . والأَكْتافُ ، جمع كَتَفَ : وهو عظم عريض خلف المنكب . والعُسْبُ ، جمع عُسْبٍ : وهو جريدة النخل المستقيمة يكشف خوصها .

(٣) فى ص : « مرج » ، والفرج : الثغر المخوف .

وإرمينية جمهورية صغيرة من جمهوريات ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي ، وتقع على حدود تركيا وإيران . ينظر : البلدان الإسلامية والأقليات الإسلامية فى العالم المعاصر ص ٥٧٧ .

أَذْرِكِ النَّاسَ . فقال عثمانُ ، وما ذاك ؟ قال : غَزَوْتُ فِرْجَ إِزْمِينِيَّةَ ، فحَضَرَهَا أَهْلُ
العِرَاقِ وَأَهْلُ الشَّامِ ، فَإِذَا أَهْلُ الشَّامِ يَقْرَءُونَ بِقِرَاءَةِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، فَيَأْتُونَ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ
أَهْلُ الْعِرَاقِ ، فَيُكَفِّرُهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَإِذَا أَهْلُ الْعِرَاقِ يَقْرَءُونَ بِقِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ ،
فَيَأْتُونَ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ أَهْلُ الشَّامِ ، فَيُكَفِّرُهُمْ أَهْلُ الشَّامِ . قال زيدٌ : فَأَمَرَنِي عِثْمَانُ بْنُ
عِفَّانٍ ^(١) أَكْتُبُ لَهُ مَصْحَفًا . وقال : إِنِّي مُدْخِلٌ مَعَكَ رَجُلًا لَيْبِيًّا فَصِيحًا ، فَمَا
اجْتَمَعْتُمَا عَلَيْهِ فَأَكْتُبَاهُ ، وَمَا اخْتَلَفْتُمَا فِيهِ فَارْفَعَاهُ إِلَيَّ . فجعل ^(٢) أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ بِنِ
العَاصِ . قال : فَلَمَّا بَلَغَا : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ [البقرة :
٢٤٨] . قال زيدٌ : فَقُلْتُ : (التابوه) . وقال أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ : ﴿ التَّابُوتُ ﴾ . فَرَفَعْنَا
ذَلِكَ إِلَى عِثْمَانَ فَكَتَبَ : ﴿ التَّابُوتُ ﴾ . قال : فَلَمَّا فَرَعْتُ عَرْضَهُ ^(٣) مَعَهُ عَرْضَةً ،
فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ ^(٤) هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ مَنِ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا / مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ . إِلَى
قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] . قال : فَاسْتَعْرَضْتُ الْمُهَاجِرِينَ أَسْأَلُهُمْ
عَنْهَا ، فَلَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، ثُمَّ اسْتَعْرَضْتُ الْأَنْصَارَ أَسْأَلُهُمْ عَنْهَا ، فَلَمْ أَجِدْهَا
عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، حَتَّى وَجَدْتُهَا عِنْدَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ ، فَكَتَبْتُهَا ، ثُمَّ عَرَضْتُهَا عَرْضَةً
أُخْرَى ، فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ . [التوبة : ١٢٨ ، ١٢٩]
فَاسْتَعْرَضْتُ الْمُهَاجِرِينَ ، فَلَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، ^(٥) ثُمَّ اسْتَعْرَضْتُ الْأَنْصَارَ
أَسْأَلُهُمْ عَنْهَا ، فَلَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ^(٥) ، حَتَّى وَجَدْتُهَا مَعَ رَجُلٍ آخَرٍ يُدْعَى خُزَيْمَةَ
أَيْضًا ، فَأَثْبَتْتُهَا فِي آخِرِ « بَرَاءة » ، وَلَوْ تَمَّتْ ثَلَاثُ آيَاتٍ لَجَعَلْتُهَا سُورَةً عَلَى حِدَةٍ ، ثُمَّ

(١) بعده في ت ١ : « أن » .

(٢) زيادة من : م .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ : « عرضت » .

(٤) بعده في ر : « إلا » .

(٥ - ٥) سقط من : ر .

عَرَضَتْهُ عَرَضَةً أُخْرَى فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ شَيْئًا ، ثُمَّ أَرْسَلَ عَثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ يَسْأَلُهَا أَنْ تُعْطِيَهُ الصَّحِيفَةَ ، وَحَلَفَ لَهَا لَيَرُدُّنَهَا إِلَيْهَا ، فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهَا ، فَعَرَضَ الْمَصْحَفَ عَلَيْهَا ، فَلَمْ يَخْتَلِفَا فِي شَيْءٍ ، فَرَدَّهَا إِلَيْهَا ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَكْتُبُوا مَصَاحِفَ ، فَلَمَّا مَاتَ حَفْصَةُ أَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ فِي الصَّحِيفَةِ بَعْزَمِيَّةً ، فَأَعْطَاهُم إِيَّاهَا ، فَعُيِّلَتْ عَشَلًا^(١) .

وَحَدَّثَنِي^(٢) بِهِ أَيْضًا^(٣) يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، بِنَحْوِهِ سَوَاءً^(٤) .

وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَيُّوبُ ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ فِي خِلَافَةِ عَثْمَانَ ، جَعَلَ الْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ ، وَالْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ ، فَجَعَلَ الْغُلَمَاءُ يَلْتَقُونَ فَيَخْتَلِفُونَ ، حَتَّى ارْتَفَعَ ذَلِكَ إِلَى الْمُعَلِّمِينَ ، قَالَ أَيُّوبُ : فَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ : حَتَّى كَفَرَ بَعْضُهُمْ بِقِرَاءَةِ بَعْضٍ . فَبَلَغَ ذَلِكَ عَثْمَانَ ،

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤٨٤٤) ، والخطيب في المدرج ٣٩٧/١ من طريق الدراوردي به .

وأخرجه البخاري (٤٩٨٦ - ٤٩٨٨) من طريق ابن شهاب ، عن عبيد بن السباق ، عن زيد بقتضه مع أبي بكر وعمر ، وعن أنس بقصة حذيفة مع عثمان ، وعن خارجة بن زيد بقصة فقد الآية من سورة الأحزاب .

وقال الحافظ : هذا هو الصحيح عن الزهري وأغرب عمارة بن غزية فرواه عن الزهري فقال : عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه . وساق القصص الثلاث بطولها ؛ قصة زيد مع أبي بكر وعمر ، ثم قصة حذيفة مع عثمان أيضا ، ثم قصة فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب ، أخرجه الطبري ، وبين الخطيب في المدرج أن ذلك وهم منه وأنه أدرج بعض الأسانيد على بعض . ينظر المدرج ٣٩٩/١ ، ٤٠٠ ، والفتح ١١/٩ ، ١٢ ، ومسند الطيالسي (٦٠٩) .

(٢ - ٢) في ص : « أيضا » ، وفي م : « به » .

(٣) أخرجه الطحاوي في المشكل (٣١١٨) عن يونس به .

فقام خطيباً ، فقال : أنتم عندى تَخْتَلِفُونَ فيه وتَلْحَنُونَ ، فَمَنْ نَأَى ^(١) عَنِ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَشَدُّ فِيهِ اخْتِلَافًا ، وَأَشَدُّ لَحْنًا ، اجْتَمِعُوا ^(٢) يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ، فَانْكُتُبُوا لِلنَّاسِ إِمَامًا . قَالَ أَبُو قِلَابَةَ : فَحَدَّثَنِي ^(٣) مَالِكُ أَبُو أَنَسٍ ^(٤) ، قَالَ : كُنْتُ فِي مَنْ يُعْمَلَى عَلَيْهِمْ ، قَالَ : فَرَبَّمَا اخْتَلَفُوا فِي الْآيَةِ ، فَيَذْكُرُونَ الرَّجُلَ قَدْ تَلَقَّاهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ غَائِبًا ، أَوْ فِي بَعْضِ الْبَوَادِي ، فَيَكْتُبُونَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا ، وَيَدْعُونَ مَوْضِعَهَا حَتَّى يَجِيءَ أَوْ يُرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْمَصْحَفِ ، كَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ : إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ كَذَا وَكَذَا ، وَمَحَوْتُ مَا عِنْدِي ، فَاْمُحُوا مَا عِنْدَكُمْ ^(٥) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ شَهَابٍ : أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ ، أَنَّهُ اجْتَمَعَ لَغَزْوَةِ أَذْرَبِيجَانَ وَلِزْمِينَةَ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَتَذَاكُرُوا الْقُرْآنَ ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ حَتَّى كَادَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ فِتْنَةٌ ، فَرَكِبَ حَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ لِمَا رَأَى اخْتِلَافَهُمْ فِي الْقُرْآنِ إِلَى عُثْمَانَ ، فَقَالَ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ ^(٦) ، حَتَّى إِنِّي وَاللَّهِ لَأَخْشَى أَنْ يُصِيبَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنَ الْاِخْتِلَافِ . قَالَ : فَفَزِعَ لِذَلِكَ فَرَعَا شَدِيدًا ، فَأَرْسَلَ إِلَى حَفْصَةَ ،

(١) فِي ر : « غَاب » .

(٢) (٢ - ٢) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ : « بِأَصْحَاب » .

(٣ - ٣) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ » . وَفِي الْمَصَاحِفِ لِابْنِ أَبِي دَاوُدَ - وَعَنْهُ الْكَتَر (٤٧٧٦) - : « مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ - قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي دَاوُدَ : هَذَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ جَدُّ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ » .

وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا فِي « ر » . وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الْأَصْبَحِيُّ - وَهَكَذَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ ١٩/٩ عَنْ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ - كَانَ مِنْ قُرَأَى فِي زَمَانِ عُثْمَانَ ، وَكَانَ يَكْتُبُهُ الْمَصَاحِفُ . يَنْظُرُ الْمَصَاحِفُ ص ٢٦ ، وَجُمُهَا أَنْسَابُ الْعَرَبِ ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ وَتَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٢٧/١٤٨ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي الْمَصَاحِفِ ص ٢١ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَلِيٍّ بِهِ . وَعَزَاهُ الْمُتَقِيُّ الْهِنْدِيُّ فِي الْكَتَر (٤٧٧٦) إِلَى ابْنِ الْأَثَبَارِيِّ . وَيَنْظُرُ الْمُتَفَقُّ وَالْمُفْتَرِّقُ لِلْخَطِيبِ ١/١٢٩ ، ١٣٠ .

(٥) فِي ت ٢ : « الْقِرَاءَةُ » .

فاستخرج الصحف^(١) التي كان أبو بكرٍ أمرَ زيدًا بجمعها ، فنسخ منها مصاحفَ ، فبعث بها إلى الآفاق^(٢) .

٢٨/١ /حدثني سعيد بن الربيع ، قال : حدثنا سفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن الزهري ، قال : قُبِضَ النبي ﷺ ولم يَكُنِ القرآنُ جُمِعَ ، وإنما كان في الكُرَانيِّفِ^(٣) والعُسْبِ^(٤) والشَّعْفِ^(٥) .

حدثنا سعيد بن الربيع ، قال : حدثنا سفيان ، عن مُجَالِيدٍ ، عن الشعبي ، عن صَعَصَعَةَ ، أن أبا بكرٍ أولُ من ورَّث الكَلالةَ ، وجمع المصحفَ^(٦) .

وما أشبه ذلك [٨/١] من الأخبار التي يطول باستيعاب جميعها الكتاب ، والآثار الدالة على أن إمامَ المسلمين وأميرَ المؤمنين عثمان بن عفانَ رحمةُ الله عليه ، جمعَ المسلمين ؛ نظرًا منه لهم ، وإشفاقًا منه عليهم ، ورأفةً منه بهم ، حَذَارَ الرُّدَّةِ^(٧) من بعضهم بعدَ الإسلام ، و^(٨) الدخول في الكفر بعدَ الإيمان ، إذ ظهر من بعضهم بمحضَرِه وفي عصرِه التَّكْذِيبُ ببعضِ الأحرفِ السبعة التي نزلَ عليها القرآنُ ، مع سَماعِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ من رسولِ الله ﷺ النهي عن التَّكْذِيبِ بشيءٍ منها ، وإخبارِه إياهم أن المراء فيها كفرٌ ، فحملهم رحمةُ الله عليه ، إذ رأى ذلك ظاهرًا بينَهم في عصرِه ، وبحدائِثِ عهدِهم بنزولِ القرآنِ ، وفراقِ رسولِ الله ﷺ

(١) في ص ، وكتاب المصاحف ص ٢١ : « الصحيفة » ، وفي ت ١ : « المصحف » .

(٢) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص ١٨ ، ٢١ من طريق الزهري به .

(٣) الكُرانيِّف : جمع كُرَناة ، وهي أصل السعفة الغليظة . النهاية ٤ / ١٦٨ .

(٤ - ٥) في ص ، ت ١ : « والشعف » ، وفي م : « والعُسب » ، وفي ت ٢ : « والشعف » .

والأثر أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص ٢٣ من طريق الزهري به نحوه .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٥٤٥/١٠ من طريق سفيان به .

(٦) بعده في م بين معكوفين : « بمحضَرِه » .

(٧) سقط من : م .

إياهم ، بما أُمِنَ عليهم معه عظيمُ البلاءِ في الدين ؛ مِن تلاوةِ القرآنِ على حرفٍ واحدٍ ، وجمَعهم على مصحفٍ واحدٍ ^(١) ، وخرَّقَ ^(٢) ما عدا المصحفَ الذي جمَعهم عليه ، وعزَمَ على كلِّ مَنْ كان عنده مصحفٌ مُخالفٌ المصحفَ الذي جمَعهم عليه أن يُخرِّقَه ^(٣) ، فاستوثقت له الأمةُ على ذلك بالطاعةِ ، ورأت أن فيما فعل مِن ذلك الرشدَ والهدايةَ ، فتركت القراءةَ بالأحرفِ الستةِ التي عزَمَ عليها إمامُها العادلُ في تركِها ، طاعةً منها له ، ونظرًا منها لأنفسِها ولمن بعدها مِن سائرِ أهلِ ملَّتِها ، حتى دَرَسَتْ مِن الأمةِ معرفتُها ، وتَعَفَّتْ آثارُها ، فلا سبيلَ اليومَ لأحدٍ إلى القراءةِ بها ، لذُورِها وغُفُو آثارِها ، وتتابعِ المسلمين على رفضِ القراءةِ بها ، مِن غيرِ مجحودٍ منها ^(٤) صحتُها وصحةُ شَيْءٍ منها ، ولكن نظرًا منها لأنفسِها ولسائرِ أهلِ دينِها ، فلا قراءةَ للمسلمين اليومَ إلا بالحرفِ الواحدِ الذي اختاره لهم إمامُهم الشفيقُ الناصحُ ، دونَ ما عداه مِن الأحرفِ الستةِ الباقيةِ .

فإن قال بعضُ مَنْ ضَعُفَتْ معرفتُه : وكيف جازَ لهم تركُ قراءةِ أَقْرَأَهموها رسولُ اللَّهِ ﷺ وأمرهم بقراءتها ؟

قيل : إن أمره إياهم بذلك لم يَكُنْ أمرًا إيجابيًا وفرضًا ، وإنما كان أمرًا إباحيًا ورُخصةً ؛ لأنَّ القراءةَ بها لو كانت فرضًا عليهم ، لوجب أن يكونَ العلمُ ^(٥) بكلِّ حرفٍ مِن تلك الأحرفِ السبعةِ عندَ مَنْ يقومُ بنقلِ الحُجَّةِ ، ويُقَطِّعَ خبره العذرُ ،

(١) بعده في ص ، م : « وحرف واحد » .

(٢) في ر ، م ، ت ١ : « حرق » .

(٣) في ر ، م ، ت ١ : « يحرقه » . قال الحافظ في الفتح ٢٠ / ٩ : في رواية الأكثر : « أن يخرق » بالخاء المعجمة ، وللمروزي بالمهملة ، ورواه الأصيلي بالوجهين ، والمعجمة أثبت .

(٤) في ص ، ر ، ت ١ : « منهم » . ومنها : أى من الأمة .

(٥) بعده في ت ١ : « بذلك » .

وَيُزِيلُ الشُّكَّ مِنْ قِرَاءَةِ الْأُمَّةِ ، وَفِي تَرْكِهِمْ نَقَلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ أَوْضَحَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ بِهَا مُتَخَيِّرِينَ ، بَعْدَ^(١) أَنْ يَكُونَ فِي نَقْلِ الْقُرْآنِ مِنَ الْأُمَّةِ مَنْ تَجِبُ بِنَقْلِهِ الْحُجَّةُ بِبَعْضِ تِلْكَ الْأَحْرِفِ السَّبْعَةِ ، فَإِذَا^(٢) كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، لَمْ يَكُنِ الْقَوْمُ بِتَرْكِهِمْ نَقْلَ جَمِيعِ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ تَارِكِينَ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ نَقْلُهُ ، بَلْ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَعْلِ مَا فَعَلُوا ، إِذْ كَانَ الَّذِي / فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ ، كَانَ هُوَ النَّظَرُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، فَكَانَ الْقِيَامُ بِفَعْلِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ بِهِمْ أَوْلَى مِنْ فَعْلِ مَا لَوْ فَعَلُوهُ كَانُوا إِلَى الْجَنَائَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ أَقْرَبَ مِنْهُمْ إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ ذَلِكَ .

فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ اخْتِلَافِ الْقِرَاءَةِ فِي رَفْعِ حَرْفٍ وَجَرِّهِ وَنَصْبِهِ ، وَتَشْكِينِ حَرْفٍ وَتَحْرِيكِهِ ، وَنَقْلِ حَرْفٍ إِلَى آخَرَ ، مَعَ اتِّفَاقِ الصُّورَةِ ، فَمِنْ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَافٍ » - بِمَقْزِلٍ ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا حَرْفَ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ مِمَّا اخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَتِهِ بِهَذَا الْمَعْنَى يُوجِبُ الْمِرَاءَ بِهِ كَفَرُ الْمُعَارِي بِهِ فِي قَوْلِ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ^(٣) .

وَقَدْ أَوْجَبَ ﷺ بِالْمِرَاءِ فِيهِ الْكُفْرَ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي تَنَازَعَ فِيهِ الْمُتَنَازِعُونَ إِلَيْهِ ، وَتَظَاهَرَتْ عَنْهُ بِذَلِكَ الرَّوَايَةُ ، عَلَى مَا قَدْ قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ^(٤) .

(١) فِي ت ١ : « بَيْنَ » .

(٢) فِي م : « فَإِذَا » .

(٣) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ : وَالتَّزَاعُ فِي أَنَّ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعَةَ الْمُنْسُوبَةَ إِلَى نَافِعٍ وَعَاصِمٍ وَغَيْرِهِمَا هِيَ هِيَ حَرْفٌ مِنَ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ أَمْ لَا ؟ فَالَّذِي عَلَيْهِ جَمْعُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْأُتَمَّةِ أَنَّهَا حَرْفٌ مِنَ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ ، وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِلْعُرْضَةِ الْآخِرَةِ الَّتِي عَرَضَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى جَبْرِيلَ ، وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ الْمَشْهُورَةُ الْمُسْتَفِضَةُ تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ . مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى ١٣ / ٣٩٥ .

(٤) فِي ت ٢ : « الْكِتَابِ » .

فإن قال لنا قائل : فهل لك من علم بالأسن السبعة التي نزل بها القرآن ؟ وأى الأسن هي من أسن العرب ؟

قلنا : أما الأسن الستة التي قد نزلت القراءة بها فلا حاجة بنا إلى معرفتها ؛ لأننا لو عرفناها لم نقرأ اليوم بها ، مع الأسباب التي قدّمنا ذكرها . وقد قيل : إن خمسة منها لعجز هوازن ، واثنين منها لقريش وخزاعة .

رؤي جميع ذلك عن ابن عباس ، وليست الرواية به ^(١) عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله ، وذلك أن الذي روى عنه أن خمسة منها من لسان العجز من هوازن ، الكلبي ^(٢) عن أبي صالح ^(٣) ، وأن الذي روى عنه أن اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة ، قتادة ، وقتادة لم يلقه ولم يسمع منه .

حدثني بذلك بعض أصحابنا ، قال : حدثنا صالح بن نصر الخزاعي ، قال : حدثنا الهيثم بن عدي ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن بلسان قريش ولسان خزاعة ، وذلك أن الدار واحدة ^(٤) .

وحدثني بعض أصحابنا ، قال : حدثنا صالح بن نصر ، قال : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أبي الأسود الدؤلي ، قال : نزل القرآن بلسان الكعبيين ؛ كعب بن عمرو ، وكعب بن لؤي . فقال خالد بن سلمة لسعيد بن إبراهيم : ألا تعجب من هذا

(١) سقط من : م ، ت ٢ .

(٢) في ت ٢ : « الكلام » .

(٣) ذكره أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٠٤ عن الكلبي به .

(٤) ذكره أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٠٤ ، قال : وكذلك يحدثون عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ،

عن سمع ابن عباس .

الأعجمي^(١)، يَزْعُمُ أن القرآن نزل بلسانِ الكعبيين، وإنما نزل بلسانِ قريش^(٢).

قال أبو جعفر: والعَجْزُ مِنْ هَوَازَنَ؛ سعدُ بْنُ بَكْرٍ، وَجُشَمُ^(٣) بْنُ بَكْرٍ، وَنَصْرُ بْنُ معاويةَ، وَثَقِيفٌ.

وأما معنى قولِ النبي ﷺ إذ ذَكَرَ نزولَ القرآنِ على سبعةِ أحرفٍ: «إن كلُّها شافٍ كافٍ». فإنه كما قال جل ثناؤه في وصفه القرآن: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُم وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]. جعله الله للمؤمنين شفاءً، يَشْتَشْفُونَ بمواعظه من الأدواءِ العارضةِ لصدورهم، من وساوسِ الشيطانِ وَخَطَرَاتِهِ^(٤)، فيكفيهم ويغنيهم عن كلِّ ما عدها من الموعظِ ببيانِ آياته.

٣٠/١ / القول في البيان عن معنى قولِ رسولِ الله ﷺ: «أُنزِلَ القرآنُ من سبعةِ أبوابِ الجنةِ». وذكرُ الأخبارِ المرويةِ^(٥) بذلك.

[٨/١ ظ] قال أبو جعفر: اختلفتِ التَّفَلُّتُ في ألفاظِ الخبرِ بذلك عن رسولِ الله ﷺ؛ فزُيِّدَ عن ابنِ مسعودٍ عن النبي ﷺ أنه قال: «كان الكتابُ الأوَّلُ نَزَلَ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، وَعَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ، وَعَلَى سَبْعَةِ أَحْرَافٍ؛ زَاجِرٌ، وَآمِرٌ^(٦)، وَحَلَالٌ، وَحَرَامٌ، وَمُحَكَّمٌ، وَمُتَشَابِهٌ، وَأَمْثَالٌ، فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ، وَافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ، وَانْتَهُوا عما نُهِيتُمْ عنه، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ

(١) في ت ١: «الأعجمي».

(٢) قتادة لم يدرك أبا الأسود. وينظر تاريخ بغداد ١٧٣/٥.

(٣) في م: «خيثم». وينظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٤، والتمهيد ٢٨٠/٨.

(٤) في ص، ت ١: «خطواته».

(٥) في ص، ت ١: «الواردة».

(٦ - ٦) في م: «زجر وأمر».

وَأَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ ، وَقُولُوا : آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا .

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي حَيَوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ ، عَنْ عُقَيْلِ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ^(١) .

وَرَوَى عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَرْسَلًا غَيْرُ ذَلِكَ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ زَكْرِيَا ، عَنْ عَوْفٍ ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ؛ أَمْرٌ ، وَرَجَزٌ ، وَتَرْغِيْبٌ ، وَتَوْهِيْبٌ ، وَجَدَلٌ ، وَقَصَصٌ ، وَمَثَلٌ » ^(٢) .

وَرَوَى عَنْ أَبِيٍّ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيْسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ أَبِيٍّ بْنِ كَعْبٍ ، قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ، فَقُلْتُ : رَبِّ ، خَفَّفَ عَنْ أُمَّتِي . قَالَ : اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ . فَقُلْتُ : رَبِّ ، خَفَّفَ عَنْ أُمَّتِي . فَأَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ » ^(٣) .

(١) إسناده منقطع ؛ أبو سلمة لم يلق ابن مسعود . وأخرجه ابن حبان (٧٤٥) ، والحاكم ١/٥٥٣ ، ٢/٢٨٩ ، وابن عبد البر في التمهيد ٨/٢٧٥ من طريق ابن وهب به . وأخرجه الطحاوي في المشكل (٣١٠٢) من طريق حيوة بن شريح به .

وهذا الحديث ضعفه الطحاوي وابن عبد البر وغيرهما . وروى موقوفا على ابن مسعود - كما سيأتي - وقال ابن كثير : هو أشبهه . وينظر فضائل القرآن ص ٦٦ ، والفتح ٩/٢٩ ، والسلسلة الصحيحة (٥٨٧) .

(٢) عزاه المتقي الهندي في الكنتز (٣٠٩٦) إلى المصنف .

(٣) في م : « عبيد » . وتقدم على الصواب في ص ٣٢ ، وينظر تهذيب الكمال ١٥/٤١٢ .

(٤) تقدم في ص ٣٣ .

وروى عن ابن مسعود ^(١) خلاف ذلك كله ، وهو ما حدثنا به أبو كزيب ، قال : حدثنا المخاري ، عن الأحوص ^(٢) بن حكيم ، عن ضمرة بن حبيب ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : إن الله أنزل القرآن على خمسة أحرف ؛ حلال ، وحرام ، ومُحَكَّم ، ومُتَشَابِه ، وأمثال ، فأجل الحلال ، وحرم الحرام ، وأعمل بالمُحَكَّم ، وآمن بالمتشابه ، واعتبر بالأمثال ^(٣) .

وكل هذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله ﷺ مُتَقَارِبَةٌ المعاني ؛ لأن قول القائل : / فلان مُقيّم على باب من أبواب هذا الأمر ، وفلان مُقيّم على وجه من وجوه هذا الأمر ، وفلان مُقيّم على حرف من هذا الأمر . سواء ، ألا ترى أن الله تعالى ذكره وَصَفَ قَوْمًا ^(٤) عبده على وجه من وجوه العبادات ، فأخبر عنهم أنهم عبده على حرف فقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ [الحج : ١١] . يغنى أنهم عبده على وجه الشك ، لا على اليقين به ^(٥) والتسليم لأمره .

فكذلك رواية من روى عن النبي ﷺ أنه قال : « نَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ » و « نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَافٍ » . سواء معناهما مُؤْتَلِفٌ ، وتأويلهما غير مختلف في هذا الوجه .

ومعنى ذلك كله الخبر منه ﷺ عما خصّه الله به وأتمته من الفضيلة والكرامة

(١) في م : « قبله » .

(٢) في ر : « أبي الأحوص » . وينظر تهذيب الكمال ٢ / ٢٨٩ .

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (١٢٩) من طريق ابن إدريس عن الأحوص ، عن القاسم به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢ إلى ابن المنذر . والقاسم لم يدرك ابن مسعود .

(٤) بعده في ص ، ت ١ : « أنهم » .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ١ .

التي لم يُؤْتِها أحدًا في تنزيله ؛ وذلك أن كلَّ كتابٍ تقدَّم كتابنا نزوله على نبيٍّ من أنبياء الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ ، فإنما نَزَلَ بلسانٍ واحدٍ ، متى حُوِّلَ إلى غيرِ اللسانِ الذي نَزَلَ به كان ذلك له ترجمةً ^(١) وتفسيرًا ، لا تلاوةً له على ما أنزله الله ، وأنزَلَ كتابنا باللسنِ سبعةً ، بأى تلك الألسنِ السبعة تلاه التالى كان له تاليًا على ما أنزله الله لا مُترجِمًا ولا مُفسِّرًا ، حتى يُحوَّلَ عن تلك الألسنِ السبعة إلى غيرها ، فيصيرُ فاعلُ ذلك حينئذٍ - إذا أصاب معناه - له مترجِمًا ، كما كان التالى بعضُ ^(٢) الكتبِ التي أنزلها الله بلسانٍ واحدٍ ، إذا تلاه بغيرِ اللسانِ الذى نَزَلَ به ، له مترجِمًا ، لا تاليًا على ما أنزله الله به .

فذلك معنى قولِ النبي ﷺ : « كان الكتابُ الأوَّلُ نَزَلَ على حَرْفٍ واحدٍ ، ونَزَلَ القرآنُ على سبعةِ أَحْرفٍ » .

وأما معنى قوله ﷺ : « إِنَّ الكتابَ الأوَّلَ نَزَلَ مِنْ بابٍ واحدٍ ، ونَزَلَ القرآنُ مِنْ سبعةِ أَبْوابٍ » . فإنه ﷺ عَنِ بقوله : « نَزَلَ الكتابُ الأوَّلُ مِنْ بابٍ واحدٍ » - والله أعلم - ما نَزَلَ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَلَى مَنْ أَنْزَلَهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، خَالِيًا مِنَ الْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، كَزَبُورِ دَاوُدَ ، الذى إِنَّمَا هُوَ تَذْكِيرٌ وَمَوْاعِظٌ ، وَإِنْجِيلُ عِيسَى ، الذى هُوَ تَمْجِيدٌ وَمَحَامِدٌ وَحُضْرٌ عَلَى الصَّفْحِ وَالْإِعْرَاضِ ، دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي نَزَلَتْ يَبْعُضُ الْمَعَانِي السَّبْعَةِ الَّتِي يَحْتَوِي جَمِيعُهَا كِتَابُنَا الَّذِي خَصَّ اللهُ بِهِ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَأُمَّتَهُ .

فلم يكنِ المتعبِّدون بِإِقَامَتِهِ يَجِدُونَ لِرِضَا اللهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ مَطْلَبًا يَنَالُونَ بِهِ الْجَنَّةَ ،

(١) الترجمة هنا : البيان .

(٢) فى ص ، م : « لبعض » .

وَيَسْتَوْجِبُونَ بِهِ^(١) مِنْهُ الْقُرْبَةَ ، إِلَّا مِنْ الْوَجْهِ الْوَاحِدِ الَّذِي أُنْزِلَ بِهِ كِتَابُهُمْ ، وَذَلِكَ هُوَ الْبَابُ الْوَاحِدُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الَّذِي نَزَلَ مِنْهُ ذَلِكَ الْكِتَابُ . وَخَصَّ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَأَمَّتَهُ بِأَنْ أُنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابُهُ عَلَى أَوْجِهِ سَبْعَةً مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي يَنَالُونَ بِهَا رِضْوَانُ اللَّهِ ، وَيُذَرِّكُونَ بِهَا الْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ إِذَا أَقَامُوهَا ، فَكُلُّ^(٢) وَجْهِ مِنْ أَوْجُهِهِ السَّبْعَةِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الَّذِي نَزَلَ مِنْهُ الْقُرْآنُ ؛ لِأَنَّ الْعَامِلَ بِكُلِّ وَجْهِ مِنْ أَوْجُهِهِ^(٣) السَّبْعَةِ عَامِلٌ عَلَى^(٤) بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَطَالَبٌ مِنْ قِبَلِهِ الْفَوْزَ بِهَا ، فَالْعَمَلُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ جَلَّ ذَكَرُهُ فِي كِتَابِهِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَتَرَكُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِيهِ بَابٌ آخَرُ ثَانٍ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَتَحْلِيلُ مَا حَلَّلَ اللَّهُ فِيهِ بَابٌ ثَالِثٌ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَتَحْرِيمُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِيهِ بَابٌ رَابِعٌ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَالْإِيمَانُ بِمُحْكَمِهِ الْمُبَيَّنِّ بَابٌ خَامِسٌ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَالتَّسْلِيمُ لِمُتَشَابِهِهِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بَعْلِمِهِ وَحَجَّبَ عِلْمَهُ عَنْ خَلْقِهِ ، وَالْإِقْرَارُ بِأَنْ كُلُّ/ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ، بَابٌ سَادِسٌ مِنْ [٩/١] أَبْوَابِهَا ، وَالْإِعْتِبَارُ بِأَمْثَالِهِ وَالْإِعْظَافُ بِعِظَاتِهِ بَابٌ سَابِعٌ مِنْ أَبْوَابِهَا .

فَجَمِيعُ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ حُرُوفِهِ السَّبْعَةِ وَأَبْوَابِهِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ مِنْهَا ، جَعَلَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ إِلَى رِضْوَانِهِ هَادِيًا ، وَلَهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ قَائِدًا ، فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ : « نَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ مِنْ^(٥) الْجَنَّةِ » .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ فِي الْقُرْآنِ : « إِنَّ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ حَدًّا »^(٦) . يَعْنِي الْكُلُّ وَجْهِ مِنْ

(١) سقط من : ص ، م .

(٢) في م : « فلكل » .

(٣) في ر ، ت ١ : « أوجهها » .

(٤) في ص ، م ، ت ١ : « في » .

(٥) سقط من : ص ، م .

(٦) تقدم في ص ٢٢ .

أَوْجِهَهُ السَّبْعَةَ حَدًّا حَدَّهُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ ، لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَجَاوَزَهُ .

وقوله ﷺ : « وَإِنَّ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرًا وَبَطْنًا » . فظهره الظاهر في التلاوة ، وبطنه ما بطن من تأويله .

وقوله ﷺ : « وَإِنَّ لِكُلِّ حَدٍّ مِنْ ذَلِكَ مُطْلَعًا » . فإنه يعنى أن لكل حد من حدود الله التي حدّها فيه ، من حلالٍ وحرامٍ وسائر شرائعه ، مقدارًا من ثوابِ الله وعقابه يُعائنه في الآخرة ، وَيُطْلِعُ عليه ، وَيُلَاقِيهِ في القيامة ، كما قال عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ الله عنه : لو أن لى ما فى الأرض من صفراءٍ وبيضاءٍ لا فتديتُ به من هولِ المطلع^(١) . يغنى بذلك ما يُطْلِعُ عليه ويهجمُ عليه من أمرِ الله بعد وفاته .

القول فى الوجوه التى من قبلها يؤصل إلى معرفة تأويل القرآن

قال أبو جعفر : قد قلنا فى الدلالة على أن القرآن كله عربى ، وأنه نزل بالسن بعض العرب دون ألسن جميعها ، وأن قراءة المسلمين اليوم ، ومصحفهم التى هى بين أظهرهم ، ببعض الألسن التى نزل بها القرآن دون جميعها . وقلنا فى البيان عما يحويه القرآن من النور والبزهان ، والحكمة والتبيين^(٢) ، التى أودعها الله إياه ، من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، ووعدِهِ ووَعِيدِهِ ، ومُحْكِمِهِ ومُتَشَابِهِهِ ، ولطائفِ حُكْمِهِ - ما فيه الكفاية لمن وُفِّقَ لفهمه .

ونحن قائلون فى البيان عن وجوه مطالب تأويله :

قال الله جلَّ ثَنَاهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] . وقال أيضا

(١) أخرجه أبو يعلى (٢٧٣١) ، وعنه ابن حبان (٦٩٠٥) . وينظر طبقات ابن سعد ٣/ ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٢) فى م : « البيان » .

له^(١) جل ذكره: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]. وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ / مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

فقد تبين ببيان الله جل ذكره أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه ﷺ ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره، واجبه ونذيه وإرشاده، وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه، وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله ﷺ^(٢) له تأويله^(٣)، بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله.

وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار، وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثه، وأوقات آتية؛ كوقت قيام الساعة، والتفخ في الصور، ونزول عيسى ابن مريم، وما أشبه ذلك، فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها، ولا يعرف أحد من تأويلها إلا^(٤) بالخبر عن أشرائها^(٥)، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه.

(١) سقط من: م، ت ٢.

(٢ - ٢) في م، ت ١: «بتأويله»، وفي ت ٢: «لتأويله».

(٣ - ٣) في ص: «الخبر عن أشرائها»، وفي م، ت ١: «الخبر بأشرائها»، وفي ت ٢: «الخبر عن أشرائها».

وبذلك^(١) أنزل ربنا^(٢) مُحْكَمَ كتابه ، فقال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لِوَفَّيَّهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكَ كَذَلِكَ حِثِّي عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٧] . وكان نبينا محمداً ﷺ إذا ذَكَرَ شيئاً مِنْ ذَلِكَ لم يَدُلَّ عليه إِلَّا بِأُشْرَاطِهِ ، دونَ تحديده بوقته^(٣) ، كالذي رَوَى عنه ﷺ أنه قال لأصحابه إِذْ ذَكَرَ الدَّجَالَ : « إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ ، فَأَنَا حَاجِبُهُ ، وَإِنْ يَخْرُجُ بَعْدِي ، فَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ »^(٤) . وما أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي يَطُولُ بِاسْتِيعَابِهَا الْكِتَابُ ، الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّهُ ﷺ لم يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمُ أَوْقَاتِ شَيْءٍ مِنْهُ بِمَقَادِيرِ السِّنِينَ وَالْأَيَّامِ ، وَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا كَانَ عَرَفَهُ مَجِيئُهُ بِأُشْرَاطِهِ ، وَوَقْتُهُ بِأَدْلِيَّتِهِ^(٥) .

وَأَنَّ مِنْهُ مَا يَغْلَمُ تَأْوِيلَهُ كُلُّ ذِي عِلْمٍ بِاللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ ، وَذَلِكَ إِقَامَةُ إِعْرَابِهِ ، وَمَعْرِفَةُ الْمُسَمِّيَّاتِ بِأَسْمَائِهَا اللَّازِمَةِ غَيْرِ الْمُشْتَرَكِ فِيهَا ، وَالْمَوْصُوفَاتِ بِصِفَاتِهَا الْخَاصَةِ دُونَ مَا سِوَاهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، وَذَلِكَ كَسَامِعِ مِنْهُمْ لَوْ سَمِعَ تَالِيًا يَتْلُو : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ١١ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ١١ ، ١٢] . لم يَجْهَلُ أَنْ مَعْنَى الْإِفْسَادِ هُوَ مَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ مِمَّا هُوَ مُضَرٌّ ، وَأَنَّ الْإِصْلَاحَ هُوَ مَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ مِمَّا فَعَلَهُ مُنْفَعٌ ، وَإِنْ جَهِلَ الْمَعَانِي الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ إِفْسَادًا ، وَالْمَعَانِي الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ إِصْلَاحًا ، فَالَّذِي يَغْلَمُهُ ذُو اللِّسَانِ الَّذِي بَلَسَانَهُ نَزَلَ الْقُرْآنُ ، مِنْ/تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ ، هُوَ مَا ٣٤/١

(١) فِي م ، ت ٢ : « كَذَلِكَ » .

(٢) بَعْدَهُ فِي م : « فِي » .

(٣) فِي م : « بَوَاقٍ » .

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٩٣٧) مِنْ حَدِيثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ نَحْوَهُ .

(٥) بَعْدَهُ فِي ت ١ : « وَأَزْمَنَةً » .

وصفت من معرفة أعيان المُسمَّيات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها،
والموصوفات بصفاتِها الخاصة، دون الواجب من أحكامها وصفاتها وهيئاتها التي
خصَّ الله بعليها نبيه ﷺ، فلا يُدرِك علمه إلا ببيانه، دون ما استأثر الله بعلمه دون
خلقه. وبمثل ما قلنا في^(١) ذلك روى الخبر عن ابن عباس.

حدَّثنا محمد بن بشار، قال: حدَّثنا مؤمِّل، قال: حدَّثنا سفيان، عن أبي
الزناد، قال: قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه؛ وجهٌ تعرفه [٩/١] العرب
من كلامها، وتفسيرٌ لا يُعَدُّ أحدٌ بجهالته، وتفسيرٌ يَعْلَمُه العلماء، وتفسيرٌ لا يَعْلَمُه إلا
الله^(٢).

قال أبو جعفر: وهذا الوجه الرابع الذي ذكره ابن عباس من أن أحدًا لا يُعَدُّ
بجهالته، معنى غير الإبانة عن وجوه مطالب تأويله، وإنما هو خبرٌ عن أن من تأويله ما
لا يجوز لأحد الجاهل به. وقد روى بنحو ما قلنا في ذلك أيضًا عن رسول الله ﷺ
خبرٌ في إسناده نظر.

حدَّثني يونس بن عبد الأعلى الصَّدْفِيُّ، قال: أَخْبَرَنَا ابنُ وهب، قال: سَمِعْتُ
عَمْرَو بْنَ الْحَارِثِ يُحَدِّثُ عَنِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ مَوْلَى أُمِّ هَانئٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ
عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْزَفٍ؛ حَلَالٌ وَحَرَامٌ لَا
يُعَدُّ أَحَدٌ بِالْجَهَالَةِ بِهِ، وَتَفْسِيرُ تَفْسِيرِهِ الْعَرَبُ، وَتَفْسِيرُ تَفْسِيرِهِ الْعُلَمَاءُ، وَتُمَثَّابَةٌ لَا
يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ ادَّعَى عِلْمَهُ سِوَى اللَّهِ فَهُوَ كَاذِبٌ»^(٣).

(١) في ر، م، ت ٢: «من».

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٨/١ عن المصنف. وأبو الزناد لم يدرك ابن عباس.

(٣) إسناده ضعيف جدا. ذكره ابن كثير في تفسيره ١٨/١ عن المصنف. وأخرجه ابن المنذر - كما في الدر المنثور ٧/٢ - من طريق الكلبي به، موقوفًا.

ذكر بعض الأخبار التي رويت

بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي

حدثنا يحيى بن طلحة اليزبوعى ، قال : حدثنا شريك ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال : « مَنْ قال فى القرآن برأيه ، فليتبوأ مقعده من النار » ^(١) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثنا عبد الأعلى - هو ابن عامر الثعلبى - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قال فى القرآن برأيه - أو بما لا يعلم - فليتبوأ مقعده من النار » ^(٢) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا محمد بن بشر وقبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ، قال : حدثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قال فى القرآن بغير علم ، فليتبوأ مقعده من النار » ^(٣) .

(١) إسناده ضعيف ؛ لضعف عبد الأعلى . وأخرجه أحمد ١٢٢/٥ ، ١٥٥ (٢٩٧٤ ، ٣٠٢٤) ، وأبو داود - فى رواية ابن العبد ، كما فى التحفة ٤/٤٢٣ - والترمذى (٢٩٥١) ، وأبو يعلى (٢٥٨٥) ، والطحاوى فى المشكل (٣٩٢) والبغوى فى شرح السنة (١١٧) من طرق عن عبد الأعلى به . وينظر تهذيب التهذيب ٩٥/٦ ، والسلسلة الضعيفة (١٧٨٣) .

(٢) أخرجه النسائى فى الكبرى (٨٠٨٥) عن محمد بن بشار به .

وأخرجه البيهقى فى الشعب (٢٢٧٦) من طريق يحيى بن سعيد به .

وأخرجه أحمد ٤٩٦/٣ ، ٢٥٠/٤ (٢٤٢٩ ، ٢٠٦٩) ، والترمذى (٢٩٥٠) ، والنسائى فى الكبرى (٨٠٨٤) ، والطحاوى فى المشكل (٣٩٣) ، والطبرانى فى الكبير (١٢٣٩٢) ، والبغوى فى شرح السنة (١١٨) من طرق عن سفيان الثورى به . وينظر مصنف ابن أبى شيبة ٥١٢/١٠ .

(٣) أخرجه النسائى فى الكبرى (٨٠٨٤) من طريق محمد بن بشر به .

وأخرجه البيهقى فى الشعب (٢٢٧٥) ، والبغوى فى شرح السنة (١١٩) من طريق قبيصة به .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ بَشِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ الْمَلَائِكِيُّ ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بَرَأِيَهُ ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ .

٣٥/١ / حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ بَكْرِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بَرَأِيَهُ ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ .

حَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ سَلَمٌ ^(١) بَنْ جُنَادَةَ السَّوَائِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ ^(٢) ، قَالَ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : أَيْ أَرْضِ تُقْلُنِي ، وَأَيْ سَمَاءِ تُظْلُنِي ، إِذَا قُلْتُ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا أَعْلَمُ ^(٣) ! .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ سُلَيْمَانَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْثَةَ ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : أَيْ أَرْضِ تُقْلُنِي ، وَأَيْ سَمَاءِ تُظْلُنِي ، إِذَا قُلْتُ فِي ^(٤) كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَرَأِي . أَوْ : بِمَا لَا أَعْلَمُ ^(٥) !

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ شَاهِدَةٌ لَنَا عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا ؛ مِنْ أَنْ مَا كَانَ مِنْ تَأْوِيلِ ^(٦) الْقُرْآنِ الَّذِي لَا يَذْرُكُ عِلْمُهُ إِلَّا بِنَصِّ بَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَوْ بِنَصْبِهِ الدَّلَالَةَ عَلَيْهِ ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ الْقِيلُ فِيهِ بَرَأِيَهُ ، بَلِ الْقَائِلُ فِي ذَلِكَ بَرَأِيَهُ ، وَإِنْ أَصَابَ عَيْنٌ ^(٧)

(١) فِي م : « سَالِم » .

(٢) فِي ت ١ : « أَيُّوب » .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ (١٥٦١) مِنْ طَرِيقِ حَفْصِ بِهِ . وَيَنْظُرُ سَنَنُ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ (٣٩ - تَفْسِيرٍ) ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ تَحْقِيقُ أَبِي إِسْحَاقَ الْحَوِينِي ١٢٦/١ ، وَالْفَتْحَ ٢٧١/١٣ .

(٤ - ٤) فِي م : « الْقُرْآن » .

(٥) أَخْرَجَهُ مَنْصُورٌ فِي مَسْنَدِهِ - كَمَا فِي الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ (٣٨٨٣) - مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ بِهِ .

(٦) بَعْدَهُ فِي ص ، م ، ت ١ : « آي » .

(٧) زِيَادَةٌ مِنْ : ر ، ت ١ .

الحق فيه ، فمُخِطِيٌّ^(١) فِي فِعْلِهِ بَقِيلُهُ^(٢) فِيهِ بَرَأِيَهُ ، وَلَأَن إِصَابَتَهُ لَيْسَتْ إِصَابَةً مُوقِنٍ أَنَّهُ مُحَقِّقٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ إِصَابَةٌ خَارِصٍ وَظَانٌّ ، وَالْقَائِلُ فِي دِينِ اللَّهِ بِالظَّنِّ قَائِلٌ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ ، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ عَلَى عِبَادِهِ فَقَالَ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْآثِمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] . فَالْقَائِلُ^(٣) فِي تَأْوِيلِ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُدْرِكُ عِلْمُهُ إِلَّا بَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ بَيَانَهُ - قَائِلٌ مَا^(٤) لَا يَعْلَمُ ، وَإِنِ وَافَقَ قِيلُهُ ذَلِكَ فِي تَأْوِيلِهِ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَعْنَاهُ ؛ لِأَنَّ الْقَائِلَ فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ قَائِلٌ عَلَى اللَّهِ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ .

وهذا هو معنى الخبر الذي حَدَّثَنَا بِهِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ هَلَالٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُهَيْلُ أَخُو^(٥) حَزْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ^(٦) ، عَنْ جُنْدُبٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ ، فَقَدْ أَخْطَأَ »^(٧) .

(١) فِي م : « فِيمَا كَانَ مِنْ » .

(٢) فِي ص ، ت ٢ : « فَقِيلَهُ » .

(٣) فِي ت ١ : « وَالْقَائِلُ » .

(٤) فِي ص ، ر ، م ، ت ٢ : « بِمَا » .

(٥) فِي م : « بَنِ أَبِي » . وَهُوَ سُهَيْلُ أَخُو حَزْمِ ابْنِ أَبِي حَزْمٍ . يَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٢١٧/١٢ .

(٦) فِي م : « الْجَوْنِيُّ » . وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٢٩٧/١٨ .

(٧) إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ ؛ لَضَعْفِ سُهَيْلٍ . وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٩٥٢) ، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ (١٢٠) مِنْ طَرِيقِ

حَبَّانِ بْنِ هَلَالٍ بِهِ . وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٦٥٢) ، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكِبَرِيِّ (٨٠٨٦) ، وَأَبُو يَعْلَى (١٥٢٠) ،

وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (١٦٧٢) ، وَفِي الْأَوْسَطِ (٥١٠١) ، وَابْنُ عَدَى ١٢٨٨/٣ ، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي الشَّعْبِ

(٢٢٧٧) مِنْ طَرِيقِ سُهَيْلٍ بِهِ .

قال أبو جعفر: يعنى ﷺ أنه أخطأ فى فعله ، بقيله فيه برأيه ، وإن وافق قيله ذلك عين الصواب عند الله ؛ لأن قيله فيه برأيه ليس بقليل عالم ^(١) "أن الذى" قال فيه من قول حق وصواب ، فهو قائل على الله ما لا يعلم ، آثم بفعله ما قد نُهى عنه وحُظر عليه .

ذكر بعض الأخبار التى رويت فى الحض

على العلم بتفسير القرآن ، ومن كان يفسره من الصحابة

حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق المزورى ، قال : سمعتُ أبى يقول :
حدثنا الحسين بن واقد ، قال : حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن ابن مسعود ، قال :
كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يُجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل ^(٢)
بهن .

٣٦/١ / حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبى عبد الرحمن ،
قال : حدثنا الذين كانوا يُقرئونا أنهم كانوا يستقرئون من النبى ﷺ ، فكانوا إذا
تعلموا عشر آيات لم يُخلّفوها حتى يعملوا ^(٣) "بما فيها" من العمل ، فتعلمنا القرآن
والعمل جميعاً ^(٤) .

(١ - ١) فى ر : « بأن الذى » ، وفى ت ١ : « بالذى » .

(٢) سيأتى تصحيح المصنف له فى ص ٨٣ .

(٣ - ٣) فى ت ٢ : « ما فيه » .

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٦٠٢٧) ، وابن سعد ١٧٢/٦ ، وابن أبى شعبة ٤٦٠/١٠ ، وأحمد ٤١٠/٥ (الميمنة) من طريق عطاء بن السائب به .

وأخرجه الحاكم ٥٥٧/١ ، والبيهقى فى الشعب (١٩٥٣ ، ١٩٥٤) من طريق شريك ، عن عطاء ، عن أبى عبد الرحمن ، عن ابن مسعود . وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

وحدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا جابرُ بنُ نُوحٍ ، قال : حدَّثنا الأعمشُ ، عن مُسلمٍ ، عن مسروقٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ : والذي لا إلهَ غيره ، ما نَزَلَتْ آيةٌ في كتابِ اللَّهِ إلا وأنا أعلمُ فيمِ^(١) نَزَلَتْ ، وأين نَزَلَتْ^(٢) ، ولو أعلمُ مكانَ أحدٍ أعلمَ بكتابِ اللَّهِ مني تناله المطايا لأتيته^(٣) .

وحدَّثنا يحيى بنُ إبراهيمَ المشعودي ، قال : حدَّثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن الأعمشِ ،^(٤) عن مسلمٍ^(٥) ، عن مسروقٍ ، قال : كان عبدُ اللَّهِ يقرأ علينا السورةَ ، ثم يُحدِّثنا فيها ويُفسِّرُها عامَّةَ النهارِ .

حدَّثني [١٠/١] أبو السائبِ سلَمٌ^(٦) بنُ جُنادةَ ، قال : حدَّثنا أبو مُعاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن شقيقٍ ، قال : استعملَ عليُّ ابنُ عباسٍ عليَّ الحُجَّ . قال : فخطبَ الناسَ حُطْبَةً لو سَمِعها التركُ والرومُ لأسلموا ، ثم قرأ عليهم سورةَ النورِ ، فجعل يُفسِّرُها^(٧) .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهديٍّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن أبي وائلٍ شقيقِ بنِ سَلَمَةَ ، قال : قرأ ابنُ عباسٍ سورةَ البقرةَ ، فجعل يُفسِّرُها ، فقال رجلٌ : لو سَمِعْتَ هذا الدَّيْلَمَ لَأَسْلَمْتَ^(٨) .

(١) في ت ١ ، والبخارى : « في من » .

(٢) بعده في م : « وأين أنزلت » .

(٣) أخرجه البخارى (٥٠٠٢) ، ومسلم (٢٤٦٣) من طريق الأعمش به بنحوه . وينظر ما تقدم في ص ٤٦ .

(٤ - ٤) سقط من : ت ١ .

(٥) في م : « سالم » .

(٦) أخرجه أبو العباس السراج - كما في الإصابة ١٤٩/٤ - ومن طريقه الحاكم ٥٣٧/٣ من طريق أبي معاوية به .

(٧) أخرجه الفسوى في تاريخه ٤٩٥/١ من طريق سفيان به . وفيه أنه قرأ سورة النور .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانٍ ، عَنْ أَشْعَثَ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ جَعْفَرٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ لَمْ يُفَسِّرْهُ ، كَانَ كَالْأَعْجَمِيِّ ^(١) أَوْ : كَالْأَعْرَابِيِّ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَاشٍ الْأَعْمَشَ ، قَالَ : قَالَ أَبُو وَائِلٍ : وَلِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْمَوْسَمَ ، فَخَطَبَهُمْ فَقَرَأَ عَلَى الْمُنْبَرِ سُورَةَ النُّورِ ، وَاللَّهُ لَوْ سَمِعَهَا التُّرْكُ لَأَسْلَمُوا . فَقِيلَ لَهُ : حَدَّثَنَا ^(٢) بِهِ عَنْ عَاصِمٍ . فَسَكَتَ ^(٣) .

وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ ، عَنْ شَقِيقٍ ، قَالَ : شَهِدْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ وَوَلِيَ الْمَوْسَمَ ، فَقَرَأَ سُورَةَ النُّورِ عَلَى الْمُنْبَرِ ، وَفَسَّرَهَا ، لَوْ سَمِعَتْ الرُّومُ لَأَسْلَمَتْ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَفِي حَتْ ^(٤) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ عَلَى الْإِعْتِبَارِ بِمَا فِي آيِ الْقُرْآنِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْبَيِّنَاتِ ^(٥) - بِقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَ رُءُوسًا يَآئِيَهُمْ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩] . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٦) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٢٧ ، ٢٨] . وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ وَحَثَّهُمْ فِيهَا عَلَى الْإِعْتِبَارِ بِأَمْثَالِ آيِ الْقُرْآنِ وَالِاتِّعَاطِ بِمَوَاعِظِهِ - مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَةَ

(١) فِي م : «أَبُو» . وَهُوَ أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بْنُ يَمَانٍ . يُنْظَرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٣٢ / ٥٥ .

(٢) فِي ص ، ر ، م : «كَالْأَعْمَى» .

(٣) فِي ت ١ : «حَدَّثَنَا» .

(٤) يُنْظَرُ الْإِصَابَةُ ٤ / ١٤٩ .

(٥) فِي ت ٢ : «حَثِثَ» .

(٦) فِي م ، ت ٢ : «التَّبَيَّنَ» .

تأويل ما لم يُحجب عنهم تأويله من آيه^(١) ؛ لأنه مُحالٌ أن يُقالَ لمن لا يفهم ما يُقالُ له ، ولا يعقل تأويله : اعتَبِرْ بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان^(٢) والكلام^(٣) . إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه ، ثم يتدبره ويعتبر به .

/فأما قبل^(٤) ذلك فمستحيل أمره بتدبره ، وهو بمعناه جاهلٌ ، كما مُحالٌ أن يُقالَ ٣٧/١ لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلام العرب ولا يفهمونه^(٥) ، لو أنشد^(٦) قصيدة شعرٍ من أشعار بعض العرب ذات أمثال ومواعظ وحكم : اعتَبِرْ بما فيها من الأمثال ، وادْكُرْ بما فيها من المواعظ - إلا بمعنى الأمر له^(٧) بفهم كلام العرب ومعرفته ، ثم الاعتبار بما نبّهه عليه ما فيها من الحكم ، فأما وهى جاهلة بمعانى ما فيها من الكلام والمنطق ، فمحالٌ أمرها بما دلّت عليه معانى ما حوته من الأمثال والعبر ، بل سواء أمرها بذلك وأمر بعض البهائم به ، إلا بعد العلم بمعانى المنطق والبيان الذى فيها .

فكذلك ما فى آي كتاب الله من العبر والحكم والأمثال والمواعظ ، لا يجوز أن يقال : اعتَبِرْ بها . إلا لمن كان بمعانى بيانه عالماً ، وبكلام العرب عارفاً ، وإلا بمعنى الأمر لمن كان بذلك منه جاهلاً أن يعلم معانى كلام العرب ، ثم يتدبره بعد ، ويتعظ بحكمه وصنوف عبره .

(١) فى م : « آيات » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ٢ .

(٣) فى ر : « قيل » .

(٤) فى ت ١ : « يفقهونه » .

(٥) فى م : « أنشدت » .

(٦) فى م : « لها » .

فإذ^(١) كان ذلك كذلك ، وكان الله جل ثناؤه قد أمر عباده بتدبره وحثهم على الاعتبار بأمثاله - كان معلوماً أنه لم يأمر بذلك من كان بما يدلُّ عليه آية جاهلاً . وإذ لم يَجْزُ أن يأمرهم بذلك إلا وهم بما يدلُّهم عليه عالمون ، صحَّ أنهم بتأويل ما لم يُحجَّب عنهم علمه من آية الذي استأثر الله بعلمه منه دون خلقه ، الذي^(٢) قدَّمنا صفته آنفاً عارفون . وإذ صحَّ ذلك ، فسَدَ قولُ من أنكر تفسير المُفسِّرين من كتاب الله وتنزيله ما لم يُحجَّب عن خلقه تأويله .

ذكر^(٣) الأخبار التي غلط

في تأويلها مُنكرو القول في تأويل القرآن

فإن قال لنا قائلٌ : فما أنت قائلٌ فيما حدَّثكم به العباسُ بنُ عبد العظيم ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ خالدِ ابنِ عثمة^(٤) ، قال : حدَّثني جعفرُ بنُ محمدٍ الزبيرى ، قال : حدَّثني هشامُ بنُ عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : ما كان النبىُّ ﷺ يُفسِّرُ شيئاً من القرآن إلا آتياً بعدد^(٥) ، علَّمنَّ إياه جبريلُ^(٦) . حدَّثنا^(٧) أبو بكرٍ محمدُ بنُ يزيد الطرسوسى ، قال : أخبرنا مَعْنُ^(٧) بنُ عيسى ،

(١) فى م : « فإذا » ، وفى ت ١ : « فإن » .

(٢) بعده فى م : « قد » .

(٣) بعده فى م ، ت ١ : « بعض » .

(٤) فى م : « عثمة » . وينظر تهذيب الكمال ١٤٣/٢٥ .

(٥) فى م : « تعد » ، وفى ت ٢ : « تعدد » . والمثبت موافق لأكثر نسخ تفسير ابن كثير ١٣٣/١ - تحقيق أبى

إسحاق الحوينى - وقد ذكره عن المصنف .

(٦) حديث منكر . أخرجه البزار (٢١٨٥ - كشف) عن محمد بن المثنى ، عن محمد بن خالد ابن عثمة ، عن حفص - أظنه ابن عبد الله - عن هشام به .

وأخرجه ابن شاهين فى الجزء الخامس من الأفراد (٣١) من طريق جعفر بن محمد به .

(٧ - ٧) زيادة من : ر .

عن جعفر^(١) بن خالد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: لم يكن النبي ﷺ يُفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعد^(٢)، علمهن إياه جبريل عليه السلام^(٣).

وحدثنا أحمد بن عبدة الضبي، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا عبيد الله بن عمر، قال: لقد أدركتُ فقهاء المدينة وإنهم ليُعظمون القول في التفسير؛ منهم سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، وناقع^(٤).

وحدثنا محمد بن بشر، قال: حدثنا بشر بن عمر، قال: حدثنا مالك بن أنس، عن يحيى بن سعيد، قال: سمعتُ رجلاً يسأل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن، فقال: لا أقول في القرآن شيئاً^(٥).

حدثنا يونس، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سُئل عن تفسير آية من القرآن قال: ^(٦) إنا لا نقول في القرآن شيئاً.

/حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعتُ الليث يُحدث عن ٣٨/١

(١) في ت ٢: «حرمل».

(٢) في م: «تعد»، وفي ت ٢: «تعدد».

(٣) أخرجه ابن شاهين في الجزء الخامس من الأفراد (٣١) من طريق معن بن عيسى به.

وأخرجه أبو يعلى (٤٥٢٨) من طريق معن، عن فلان بن محمد بن خالد، عن هشام به.

قال الهيثمي في المجمع ٦/٣٠٣: رواه أبو يعلى، والبخاري، وفيه راوٍ لم يحرق اسمه عند واحد منهما. وبقية رجاله رجال الصحيح. أما البخاري فقال... فذكره. وذكره ابن كثير في تفسيره ١٨/١ عن المصنف، وقال: حديث منكر غريب. وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري، قال البخاري: لا يتابع في حديثه. وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي: منكر الحديث. اهـ. وقد قال المصنف عن جعفر هذا: لا يعرف في أهل الآثار. كما سيأتي في ص ٨٣.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٧/١ عن المصنف.

(٥) أخرجه ابن سعد ٢/٣٨١، ٥/١٣٧ من طريق مالك به.

(٦ - ٦) في ص، م، ت ٢: «أنا لا أقول».

يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ، قال : حدثنا سفيان ، عن هشام ، عن [١٠/١] ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة السلماني عن آية ، قال : عليك بالسداد ، فقد ذهب الذين علموا فيم أنزل القرآن .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، عن أيوب وابن عون ، عن محمد بن سيرين ، قال : سألت عبيدة عن آية من القرآن ، فقال : ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن ، فاتق الله وعليك بالسداد^(٢) .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها ، فأبى أن يقول فيها^(٣) .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، عن مهدي بن ميمون ، عن الوليد بن مسلم ، قال : جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله فسأله عن آية من القرآن ، فقال له : أخرج عليك إن كنت مسلماً لما قمت عني . أو قال : أن تجالسني^(٤) .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدثنا عبد الله بن شاذب ، قال : حدثني يزيد بن أبي يزيد ، قال : كنا نسال سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام ، وكان أعلم الناس ، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكّت كأن لم

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٢٨ من طريق الليث به .

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٢٨ ، وسعيد بن منصور في سننه (٤٤ - تفسير) ، وابن أبي شيبة ١٠ / ٥١١ ، والبيهقي في الشعب (٢٢٨٢) من طريق ابن عون به .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٦/١ عن المصنف ، وقال : إسناده صحيح . وينظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٧/١ عن المصنف .

يَسْمَعُ^(١) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ
عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَقَالَ : لَا
تَسْأَلُنِي عَنْ^(٢) الْقُرْآنِ ، وَسَلَّ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ . يَعْنِي عِكْرَمَةَ^(٣) .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
السَّفَرِ ، قَالَ : قَالَ الشَّعْبِيُّ : وَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا ، وَلَكِنَّهَا الرِّوَايَةُ عَنْ^(٤)
اللَّهِ تَعَالَى^(٥) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ ، عَنْ صَالِحٍ - يَعْنِي ابْنَ
مُسْلِمٍ^(٦) - قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : ثَلَاثٌ لَا أَقُولُ فِيهِنَّ حَتَّى أَمُوتَ ؛
الْقُرْآنُ ، وَالرُّوحُ^(٧) ، وَالرَّأْيُ^(٨) .

وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ^(٩) ؟

قِيلَ لَهُ : أَمَّا الْخَبْرُ الَّذِي رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُفَسِّرُ مِنَ الْقُرْآنِ
شَيْئًا إِلَّا آيَاتًا بَعْدَ^(١٠) ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُصَحَّحٌ مَا قَلْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِي الْبَابِ الْمَاضِي قَبْلُ ، وَهُوَ

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٧/١ عن ابن شوذب به .

(٢) بعده في م : « آية من » ، وفي ت ٢ : « شيء من القرآن » .

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٢٨ ، وابن أبي شيبة ٥١١/١٠ عن محمد بن جعفر به .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ : « على » . وعند ابن عساكر : « ولكنها الرواية عن الله - أو قال : على الله » .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣٦٥/٢٥ من طريق سعيد بن عامر به . وينظر تفسير ابن كثير ١٧/١ .

(٦) في ت ١ : « سلم » ، وفي ت ٢ : « أسلم » . وينظر التاريخ الكبير ٢٩٠/٤ .

(٧) في ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « الزرع » .

(٨) في ص ، ر ، ت ١ : « الربا » ، وفي ت ٢ : « الرى » .

(٩) هذا آخر السؤال الذي بدأه المصنف في ص ٧٨ .

(١٠) في م : « تعد » ، وفي ت ٢ : « تعدد » .

أَنْ مِنْ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ مَا لَا يُدْرِكُ عِلْمُهُ إِلَّا بَيَانُ الرَّسُولِ ﷺ ، وَذَلِكَ تَفْصِيلٌ^(١) مُجْمَلٌ
 مَا فِي آيَةٍ ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، وَحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ ، وَسَائِرِ مَعَانِي
 شَرَائِعِ دِينِهِ ، الَّذِي هُوَ مُجْمَلٌ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ ، وَبِالْعِبَادِ إِلَى تَفْسِيرِهِ الْحَاجَّةُ ، لَا
 يُدْرِكُ عِلْمُ تَأْوِيلِهِ إِلَّا بَيَانٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا
 تَحْوِيهِ آيُ الْقُرْآنِ ، مِنْ سَائِرِ حُكْمِهِ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ بَيَانَهُ لَخَلْقِهِ إِلَى رَسُولِهِ ﷺ ، فَلَا
 يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَأْوِيلَ ذَلِكَ إِلَّا بَيَانُ الرَّسُولِ ﷺ ، وَلَا يَعْلَمُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 إِلَّا بِتَعْلِيمِ اللَّهِ ذَلِكَ إِيَّاهُ بِوَحْيِهِ إِلَيْهِ ، إِمَّا مَعَ جَبْرِيلَ ، أَوْ مَعَ مَنْ شَاءَ / مِنْ رُسُلِهِ إِلَيْهِ . ٣٩/١
 فَذَلِكَ هُوَ الْآيُ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفَسِّرُهَا لِأَصْحَابِهِ بِتَعْلِيمِ جَبْرِيلَ إِيَّاهُ ، وَهَنْ
 لَا شَكَّ آيُ ذَوَاتُ عَدَدٍ .

وَمِنْ آيِ الْقُرْآنِ مَا قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ اسْتَنَّاثَ بَعْلِمِ تَأْوِيلِهِ ، فَلَمْ يُطْلَغْ عَلَى
 عَلَيْهِ مَلَكًا مُقَرَّبًا ، وَلَا نَبِيًّا مَرْسَلًا ، وَلَكِنْهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ
 إِلَّا اللَّهُ .

فَأَمَّا مَا لَا بُدَّ لِلْعِبَادِ مِنْ عِلْمِ تَأْوِيلِهِ ، فَقَدْ بَيَّنَّ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﷺ بَيَانِ اللَّهِ ذَلِكَ لَهُ
 بِوَحْيِهِ مَعَ جَبْرِيلَ ، وَذَلِكَ هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بَيَانَهُ^(٢) لَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ :
 ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴾ [النحل :
 . [٤٤

وَلَوْ كَانَ تَأْوِيلُ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَنَّهُ كَانَ لَا يُفَسِّرُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا إِلَّا
 آيَا بَعْدِي - هُوَ مَا يَسْبِقُ إِلَيْهِ أَوْهَامُ أَهْلِ الْعَبَاءِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُفَسِّرُ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا الْقَلِيلَ

(١) فِي م : « يَفْصَل » .

(٢) فِي ص ، ر ، ت ، ١ ، ٢ : « بَيَانَهُ » .

من آيه واليسير من حروفه ، كان إنما أنزل إليه ﷺ الذكر ليشرك للناس^(١) بيان ما نزل إليهم ، لا ليبيّن لهم ما أنزل إليهم .

وفى أمر الله جل ثناؤه نبيه ﷺ ببلاغ ما أنزل إليه ، وإعلامه إياه أنه إنما نزل إليه ما أنزل ليبيّن للناس ما نزل إليهم ، وقيام الحجة على أن النبي ﷺ قد بلغ^(٢) وأدى^(٣) ما أمره الله ببلاغه وأدائه على ما أمره به ، وصحة الخبر عن عبد الله بن مسعود بقليله^(٤) : كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يُجاوِزهن حتى يَعْلَمَ معانيهن والعملَ بهن^(٥) - ما يُنبئُ عن جهلٍ من ظنَّ أو توهم أن معنى الخبر الذي ذكرنا عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه لم يكن يُفسّر من القرآن شيئاً إلا آتياً بعدد ، هو أنه لم يكن يُبيّن^(٦) لأمتيه من تأويله إلا اليسير القليل منه .

هذا مع ما فى الخبر الذى روى عن عائشة من العلة التى فى إسناده التى لا يجوز معها الاحتجاج به لأحد ممن علم صحيح سند الآثار وفاسدها فى الدين ؛ لأن راويه ممن لا يُعرف فى أهل^(٧) الآثار ، وهو جعفر بن محمد الزبيرى^(٨) .

وأما الأخبار التى ذكرناها عمّن ذكرناها عنه من التابعين بإحجامه عن التأويل ، فإن فعلَ من فعل ذلك منهم ، كفعل من أحجم منهم عن الفتيا فى التوازل والحوادث ، مع إقراره بأن الله جل ثناؤه لم يقبض نبيه إليه إلا بعد إكمال^(٩) الدين به

(١) فى ر : « الناس » .

(٢ - ٢) فى م : « فأدى » .

(٣) فى م : « لقليله » .

(٤) تقدم تخريجه فى ص ٧٤ .

(٥) فى ر : « بين » .

(٦) سقط من : ر .

(٧) ينظر ما تقدم فى ص ٧٩ .

(٨) فى ر : « كمال » .

لعباده ، وعلمه بأن لله في كل نازلة وحادثة حكمًا موجودًا بنص أو دلالة ، فلم يكن إحجامه عن القول في ذلك إحجامًا جاحدًا أن يكون لله فيه حكم موجود بين أظهر عباده ، [١/١٠١] ولكن إحجامًا خائف ألا يتلغ باجتهاده^(١) ما كلّف الله العلماء من عباده فيه .

فكذلك معنى إحجام من أحجم عن القيل في تأويل القرآن وتفسيره من العلماء السلف ، إنما كان إحجامه عنه حذرًا ألا يتلغ أداء ما كلّف من إصابة صواب القول فيه ، لا على أن تأويل ذلك مَحْجُوبٌ عن علماء الأمة ، غير موجود بين أظهرهم .

٤٠/١ / ذكر الأخبار عن بعض السلف في من كان من قداماء المفسرين محمودًا علمه بالتفسير ومن كان منهم مذمومًا علمه به^(٢)

حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا سفيان ، عن سليمان ، عن مسلم ، قال : قال عبد الله : نعم تُرجمان القرآن ابن عباس^(٣) .

حدثني يحيى بن داود الواسطي ، قال : حدثنا إسحاق الأزرق ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مشروق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : نعم^(٤) التّرجمان للقرآن^(٥) ابن عباس^(٥) .

(١) في م : « في اجتهاده » .

(٢) في م : « بذلك » .

(٣) أخرجه أحمد في الفضائل (١٥٥٨ ، ١٨٦٠) من طريق سفيان به .

(٤ - ٥) في م : « ترجمان القرآن » .

(٥) أخرجه المصنف في مسند ابن عباس من تهذيب الآثار ص ١٧٣ . وأخرجه أحمد في الفضائل (١٥٦٢) ، والفسوى في تاريخه ٤٩٦/١ ، والحاكم ٥٣٧/٣ من طريقين عن سفيان به . وصححه الحاكم على شرط الشيخين . وأخرجه ابن سعد ٣٦٦/٢ ، والفسوى ٤٩٥/١ من طريق الأعمش به .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ،
عَنْ أَبِي الضُّحَى ، عَنْ مسروقٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوْه ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا طَلْقُ بْنُ عَتَّامٍ ، عَنْ عَثْمَانَ الْمَكِّيِّ ، عَنْ ابْنِ أَبِي
مُلَيْكَةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ مُجَاهِدًا يَسْأَلُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَمَعَهُ أَلْوَاخُهُ ^(٢) ،
فَيَقُولُ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : اكْتُبْ . قَالَ : حَتَّى سَأَلَهُ عَنْ التَّفْسِيرِ كُلِّهِ ^(٣) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ وَيُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : عَرَضْتُ الْمَصْحَفَ عَلَى ابْنِ
عَبَّاسٍ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ ، مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ ، أَوْفَقَهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا ^(٤) .

حَدَّثَنِي عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسَفَ الْجُبَيْرِيُّ ^(٥) ، عَنْ أَبِي بَكْرٍِ الْحَنْفِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ
سَفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ : إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ فَحَسْبُكَ بِهِ ^(٦) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلِيمَانُ أَبُو ^(٧) دَاوُدَ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ

(١) أخرجه المصنف في مسند ابن عباس من تهذيب الآثار ص ١٧٢ . وأخرجه ابن أبي شيبة ١١١/١٢ ،
وأحمد في الفضائل (١٨٦٣) عن جعفر بن عون به . وقال ابن كثير في تفسيره ١٣/١ : هذا إسناد صحيح
إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة . وينظر الإصابة ١٤٦/٤ .

(٢) في م : « الواحد » .

(٣) ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٣/٣٦٩ ، وابن كثير في تفسيره ١٥/١ عن المصنف .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/٢٧٩ ، وابن عساكر في تاريخه ١٦/٢٥٢ (مخطوط) من طريق المحاربى
وغیره ، عن ابن إسحاق به . وحسن إسناده الذهبي في تذكرة الحفاظ ٦/٧٠٢ .

وأخرجه ابن سعد ٥/٤٦٦ ، وابن أبي شيبة ١٠/٥٥٩ ، وأحمد في الفضائل (١٨٦٦) من طريقين عن
مجاهد . وعند ابن سعد : ثلاثين عرضة .

(٥) في ر : « الحريرى » . وينظر تهذيب الكمال ١٩/١٧٩ .

(٦) ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٣/٣٦٩ ، وابن كثير في تفسيره ١٥/١ عن الثورى .

(٧) في ر : « ابن » . وهو سليمان بن داود ، أبو داود الطيالسى .

عبد الملك بن ميسرة، قال : لم يلق الضحّاك ابن عباس ، وإنما لقي سعيد بن جبّير بالروى ، فأخذ عنه التفسير ^(١) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، عن شعبة ، عن مُشاش ، قال : قلت للضحّاك : سمعت من ابن عباس شيئاً ؟ قال : لا ^(٢) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : حدثنا زكريا ، قال : كان الشعبي يكثر بأبي صالح باذان ، فيأخذ بأذنه فيغرّكها ^(٣) ، ويقول : تُفسّر القرآن وأنت لا تقرأ القرآن ^(٤) !

حدثنا عبد ^(٥) الله بن أحمد بن شُبويه ، قال : حدثنا علي بن الحسين بن واقد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا الأعمش ، قال : حدثني سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس : ﴿ وَاللّٰهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾ ^(٦) : قادر على أن يجزى بالحسنة الحسنه ، وبالسيئة

(١) أخرجه ابن معين فى تاريخه ٢٧٦/٤ (٤٣٥٢) ، والفسوى فى تاريخه ١٠٩/٢ ، والعقلى ٢١٨/٢ ، وابن أبى حاتم فى المراسيل ص ٩٥ ، وابن حبان فى الثقات ٤٨٠/٦ ، وابن عدى ١٤١٤/٤ من طريق أبى داود به . وينظر طبقات ابن سعد ٣٠١/٦ ، وسؤالات البرذعى ٦٨٢/٢ ، ٦٨٣ ، والجرح ٤/٤٥٨ ، ٣٣٣/٨ .

(٢) أخرجه ابن سعد ٣٠١/٦ ، وابن معين فى تاريخه ٢٧٦/٤ (٤٣٥١) ، وابن أبى حاتم فى المراسيل ص ٩٤ ، والجرح ٤/٤٥٨ ، ٤٥٩ من طريق أبى داود به . وينظر تاريخ الفسوى ١٠٨/٢ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، والجعديات (٢١) ، وضعفاء العقلى ٢١٨/٢ ، والكامل لابن عدى ١٤١٤/٤ .

(٣) عركه يعركه عركاً : ذلك . التاج (ع ر ك) .

(٤) أخرجه الفسوى فى تاريخه ٧٨٥/٢ من طريق عبد الله بن إدريس به . وأخرجه أيضاً ٦٨٥/٢ من طريق آخر عن الشعبي نحوه .

(٥) فى م : « عبيد » . وينظر الجرح ٦/٥ .

(٦) بعده فى م : « قال » .

السيئة. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠]. قال الحسين: فقلتُ للأعمش: حدثني به الكلبي إلا أنه قال: إن الله قادرٌ أن يجزي بالسيئة السيئة، وبالحسنة عشرًا. فقال الأعمش: لو أن الذي عند الكلبي عندي، ما خرج مني^(١) إلا بخفير^(١).

/حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: حدثنا علي بن حكيم الأودي، قال: ٤١/١ حدثنا عبد الله بن بكير، عن صالح بن مسلم، قال: مرّ الشعبي على السدّي وهو يُفسّر، فقال: لأن يُضربَ على استك بالطّيل، خيرٌ لك من مجلسك هذا^(٢).

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: حدثني علي بن حكيم، قال: حدثنا شريك، عن سلم^(٣) بن عبد الرحمن النخعي، قال: كنتُ مع إبراهيم، فرأى السدّي، فقال: أما إنه يُفسّر تفسير القوم^(٤).

حدثنا ابن البرقي، قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: سمعتُ سعيد بن بشير يقول عن قتادة، قال: ما^(٥) بقي أحدٌ يجري مع الكلبي في التفسير في عنان. قال أبو جعفر: قد قلنا فيما مضى من كتابنا هذا في وجوه تأويل القرآن، وأن تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة:

أحدها: لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي اشتأثر الله بعلمه، وحجب علمه

(١ - ١) في م: «بخفير». وخفير القوم: مجيرهم الذي يكونون في ضمانه ما داموا في بلاده. تاج العروس (خ ف ر).

(٢) أخرجه ابن عدى ٢٧٤/١ من طريق عبد الله بن بكير به بنحوه.

(٣) في النسخ: «مسلم». والمثبت من مصادر التخريج، وينظر تهذيب الكمال ٢٢٧/١١.

(٤) أخرجه أحمد في العلل ٧٠/١ (١٩٣)، وابن أبي حاتم في المرح ١٨٤/٢، وابن عدى ٢٧٤/١ من طريق شريك به.

(٥ - ٥) في م: «أرى أحدا».

عن جميع خلقه ، وهو أوقات ما كان من آجال الأمور الحادثة التي أخبر الله في كتابه أنها كائنة ؛ مثل وقت قيام الساعة ، ووقت نزول عيسى ابن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، والنفخ في الصور ، وما أشبه ذلك .

والوجه الثاني : ما خص الله ^(١) بعلم تأويله نبيه ﷺ دون سائر أمته ، وهو ما فيه مما بعباده إلى علم تأويله الحاجة ، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول ﷺ لهم تأويله .

والثالث منها : ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن ، وذلك علم تأويل غريبه ^(٢) وإعراجه ، لا يوصل إلى علم ذلك إلا من قبلهم .

فإذ ^(٣) كان ذلك كذلك ، فأحق ^(٤) المفسرين ^(٥) بإصابة الحق في تأويل القرآن الذي إلى علم تأويله للعباد السبيل ، أوضحهم حجة فيما تأول وفسر ، مما كان تأويله إلى رسول الله ﷺ دون سائر أمته ، من أخبار رسول الله ﷺ الثابتة عنه ، إما من جهة ^(٦) النقل المستفيض ، فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض ، وإما من جهة ^(٧) نقل العدول الأثبات ، فيما لم يكن عنه فيه النقل المستفيض ، أو من جهة ^(٨) الدلالة المنصوبة على صحته ، وأوضحهم ^(٩) برهاناً فيما تزجهم وبين ذلك مما كان مدركاً علمه من جهة اللسان ، إما بالشواهد من أشعارهم السائرة ، وإما من منطقتهم

(١ - ١) سقط من : ر .

(٢) في م : « غريبته » .

(٣) في م : « فإذا » ، وفي ت ١ : « فإن » .

(٤) في ر : « وأحق » .

(٥) في ت ١ : « التفسيرين » .

(٦) في م ، ت ٢ : « وجه » .

(٧) في ص ، ت ١ : « أصحابهم » .

ولغايتهم المستفيضة المعروفة ، كائناً من كان ذلك المتأول والمفسر ، بعد ألا يكون خارجاً تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة ، والخلف من التابعين وعلماء الأمة .

[١١/١ ط] القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه

قال أبو جعفر : إن الله عز وجل سَمَّى تنزيله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ أسماء أربعة ؛ منهن القرآن ، فقال في تسميته إياه بذلك في تنزيله : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ / هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِينَ ﴾ [يوسف : ٣] . وقال : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النمل : ٧٦] .

ومنهن الفرقان ، قال جل ثناؤه في وحيه إلى نبيه ﷺ مُسَمِّيه ^(١) بذلك : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

ومنهن الكتاب ، قال تبارك اسمه في تسميته إياه به ^(٢) : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا ﴾ [الكهف : ١ ، ٢] .

ومنهن الذكر ، فقال تعالى ذكره في تسميته إياه به : ﴿ إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَمُ الْخَافِضُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

ولكل اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب معنى ووجه غير معنى الآخر ووجهه .

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ : « يسميه » .

(٢) في ر : « بذلك » .

فأما القرآن ، فإن المفسرين اختلفوا في تأويله ، والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس من التلاوة والقراءة ، وأن يكون مصدراً من قول القائل : قرأت القرآن . كقولك : الحشران . من : خسرث ، و : العفران . من : غفر الله لك ، و : الكفران . من : كفرتك ، و : الفرقان . من : فرق الله بين الحق والباطل .

وذلك أن يحيى بن عثمان^(١) بن صالح السهمي حدثني ، قال : حدثنا عبد الله ابن صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ ﴾ . يقول : يتيه ، ﴿ فَأَنْتَعَزَّ أَنْتَهُ ﴾ [القيامة : ١٨] . يقول : اغمَلْ به .

ومعنى قول ابن عباس هذا : فإذا يتيه بالقراءة ، فاعمل بما يتيه لك بالقراءة . وما يؤضح صحة ما قلنا في تأويل حديث ابن عباس هذا ما حدثني به محمد ابن سعيد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [القيامة : ١٧] . قال : أن نُقرئك فلا تنسى ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ ﴾ عليك ، ﴿ فَأَنْتَعَزَّ أَنْتَهُ ﴾ . يقول : إذا تلى عليك فأنزع ما فيه .

قال أبو جعفر : فقد صرح هذا الخبر عن ابن عباس أن معنى القرآن عنده القراءة ،^(٢) وأنه^(٣) مصدر من قول القائل : قرأت . على ما يتيه^(٣) .

وأما على قول قتادة ، فإن الواجب أن يكون مصدراً من قول القائل : قرأت

(١) في ت ٢ : « عمر » .

(٢) - ٢) في م : « فإنه » .

(٣) في م : « قد قلناه » .

الشيء . إذا جمَعْتَهُ وضمَمْتَ بعضَه إلى بعضٍ ، كقولك : ما قرأت هذه الناقَةَ سَلَى ^(١) قَط . تُريدُ بذلك أنها لم تُضمَّ رَحِمًا على وليدٍ ، كما قال عمرو بنُ كُلثُومٍ التَّغْلِبِيُّ ^(٢) :

تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ وَقَدْ أَمِنْتَ عُيُونَ الكَاشِحِينَ ^(٣)
ذِرَاعِي عَيْطَلٍ ^(٤) أَذْمَاءَ ^(٥) بَكْرِ هِجَانٍ ^(٦) اللَوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا ^(٧)
يعنى بقوله : لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا . لَمْ تَضُمَّ رَحِمًا عَلَى وَلِيدٍ .

وذلك أن بشر بنَ مُعَاذٍ العَقَدِيِّ حَدَّثَنَا ، قال : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ ، عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ . يقول : حفظه ^(٨) وتأليفه ، ﴿ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحَ قُرْآنَهُ ﴾ . يقول : اتَّبَعَ حَلَالَهُ ، وَاجْتَنَبَ

(١) السلى ، والجمع أسلاء : الجلدة الرقيقة التى يكون فيها الولد ، يكون ذلك للناس والخيول والإبل ، وقيل : هو فى الماشية السلى ، وفى الناس المشيمة . اللسان (س ل ي) .

(٢) زيادة من : م ، ت ، ١ . والبيتان من معلقته المشهورة ، وهما فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنبارى ص ٣٧٧ - ٣٧٩ ، وشرح القصائد التسع المشهورات لابن النحاس ٧٨٢ / ٢ ، وشرح القصائد العشر للتبريزى ص ٢٢٤ .

(٣) الكاشحون ؛ الواحد الكاشح : العدو المضرر العداوة ، والعدو المبغض . تاج العروس (ك ش ح) .

(٤) العيطل : الناقة الطويلة فى حسن منظر وسمن . اللسان (ع ط ل) .

(٥) الأدمة فى الإبل : البياض مع سواد المقلتين . انظر اللسان (أ د م) .

(٦) الهجان من الإبل : البيض الكرام . اللسان (ه ج ن) .

(٧) ورد هذا الشطر فى شرح القصائد السبع وشرح القصائد العشر هكذا :

* تربعت الأجارع والمتونا *

وأورده الجوهري - كما فى اللسان (ع ط ل) :

* تربعت الأماعر والمتونا *

(٨) فى ت ١ : « لفظه » .

حرامه .

٤٣/١ / حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصُّنْعَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، قَالَ :
حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ بِمِثْلِهِ .

فَرَأَى قَتَادَةُ أَنَّ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ التَّأْلِيفُ .

قال أبو جعفر: ولكلا^(١) القولين - أغنى قول ابن عباس وقول قتادة - اللذين حكيتاهما ، وجهٌ صحيحٌ في كلام العرب ، غير أن أولى قوليهما^(٢) بتأويل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . قول ابن عباس ؛ لأن الله جل ثناؤه أمر نبيه ﷺ في غير آية من تنزيله باتباع ما أوحى إليه ، ولم يُرخص له في ترك اتباع شيء من أمره إلى وقت تأليفه القرآن ، فكَذلك قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ . نظير سائر ما في أي القرآن التي أمره الله فيها باتباع ما أوحى إليه في تنزيله ، ولو وجب أن يكون معنى قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ : فإذا أَلْفَنَاهُ فَاتَّبِعْ ما أَلْفَنَاهُ لك فيه - لوجب ألا يكون كان^(٣) لزمه فرض : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] . ولا فرض : ﴿ بِأَيِّهَا الْمَدِيدُ ﴾ ﴿ قُرْ فَأَنْذِرْ ﴾ [المدثر : ١ ، ٢] . قبل أن يُؤَلَّفَ إلى ذلك غيره من القرآن ، وذلك - إن قاله قائلٌ - خروج^(٤) من قول أهل المِلَّةِ .

(١) في ر : « لكل » .

(٢) في ر : « قولهما » .

(٣) في م : « كأن » .

(٤) في ر ، ت ٢ : « خرج » .

وإذ صحَّ أن حكم كل آية من آي القرآن كان لازماً للنبي^(١) ﷺ اتباعه والعمل به ، مؤلفة كانت إلى غيرها أو غير مؤلفة - صحَّ ما قال ابن عباس في تأويل قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَغِ قُرْآنَهُ ﴾ . أنه معنى^(٢) به : فإذا بيناه لك بقراءتنا ، فأتبع ما بيناه لك بقراءتنا . دون قول من قال : معناه : فإذا ألّفناه فأتبع ما ألّفناه .

وقد قيل : إن قول الشاعر^(٣) :

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ^(٤) عُنْوَانُ^(٥) السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا
يعنى به قائله : تسبيحًا وقراءةً .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يُسمَّى قرآنًا بمعنى القراءة ، وإنما هو مقروء ؟

قيل : كما جاز أن يُسمَّى المكتوب كتابًا ، بمعنى كتاب الكاتب ، كما قال الشاعر في صفة^(٦) طلاق كتبه لامرأته^(٧) :

تُؤْمَلُ رَجْعَةً مَنَى وَفِيهَا كِتَابٌ مِثْلُ مَا لَصِقَ الْغِرَاءُ
يُرِيدُ^(٨) طلاقًا مكتوبًا ، فجعل المكتوب كتابًا .

وأما تأويل اسمه الذي هو فُوقَان ، فإن تفسير أهل التفسير جاء في ذلك بألفاظ

(١) في ر : « للنبي » .

(٢) في م : « يعنى » .

(٣) هو حسان بن ثابت ، والبيت في ديوانه ص ٢١٦ ، وينظر حاشيته ، وعزاه إليه في العقد الفريد ٣ / ٨١ ،

٤ / ١٥٩ ، ٢٨٤ ، ٢٩٨ ، واللسان (ع ن) ، ونسب أيضا لأوس بن مغراء . ينظر خزنة الأدب ٩ / ٤١٨ .

(٤) الشمط : يياض شعر الرأس يخالط سواده . اللسان (ش م ط) .

(٥) العنوان : الأثر ، وكلما استدلت بشيء تظهره على غيره فهو له عنوان . اللسان (ع ن) .

(٦) بعده في م : « كتاب » .

(٧) البيت في التبيان ١ / ١٨ .

(٨) بعده في ر ، ت ١ : « به » .

مختلفة، هي في المعاني مؤتلفة.

فقال عكرمة فيما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا حكام بن سلم^(١)، عن^(٢) عتبسة، عن جابر، عن عكرمة أنه كان يقول: هو النجاة.

وكذلك كان الشدئي يتأوله، حدثنا بذلك محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن الفضل، قال: حدثنا أسباط، عن الشدئي. وهو قول جماعة غيرهما.

وكان ابن عباس يقول: الفرقان المخرج. حدثني بذلك يحيى بن [١٢/١] عثمان بن صالح، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وكذلك كان مجاهد / يقول في تأويله، حدثنا بذلك ابن حميد، قال: ٤٤/١ حدثنا حكام، عن عتبسة، عن جابر، عن مجاهد.

وكان مجاهد يقول في قول الله جل ثناؤه: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤٢]: يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل.

حدثني بذلك محمد بن عمرو الباهلي، قال: حدثني أبو عاصم، عن عيسى ابن ميمون، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد.

وكل هذه التأويلات في معنى الفرقان - على اختلاف ألفاظها - متقاربات المعاني؛ وذلك أن من جعل له مخرج من أمر كان فيه، فقد جعل له ذلك المخرج منه

(١ - ١) سقط من: ر. وينظر تهذيب الكمال ٨٣/٧.

(٢) في ت ٢: «سالم».

نَجَاةً ، وكذلك إِذَا نُجِيَ مِنْهُ ، فقد نُصِرَ عَلَى مَنْ بَعَا فِيهِ سُوءًا ، وَفُرِقَ بَيْنَهُ بِهِ ^(١) وَبَيْنَ
بَاغِيهِ السُّوءِ .

فَجَمِيعُ مَا رَوَيْنَا عَنْ رَوَيْنَا عَنْهُ فِي مَعْنَى الْفَرْقَانِ قَوْلٌ صَحِيحٌ الْمَعْنَى ؛ لِاتِّفَاقِ
مَعَانِي أَلْفَاظِهِمْ فِي ذَلِكَ .

وَأَصْلُ الْفَرْقَانِ عِنْدَنَا الْفَرْقُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ وَالْفَصْلُ بَيْنَهُمَا ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ
بِقَضَاءٍ ^(٢) ، وَاسْتِثْقَاذٍ ، وَإِظْهَارِ حُجَّةٍ ، وَنَصْرِ ^(٣) ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الْمُفَرَّقَةِ بَيْنَ
الْحَقِّ وَالْمُبْطَلِ . فَقَدْ تَبَيَّنَ ^(٤) بِذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ سُمِّيَ فَرْقَانًا ؛ لِفَصْلِهِ بِحُجَّتِهِ ^(٥)
وَأَدْلِيَّتِهِ ^(٦) وَحُدُودِ فَرَائِضِهِ ^(٧) وَسَائِرِ مَعَانِي حُكْمِهِ ، بَيْنَ الْحَقِّ وَالْمُبْطَلِ . وَفَرْقَانُهُ
بَيْنَهُمَا بِنَصَرِهِ الْحَقِّ وَتَخْذِيلِهِ الْمُبْطَلِ ، حَكَمًا وَقَضَاءً .

وَأَمَّا تَأْوِيلُ اسْمِهِ ^(٧) الَّذِي هُوَ كِتَابٌ ، فَهُوَ مُصَدَّرٌ مِنْ قَوْلِكَ : كَتَبْتُ كِتَابًا .
كَمَا تَقُولُ : قَمْتُ قِيَامًا ، وَحَسَبْتُ الشَّيْءَ حَسَابًا .

وَالْكِتَابُ هُوَ خَطُّ الْكَاتِبِ حُرُوفَ الْكِتَابِ ^(٨) الْمُعْجَمِ ، مَجْمُوعَةً وَمُفْتَرَقَةً ،
وَسُمِّيَ كِتَابًا وَإِنَّمَا هُوَ مَكْتُوبٌ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي اسْتَشْهَدْنَا بِهِ :

..... وَفِيهَا كِتَابٌ مِثْلُ مَا لَصِقَ الْغِرَاءُ

(١) سَقَطَ مِنْ : م .

(٢) فِي ر : « نَقَضَا » .

(٣) فِي م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « تَصَرَّفَ » .

(٤) فِي ر : « تَرَنَوْا » .

(٥) فِي م : « بِحُجَّتِهِ » .

(٦ - ٦) فِي م : « حُدُودُهُ وَفَرَائِضُهُ » .

(٧) سَقَطَ مِنْ : ر .

(٨) سَقَطَ مِنْ : م ، ت ٢ .

يعنى به مكتوباً .

وأما تأويل اسمه الذى هو ذكرٌ ، فإنه مُحْتَمِلٌ مَعْنَيْنِ ؛ أحدهما ، أنه ذكرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ، ذَكَرَ بِهِ عِبَادَهُ ، فَعَرَفَهُمْ فِيهِ حَدُودَهُ وَفَرَّائِضَهُ وَسَائِرَ مَا أَوْدَعَهُ مِنْ حَكَمِهِ . وَالْآخَرُ ، أَنَّهُ ذِكْرٌ وَشَرَفٌ وَفَخْرٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ بِمَا فِيهِ ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف : ٤٤] . يعنى به أنه شرفٌ له ولقومه .
(١) ثم لسور القرآن أسماء سماهن بها رسول الله ﷺ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْعَوَّامِ ، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ الْعَسْقَلَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا رَوَّادُ^(٢) بْنُ الْجَرَّاحِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ ، جَمِيعًا عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ ، عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «أُعْطِيتُ مَكَانَ الثُّورَةِ السَّبْعِ الطُّوْلِ ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزُّبُورِ الْمِئِينَ ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمِائَتَيْنِ ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفْضَلِ»^(٣) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ خَالِدِ الْحَذَّاءِ ، عَنْ أَبِي

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « داود » . وينظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٢٧ .

(٣) أخرجه الطيالسى (١١٠٥) ، ومن طريقه أحمد ١٨٨/ ٢٨ (١٦٩٨٢) ، والطحاوى فى المشكل (١٣٧٩) ، والنحاس فى القطع والائتناف ص ٨١ ، والبيهقى فى الدلائل ٤٧٥/ ٥ .

وأخرجه الطبرانى ٧٥/ ٢٢ (١٨٦) ، والبيهقى فى الشعب (٢٤٨٤) من طريق أبى العوام عمران القطان به .

وأخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ١١٩ ، ١٢٠ ، والطبرانى ٧٦/ ٢٢ (١٨٧) ، والبيهقى (٢٤٨٥) من طريق سعيد بن بشير به .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٥٥/ ١ من رواية سعيد ، وقال : هذا حديث غريب ، وسعيد بن بشير فيه لين . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبى إسحاق الحوينى ٤١/ ٢ ، والسلسلة الصحيحة (١٤٨٠) .

قِلَابَةً، قال : قال رسول الله ﷺ : « أُعْطِيتُ السَّبْعَ الطُّوْلَ مَكَانَ التَّوْرَةِ ، وَأُعْطِيتُ الْمَثَانِي مَكَانَ الزَّبُورِ ، وَأُعْطِيتُ الْمِثِينَ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفْصَلِ » ^(١) . قال خالد : كانوا يُسَمُّونَ الْمُفْصَلَ الْعَرَبِيَّ . قال خالد : قال بعضهم : ليس في الْعَرَبِيِّ سجدةٌ .

/ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا حَكَّامُ بْنُ سَلَمٍ ^(٢) ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن عاصم ، عن المسيب ، عن ابن مسعود ، قال : الطُّوْلُ كالتَّوْرَةِ ، وَالْمِثُونَ كَالْإِنْجِيلِ ، وَالْمَثَانِي كَالزَّبُورِ ، وَسَائِرُ الْقُرْآنِ بَعْدُ ^(٣) فَضَّلَ عَلَى الْكِتَابِ ^(٤) .

حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ الْوَصَائِي ^(٥) مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصٍ ، قال : أَنْبَأَنَا ^(٦) أَبُو جَمِيرٍ ، حَدَّثَنَا الْفَزَارِيُّ ، عن ليث بن أبي شليم ^(٧) ، عن أبي بُرْدَةَ ، عن أبي المَلِيحِ ، عن واثلة ، عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ ^(٨) قال : « أُعْطَانِي رَبِّي مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطُّوْلَ ، وَمَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِي ، وَمَكَانَ الزَّبُورِ الْمِثِينَ ، وَفُضِّلَنِي بِالْمُفْصَلِ » ^(٩) .

(١) أخرجه ابن الضريس ، في فضائل القرآن (١٥٧) من طريق خالد به بلفظ : وأعطيت المثنى مكان الإنجيل .

(٢) في ت ٢ : « سالم » .

(٣) في ر : « يعد » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠١/٦ إلى المصنف . والمسيب - هو ابن رافع - لم يلتق ابن مسعود ، وإنما يروى عن مجاهد ونحوه .

(٥) في ر : « الوجابي » ، وفي م : « الوصائي قال حدثنا » ، وفي ت ١ : « الوصائي قال حدثنا » . ومحمد بن حفص هو أبو عبيد الوصائي . ينظر الجرح ٢٣٧/٧ .

(٦ - ٦) في م : « أبو حميد » . وهو محمد بن حمير ، أبو عبد الله ، أو أبو عبد الحميد . ينظر تهذيب الكمال ١١٦/٢٥ .

(٧) في ر : « سلهم » . وينظر تهذيب الكمال ٢٨٢/٢٤ .

(٨) سقط من : م .

(٩) إسناده ضعيف ؛ أبو عبيد الوصائي ، قال ابن أبي حاتم : أردت قصده والسماع منه ، فقال لي بعض أهل =

قال أبو جعفر: والسبع الطلّ؛ البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، في قول سعيد بن جبير.

حدثني بذلك يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هُشَيْمٌ، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير.

وقد روى عن ابن عباس قولٌ يدلُّ على موافقته قول سعيد هذا.

وذلك ما حدثنا به محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي ويحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر وسهل بن يوسف، قالوا: حدثنا عوف، قال: حدثني يزيد الفارسي، قال: حدثني ابن عباس، قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى «الأنفال» وهي من المثاني، وإلى «براءة» وهي من المئين، فقرنتم^(١) بينهما ولم تكتبوا بينهما^(٢) سطر: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطلّ، ما حملكم على ذلك؟ قال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل^(٣) عليه شيء^(٤) دعا ببعض من كان يكتب فيقول: «ضعوا هؤلاء»^(٥) الآيات في السورة التي يذكّر فيها كذا

= حمص: ليس بصدوق، ولم يدرك محمد بن حمير، فتركه. وأخرجه الطبراني في الكبير (٨٠٠٣)، (٨٠٠٤) من طريق ليث به من حديث أبي أمامة. وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٥٨: فيه ليث بن أبي سليم وقد ضعفه جماعة، ويعتبر بحديثه، وبقيّة رجاله رجال الصحيح.

(١) في ت ٢: «فقرنتم»، وفي ت ١: «ففرقتم».

(٢) سقط من: م.

(٣) في ر: «أنزل».

(٤) سقط من: ر.

(٥) في م، ت ٢: «هذه».

وَكُذَّا». وكانت «الأنفال» من أوائل ما أنزل بالمدينة، وكانت «براءة» من^(١) آخر القرآن^(٢)، وكانت^(٣) قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يُبين^(٤) لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرئت بينهما ولم أكتب بينهما سطر: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ووضعتها^(٥) في السبع الطول^(٦).

فهذا الخبر^(٧) يُنبئ عن عثمان بن عفان، رحمة الله عليه، أنه لم يكن يبين له أن «الأنفال» و «براءة» من السبع الطول، ويُصرِّح عن ابن عباس أنه لم يكن يرى ذلك منها.

ولما سُميت هذه السور^(٨) السبع الطول^(٩)؛ لطولها على سائر سور القرآن. وأما الميئون، فهي ما كان من سور القرآن عدد آيه مائة آية، أو تزيد عليها شيئاً أو

(١) في ص، ر: «في».

(٢) بعده في م: «نزولاً».

(٣) في ر: «كان».

(٤) في ر: «ينها».

(٥) في م: «فوضعتها».

(٦) حديث منكر؛ تفرد به يزيد الفارسي، وهو في عداد المجهولين، وهو غير يزيد بن هرمز. وأخرجه الترمذي

(٣٠٨٦)، وابن أبي داود في المصاحف ص ٣٠ عن محمد بن بشار به.

وأخرجه أحمد ٤٥٩/١، ٤٦٠، (٣٩٩)، وعمر بن شبة في تاريخ المدينة ١٠١٥/٣، والنسائي في الكبرى

(٨٠٠٧) من طريق يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر به.

وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٥٢، وأحمد ٥٢٩/١، (٤٩٩)، وأبو داود (٧٨٦، ٧٨٧)، وابن

أبي داود ص ٣٢، وابن حبان (٤٣)، والحاكم ٢/٢٢١، ٣٣٠، والبيهقي ٤٢/٢ من طرق عن عوف به.

وينظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند ١/٣٢٩ - ٣٣١ (٣٩٩).

(٧) سقط من: ر.

(٨) في ر: «السورة».

(٩) في ر: «طوالا».

تَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا يَسِيرًا .

وأما المثنائي ، فإنها ما ثنى المثنى فتلاها ، فكان المثنى لها أوائل ، وكان المثنائي لها ثوانى . وقد قيل : إن المثنائي سُمِّيَتْ مثنائي ؛ لثنية الله جل [١٢/١] ذكره فيها الأمثال والخبر والعبر . وهو قول ابن عباس .

حدثنا بذلك أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدثنا ابنُ يَمَانٍ ، عن سفيانَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عثمانَ ، عن سعيدِ بنِ جبْرِ ، / عن ابنِ عباسٍ . ٤٦/١

وروى عن سعيدِ بنِ جبْرِ أنه كان يقولُ : إنما سُمِّيَتْ مثنائي ؛ لأنها ثُنِيَتْ فيها الفرائضُ والحدودُ .

حدثنا بذلك محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : حدثنا شعبةٌ ، عن أبي بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبْرِ .

وقد قال جماعةٌ يَكْثُرُ تَعْدَادُهُمْ : القرآنُ كُلُّهُ مثنائي .

وقال جماعةٌ أُخَرُ^(١) : بل المثنائي فاتحةُ الكتابِ ؛ لأنها ثُنِيَتْ قراءتها في كُلِّ صلاةٍ .

وسنذكرُ أسماءَ قائلِي ذلك وعللَهُمْ ، والصوابَ مِنَ القولِ فيما اختلفوا فيه مِنْ ذلك إذا انتهَيْنَا إلى تأويلِ قولِهِ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ [الحجر : ٨٧] .
 إنَّ اللهَ شاءَ^(٢) ذلك .

(١) في م : « أخرى » .

(٢ - ٢) في م : « شاء الله » .

وبمثل ما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ في أسماء سور القرآن التي ذُكرت ، جاء شعُر الشعراء ، فقال بعضهم ^(١) :

حَلَفْتُ بالسبع اللواتى طُولت
وبمِئِينَ بعدها قد أُنْمِيَتْ
وبِمَثَانِ ثُنِيَتْ فَكُرِّرَتْ
وبالطَّوَّاسِينَ ^(٢) التى ^(٣) قد ثُلُثَتْ
وبالحَوَامِيمِ اللواتى شُبِّعَتْ ^(٤)
وبالمُفَصَّلِ اللواتى قُصِّلَتْ

قال أبو جعفر : وهذه الأبيات تدلُّ على صحة التأويل الذى تأوَّلناه فى هذه الأسماء .

وأما المُفَصَّلُ ، فإنما ^(٥) سُمِّيَتْ مُفَصَّلًا ؛ لكثرة الفصول التى بين سورها
بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

ثم تُسَمَّى ^(٦) كلُّ سورة من سور ^(٧) القرآن سورةً ، وتُجْمَعُ سُورًا ، على تقدير
خُطْبَةٍ وَخُطْبٍ ، وَغُرْفَةٍ وَغُرْفٍ .

(١) الرجز غير منسوب فى مجاز القرآن ٧/١ ، واللسان (ط س م) .

(٢) فى مصدرى التخرىج : « بالطَّوَّاسِيم » . والطَّوَّاسِينَ والطَّوَّاسِيم هى طسم الشعراء ، وطسم النمل ، وطسم القصص .

(٣) سقط من : م .

(٤) الحواميم اللواتى سبعت : سبع سور ، من سورة غافر إلى سورة الأحقاف ، كلها تبدأ بـ « حم » .

(٥) فى م : « فإنها » .

(٦) فى ر : « يسم » .

(٧) سقط من : م .

والسورة بغير همز : المنزلة من منازل الارتفاع ، ومن ذلك سور المدينة ، سُمِّيَ^(١) بذلك الحائط الذي يخويه ؛ لارتفاعه على ما يخويه ، غير أن الشورة من سور المدينة لم يُسمَع في جمعها سورٌ ، كما سُمِع في جمع سورة من القرآن سورٌ ، قال العجاج^(٢) في جمع السورة من^(٣) البناء :

فَرُبُّ ذِي سَرَادِقٍ^(٤) مَخْجُورٍ
سُرْتُ^(٥) إِلَيْهِ فِي أَعَالِي السُّورِ

فخرج تقدير^(٦) جمعها على تقدير جمع بُرَّة وبُشْرَة ؛ لأن^(٧) ذلك يُجمَع بُرًّا وبُشْرًا^(٨) ، وكذلك لم يُسمَع في جمع سورة من القرآن سورٌ ، ولو جُمِعَت كذلك لم يكن خطأ في القياس إذا أُريد به جميع القرآن ، وإنما تركوا - فيما يُرى - جمعه كذلك ؛ لأن كلَّ جمع كان بلفظ الواحد المذكر ، مثل بُرٍّ وشعير وقَصَبٍ وما أشبه ذلك ، فإن جماعه^(٩) «مَجْرَى الواحد»^(١٠) من الأشياء غيره ؛ لأن حكم الواحد منه منفردًا^(١١) قلما يُصاب ، فجزى جماعه مَجْرَى الواحد من الأشياء^(١٢) غيره ، ثم

(١) في ر : « تسمى » .

(٢) في ر : « الحجاج » . والرجز في ديوان العجاج ص ٢٢٤ .

(٣) سقط من : ر .

(٤) السرادق : كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب أو الحائط المشتمل على الشيء . اللسان (س ر د ق) .

(٥) سُرْتُ الحائط سورًا بالفتح وتسورته : علوته . التاج (س و ر) .

(٦) في م : « بتقدير » .

(٧ - ٨) في م : « جمع ذلك بر وبسر » .

(٨) في م : « جماعة » .

(٩ - ١٠) في م ، ت ، ٢ : « كالواحد » .

(١٠) في م : « مفردا » .

(١١) سقط من : ر ، ت ، ١ .

جُعِلَت الواحدةُ منه كالقطعةِ من جميعه ، فقيل : بُرَّةٌ وشَعِيرَةٌ وقَصَبَةٌ . يُرادُ به قطعةٌ منه ، ولم تكن سُورُ القرآنِ موجودةً مجتمعَةً اجتماعَ البرِّ والشعيرِ وسُورِ المدينة ؛ بل كُلُّ سورةٍ منها موجودةٌ منفردةٌ بنفسِها انفراداً كُلُّ غرفةٍ مِنَ الغرفِ وخطبةٍ مِنَ الخطبِ ، فجُعِلَ جمعُها جمعُ الغرفِ والخطبِ ، المَبْنِيُّ جمعُها مِنَ واحدِها .

وَمِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَعْنَى السُّورَةِ الْمُنزَلَةُ مِنَ الْارْتِفَاعِ قَوْلُ نَابِغَةَ بَنِي دُثَيَّانَ ^(١) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَّبُ
يعنى بذلك أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ مَنْزِلَةً مِنْ مَنَازِلِ الشَّرَفِ الَّتِي قَصَّرَتْ عَنْهَا مَنَازِلُ
الْمُلُوكِ .

وَقَدْ هَمَزَ بَعْضُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَتَأَوَّلُهَا فِي لُغَةٍ مِنْ ^(٢) هَمَزَها ، الْقِطْعَةُ
الَّتِي قَدْ أَفْضَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ عَمَّا / سِوَاهَا وَأُتِّقِيَتْ ، وَذَلِكَ أَنَّ سُورَةَ كُلِّ شَيْءٍ الْبَقِيَّةُ مِنْهُ ٤٧/١
تَبَقَّى بَعْدَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْهُ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ الْفَضْلَةُ مِنْ شَرَابِ الرَّجُلِ يَشْرَبُهُ ثُمَّ
يُفْضِلُهَا فَيَبْقِيهَا فِي الْإِنَاءِ : سُورًا . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَغْشَى بَنِي ثَعْلَبَةَ يَصِفُ امْرَأَةً فَارَقَتْهُ
فَأَبْقَتْ فِي قَلْبِهِ مِنْ وَجْدِهَا بَقِيَّةً ^(٣) :

فَبَانَتْ وَقَدْ أَشَارَتْ فِي الْفَوْأِ دِ صَدْعًا عَلَى نَائِيهَا مُشْتَطِيرًا
وَقَالَ الْأَغْشَى فِي مِثْلِ ذَلِكَ ^(٤) :

(١) ديوانه ص ٧٨ ..

(٢) سقط من : م .

(٣) ديوان الأعشى ص ٩٣ .

(٤) ديوانه ص ١٠١ .

بانت وقد أشارت في النفس حاجتها بعد اتِّلافٍ وخيرِ الزُّدِّ ما نفعا
وأما الآية من آي^(١) القرآن فإنها تحتمل وجهين في كلام العرب ؛

أحدهما : أن تكون سُمِّيت آيةً ؛ لأنها علامةٌ يُعرَفُ بها تمام ما قبلها وابتدائها ،
كالآية التي تكون دلالةً على الشيء يُستدلُّ بها عليه ، كقول الشاعر^(٢) :

أَلِكُنِي إِلَيْهَا عَمْرُكَ اللَّهُ يَا فَتَى بآيةٍ ما جاءت إلينا تَهَادِيَا^(٣)

يعنى : بعلامة ذلك . ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ﴾ [المائدة : ١١٤] .^(٤) 'يعنى بذلك' :
علامةً منك لإجابتك دُعَاءَنَا وإعْطَائِكَ إِيَّانَا سُؤْلَنَا .

والآخرُ منهما : القِصَّةُ ، كما قال كعبُ بنُ زُهَيْرٍ بنِ أَبِي سُلَمَى^(٥) :

أَلَا أُبْلِغَا^(٦) هَذَا الْمُعَرِّضَ آيَةً^(٧) أَيَقْظَانُ قَالَ الْقَوْلَ إِذْ قَالَ أَمْ حَلَمَ

يعنى بقوله : آيةٌ : رسالةً منى وخبراً عنى . فيكون معنى الآياتِ الْقِصَصُ ، قصةٌ
تُتْلُو قصةً ، بِفُصُولٍ وَوُصُولٍ .

(١) سقط من : م .

(٢) هو سحيم عبد بنى الحسحاس ، والبيت فى ديوانه ص ١٩ .

(٣) التهادى : المشى فى تمايل وسكون . اللسان (ه د ي) .

(٤ - ٤) فى م : « أى » .

(٥) ديوانه ص ٦٤ .

(٦) فى م : « بلغا » .

(٧) فى الديوان : « أنه » . وورد على الصواب فى طبقات فحول الشعراء ١٠٦/١ . وقال الشيخ محمود شاکر : والآية بمعنى الرسالة لم تذكره كتب اللغة ، ولكن شواهد لا تعد كثرة . ثم ساق الشواهد على ذلك من الشعر . وينظر تفسير الطبرى بتحقيقه .

القول فى تأويل أسماء فاتحة الكتاب

قال أبو جعفر: صحَّ الخبرُ عن رسولِ الله ﷺ بما حدَّثنى به يونسُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: حدَّثنا ابنُ وهبٍ، قال: أخبرنى ابنُ أبى ذئبٍ، عن سعيدِ المقبرى، عن أبى هريرة، عن رسولِ الله ﷺ، [١٣/١] قال: «هى أمُّ القرآنِ، وهى فاتحةُ الكتابِ، وهى السَّبْعُ المثانى».

فهذه أسماءُ فاتحةِ الكتابِ.

وسُمِّيت فاتحةُ الكتابِ لأنه ^(١) يُفْتَتَحُ بكتابتها المصاحفُ، ^(٢) وبقراءتها الصلواتُ ^(٣)، فهى فَوَاتِحُ لما يَتْلُوها مِن سُورِ القرآنِ فى الكتابِ ^(٤) والقراءة. وسُمِّيت أمُّ القرآنِ لتَقْدِمُها ^(٥) على سائرِ سُورِ القرآنِ غيرِها وتأخِّرَ ما سواها خَلْفَها فى القراءة والكتابة. وذلك مِن معناها شبيهةً بمعنى فاتحةِ الكتابِ، وإنما قيل لها - لكونها كذلك - : أمُّ القرآنِ ؛ لتسمية العربِ كلَّ جامعٍ أمراً أو مُقَدِّمٍ لأمرٍ، إذا كانت له توابعٌ تَتَّبِعُه، هو لها إمامٌ جامعٌ، أمَّا، فتقولُ للجلدةِ التى تَجْمَعُ الدِّماغَ : أمُّ الرأسِ. وتُسَمَّى ^(٦) لواءَ الجيشِ ورايتهم التى يَجْتَمِعُونَ تحتَها للجيشِ أمَّا، ومن ذلك قولُ ذى الرُّمَّةِ يَصِفُ رايةً مَعْقُودَةً على قناةٍ يَجْتَمِعُ تحتَها هو وصحبُه ^(٧) :

(١) فى م، ت ٢: «لأنها».

(٢ - ٢) فى م: «ويقرأ بها فى».

(٣) فى ت ٣: «الصلوة».

(٤) فى م: «الكتابة».

(٥) فى ص، ر: «لتقدمتها».

(٦) فى ر: «نسم».

(٧) ديوان ذى الرمة ٣/ ١٤٤٥، ١٤٤٦.

وَأَسْمَرَ قَوَامٍ إِذَا نَامَ صُحْبَتِي خَفِيفَ الثِّيَابِ لَا تُوَارِي لَهُ أَزْرًا^(١)
 ٤٨/١ / عَلَى رَأْسِهِ أُمَّ لَنَا نَقْتَدِي بِهَا جَمَاعُ أُمُورٍ لَا تُعَاصِي لَهَا أَمْرًا
 إِذَا نَزَلَتْ قِيلَ انْزِلُوا وَإِذَا غَدَتْ غَدَتْ ذَاتُ^(٢) بَرْزِيقٍ تَخَالُ^(٣) بِهَا فَخْرًا
 يعنى بقوله : على رأسه أُمَّ لَنَا . أى : على رأسِ الرمحِ رايةٌ يَجْتَمِعُونَ لها فى
 النزولِ والرَّحِيلِ وعندَ لقاءِ العدوِّ .

وقد قيل : إن مكة سُمِّيَتْ أُمَ الْقُرَى لتقدمها أمامَ جميعها ، وجميعها ما سواها .
 وقيل : إنما سُمِّيَتْ بذلك ؛ لأن الأرضَ دُحِيتَ منها ، فصارت لجميعها أُمًّا . ومن
 ذلك قولُ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ الْهَلَالِيِّ^(٤) :

إِذَا كَانَتْ^(٥) الْخَمْسُونَ أُمَّكَ^(٦) لَمْ يَكُنْ لَدَائِكَ إِلَّا أَنْ تُمُوتَ طَبِيبُ
 لأن الخمسين جامعة ما دونها من العدد ، فسماها أُمًّا للذى قد بلغها .

وأما تأويلُ اسمِها أنها السبعُ ، فإنها سبعُ آياتٍ ، لا خلافَ بينَ الجميعِ من
 القراءِ والعلماءِ فى ذلك ، وإنما اختلفوا فى الآي التى صارت بها سبعُ آياتٍ .

(١) الأزر : الظهر . اللسان (أزر) :

(٢ - ٣) فى م : « تزريق نال » .

والبرزيق ؛ والجمع البرازيق ، فارسى معرب : جماعات الناس ، وقيل : جماعات الخيل ، وقيل : هم
 الفرسان . اللسان (ب ر ز ق) .

(٣) البيت ليس لحميد بن ثور وإنما هو لأبى محمد التيمى عبد الله بن أيوب ، ترجمته فى الأغاني ٢٠ / ٤٤ .
 والبيت فى البيان والتبيين ٣ / ١٩٥ ، ومجموعة المعانى ص ١٢٤ ، وبهجة المجالس ٢ / ٢٣٤ ، ونسب فيها
 للتيمى ، ونسبه فى محاضرات الأدباء لأبى محمد التيمى ٢ / ١٤٩ ، ووقع فى عيون الأخبار ٢ / ٣٢٢ أنه
 للحجاج بن يوسف التيمى .

(٤ - ٥) فى البيان والتبيين ، ومجموعة المعانى ، وبهجة المجالس ، وعيون الأخبار : « السبعون سنك » ، وفى
 محاضرات الأدباء : « الستون سنك » .

فقال عَظُمُ^(١) أهل الكوفة : صارت سبع آيات ، ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . ورُوي ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين .

وقال آخرون : بل^(٢) هي سبع آيات ، وليس منهن : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . ولكن السابعة : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ . وذلك قول عَظُمُ قراءة أهل المدينة ومُتَّفَقُهُمْ^(٣) .

قال أبو جعفر : وقد بينا الصواب من القول عندنا في ذلك في كتابنا « اللطيف في أحكام شرائع الإسلام » ، بوجيز من القول ، وسنستقصي بيان ذلك بحكاية أقوال المختلفين فيه من الصحابة والتابعين والمتقدمين والمتأخرين في كتابنا الأكبر « في أحكام شرائع الإسلام » إن الله شاء ذلك .

وأما وصفُ النبي ﷺ آياتها السبع بأنهن مثنان ؛ فلأنها تُثنى قراءتها في كل صلاة تطَوُّع ومكتوبة ، وكذلك كان الحسنُ البصريُّ يتأَوَّل ذلك .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيم ، قال : حدَّثنا ابنُ عُليَّة ، عن أبي رجاء ، قال : سألت الحسنَ عن قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : ٨٧] . قال : هي فاتحة الكتاب . ثم سُئِل عنها وأنا أسمع ، فقرأها : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . حتى أتى على آخرها ، فقال : تُثَنَّى في كل قراءة . أو قال : في كل صلاة . الشكُّ من أبي جعفر .

(١) في م : « أعظم » . وعظم الشيء ومعظمه : جله وأكثره . اللسان (ع ط م) .

(٢) سقط من : م .

(٣) في ص : « متفقيهم » .

(٤) في ر ، ت ، ١ : « من » .

والمعنى الذى قلنا فى ذلك قصْدُ أبو النَّجْمِ العِجْلِيُّ بقوله ^(١) :

الحمدُ لله الذى عافانى

وكلَّ خيرٍ بعده أَعْطانى

من القرآنِ ومن المَثانى ^(٢)

وكذلك قولُ الراجزِ الآخرِ ^(٣) الذى يقولُ :

نشذُّكم بمُنزِلِ الفرقانِ

أم الكتابِ السبعِ من مَثانى

ثُنَيْنِ ^(٤) من آيِ القرآنِ

والسبعِ سبعِ الطُّولِ الدَّوانى

وليس فى وجوبِ ^(٥) اسمِ السبعِ المَثانى لفاحةِ الكتابِ ما يَدْفَعُ صحَّةَ وجوبِ ^(٦)

٤٩/١ اسمِ المَثانى للقرآنِ كُلِّهِ ، / ولَمَّا ثَنَّى المِثْنِ مِنَ الشُّورِ ؛ لَأَنَّ لكلَّ ذلكَ وجهًا ومعنى

مفهوماً ، لا يَفْسُدُ بتسميةِ بعضِ ذلكَ بالمَثانى تسميةٌ غيره بها .

فأما وجهُ تسميةِ ما ثَنَّى المِثْنِ من سورِ القرآنِ بالمَثانى ، فقد بيَّنا صحَّته ،

وسنَدُ على صحَّةِ وجهِ تسميةِ جميعِ القرآنِ به عندَ انتهائنا إليه ، فى سورةِ « الزُّمَرِ »

إن شاء الله تعالى .

(١) مجاز القرآن ٧/١ ، واللسان (ث ن ي) ، من غير نسبة .

(٢) فى مجاز القرآن واللسان :

* رب المَثانى الآى والقرآن *

وفى اللسان : « مَثانى » . بدلا من : « المَثانى » .

(٣ - ٣) سقط من : م . والرجز فى مجاز القرآن ٧/١ .

(٤) فى م : « تبين » .

(٥) فى ص ، ت ٢ : « وجوه » ، وفى م : « وجود » .

(٦) فى م : « وجود » .

القول في تأويل الاستعاذة

تأويل قوله : « أَعُوذُ » .

والاستعاذة الاستجارة .

وتأويل قول القائل : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ » : أَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ ، مِنَ الشَّيْطَانِ ، أَنْ يَضُرَّنِي فِي دِينِي ، أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ حَقِّ يَلِزْمَنِي لِرَبِّي .

تأويل قوله : « مِنَ الشَّيْطَانِ » . وَالشَّيْطَانُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كُلُّ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْدَّوَابِّ وَكُلُّ شَيْءٍ . وَلِذَلِكَ ^(١) قَالَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام : ١١٢] . فَجَعَلَ مِنَ الْإِنْسِ شَيَاطِينَ مِثْلَ الَّذِي جَعَلَ مِنَ الْجِنِّ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَرَكِبَ بِرِذْوَنًا ^(٢) فَجَعَلَ يَتَبَحَّثُ بِهِ ، فَجَعَلَ يَضُرُّهُ فَلَا يَزْدَادُ إِلَّا تَبَحُّثًا ، فَنَزَلَ عَنْهُ ، وَقَالَ : مَا حَمَلْتُمُونِي إِلَّا عَلَى شَيْطَانٍ ، مَا نَزَلْتُ عَنْهُ حَتَّى أَنْكَرْتُ نَفْسِي .

حَدَّثَنَا بِذَلِكَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُمَرَ ^(٣) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمُتَمَرِّدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَيْطَانًا ؛ لِمَفَارِقَةِ أَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ أَخْلَاقَ سَائِرِ جَنْسِهِ وَأَفْعَالَهُ ، وَبُعْدِهِ مِنَ الْخَيْرِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ أُخِذَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ :

(١) فِي م : « كَذَلِكَ » .

(٢) الْبِرْذَوْنُ مِنَ الْخَيْلِ : مَا لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ ، وَهُوَ الْعَظِيمُ الْخَلْقَةُ الْجَافِيهَا الْغَلِيظُ الْأَعْضَاءُ . تَاجُ الْعُرُوسِ (بِرْذَوْنٌ) .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣١/١ عَنْ ابْنِ وَهْبٍ بِهِ . وَقَالَ : لِإِسْنَادِهِ صَحِيحٌ . وَيَنْظُرُ مُصَنِّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ

٢٧٨/١٣ ، وَتَارِيخُ دِمَشْقَ (ص ٢٦١ - تَرْجُمَةُ عُمَرَ) ، طَبْعَةُ الرِّسَالَةِ .

شَطَنَتْ دَارِي مِنْ دَارِكَ . يُرِيدُ بِذَلِكَ : بَعْدَتْ . وَمِنْ ذَلِكَ [١٣/١ ط] قَوْلُ نَابِغَةَ بَنِي دُثْيَانَ ^(١) :

نَأَتْ بِسَعَادَ عَنْكَ نَوَى شَطُونُ فَبَاءَتْ وَالْفَوَازُ بِهَا زَهِيْنُ
وَالنَّوَى : الْوَجْهَ الَّذِي نَوَتْهُ وَقَصَدَتْهُ . وَالشَّطُونُ : الْبَعِيدُ . فَكَأَنَّ الشَّيْطَانَ عَلَى
هَذَا التَّأْوِيلِ فَيَعَالُ مِنْ : شَطَنَ . وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَوْلُ أُمِيَّةَ بِنِ أَبِي
الصَّلْتِ ^(٢) :

أَيُّمَا شَاطِئِينَ عَصَاهُ عَكَاهُ ^(٣) ثُمَّ يُلْقَى فِي السَّجَنِ وَالْأَكْبَالِ ^(٤)
وَلَوْ كَانَ فَعْلَانُ مِنْ : شَاطَ يَشِيْطُ لَقَالَ : أَيُّمَا شَائِطٍ . وَلَكِنَّهُ قَالَ : أَيُّمَا
شَاطِئِينَ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ : شَطَنَ يَشْطُنُ ، فَهُوَ شَاطِئٌ .

تَأْوِيلُ قَوْلِهِ : « الرَّجِيمِ » .

وَأَمَّا الرَّجِيمُ فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ^(٥) ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ : كَفَّ خَضِيْبُ ،
وَلَحِيَّةٌ دَهِيْنُ ، وَرَجُلٌ لَعِيْنُ . يُرِيدُ بِذَلِكَ : مَخْضُوْبَةٌ ، وَمَدْهُونَةٌ ، وَمَلْعُونٌ . وَتَأْوِيلُ
الرَّجِيمِ : الْمَلْعُونُ الْمُشْتَوَمُ . وَكُلُّ مُشْتَوَمٍ بِقَوْلٍ رَدِيٍّ أَوْ سَبٍّ فَهُوَ مَرْجُومٌ . وَأَصْلُ
الرَّجْمِ الرَّمْيُ ، بِقَوْلٍ كَانَ أَوْ بِفَعْلٍ . وَمِنْ / الرَّجْمِ بِالْقَوْلِ : قَوْلُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ٥٠/١
لِإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : ﴿ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهَ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ [مريم : ٤٦] .

وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قِيلَ لِلشَّيْطَانِ : رَجِيمٌ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ طَرَدَهُ مِنْ
سَمَاوَاتِهِ ، وَرَجَمَهُ بِالشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ .

(١) ديوانه ص ٢٥٦ .

(٢) ديوانه ص ٦٤ .

(٣) عكوته في الحديد والوثاق عكوا : شددته . اللسان (ع ك و) .

(٤) في الديوان : « الأغلال » ، وفي نسخة منه « الأكبال » ، وهما بمعنى .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : « به » .

وقد روى عن ابن عباس أن أول ما نزل جبريل^(١) على النبي ﷺ علمه الاستعاذة^(٢).

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمار، قال: حدثنا أبو رزق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس، قال: أول ما نزل جبريل على محمد قال: يا محمد استعذ^(٣)، قل: أَسْتَعِذُّ بِالسَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. ثم قال: قل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ثم قال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها الله على محمد بلسان جبريل، فأمره أن يتعوذ بالله دون خلقه^(٤).

القول في تأويل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

القول في تأويل قوله^(٢): ﴿بِسْمِ﴾.

قال أبو جعفر: إن الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه أدب نبيه محمدا ﷺ بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وتقدم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته، وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه، منه لجميع خلقه سنة يشتمون بها، وسبيلا يتبعونه عليها، في^(٤) افتتاح أوائل منطقتهم، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: ﴿بِسْمِ﴾

(١ - ١) في ص: ﴿بِسْمِ﴾ بالاستعاذة.

(٢) سقط من: م، ت، ٢.

(٣) ذكره السيوطي في تدريب الراوي ٦٢/١ عن بشر بن عمار، وعزاه إلى المصنف.

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥/١، ٢٦، (١، ٤، ٦)، والواحد في أسباب النزول ص ١٠ من طريق

أبي كريب به.

وقال ابن كثير في تفسيره ٢٩/١: وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في إسناده ضعفا وانقطاعا.

(٤) في ص، ت، ٢: «فيه».

﴿الله﴾ . على ما بطن من مراده الذى هو محذوف .

وذلك أن الباء من : ﴿يَسْمِ الله﴾ . مُقْتَضِيَةٌ فعلاً يكون لها جالبا ، ولا فعل معها ظاهر ، فأغنت سامع القائل : ﴿يَسْمِ الله﴾ . معرفته بمراد قائله من إظهار قائل ذلك مراده قولاً ؛ إذ كان كل ناطق به عند افتتاحه أمراً قد أخضر منطقه به - إمّا معه ، وإمّا قبله بلا فصل - ما قد أغنى سامعه من دلالة شاهدة على الذى من أجله افتتح قيله به ، فصار استغناء سامع ذلك منه عن إظهار ما حذف منه ، نظير استغنائه إذا سمع قائلاً قيل له : ما أكلت اليوم ؟ فقال : طعاماً . عن أن يكرّر المسئول مع قوله : طعاماً : أكلت . لما قد ظهر لديه من الدلالة على أن ذلك معناه بتقديم مسألة السائل إياه عما أكل . فمعقول إذن أن ^(١) القائل إذا قال : ﴿يَسْمِ الله الرحمن الرحيم﴾ . ثم افتتح تاليا سورة ، أن إتباعه : ﴿يَسْمِ الله الرحمن الرحيم﴾ . تلاوة السورة ، مُنبئ ^(٢) عن معنى قوله : ﴿يَسْمِ الله الرحمن الرحيم﴾ . ومفهوم به أنه مُريدٌ بذلك : أقرأُ بِسْمِ الله الرحمن الرحيم . وكذلك قوله : بِسْمِ الله . عند نهوضه للقيام أو عند قعوده وسائر أفعاله ، يُنبئ ^(٣) عن معنى مراده بقوله : بِسْمِ الله . وأنه أراد بقيله : بِسْمِ الله : أقومُ بِسْمِ الله ، وأقعدُ بِسْمِ الله . وكذلك سائر الأفعال .

وهذا الذى قلنا فى تأويل ذلك هو معنى قول ابن عباس الذى حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن غمارة ، قال : حدثنا أبو

(١) بعده فى م : « قول » .

(٢) فى ص ، ر ، ت ١ : « مبنى » وفى م : « ينبئ » .

(٣) فى ص : « يكنى » . وفى ر : « تنبئ » .

رَوْقِي ، عن الضَّحَّاكِ ، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ بِهِ جَبْرِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْ : أَسْتَعِذُّ بِالسَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . ثُمَّ قَالَ : قُلْ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قَالَ : قَالَ لَهُ جَبْرِيلُ ^(١) : بِسْمِ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ . يَقُولُ : اقْرَأْ بِذِكْرِ اللَّهِ رَبِّكَ ، وَقُمْ وَأَقْعُدْ بِذِكْرِ اللَّهِ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : فَإِنْ كَانَ تَأْوِيلُ قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . مَا وَصَفَتْ ، وَالْجَالِبُ الْبَاءُ فِي : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . مَا ذَكَرْتَ ، فَكَيْفَ قِيلَ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . بِمَعْنَى : أَقْرَأُ بِاسْمِ اللَّهِ . أَوْ : أَقُومُ ^(٢) بِاسْمِ اللَّهِ ^(٣) . أَوْ : أَقْعُدُ بِاسْمِ اللَّهِ ؟ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ كُلَّ قَارِئٍ كِتَابِ اللَّهِ ، فَبِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ قَرَأْتُهُ ، وَأَنَّ كُلَّ قَائِمٍ أَوْ قَاعِدٍ أَوْ فَاعِلٍ فَعَلًا ، فَبِاللَّهِ قِيَامُهُ وَقَعُودُهُ وَفَعْلُهُ ؟ وَهَلَّا - إِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ - قِيلَ : بِاللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَلَمْ يُقَلْ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . فَإِنْ قَوْلَ الْقَائِلِ : أَقُومُ وَأَقْعُدُ بِاللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَوْ : أَقْرَأُ بِاللَّهِ . أَوْضَحُ مَعْنَى لِسَامِعِهِ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . إِذْ كَانَ قَوْلُهُ : أَقُومُ ، أَوْ ^(٣) : أَقْعُدُ بِاسْمِ اللَّهِ . يُوْهِمُ سَامِعَهُ أَنَّ قِيَامَهُ وَقَعُودَهُ بِمَعْنَى غَيْرِ اللَّهِ .

قِيلَ لَهُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ : إِنَّ الْمَقْصُودَ إِلَيْهِ مِنْ مَعْنَى ذَلِكَ غَيْرُ مَا تَوَهَّمْتَهُ فِي نَفْسِكَ ، وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ : أَبْدَأُ بِتَسْمِيَةِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ . أَوْ : أَقْرَأُ بِتَسْمِيَتِهِ ^(٤) . أَوْ : أَقُومُ وَأَقْعُدُ بِتَسْمِيَتِي اللَّهِ وَذِكْرِهِ . ^(٥) لَا أَنَّهُ يَعْنِي

(١) بعده في م : « قل » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) في م : « و » .

(٤) في ر ، م : « بتسمية الله » .

(٥ - ٥) في ص : « إلا أنه » ، وفي ر : « لأنه » .

بقيله : ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ : أَقُومُ بِاللَّهِ . أو : أَقْرَأُ بِاللَّهِ . فَيَكُونُ قَوْلُ الْقَائِلِ : أَقْرَأُ بِاللَّهِ . أو : أَقُومُ . أو : أَقْعُدُ بِاللَّهِ . أولى بوجهِ الصوابِ في ذلك من قوله : ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ .

فإن قال : فإن كان الأمرُ في ذلك على ما وصفتُ ، فكيف قيل : ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ . وقد علمتُ أن الاسمَ اسمٌ ، وأن التسميةَ مصدرٌ [١/١٤٠] من قولك : سَمَّيتُ ؟ .

قيل : إن العربَ قد تُخْرِجُ المصادرَ مُبْهَمَةً على أسماءٍ مختلفةٍ ، كقولهم : أَكْرَمْتُ فلانًا كرامةً . وإنما بناءُ مصدرٍ « أَفْعَلْتُ » - إذا أُخْرِجَ على فعِلِه - الإفعالُ . وكقولهم : أَهَنْتُ فلانًا هوانًا ، وكَلَّمْتُهُ كلامًا . وبناءُ مصدرٍ « فَعَّلْتُ » التَّفْعِيلُ . ومن ذلك قولُ الشاعر^(١) :

أَكْفُرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَائَةِ الرِّتَاعَا
يُرِيدُ : إِعْطَاءَكَ .

ومنه قولُ القائلِ^(٢) الآخرُ :

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْبُخْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً لَقَدْ كُنْتُ فِي طُولِي رَجَائِكَ أَشْعَبَا
يُرِيدُ : فِي إِطَالَتِي رَجَائِكَ .

ومنه قولُ الآخرِ^(٣) :

(١) هو القطامي ، والبيت في ديوانه ص ٣٧ .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ . والبيت في التبيان للطوسي ٢٦/١ . وأشعب هو الذي يضرب به المثل في الطمع .

(٣) سقط من : ص .

(٤) هو الحارث بن خالد المخزومي . ينظر الأغاني ٩/٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ . والبيت غير منسوب في أمالي الشجري ١/١٠٧ .

أُظْلِمَ^(١) إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظَلَمُ يُرِيدُ : إِيصَابَكُمْ .

والشواهدُ في هذا المعنى تَكْثُرُ ، وفيما ذكرنا كفايةً لمن وَفَّقَ لفهمه .

فإِذْ^(٢) كَانَ^(٣) الْأَمْرُ عَلَى مَا^(٤) وَصَفْنَا مِنْ إِيخْرَاجِ الْعَرَبِ مَصَادِرَ الْأَفْعَالِ عَلَى غَيْرِ بِنَاءِ أَفْعَالِهَا^(٥) كَثِيرًا ، وَكَانَ تَصْدِيرُهَا إِيَاهَا عَلَى مَخَارِجِ الْأَسْمَاءِ مَوْجُودًا فَاشْتِئَا - فَبَيَّنَ^(٦) بِذَلِكَ صَوَابُ مَا قُلْنَا مِنَ التَّأْوِيلِ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . أَنْ^(٧) مَعْنَاهُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ ابْتِدَائِهِ فِي فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ : أَبْدَأُ بِتَسْمِيَةِ اللَّهِ قَبْلَ فِعْلِي أَوْ قَبْلَ قَوْلِي . وَكَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ عِنْدَ ابْتِدَائِهِ بِتَلَاوَةِ الْقُرْآنِ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . إِنَّمَا مَعْنَاهُ : أَقْرَأُ / مُبْتَدِئًا بِتَسْمِيَةِ اللَّهِ . ٥٢/١ أَوْ : أَبْتَدَيْتُ قِرَاءَتِي بِتَسْمِيَةِ اللَّهِ . فَجُعِلَ الْأِسْمُ مَكَانَ التَّسْمِيَةِ ، كَمَا جُعِلَ الْكَلَامُ مَكَانَ التَّكْلِيمِ ، وَالْعَطَاءُ مَكَانَ الْإِعْطَاءِ .

وَبِمَثَلِ الَّذِي قُلْنَا مِنَ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ رَوَى الْخَبَرُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو رَوْقٍ ، عَنْ الضُّحَّاكِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : أَوَّلُ مَا نَزَلَ بِهِ^(٨) جَبْرِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْ : أَسْتَغِيثُ بِالسَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . ثُمَّ

(١) فِي م : « أَظْلَمَ » .

(٢) فِي ص : « فَإِنْ » ، وَفِي م : « فَإِذَا » .

(٣ - ٣) فِي ص : « كَمَا » .

(٤) فِي ص : « أَفْعَلْ لَهَا » .

(٥) فِي م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « تَبَيَّنَ » .

(٦) سَقَطَ مِنْ : ت ٢ .

(٧) سَقَطَ مِنْ : ر ، م ، ت ٢ .

قال : قُلْ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قال ابن عباس : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . يقول له جبريل : يا محمد ، اقرأ بذكر الله ربك ، وقم واقعد بذكر الله .

وهذا التأويل من ابن عباس يُنبئُ عن صحة ما قلنا ، من أنه مُرادٌ^(١) بقول القائل مُفتتحاً قراءته بـ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . اقرأُ بتسمية الله وذكره ، وأفتتحُ القراءة بتسمية الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى - ويوضح^(٢) فساد قول من زعم أن معنى ذلك من قائله : بالله الرحمن الرحيم أول^(٣) كل شيء . مع أن العباد إنما أمرُوا أن يتدثروا عند فواتح أمورهم بتسمية الله ، لا بالخبر عن عظمته وصفاته ، كالذى أمرُوا به من التسمية على الذبائح والصيد ، وعند المطعم والمشرب ، وسائر أفعالهم . فكَذلك الذى أمرُوا به من تسميته عند افتتاح تلاوة تنزيل الله ، وصدور رسائلهم وكتيبهم .

ولا خلاف بين الجميع من علماء الأمة أن قائلًا لو قال عند تذكّيته بعض بهائم الأنعام : بالله . ولم يقل : باسم الله . أنه مُخالفٌ بتركه قيل : باسم الله . ما سُئِلَ له عند التذكية من القول ، فقد عُلم بذلك أنه لم يُردْ بقوله : باسم الله : بالله . كما قال الزاعم أن اسم الله فى قول الله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . هو الله ؛ لأن ذلك لو كان كما زعم ، لوجب أن يكون القائل عند تذكّيته ذبيحته : بالله . قائلًا ما سُئِلَ له من القول على

(١) فى م : « يراد » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « فى » .

الذَّيْحَةُ . وفى إجماعِ الجميعِ على أن قائلَ ذلك تاركٌ ما سُنَّ له من القولِ على ذبيحته إذا لم يَقُلْ : باسمِ اللَّهِ - دليلٌ واضحٌ على فسادِ ما ادَّعى من التأويلِ فى قولِ القائلِ : باسمِ اللَّهِ . أنه مرادٌ به باللَّهِ ، وأن اسمَ اللَّهِ هو اللَّهُ .

وليس هذا الموضعُ من مواضعِ الإكثارِ فى الإبانةِ عن الاسمِ ؛ أهو المُسمَّى أم غيره؟ أم هو صفةٌ له؟ فنُطِيلُ الكتابَ بذكرِهِ ، وإنما هذا موضعٌ من مواضعِ الإبانةِ عن الاسمِ المضافِ إلى اللَّهِ جلَّ وعزَّ ؛ أهو اسمٌ أم مصدرٌ بمعنى التسمية؟

فإن قال لنا قائلٌ : فما أنت قائلٌ فى بيتِ لبيدِ بنِ ربيعة^(١) :

إلى الحَوْلِ ثم اسمُ السلامِ عليكما ومَنْ يَيْلِكَ حَوْلًا كاملاً فقد اغْتَدَرَ
فقد تأوَّله مُقَدِّمٌ فى العلمِ بِلُغَةِ الْعَرَبِ أنه مَغْنَى به : ثم السلامُ عليكما . وأن اسمَ
السلامِ هو السلامُ^(٢) .

قيل له : لو جاز ذلك وصحَّ تأويلُهُ فيه على ما تأوَّل ، لجاز أن يقالَ : رأيتُ اسمَ
زيد ، وأكلتُ اسمَ الطعامِ ، وشربتُ اسمَ الشرابِ . وفى إجماعِ جميعِ العربِ على
إحالةِ ذلك ، ما يُنْبِئُ عن فسادِ تأويلِ من تأوَّل قولَ لبيد :

* ثم اسمُ السلامِ عليكما *

أنه أراد : ثم السلامُ عليكما . و^(٣) ادَّعَاهُ أن إدخالَ الاسمِ فى ذلك وإضافتهِ إلى

(١) شرح ديوان لبيد ص ٢١٤ .

(٢) الذى تأوله كذلك هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١٦ / ١ .

(٣) فى ص ، ر : «أو» .

السلام، إنما جاز إذ كان اسمُ المُسمَّى هو المُسمَّى بعينه .

٥٣/١ /وَيُسْأَلُ الْقَائِلُونَ قَوْلَ مَنْ حَكَيْنَا قَوْلَهُ هَذَا، فيقالُ لهم: أُنَسَّجِيزُونَ
فى العريية أن يقال: أَكَلْتُ اسمَ العسلِ . يعنى بذلك: أَكَلْتُ العسلَ . كما
جازَ عندكم: اسمُ السلامِ عليك^(١) . وأنتم تُريدون: السلامُ عليك^(٢) ؟
فإن قالوا: نعم . خرَجوا مِن لسانِ العربِ ، وأجازوا فى لغتها^(٣) ما تُحَطُّهُ
جميعُ العربِ فى لغتها . وإن قالوا: لا . سُئِلُوا الفرقَ بينهما ، فلن يَقُولُوا فى أحدهما
قولاً إلا أَلْزَمُوا فى الآخرِ مثله .

فإن قال لنا قائلٌ : فما معنى قولِ ليبيد هذا عندك ؟

قيل له : يَحْتَمِلُ ذلك وجهين ، كلاهما غيرُ الذى قاله مَنْ حَكَيْنَا
قوله ؛ أحدهما : أن السلامَ اسمٌ مِن أسماءِ اللَّهِ ، فجائزٌ أن يكونَ ليبيدُ عنى
بقوله :

* ثم اسمُ السلامِ [١٤/١ ظ] عليكما *

: ثم أَلْزَمَا اسمَ اللَّهِ وذكره بعد ذلك ، ودَعَا ذِكْرَى والبكاءَ على . على وجهِ
الإغراء . فَرَفَعَ الاسمَ إذ^(٣) أَخْرَجَ الحَرْفَ الذى يَأْتى بمعنى الإغراء . وقد تَفَعَّلَ العربُ
ذلك إذا أَحْرَزَتِ الإغراءَ وَقَدَّمَتِ المَغْرَى به ، وإن كانت قد تَنَصَّبَتْ به وهو مُؤَخَّرٌ ،
ومن ذلك قولُ الشاعرِ^(٤) :

(١) فى ص : « عليكم » .

(٢) فى ر : « لغاتها » .

(٣) فى م : « إذا و » .

(٤) الرجز فى أمالى القالى ٢/ ٢٤٤ ، وخزانة الأدب ٦/ ٢٠٠ .

يا أَيُّهَا الْمَائِثُ^(١) ذَلَوِي دُونَكَ

إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ

فَأَغْرَى بـ«دونك» وهي مؤخّرة، وإنما معناه: دونك دلوي. فكذلك قول لبيد:

* إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا *

يعنى: ثم^(٢) عليكم اسم السلام. أى: الزّما ذكر الله، ودعا ذكرى والوجد بي؛ لأن من بكى حولاً على امرئ ميت فقد اعتذر. فهذا أحد وجهيه.

والوجه الآخر منهما: ثم تسميتي الله عليكم. كما يقول القائل للشئ يراه فيعجبه: اسم الله عليك. يُعوّذه بذلك من الشؤ، فكأنه قال: ثم اسم الله عليكم من الشؤ. وكأنّ الوجه الأول أشبه المغنيين بقول لبيد.

ويقال لمن وجّه بيت لبيد هذا إلى أن معناه: ثم السلام عليكم. أترى ما قلنا من هذين الوجهين جائزاً، أو أحدهما، أو غير ما قلت فيه؟ فإن قال: لا. أبان مقدارَه من العلم بتصاريف وجوه كلام العرب، وأغنى خصمه عن مناظرته. وإن قال: بلى. قيل له: فما بُرهانك على صحة ما ادّعت من التأويل أنه الصواب دون الذي ذكرت أنه مُحتملُه من الوجه الذي يلزمنا تسليمه لك؟ ولا سبيل إلى ذلك.

وأما الخبر الذي حدّثنا إسماعيل بن الفضل، قال: حدّثنا إبراهيم بن العلاء بن الضّحّاك^(٣) وهو يُلقَّبُ بزُبَيري^(٤)، قال: حدّثنا إسماعيل بن عيَّاش، عن إسماعيل بن

(١) المائث: الرجل ينزل إلى قرار البحر إذا قل مأوها، فيملأ الدلو بيده ويميح أصحابه. اللسان (م ي ح) والرجز فيه.

(٢) زيادة من: ر.

(٣-٣) سقط من: م، ت ٢، وفي ر، ت ١: «وهو يلقب بابن برفق»، والمثبت من: ص. وينظر تهذيب

الكمال ١٦١/٢، وتفسير ابن كثير ٣٣/١، ونزهة الألباب للحافظ ٣٣٨/١.

يحيى ، عن ابن أبي مليكة ، عمن حدّثه ، عن ابن مسعود ، ومنشعر بن كدام ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَسْلَمَتْهُ أُمُّهُ إِلَى الْكِتَابِ لِيُعَلِّمَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمُعَلِّمُ : اكْتُبْ بِاسْمِ . فَقَالَ لَهُ عِيسَى : وَمَا بِاسْمِ ؟ فَقَالَ لَهُ الْمُعَلِّمُ : مَا أَدْرَى ، فَقَالَ لَهُ ^(١) عِيسَى : الْبَاءُ بِهَاءِ اللَّهِ ، وَالسَّيْنُ سَنَاوُهُ ، وَالْمِيمُ مُمْلَكَتُهُ » ^(٢) .

فَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ غَلْطًا مِنَ الْمُحَدِّثِ ، وَأَنْ يَكُونَ أَرَادَ [ب س م] عَلَى سَبِيلِ مَا يُعَلِّمُ الْمُتَبَدِّئُ مِنَ الصَّبِيَّانِ فِي الْكِتَابِ حُرُوفَ ^(٣) «أَبَى جَاد» ، فغَلِطَ بِذَلِكَ فَوْصَلَهُ ، فَقَالَ : بِاسْمِ . لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لِهَذَا التَّأْوِيلِ إِذَا تُلِيَ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . عَلَى مَا يَتْلُوهُ الْقَارِئُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِاسْتِحَالَةِ مَعْنَاهُ عَنِ الْمَفْهُومِ بِهِ عِنْدَ جَمِيعِ الْعَرَبِ وَأَهْلِ لِسَانِهَا ، إِذَا حُمِلَ تَأْوِيلُهُ عَلَى ذَلِكَ .

(١) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ .

(٢) حديث موضوع . أخرجه ابن عدى ٢٩٩/١ - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ٣٩/١٤ (مخطوط) ، وابن الجوزي في الموضوعات ٢٠٣/١ - من طريق إبراهيم بن العلاء به .

وأخرجه ابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير ٣٣/١ ، وتدريب الراوى ٦١/١ - وابن عساكر ٣٩/١٤ من طريق إسماعيل بن عياش به . وعند ابن مردويه بالإسناد الثاني فقط .

وأخرجه ابن حبان في المجروحين ١٢٦/١ ، ١٢٧ ، وأبو نعيم في الحلية ٢٥١/٧ - ومن طريقه ابن الجوزي ٢٠٣/١ ، ٢٠٤ - من طريق إبراهيم بن العلاء به بالإسناد الثاني .

وإسماعيل بن يحيى كذاب . وقال ابن عدى : حديث باطل . وقال ابن الجوزي : حديث موضوع محال . وقال ابن كثير : غريب جدا ، وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله ﷺ ، ويكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات . والله أعلم . وسيأتى هذا الحديث في ص ١٢٣ ، ١٢٦ .

وروى نحوه من قول سعيد بن جبير . أخرجه ابن المنذر بإسناد صحيح ، كما في الدر المنثور ٢٥/٢ .

وعن الضحاك نحوه . أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥/١ (٢) .

(٣ - ٣) هذه الكلمة يعنى بها الأحرف الأبجدية « أبجد هوز حطى ... » إلخ .

/ القول في تأويل قول الله جل ثناؤه وتقدّست أسماؤه: ﴿الله﴾ . ٥٤/١

قال أبو جعفر: أما تأويل قول الله تعالى: ﴿الله﴾ . فإنه على معنى ما روى لنا عن عبد الله بن عباس: هو الذي يَأْلُهُ^(١) كل شيء، وَيَعْبُدُهُ كلُّ خلقٍ . وذلك أن أبا كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ، قال : حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قال : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو رَزْوِجٍ ، عن الصُّحَّاحِ ، عن عبد الله بن عباس ، قال : الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين^(٢) .

فإن قال لنا قائل: فهل لذلك في «فعل ويفعل» أصل كان منه^(٣) بناء هذا الاسم؟ قيل: أمّا سماعاً من العرب فلا ، ولكن استدلالاً .

فإن قال: وما دلّ على أن الألوهية هي العبادة ، وأن الإله هو المعبود ، وأن له أصلاً في «فعل ويفعل»؟

قيل: لا تمنع بين العرب في الحكم لقول القائل، يَصِفُ رجلاً بعبادة، وَيَطْلُبُ ما^(٤) عند الله جل ذكره: تأله فلائ . بالصحة، ولا خلاف . ومن ذلك قول رُوْبَةَ بنِ الْعَجَّاجِ^(٥) :

لِلَّهِ دَرُّ الْغَايَاتِ الْمُدَّةِ^(٦)

(١) في ص: «يألفه» .

(٢) ذكره السيوطي في تدريب الراوي ٦٢/١ عن بشر بن عمار به ، وعزاه إلى المصنف . وعزاه في الدر المنثور ٨/١ إلى المصنف وابن أبي حاتم .

(٣) في ر: «فيه» .

(٤) في م: «مما» .

(٥) ديوان رُوْبَةَ (مجموعة أشعار العرب) ص ١٦٥ .

(٦) المدّة ، جمع المادّة : وهو المادح ، والتمدّه : التمدح . الصّاح (م د هـ) والرجز فيه .

سَبَّحْنَ وَاسْتَزَجْنَ مِنْ تَأْلَهِي

يعنى : مِنْ تَعْبُدِي وَطَلَبِي اللَّهَ بِعَمَلِي .

ولا شك أن التَّالَّةُ التَّفْعُلُ مِنْ : إِلَهَ يَأْلَهُ . وأن معنى إِلَه - إِذَا نُطِقَ بِهِ - : عَبْدُ اللَّهِ . وقد جاء منه مصدرٌ يَذُلُّ عَلَى أَنْ الْعَرَبُ قَدْ نَطَقَتْ مِنْهُ بِ « فِعْلٍ يَفْعَلُ » بِغَيْرِ زِيَادَةٍ .

وذلك ما حَدَّثَنَا بِهِ سَفِيَانُ بْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ نَافِعٍ بْنِ ^(١) عَمْرٍو ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ : (وَيَذَرُكَ وَإِلَهِتَكَ) ^(٢) . قَالَ : عِبَادَتُكَ . وَيَقُولُ : إِنَّهُ كَانَ يُعْبَدُ وَلَا يُعْبَدُ ^(٣) .

وَحَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَسَنِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : (وَيَذَرُكَ وَإِلَهِتَكَ) . قَالَ : إِنَّمَا كَانَ فَرَعُونَ يُعْبَدُ وَلَا يُعْبَدُ ^(٤) . وَكَذَلِكَ كَانَ ^(٥) ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرُؤُهَا وَمُجَاهِدٌ ^(٦) .

وَحَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ^(٧) الْحُسَيْنُ بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلَهُ : (وَيَذَرُكَ وَإِلَهِتَكَ) . قَالَ :

(١) فى ص : « عن » . وينظر تهذيب الكمال ٢٨٧/٢٩ .

(٢) هذه قراءة للآية ١٢٧ من سورة الأعراف ، فانظرها هناك .

(٣) سيأتى هذا الأثر والأثر الذى بعده فى سورة الأعراف فانظرها هناك .

(٤ - ٤) سقط من : ت ٢ .

(٥ - ٥) فى ص : « أبو عبد الله » ، وفى م : « عبد الله » .

(٦ - ٦) فى ص : « الحسن بن واره » . وهو الحسين بن داود المصيصى ، أبو على المحتسب ، لقبه سنيد ، وهو

بلقبه أشهر . ينظر ترجمته فى تهذيب الكمال ١٦١/١٢ .

وعبادتك .

ولا شك أن الإلاهة^(١) - على ما فسره ابن عباس ومجاهد - مصدر من قول القائل : أله الله فلان إلاهة . كما يقال : عبد الله فلان عبادة ، وعبر الرؤيا عبارة . فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا أن « أله » عبد ، وأن الإلاهة مصدره .

فإن قال : فإن كان جائزاً أن يقال لمن عبد الله : ألهه - على تأويل قول ابن عباس ومجاهد - فكيف الواجب في ذلك أن يقال إذا أراد الخبر^(٢) الخبر عن^(٣) استيجاب الله ذلك على عبده ؟

قيل : أما الرواية فلا رواية به^(٣) عندنا ، ولكن الواجب على قياس ما جاء به الخبر عن رسول الله ﷺ الذي حدثنا به إسماعيل بن الفضل ، قال : حدثنا إبراهيم ابن العلاء ، قال : حدثنا إسماعيل بن عتيش ، عن إسماعيل بن يحيى ، عن ابن أبي مليكة ، عن حدثه ، عن ابن مسعود ، ومثعر بن كدام ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن عيسى أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلّمه ، فقال له المعلم : اكتب : [١٥/١] الله . فقال له عيسى : أتدري ما الله ؟ الله إله الآلهة » - أن يقال : الله جل ثناؤه إله العبد ، والعبد ألهه . وأن يكون قول القائل : الله . من الكلام^(٤) أصله الإله .

(١) في ر : « إلاهة » .

(٢ - ٢) في ص : « الخبر » ، وفي ر : « عن الخبر » .

(٣) سقط من : م ، وفي ص : « فيه » .

(٤) في م : « كلام العرب » .

/فإن قال: وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك مع اختلاف لفظيهما^(١)؟

قيل: كما جاز أن يكون قوله: ﴿لَنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨]. أصله: لكن أنا، هو الله ربّي. كما قال الشاعر^(٢):

وتزيميني^(٣) بالطرف أي أنت مُذنبٌ وتقلّيني لكننا إياك لا أقلّي
يريد: لكن أنا إياك لا أقلّي. فحذف الهمزة من «أنا» فالتقت نون «أنا» ونون «لكن» وهي ساكنة، فأذغمت في نون «أنا» فصارتا نونا مشددة. فكذلك الله، أصله الإله، أشتطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة التي دخلت مع الألف الزائدة، وهي ساكنة، فأذغمت في الأخرى التي هي عين الاسم، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة، كما وصفنا من قول الله: ﴿لَنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الزَّخْرُفُ الزَّخْرُفُ﴾.

قال أبو جعفر: وأما: ﴿الزَّخْرُفُ﴾، فهو فعْلان، من رَجِمَ^(٤)، و﴿الزَّخْرُفُ﴾، فعيلٌ منه، والعربُ كثيراً ما تبنى الأسماء من «فعل يفعل» على «فعْلان»، كقولهم من غضب: غَضبانٌ. ومن سكر: سكرانٌ. ومن

(١) في ص: «لفظهما».

(٢) معاني القرآن ٢/١٤٤، وخزانة الأدب ١١/٢٢٥، وقال: لم أقف على تتمته وقائله، مع أنه مشهور قلما خلا منه كتاب نحوى، والله أعلم.

(٣) في ص: «توميني».

(٤) في ص: «رحيم».

عَطِشَ : عَطِشَانٌ . فكذلك قولهم : رَحِمْنُ . مِن رَّحِمٍ ؛ لأن « فَعِل »^(١) منه : رَحِمَ يَرْحِمُ .

وقيل : رَحِيمٌ . وإن كانت عَيْنُ « فَعِل » منه^(٢) مكسورة ؛ لأنه مدخٌ ، ومن شأنِ العربِ أن يَحْمِلُوا أبنيةَ الأسماءِ إذا كان فيها مدخٌ أو ذمٌّ على « فَعِيلٍ » ، وإن كانت عَيْنُ « فعل » منها مكسورة أو مفتوحة ، كما قالوا مِن « عَلِم » : عالِمٌ وعليهم . ومن « قَدَر » : قَادِرٌ وقَدِيرٌ . وليس ذلك منها بناءً على أفعالها ؛ لأن البناءَ مِن « فَعِل » يَفْعَلُ و « فَعَلَ يَفْعِلُ » فاعِلٌ ، فلو كان الرحمُ والرحيمُ خارجين على^(٣) بناءِ أفعالهما لكانت صورتُهُما الراحِمَ .

فإن قال قائلٌ : فإذا كان الرحمُ والرحيمُ اسمينِ مشتقينِ مِنَ الرحمةِ ، فما وجهُ تكريرِ ذلك وأحدهما مُؤدِّ عن معنى الآخرِ ؟

قيل له : ليس الأمرُ في ذلك كما^(٤) ظنَّنتَ ، بل لكلِّ كلمةٍ منهما معنى لا تُؤدِّي الأخرى منهما عنها .

فإن قال : وما المعنى الذى انفردت به كُلُّ واحدةٍ منهما ، فصارت إحداهما غيرَ مُؤدِّيةِ المعنى عن الأخرى ؟

قيل : أما مِن جهةِ العربيةِ ، فلا تَمَانَعُ بَيْنَ أَهْلِ المَعْرِفَةِ بِلِغَاتِ العربِ أن قولَ القائلِ : الرحمُ . عن أبنيةِ الأسماءِ مِن « فَعِل » وَيَفْعَلُ « أَشَدُّ عدولاً مِن قوله : الرحيمُ . ولا خلافٌ مع ذلك بينَهم أن كُلَّ اسمٍ كان له أصلٌ فى « فَعِل »

(١) فى ص : « فَعِيل » .

(٢) فى م : « منها » .

(٣) فى م : « عن » .

(٤) فى م : « على ما » .

وَيَفْعَلُ» ثم كان عن أصله من «فِعْلٌ وَيَفْعَلُ» أشدَّ عدولاً ، أن الموصوفَ به مُفَضَّلٌ على الموصوفِ بالاسمِ المبنئ على أصله مِنْ «فَعْلٌ وَيَفْعَلُ» إذا كانت التسميةُ به مدحاً أو ذمّاً ، فهذا ما فى قولِ القائلِ : الرحمنُ . مِنْ زيادةِ المعنى على قوله : الرحيمُ . فى اللغةِ .

وأما مِنْ جهةِ الأثرِ والخبرِ ، ففيه بينٌ ^(١) أهلُ التأويلِ اختلافٌ ^(٢) ؛ فحدَّثنى السَّريُّ بنُ يحيى التَّمِيمِيُّ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ زُفَرٍ ، قال : سَمِعْتُ العُزْزَمِيَّ ^(٣) يقولُ : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ . قال : الرحمنُ بجميعِ الخلقِ ، الرحيمُ ، قال : بالمؤمنينِ ^(٤) .

٥٦/١ / حدَّثنا إسماعيلُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ العلاءِ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عِيَّاشٍ ، عن إسماعيلَ بنِ يحيى ، عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ ، عَمَّنْ حدَّثه ، عن ابنِ مسعودٍ ، ومِسْعَرِ بنِ كِدَّامٍ ، عن عطيةِ العوفى ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ عيسى ابنَ مَرْيَمَ قال : الرَّحْمَنُ رَحْمَنُ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا ، وَالرَّحِيمُ رَحِيمُ الْآخِرَةِ » .

فهذان الخبران قد أنبأ عن فرقٍ ما بينَ تسميةِ اللَّهِ جل ثناؤه باسمِهِ الذى هو رحمنٌ ، وتسميته باسمِهِ الذى هو رحيمٌ ، واختلافِ مَعْنَى ^(٥) الكلمتين ، وإن اختلفا

(١) فى ص : « عن » .

(٢) فى ص : « إختلاف » .

(٣) فى م : « العززمي » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٦/١ عن المصنف . وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٨/١ (٢٠) عن محمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبى سليمان العزمي ، عن أبيه ، عن جوير ، عن الضحاك مثله . ومحمد وأبوهِ وجوير ضعفاء .

(٥) فى م : « معنى » .

فى معنى ذلك الفرق ، فدلّ أحدهما على أن ذلك فى الدنيا ، ودلّ الآخر على أنه فى الآخرة .

فإن قال : فأئى هذين التأويلين أولى عندك بالصحة ؟

قيل : لجميعهما عندنا فى الصحة مخرج ، فلا وجه لقول قائل : أيهما أولى بالصحة ؟ وذلك أن المعنى الذى فى تسمية الله بالرحمن ، دون الذى فى تسميته بالرحيم ، هو أنه بالتسمية بالرحمن موصوف بمعموم الرحمة جميع خلقه ، وأنه بالتسمية " بالرحيم موصوف " بخصوص الرحمة بعض خلقه ، إمّا فى كل الأحوال ، وإمّا فى بعض الأحوال ، فلا شك - إذ كان ذلك كذلك - أن ذلك الخصوص الذى فى وصفه بالرحيم لا يشتجّل عن معناه ، فى الدنيا كان ذلك أو فى الآخرة ، أو فيهما جميعاً .

فإذ كان صحيحاً ما قلنا من ذلك ، وكان الله جل ثناؤه قد خصّ عباده المؤمنين فى عاجل الدنيا بما لطّف لهم^(١) من توفيقه إياهم لطاعته ، والإيمان به وبرسله ، واتباع أمره واجتناب معاصيه ، مما تُخْذِل عنه مَنْ أشرك به وكفر ، وخالف ما أمّر به ، وركب معاصيه ، وكان مع ذلك قد جعل جل ثناؤه ما أعدّ فى آجل الآخرة فى جنانه من النعيم المقيم ، والفوز المبين ، لمن آمن به ، من رحمته فى الدنيا والآخرة ، مع ما قد عمّهم به والكفار فى الدنيا ، من الإفضال والإحسان إلى جميعهم ؛ فى التبشيط فى الرزق ، وتسخير السحاب بالغيث ، وإخراج النبات من الأرض ، وصحة الأجسام والعقول ، وسائر النعم التى لا تُحصى ، التى يشترك فيها المؤمنون والكافرون ، فرُبنا جل ثناؤه رحمّن [١٥/١ ظ]

(١ - ١) فى ر : « بالرحمن مخصوص » .

(٢) فى م : « بهم » .

جميع خلقه في الدنيا والآخرة، ورحيم المؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة .

فأما الذي عمَّ جميعهم به في الدنيا من رحمته فكان رحماناً^(١) لهم به ،
فما ذكرنا مع نظائره التي لا سبيلَ إلى إحصائها لأحدٍ من خلقه ، كما قال
جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم : ٣٤ ، والنحل : ١٨] .
وأما في الآخرة ، فالذي عمَّ جميعهم به فيها من رحمته فكان لهم رحماناً ، في^(٢)
تسويته بين جميعهم جل ذكره في عدله وقضائه ، فلا يظلم أحداً منهم مثقالَ
ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها^(٣) ، ويؤفي^(٤) كلَّ نفسٍ ما كسبت ، فذلك معنى
عمومه في الآخرة جميعهم برحمته الذي كان به رحماناً في الآخرة .

وأما ما خصَّ به المؤمنين في عاجل الدنيا من رحمته الذي كان به رحيماً لهم
فيها ، كما قال جل ذكره : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] . فما
وصفنا من اللطف لهم في دينهم ، فخصَّهم به دونَ مَنْ خذله من أهل الكفرِ
به . / وأما ما خصَّهم به في الآخرة فكان به رحيماً لهم دونَ الكافرين ، فما وصفنا
أنفاً^(٥) مما أعدَّ لهم دونَ غيرهم من النعيم والكرامة التي تقصُرُ عنها الأمانى .

وأما القول الآخر في تأويله فهو ما حدثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدثنا عثمانُ ابنُ
سعيدٍ ، قال : حدثنا بشرُ بنُ عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن عبدِ
اللَّهِ بنِ عباسٍ ، قال : ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ الفعلان من الرحمة - وهو من كلام العرب .

(١) في الأصل ، ص ، ر ، ت ٢ : « رحمن » . وهذه الكلمة تجيء تارة في بعض المخطوطات مصروفة وتارة غير مصروفة
والوجهان جائزان ، كما نبه على ذلك أبو حيان في أول البحر المحيط ، وقد اخترنا صرفها فيما يأتي من مواضع .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده في م : « ويؤت من لدنه أجرا عظيما » .

(٤) في ص : « توفي » ، وغير منقوطة في ر .

(٥) في ر : « أيضا » .

قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه، والبعيد الشديد على من أحب أن يغتف عليه، وكذلك أسماؤه كلها^(١).

وهذا التأويل من ابن عباس يدل على أن الذي به ربنا رحمن، هو الذي به رحيم، وإن كان لقوله: ﴿الرَّحْمَنُ﴾. من المعنى ما ليس لقوله: ﴿الرَّحِيمُ﴾. لأنه جعل معنى الرحمن بمعنى الرقيق^(٢) على من رفق عليه، ومعنى الرحيم بمعنى الرفيق بمن رفق به.

والقول الذي رويناه في تأويل ذلك عن النبي ﷺ، وذكرناه عن العزمي^(٣)، أشبه بتأويله من هذا القول الذي رويناه عن ابن عباس. وإن كان هذا القول موافقاً معناه معنى ذلك، في أن للرحمن من المعنى ما ليس للرحيم، وأن للرحيم تأويلاً غير تأويل الرحمن.

والقول الثالث في تأويل ذلك ما حدثني به عمران بن بكار الكلاعي، قال: حدثنا يحيى بن صالح، قال: حدثنا أبو الأزهر نصر بن عمرو اللخمي من أهل فلسطين، قال: سمعت عطاء الخراساني يقول: كان الرحمن، فلما اختزل الرحمن من اسمه، كان الرحمن الرحيم^(٤).

والذي أراد، إن شاء الله، عطاء بقوله هذا، أن الرحمن كان من أسماء الله التي لا يتسمى بها أحد من خلقه، فلما تسمى به الكذاب مسيئمة - وهو اختزاله إياه، يعنى اقتطاعه من أسمائه لنفسه - أخبر الله جل ثناؤه أن اسمه الرحمن الرحيم؛

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٧/١ عن هذا الموضع.

(٢) في ص: «الرقيق».

(٣) في م: «العزمي». وقد تقدم قوله في ص ١٢٦.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩/١ إلى المصنف. وينظر الفتح ٨/١٥٥.

لِيُفْصَلَ بِذَلِكَ لِعِبَادِهِ اسْمَهُ مِنْ اسْمٍ مَنْ قَدْ تَسَمَّى بِأَسْمَائِهِ ، إِذْ كَانَ لَا يُسَمَّى أَحَدٌ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ - فَيُجْمَعُ لَهُ هَذَانِ الْأَسْمَانِ - غَيْرُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ . وَإِنَّمَا يَتَسَمَّى ^(١) بَعْضُ خَلْقِهِ إِمَّا رَحِيمًا أَوْ يَتَسَمَّى رَحْمَانًا ، فَأَمَّا رَحْمَنٌ رَحِيمٌ ، فَلَمْ يَجْتَمِعَا قَطُّ لِأَحَدٍ سِوَاهُ ، وَلَا يُجْمَعَانِ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ ، فَكَأَنَّ مَعْنَى قَوْلِ عَطَاءٍ هَذَا ، أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا فَصَّلَ بِتَكَرُّرِ الرَّحِيمِ عَلَى الرَّحْمَنِ ، بَيْنَ اسْمِهِ وَاسْمِ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ ، اخْتَلَفَ مَعْنَاهُمَا أَوْ اتَّفَقَا .

وَالَّذِي قَالَ عَطَاءٌ مِنْ ذَلِكَ غَيْرُ فَاسِدٍ الْمَعْنَى ؛ بَلْ جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَصَّ نَفْسَهُ بِالتَّسْمِيَةِ بِهِمَا مَعَ مُجْتَمِعَيْنِ ، إِبَانَةً لَهَا مِنْ خَلْقِهِ ؛ لِيُعَرَّفَ عِبَادَهُ بِذِكْرِهِمَا مَجْمُوعَيْنِ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ بِذِكْرِهِمَا دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنْ خَلْقِهِ ، مَعَ مَا فِي تَأْوِيلِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنَ الْمَعْنَى الَّتِي لَيْسَ فِي الْآخِرِ مِنْهُمَا .

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِبَاءِ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ لَا تَعْرِفُ الرَّحْمَنَ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي ^(٢) لَعْنَتِهَا ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : ﴿ وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْتَ جُدِّ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ [الفرقان : ٦٠] . إِنْكَارًا مِنْهُمْ لِهَذَا الْأَسْمِ . فَكَأَنَّهُ كَانَ ^(٣) مُحَالًا عِنْدَهُ أَنْ يُنْكِرَ أَهْلُ الشِّرْكِ مَا كَانُوا بِصَحَّتِهِ عَالِمِينَ ، أَوْ ^(٤) كَأَنَّهُ لَمْ يَثُلْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾ . يَعْنِي : مُحَمَّدًا ﷺ ، ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٦] . وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ بِهِ / مُكَذِّبُونَ ، وَلِنُبُوَّتِهِ جَاحِدُونَ ، فَيَعْلَمُ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا يُدْأِفُونَ حَقِيقَةً مَا قَدْ ثَبِتَ عِنْدَهُمْ صَحَّتُهُ ، وَاسْتَحْكَمَتْ لَدَيْهِمْ مَعْرِفَتُهُ ، وَقَدْ أُتِّشِدَ لِبَعْضِ الْجَاهِلِيَةِ الْجَهْلَاءِ ^(٥) :

(١) فِي م ، ت ٢ : « تَسَمَّى » .

(٢) فِي ص : « مِنْ » .

(٣) فِي ص : « قَالَ » .

(٤) فِي ص : « أَوَّلًا » .

(٥) الْبَيْتُ فِي الْخُصَصِ ١٥٢/١٧ (الْجُلْدُ الْخَامِسُ) غَيْرُ مَنْسُوبٍ .

أَلَا ضَرَبْتَ تِلْكَ ^(١) الْفَتَاةَ هَجَيْنَهَا ^(٢) أَلَا قَضَبَ الرَّحْمَنُ رُؤْيَى يَمِينَهَا
وَقَالَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ السَّعْدِيُّ ^(٣) :

عَجَلْتُمْ عَلَيْنَا عَجَلَتَيْنَا ^(٤) عَلَيْكُمْ وَمَا يَشَاءُ الرَّحْمَنُ يَغْقِدُ وَيُطْلِقُ
وَقَدْ زَعَمَ أَيْضًا بَعْضُ مَنْ ضَعُفَتْ مَعْرِفَتُهُ بِتَأْوِيلِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ ، وَقُلْتُ رَوَايَتُهُ
لَأَقْوَالِ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ ^(٥) ، أَنَّ الرَّحْمَنَ مَجَازُهُ ذُو الرَّحْمَةِ ، وَالرَّحِيمُ مَجَازُهُ
الرَّاحِمُ . ثُمَّ قَالَ : قَدْ يُقَدَّرُونَ اللَّفْظَيْنِ مِنْ لَفْظٍ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ ، وَذَلِكَ لِاتِّسَاعِ الْكَلَامِ
عِنْدَهُمْ . قَالَ : وَقَدْ فَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : نَذْمَانُ وَنَدِيمٌ . ثُمَّ اسْتَشْهَدَ ^(٦) بَيْتِ
بُرْجِ بْنِ مُسْهِرٍ الطَّائِي : ^(٧)

وَنَذْمَانِ يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيبًا سَقَيْتُ وَقَدْ تَغَوَّرَتْ ^(٨) النُّجُومُ
وَاسْتَشْهَدَ بِأَيَّاتِ نَظَائِرِهِ لَهُ فِي النَّدِيمِ وَالنَّذْمَانِ . فَفَرَّقَ بَيْنَ مَعْنَى الرَّحْمَنِ
وَالرَّحِيمِ فِي التَّأْوِيلِ ، لِقَوْلِهِ : الرَّحْمَنُ ذُو الرَّحْمَةِ ، وَالرَّحِيمُ الرَّاحِمُ . وَإِنْ كَانَ قَدْ
تَرَكَ بَيَانَ تَأْوِيلِ مَعْنِيَّتَيْهِمَا ^(٩) عَلَى صَحَّتِهِ ، ثُمَّ مِثْلُ ^(١٠) ذَلِكَ بِاللَّفْظَيْنِ ^(١١) يَأْتِيَانِ بِمَعْنَى ^(١٢)

(١ - ١) في ت ١ : « الفتاة هجيتها » .

(٢) في النسخ : « الطهوى » . والمثبت كما في طبقات فحول الشعراء ١ / ١٥٥ ، والشعر والشعراء ١ / ٢٧٢ ،
والبيت في ديوانه ص ١٩ .

(٣) في ت ٢ : « معجلينا » .

(٤) لعله أراد بذلك أبا عبيدة في كتابه مجاز القرآن ١ / ٢١ ، فأكثر الكلام الآتي منقول منه بنصه .

(٥ - ٥) في ص : « بيت بزح » ، وفي م : « قول برج » ، وفي ت ٢ : « بيت برح » ، وفي ت ١ : « بيت نوح » .

والبيت في المؤلف والمختلف ص ٨٠ ، وشرح ديوان الحماسة ٣ / ١٢٧٢ ، واللسان (ع ر ق) ، (ن د م) .

(٦) في المؤلف والمختلف ، وشرح ديوان الحماسة : « تعرضت » . وتغورت النجوم : غربت . اللسان
(غ و ر) .

(٧) في ص ، م : « معنيهما » .

(٨) في ص : « بين » .

(٩ - ٩) في ص : « يائبات معنى » .

واحد ، فعاد إلى ما قد جعله بمعنيين ، فجعله مثالاً ما [١٦/١] هو بمعنى واحد ، مع اختلاف الألفاظ .

ولا شك أن ذا الرحمة هو الذى قد^(١) ثبت أن له الرحمة ، وصح أنها له صفة ، وأن الراحم هو الموصوف بأنه سيّرحم ، أو قد رجم فأنقضى ذلك منه ، أو هو فيه ، ولا دلالة^(٢) فيه حيثئذ أن الرحمة له صفة ، كالدلالة على أنها له صفة ، إذا وُصف بأنه ذو الرحمة . فأين معنى الرحمن الرحيم - على تأويله - من معنى الكلمتين تأنيان مُقَدَّرَتَيْنِ من لفظ واحد باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ؟ ولكن القول إذا كان على غير أصلٍ مُعْتَمَدٍ عليه كان واضحاً غوازه .

وإن قال لنا قائلٌ : ولمَ قَدَّمَ اسمَ الله الذى هو الله على اسمه الذى هو الرحمن ، واسمه الذى هو الرحمن على اسمه الذى هو الرحيم ؟

قيل : لأن من شأن العرب إذا أرادوا الخبر عن مُخْبِرٍ عنه أن يُقَدِّمُوا اسمه ، ثم يُتْبِعُوهُ صفاته ونعوته ، وهذا هو الواجب فى الحكم ، أن يكون الاسم مُقَدِّمًا قبل نعته وصفته ؛ لِيَعْلَمَ السامعُ الخبرَ عَمَّنَ الخبرِ .

فإذ كان ذلك ، كذلك وكان لله جل ذكره أسماءٌ قد حرّم على خلقه أن يَسْمُوَها بها ، خصّ بها نفسه دونهم ، وذلك مثلُ الله والرحمن والخالق ، وأسماءٌ أباح لهم أن يُسَمِّيَ بعضهم بعضاً بها ، وذلك كالرحيم والسميع والبصير والكريم وما أشبه ذلك من الأسماء - كان الواجب أن تُقَدَّمَ أسماءُهِ التى هى له خاصةٌ دون جميع خلقه ؛ لِيَعْرِفَ السامعُ ذلك من توجّه إليه الحمد والتمجيد ، ثم يُتْبَعَ ذلك بأسمائه التى قد تَسَمَّى بها غيره ، بعد علم المخاطب أو السامع من توجّه إليه ما يتلوه ذلك من المعاني .

(١) سقط من : م .

(٢) بعده فى م : « له » .

فبدأ الله جل ذكره باسمه الذى هو الله ؛ لأن الألوهة ليست لغيره جل ثناؤه من وجه من الوجوه ، / لا من جهة التسمي به ، ولا من جهة المعنى ، وذلك أنا قد بينا أن ٥٩/١ معنى « الله » جل ثناؤه معنى ^(١) المعبود ، ولا معبود غيره جل ثناؤه ، وأن التسمي به قد حرّمه الله جل ثناؤه ، وإن قصد التسمي به ما قصد ^(٢) التسمي بسعيد وهو شقي ، وبحسن وهو قبيح .

أو لا ترى أن الله جل ثناؤه قال فى غير آية من كتابه : ﴿ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ ﴾ [النمل : ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤] . فاستكبر ذلك من المقر به . وقال تعالى فى خصوصه ^(٣) نفسه بالله وبالرحمن : ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء : ١١٠] . ثم ثنى ذلك ^(٤) باسمه الذى هو الرحمن ، إذ كان قد منع أيضا خلقه التسمي به ، وإن كان من خلقه من قد يستحق تسميته ببعض معانيه ، وذلك أنه قد يجوز وصف كثير ممن هو دون الله من خلقه ببعض صفات الرحمة ، وغير جائز أن يستحق بعض الألوهة أحد دونه ، فلذلك جاء الرحمن ثانيا ^(٥) لاسمه الذى هو الله .

وأما اسمه الذى هو الرحيم ، فقد ذكرنا أنه مما هو جائز وصف غيره به ، والرحمة من صفاته جل ذكره ، فكان - إذ كان الأمر على ما وصفنا - واقعا مواقع نعوت الأسماء اللواتى هن ^(٦) توابعها ، بعد تقدم الأسماء عليها .

(١) فى م : « هو » .

(٢) فى ص ، م : « يقصد » .

(٣) فى م : « خصوصية » .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى ص : « ثابتا » .

(٦) فى ر ، ت ، ١ : « هو » .

فهذا وجه تقديم اسم الله الذي هو الله ، على اسمه الذي هو الرحمن ، واسمه الذي هو الرحمن ، على اسمه الذي هو الرحيم .

وقد كان الحسن البصري يقول في الرحمن مثل ما قلنا ، أنه من أسماء الله التي مَنع التَّسْمِيَّ بها العبَادُ .

حدَّثنا محمد بن بشار ، قال : حدَّثنا حماد بن مَسْعَدَةَ ، عن عوف^(١) ، عن الحسن ، قال : الرحمن اسم ممنوع^(٢) .

مع أن في إجماع الأمة من منع التَّسْمِيَّ به جميع الناس ، ما يُغْنِي عن الاستِشْهَادِ على صحّة ما قلنا في ذلك بقول الحسن وغيره .

(١) في ر : « عون » . وينظر تهذيب الكمال ٤٣٧/٢٢ .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٧/١ عن المصنف .

القول فى تأويل فاتحة الكتاب

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ .

قال أبو جعفر: ومعنى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ . الشكر لله خالصاً دون سائر ما يُعْبَدُ من دونه ، ودونَ كلِّ ما برأ^(١) من خلقه ، بما^(٢) أنعم على عباده من النعم التي لا يُحصيها العدد ، ولا يُحيطُ بعددها غيره أحدٌ ، فى تصحيح الآلاتِ لطاعته ، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه ، مع ما بسط لهم فى دنياهم من الرزق ، وغذاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك^(٣) عليه ، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه ، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود فى دار المقام فى النعيم المقيم ، فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخرًا .

وبما ذكرنا من تأويل قول ربنا جل ثناؤه وتقدست أسماؤه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ . جاء^(٤) الخبر عن ابن عباس وغيره .

/ حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد^(٥) ، قال : حدثنا ٦٠/١ بشر بن عمار ، قال : حدثنا أبو رزق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : قال جبريل لمحمد : قل يا محمد : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ . قال ابن عباس :

(١) فى م : « ترى » .

(٢) فى ص : « بما » .

(٣) فى م : « لذلك » .

(٤) بعده فى م : « عن » .

(٥) فى ص : « سعد » . وتقدم على الصواب . وينظر تهذيب الكمال ٣٧٩ / ١٩ .

الحمد^(١) هو الشكر لله^(٢)، والاستخذاء^(٣) لله، والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه، وغير ذلك^(٤).

حدثني سعيد بن عمرو الشكوني، قال: حدثنا بَقِيَّةُ بن الوليد، قال: حدثني عيسى بن إبراهيم، عن موسى بن أبي حبيب، عن الحكم بن عُمَيْرٍ، وكانت له صحبة، قال: قال النبي ﷺ: «إِذَا قُلْتَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَقَدْ شَكَرْتَ اللَّهَ فَرَادَكَ»^(٥).

قال: وقد قيل: إن قول القائل: الحمد لله. ثناء عليه بأسمائه وصفاته الحسنَى. وقوله: الشكر لله. ثناء عليه بنعمه^(٦) وأياديه.

وقد روى عن كعب الأحمري أنه قال: الحمد لله ثناء^(٧) لله. ولم يُبين في الرواية عنه من أي معنى^(٨) الثناء للذين^(٩) ذكرنا ذلك.

(١) بعده في م، ت ٢: «لله».

(٢) سقط من: م.

(٣) في ت ٢: «الاسحى»، وفي ت ١: «الاستجداء». وفي تفسير ابن أبي حاتم: «الاستجداء». والاستخذاء: الخضوع. اللسان (خ ذ أ).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦/١ (٩) من طريق محمد بن العلاء به.

(٥) إسناده ضعيف جدا. ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٨/١ عن المصنف، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/١ إلى الحاكم في تاريخ نيسابور والديلمي. وقال أبو حاتم: الحكم بن عمير روى عن النبي ﷺ - لا يذكر السماع ولا لقاء - أحاديث منكورة من رواية ابن أخيه موسى بن أبي حبيب، وهو شيخ ضعيف الحديث، ويروى عن موسى بن أبي حبيب عيسى بن إبراهيم، وهو ذاهب الحديث، روى هذه الأحاديث عن عيسى بن إبراهيم بقية بن الوليد. ينظر الجرح ١٢٥/٣، والميزان ٢٠٢/٤.

(٦) في ص، ت ١: «بنعمته».

(٧) بعده في م: «على».

(٨) في م: «معنى».

(٩) في ر، م: «الذي».

حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدْفِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي
عُمَرُ^(١) بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ شَهِيلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي السَّلُولِيُّ، عَنْ
كَعْبٍ، قَالَ: مَنْ قَالَ [١٦/١]: الْحَمْدُ لِلَّهِ. فَذَلِكَ ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ^(٢).

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْخَزَّازُ^(٣)، قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَزَمِيُّ،
قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ الْقَرْقَسَانِيُّ، عَنْ مُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ، عَنْ الْحُسَيْنِ، عَنْ
الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيحٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَمْدِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى،
وَلِذَلِكَ أَتْنَى عَلَى نَفْسِي فَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾»^(٤).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَلَا تَمَانَعُ بَيْنَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ مِنَ الْحُكْمِ لِقَوْلِ الْقَائِلِ:
الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا. بِالصَّحَةِ، فَقَدْ تَبَيَّنَ^(٥) - إِذْ^(٦) كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ جَمِيعِهِمْ صَحِيحًا -
أَنَّ الْحَمْدَ^(٧) قَدْ يُنْطَقُ بِهِ فِي مَوْضِعِ الشُّكْرِ، وَأَنَّ الشُّكْرَ قَدْ يُوضَعُ مَوْضِعَ الْحَمْدِ؛ لِأَنَّ
ذَلِكَ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، لَمَا جَازَ أَنْ يُقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا. فَيُخْرِجُ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ:

(١) فِي ص: «عُمَرُو».

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٦/١ (١٠) مِنْ طَرِيقٍ سَهِيلٍ بِهِ.

(٣) فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ ١١/٣٧٤، وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ ٤٠١/٢٠ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٢٦١ - ٢٨٠): «الْخَزَّازُ».
بِزَايِين. وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ١٤/٣٤٢، ٢٦/٤٦١، وَالسَّيَرُ ١٣/١٨٤.

(٤) إِسْنَادُهُ مَنْقُطَعٌ؛ الْحُسَيْنُ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْأَسْوَدِ. وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١٢/١ إِلَى الْمُصَنِّفِ.
وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٨٣٦) مِنْ طَرِيقٍ مُبَارَكٍ بِهِ دُونَ آخَرِهِ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ ٤٢/٧ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ عَنِ الْحُسَيْنِ بِهِ نَحْوَهُ.

وَالْحَدِيثُ - مُقْتَصَرٌ عَلَى أَوَّلِهِ - عِنْدَ أَحْمَدَ ٢٤/٣٥٢ (١٥٥٨٦)، وَابْنُ خَالٍ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ (٨٥٩)،
وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٧٧٤٥)، وَغَيْرُهُمْ مِنْ طَرِيقِ الْحُسَيْنِ بِهِ.

(٥) بَعْدَهُ فِي ر: «سَهْر».

(٦) فِي ص: «أَنَّ».

(٧) بَعْدَهُ فِي م: «لِلَّهِ».

الْحَمْدُ لِلَّهِ . مُصَدَّرٌ «أَشْكُرُ» ؛ لأن الشكر لو لم يكن بمعنى الحمد ، كان خطأً أن يُصَدَّرَ مِنَ الْحَمْدِ غَيْرُ^(١) معناه وغير لفظه^(٢) .

فإن قال لنا قائل : وما وجه إدخال الألف واللام في الحمد ؟ وهلاً قيل : حمداً لله رب العالمين ؟

قيل : إن لدخول الألف واللام في الحمد معنى لا يُؤدّيه قول القائل : حمداً لله^(٣) . بإسقاط الألف واللام ، وذلك أن دخولهما في الحمد^(٤) مُنْبِئٌ عَنْ^(٥) أن معناه : جميع المحامد والشكر الكامل لله . ولو أُسْقِطْنَا منه ما دلّ إلا على أن حَمْدَ قَائِلٍ ذَلِكَ لِلَّهِ دُونَ المحامد كلها ، إذ كان معنى قول القائل : حمداً لله . أو : «حَمْدُ اللَّهِ»^(٦) : أَحْمَدُ اللَّهَ حمداً . وليس التأويل في قول القائل : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٧) . تالياً سورة أم القرآن : أَحْمَدُ اللَّهَ . بل / التأويل في ذلك ما وصفنا قبل ، من أن جميع المحامد لله بألوهيته وإنعامه على خلقه بما أنعم عليهم به من النعم ، التي لا كفاء^(٨) لها في الدين والدنيا ، والعاجل والآجل .

ولذلك من المعنى تتابعت قراءة القراءة وعلماء الأمة على رفع الحمد من : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . دون نصبها الذي يؤدّي إلى الدلالة على أن معنى تاليه كذلك : أَحْمَدُ اللَّهَ حمداً . ولو قرأ قارئ ذلك بالنصب^(٩) ، لكان عندي مُجِيباً

(١) في ص : «عن» .

(٢) تقدم كلام المصنف على التصدير في ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) في م : «مبنى على» .

(٥ - ٥) في ص : «حمداً لله» ، وفي م : «حمد الله» .

(٦) في م : «كفاء» .

(٧) هي قراءة هارون العتكي ورؤبة وسفيان بن عيينة . ينظر البحر المحيط ١٨/١ .

معناه ، ومُسْتَحِقًّا الْعُقُوبَةَ عَلَى قِرَاءَتِهِ إِيَّاهُ كَذَلِكَ ، إِذَا تَعَمَّدَ قِرَاءَتَهُ كَذَلِكَ ، وَهُوَ عَالِمٌ بِخَطِيئِهِ وَفَسَادِ تَأْوِيلِهِ .

فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : وَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ؟ أَحْمِدُ اللَّهَ نَفْسَهُ جَلِ ثَنَاؤُهُ ، فَأَتَيْنِي عَلَيْهَا ، ثُمَّ عَلَّمَنَاهُ لِنَقُولَ ذَلِكَ كَمَا قَالَ وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ؟ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ إِذَنْ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . وَهُوَ عَزَّ ذِكْرُهُ مَعْبُودٌ لَا عَابِدَ ؟ أَمْ ^(١) ذَلِكَ مِنْ قِيلِ ^(٢) جَبْرِيلَ ، أَوْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَدْ بَطُلَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِلَّهِ كَلَامًا .

قِيلَ : بَلْ ذَلِكَ كُلُّهُ كَلَامُ اللَّهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ ، وَلَكِنَّهُ جَلِ ذِكْرُهُ حَمْدُ نَفْسِهِ وَأَتَيْنِي عَلَيْهَا بِمَا هُوَ ^(٣) لَهُ أَهْلٌ ^(٤) ، ثُمَّ عَلَّمَ ذَلِكَ عِبَادَهُ ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ تِلَاوَتَهُ ، اخْتِيَارًا مِنْهُمْ لَهُمْ وَائْتِلَاءً ، فَقَالَ لَهُمْ : قُولُوا : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وَقُولُوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . فَقَوْلُهُ ^(٥) : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ . مِمَّا عَلَّمَهُمْ جَلِ ذِكْرُهُ أَنْ يَقُولُوهُ وَيَدِينُوا لَهُ بِمَعْنَاهُ ، وَذَلِكَ مُوَصُولٌ بِقَوْلِهِ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وَكَأَنَّهُ قَالَ : قُولُوا هَذَا وَهَذَا .

فَإِنْ قَالَ : وَأَيْنَ قَوْلُهُ : قُولُوا . فَيَكُونُ تَأْوِيلُ ذَلِكَ مَا ادَّعَيْتَ ؟

قِيلَ : قَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَى عَلَى ^(٦) أَنَّ الْعَرَبَ مِنْ شَأْنِهَا إِذَا عَرَفَتْ مَكَانَ الْكَلِمَةِ ، وَلَمْ تَشْكُكْ ^(٧) أَنْ سَامِعَهَا يَعْرِفُ بِمَا أَظْهَرَتْ مِنْ مَنْطِقِهَا مَا حَذَفَتْ - حَذَفُ مَا كَفَى

(١) فِي ص : « أَمِنْ » .

(٢) فِي ص ، ر : « قِيلَ » .

(٣ - ٣) فِي ص ، ت ١ : « أَهْلُهُ » .

(٤) فِي ص : « فَقُولُوا » .

(٥) سَقَطَ مِنْ : م .

(٦) فِي م : « تَشْكُ » .

منه الظاهر من منطيقها ، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حذفت قولاً أو بتأويل^(١) قول ، كما قال الشاعر^(٢) :

وَأَعْلَمُ أَنَّنِي سَأَكُونُ^(٣) رَمْسًا^(٤) إِذَا سَارَ النَّوَاعِجُ^(٥) لَا يَسِيرُ

فَقَالَ السَّائِلُونَ^(٦) لِمَنْ حَفَرْتُمْ^(٧) فَقَالَ الْمُخْبِرُونَ^(٨) لَهُمْ وَزِيرُ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : يُرِيدُ بِذَلِكَ : فَقَالَ الْمُخْبِرُونَ^(٨) لَهُمْ : الْمَيْتُ وَزِيرُ . فَأَشَقَطَ الْمَيْتُ ، إِذْ كَانَ قَدْ أَتَى مِنَ الْكَلَامِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ^(٩) :

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى^(١٠) مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

(١) فى م : « تأويل » .

(٢) سيأتى البيتان فى تفسير الآية ٨٧ من سورة « المؤمنون » ، ونسبهما لبعض بنى عامر ، وكذلك فى معانى القرآن للفراء ١ / ١٧٠ ، وهما فى البيان والتبيين ٣ / ١٨٤ منسوبان للوزيرى .

(٣) فى م : « لا أكون » .

(٤) الرمس : القبر إذا كان مستويا مع وجه الأرض . تاج العروس (ر م س) . وفى البيان والتبيين : * وأعلم أننى سأصير ميتا * .

(٥) فى ص : « النوائح » ، وفى معانى القرآن ، والبيان والتبيين : « النواجع » . والنواجع من الإبل : السراع ، وقد نعتجت الإبل فى سيرها ، بالفتح : أسرع . اللسان (ن ع ج) .

(٦) فى ص ، ومعانى القرآن : « السائرون » .

(٧ - ٨) فى البيان والتبيين : « من المسجى » .

(٨) فى ر : « المجمر » .

(٩) البيت فى تأويل مشكل القرآن ص ١٦٥ ، ومعانى القرآن للفراء ٣ / ١٢٣ ، والكامل ١ / ٣٣٤ ، ٣٧١ ،

٢ / ٢٧٥ ونسبه فى نسخة منه لعبد الله بن الزبيرى .

(١٠ - ١٠) فى معانى القرآن :

* ولقيت زوجك فى الوعى *

وفى الكامل :

* يا ليت زوجك قد غدا *

وقد عَلِمَ أن الرَّمْعَ لَا يُتَقَلَّدُ، ^(١) وأنه إنما أراد: وحاملاً رمحاً. ولكن لما كان معلوماً معناه اكتفى بما قد ظهر من كلامه عن إظهار ما حذف منه. وقد يقولون للمسافر إذا ودَّعوه: مُصَاحِبًا مُعَافًى. ^(٢) يُغْنِي بِذَلِكَ: سِرُّ مُصَاحِبًا مُعَافًى. فيحذفون ^(٣): سِرُّ، واخرج. إذ كان معلوماً معناه، وإن أُسْقِطَ ذكره.

فكذلك ما حُذِفَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. لَمَّا عَلِمَ بِقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. ما أراد بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. مِنْ مَعْنَى أَمْرِهِ عِبَادَهُ، أَعْنَتَ دَلَالَةً مَا ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنْ الْقَوْلِ عَنْ إِبْدَاءِ مَا حُذِفَ.

وقد رَوَيْنَا الْخَبَرَ ^(٣) الَّذِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مَبْتَدَأً فِي تَأْوِيلِ ^(٤) قَوْلِ اللَّهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ جَبْرِيلَ قَالَ لِمُحَمَّدٍ: قُلْ ٦٢/١ يَا مُحَمَّدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وَبَيَّنَّا أَنَّ جَبْرِيلَ إِنَّمَا عَلَّمَ مُحَمَّدًا ﷺ مَا أُمِرَ بِتَعْلِيمِهِ إِيَّاهُ، وَهَذَا الْخَبَرُ يُنْبِئُ عَنْ صَحَّةِ مَا قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ^(٥).

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿رَبِّ﴾.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: قَدْ مَضَى الْبَيَانُ عَنْ تَأْوِيلِ اسْمِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ اللَّهُ فِي: ﴿يَسِّرْ اللَّهُ﴾. فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى تَكَرَّارِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ^(٦).

(١ - ١) فِي ر: «وَأَنَّهُ»، وَفِي م: «وَلَمَّا».

(٢ - ٢) فِي م، ت ٢: «يَحْذِفُونَ».

(٣) بَعْدَهُ فِي ص: «عَنْ».

(٤) فِي م: «تَنْزِيل».

(٥) يَنْظُرُ مَا تَقْدِمُ فِي ص ١٣٥.

(٦) يَنْظُرُ مَا تَقْدِمُ فِي ص ١٢١ وَمَا بَعْدَهَا.

وأما تأويل قوله: ﴿رَبِّ﴾. فإن الرب في كلام العرب مُنْصَرَفٌ ^(١) على معانٍ؛ فالسيد المطاع فيهم ^(٢) يُدْعَى رَبًّا، ومن ذلك قولُ لبيد بن ربيعة ^(٣):
وأَهْلَكَنَ يَوْمًا رَبَّ كِنْدَةَ وابنه وربَّ مَعَدٍّ بَيْنَ خَبْتٍ ^(٤) وَعَرَعٍ ^(٥)
يعنى برَبِّ كِنْدَةَ: سيدَ كِنْدَةَ. ومنه قولُ نابغة بنى ذُيَّانَ ^(٦):
[١٧/١] تَخْبُتُ إِلَى الثُّعْمَانِ حَتَّى تَنَالَهُ ^(٧) فِدَى لَكَ ^(٨) مِنْ رَبِّ طَرِيفِي ^(٩) وَتَالِدِي ^(١٠)
والرجلُ الْمُصْلِحُ الشَّيْءَ ^(١١) يُدْعَى رَبًّا، ومنه قولُ الفَرَزْدَقِ بنِ غالبٍ ^(١٢):

كانوا كَسَالِيَةً حَقَمَاءَ إِذْ حَقَنْتَ سِلَآءَهَا ^(١٣) فِي أَدِيمٍ غَيْرِ مَرْبُوبٍ
يعنى بذلك: في أديمٍ غيرِ مُصْلِحٍ. ومن ذلك قيل: إن فلانًا يَرْبُ صَنِيعَتَهُ
عِنْدَ فُلَانٍ. إِذَا كَانَ يُحَاوِلُ إِصْلَاحَهَا وَإِدَامَتَهَا. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدَةَ ^(١٤):

(١) في م، ت ١: «متصرف».

(٢) في م: «فيها».

(٣) شرح ديوان لبيد ص ٥٥.

(٤) خبت: موضع بالشام، وقرية بزييد، وماء لكلب. تاج العروس (خ ب ت).

(٥) عرعر: عدة مواضع نجدية وغيرها، وواد بنعمان قرب عرفة. تاج العروس (ع ر ر).

(٦) ديوانه ص ١٧٠.

(٧ - ٨) ص، ر، ت ١: «فذلك».

(٨) الطريف والطارف من المال: المستحدث. اللسان (ط ر ف).

(٩) التالذ: المال القديم الأصلي الذي ولد عندك. اللسان (ت ل د).

(١٠) في م: «للشيء».

(١١) ديوانه ص ٢٥.

(١٢) السلاء: السمن. اللسان (س ل أ).

(١٣) ديوان علقة بشرح الأعلام ص ٤٣، وجمهرة اللغة ٢٨/١، والمختص ١٥٤/١٧ (المجلد =

(١) فَكُنْتُ^(٢) امرأً أَفْضَتْ إِلَيْكَ رِبَابَتِي^(١) وَقَبْلَكَ رَبَّتِي - فَضِغْتُ - رُبُوبُ^(٣)
يعنى بقوله : أَفْضَتْ إِلَيْكَ . أَى وَصَلَتْ^(٤) إِلَيْكَ رِبَابَتِي ، فَصِرْتَ أَنْتَ الَّذِى
تَرْبُ أَمْرِى فَتُصْلِحُهُ ، لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ رِبَابَةِ غَيْرِكَ مِنَ الْمُلُوكِ^(٥) كَانُوا قَبْلَكَ عَلِىَّ ،
فَضِغُوا أَمْرِى وَتَرَكَوا تَفْقُّدَهُ . وَهَمُّ الرُّبُوبِ ، وَاحْذُهُمْ رَبِّ ، وَالْمَالِكُ لِلشَّيْءِ يُدْعَى رَبَّهُ .
وَقَدْ يَتَصَرَّفُ أَيْضًا مَعْنَى الرَّبِّ فِى وَجْهِهِ غَيْرِ ذَلِكَ ، غَيْرَ أَنَّهَا تَعُودُ إِلَى بَعْضِ
هَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ .

فَرُبَّنَا جَلُّ ثَنَائِهِ السَّيِّدُ الَّذِى لَا شَيْبَةَ^(٦) لَهُ ، وَلَا مِثْلَ فِى مِثْلٍ^(٧) سُؤْدُودِهِ ، وَالْمُصْلِحُ
أَمْرٍ خَلَقَهُ بِمَا أَشْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نَعَمِهِ ، وَالْمَالِكُ الَّذِى لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ .
و^(٨) بَنَحُوا الَّذِى^(٨) قُلْنَا فِى تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلُّ ثَنَائِهِ : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . جَاءَتْ
الرَّوَايَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو رَزْوِيقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ جَبْرِيلُ لِمُحَمَّدٍ : يَا
مُحَمَّدُ قُلْ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَقُولُ : قُلْ : الْحَمْدُ

= (الخامس) ، وَاللِّسَانُ (ر ب ب) .

(١ - ١) فِى الدِّيَوَانِ :

* وَأَنْتَ امْرَأُ أَفْضَتْ إِلَيْكَ أَمَانَتِي * .

(٢) فِى ر : « فَكُنْتُ » . بِضَمِّ التَّاءِ ، وَكَذَا فِى اللِّسَانِ ، وَالضَّبْطُ مُوَافِقٌ لَضَبْطِ الْجُمْهُرَةِ وَالْمَخْصَصِ .

(٣) فِى الْجُمْهُرَةِ ، وَاللِّسَانِ : وَيُرْوَى : رُبُوبٌ . قَالَ فِى اللِّسَانِ : وَعِنْدَى أَنَّهُ اسْمٌ لِلْجَمْعِ .

(٤) فِى م : « أَوْصَلَتْ » .

(٥) بَعْدَهُ فِى م : « الَّذِينَ » .

(٦) فِى ص : « شَبِيه » .

(٧) سَقَطَ مِنْ : ر ، م ، ت ٢ .

(٨ - ٨) فِى ر ، ت ٢ : « بِالَّذِى » .

لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ ؛ السَّمَاوَاتُ كُلُّهُنَّ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَالْأَرْضُونَ ^(١) كُلُّهُنَّ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَمَا بَيْنَهُنَّ مِمَّا ^(٢) يُعَلِّمُ وَمِمَّا لَا يُعَلِّمُ ^(٣) . يَقُولُ : اَعْلَمْتُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ رَبِّكَ هَذَا لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ ^(٤) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ : ﴿ اَلْعَالَمِينَ ﴾ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالْعَالَمُونَ جَمْعُ عَالَمٍ ، وَالْعَالَمُ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ ، كَالْأَنَامِ وَالرَّهْطِ ^(٥) وَالْجَيْشِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي هِيَ مَوْضُوعَاتٌ عَلَى جَمَاعٍ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ .

وَالْعَالَمُ اسْمٌ لِأَصْنَافِ الْأُمَمِ ، وَكُلُّ صَنَفٍ مِنْهَا عَالَمٌ ، وَأَهْلُ كُلِّ قَرْنٍ مِنْ كُلِّ صَنَفٍ مِنْهَا عَالَمٌ ذَلِكَ الْقَرْنِ وَذَلِكَ الزَّمَانِ ، فَالْإِنْسُ عَالَمٌ ، / وَكُلُّ أَهْلِ زَمَانٍ مِنْهُمْ عَالَمٌ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، وَالْجُنُّ عَالَمٌ ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ أَجْنَاسِ الْخَلْقِ ، كُلُّ جَنَسٍ مِنْهَا عَالَمٌ زَمَانِهِ ^(٥) ، وَلِذَلِكَ جُمِيعٌ فَقِيلَ : عَالَمُونَ . وَوَاحِدُهُ جَمْعٌ ، لَكُونِ عَالَمٍ كُلُّ زَمَانٍ مِنْ ذَلِكَ عَالَمٌ ذَلِكَ الزَّمَانِ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْعَجَّاجِ ^(٦) :

فَخِنْدِفٌ ^(٧) هَامَةٌ هَذَا الْعَالَمِ

فَجَعَلَهُمْ عَالَمٌ زَمَانِهِ .

(١) فِي النِّسْخِ : « الْأَرْضُ » . وَسَيَأْتِي فِي الصَّفْحَةِ التَّالِيَةِ .

(٢ - ٣) فِي ر : « تَعْلَمُ وَمَا لَا تَعْلَمُ » .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٧/١ (١٤) مِنْ طَرِيقِ أَبِي كَرِيبٍ بِهِ دُونَ آخِرِهِ .

(٤ - ٥) سَقَطَ مِنْ : ر .

(٥) فِي ص : « ذَلِكَ الزَّمَانُ » .

(٦) دِيَوَانُهُ ص ٢٩٩ .

(٧) خِنْدِفٌ : امْرَأَةُ إِبِلَاسَ بْنِ مُضَرَ ، وَاسْمُهَا لَيْلَى ، نَسَبَ وَلَدَ إِبِلَاسَ إِلَيْهَا ، وَهِيَ أُمُّهُمْ . اللَّسَانُ (خ ن د ف) .

وهذا القول الذى قلناه قول ابن عباس وسعيد بن جبير، وهو معنى قول عامة المفسرين .

حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا عثمان بن سعيد، قال : حدثنا بشر بن عمار، قال : حدثنا أبو رزق، عن الضحاک، عن ابن عباس : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : الحمد لله الذى له الخلق كله ، السماوات والأرضون ^(١) ، ومن فيهن ، وما بينهن ^(٢) ، مما يُعَلَّم ^(٣) ومما ^(٤) لا يُعَلَّم ^(٣) .

حدثنى محمد بن سنان القزاز، قال : حدثنا أبو عاصم، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : الجن والإنس .

حدثنى على بن الحسن، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمن، قال : حدثنا محمد بن مصعب ^(٦)، عن قيس بن الربيع، عن عطاء بن السائب، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس فى قول الله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . قال : رب الجن والإنس ^(٧) .

(١) فى م : « الأرض » .

(٢) فى ص : « يليهن » .

(٣) فى ر : « تعلم » .

(٤) سقط من : م ، وفى ر : « ما » .

(٥) سقط من : ر . وينظر تهذيب الكمال ٢٨١ / ١٣ .

(٦ - ٦) سقط من : م . وتقدم فى ص ١٣٧ .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٨ / ١ (١٨) من طريق قيس به . وأخرجه الحاكم ٢٥٨ / ٢ من

طريق سفيان، عن عطاء به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣ / ١ إلى الفريانى وعبد بن حميد وابن

المنذر . (تفسير الطبرى ١٠ / ١)

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى الْأَهْوَازِيُّ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ،
قَالَ : حَدَّثَنَا قَيْسٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ : ﴿رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ . قَالَ : الْجَنُّ وَالْإِنْسُ ^(١) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْبُزْجِيُّ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ ابْنِ لَهْيَعَةَ،
عَنْ عَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ : ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . قَالَ : ابْنُ آدَمَ
وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ، كُلُّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ عَالَمٌ عَلَى حِدَّتِهِ ^(١) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا مِهْرَانٌ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ مُجَاهِدٍ :
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . قَالَ : الْجَنُّ وَالْإِنْسُ ^(٢) .

^(٣) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَهْوَازِيُّ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، عَنْ
سَفْيَانَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ بِمِثْلِهِ .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ الْعَقَدِيُّ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ
قَتَادَةَ : ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . قَالَ ^(٤) : كُلُّ صَنَفٍ عَالَمٌ ^(٣) ^(١) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ الْغَفَارِيُّ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ
أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ . قَالَ : الْإِنْسُ عَالَمٌ، وَالْجَنُّ عَالَمٌ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ ثَمَانِيَّةٌ عَشَرَ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣/١ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٨/١ عقب الأثر (٢٨) معلقا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣/١ إلى
المصنف وعبد بن حميد .

(٣ - ٣) سقط من : ر .

(٤) بعده في ص : « رب » .

أَلْفَ عَالَمٍ^(١) ، أو أربعةَ عَشَرَ أَلْفَ عَالَمٍ - هو يَشْكُ - مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَلِلْأَرْضِ أَرْبَعُ زَوَايَا ، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ ثَلَاثَةُ آلَافٍ عَالَمٍ وَخَمْسُمِائَةٍ عَالَمٍ ، خَلَقَهُمْ لِعِبَادَتِهِ^(٢) .

/ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحُسَيْنِ^(٣) ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : ٦٤/١
حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ : الْجَنُّ
وَالْإِنْسُ^(٤) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : قَدْ مَضَى الْبَيَانُ عَنْ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ فِي
تَأْوِيلِ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فَأَعْنَى ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا
الْمَوْضِعِ^(٥) .

وَلَمْ نَحْتَجْ إِلَى الْإِبَانَةِ عَنْ وَجْهِ تَكْرِيرِ^(٦) ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، إِذْ كُنَّا لَا نَرَى
[١٧/١ ط] أَنْ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ مِنْ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ آيَةً ،
فَيَكُونُ عَلَيْنَا لِسَائِلُ مَسْأَلَةٍ بِأَنْ يَقُولَ : مَا وَجْهُ تَكْرِيرِ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَقَدْ مَضَى

(١) سقط من : ص ، ر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٧/١ (١٥) عن أبيه ، عن عبيد الله به . وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢١٩/٢ من طريق أبي جعفر به .

وذكره ابن كثير في تفسيره ٤٦٧/١ - تحقيق أبي إسحاق الحويني - عن هذا الموضع ، وقال :
وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح . اهـ . وأخرج أبو نعيم في الحلية ٧٠/٤ عن وهب بن
منبه نحو أوله .

(٣) في ر : « الحسين » .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٩/١ عن ابن جريج .

(٥) ينظر ما تقدم في ص ١٢٤ .

(٦) بعده في م : « الله » .

وصفُ اللهِ جلَّ ثَنَاهُ به نفسه في قوله: ﴿يَسْمِ اللهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ . مع قرب مكان إحدى الآيتين من الأخرى ، ومجاورتها صاحبتهما ؟ بل ذلك لنا حجة على خطأ دعوى مَنْ ادَّعى أن : ﴿يَسْمِ اللهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ من فاتحة الكتاب آية ، إذ لو كان ذلك كذلك ، لكان ذلك إعادة آية بمعنى واحد ولفظ واحد مرتين من غير فاصلٍ يُفصلُ^(١) بينهما . وغير موجود في شيء من كتاب الله آيتان متجاورتان مُكرَّرتان بلفظ واحد ومعنى واحد ، لا فصل بينهما من كلام يُخالفُ معناه معناه ، وإنما يأتي بتكرير آية بكمالها في السورة الواحدة ، مع فصولٍ تُفصلُ بين ذلك ، وكلامٍ يُعترضُ به بغير معنى الآيات المُكرَّرات أو غير ألفاظها ، ولا فاصلٍ بين^(٢) قول الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ من : ﴿يَسْمِ اللهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ . وقوله : ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ من : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

فإن قال^(٣) : فإن : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فاصلٌ بين^(٢) ذلك .

قيل : قد أنكر ذلك جماعة من أهل التأويل ، وقالوا : إن ذلك من المؤخر الذي معناه التَّقديمُ ، وإنما هو : الحمدُ لله الرحمن الرحيم رب العالمين ملك يوم الدين . واستشهدوا على صحة ما ادَّعوا من ذلك بقوله : (ملك يوم الدين) . فقالوا : إن قوله : (ملك يوم الدين) تعليم من الله عبده أن يصفه بالملك في قراءة من قرأ : (ملك) . وبالملك في قراءة من قرأ : ﴿ملك﴾ . قالوا : فالذي هو أولى أن يكون مُجاوِرَ وَصْفِهِ بالملك أو الملك ما كان نظير ذلك من الوصف ، وذلك هو قوله :

(١) سقط من : ص .

(٢) في ص : « من » .

(٣) بعده في م : « قائل » .

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . الذى هو خيرٌ عن ملكه جميع أجناس الخلق ، وأن يكون مُجاوِرَ وصفه بالعظمة والألوهة ما كان له نظيرًا فى المعنى من الثناء عليه ، وذلك قوله : ﴿الْزَمَّ الزَّمَّ﴾ . فرَعَمُوا أن ذلك لهم دليلٌ على أن قوله : ﴿الْزَمَّ الزَّمَّ﴾ بمعنى التقديم قبل : ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . وإن كان فى الظاهر مؤخرًا . وقالوا^(١) : نظائر ذلك من التقديم الذى هو بمعنى التأخير ، والمؤخر الذى هو بمعنى التقديم - فى كلام العرب أفشى ، وفى منطوقها أكثر من أن يُحصى ؛ من ذلك قول جرير بن عطية^(٢) :

طاف الخيال وأين منك لِمَا^(٣) فازجع لزورك بالسلام سلامًا

بمعنى : طاف الخيال لِمَا ، وأين هو منك ؟ وكما قال جل ثناؤه فى كتابه العزيز : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف : ١] .
بمعنى : الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب قِيمًا ولم / يجعل له عِوَجًا . وما أشبه ٦٥/١
ذلك . ففى ذلك دليلٌ شاهدٌ على صحة قول من أنكّر أن تكون : ﴿يُسِرُّ اللَّهُ﴾
﴿الْزَمَّ الزَّمَّ﴾ من فاتحة الكتاب آية .

القول فى تأويل قوله : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

قال أبو جعفر : القراء مُختلفون فى تلاوة : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ . فبعضهم يثْلُوهُ : (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) . وبعضهم يثْلُوهُ : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ .
وبعضهم يثْلُوهُ : (مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) . بنصب الكاف^(٤) . وقد استقصينا حكاية

(١) بعده فى م ، ت ٢ : « فى » .

(٢) شرح ديوانه ص ٥٤١ .

(٣) اللام : الزيارة عِجًا ، ويقال : فلان يزورنا لِمَا . أى فى الأحيان . اللسان (ل م م) .

(٤) أما قراءة (مَلِكِ) فهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر وحزمة ، وأما قراءة (مالِكِ) : فهى =

الرواية عَمَّن رَوَى عَنْهُ فِي ذَلِكَ قِرَاءَةً فِي كِتَابِ «الْقِرَاءَاتِ» ، وَأَخْبَرَنَا بِالذِي نَخْتَارُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِيهِ ، وَالْعِلَّةُ الْمُوجِبَةُ صِحَّةَ مَا اخْتَرْنَاهُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِيهِ ، فَكِرِهْنَا إِعَادَةَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، إِذْ كَانَ الذِّي قَصَدْنَا لَهُ فِي كِتَابِنَا هَذَا الْبَيَانُ عَنْ وَجْهِهِ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ دُونَ وَجْهِهِ قِرَاءَتِهَا .

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ أَنَّ الْمَلِكَ مِنَ الْمُلُوكِ مُشْتَقٌّ ، وَأَنَّ الْمَالِكَ مِنَ الْمُلُوكِ مَأْخُودٌ ، فَتَأْوِيلُ قِرَاءَةٍ مِّنْ قَرَأَ ذَلِكَ : (مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ) . أَنَّ لِلَّهِ الْمُلُوكَ خَالِصًا يَوْمَ الدِّينِ دُونَ جَمِيعِ خَلْقِهِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا مُلُوكًا جَبَابِرَةً يُنَازِعُونَهُ الْمُلُوكَ ، وَيُدَافِعُونَهُ الْإِنْفِرَادَ بِالْكَبِيرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ وَالسُّلْطَانِ وَالْجَبَرِيَّةِ ، فَأَتَقْنُوا ^(١) بِلِقَاءِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ أَنَّهُمْ الصَّغَرَةُ الْأَذَلَّةُ ، وَأَنَّ لَهُ مِنْ ^(٢) دُونِهِمْ وَدُونَ غَيْرِهِمُ الْمُلُوكَ وَالْكَبِيرِيَاءَ وَالْعِزَّةَ وَالْبَهَاءَ ، كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ فِي تَنْزِيلِهِ : ﴿ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر : ١٦] . فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ يَوْمَئِذٍ بِالْمُلُوكِ دُونَ مَلُوكِ الدُّنْيَا الَّذِينَ صَارُوا يَوْمَ الدِّينِ مِنْ مُلُوكِهِمْ إِلَى ذَلَّةٍ وَصَغَارٍ ، وَمِنْ دُنْيَاهُمْ فِي الْمَعَادِ إِلَى خُسَارٍ .

وَأَمَّا تَأْوِيلُ قِرَاءَةٍ مِّنْ قَرَأَ : ﴿ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ فَمَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ بَشْرِ بْنِ عُمَارَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ . يَقُولُ : لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَعَهُ حَكْمًا كَمِلْكِهِمْ فِي الدُّنْيَا . ثُمَّ قَالَ : ﴿ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبا : ٣٨] . وَقَالَ : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾ [طه : ١٠٨] .

= قِرَاءَةُ عَاصِمٍ وَالْكَسَائِيِّ ، وَأَمَّا قِرَاءَةُ (مَالِكٌ) بِفَتْحِ الْكَافِ فَهِيَ رِوَايَةُ الْمُطَوَّعِيِّ عَنِ الْأَعْمَشِ ، وَهِيَ مِنَ الشُّوَاذِ . يَنْظُرُ إِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ ص ٧٦ .

(١) سَقَطَ مِنْ : ر .

(٢) سَقَطَ مِنْ : م ، ت ٢ .

وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ ^(١) [الأنبياء: ٢٨] .

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالآية وأصحُّ القراءتين في التلاوة عندى التأويل الأول، و ^(٢) قراءة من قرأ (مَلِك) . بمعنى المُلْك ؛ لأن في الإقرار له بالانفراد بالملِك إيجاباً لانفراده بالملِك ، وفضيلة زيادة المَلِك على المالك ^(٣) ، إذ كان معلوماً ألا مَلِك إلا وهو مالك ، وقد يكون المالك لا مَلِكاً .

وبعد ، فإن الله جل ذكره قد أخبر عباده في الآية التي قبل قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أنه مالك جميع العالمين ، وسيدهم ، ومُضِلُّهم ، ^(٤) والناظر لهم ، والرحيم بهم في الدنيا والآخرة بقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٥) الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . فإذا ^(٥) كان جل ذكره قد أنبأهم عن ملكه إياهم كذلك بقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فأولى الصفات / من صفاته جل ذكره أن يتبع ذلك ، ما لم يخوه قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مع قرب ما بين الآيتين [١٨/١] من المواصلة والمجاورة ، إذ كانت حكمته الحكمة التي لا تُشبهها حكمة . وكان في إعادة وصفه جل ذكره بأنه: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إعادة ما قد مضى من وصفه به في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . مع تقارب الآيتين وتجاور الصفتين ، وكان في إعادة ذلك تكرار ألفاظ مختلفة بمعانٍ متفقة ، لا تُفِيدُ سامع ما كرّر منه فائدةً به إليها حاجة . والذي لم يخوه من صفاته جل

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٩/١ (٢٤) من طريق أبي كريب به مختصراً .

(٢) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ : «هى» .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ٢ : «الملك» .

(٤ - ٥) سقط من : ر .

(٥) في ص : «فإن» ، وفي م : «فإذا» ، وفي ت ١ : «وإذا» .

ذكره ما قبل قوله : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ المعنى الذى فى قوله : (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) وهو وصفه بأنه المَلِكُ .

فبيّن إذن أن أولى القراءتين بالصواب ، وأحقّ التأويلين بالكتاب ، قراءة من قرأه : (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) بمعنى إخلاص المَلِكِ له يوم الدين ، دون قراءة من قرأ : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بمعنى ^(١) أنه يَمْلِكُ الحكمَ بينهم وفصلَ القضاء ، مُتَّفَقًا به دون سائر خلقه .

فإن ظنَّ ظانٌّ أن قوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَبَأٌ عن ملكه إياهم فى الدنيا دون الآخرة ، فوجب ^(٢) ^(٣) وصل ذلك ^(٤) بالنبأ عن نفسه أنه من ^(٥) ملكهم فى الآخرة على نحو ملكه إياهم فى الدنيا بقوله : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فقد أغفل ^(٥) وظنَّ خطأ ؛ وذلك أنه لو جاز لظانٌّ أن يظُنَّ أن قوله : ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ محصورٌ معناه على الخبر عن ربوبيته ^(٦) عالم الدنيا دون عالم الآخرة - مع عدم الدلالة على أن معنى ذلك كذلك فى ظاهر التنزيل ، أو فى خبر عن الرسول ﷺ به منقول ، أو بحجة موجودة فى المعقول - جاز ^(٧) لآخر أن يظُنَّ أن ذلك محصورٌ على عالم الزمان الذى فيه نزل قوله : ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دون سائر ما يحدث بعده فى الأزمنة الحادثة من العالمين ، إذ كان صحيحًا بما ^(٨) قدّمنا من البيان أن عالم كل زمان

(١) فى ص : « الذى بمعنى » .

(٢) فى ص ، م : « يوجب » .

(٣ - ٣) فى م : « وصله » .

(٤) فى م ، ت ٢ : « قد » .

(٥) قال الشيخ شاكراً : قوله : أغفل . فعل لازم غير متعد ، ومعناه : دخل فى الغفلة والنسيان ووقع فيهما ، وهى عربية معروفة وإن لم توجد فى المعاجم .

(٦) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « ربوبية » .

(٧) فى م : « لجاز » .

(٨) بعده فى م ، ت ٢ : « قد » .

غيرِ عالمِ الزمانِ الذى بعده .

فإن غيبي عن علمِ صحة ذلك بما قد قدّمنا ذو غباءٍ ، فإن فى قولِ الله جل ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الحاقة : ١٦] . دلالة واضحة على أن عالم كل زمانٍ غيرِ عالمِ الزمانِ الذى كان قبله وعالمِ الزمانِ الذى بعده ، إذ كان الله جل ثناؤه قد فضّل أمة نبيّنا محمد ﷺ على سائر الأممِ الحالية ، وأخبرهم بذلك فى قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ الآية [آل عمران : ١١٠] . فمعلومٌ بذلك أن بنى إسرائيل فى عصرِ نبيّنا ﷺ لم يكونوا مع تكذيبهم به ﷺ أفضلَ العالمين ، بل كان أفضلُ العالمين فى ذلك العصرِ وبعده إلى قيامِ الساعةِ المؤمنون به المتَّبِعون منهاجَه ، دونَ مَنْ سواهم من الأممِ المكذبة الضالّة عن منهاجَه .

وإذ كان بيننا فسادٌ تأويلٍ مُتَأَوِّلٍ لو تأوّل قوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أنه معنّى به أن الله ربُّ عالمي زمنِ نبيّنا محمد ﷺ ، دونِ عالمي سائرِ الأزمنةِ غيره - كان واضحاً فسادٌ قولٍ مَنْ زعمَ أن تأويله : ربُّ عالمِ الدنيا دونِ عالمِ الآخرة . وأن : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ استحقَّ الوصلَ به ليُعْلَمَ أنه فى الآخرةِ مِنْ مَلِكِهِمْ ورُبوبيّتهم بمثلِ الذى كان عليه فى الدنيا .

ويُشَأَلُ زاعمُ ذلك الفرقَ بينه وبينَ مُتَحَكِّمٍ مثله فى تأويلِ قوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ تحكّم فقال ^(١) : إنما عنى بذلك أنه ربُّ عالمي زمانِ محمد ﷺ دونِ عالمي غيره من الأزمنةِ الماضيةِ قبله والحادثةِ بعده ، كالذى زعمَ قائلُ ^(٢) هذا القولِ

(١) بعده فى م ، ت ٢ : « إنه » .

(٢) سقط من : م ، ت ٢ .

أنه ^(١) «عنى به عالمي» الدنيا دون عالمي ^(٢) الآخرة - من أصلي أو دلالة . فلن يقول في أحدهما شيئاً إلا أُزِم في الآخر مثله .

٦٧/١ /وأما الزاعم أن تأويل قوله : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أنه الذي يملك إقامة يوم الدين ، فإن الذي ألزمتنا قائل هذا القول الذي قبله له لازم ، إذ كانت إقامة القيامة إنما هي إعادة الخلق الذين قد بادوا لهيئاتهم التي كانوا عليها قبل الهلاك في الدار ^(٣) التي أعدت ^(٤) لهم فيها ما أعدت ، وهم العالمون الذين قد أخبر جل ذكره عنهم أنه ربهم في قوله : ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وأما تأويل ذلك في قراءة من قرأ : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) فإنه أراد : يا ^(٥) مالك يوم الدين . فنصبه بنية النداء والدعاء ، كما قال جل ثناؤه : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف : ٢٩] . بتأويل : يا يوسف أعرض عن هذا . وكما قال الشاعر من بني أسد ، وهو شعتر - فيما يقال - جاهلي ^(٦) :

إِنْ كُنْتَ أَزْنَنْتَنِي ^(٧) بِهَا كَذِبًا جَزْءُ فَلَاقَيْتَ مِثْلَهَا عَجَلًا
يريد : يا جزء . وكما قال الآخر ^(٨) :

(١ - ١) في ر ، ت ، ١ ، ت ٢ : «عنى به عالموا» ، وفي م : «عنى به عالم» .

(٢) في ص ، م ، ت ٢ : «عالم» .

(٣) في ص : «دار الدنيا» ، وفي ت ١ : «الدنيا» .

(٤) بعده في م ، ت ٢ : «الله» .

(٥) في ر : «به» .

(٦) هو حضرمي بن عامر . ينظر أمالي القالي ٦٧/١ ، والكامل ٦٧/١ - ولم ينسبه - واللسان (ج ز أ) ، (ن ب ل) ، (ز ن ن) .

(٧) أزنته بشيء : اتهمته به . اللسان (ز ن ن) .

(٨) نسبه في مجاز القرآن ١/١٠٠ ، واللسان (ق ر ن) لرجل من بني أسد . وهو في الكتاب ٨٥/٢ ، ٣/٢٠٧ ، ٣/٣٢٦ .

كَذَبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّهُ لَا تَنْكِحُونَهَا بَنَى شَابَ قَوْزَانَهَا ^(١) تَصُرُّ ^(٢) وَتَحْلُبُ
يريدُ : يا ^(٣) بَنَى شَابَ قَوْزَانَهَا .

ولمّا أَوْزَطَهُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ بِنَصْبِ الْكَافِ مِنْ : (مَالِك) - عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي
وَصَفْتُ - حَيْرَتُهُ فِي تَوْجِيهِ قَوْلِهِ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وَجْهَتَهُ ،
مَعَ جَرِّهِ ^(٤) ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وَخَفَضِهِ . فَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ مَعْنَى ذَلِكَ بَعْدَ
جَرِّهِ : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فَنَصَبَ : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) لِيَكُونَ :
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ لَهُ خَطَابًا ، كَأَنَّهُ أَرَادَ : يَا مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ . وَلَوْ كَانَ عَلِمَ تَأْوِيلَ أَوَّلِ السُّورَةِ وَأَنَّ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ عَبْدَهُ ^(٥) بِقِيلِ ذَلِكَ - كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلُ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ جَبْرِيلَ قَالَ
لِلنَّبِيِّ ﷺ عَنْ اللَّهِ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ⑦ ⑧ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ③ ④ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وَقُلْ أَيْضًا يَا مُحَمَّدُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٦) وَكَانَ عَقْلٌ مِنَ الْعَرَبِ أَنَّ مِنْ شَأْنِهَا إِذَا حَكَتْ أَوْ أَمَرَتْ
بِحِكَايَةِ خَبَرٍ يَثْلُو الْقَوْلَ - أَنْ تُخَاطَبَ ثُمَّ تُخْبِرَ ^(٧) عَنْ غَائِبٍ ^(٨) ، وَتُخْبِرَ عَنْ غَائِبٍ ثُمَّ
تَعُودَ إِلَى الْخُطَابِ ؛ لَمَّا فِي الْحِكَايَةِ بِالْقَوْلِ مِنْ مَعْنَى الْغَائِبِ وَالْمُخَاطَبِ ، [١٨ / ١ ظ]
كَقَوْلِهِمْ لِلرَّجُلِ : قَدْ قُلْتَ لِأَخِيكَ : لَوْ قَمْتُ لَقَمْتُ . وَ : قَدْ قُلْتَ لِأَخِيكَ : لَوْ قَامَ لَقَمْتُ .

(١) القرنان : الضيفرتان . اللسان (ق ر ن) .

(٢) صر الناقة : شد ضرعها . اللسان (ص ر ر) .

(٣) سقط من : م .

(٤) في م : « جر » .

(٥) في ص : « عنده » .

(٦) تقدم في ص ١٣٥ ، ١٤٣ ، وينظر ما سيأتي في ص ١٥٩ .

(٧ - ٨) في ص : « غائبا » .

لَسَهْلٌ^(١) عَلَيْهِ مَخْرُجٌ مَا اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ وَجْهَهُ مِنْ جِرٍّ : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ .

ومن نظير : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ مجرورًا ، ثم عَوَّذَهُ إِلَى الْخُطَابِ بـ :
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ كما^(٢) ذَكَرْنَا قَبْلُ - الْبَيْتُ السَّائِرُ مِنْ شَعْرِ أَبِي كَبِيرٍ الْهَذَلِيِّ^(٣) :

يَا لَهْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةً^(٤) خَالِدٍ وَيَيَاضُ وَجْهِكَ لِلتَّرَابِ^(٥) الْأَغْفَرِ
فَرَجَعَ إِلَى الْخُطَابِ بِقَوْلِهِ : وَيَيَاضُ وَجْهِكَ . بَعْدَ مَا قَدْ مَضَى الْخَبَرُ عَنْ خَالِدٍ
عَلَى مَعْنَى الْخَبَرِ عَنِ الْغَائِبِ .

ومنه قَوْلُ لَبِيدِ بْنِ رِيعَةَ^(٦) :

بَآثَتْ تَشْكُنِي إِلَى النَّفْسِ^(٧) مُجْهِشَةً^(٨) وَقَدْ حَمَلْتُكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعَيْنَا

فَرَجَعَ إِلَى مَخَاطَبَةِ نَفْسِهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْخَبَرُ عَنْهَا عَلَى وَجْهِ الْخَبَرِ عَنِ الْغَائِبِ .

ومنه قَوْلُ اللَّهِ ، وَهُوَ أَصْدَقُ قِيلٍ وَأَثْبَتُ حُجَّةٍ : ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ

وَجَرَيْنَ يَمِينِ رِيحٍ طَبِيبَةٍ﴾ [يونس : ٢٢] . فَمَخَاطَبَ ثُمَّ رَجَعَ / إِلَى الْخَبَرِ عَنِ الْغَائِبِ ،
وَلَمْ يَقُلْ : وَجَرَيْنَ بِكُمْ . وَالشَّوَاهِدُ مِنَ الشَّعْرِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ
تُخَصِّي ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا كِفَايَةً لِمَنْ وَفَّقَ لَفْهِمِهِ .

(١) قوله : لسهل . جواب قوله : ولو كان علم . في الصفحة الماضية .

(٢) في ص ، م : « لا » .

(٣) ديوان الهذليين ١٠١ / ٢ .

(٤) في م : « جلدة » . والجلدة : نقيض البلى . اللسان (ج د د) .

(٥) في ص : « للثواب » ، وفي ت ٢ : « التراب » .

(٦) شرح ديوانه ص ٣٥٢ ، واللسان (ج ه ش) ، وقال ابن سلام في طبقات فحول الشعراء ٦١ / ١ وقد ذكر البيت : ولا اختلاف في أن هذا مصنوع تكثر به الأحاديث

(٧) في شرح الديوان : « الموت » .

(٨) في ت ٢ ، ت ٣ : « مهجته » . وأجهشت النفس : همت بالبكاء . اللسان (ج ه ش) .

فقرأة^(١) : (مَالِكٌ يَوْمَ الدِّينِ) . محظورةٌ غيرُ جائزةٍ ؛ لإجماع^(٢) الحُجَّةِ مِنَ
القرأةِ وعلماءِ الأُمَّةِ على رفضِ القراءةِ بها .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ذكره : ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والدينُ في هذا الموضعِ بتأويلِ الحسابِ والمجازاةِ بالأعمالِ ، كما
قال كعبُ بنُ جُعَيْلٍ^(٣) :

إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُمْ وَدَنَّاهُمْ مِثْلَ مَا يُقْرِضُونَا
وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ^(٤) :

° «وَأَعْلَمُ وَأَيُّقِنُ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ°» وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ مَا تَدِينُ تُدَانُ
يعنى : مَا تَجْزَى تُجَارَى .

ومن ذلك قولُ اللهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴾ يعنى بالجزاءِ ﴿ وَإِنَّ
عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ [الانفطار : ٩ ، ١٠] . يُحْصُونَ مَا تَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ . وقوله
تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ [الواقعة : ٨٦] . يعنى غيرَ مَجْزِيَيْنَ بِأَعْمَالِكُمْ
وَلَا مُحَاسِبِينَ .

(١) فى ر : « قال وقراءة » .

(٢) بعده فى ص ، م : « جميع » .

(٣) ورقة صفين ص ٥٧ ، والكامل ٣٢٧/١ ، والمختص ١٥٥/١٧ (المجلد الخامس) .

(٤) نسبه فى مجاز القرآن ٢٣/١ لابن نفيل ، وفى اللسان (ز ن أ) ، (دى ن) لخويلد بن نوفل الكلابى ،

ودون نسبة فى الكامل ٣٢٨/١ ، والمختص ١٥٥/١٧ (المجلد الخامس) .

(٥ - ٥) ورد هذا الشطر فى اللسان (ز ن أ) هكذا :

* يا حار إنك ميت ومحاسب *

وفيه أيضا (دى ن) :

* يا حار أيقن أن ملكك زائل *

وللدين معانٍ في كلام العرب غير معنى الحساب والجزاء سنذكرها في أماكنها إن شاء الله .

وبما قلنا في تأويل قوله : ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ جاءت الآثار عن السلف من المفسرين ، مع تصحيح الشواهد تأويلهم الذي تأولوه في ذلك ^(١) .

حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، قال : حدثنا أبو رزق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس : ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ . قال : يوم حساب الخلائق ، هو يوم القيامة ، يدينهم بأعمالهم ، إن خيراً فخييراً ، وإن شراً فشرّاً ، إلا من عفا عنه ، فالأمر أمره . ثم قال : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ^(٢) [الأعراف : ٥٤] .

حدثني موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد القنّاد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر الهمداني ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ : هو يوم الحساب ^(٣) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ . قال : يوم يدين الله

(١) بعده في ص ، ت ١ : « ما » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٩/١ (٢٥) من طريق أبي كريب به ، دون آية الأعراف .

(٣) أخرجه الحاكم ٢٥٨/٢ من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، عن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة . وصححه على شرط مسلم . وأخرجه ابن أبي الدنيا في الأحوال (٣٤) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي في قوله .

العباد بأعمالهم^(١).

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ، قال: حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ، قال: حدَّثني حجاجُ، عن ابنِ جُرَيْجٍ: ﴿إِيَّاكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾. قال: يومُ يُدانُ الناسُ بالحسابِ.

٦٩/١

/ القولُ في تأويلِ قوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

قال أبو جعفرٍ: وتأويلُ قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: لك اللهم نَخْشَعُ ونَذِلُّ ونَسْتَكِينُ، إقرارًا لك يا ربَّنَا بالربوبية لا لغيرك.

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ، قال: حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ، قال: حدَّثنا أبو رَؤُوفٍ، عن الضحاكِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، قال: قال جبريلُ لمحمدٍ ﷺ: قل يا محمدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: إياك نُؤَحِّدُ ونَخافُ ونَرْجُوا ربَّنَا لا غيرك^(٢).

وذلك من قولِ ابنِ عباسٍ بمعنى ما قلنا، وإنما اخْتَرْنَا البيانَ عن تأويله بأنه بمعنى: نَخْشَعُ ونَذِلُّ ونَسْتَكِينُ. دونَ البيانِ عنه بأنه بمعنى: نرجو ونَخافُ. وإن كان الرجاءُ والخوفُ لا يكونان إلا مع ذلّةٍ؛ لأنَّ العبوديةَ عندَ جميعِ العربِ أصلُها الذلّةُ، وأنها تُسمَّى الطريقَ المذللَ الذي قد وطَّته الأقدامُ وذلَّته السابِلَةُ مُعَبَّدًا، ومن ذلك قولُ طَرْفَةَ بنِ العَبْدِ^(٣):

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/١ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد. وسقط من مطبوع تفسير عبد الرزاق. وأخرجه ابن أبي الدنيا في الأحوال (٣٣) من طريق مطر، عن قتادة.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٩/١ (٢٧) من طريق أبي كريب به.
(٣) ديوانه ص ٣٥.

ثُبَارِي عِتَاقًا^(١) نَاجِيَاتٍ^(٢) وَأَتْبَعْتَ وَظِيْفًا وَظِيْفًا^(٣) فَوْقَ مَوْرِ مُعَبَّدٍ
يعنى بالمؤر الطريق، وبالمعبد المذلّل الموطوء^(٤). ومن ذلك قيل للبعير المذلّل
بالركوب فى الحوائج: معبّد. ومنه سُمّي العبد عبدًا لذليته لمولاه. والشواهد على
ذلك من أشعار العرب وكلامها أكثر من أن تُحصى، وفيما ذكرناه كفاية لمن وفق
لفهمه إن شاء الله تعالى.

القول فى تأويل قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

قال أبو جعفر: ومعنى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: وإياك يا^(٥) ربّنا نَسْتَعِينُ
على عبادتنا إياك وطاعتنا فى^(٦) أمورنا كلّها، لا أحدًا سواك، إذ كان من يكفّر بك
يَسْتَعِينُ فى أمره معبوده الذى يعبّده من الأوثان [١٩/١] دونك، فنحن بك
نَسْتَعِينُ فى جميع أمورنا، مُخْلِصِينَ لك العبادة.

كالذى حدّثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: حدّثنا عثمان بن سعيد، قال: حدّثنا بشر
ابن عُمارة، قال: حدّثنا أبو رَوْقٍ، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس:
﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: إياك نَسْتَعِينُ على طاعتك وعلى أمورنا
كلّها^(٧).

(١) العناق: الإبل النجبية الكريمة. اللسان (ع ت ق).

(٢) الناجية: الناقة السريعة تنجو بمن ركبها. الصحاح (ن ج و).

(٣) الوظيف: من رسغى البعير إلى ركبتيه فى يديه، وأما فى رجله فمن رسغيه إلى عرقوبه. اللسان (و ظ ف).

(٤) فى ص: «الموطن».

(٥) سقط من: م، ت ٢، ت ٣.

(٦) فى م، ت ٢، ت ٣: «لك وفى».

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٩/١ (٣٠) من طريق أبى كريب به.

فإن قال قائلٌ : وما معنى أمرِ الله عباده بأن يسألوه المعونة على طاعته ؟ أو جائزٌ ، وقد أمرهم بطاعته ، ألا يُعينهم عليها ؟ أم هل يقول قائلٌ لربه : إياك نستعينُ على طاعتك . إلا وهو على قوله ذلك مُعانٌ ؟ وذلك هو الطاعة ، فما وجهُ مسألة العبدِ ربه ما قد أعطاه ^(١) إياه ؟

قيل : إن تأويلَ ذلك على غير الوجه الذى ذهبت إليه ، وإنما الداعى ربه من المؤمنين أن يُعينه على طاعته إياه ، داعٍ أن يُعينه فيما بقى من عمره على ما كلفه من طاعته ، دون ما قد تَقَضَّى ومضى من أعماله الصالحة فيما خلا من عمره . وجازت مسألة / العبدِ ربه ذلك ؛ لأن إعطاء الله عبده ذلك مع تمكينه جوارحه لأداء ما ٧٠/١ كلفه من طاعته واقتراض عليه من فرائضه - فضلٌ منه جل ثناؤه تفضل به عليه ، ولطفٌ منه لطف له فيه ، وليس فى تركه التفضل على بعض عبده بالتوفيق ، مع اشتغال عبده بمعصيته ، وانصرافه عن محبته ، ولا فى بسطه فضله على بعضهم مع إجهاد العبد نفسه فى محبته ، ومسارعة إلى طاعته - فسادٌ ^(٢) فى تدبير ، ولا جورٌ فى حكم ، فيجوز أن يجهل جاهلٌ موضع حكم الله أمره ^(٣) عبده بمسألته عونته على طاعته .

وفى أمرِ الله جل ثناؤه عباده أن يقولوا : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . بمعنى مسألتهم إياه المعونة على العبادة - أدلُّ الدليل على فساد قول القائلين بالتفويض من أهل القدر الذين أحالوا أن يأمر الله أحداً من

(١) بعده فى ص ، ت ١ : « الله » .

(٢) أى : ليس فى تركه التفضل فسادٌ

(٣) فى م : « وأمره » .

عبادِهِ^(١) بأمرٍ أو يُكَلِّفَهُ فرضَ عملٍ ، إلا بعدَ إعطائِهِ المعونة^(٢) والقدرة^(٣) على فعلِهِ وعلى تركِهِ .

ولو كان الذى قالوا من ذلك كما قالوا ، لبطلت الرغبة إلى الله فى المعونة على طاعته ، إذ كان على قولهم ، مع وجود الأمر والنهي والتكليف - حقًا واجبا على الله للعبد إعطاؤه المعونة عليه ، سألَهُ ذلك عبده أو تركَ مسأَلته^(٤) ذلك ، بل تركَ إعطائِهِ ذلك عندهم منه جَوْرٌ . ولو كان الأمرُ فى ذلك على ما قالوا ، لكان القائلُ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إنما يسألُ ربّه ألا يجورَ .

وفى إجماع أهل الإسلام جميعًا على تَضْوِيبِ قولِ القائلِ : اللهم إنا نَسْتَعِينُكَ . وتخطئهم قولُ القائلِ : اللهم لا تُجِرْ علينا - دليلٌ واضحٌ على خطأ ما قال الذين وصفتُ قولهم ، إذ كان تأويلُ قولِ القائلِ عندهم : اللهم إنا نَسْتَعِينُكَ : اللهم لا تتركْ معونتنا التى ترككها^(٥) جَوْرٌ منك .

فإن قال قائلٌ : وكيف قيل : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . فقدّم الخبرُ عن العبادة ، وأُخِّرَت مسألةُ المعونةِ عليها بعدها^(٦) ، وإنما تكونُ العبادةُ بالمعونة ، فمسألةُ المعونةِ كانت أحقَّ بالتقديمِ^(٧) قبلَ المُعانِ عليه من العملِ^(٨) ، والعبادةُ بها ؟ . قيل : لما كان معلومًا أن العبادةَ لا سبيلَ للعبدِ إليها إلا بمعونةٍ من الله جل ثناؤه ،

(١) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « عبيده » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) فى م : « مسألة » .

(٤) فى م : « تركها » .

(٥) سقط من : ص .

(٦) بعده فى ص : « بم » .

(٧) فى ر : « العقل » .

وكان مُحالاً أن يكونَ العبدُ عابداً إلا وهو على العبادة مُعاناً ، وأن يكونَ مُعاناً عليها إلا وهو لها فاعلٌ - كان سواءً تقديمُ ما قُدِّمَ منهما على صاحبه ، كما سواءً قولُك لرجلٍ ^(١) قَضَى حاجَتَكَ فأَحْسَنَ إليك في قضائِها : قضيتَ حاجتي فأَحْسَنْتَ إليَّ . فقَدَّمْتُ ذَكَرَ قضاؤه حاجتَكَ ، أو قلتَ : أَحْسَنْتَ إليَّ فقَضيتَ حاجتي . فقَدَّمْتُ ذَكَرَ الإحسانَ على ذَكَرِ قضاءِ الحاجة ؛ لأنه لا يكونُ قاضياً حاجتَكَ إلا وهو إليك مُحسِنٌ ، ولا مُحسِناً إليك إلا وهو لحاجتِكَ قاضٍ . فكذلك سواءً قولُ القائلِ : اللهم إِنَّا إِيَّاكَ نَعْبُدُ فَأَعِنَّا على عبادَتِكَ . وقوله : اللهم أَعِنَّا على عبادَتِكَ فَإِنَّا إِيَّاكَ نَعْبُدُ . قال أبو جعفرٍ : وقد ظَنَّ بعضُ أَهْلِ الْعَقْلَةِ أن ذلك مِن المُقَدِّمِ الذى معناه التأخيرُ ، كما قال امرؤُ القيسِ ^(٢) :

فلو أَنَّ ما أَسْعَى لأذْنِي مَعِيشِيَةً كَفَانِي - ولم أَطْلُبْ - قَلِيلٌ مِنَ المَالِ يُرِيدُ بذلك : كَفَانِي قَلِيلٌ مِنَ المَالِ ، ولم أَطْلُبْ كَثِيراً . وذلك مِن معانى التقديمِ والتأخيرِ ، وَمِنْ مُشَابَهَةِ بَيْتِ امرئِ القيسِ بِمَغْزَلٍ ، مِن أَجْلِ أَنَّهُ قد يَكْفِيهِ القَلِيلُ مِنَ المَالِ وَيَطْلُبُ الكَثِيرَ ، فليس وجودُ ما يَكْفِيهِ منه بِمُوجِبٍ لَهُ تَرْكُ طَلْبِ الكَثِيرِ ، فيكونُ نظيرُ العبادةِ التى بوجودِها وجودُ المعونةِ عليها ، وبوجودِ المعونةِ / عليها ٧١/١ وجودُها ، فيكونُ ذَكَرُ أَحَدِهِما دالًّا على الآخرِ ، فيعتدلُ فى صحَةِ الكلامِ تقديمُ ما قُدِّمَ منهما قَبْلَ صاحبه أن يكونَ موضوعًا فى درجَتِهِ ومرَّتَبَتِهِ فى مرتَبَتِهِ .

فإن قال : فما وجهُ تَكَرَّارِهِ : ﴿إِيَّاكَ﴾ . مع قوله : ﴿نَسْتَعِينُ﴾ وقد تقدَّم ذلك قَبْلَ : ﴿نَعْبُدُ﴾ ؟ وهَلَّا قِيلَ : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَنَسْتَعِينُ . إذ كان المُخْبِرُ عنه أَنَّهُ المعبودُ هو المُخْبِرُ عنه أَنَّهُ المُسْتَعانُ ؟

(١) فى م : « للرجل إذا » .

(٢) ديوانه ص ٣٩ .

قيل له ^(١): إن الكاف التي مع «إيّا» ، هي الكاف التي كانت تتّصل بالفعل -
أعني بقوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ - لو كانت مؤخرَةً بعد الفعل ^(٢) ، وهي كناية اسم
المخاطب المنصوب بالفعل ، فكثرت بـ «إيّا» مُتَقَدِّمَةً ^(٣) ، إذ كانت الأسماء إذا
انفردت بأنفسها لا تكون في كلام العرب على حرف واحد ، فلما كانت الكاف
من: ﴿إِيَّاكَ﴾ هي كناية اسم المخاطب التي كانت تكون كافاً وحدها مُتَّصِلَةً
بالفعل ، إذا كانت بعد الفعل ، ثم كان حظها أن تُعَادَ مع كل فعل اتّصلت به ،
فيقال: اللهم إنا نَعْبُدُكَ ، وَنَسْتَعِينُكَ ، وَنُحَمِّدُكَ ، وَنَشْكُرُكَ . وكان ذلك أفصح في
كلام العرب من أن يُقال: اللهم إنا نَعْبُدُكَ وَنَسْتَعِينُ وَنُحَمِّدُ . كان كذلك
إذا قُدِّمَت كناية اسم المخاطب قبل الفعل موصولة بـ «إيّا» ، كان الأفصح إعادتها
مع [١٩/١ ظ] كل فعل ، كما كان الفصيح من الكلام إعادتها مع كل فعل ، إذا ^(٤)
كانت بعد الفعل مُتَّصِلَةً به ، وإن كان ترك إعادتها جائزاً .

وقد ظن بعض من لم يُنعم ^(٥) النظر أن إعادة: ﴿إِيَّاكَ﴾ مع ﴿نَسْتَعِينُ﴾
بعد تقدّمها في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بمعنى قول عدى بن زيد العبادي ^(٦) :
وجاعل ^(٧) الشمس مضراً ^(٨) لاخفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلاً

(١) زيادة من: م ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) في ص : «الفصل» .

(٣) في ص : «متعدية» .

(٤) في م ، ت ١ : «إذ» .

(٥) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «يعين» .

(٦) أساس البلاغة ص ٩٠٣ . وفي المخصص ١٦٤/١٣ (المجلد الرابع) ، واللسان والتاج (م ص ر) منسوبا
إلى أمية بن أبي الصلت . واستدركه ابن برى ونسبه إلى عدى بن زيد .

(٧) في المخصص ، واللسان ، والتاج : «جعل» .

(٨) المصر : الحاجز بين الشيئين .

وَقَوْلِ أَغْشَى هَمْدَانٌ^(١) :

بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذِخٌ^(٢) بَخْ بَخْ^(٣) لَوَالِدِهِ^(٤) وَلِلْمَوْلُودِ
وَذَلِكَ مِنْ قَائِلِهِ جَهْلٌ ، مِنْ أَجْلِ أَنْ حَظَّ «إِيَاكَ» أَنْ تَكُونَ مُكَرَّرَةً مَعَ كُلِّ
فَعْلٍ ؛ لَمَا وَصَفْنَا أَنْفًا مِنَ الْعَلَةِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ حُكْمَ «بَيْنَ» ؛ لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ إِذَا اقْتَضَتْ
اِثْنَيْنِ إِلَّا تَكْرِيرًا إِذَا أُعِيدَتْ ، إِذْ كَانَتْ لَا تَتَفَرَّدُ بِالْوَاحِدِ ، وَأَنَّهَا لَوْ أُفْرِدَتْ بِأَحَدٍ
الْأَسْمِينَ فِي حَالِ اقْتِضَائِهَا اِثْنَيْنِ كَانَ الْكَلَامُ كَالْمُسْتَحِيلِ ، وَذَلِكَ أَنْ قَائِلًا لَوْ قَالَ^(٥) :
الْشَّمْسُ قَدْ فَصَلَتْ بَيْنَ النَّهَارِ . لَكَانَ مِنَ الْكَلَامِ خَلْفًا^(٦) ، لِنُقْصَانِ الْكَلَامِ عَمَّا بِهِ
الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ تَمَامِهِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ «بَيْنَ» . وَلَوْ قَالَ الْقَائِلُ : اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ . لَكَانَ
ذَلِكَ كَلَامًا تَامًا . فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ حَاجَةَ كُلِّ كَلِمَةٍ - كَانَتْ نَظِيرَةً : ﴿إِيَّاكَ
نَعْبُدُ﴾ - إِلَى «إِيَاكَ» كَحَاجَةِ : ﴿نَعْبُدُ﴾ إِلَيْهَا ، وَأَنَّ الصَّوَابَ أَنْ تَكُونَ^(٧)
مَعَهَا «إِيَاكَ» ، إِذْ كَانَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهَا جُمْلَةً خَيْرٌ مَبْتَدَأً ، وَبَيِّنًا حُكْمَ مُخَالَفَةِ
ذَلِكَ حُكْمَ «بَيْنَ» فِيمَا وَفَّقَ بَيْنَهُمَا الَّذِي وَصَفْنَا قَوْلَهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿أَهْدِنَا﴾ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَمَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
عِنْدَنَا : وَفَّقْنَا لِلثَّبَاتِ عَلَيْهِ . كَمَا رَوَى^(٨) ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(١) ديوانه ص ١١٣ .

(٢) في ص : «نازح» . وشرف باذخ : عال . اللسان (ب ذ خ) .

(٣) سقط من : ص .

(٤) في ص : «لوالدة» .

(٥) بعده في ر : «إن» .

(٦) الخلف : الردىء من القول . التاج (خ ل ف) .

(٧) في م : «تكرر» .

(٨) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ٣ : «في» .

٧٢/١ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا / أَبُو رَزْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ جَبْرِيلُ لِمُحَمَّدٍ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ . يَقُولُ ^(١) : أَلْهَمْنَا الطَّرِيقَ الْهَادِيَ ^(٢) .

وَالْهَامَةُ إِيَّاهُ ذَلِكَ هُوَ تَوْفِيقُهُ لَهُ ، كَالَّذِي قُلْنَا فِي تَأْوِيلِهِ . وَمَعْنَاهُ نَظِيرُ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . فِي أَنَّهُ مَسْأَلَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ التَّوْفِيقَ لِلثَّبَاتِ عَلَى الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ ، وَإِصَابَةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَنَهَاةَهُ عَنْهُ ، فِيمَا يَسْتَقْبِلُ مِنْ عُمْرِهِ ، دُونَ مَا قَدْ مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِ ، وَتَقْضَى فِيمَا سَلَفَ مِنْ عُمْرِهِ ، كَمَا قَوْلُهُ : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . مَسْأَلَةٌ مِنْهُ رَبَّهُ الْمَعُونَةَ عَلَى أَدَاءِ مَا قَدْ كَلَّفَهُ مِنْ طَاعَتِهِ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ . فَكَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ : اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، مُخْلِصِينَ لَكَ الْعِبَادَةَ دُونَ مَا سِوَاكَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ ، فَأَعِنَّا عَلَى عِبَادَتِكَ ، وَوَقِّفْنَا لَمَّا وَقَفْتَ لَهُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْبِيَائِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ ، مِنْ السَّبِيلِ ^(٣) وَالْمِنْهَاجِ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَأَنَّى وَجَدْتَ الْهَدَايَةَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِمَعْنَى التَّوْفِيقِ ؟

^(٤) قِيلَ لَهُ : ذَلِكَ فِي كَلَامِهَا أَكْثَرُ وَأَظْهَرُ مِنْ أَنْ يُخَصَّصَ عَدَدُ مَا جَاءَ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الشَّوَاهِدِ ، فِيمَنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ ^(٥) :

لَا تَحْرِمْنِي هَذَاكَ اللَّهُ مَسْأَلَتِي وَلَا أَكُونَنَّ كَمَنْ أَوْدَى بِهِ الشَّقَرُ

(١) سقط من : ر .

(٢) سيأتي بتمامه في ص ١٧٤ .

(٣) في م : « السبيل » ، وفي ت ٢ ، ت ٣ : « السبر » .

(٤ - ٤) في ص ، ر : « قبل » .

(٥) لودفة الأسدي أبيات على نفس الوزن يقولها لمن بن زائدة . ينظر أُمالي المرتضى ١ / ٢٢٢ .

بمعنى ^(١) : وَفَّقَكَ اللَّهُ لِقَضَائِ حاجَتِي .

ومنه قول الآخر ^(٢) :

^(٣) وَلَا تُعْجِلْنِي هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا
فمعلوم أنه إنما أراد : وَفَّقَكَ اللَّهُ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ فِي أَمْرِي .

ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨ ،

آل عمران : ٨٦ ، التوبة : ١٩ ، ١٠٩ ، الصف : ٧ ، الجمعة : ٥] . في غير آيةٍ مِنْ تنزيله . وقد
عُلم بذلك أنه لم يَقِنْ أنه لَا يُبَيِّنُ لِلظَّالِمِينَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَرَائِضِهِ . وكيف
يجوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ ، وقد عَمَّ بِالْبَيَانِ جَمِيعَ الْمُكَلَّفِينَ مِنْ خَلْقِهِ ، ولكنه
عَنَى جَلْ ذِكْرَهُ أَنَّهُ لَا يُؤَفِّقُهُمْ ، وَلَا يَشْرَحُ لِلْحَقِّ وَالْإِيمَانِ صُدُورَهُمْ .

وقد زعم بعضهم أن تأويل قوله : ﴿ أَهْدِنَا ﴾ : زِدْنَا هِدَايَةً .

وليس يَخْلُو هذا القولُ مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ ؛ إما أَنْ يَكُونَ قَدْ ظَنَّ قَائِلُهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
أَمَرَ ^(٤) بِمَسْأَلَةِ رَبِّهِ الزِّيَادَةَ فِي الْبَيَانِ ، أو ^(٥) الزِّيَادَةَ فِي الْمَعُونَةِ وَالتَّوْفِيقِ . فَإِنْ كَانَ ظَنَّ
أَنَّهُ أَمَرَ بِمَسْأَلَتِهِ ^(٦) الزِّيَادَةَ فِي الْبَيَانِ ، فَذَلِكَ مَا لَا وَجْهَ لَهُ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يُكَلِّفُ
عَبْدًا فَرَضًا مِنْ فَرَائِضِهِ إِلَّا بَعْدَ تَبْيِينِهِ لَهُ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ بِهِ ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَى ذَلِكَ
مَعْنَى مَسْأَلَتِهِ الْبَيَانَ ، لَكَانَ قَدْ أَمَرَ أَنْ يَدْعُو رَبَّهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ مَا فَرَضَ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ مِنْ
الدَّعَاءِ خَلْفٌ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْرِضُ فَرَضًا إِلَّا مَبَيَّنًا لِمَنْ فَرَضَهُ عَلَيْهِ ، أَوْ يَكُونُ أَمْرُ أَنْ يَدْعُو رَبَّهُ

(١) فِي م : « بِمَعْنَى بِهِ » .

(٢) دِيَوَانُ الْحَطِيطَةِ ص ٢٢٢ ، وَالْأَغَانِي ٢ / ١٨٧ ، وَاللِّسَانُ (ق و ل) ، (ح ن ن) ، وَفِي الْفَاخِرِ ص ٣١٤
أَنْ أَوَّلَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ فِي شِعْرِ يَعْتَذِرُ فِيهِ لِعَمْرُو بْنِ هَنْدٍ . وَلَمْ نَجِدْ الْبَيْتَ فِي دِيَوَانِهِ .

(٣ - ٣) فِي الدِّيَوَانِ ، وَالْأَغَانِي ، وَاللِّسَانِ : « تَحَنَّنَ عَلَيَّ » ، وَفِي الْفَاخِرِ : « تَصَدَّقَ عَلَيَّ » .

(٤ - ٤) فِي ص : « بِمَسْأَلَتِهِ » .

(٥) فِي ص ، ر ، ت ١ : « وَ » .

(٦) فِي م : « بِمَسْأَلَةٍ » .

أَنْ يَفْرِضَ عَلَيْهِ الْفَرَائِضَ الَّتِي لَمْ يَفْرِضْهَا . وَفِي فُسَادٍ وَجْهِ مَسْأَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ ذَلِكَ مَا ^(١) يُوضِّحُ عَنْ أَنْ مَعْنَى : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ . غَيْرُ مَعْنَى : يَبَيِّنْ لَنَا فَرَائِضَكَ وَحُدُودَكَ .

أَوْ يَكُونُ ظَنٌّ أَنَّهُ أَمْرٌ بِمَسْأَلَةِ رَبِّهِ الزِّيَادَةَ فِي الْمَعُونَةِ وَالتَّوْفِيقِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَلَنْ تَخْلُوَ مَسْأَلَتُهُ تِلْكَ الزِّيَادَةَ مِنْ أَنْ تَكُونَ مَسْأَلَةً لِلزِّيَادَةِ فِي الْمَعُونَةِ عَلَى مَا قَدْ مَضَى مِنْ عَمَلِهِ ، أَوْ عَلَى مَا يَحْدُثُ ، وَفِي ارْتِفَاعِ حَاجَةِ الْعَبْدِ إِلَى الْمَعُونَةِ عَلَى مَا قَدْ تَقَضَّى مِنْ عَمَلِهِ ، مَا يُعْلِمُ أَنَّ مَعْنَى مَسْأَلَةِ تِلْكَ الزِّيَادَةِ إِنَّمَا هُوَ مَسْأَلَتُهُ الزِّيَادَةَ لَمَّا يَحْدُثُ مِنْ عَمَلِهِ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، صَارَ الْأَمْرُ إِلَى مَا وَصَفْنَا وَقَلْنَا فِي ذَلِكَ مِنْ ^{٧٣/١} أَنَّهُ مَسْأَلَةُ الْعَبْدِ / رَبِّهِ التَّوْفِيقَ لِأَدَاءِ مَا كُلفَ مِنْ ^(٢) فَرَائِضِ رَبِّهِ ^(٣) فِيمَا يَسْتَقْبِلُ مِنْ عَمَلِهِ .

وَفِي صَحِيحَةِ ذَلِكَ فُسَادُ قَوْلِ ^(٤) أَهْلِ الْقَدَرِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ كُلَّ مَأْمُورٍ بِأَمْرٍ أَوْ مَكْلُوفٍ فَرَضًا ، فَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْمَعُونَةِ عَلَيْهِ مَا قَدْ ارْتَفَعَتْ مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْفَرَضِ حَاجَتُهُ إِلَى رَبِّهِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ [٢٠/١] الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالُوا فِي ذَلِكَ لَبَطَلَ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ جَلِ ثَنَائُهُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٥) أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . وَفِي صَحِيحَةِ مَعْنَى ذَلِكَ عَلَى مَا بَيَّنَّا ، فُسَادُ قَوْلِهِمْ .

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ : أَسْلِكْنَا طَرِيقَ الْجَنَّةِ فِي الْمَعَادِ . أَيْ : قَدَّمْنَا لَهُ وَامْنِ بِنَا إِلَيْهِ . كَمَا قَالَ جَلِ ثَنَائُهُ : ﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصَّافَاتِ : ٢٣] . أَيْ : أَدْخِلُوهُمْ النَّارَ . كَمَا تُهْدَى الْمَرْأَةُ إِلَى زَوْجِهَا ،

(١) فِي ص : « مِمَّا » .

(٢ - ٣) فِي م ، ت ٢ ، ت ٣ : « فَرَائِضُهُ » .

(٣) سَقَطَ مِنْ : م ، ت ٢ ، ت ٣ .

يُعْنَى بذلك أنها تُدْخَلُ إليه ، وكما تُهْدَى الهدْيَةُ إلى الرجلِ ، وكما تَهْدِي السَّاقُ القدمُ ، نظير قول طرفة بن العبد^(١) :

لِعَبْتِ بَعْدَى السَّيُولِ بِهِ وَجَرَى فِي رَوْنَقِي رَهْمُهُ^(٢)

لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهُ

أى : تَرُدُّ بِهِ الْمَوَارِدَ .

وفى قول الله جل ثناؤه : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . ما يُنْبِئُ عن خطأ هذا التأويل ، مع شهادة الحجة من المفسرين على تخطئته ، وذلك أن جميع المفسرين من الصحابة والتابعين مُجمِعون على أن معنى الصراط في هذا الموضع غير المعنى الذى تأوله قائل هذا القول ، وأن قوله : ﴿وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . مسألة العبد ربّه المعونة على عبادته ، فكذلك قوله : ﴿أَهْدِنَا﴾ . إنما هو مسألته^(٣) الثبات على الهدى فيما بقى من عمره .

والعرب تقول : هَدَيْتُ فَلَانًا الطَّرِيقَ ، وَهَدَيْتُهُ لِلطَّرِيقِ ، وَهَدَيْتُهُ إِلَى الطَّرِيقِ : إِذَا أُرْشِدْتُهُ إِلَيْهِ^(٤) ، وَسَدَّدْتُهُ لَهُ . وبكل ذلك قد^(٥) جاء القرآن ، قال الله جل ثناؤه : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف : ٤٣] . وقال فى موضع آخر : ﴿أَجَبْنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل : ١٢١] . وقال : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ . وكل ذلك فاش فى منطقتها ، موجود فى كلامها ، من ذلك قول

(١) ديوانه ص ٧٥ ، ٨٠ .

(٢) فى ص ، ت ١ : «دهمه» ، وفى ر : «دَهْمُهُ» . والرهـم جمع الرحمة : المطر الضعيف الدائم الصغير القطر . اللسان (رهم) .

(٣) فى ص ، م : «مسألة» .

(٤) فى ر : «إلى الطريق» .

(٥) زيادة من : ر ، ت ٢ ، ت ٣ .

الشاعر^(١) :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُخَصِّصَهُ رَبُّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ
يُرِيدُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَذَنْبٍ . كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ ﴾
[غافر : ٥٥] .

ومنه قول نابغة بنى ذُيَّانَ^(٢) :

فَيَصِيدُنَا الْعَيْرُ^(٣) الْمِدْلُ بِحُضْرِهِ^(٤) قَبْلَ الْوَنَى وَالْأَشْعَبِ^(٥) النَّبَّاحَا
يُرِيدُ : فَيَصِيدُ لَنَا . وذلك كثيرٌ فى أشعارهم وكلامهم ، وفيما ذكرنا منه
كفاية . والله الموفق .

القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

قال أبو جعفر : أَجْمَعَتِ الْحُجَّةُ^(٦) مِنْ أَهْلِ التَّوِيلِ جميعًا على أن الصراط
المستقيم هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه ، وكذلك ذلك^(٧) فى لغة جميع
العرب ، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفى^(٨) :

أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ إِذَا اعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمٍ

(١) الكتاب ١/ ٣٧ ، والخزانة ٣/ ١١١ . وقال : وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف قائلها .

(٢) للنابغة قصيدة على نفس الوزن ليس منها هذا البيت . ينظر ديوان النابغة - تحقيق : محمد أبو الفضل
إبراهيم - ص ٢١٣ - ٢١٧ .

(٣) العير : حمار الوحش . اللسان (ع ي ر) .

(٤) الحضر : ارتفاع الدابة فى العدو . اللسان (ح ض ر) .

(٥) الأشعب : الظبي إذا تفرق قرناه فتباينا بينونه شديدة . اللسان (ش ع ب) .

(٦) فى ص ، م ، ت ١ : « الأمة » .

(٧) سقط من : ر .

(٨) ديوانه ١/ ٢١٨ .

يريد : على طريق الحق .

ومنه قول الهذلي أبي ذؤيب^(١) :

صَبَحْنَا أَرْضَهُم بِالْخَيْلِ حَتَّى
/ وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ^(٢) :

٧٤/١

فَصَدَّ عَنْ نَهْجِ الصُّرَاطِ الْقَاصِدِ^(٣)

والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى ، وفيما ذكرنا غنى عما تركنا .

ثم تستعير العرب الصراط فتشتغله في كل قول وعمل وُصِفَ باستقامة أو اغوجاج ، فتصِفُ المستقيم باستقامته ، والمغوج باغوجاجه . والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي ، أغنى^(٤) : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أن يكون معنياً به : وفّقنا للثبات على ما ارتضيناه ووفّقنا له من أنعمت عليه من عبادك ، من قول وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم ؛ لأن من وفّق لما وفّق له من أنعم الله عليه من النبيين والصدّيقين والشهداء^(٥) والصالحين^(٦) ، فقد وفّق للإسلام ، وتصديق الرسل ، والتمسك بالكتاب ، والعمل بما أمره^(٧) الله به ، والانزجار عما زجره عنه ، واتباع منهج^(٨) النبي ﷺ ، ومنهـاج أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، رضي الله عنهم أجمعين ، وكلّ عبد لله صالح ، وكلّ ذلك من الصراط المستقيم .

(١) ليس في ديوانه ، ونسبه القرطبي في تفسيره ١٤٧/١ إلى عامر بن الطفيل .

(٢) في ص : « الآخر » . والرجز في مجاز القرآن ٢٤ / ١ ، وتفسير القرطبي ١٤٧/١ .

(٣) في تفسير القرطبي : « الواضح » .

(٤) سقط من : ر .

(٥ - ٥) زيادة من : ر .

(٦) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٣ : « أمر » .

(٧) في م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « منهج » .

وقد اختلف تراجم القرآن في المعنى بالصراط المستقيم، يشمل معاني جميعهم في ذلك ما أخبرنا^(١) من التأويل فيه.

ومما قالته في ذلك ما روى عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال، وذكر القرآن، فقال: «هو الصراط المستقيم».

حدثنا بذلك موسى بن عبد الرحمن المشروقي، قال: حدثنا حسين الجعفي، عن حمزة الزيات، عن أبي المختار الطائي، عن ابن أخى الحارث، عن الحارث، عن علي، عن النبي ﷺ^(٢).

وحدثت عن إسماعيل بن أبي كريمة، قال: حدثنا محمد بن سلمة، عن أبي سنان، عن عمرو بن مرة، عن أبي البخترى، عن الحارث، عن علي، عن النبي ﷺ^(٣) مثله.

(١) في م، ت ١: «اخترنا»، وفي ت ٢: «أجزنا». وفي حاشية المطبوعة إشارة إلى أنها كانت: «أخبرنا».

(٢) إسناده ضعيف جدا؛ أبو المختار الطائي وابن أخى الحارث مجهولان، والحارث ضعيف.

وأخرجه ابن أبي شيبة ٤٨٢/١٠، والدارمي ٤٣٥/٢، والترمذي (٢٩٠٦)، والبيهقي في الشعب (١٩٣٥، ١٩٣٦)، والبعث في تفسيره ٣٩/١، وفي شرح السنة (١١٨١) من طريق حسين به مطولا.

وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في النكت الظراف ٣٥٧/٧ - وابن نصر في قيام الليل ص ٧١، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٠/١ (٣٢) - مختصرا - والبزار (٨٣٦) - مطولا - والدارقطني في العلل ١٤١/٣، ١٤٢ من طرق عن حمزة الزيات به.

واختلف على حمزة الزيات فيه، والصحيح الوجه الذي أورده المصنف. ينظر علل الدارقطني ١٣٨/٣ - ١٤٠. وقال الذهبي في ترجمة أبي المختار من الميزان ٥٧١/٤: حديثه في فضائل القرآن العزيز منكر.

وقال ابن كثير في فضائل القرآن ص ١٥: والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب في الحديث، فلا، والله أعلم. وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين على رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح. وقال في تفسيره ٤٢/١: وقد روى هذا موقوفا عن علي، وهو أشبه.

وروى من وجه آخر مختصرا عند أحمد ١١١/٢ (٧٠٤)، وليس فيه تفسير الصراط المستقيم.

(٣) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٩٠) من طريق إسماعيل به. وأخرجه البزار (٨٣٥) - مختصرا -

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَهْوَازِيُّ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، قَالَ :
حَدَّثَنَا حمزةُ الزياتُ، عن أبي المختارِ الطائِيِّ، عن ابنِ أخى الحارثِ الأعورِ، عن
الحارثِ، عن عليٍّ، قال : الصُّرَاطُ المستقيمُ كتابُ اللَّهِ تعالى .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَهْوَازِيُّ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، قَالَ :
حَدَّثَنَا سفيانُ، وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ الرَازِيُّ، قَالَ : حَدَّثَنَا مِهْرَانُ، عن سفيانَ،
عن منصورٍ، عن أبي وائلٍ، قال : قال عبدُ اللَّهِ : الصُّرَاطُ المستقيمُ كتابُ اللَّهِ ^(١) .

حَدَّثَنَا محمودُ بْنُ خِدَاشٍ الطالْقَانِيُّ، قَالَ : حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الرُّؤَاسِيُّ، قَالَ : حَدَّثَنَا عليٌّ والحسنُ ابنا صالحٍ، جميعًا عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ
عَقِيلٍ، عن جابرٍ : ﴿ أَهْدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ . قال : الإسلامُ . قال : هو أوسعُ مما
بينَ السماءِ و ^(٢) الأرضِ ^(٣) .

حَدَّثَنَا [٢٠/١ ظ] أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا عثمانُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا

= والدارمي ٤٣٥/٢، ٤٣٦ من طريق محمد بن سلمة به .

وأخرجه الخطيب (١٩١) من طريق محمد بن حميد، عن الحكم بن بشير بن سلمان، عن عمرو بن قيس،
عن عمرو بن مرة به .

وأبو سنان صدوق له أوهام، وقد خولف فيه، فرواه غير واحد عن عمرو بن مرة، عن أبي البخترى، عن ابن
أبي الحارث، عن الحارث، عن علي . ينظر علل الدارقطني ٣/١٣٧، ١٣٨ .

(١) أخرجه الحاكم ٢/٢٥٨، والبيهقي في الشعب (١٩٣٨) من طريق سفيان به . وصححه الحاكم .
وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/١٥٠ إلى وكيع وعبد بن حميد وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف .
وذكره ابن كثير في تفسيره ١/٤٢ عن الثوري به، وقال : وقيل : هو الإسلام . وهذا أخرجه أبو نعيم في
أخبار أصبهان ٢/١٠٣ من طريق مسعر، عن منصور به .

(٢) في ص، ر، ت ١، ت ٢ : « إلى » .

(٣) أخرجه الحاكم ٢/٢٥٨، ٢٥٩ من طريق الحسن بن صالح به . وقال : صحيح الإسناد .
وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/١٥٠ إلى وكيع وعبد بن حميد وابن المنذر والمحملي .

بشر بن عُمارة^(١)، قال : حَدَّثَنَا أَبُو رَزُقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ،
قال : قال جبريلُ لمحمدٍ : قل يا محمدُ : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ . يقولُ :
أَلْهَمْنَا الطَّرِيقَ الْهَادِيَ ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي لَا ^(٢)عِوَجَ لَهُ .

٧٥/١ / حَدَّثَنَا ^(٣)سهلُ بْنُ مُوسَى ^(٤)الرازِيُّ ، قال : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَوْفٍ ، عَنْ
الْفُرَاتِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ . قال : ذَلِكَ الْإِسْلَامُ ^(٥) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خِدَاشٍ ، قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رِيعَةَ الْكِلَابِيُّ ، عَنْ
إِسْمَاعِيلَ الْأَزْرَقِ ، عَنْ أَبِي عُمَرَ الْبَزَّارِ ، عَنْ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ . قال : هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادِ غَيْرَهُ ^(٥) .

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ الْهَمْدَانِيُّ ، قال : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ طَلْحَةَ الْقَنَادُ ، قال :
حَدَّثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مَرْثَةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ :
﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(٦) : هُوَ الْإِسْلَامُ ^(٧) .

(١) في م ، ت ٣ : « عمار » .

(٢ - ٢) في ر : « اعوجاج فيه » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٠/١ (٣١ ، ٣٦) من طريق أبي كريب به .

(٣ - ٣) في م : « موسى بن سهل » . وينظر تاريخ المصنف ٣٢/١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٧ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/١ إلى المصنف . والفرات بن السائب منكر الحديث .

وسأيت في تفسير الآية ١٢٦ من سورة الأنعام ، بإسناد محمد بن سعد عن آبائه .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٣/١ عن ابن الحنفية . وإسماعيل الأزرق ضعيف .

(٦) بعده في ص ، م ، ت ١ : « قال » .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/١ إلى المصنف .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. قَالَ: الطَّرِيقُ^(١).

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ أَبُو صَدِيفٍ الْأَمْلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا^(٢) حَمْزَةُ بْنُ أَبِي الْمَغِيرَةِ^(٣)، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. قَالَ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَاهُ مِنْ بَعْدِهِ؛ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلْحَسَنِ، فَقَالَ: صَدَقَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَنَصَحَ^(٤).

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهَبٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ زَيْدٍ بِنِ اسْلَمَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. قَالَ: الْإِسْلَامُ^(٥).

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جُبَيْرٍ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ نَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ»^(٥).

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/١ إلى المصنف وابن المنذر.

(٢ - ٣) كذا في النسخ، والصواب: حمزة بن المغيرة. ينظر تهذيب الكمال ٧/ ٣٤٠.

(٣) أخرجه المروزي في السنة (٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٠/١ (٣٤)، وابن حبان في الثقات ٢٢٩/٦ - تعليقاً - وابن عدى ٣/ ١٠٢٣، وابن عساكر في تاريخه ١٨/ ١٧٠ من طريق هاشم بن القاسم به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/١ إلى عبد بن حميد.

وأخرجه الحاكم ٢/ ٢٥٩ - وصححه - من طريق هاشم، عن حمزة، عن عاصم، عن أبي العالوية، عن ابن عباس. وذكر قول الحسن كذلك.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٣/١ عن عبد الرحمن.

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٩)، والطحاوي في المشكل (٢٠٤٣، ٢١٤١)، وابن أبي حاتم =

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ الْعَسْقَلَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ معاويةَ بْنِ صالحٍ ، عَنْ عبدِ الرحمنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مثله ^(١) .

قال أبو جعفر : وإنما وصفه الله جل ثناؤه بالاستقامة ؛ لأنه صواب لا خطأ فيه . وقد زعم بعض أهل العباء أنه سمّاه الله مستقيماً ، لاستقامته بأهله إلى الجنة ، وذلك تأويل لتأويل جميع أهل التفسير خلاف ، وكفى بإجماع جميعهم على خلافه جميعهم ^(٢) دليلاً على خطئه .

القول في تأويل قوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ .

وقوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ . إبانة عن الصراط المستقيم ، أي

الصراط هو ؟ إذ كان كل طريق من طرق الحق ^(٣) صراطاً مستقيماً ^(٤) ، ف قيل

٧٦/١ لحمد ﷺ : قل يا محمد : اهْدِنَا يَارَبَّنَا / الصراط المستقيم ، صراط الذين أَنْعَمْتَ

= في تفسيره ٣٠/١ (٣٣) ، والآجری فی الشریعة (١٤) ، والرامهرمزی فی الأمثال ص ١٠ من طرق عن أبي صالح به . وأخرجه الحاكم ٧٣/١ من طريق معاوية بن صالح به . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ولا أعرف له علة .

وأخرجه ابن أبي عاصم (١٨) ، وأحمد ١٨٤/٢٩ (١٧٦٣٦) ، والترمذی (٢٨٥٩) ، والنسائي في الكبرى (١١٢٣٣) ، والطحاوي (٢١٤٣) ، والطبراني في مسند الشاميين (١١٤٧) من طريق خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير به ، مطولاً ومختصراً . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/١ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه . وقال الترمذی : حسن غريب . وقال ابن كثير في تفسيره ٤٣/١ : إسناده حسن صحيح . (١) في م : « بمثله » .

والحديث أخرجه الطحاوي في المشكل (٢١٤٢) ، والآجری فی الشریعة (١٥) ، والبيهقي في الشعب (٧٢١٦) من طريق آدم به . وأخرجه أحمد ١٨١/٢٩ (١٧٦٣٤) ، والبيهقي (٧٢١٦) من طريق الليث به . (٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) في ر ، ت ٢ ، ت ٣ : « فصراط مستقيم » .

عليهم بطاعتك وعبادتك ، مِنْ ملائِكَتِكَ وأنبيائك والصُّدِّيقِينَ والشهداء والصالحين . وذلك نظير ما قال ربُّنا جل ثناؤه في تنزيله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ۖ ﴾ (٦٦) وَإِذَا لَا تَجِدُهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۖ ﴾ (٦٧) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصُّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء : ٦٦ - ٦٩] .

قال أبو جعفر : فالذى أمر محمد ﷺ وأُمته أن يسألوا^(١) ربَّهم من الهداية للطريق المستقيم ، هى الهداية للطريق الذى وصف الله جل ثناؤه صفته ، وذلك الطريق هو طريق الذين^(٢) وصفهم الله بما وصفهم به فى تنزيله ، ووعد مَنْ سلكه فاستقام فيه طائعاً لله ولرسوله ﷺ ، أن يُورده^(٣) مواردهم ، والله لا يُخلف الميعاد .
وبنحو ما قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس وغيره .

حدَّثنا محمد بن العلاء ، قال : حدَّثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدَّثنا^(٤) بشر بن عمار ، قال : حدَّثنا أبو رزق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ . يقول : طريق مَنْ أَنْعَمْتَ عليهم^(٥) مِنَ الملائكة والنبيين والصُّدِّيقِينَ والشهداء والصالحين ، الذين أطاعوك وعبدوك^(٦) .

(١) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « يسألوه » .

(٢) فى م ، ت ١ : « الذى » .

(٣) فى ص ، ت ١ : « يوردهم » .

(٤ - ٤) فى ص : « قيس بن عمار » ، وفى م : « بشر بن عمار » .

(٥) بعده فى م : « بطاعتك وعبادتك » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣١/١ (٣٧ ، ٣٨) من طريق محمد بن العلاء به .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ الْغِفَارِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ^(١) اللَّهُ بْنُ مُوسَى ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ رَبِيعٍ : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ . قَالَ : النَّبِيُّ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ . قَالَ : الْمُؤْمِنِينَ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : قَالَ وَكِيعٌ : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ : الْمُسْلِمِينَ^(٤) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ . قَالَ : النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ^(٥) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ جَلِّ ثَنَاهُ لَا يَنَالُهَا الْمُطِيعُونَ إِلَّا بِإِنْعَامِ اللَّهِ بِهَا عَلَيْهِمْ وَتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ لَهَا ، أَوْ لَا يَسْمَعُونَهُ يَقُولُ : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ . فَأُضَافُ^(٦) مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ اهْتِدَاءٍ وَطَاعَةٍ وَعِبَادَةٍ إِلَى أَنَّهُ إِنْعَامٌ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَأَيْنَ تَمَامُ هَذَا الْخَبَرِ ؟ فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ لآخر : أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ . مَقْتَضِ الْخَبَرِ عَمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ ، فَأَيْنَ ذَلِكَ الْخَبَرُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ؟ وَمَا تِلْكَ النِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ ؟

قِيلَ لَهُ : قَدْ قَدَّمْنَا الْبَيَانَ فِيمَا مَضَى مِنْ كِتَابِنَا هَذَا عَنْ اجْتِزَاءِ الْعَرَبِ فِي

(١) فِي ص ، ت ١ : «عبد» . وقد تقدم على الصواب في ص ١٤٦ . وينظر تهذيب الكمال ١٩/١٦٤ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) ذكره ابن كثير ٤٤/١ عن ابن جريج عن ابن عباس .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٤/١ عن وكيع .

(٥) ذكره ابن كثير ٤٤/١ .

(٦) بعده في م : «كل» .

مَنْطِقُهَا بِيَعِضٍ مِنْ بَعْضٍ ، إِذَا كَانَ الْبَعْضُ الظَّاهِرُ دَالًّا عَلَى الْبَعْضِ الْبَاطِنِ
وَكَافِيًا مِنْهُ ، فَقَوْلُهُ ^(١) : [٢١/١ و] ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ . مِنْ
ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ أَمْرَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ عِبَادَهُ مَسْأَلَتُهُ الْمَعُونَةَ ، وَطَلَبُهُمْ مِنْهُ الْهَدَايَةَ لِلصِّرَاطِ
الْمُسْتَقِيمِ ، لَمَّا كَانَ مُتَقَدِّمًا قَوْلُهُ : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ . الَّذِي
هُوَ إِبَانَةٌ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَإِبْدَالٌ مِنْهُ - كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ النِّعْمَةَ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا
عَلَى مَنْ أَمَرْنَا ^(٢) بِمَسْأَلَتِهِ الْهَدَايَةَ لَطَرِيقَهُمْ ، هُوَ الْمُنْهَاجُ الْقَوِيمُ ^(٣) ، وَالصِّرَاطُ
الْمُسْتَقِيمُ ، / الَّذِي قَدْ قَدَّمْنَا الْبَيَانَ عَنْ تَأْوِيلِهِ أَنْفًا ، فَكَانَ ظَاهِرًا مَا ظَهَرَ مِنْ ذَلِكَ - مَعَ ٧٧/١
قَرَبِ تَجَاوُرِ الْكَلِمَتَيْنِ - مُغْنِيًا عَنْ تَكَرُّرِهِ ، كَمَا قَالَ نَابِغَةُ بَنِي دُيَّانَ ^(٤) :

كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِي أَقْيِشٍ يُقَعِّعُ ^(٥) خَلْفَ رِجْلَيْهِ بَشَنٌ ^(٦)
يَرِيدُ : كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِي أَقْيِشٍ ، جَمْلٌ يُقَعِّعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بَشَنٌ . فَاسْتَفَى
بِمَا ظَهَرَ مِنْ ذِكْرِ الْجِمَالِ الدَّالِّ عَلَى الْمَحْذُوفِ مِنْ إظهارٍ مَا حَذَفَ .
وَكَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ بِنِ غَالِبٍ ^(٧) :

تَرَى أَرْبَاقَهُمْ ^(٨) مُتَقَلِّدِيهَا إِذَا صَدِيَّ الْحَدِيدُ عَلَى الْكُمَاةِ ^(٩)

(١) فِي ص ، ر : « بقوله » .

(٢) فِي ر : « أمر » .

(٣) فِي ر : « القديم » .

(٤) دِيوَانُهُ ص ١٩٨ .

(٥) فِي الْمَثَلِ : فَلَان لَا يَقَعِّعُ لَهُ بِالْشَّنَانِ . أَيْ لَا يَخْدَعُ وَلَا يَرُوعُ . وَأَصْلُهُ مِنْ تَحْرِيكِ الْجِلْدِ الْيَابِسِ لِلْبَعِيرِ

لِيَفْزَعَ . اللَّسَانُ (ق ع ع) .

(٦) الشَّن : الْقَرَبَةُ الْخَلْقُ . اللَّسَانُ (ش ن ن) .

(٧) دِيوَانُهُ ص ١٣١ .

(٨) الْأَرْبَاقُ جَمْعُ الرِّبْقِ : الْحَبْلِ وَالْحَلْقَةُ تُشَدُّ بِهَا الْغَنَمُ الصِّغَارُ لَعَلَّا تَرْضَعُ . اللَّسَانُ (ر ب ق) .

(٩) الْكُمَاةُ جَمْعُ الْكُمَى : الْبَطْلُ الشَّجَاعُ الْجَرِيءُ . التَّاجُ (ك م ي) .

يُرِيدُ : مُتَقَلِّدِيهَا هَمْ . فَحَذَفَ « هَمْ » إِذَا كَانَ الظَّاهِرُ مِنْ قَوْلِهِ : أَرَبَاقَهُمْ . دَالًّا عَلَيْهَا .

والشواهدُ على ذلك من شعر العربِ وكلامِها أكثرُ من أن تُحصى ، فكَذَلِكَ ذلك في قوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .
القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ .
قال أبو جعفرٍ : والقراءةُ مُجْمِعةٌ على قراءةٍ : ﴿ غَيْرِ ﴾ . بجزءِ الراءِ منها .
والخفضُ يأتيها من وجهين :

أحدهما ، أن يكونَ ﴿ غَيْرِ ﴾ صفةً لـ ﴿ الَّذِينَ ﴾ ونعتاً لهم فتُخَفِّضُهَا ، إِذَا كَانَ ﴿ الَّذِينَ ﴾ خَفِضًا ، وهى لهم نعتٌ وصفةٌ . وإنما جاز أن يكونَ ﴿ غَيْرِ ﴾ نعتاً لـ ﴿ الَّذِينَ ﴾ ، و ﴿ الَّذِينَ ﴾ معرفةً ، و ﴿ غَيْرِ ﴾ نكرةٌ ؛ لأنَّ ﴿ الَّذِينَ ﴾ بصلتها ليست بالمعرفةِ المؤقتةِ ، كالأسماءِ التى هى أماراتٌ بينَ الناسِ ، مثلَ زيدٍ وعمرو ، وما أشبهَ ذلك ، وإنما هى كالنكراتِ المجهولاتِ ^(١) ، مثلَ الرجلِ والبعيرِ ، وما أشبهَ ذلك . فلما كان ﴿ الَّذِينَ ﴾ كذلك صفتها ، وكانت ﴿ غَيْرِ ﴾ مضافةً إلى مجهولٍ من الأسماءِ نظيرَ ﴿ الَّذِينَ ﴾ فى أنه معرفةٌ غيرُ مؤقتةٍ ، كما ﴿ الَّذِينَ ﴾ معرفةٌ غيرُ مؤقتةٍ ، جاز من أجلِ ذلك أن يكونَ ﴿ غَيْرِ ﴾ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ نعتاً لـ ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٢) كما يقالُ : لا أَجْلِسُ إِلَّا إِلَى الْعَالَمِ غَيْرِ الْجَاهِلِ . يُرَادُ : لا أَجْلِسُ إِلَّا إِلَى مَنْ يَعْلَمُ ، لا إِلَى مَنْ يَجْهَلُ . ولو كان ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ معرفةً مؤقتةً ، كان غيرَ ^(٣)

(١) فى ر : « المجهولات » .

(٢ - ٣) سقط من : ر .

١) جائز أن يكون: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ لها نعتاً، وذلك أنه خطأً في كلام العرب إذا وُصِفَتْ معرفةٌ مؤكدةٌ بنكرة - أن تُلزِمَ نعتها النكرة إعراب المعرفة المنعوت بها، إلا على نية تكرير ما أعرب المنعوت بها. خطأً في كلامهم أن يقال: مرزئ بعبد الله^٢ غير العالم. فتخفَضُ «غير» إلا على نية تكرير الباء التي أعربت عبد الله. فكأن معنى ذلك لو قيل كذلك: مرزئ بعبد الله^٢، مررتُ بغير العالم. فهذا أحد وجهي الخفض في ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾^١.

والوجه الآخر من وجهي الخفض فيها، أن يكون ﴿الَّذِينَ﴾ بمعنى المعرفة المؤكدة، وإذا وُجِهَ إلى ذلك، كانت ﴿غَيْرِ﴾ مخفوضةً بنية تكرير الصراط الذي خُفِضَ ﴿الَّذِينَ﴾، عليها، فكأنك قلت: صراط الذين أنعمت عليهم، صراط غير المغضوب عليهم.

وهذان التأويلان في ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإن اختلفا باختلاف مغربيهما، فإنهما يتقاربان معناهما، من أجل أن من أنعم الله عليه فهده له دينه الحق فقد سلّم من غضب ربّه، ونجا من الضلال في دينه.

فسواء - إذ / كان سامع قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ غير جائز أن يرتاب مع سماعه ذلك من تاليه في أن الذين أنعم الله عليهم بالهداية للصراط غير غاضبٍ ربهم عليهم، مع النعمة التي قد عظمت مبتت بها عليهم في دينهم، ولا أن يكونوا ضلالاً وقد هداهم الحق^٣ ربهم، إذ كان مستحيلاً في فطرهم اجتماع الرضا من الله جل ثناؤه عن شخص والغضب

(١ - ١) سقط من: ر.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «للحق».

عليه في حال واحدة، واجتماع الهدى والضلال له في وقت واحد - وُصِفَ القوم - مع وَصَفِ اللَّهِ إياهم بما وَصَفَهُم به من توفيقه إياهم وهدايته لهم ، وإنعامه عليهم بما أَنْعَمَ اللَّهُ به عليهم في دينهم بأنهم غيرُ مغضوبٍ عليهم ولا هم ضالون - أم لم يُوصَفوا بذلك ؛ لأن الصفة الظاهرة التي وُصِفوا بها قد أُثْبِتَتْ عنهم أنهم كذلك ، وإن لم يُصَرَّحْ وَصَفَهُم به . هذا إذا وَجَّهْنَا ﴿ غَيْرِ ﴾ إلى أنها مخفوضة على نية تكرير الصراطِ الحافِضِ ﴿ الَّذِينَ ﴾ ، ولم نَجْعَلْ : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ من صفة ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ بل إذا جعلناهم غيرهم ، وإن كان الفريقان لاشكَّ مُنْعَمًا عليهما في أديانهما . فأما إذا وَجَّهْنَا ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ إلى أنها من نعتِ ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فلا حاجة بسامعه إلى ^(١) الاستدلال ، إذ كان الصريح من معناه قد أغنى عن الدليل .

وقد يجوزُ نصبُ : ﴿ غَيْرِ ﴾ ^(٢) في : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ وإن كنتُ للقراءة بها كارهاً لشذوذها عن قراءة القراء ، وأن ماشدً من القراءات عما جاءت به الأمة نقلًا ظاهرًا مُستَفِيضًا ، فرأيتُ للحقِّ مخالفتُ ، وعن سبيلِ اللَّهِ وسبيلِ رسوله ﷺ وسبيلِ المسلمين مُتَجَانِفٌ ، وإن كان له - ^(٣) لو كان جائزَ القراءة ^(٣) به - في الصوابِ مَخْرَجٌ .

وتأويلُ وجهِ صوابه إذا نَصَبْتَ أن يُوجَّهَ إلى أن يَكُونَ صفةً للهاءِ والميمِ اللتين في

(١) في م : « إلا » .

(٢) والنصب رواية عن ابن كثير - وهو من السبعة - وقرأ بها من الصحابة : عمر ، وعلى ، وابن مسعود ، وابن

الزبير . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١١١ ، والبحر المحيط ٢٩ / ١ .

(٣ - ٣) في م : « كانت القراءة جائزة » .

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ العائدة على ﴿ الَّذِينَ ﴾ لأنها وإن كانت مخفوضة بـ « على » ،
 فهي في محل نصب بقوله : ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾ . فكان ^(١) تأويل الكلام - إذا نصبت
 (غَيْر) التي مع ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ - صراط الذين هديتهم إنعاماً منك عليهم ،
 غير مغضوب عليهم - أى : لا مغضوباً عليهم - ولا ضالين . فيكون النصب في
 ذلك حينئذ كالنصب في « غير » ، في قولك : مررت بعبد الله غير الكريم ولا
 الرشيد . فتقطع غير [٢١/١ ظ] الكريم من عبد الله ، إذ كان عبد الله معرفة مؤقتة ،
 وغير الكريم نكرة مجهولة .

وقد كان بعض نحويي البصريين يزعم أن قراءة من نصب (غَيْر) في
 ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ على وجه استثناء : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ من
 معاني صفة ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ كأنه كان يرى أن معنى الذين قرءوا
 ذلك نصيباً : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، إلا
 المغضوب عليهم ، الذين لم تُنعم عليهم في أديانهم ولم تهديهم للحق ، فلا
 نجعلنا منهم .

كما قال نابغة بنى ذبيان ^(٢) :

وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلًا لَا ^(٣) أُسَائِلُهَا عَيْتٌ ^(٤) جَوَابًا وَمَا بِالرُّبْعِ ^(٥) مِنْ أَحَدٍ

(١) في م : « فكأن » .

(٢) ديوانه ص ٢ ، ٣ .

(٣) الأصيل : العشى ، والجمع أضل وأصلان ، وتصغيره أصيلان وأصيلال . اللسان (أ ص ل) .

(٤) في م : « أعيت » .

(٥) الربع : المنزل والدار . اللسان (ر ب ع) .

إِلَّا أَوَارِيَّ^(١) لَايَا^(٢) مَا أُبَيِّنُهَا^(٣) وَالتَّوْبَى^(٤) كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ^(٥) الْجَلْدِ^(٦)
وَالْأَوَارِيَّ مَعْلُومٌ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ عِدَادِ أَحَدٍ فِي شَيْءٍ . فَكَذَلِكَ عَنْهُ اسْتَشْنَى :
﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ مِنْ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ
معانيهم فِي الدِّينِ فِي شَيْءٍ .

وَأَمَّا نَحْوِيُّ الْكُوفِيِّينَ فَأَنْكَرُوا هَذَا التَّأْوِيلَ وَاسْتَخْطَفُوهُ^(٧) ، وَزَعَمُوا أَنَّ ذَلِكَ لَوْ
كَانَ كَمَا قَالَه الزَّاعِمُ^(٨) مَازَعَمُ^(٩) مِنْ أَهْلِ / الْبَصْرَةِ ، لَكَانَ خَطَأً أَنْ يُقَالَ : ﴿وَلَا
الضَّالِّينَ﴾ لِأَنَّ «لَا» نَفْيٌ وَجَحْدٌ ، وَلَا يُعْطَفُ بِجَحْدٍ إِلَّا عَلَى جَحْدٍ . وَقَالُوا : لَمْ
يَجِدْ فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ اسْتِثْنَاءٌ يُعْطَفُ عَلَيْهِ بِجَحْدٍ ، وَإِنَّمَا وَجَدْنَاهُمْ يُعْطِفُونَ
عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ بِالْاسْتِثْنَاءِ ، وَبِالْجَحْدِ عَلَى الْجَحْدِ ، فَيَقُولُونَ فِي الْاسْتِثْنَاءِ : قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا
أَخَاكَ وَإِلَّا أَبَاكَ . وَفِي الْجَحْدِ : مَا قَامَ أَخُوكَ وَلَا أَبُوكَ . وَأَمَّا : قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا أَبَاكَ وَلَا
أَخَاكَ . فَلَمْ يَجِدْهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ . قَالُوا : فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ مَعْدُومًا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ،
وَكَانَ الْقُرْآنُ بِأَفْصَحِ لِسَانِ الْعَرَبِ نَزُولُهُ ، عَلِمْنَا - إِذْ كَانَ قَوْلُهُ : ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾
مَعْطُوفًا عَلَى قَوْلِهِ : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ - أَنْ : ﴿غَيْرِ﴾
بِمَعْنَى الْجَحْدِ لَا بِمَعْنَى الْاسْتِثْنَاءِ ، وَأَنْ تَأْوِيلَ مَنْ وَجَّهَهَا إِلَى الْاسْتِثْنَاءِ خَطَأً .

(١) الأوارى جمع آرى : محبس الدابة . اللسان (أرى) .

(٢) اللأى : المشقة والجهد . اللسان (لأى) .

(٣) التوى : الحفير حول الخباء أو الخيمة يدفع عنها السيل يمينا وشمالا ويبعده . اللسان (نأى) .

(٤) المظلومة : يعنى أرضا مروا بها فى بركة فتحوضوا حوضا سقوا فيه إبلهم ، وليست بموضع تحويض . اللسان
(ظلم) .

(٥) الجلد : الغليظ من الأرض ، والأرض الصلبة . اللسان (جلد) .

(٦) ص : «استخفوه» .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ت ٣ .

فهذه أوجه تأويل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ باختلاف أوجه إعراب ذلك .
 وإنما اغترضنا بما اغترضنا في ذلك من بيان وجوه إعرابه - وإن كان ^(١) قصدنا
 في هذا الكتاب الكشف عن تأويل آي القرآن - لما في اختلاف وجوه إعراب ذلك
 من اختلاف وجوه تأويله ، فاضطررنا الحاجة إلى كشف وجوه إعرابه ، لتتكشف
 لطالب تأويله وجوه تأويله على قدر اختلاف المختلفة في تأويله وقراءته .

والصواب من القول في تأويله وقراءته عندنا القول الأول ، وهو قراءة: ﴿غَيْرِ
 الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بخفض الراء من ﴿غَيْرِ﴾ بتأويل أنها صفة ﴿الَّذِينَ
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ونعت لهم - لما قد قدمنا من البيان - إن شئت ، وإن شئت
 فبتأويل تكرير ﴿صِرَاطُ﴾ ، كل ذلك صواب حسن .

فإن قال لنا قائل : فمن هؤلاء المغضوب عليهم الذين أمرنا الله جل ثناؤه بمسأله
 ألا يجعلنا منهم ؟

قيل : هم الذين وصفهم الله جل ثناؤه في تنزيهه ، فقال : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ
 مِّنْ ذَلِكَ مُتَوَبِّعًا عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ
 الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة : ٦٠] . فأعلمنا جل ذكره
 بمنه ^(٢) ما أحل بهم من عقوبته بمعصيتهم إياه ، ثم علمنا ، منه ^(٣) منه علينا ، وجه
 السبيل إلى النجاة من أن يحل بنا مثل الذي حل بهم من المثلاث ^(٤) ، ورأفة منه بنا .
 فإن قال : وما الدليل على أنهم أولاء الذين وصفهم الله ، وذكر نبأهم في تنزيهه

(١) بعده في ص : « ذلك » .

(٢) في ص : « ثمة » .

(٣) في ر : « منا » .

(٤) المثلاث جمع مثلة : العقوبات . اللسان (م ث ل) .

على ما وصفت ؟

قيل : حدثني أحمد بن الوليد الرَّمْلِيُّ ، قال : حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفر الرِّقِّي^(١) ، قال : حدثنا سفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن عدى بن حاتم ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الْمُغْضُوبُ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ »^(٢) .
حدثنا محمد بن المُثنَّى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن سمالك ، قال : سمعتُ عباد بن حُبَيْشٍ يُحدثُ عن عدى بن حاتم ، قال : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الْمُغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ »^(٣) .

حدثني علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا محمد بن مصعب ، عن حماد بن سلمة ، عن سمالك بن حرب ، عن مُرَّيِّ بن قَطَرِيٍّ ، عن عدى بن حاتم ، قال : سألتُ النبيَّ ﷺ عن قولِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ : ﴿ غَيْرِ الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ قال : « هم اليهود »^(٤) .

(١) فى ر : « البرقى » . وينظر تهذيب الكمال ٣٧٦ / ١٤ .

(٢) أخرجه تمام فى الفوائد (١٣٢٥ - الروض البسام) من طريق أحمد بن الوليد به . وهكذا ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤٦ / ١ عن ابن عينة به . وأخرجه ابن عينة فى تفسيره - كما فى الدر المنثور ١٦ / ١ - وعنه سعيد بن منصور فى سننه (١٧٩ - تفسير) عن إسماعيل بن أبي خالد ، أن النبي ﷺ قال لعدى بن حاتم ، مرسل . وسيأتى باقى هذا الحديث فى ص ١٩٤ .

(٣) أخرجه الترمذى (٢٩٥٤) عن محمد بن المثنى به . وأخرجه أحمد ٣٧٨ / ٤ (الميمية) ، والترمذى (٢٩٥٤) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٣١ / ١ (٤٠) ، وابن حبان (٦٢٤٦ ، ٧٢٠٦) ، والطبرانى فى الكبير ٩٩ / ١٧ (٢٣٧) ، والبيهقى فى الدلائل ٣٣٩ / ٥ ، ٣٤٠ من طريق محمد بن جعفر به .

وأخرجه الترمذى (٢٩٥٣) ، وابن أبى حاتم ٣١ / ١ (٤١) ، والطبرانى ٩٨ / ١٧ (٢٣٦) من طريق سمالك به . وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث سمالك بن حرب .

(٤) قد خولف حماد بن سلمة فى إسناد هذا الحديث ؛ خالفه شعبة ، وتقدم فى الحديث قبله . ورواه =

/ حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعُودَةَ السَّامِيُّ ^(١)، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ : ٨٠/١
 حَدَّثَنَا الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ ^(٢)، أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ
 مُحَاصِرٌ ^(٣) وَادَى الْقُرَى، فَقَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تُحَاصِرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : « هَؤُلَاءِ
 الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ » ^(٤).

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ، عَنْ سَعِيدِ الْجُرَيْرِيِّ،
 عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ
 نَحْوَهُ ^(٥).

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ : أُنْبَأَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ بُدَيْلِ
 الْعُقَيْلِيِّ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَقِيقٍ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ بِوَادَى
 الْقُرَى، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ
 هَؤُلَاءِ؟ قَالَ : « الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمُ ». وَأَشَارَ إِلَى الْيَهُودِ ^(٦).

= عمرو بن ثابت عن سماك، عمن سمع عدى بن حاتم. أخرجه الطيالسي (١١٣٥) عن عمرو بن ثابت.
 وقال ابن كثير في تفسيره ٤٦/١: وقد روى حديث عدى هذا من طرق، وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها.

(١) سقط من: ص، ر، ت، ١، وفي م، ت، ٢، ت، ٣: « الشامي ». وينظر تهذيب الكمال ٣٩٥/٧.

(٢) في ص: « سفيان ». وينظر تهذيب الكمال ٨٩/١٥.

(٣) في ص، ت، ١: « يحاصر ».

(٤) أخرجه أبو عبيد في الأموال (٧٦٥) من طريق الجريري به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦/١ إلى
 وكيع وعبد بن حميد. وسيأتي باقي هذا الحديث في ص ١٩٥.

(٥) أشار ابن كثير في تفسيره ٤٦/١ إلى رواية عروة، وقال: ووقع في رواية عروة تسمية عبد الله بن عمر،
 فالله أعلم.

(٦) تفسير عبد الرزاق - كما في الدر المنثور ١٦/١ - وعنه أحمد ٣٢/٥، ٣٣، ٧٧ (الميمية).

وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد والبقوى في معجم الصحابة وابن المنذر وأبى الشيخ.

وأخرجه البلاذري في أنساب الأشراف ٤٤٥/١، وأبو يعلى (٧١٧٩)، والطحطاوى ٣/٣٠١، والبيهقي

٣٢٤/٦، ٣٣٦، ٦٢/٩ من طريقين عن بديل - زاد البيهقي: وخالد الحذاء والزيبر بن الحزيت - عن عبد الله =

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا خَالِدُ الْوَاسِطِيُّ ،
عَنْ خَالِدِ الْحَذَّاءِ ، عَنْ [٢٢١/١] عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ . فَذَكَرَ
نَحْوَهُ ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو رَزْوَقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ .
يَعْنِي الْيَهُودَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيدِ فِي خَبَرِ
ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ
مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ : هُمْ
الْيَهُودُ ^(٣) .

= ابن شقيق ، عن رجل من بلقين ، مطولا ومختصرا . وقال ابن كثير في تفسيره ٤ / ٤ : إسناده صحيح .
وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (١٣٧) من طريق آخر عن عبد الله بن شقيق مثله .

ورواه إبراهيم بن طهمان عن بديل ، فقال : عن عبد الله بن شقيق ، عن أبي ذر . أخرجه ابن مردويه - كما
في تفسير ابن كثير ٤٦ / ١ - وقال الحافظ في الفتح ٨ / ١٥٩ : إسناده حسن .

(١) أخرجه أحمد بن منيع في مسنده - كما في المطالب العالية (٢٢٣٦) - عن هشيم ، عن خالد الحذاء ،
عن عبد الله بن شقيق : حدثني رجل من بلقين ، أن رجلا أتى النبي ﷺ . وأخرجه البيهقي في الشعب
(٤٣٢٩) من طريق يحيى بن يحيى ، عن خالد الواسطي ، عن خالد الحذاء ، عن عبد الله بن شقيق ، عن
رجل ، عن ابن عم له . وأخرجه الطحاوي ٣ / ٣٠١ من طريق ابن المبارك ، عن خالد الحذاء ، عن عبد الله بن
شقيق ، عن رجل من بلقين .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣١ / ١ (٤٢) من طريق أبي كريب به . وسيأتي باقي هذا الأثر في ص
١٩٦ .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٦ / ١ عن السدي به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ١٦ / ١ إلى المصنف عن
ابن مسعود . وسيأتي باقي هذا الأثر في ص ١٩٦ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ الرَّازِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مِهْرَانُ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ . قَالَ : هُمُ الْيَهُودُ ^(١) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ الْغِفَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ ^(٢) ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ رِبْعٍ : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ . قَالَ : الْيَهُودُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ . قَالَ : الْيَهُودُ ^(٤) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ : الْيَهُودُ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ زَيْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ ^(٥) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَاخْتَلَفَ فِي صِفَةِ الْغَضَبِ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : غَضِبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ إِحْلَالُ عَقوبَتِهِ بِمَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ ، إِمَّا فِي دُنْيَاهُ وَإِمَّا فِي آخِرَتِهِ ، كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ / فِي كِتَابِهِ فَقَالَ : ﴿ فَلَمَّا ٨١/١
ءَاسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٥] . وَكَمَا قَالَ : ﴿ قُلْ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦/١ إلى المصنف وعبد بن حميد . وسيأتي باقي هذا الأثر في ص ١٩٥ .

(٢) في ص ، م ، ت : ١ : « عبد » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦/١ إلى المصنف .

(٤) سيأتي باقي هذا الأثر في ص ١٩٦ .

(٥) في حاشية ر : « عند الفرعاني : اليهود . ولم تكن عند ابن داود » .

والصواب الفرعاني بالغين المعجمة . وينظر الأنساب ٣٦٧/٤ ، والسير ١٣٢/١٦ .

وينظر الأثر في تفسير ابن كثير ٤٦/١ ، والدر المنثور ١٦/١ ، وفتح القدير ٢٥/١ . وما سيأتي في ص

هَلْ أَنْتَبَّحْتُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ
الْقَرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴿المائدة: ٦٠﴾ .

وقال بعضهم: غَضِبَ اللَّهُ على مَنْ غَضِبَ عليه من عباده ذمٌ منه لهم
ولأفعالهم، وسُتِمَ منه لهم بالقول .

وقال بعضهم: الغضبُ منه معنى مفهومٌ، كالذى يُعْرِفُ من معاني الغضبِ ،
غير أنه - وإن كان كذلك من جهة الإثبات - فمخالفٌ معناه منه معنى ما يكون من
غضبِ الآدميين الذى ^(١) يُزْعِجُهُمْ وَيُحَرِّكُهُمْ وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ وَيُؤْذِيهِمْ ؛ لأن الله جلُّ
ثناؤه لا تَحِلُّ ذَاتُهُ الْآفَاتُ ، ولكنه له صفةٌ ، كما العلمُ له صفةٌ ، والقدرةُ له صفةٌ ، على
ما يُعْقَلُ من جهة الإثبات ، وإن خالفت معانى ذلك معانى علومِ العبادِ التى هى
معارفُ القلوبِ ، وقواهم التى تُوجَدُ مع وجودِ الأفعالِ وتُعَدُّ مع عَدَمِهَا ^(٢) .

القولُ فى تأويلِ قوله عز وجل : ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ﴿٧﴾ .

قال أبو جعفر: كان بعضُ أهلِ البصرة ^(٣) يزعمُ أن ﴿لا﴾ مع ﴿الضَّالِّينَ﴾
أَدْخِلْتَ تَتْمِيمًا لِلْكَلَامِ ، والمعنى إلغاؤها ^(٤) ، وَيَشْتَشْهَدُ على قبيله ^(٥) فى ذلك بيتُ
العجاج ^(٦) :

فى بَغْرِ لَا حُورٍ سَرَى وما شَعَزَ

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «الذين» .

(٢) وهذا القول هو الصحيح ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة . وينظر مجموع الفتاوى ٣/ ٣٣ ، ٦/ ٦٨ ،
١١٩ ، ١٢٠ .

(٣) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ٢٥/١ وما بعدها .

(٤) فى مجاز القرآن : «إلغاؤها» .

(٥ - ٥) فى ص ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «ذلك بيت» ، وفى م : «ذلك بيت» .

(٦) ديوانه ص ١٤ .

وَيَأْأُولُهُ بِمَعْنَى : فِي بَيْتٍ حَوْرٍ سَرَى . أَيْ : فِي بَيْتٍ هَلَكَةٍ . وَأَنْ « لَا » بِمَعْنَى الْإِلْغَاءِ وَالصَّلَةِ^(١) ، وَيَعْتَلُّ أَيْضًا لِدَلَالَةِ بَقُولِ أَبِي النَّجْمِ^(٢) :

فَمَا أَلَوْمُ الْبَيْضِ أَلَا تَسْخَرَا

لَمَّا رَأَيْنِ الشَّمَطَ الْقَفْنَدَرَا^(٣)

وَهُوَ يُرِيدُ : فَمَا أَلَوْمُ الْبَيْضِ أَنْ تَسْخَرَ . وَبَقُولِ الْأَخْوَصِ^(٤) :

وَيَلْحِئْنِي^(٥) فِي اللَّهْوِ أَلَا أَحِبُّهُ وَلِلَّهِوَ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلٍ

يُرِيدُ : وَيَلْحِئْنِي فِي اللَّهْوِ أَنْ أَحِبُّهُ . وَبَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [الأعراف : ١٢] . يُرِيدُ : أَنْ تَسْجُدَ .

وَحِكَايَ عَنْ قَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَنَّهُ كَانَ يَتَأَوَّلُ : ﴿ غَيْرِ ﴾ الَّتِي مَعَ ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ أَنَّهَا بِمَعْنَى « سِوَى » . فَكَأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ كَانَ عِنْدَهُ : اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ، الَّذِينَ هُمْ سِوَى الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ .

وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكُوفِيِّينَ^(٦) يَسْتَكْبِرُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَيَزْعُمُ أَنْ ﴿ غَيْرِ ﴾ الَّتِي مَعَ ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ لَوْ كَانَتْ بِمَعْنَى « سِوَى » ، لَكَانَ خَطَأً أَنْ يُغَطَّفَ عَلَيْهَا بـ « لَا » ، إِذْ كَانَتْ « لَا » لَا يُغَطَّفُ بِهَا إِلَّا عَلَى جَحْدٍ قَدْ تَقَدَّمَهَا ، كَمَا كَانَ خَطَأً قَوْلُ الْقَائِلِ : عِنْدِي « سِوَى » أَخِيكَ وَلَا أَيْبِكَ . لِأَنَّ « سِوَى » لَيْسَتْ مِنْ

(١) يَقْصِدُ بِالصَّلَةِ هُنَا الْحَرْفَ الزَّائِدَ . يَنْظُرُ مُصْطَلِحَاتُ النُّحُو الْكُوفِي ص ٣٨ .

(٢) دِيَوَانُهُ (مَجْمُوع) ص ١٢١ .

(٣) الْقَفْنَدَرُ : الْقَبِيحُ الْمَنْظَرُ . اللَّسَانُ (قَفْنَدَر) ، وَالْبَيْتُ فِيهِ .

(٤) شَعْرُ الْأَخْوَصِ ص ١٧٩ .

(٥) فِي ر : « تَلْحِئْنِي » . وَلِهَا يَلْحَاهُ لَحْيَا : لَامُهُ وَعِذْلُهُ . اللَّسَانُ (ل ح أ) .

(٦) بَعْدَهُ فِي ص ، ت ١ : « لَا » .

(٧) فِي م : « الْكَوْفَةُ » . وَيَعْنِي بِذَلِكَ الْفَرَاءَ . يَنْظُرُ مَعَانِي الْقُرْآنِ لَهُ ٨ / ١ .

حروف النفي والمجود . ويقول : لما كان ذلك خطأً في كلام العرب ، وكان القرآن بأفصح^(١) اللغات من لغات العرب ، كان معلوماً أن الذى زعمه القائل أن ﴿ غَيْرِ ﴾ مع ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ بمعنى : سوى المغضوب عليهم - خطأً ، إذ كان قد كثر عليه الكلام بـ « لا » ، وكان يزعم أن ﴿ غَيْرِ ﴾ هنالك إنما هى بمعنى الجحد ، و^(٢) كان صحيحاً في كلام العرب وفاشياً ظاهراً في منطيقها توجيه « غير » إلى معنى النفي ، ومُستعملاً فيهم : أخوك غير مُحْسِنٍ ولا مُجْمِلٍ . يُراد بذلك : / أخوك لا مُحْسِنٌ ولا مُجْمِلٌ . وَيَسْتَكْبِرُ أَنْ تَأْتِيَ « لا » بمعنى الحذف في الكلام مبتدأً ولما يَتَقَدَّمُ جحدٌ . ويقول : لو جاز مجيئها بمعنى الحذف مبتدأً قبل دلالة تَدُلُّ على ذلك من جحد سابق ، لصحَّ قول قائل قال : أَرَدْتُ أَلَا أُكْرِمَ أَخَاكَ . بمعنى : أَرَدْتُ أَنْ أُكْرِمَ أَخَاكَ . وكان يقول : ففى شهادة أهل المعرفة بلسان العرب على تخطئة قائل ذلك دلالة واضحة على أنَّ « لا » لا تَأْتِي مُبْتَدَأَةً بمعنى الحذف ولما يَتَقَدَّمُ جحدٌ . وكان يَتَأَوَّلُ فى « لا » التى فى بيت العجاج الذى^(٣) ذَكَرْنَا أَنَّ البَصْرِيَّ اسْتَشْهَدَ بِهِ لِقَوْلِهِ^(٤) - أَنَّهَا جَحْدٌ صَحِيحٌ ، وَأَنَّ مَعْنَى الْبَيْتِ : سَرَى فِى بَيْرٍ لَا تُحِيرُ عَلَيْهِ خَيْرًا ، وَلَا يَتَبَيَّنُ لَهُ فِيهَا أَثَرُ عَمَلٍ ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ وَلَا يَذَرِي^(٥) بِهِ . مِنْ قَوْلِهِمْ : طَحَنَتِ الطَّاحِنَةُ فَمَا أَحَارَتْ شَيْئًا . أَيْ : لَمْ يَتَبَيَّنْ لَهَا أَثَرُ عَمَلٍ . وَيَقُولُ فِى سَائِرِ الْآيَاتِ الْأُخْرَى ، أَغْنَى مِثْلَ بَيْتِ أَبِي النَّجْمِ :

فَمَا أَلْوَمُ الْبَيْضَ أَلَّا تَسْخَرَا

(١) فى ص : « أفصح » .

(٢) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « إذ » .

(٣) فى ص ، ت ١ : « التى » .

(٤) فى م : « بقوله » .

(٥) فى ص : « يرى » .

إنما جاز [٢٢/١] أن تكون « لا » بمعنى الحذف ؛ لأن الجحد قد تقدّمها في أول الكلام ، فكان الكلام الآخر مواصلاً للأول ، كما قال الشاعر ^(١) :

ما كان يزضى رسول الله فعلهم والطيبان أبو بكر ولا عمر
فجاز ذلك ؛ إذ كان قد تقدّم الجحد في أول الكلام .

قال أبو جعفر : وهذا القول الآخر أولى بالصواب من الأول ، إذ كان غير موجود في كلام العرب ابتداءً الكلام من غير جحدٍ تقدّمه بـ « لا » التي معناها الحذف ، ولا جائز العطف بها على « سوى » ، ولا على حرف الاستثناء . وإنما لـ « غير » في كلام العرب معانٍ ثلاثة ؛ أحدها الاستثناء ، والآخر الجحد ، والثالث سوى ، فإذا ثبت خطأ أن « لا » تكون ^(٢) بمعنى الإلغاء مبتدأ ، وفسد أن يكون عطفاً على « غير » التي مع « المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ » ، لو كانت بمعنى « إلا » التي هي استثناء ، ولم يَجْزُ أن يكون أيضاً عطفاً عليها لو كانت بمعنى « سوى » ، وكانت « لا » موجودة عطفاً بالواو التي هي عاطفة لها على ما قبلها - صحّ وثبت ألا وجه لـ « غير » التي مع « المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ » يَجُوزُ توجيهها إليه على صحة ، إلا بمعنى الجحد والنفي ، وألا وجه لقوله : « وَلَا الضَّالِّينَ » إلا العطف على « غيرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ » .

فتأويل الكلام إذن - إذ كان صحيحاً ما قلنا بالذى عليه استشهدنا : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، لا ^(٣) المغضوب عليهم ولا

(١) ديوان جرير ١/١٥٩ .

(٢ - ٢) في م : « بطل حظ لا أن يكون » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بطل حظ لا أن تكون » . والثبت من : ص . وفيها أيضاً : « حظ » . وينظر تعليق الشيخ شاکر .

(٣) في ص ، ت ٣ : « غير » .

(تفسير الطبري ١/١٣)

الضالين .

فإن قال لنا قائل : ومن هؤلاء الضالون الذين أمرنا الله بالاستعاذة بالله أن
يسئلك بنا سبيلهم و^(١) نضلّ ضلالتهم ؟

قيل : هم الذين وصفهم الله في تنزيله ، فقال : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا
فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا
كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٧٧] .

فإن قال : وما برهائك على أنهم أولاء ؟

قيل : حدثنا أحمد بن الوليد الرَّمْلِيُّ ، قال : حدثنا عبد الله بن جعفر ، قال :
حدثنا سفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن عدي بن
حاتم ، قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قال : « النَّصَارَى »^(٢) .

٨٣/١ / حدثنا محمد^(٣) بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا
شعبة ، عن سيماء ، قال : سمعتُ عباد بن حُثَيْشٍ يُحَدِّثُ عن عدي بن حاتم ، قال :
قال لي رسول الله ﷺ : « إِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى »^(٤) .

حدثنا علي بن الحسين ، قال : حدثنا مسلم بن^(٥) عبد الرحمن ، قال : حدثنا
محمد بن مصعب ، عن حماد بن سلمة ، عن سيماء بن حرب ، عن مروي بن
قطري ، عن عدي بن حاتم ، قال : سألتُ النبي ﷺ عن قول الله : ﴿ وَلَا

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أو » .

(٢) تقدم أوله في ص ١٨٦ .

(٣) في ر : « أحمد » .

(٤) في م : « أو » .

الضَّالِّينَ ﴿١﴾ قال : « النَّصَارَى هُمُ الضَّالُّونَ » ^(١) .

حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعُودَةَ السَّامِيُّ ^(٢) ، قال : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قال : حَدَّثَنَا الْجُرَيْرِيُّ ^(٣) ، عن عبد الله بن شقيق ^(٤) ، أن رجلاً أتى رسولَ الله ﷺ وهو مُحَاصِرٌ وادى القَرْى ، قال : قلتُ : مَنْ هؤلاء ؟ قال : « هؤلاء الضَّالُّونَ النَّصَارَى » ^(٥) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ عُليَّةَ ، عن سعيد الجُرَيْرِيُّ ^(٣) ، عن عروَةَ - يعنى ابنَ عبدِ الله ^(٦) - عن عبدِ الله بنِ شقيقٍ ، عن رسولِ الله ﷺ بنحوه ^(٥) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن بُذَيْلِ الْعُقَيْلِيِّ ، قال : أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَقِيقٍ ، أنه أَخْبَرَهُ مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وهو بوادى القَرْى ، وهو على فَرَسِهِ ، وسأله رجلٌ من بنى القَيْنِ ، فقال : يا رسولَ الله ، مَنْ هؤلاء ؟ قال : « هؤلاء الضَّالُّونَ » . يَعْنِي النَّصَارَى ^(٥) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قال : حَدَّثَنَا خَالِدُ الْوَاسِطِيُّ ، عن خالدِ الحَدَّاءِ ، عن عبدِ الله بنِ شَقِيقٍ ، أن رجلاً سألَ النَّبِيَّ ﷺ وهو مُحَاصِرٌ وادى القَرْى ، وهو على فَرَسٍ : مَنْ هؤلاء ؟ قال : « الضَّالُّونَ » . يَعْنِي النَّصَارَى ^(٧) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا مِهْرَانُ ، عن سفيانَ ، عن مُجَاهِدٍ : ﴿ وَلَا

(١) تقدم أوله فى ص ١٨٦ .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الشامى » .

(٣) فى ص : « الحريرى » .

(٤) فى ص ، ت ١ : « سفيان » .

(٥) تقدم أوله فى ص ١٨٧ .

(٦) بعده فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « بن قيس » .

(٧) تقدم أوله فى ص ١٨٨ .

الضَّكَّالِينَ ﴿١﴾ قال : النصارى ^(١) .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةٍ ، قال : حدَّثنا أبو رَؤُوفٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَا الضَّكَّالِينَ ﴾ قال : وغيرِ طريقِ النصارى الذين أضلَّهُمُ اللَّهُ بِفِرْيَتِهِمْ عليه . قال : يقولُ : فَأَلْهِمْنَا دِينَكَ الْحَقَّ ، وهو لا إلهَ إلا اللَّهُ وحده لا شريكَ له ، حتى لا تَغْضَبَ علينا كما غَضِبْتَ على اليهود ، ولا تُضِلَّنَا كما أضَلَلْتَ النصارى ، فَتَعَذُّبْنَا بما تُعَذِّبُهُم به . يقولُ : امْنَعْنَا مِنْ ذَلِكَ بِرِفْقِكَ ^(٢) وَرَحْمَتِكَ وَقَدْرَتِكَ ^(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجُ ^(٤) ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ الضَّكَّالِينَ ﴾ : النصارى ^(١) .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ الهمدانيُّ ، قال : حدَّثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أنسباطُ بنُ نصرٍ ، عن إسماعيلَ البُشْدِيِّ في خبرٍ ذكره عن أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ الهمدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبي ﷺ : ﴿ وَلَا الضَّكَّالِينَ ﴾ : هم النصارى ^(٣) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمٍ الغفاريُّ ، قال : أَخْبَرَنَا عُبيدُ ^(٥) اللَّهِ بنُ موسى ، عن أبي جعفرٍ ، عن ربيعٍ : ﴿ وَلَا الضَّكَّالِينَ ﴾ : النصارى ^(١) .

٨٤/١ / حدَّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال

(١) تقدم أوله في ص ١٨٩ .

(٢) في ر : « برقدك » .

(٣) تقدم أوله في ص ١٨٨ .

(٤) في ص : « حماد » .

(٥) في ص ، ت ١ : « عبد » .

عبد الرحمن بن زيد : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ : النصارى^(١) .

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه ، قال : ﴿ الضَّالِّينَ ﴾ : النصارى^(١) .

قال أبو جعفر : ^(٢) فكل جائر^(٢) عن قصد السبيل وسالك غير المنهج القويم ، فضالٌّ عند العرب ؛ لإضلاله وجه الطريق ، فلذلك [٢٣/١] سَمِيَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ النصارى ضالًّا ، لخطئهم في الحقِّ منهج السبيل ، وأخذهم من الدين في غير الطريق المستقيم .

فإن قال قائل : أو ليس ذلك أيضًا من صفة اليهود ؟

قيل : بلى .

فإن قال : فكيف خصَّ النصارى بهذه الصفة ، وخصَّ اليهود بما وصفهم به من أنهم مغضوبٌ عليهم ؟

قيل : إن ^(٣) كِلَا الفريقين ضالٌّ مغضوبٌ عليهم ، غير أن الله جل ثناؤه وسَم كلَّ فريقٍ منهم من صِفَتِهِ لعباده بما يَعْرِفُونَهُ به إذا ذكره لهم أو أَخْبَرَهُمْ عنه ، ولم يُسَمَّ واحدًا من الفريقين إلا بما هو له صفةٌ على حقيقته ، وإن كان له من صفات الذمِّ زياداتٌ عليه .

^(٤) وقد ظنَّ بعض أهل العباء من القدرية أن في وصفِ الله جل ثناؤه النصارى بالضلَّالِ بقوله : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ وإضافته الضلالَ إليهم دون إضافةِ إضلالِهِم

(١) تقدم أوله في ص ١٨٩ .

(٢ - ٢) في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « وكل حائد » .

(٣) سقط من : ص .

(٤ - ٤) في ص : « فيظن » .

إلى نفسه ، وتركه وصفهم بأنهم المضللون^(١) ، كالذى وصف به اليهود أنهم^(٢) المغضوب عليهم - دلالة على صحة ما قاله إخوانه من جهالة القدرية ، جهلاً منه بسعة كلام العرب وتصارييف وجوهه ، ولو كان الأمر على ما ظنّه الغبى الذى وصفنا شأنه لوجب أن يكون شأن^(٣) كل موصوف بصفة أو مضاف إليه فعل ، لا يجوز أن يكون فيه سبب لغيره ، وأن يكون كل ما كان^(٤) فيه من ذلك لغيره^(٥) سبب ، فالحق فيه أن يكون مضافاً إلى مسببه ، ولو وجب ذلك لوجب أن يكون خطأ قول القائل : تحرّكت الشجرة . إذا حرّكتها الرياح . واضطربت الأرض . إذا حرّكتها الزلزلة ، وما أشبه ذلك من الكلام الذى يطول بإحصائه الكتاب .

وفى قول الله جلّ ثناؤه : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ [يونس : ٢٢] . وإضافته^(٦) الجزى إلى الفلك ، وإن كان جزئها بإجراء غيرها إياها - ما يدل على خطأ التأويل الذى تأوله من وصفنا قوله فى قوله : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ وادعائه أن فى نسبة الله جلّ ثناؤه الضلالة إلى من نسبها إليه من النصارى ، توضيحاً لما ادّعى المنيكرون أن^(٧) لله فى أفعال خلقه سبباً من أجله^(٨) وجدت أفعالهم ، مع إبانة الله جلّ ثناؤه نصّاً فى آي كثيرة من تنزيله أنه المضل الهادى ؛ فمن ذلك قوله جلّ وعزّ : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمْرٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ

(١) فى ص : « الضالون » ، وفى ت ١ : « المضلون » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « وأنهم » .

(٣) سقط من : ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤ - ٤) فى ص : « منه من ذلك بغيره » ، وفى ت ١ : « منه من ذلك لغيره » .

(٥ - ٥) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « بإضافته » .

(٦) بعده فى ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ : « يكون » .

(٧) فى ر ، ت ١ ، ت ٣ : « أجلها » .

بَصَرِهِ غَشَوَهُ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ [الحاثية : ٢٣] . فَأَتْبَأُ جَلِ ثَنَاؤُهُ
أَنَّهُ الْمُضِلُّ الْهَادِي دُونَ غَيْرِهِ .

ولكنَّ القرآنَ نَزَلَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ عَلَى مَا قَدْ قَدَّمْنَا الْبَيَانَ عَنْهُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ ،
وَمِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ إِضَافَةُ الْفِعْلِ إِلَى مَنْ وَجِدَ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ مُسَبِّبُهُ غَيْرَ الَّذِي وَجِدَ مِنْهُ ،
أَحْيَانًا ، وَأَحْيَانًا إِلَى مُسَبِّبِهِ وَإِنْ كَانَ الَّذِي وَجِدَ مِنْهُ الْفِعْلُ غَيْرَهُ ، فَكَيْفَ بِالْفِعْلِ الَّذِي
يُكْتَسِبُهُ الْعَبْدُ كَسْبًا ، وَيُوجِدُهُ اللَّهُ جَلِ ثَنَاؤُهُ عَيْنًا ^(١) /! بل ذلكَ أُخْرَى أَنْ ٨٥/١
يُضَافُ إِلَى مُكْتَسِبِهِ كَسْبًا لَهُ بِالْقُوَّةِ مِنْهُ عَلَيْهِ وَالِاخْتِيَارِ مِنْهُ لَهُ ، وَإِلَى اللَّهِ جَلِ
ثَنَاؤُهُ بِإِيجَادِ عَيْنِهِ ^(٢) وَإِنْشَائِهَا تَدْبِيرًا .

مسألة يَسْأَلُ عَنْهَا أَهْلُ الْإِلْحَادِ الطَّاعِنُونَ فِي الْقُرْآنِ

إِنْ سَأَلْنَا مِنْهُمْ سَائِلٌ ، فَقَالَ : إِنَّكَ قَدْ قَدَّمْتَ ^(٣) فِي أَوَّلِ كِتَابِكَ هَذَا فِي وَصْفِ
الْبَيَانِ ، بِأَنْ أَعْلَاهُ دَرَجَةٌ ، وَأَشْرَفُهُ مَرْتَبَةٌ ، أَبْلَغُهُ فِي الْإِبَانَةِ عَنْ حَاجَةِ الْمُبَيِّنِ بِهِ عَنْ
نَفْسِهِ ، وَأَيِّنُهُ عَنْ مُرَادِ قَائِلِهِ ، وَأَقْرَبُهُ مِنْ فَهْمِ سَامِعِهِ ، وَقُلْتَ مَعَ ذَلِكَ : إِنَّ أَوْلَى الْبَيَانِ
بِأَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ كَلَامُ اللَّهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ لِفَضْلِهِ ^(٤) عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ ^(٥) ، بَارْتِفَاعِ دَرَجَتِهِ
عَلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْبَيَانِ ، فَمَا الْوَجْهُ - إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْتَ - فِي إِطَالَةِ
الْكَلَامِ بِمَثَلِ سُورَةِ أُمِّ الْقُرْآنِ بِسَبْعِ آيَاتٍ ، وَقَدْ حَوَتْ مَعَانِيَ جَمِيعِهَا مِنْهَا آيَاتَانِ ،

(١ - ١) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « مَنْشَأَةٌ » .

(٢) فِي ص ، ر : « عَيْنُهَا » .

(٣) تَقَدَّمَ فِي ص ٨ ، ٩ .

(٤) فِي م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بِفَضْلِهِ » .

(٥) بَعْدَهُ فِي م ، ت ، ٣ : « وَ » .

وذلك قوله : (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) . إذ كان لا شك أن مَنْ عَرَفَ مَلِكَ يَوْمِ الدِّينِ ، فقد عَرَفَهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى ، وصفاته الْمُثَلَّى ، وأن مَنْ كان لِلَّهِ مُطِيعًا ، فلا شك أنه لسبيل مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ مُتَّبِعٌ ، وعن سبيل مَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ وَضَلَّ مُنْعَدِلٌ ، فما في زيادة الآيات الخمس الباقية من الحكمة التي لم تَحَوِّها الآيتان اللتان ذَكَرْنَا ؟

قيل له : إن الله تعالى ذكره جَمَعَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ولأُمِّهِ بما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ كِتَابِهِ مَعَانِي لَمْ يَجْمَعْهُنَّ بَكِتَابٍ ^(١) أُنْزِلَ إِلَى نَبِيِّ قَبْلَهُ ، وَلَا لَأُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ كِتَابٍ أُنْزِلَ جُلُّ ذِكْرِهِ ، عَلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ قَبْلَهُ ، فَإِنَّمَا أُنْزِلَ بَعْضُ الْمَعَانِي الَّتِي يَحْوِي جَمِيعُهَا كِتَابُهُ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، كَالْتُورَةِ الَّتِي هِيَ مَوَاعِظُ وَتَفْصِيلٌ ، وَالزَّبُورِ الَّذِي هُوَ تَحْمِيدٌ وَتَمْجِيدٌ ، وَالْإِنْجِيلِ الَّذِي هُوَ مَوَاعِظُ وَتَذَكِيرٌ ، لَا مُعْجَزَةٌ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا تَشْهَدُ لِمَنْ أُنْزِلَ إِلَيْهِ بِالتَّصْدِيقِ ، وَالكِتَابُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ يَحْوِي مَعَانِي ذَلِكَ كُلَّهُ ، وَيَزِيدُ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي سَائِرُ الْكِتَابِ غَيْرُهُ مِنْهَا خَالٍ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا فِيمَا مَضَى مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ^(٢) .

وَمِنْ أَشْرَفِ تِلْكَ الْمَعَانِي الَّتِي فَضَّلَ بِهَا كِتَابُنَا سَائِرَ الْكِتَابِ قَبْلَهُ نَظْمُهُ الْعَجِيبُ ، وَرِصْفُهُ ^(٣) الْغَرِيبُ ، وَتَأْلِيفُهُ الْبَدِيعُ ، الَّذِي عَجَزَتْ عَنْ نَظْمِ مِثْلِ أَصْغَرِ سُورَةٍ مِنْهُ الْخُطْبَاءُ ، وَكُلَّتْ عَنْ رِصْفِ ^(٤) شَكْلِ بَعْضِهِ الْبُلْغَاءُ ، وَتَحَيَّرَتْ فِي تَأْلِيفِهِ

(١) فِي ص : « كِتَاب » .

(٢) يَنْظُرُ مَا تَقْدِمُ فِي ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) فِي ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٣ : « وَصْفُهُ » . وَالرِّصْفُ : ضَمُّ الشَّيْءِ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ . اللَّسَانُ (ر ص ف) .

(٤) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وَصَف » .

الشعراء، وتبلّدت - قصورًا عن أن تأتي بمثله - لديه أفهام الفُهماء، فلم يجدوا له [٢٣/١ ظ] إلا التسليم والإقرار بأنه من عند الواحد القهار، مع ما يحوى مع ذلك من المعانى التى هى ترغيث وترهيب، وأمر وزجر، وقصص وجدل ومثل، وما أشبه ذلك من المعانى التى لم تجتمع^(١) فى كتاب أنزل إلى الأرض من السماء. فمهما يكن فيه من إطالة على نحو ما فى أم القرآن، فلما وصفت قبل من أن الله جل ذكره أراد أن يجمع برصفه العجيب، ونظمه الغريب، المتعدي عن أوزان الأشعار، وسجع الكهان، وخطب الخطباء، ورسائل البلغاء، العاجز عن رصف مثله جميع الأنام، وعن نظم نظيره كل العباد - الدلالة على نبوة نبينا محمد ﷺ.

وبما فيه من تحميد وتمجيد وثناء عليه، تنبيه العباد على عظمتهم وسلطانهم وقدرتهم وعظم مملكتهم، ليذكروهم بآلائه، ويحمدوه على نعمائهم، فيستحقوا به منه المزيد، ويستوجبوا / عليه الثواب الجزيل.

٨٦/١

وبما فيه من نعت من أنعم عليه بمعرفته وتفضل عليه بتوفيقه لطاعته، تعريف عباده أن كل ما بهم من نعم فى دينهم ودنياهم فممنه، ليصرفوا رغبتهم إليه، ويبتغوا حاجاتهم من عنده دون ما سواه من الآلهة والأنداد.

وبما فيه من ذكره ما أحل بمن عصاه من مثاليته، وأنزل بمن خالف أمره من عقوباته، ترهيب عباده عن ركوب معاصيه، والتعرض لما لا قبل لهم به من سخطه، فيسلك بهم فى النكال والتقدمات سبيل من ركب ذلك من الهلاك.

فذلك وجه إطالة البيان فى سورة أم القرآن، وفيما كان نظيرها لها من سائر سور الفرقان، وذلك هو الحكمة البالغة والحجة الكاملة.

(١) فى ص، ر، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «تجمع».

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَارِثِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ ، عَنْ أَبِي السَّائِبِ مَوْلَى زُهْرَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ اللَّهُ : حَمَدَنِي عَبْدِي . وَإِذَا قَالَ : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ . قَالَ : أَتْنِي عَلَى عَبْدِي . وَإِذَا قَالَ : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ . قَالَ : مَجَّدَنِي عَبْدِي ، فَهَذَا لِي . وَإِذَا قَالَ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . إِلَى أَنْ يَخْتِمَ الشُّرُوءَ . قَالَ : فَذَاكَ لَهُ » ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي السَّائِبِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ كَثِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى الْحَرْقَةِ ، عَنْ أَبِي السَّائِبِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ مِسْمَارٍ الْمُرُوزِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُبَيْسَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ طَرِيفٍ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ^(٣) ، وَلَهُ مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) أخرجه أحمد ٢٣٣/١٣ (٧٨٣٨) ، والبخاري في القراءة خلف الإمام (٧٣) ، والبيهقي في القراءة خلف الإمام (٥٧، ٥٨) من طرق عن ابن إسحاق به . وأخرجه مسلم (٣٩٥/٣٩، ٤٠) ، والنحاس في القطع والائتناف ص ١٠١، ١٠٢ ، وغيرهما من طريق العلاء به . وينظر مسند الطيالسي (٢٦٨٤) .

(٢) أخرجه البيهقي ١٦٦/٢ ، وفي القراءة خلف الإمام (٥٤) من طريق أبي أسامة به .

(٣) سقط من : ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ . قال ^(١) : حَمِدَنِي عَبْدِي . وإذا قال : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ .
 قال : أَتْنَى عَلَى عَبْدِي . وإذا قال : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ . قال : مَجَّدَنِي
 عَبْدِي . قال : هَذَا لِي وَلَهُ مَا بَقِيَ ^(٢) .

آخرُ تفسيرِ سورة فاتحة الكتاب

(١) بعده في م ، ت ٢ ، ت ٣ : «اللَّهُ» .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٨/١ (١٩) ، والسهمي في تاريخ جرجان ص ١٤٤ من طريق زيد بن الحباب به ، بنحوه دون آخره . وقال ابن كثير في تفسيره ٢٥/١ : وهذا غريب من هذا الوجه .

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها البقرة

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿الْم﴾ .

قال أبو جعفر : اختلفت تراجمة القرآن في تأويل قول الله تعالى ذكره : ﴿الْم﴾ ؛ فقال بعضهم : هي اسم من أسماء القرآن .

يذكر من قال ذلك

٨٧/١ / حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿الْم﴾ . قال : اسم من أسماء القرآن ^(١) .

حدثني المثنى بن إبراهيم الأملئي ، قال : حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود ، قال : حدثنا شبلى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ﴿الْم﴾ اسم من أسماء القرآن ^(٢) .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ﴿الْم﴾ اسم من أسماء القرآن . وقال بعضهم : هي فواتح يفتح الله بها القرآن .

(١) تفسير عبد الرزاق - كما في الدر المنثور ٢٢/١ - ومن طريقه النحاس في القطع والانتاف ص ١١١ ، ومعاني القرآن ٧٥/١ . وعزه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم . وهو عند ابن أبي حاتم ٣٣/١ معلقا عقب الأثر (٥٠) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٣/١ (٥٠) ، والنحاس في معاني القرآن ٧٥/١ من طريق أبي حذيفة

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ إِدْرِيسَ الْأَصَمُ الْكُوفِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُحَارِبِيُّ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : ﴿ الْآءِ ﴾ فَوَاتِحُ يَفْتَحُ اللَّهُ بِهَا الْقُرْآنَ ^(١) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ الْغِفَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : ﴿ الْآءِ ﴾ فَوَاتِحُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحَجَّاجِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ آدَمَ ، عَنْ سَفِيَانَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : ﴿ الْآءِ ﴾ وَ ﴿ حَمَ ﴾ وَ ﴿ الْمَصَّ ﴾ وَ ﴿ صَّ ﴾ فَوَاتِحُ أَفْتَحُ اللَّهُ بِهَا ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحُسَيْنِ ^(٤) ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَ حَدِيثِ هَارُونِ بْنِ إِدْرِيسَ ^(٥) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ اسْمٌ لِلسُّورَةِ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٣٧/٥ (٨٢٠٤) من طريق ابن جريج به مقتصرًا على قوله : ﴿ المص ﴾ . قال ابن جريج : قلت : ألم تكن تقول : هي أسماء ؟ قال : لا .

(٢) أخرجه النحاس في معاني القرآن ٧٥/١ من طريق سفيان عن خصيف أو غيره ، عن مجاهد .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٥٦/١ عن الثوري به .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ٢٣/١ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبي إسحاق الحويني ٥٢/٢ .

(٤) في ص ، ت ١ : « الحسين » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٣/١ (٥١) من طريق حجاج به .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَتَيْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ وَهْبٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ : ﴿الْعَمَّ﴾ [١] ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴿﴾ ، و ﴿الْعَمَّ تَنْزِيلُ﴾ ، و ﴿الْعَمَّ تِلْكَ﴾ . فَقَالَ : قَالَ أَبِي : إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ السُّورِ ^(١) .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، قَالَ : [١/ ٢٤ و] حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، قَالَ : سَأَلْتُ السُّدِّيَّ عَنْ ﴿حَمَّ﴾ و ﴿طَسَرَ﴾ و ﴿الْعَمَّ﴾ . فَقَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هِيَ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ ^(٢) .
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو التُّعْمَانِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ السُّدِّيِّ ، عَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ . فَذَكَرَ نَحْوَهُ ^(٣) .
حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحَجَّاجِ ، عَنْ عُيَيْدٍ ^(٤) اللَّهِ بْنِ مُوسَى ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : فَوَاتِحُ السُّورِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ^(٥) .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ قَسَمٌ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَائِهِ .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٣/١ عقب الأثر (٥٠) معلقاً .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢/١ (٤٤) من طريق يحيى بن عباد ، عن شعبة ، عن السدي ، قال : بلغني عن ابن عباس .

(٣) أخرجه الحاكم ٢/ ٢٦٠ من طريق السدي به . وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٤) في ص ، ت ٢ : « عبد » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢/١ (٤٧) من طريق إسماعيل بن سالم ، عن الشعبي بلفظ : هي =

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَثْمَانَ بْنِ صَالِحِ السَّهْمِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : هُوَ قَسَمَ ^(١) «أَقْسَمَهُ اللَّهُ» ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ^(٢) .

/ وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا خَالِدٌ ٨٨/١ الْحَذَّاءُ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : ﴿الْمَ﴾ قَسَمَ ^(٣) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ حُرُوفٌ مُقَطَّعَةٌ مِنْ أَسْمَاءِ وَأَفْعَالٍ ، كُلُّ حَرْفٍ مِنْ ذَلِكَ لِمَعْنَى غَيْرِ مَعْنَى الْحَرْفِ الْآخَرِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، وَحَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ^(٤) أَبِي ، عَنْ شَرِيكِ ^(٥) ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ أَبِي الضُّحَى ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ :

= اسم من أسماء الله مقطعة بالهجاء ، فإذا وصلتها كانت اسما من أسماء الله .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ٢٢/١ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر ، مطولا .

وروى عن الشعبي أنه قال : سر هذا القرآن فواتح السور . كما سيأتي .

وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات (١٦٩) من طريق محمد بن سليمان ، عن عبيد الله بن موسى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن السدي : فواتح السور من أسماء الله . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٢٢/١ إلى أبي الشيخ والبيهقي عن السدي .

(١ - ١) في م : «أقسم الله به» .

(٢) أخرجه النحاس في معاني القرآن ٧٤/١ ، وابن مردويه - كما في تخريج أحاديث الكشاف ٣٤/١ ، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٦٣) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٢٢/١ ، ٦٧/٣ ، ٢٢/١ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٣/١ (٥٢) من طريق ابن علي به .

(٤ - ٤) في م : «ابن أبي شريك» .

﴿الْعَمَّ﴾. قال : أنا الله أعلم^(١).

وحدثت عن أبي عبيد ، قال : حدثنا أبو اليقظان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قوله : ﴿الْعَمَّ﴾ . قال : أنا الله أعلم^(٢).

حدثني موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد القنّاد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن إسماعيل السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : ﴿الْعَمَّ﴾ قال : أما ﴿الْعَمَّ﴾ فهو حروف^(٣) اشتق من حروف هجاء أسماء الله^(٤).

حدثنا محمد بن معمر ، قال : حدثنا عياش^(٥) بن زياد الباهلي ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿الْعَمَّ﴾ ، و ﴿حَمَّ﴾ ، و ﴿تَّ﴾ قال : اسم مُقَطَّع^(٦).

(١) أخرجه وكيع - كما في الدر المنثور ٢٢/١ - ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢/١ (٤٣).

وأخرجه النحاس في القطع والائتاف ص ١١١ ، وفي معاني القرآن ٧٣/١ ، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٦٧) من طريق شريك به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٢/١ ، ٢٧/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٢) ذكره النحاس في معاني القرآن ٧٣/١ عن أبي اليقظان به . وينظر تفسير البغوي ٥٨/١ . وأبو اليقظان - هو عمار بن محمد - صدوق يخطئ .

(٣) في م ، والأسماء والصفات : « حرف » .

(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١٦٨) من طريق عمرو بن حماد به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢/١ (٤٥) من طريق عمرو به ، عن السدي من قوله . وسقط منه ذكر أسباط .

(٥) في ص ، م : « عباس » . والمثبت موافق لما في تفسير ابن أبي حاتم .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢/١ (٤٨) من طريق محمد بن معمر به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٢/١ إلى ابن مردويه . وذكره البغوي في تفسيره ٥٩/١ عن سعيد قوله .

وقال بعضهم : هي حروف هجاء موضوع .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حُدِّثْتُ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ أَبِي نُؤَيْرَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْمُؤَدَّبُ ، عَنْ خُصَيْفٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : قَوَائِمُ السُّورِ كُلُّهَا : ﴿ قَ ﴾ و ﴿ صَّ ﴾ و ﴿ حَمَّ ﴾ و ﴿ طَسَّ ﴾ و ﴿ الرَّ ﴾ وَغَيْرُ ذَلِكَ هِجَاءُ مَوْضُوعٌ ^(١) .

وقال بعضهم : هي حروف يَشْتَمِلُ كُلُّ حَرْفٍ مِنْهَا عَلَى مَعَانٍ شَتَّى مُخْتَلِفَةٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحَجَّاجِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ الرَّ ﴾ .

قَالَ : هَذِهِ الْأَحْرَفُ مِنَ التَّسْعَةِ وَالْعَشْرِينَ حَرْفًا ، ذَارَتْ فِيهَا الْأَلْسُنُ كُلُّهَا ، لَيْسَ مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ مِفْتَاحُ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ ، وَلَيْسَ مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ فِي آيَاتِهِ وَبَلَائِهِ ، وَلَيْسَ مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ فِي ^(٢) مَدَّةِ قَوْمٍ وَآجَالِهِمْ . وَقَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَعَجِبَ ^(٣) : يَنْطَلِقُونَ فِي أَسْمَائِهِ ، وَيَعِيشُونَ فِي رِزْقِهِ ، فَكَيْفَ يَكْفُرُونَ بِهِ ^(٤) ؟ قَالَ : الْأَلْفُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ اللَّهِ ، وَاللَّامُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ لَطِيفٍ ، وَالْمِيمُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ مَجِيدٍ ؛ الْأَلْفُ آيَةُ اللَّهِ ، وَاللَّامُ لُطْفُهُ ، وَالْمِيمُ مَجْدُهُ ؛ الْأَلْفُ سَنَةٌ ، وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ سَنَةً ، وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ سَنَةً ^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٣/١ إلى ابن المنذر .

(٢) سقط من : م .

(٣) في ص ، م : « عجيب » .

(٤) زيادة من : ر .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٣/١ ، ٥٨٤/٢ عقب الأثر (٣٣/١٨) من طريق ابن أبي جعفر به .

(تفسير الطبري ١٤/١)

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدثنا حَكَّامٌ ، عن أبي جعفرٍ ، عن الربيعِ بنحوه .

وقال بعضهم : هي حروفٌ من حسابِ الجُمَّل^(١) . كَرِهْنَا ذَكَرَ الَّذِي حُكِيَ ذلك عنه ، إذ كان الذي رواه مَن لا يُعْتَمَدُ على روايته ونقله ، وقد مَضَتْ الروايةُ بنظير ذلك من القولِ عن الربيعِ بنِ أنسٍ .

وقال بعضهم : لكلِّ كتابٍ سرٌّ ، وسرُّ القرآنِ قَوَاتِحُهُ^(٢) .

وأما أهلُ العربيةِ فإنهم اختلفوا في معنى ذلك ؛ فقال بعضهم : هي حُرُوفٌ من ٨٩/١ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ، اسْتَعْنَى / بِذِكْرِ مَا ذُكِرَ مِنْهَا فِي أَوَائِلِ السُّورِ عَنْ ذِكْرِ بَوَاقِيهَا^(٣) التي هي تَيْمَةُ الثَّمَانِيَةِ وَالْعَشْرِينَ حَرْفًا ، كَمَا اسْتَعْنَى الْمُخْبِرُ عَمَّنْ أَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّهُ فِي حُرُوفِ الْمُعْجَمِ الثَّمَانِيَةِ وَالْعَشْرِينَ بِذِكْرِ « أَب ت ث » عَنْ ذِكْرِ بَوَاقِي حُرُوفِهَا الَّتِي هِيَ تَيْمَةُ الثَّمَانِيَةِ وَالْعَشْرِينَ ، قَالَ : وَلِذَلِكَ رُفِعَ ﴿ ذَٰلِكَ أَلْكِتَبُ ﴾ لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ :

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٢/١ إلى عبد بن حميد عن الربيع مقتضرا على قوله : ألف مفتاح ... مجيد . وعزاه السيوطي ٢٣/١ إلى المصنف ، وابن أبي حاتم عن أبي العالقة . وهو عند ابن أبي حاتم ٣٣/١ ، ٥٨٤/٢ (٣٣ ، ٣١١٨) من طريق أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالقة . ولم يذكر في الدر المنثور قول عيسى عليه السلام . وينظر تفسير ابن كثير ٥٧/١ .

(١) حساب الجُمَّل : ضرب من الحساب يجعل فيه لكل حرف من الحروف الأبجدية عدد من الواحد إلى الألف على ترتيب خاص . الوسيط (ج م ل) .

(٢) أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ - كما في الدر المنثور ٢٣/١ - عن داود بن أبي هند قال : كنت أسأل الشعبي عن فوائض السور ، قال : يا داود ، إن لكل كتاب سرا ، وإن سر هذا القرآن فوائض السور ، فدعها وسل عما بدا لك .

(٣) بعده في ص : « منها » .

الألف واللام والميم من الحروفِ الْمُقَطَّعةِ ، ذلك الكتابُ الذي أنزلته إليك مجموعاً لا ريب فيه .

فإن قال قائلٌ : فإن « أ ب ت ث » قد صارت كالاسم في حروفِ الهجاءِ ، كما صارتِ « الحمدُ » اسماً لفاتحة الكتابِ ؟

قيل له : لما كان جائزاً أن يقولَ القائلُ : ابني في « ط ظ » . وكان معلوماً بقبيله ذلك لو قاله أنه يُريدُ الخبرَ عن ابنه أنه في الحروفِ الْمُقَطَّعةِ ، علم بذلك أن « أ ب ت ث » ليس لها باسمٍ ، وإن كان ذلك أثر^(١) في الذكرِ من سائرِها .

قال : وإنما خولف بينَ ذكرِ حروفِ المعجمِ في فواتحِ السورِ ، فذكرت في أوائلِها مختلفةً ، وذكرها إذا ذكرت بأوائِلِها التي هي « أ ب ت ث » مؤتلفةً ، ليفصلَ بينَ الخبرِ عنها إذا أُريدَ ، بذكرِ ما دُكرَ منها مُختلِفاً ، الدلالةُ على الكلامِ المتصلِ ، وإذا أُريدَ بذكرِ ما دُكرَ منها مُؤتِلِفاً الدلالةُ على الحروفِ الْمُقَطَّعةِ بأعيانِها .

واستشهد لإجازة قولِ القائلِ : ابني في « ط ظ » . وما أشبه ذلك من الخبرِ عنه أنه في حروفِ المعجمِ ، وأن ذلك من قبيله في البيانِ يقومُ مقامُ قوله : ابني في « أ ب ت ث » بَرَجَزِ بعضِ الرُّجَّازِ من بنى أسد^(٢) :

لما رأيْتُ^(٣) أمرها في حُطًى^(٣)

(١) في م : « يؤثر » .

(٢) الأبيات الثلاثة الأولى في تهذيب اللغة ١٠ / ٢٨١ ، واللسان (ف ن ك) .

(٣ - ٣) في اللسان ، ونسخة من تهذيب اللغة : « أنها في حُطًى » .

وَفَنَكَّثْتُ^(١) فِي كَذِبِي^(٢) وَلَطَّيْتُ^(٣)

[٢٤/١ ظ] أَخَذْتُ مِنْهَا بَقْرُونَ^(٤) شَغِطُ^(٥)

فَلَمْ يَزَلْ صَرْبِي^(٦) بِهَا وَمَعْطَى^(٧)

حَتَّى عَلَا الرَّأْسَ دَمٌ يُعْطَى

فزعَم أنه أراد بذلك الخبرَ عن المرأة أنها في «أبي جاد»، فأقام قوله :

لما رَأَيْتُ أَمْرَهَا فِي حُطَى

مُتَقَامَ خَبْرِهِ عَنْهَا أَنَّهَا فِي «أبي جاد»، إذ كان ذلك مِنْ قَوْلِهِ يَدُلُّ سَامِعَهُ عَلَى مَا يَدُلُّهُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ : لَمَّا رَأَيْتُ أَمْرَهَا فِي «أبي جاد» .

وقال آخرون : بل ابْتَدَأْتُ بِذَلِكَ أَوَائِلُ السُّورِ لِيَفْتَحَ لاسْتِمَاعِهِ أَسْمَاعَ الْمُشْرِكِينَ ، إِذْ تَوَاصَوْا بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْقُرْآنِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَمَعُوا لَهُ ثَلَّى عَلَيْهِمُ الْمُؤَلَّفُ مِنْهُ .

وقال بعضهم : الْحُرُوفُ الَّتِي هِيَ فَوَائِحُ السُّورِ حُرُوفٌ يَسْتَفْتِيحُ اللَّهُ بِهَا كَلَامَهُ .

^(٨) وقال ^(٨) : فَإِنْ قِيلَ : هَلْ يَكُونُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَيْسَ لَهُ مَعْنَى ؟ فَإِنْ ^(٩) مَعْنَى هَذَا

(١) فنكثت في الكذب : مضى ولج فيه . اللسان (ف ن ك) .

(٢) في ص : « كدى » ، وفي ت ٢ : « كيدى » ، وفي نسخة من تهذيب اللغة : « كدنى » .

(٣) لط حقه : جحده . اللسان (ل ط ط) .

(٤) القرن : الخصلة من الشعر . اللسان (ق ر ن) .

(٥) الشمط في الشعر : اختلافه بلونين من سواد وبياض . اللسان (ش م ط) .

(٦) في ص : « صونى » .

(٧) المعط : الجذب . اللسان (م ع ط) .

(٨ - ٨) سقط من : م ، وفي ت ٢ : « وقال آخرون » .

(٩) كذا في النسخ ، ولعل صوابها : « قيل » .

أنه ابتدأ^(١) بها ليُعْلَمَ أن السورة التي قبلها قد انقضت ، وأنه قد أخذ في أخرى ، فجعل هذا علامة انقطاع ما بينهما ، وذلك في^(٢) كلام العرب ، يُنشد الرجلُ منهم الشعرَ ، فيقول^(٣) :

بل * وبلدة ما الإنس من آهالها

ويقول^(٤) :

لا بل * ما هاج أحزانًا وشجوا قد شجا

و « بل » ليست من البيت ولا تُعدُّ في وزنه ، ولكن يُقَطَّعُ بها كلامًا ويشتأنفُ الآخر .

قال أبو جعفر : ولكل قولٍ من الأقوال التي قالها الذين وصفنا قولهم في ذلك وجهٌ معروفٌ .

فأما الذين قالوا : ﴿ اَلْعَم ۝ ﴾ / اسمٌ من أسماء القرآن ، فلقولهم ذلك وجهان : ٩٠/١

أحدهما : أن يكونوا أرادوا أن ﴿ اَلْعَم ۝ ﴾ اسمٌ للقرآن ، كما الفرقانُ اسمٌ له . وإذا كان معنى قائل ذلك كذلك ، كان تأويلُ قوله : ﴿ اَلْعَم ۝ ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿ على معنى القسم ، كأنه قال : والقرآن ، هذا الكتاب لا ريب فيه . والآخرُ منهما : أن يكونوا أرادوا أنه اسمٌ من أسماء السورة^(٥) تُعرفُ به ، كما

(١) في م : « افتتح » .

(٢) سقط من : ر .

(٣) اللسان (أهل) غير منسوب .

(٤) الرجز للعجاج في ديوانه ص ٣٤٨ .

(٥) بعده في م : « التي » .

تُعَرَّفُ سَائِرُ الْأَشْيَاءِ بِأَسْمَائِهَا الَّتِي هِيَ لَهَا أُمَارَاتٌ ^(١) تُعَرَّفُ بِهَا ، فَيَفْهَمُ السَّامِعُ مِنَ الْقَائِلِ يَقُولُ : قَرَأْتُ الْيَوْمَ ﴿الْمَـصَّ﴾ و ﴿تَّ﴾ . أَى السُّورَةِ الَّتِي قَرَأَهَا مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ ، كَمَا يَفْهَمُ عَنْهُ إِذَا قَالَ : لَقِيتُ الْيَوْمَ عَمْرًا وَزَيْدًا . وَهَذَا بِزَيْدٍ وَعَمْرٍو عَارِفَانِ - مَنْ الَّذِي لَقِيَ مِنَ النَّاسِ .

وإنَّ أَشْكَلَ مَعْنَى ذَلِكَ عَلَى أَمْرِي ، فَقَالَ : وَكَيْفَ ^(٢) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَنَظَائِرُ ﴿الْمَ﴾ ﴿الرَّ﴾ فِي الْقُرْآنِ جَمَاعَةٌ مِنَ السُّورِ ، وَإِنَّمَا تَكُونُ الْأَسْمَاءُ أُمَارَاتٍ إِذَا كَانَتْ مُمَيِّزَةً بَيْنَ الْأَشْخَاصِ ، فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ غَيْرَ مُمَيِّزَةٍ فَلَيْسَتْ أُمَارَاتٍ ؟

قِيلَ : إِنَّ الْأَسْمَاءَ إِنْ كَانَتْ قَدْ صَارَتْ لاشْتِرَاكِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي الْوَاحِدِ مِنْهَا ، غَيْرَ مُمَيِّزَةٍ إِلَّا بِمَعَانٍ أُخَرَّ مَعَهَا ؛ مِنْ ضَمِّ نَسْبَةِ الْمُسَمَّى بِهَا إِلَيْهَا ، أَوْ نَعْتِهِ أَوْ وَصْفِهِ بِمَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنْ أَشْكَالِهَا ، فَإِنَّهَا وُضِعَتْ ^(٣) اتِّبَاعًا لِلتَّمْيِيزِ لَا شَكَّ ، ثُمَّ اخْتِيجَ عِنْدَ الْإِشْتِرَاكِ إِلَى الْمَعَانِي الْمُفَرِّقَةِ بَيْنَ الْمُسَمَّى بِهَا ، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي أَسْمَاءِ السُّورِ ، جُعِلَ كُلُّ اسْمٍ - فِي قَوْلِ قَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ - أُمَارَةً لِلْمُسَمَّى بِهِ مِنَ السُّورِ ، فَلَمَّا شَارَكَ الْمُسَمَّى بِهِ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ ، احتَاجَ الْخَبِيرُ عَنْ سُورَةٍ مِنْهَا أَنْ يُضْمَّ إِلَى اسْمِهَا الْمُسَمَّى بِهِ مِنْ ذَلِكَ إِلَى ^(٤) مَا يُفَرِّقُ بِهِ السَّامِعُ ^(٥) بَيْنَ الْخَبَرِ عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا مِنْ نَعْتٍ وَصْفِيٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ الْخَبِيرُ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ تَلَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، إِذَا سَمَاهَا بِاسْمِهَا الَّذِي هُوَ ﴿الْمَ﴾ : قَرَأْتُ ﴿الْمَ﴾ الْبَقَرَةَ . وَفِي آلِ عِمْرَانَ : قَرَأْتُ

(١ - ١) فِي ص : « تَعْرِفُونَهَا » ، وَفِي ر : « يَعْرِفْنَ » ، وَفِي ت ٢ : « يَعْرِفُونَهَا » .

(٢) بَعْدَهُ فِي م : « وَ » .

(٣) فِي ص : « وَصَفَتْ » .

(٤) سَقَطَ مِنْ م : .

(٥) فِي م ، ت ٢ : « لِلْسَّامِعِ » .

﴿الْعَمَّ﴾ آل عمران . أو ^(١) ﴿الْعَمَّ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ . ﴿وَالْعَمَّ﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿. كما لو أراد الخبر عن رجلين ، اسم كل واحد منهما عمرو ، غير أن أحدهما تميمي والآخر أزدئي ، لزمه أن يقول لمن أراد إخباره عنهما : لقيت عمراً التميمي وعمراً الأزدئي . إذا ^(٢) كان لا يفرق ^(٣) بينهما وبين غيرهما ممن يُشارِكهما في أسمائهما إلا نسبتهما ^(٤) كذلك ، فكذلك ذلك في قول من تأوّل في الحروف المُقَطَّعة أنها أسماء للسور .

أما الذين قالوا : ذلك فَوَاحٍ يُفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بها كلامه . فإنهم وجَّهوا ذلك إلى نحو المعنى الذى حكينا عمّن حكينا ذلك عنه من أهل العربية أنه قال : ذلك أدلّة على انقضاء سورة وابتداء فى أخرى ، وعلامة لانقطاع ما بينهما . كما جُعِلَتْ « بل » فى ابتداء قصيدة دلالة على ابتداء فيها وانقضاء أخرى قبلها ، كما ذكرنا عن العرب إذا أرادوا الابتداء فى إنشاد قصيدة قالوا :

بل * ما هاج أخزاننا وشجّوا قد شجّا

و « بل » ليست من البيت ولا داخله فى وزنه ، ولكن ليُدلّ به على قطع كلام وابتداء آخر .

وأما الذين قالوا : ذلك حروف مُقَطَّعة ، بعضها من أسماء الله عزّ وجلّ ، وبعضها من صفاته ، ولكل حرف من ذلك معنى غير معنى الحرف الآخر . فإنهم

(١) فى ر ، م : « و » .

(٢) فى م ، ت ٢ : « إذ » .

(٣) فى م ، ت ٢ : « فرق » .

(٤) فى ر ، م : « بنسبتهما » ، وفى ت ٢ : « بتسميتهما » .

نَحْنُ بِتَأْوِيلِهِمْ ذَلِكَ نَحْوَ قَوْلِ الشَّاعِرِ^(١) :

قَلْنَا لَهَا قَفَى لَنَا^(٢) قَالَتْ قَافٌ

لَا تَحْسَبِي أَنَّا نَسِينَا الْإِيجَافَ^(٣)

يعنى بقوله : قالت قاف . قالت^(٤) : وَقَفْتُ . فذلت بإظهار « القاف » من ٩١/١ « وَقَفْتُ » على مُرَادِهَا مِنْ تَمَامِ الْكَلِمَةِ / التى هى : « وَقَفْتُ » . فصَرَفُوا قَوْلَهُ : ﴿ الْمَرَّةَ ﴾ . وما أشبه ذلك إلى نحو هذا المعنى ، فقال بعضهم : الألف ألفُ أنا ، واللام لامُ الله ، والميمُ ميمُ أعلمُ ، وكلُّ حرفٍ منهن دالٌّ على كلمةٍ تامةٍ . قالوا : فجملَةُ هذه الحروفِ الْمُقْطَعَةِ إذا ظهرَ مع كلِّ حرفٍ منهن تَمَامُ حروفِ الكلمةِ : أنا الله أعلمُ . قالوا : وكذلك سائرُ جميعِ ما فى أوائلِ سُورِ الْقُرْآنِ مِنْ ذَلِكَ ، فعلى هذا المعنى وبهذا التَّأْوِيلِ . قالوا : ومستفيضٌ ظاهرٌ فى كلامِ العربِ أن يَنْقُصَ المتكلمُ منهم من الكلمةِ الأحرفَ إذا كان فيما بَقِيَ دلالةٌ على ما حذَفَ منها ، ويزيدُ فيها ما ليس منها إذا لم تُكُنْ الزيادةُ مُلَبِّسَةً معناها على سامعِها ، كحذفِهم فى النقصِ فى الترخيمِ من حارِثِ الثَّاءِ ، فيقولون : يا حارِ . ومن مالِكِ الكافِ ، فيقولون : يا مالِ . وما أَشْبَهَ [٢٥٠/١] ذلك . وكقولِ راجزِهِمْ^(٥) :

مَا لِلظَّلِيمِ^(٦) عَالٌ^(٧) كَيْفَ لَا يَا

(١) الرجز للوليد بن عتبة فى شرح شواهد الشافىة ملحق بالشافىة ٢٧١/٤ . والأول منه فى الصحاحى ص ١٦١ .

(٢) سقط من : م .

(٣) الإيجاف : حثّ الدابة على سرعة السير . اللسان (و ج ف) .

(٤) بعده فى م : « قد » .

(٥) الرجز فى تهذيب اللغة ١٥ / ٦٧٠ ، واللسان (يا) ، وشرح شواهد الشافىة ٤ / ٢٦٧ .

(٦) الظليم : ذكر النعام . اللسان (ظ ل م) .

(٧) فى تهذيب اللغة واللسان : « عاك » . وفسر الشيخ شاكِر « عال » بأنها دعاءُ عليه من عالِ عوله : أى =

يَنْقُدُّ عَنْهُ جِلْدُهُ إِذَا يَأْتِي

كأنه أراد أن يقول : إِذَا يَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا . فَأَكْتَفَى بِالْيَاءِ مِنْ « يَفْعَلُ » . وكما قال آخرُ منهم ^(١) :

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَا

يُرِيدُ : فَشَرًّا .

وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأْتِي

يُرِيدُ : إِلَّا أَنْ تَشَاءَ . فَأَكْتَفَى بِالتَّاءِ وَالْفَاءِ فِي الْكَلِمَتَيْنِ جَمِيعًا مِنْ سَائِرِ حُرُوفِهِمَا ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الشَّوَاهِدِ الَّتِي يَطُولُ الْكِتَابُ بِاسْتِعَابِهِ .

وكما حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ ، عَنْ أَيُّوبَ وَابْنِ عَوْنٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : لَمَّا مَاتَ يَزِيدُ بْنُ معاويةَ قَالَ لِي عَبِيدَةُ ^(٢) : إِنِّي لَا أُرَاهَا إِلَّا كَائِنَةً فَتَنَةً فَافْزَعْ مِنْ ضَيِّعَتِكَ ، وَالْحَقُّ بِأَهْلِكَ . قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : أَحْبِّ إِلَيَّ ^(٣) لَكَ أَنْ تَأْتِي - قَالَ أَيُّوبُ وَابْنُ عَوْنٍ بِيَدِهِ تَحْتَ خَدِّهِ الْأَيْمَنِ يَصِفُ الْاضْطِجَاعَ - حَتَّى تَرَى أَمْرًا تَعْرِفُهُ .

قال أبو جعفر : يعني بـ « تَأْتِي » تَضْطَجِعُ ، فَاجْتَزَأَ بِالتَّاءِ مِنْ « تَضْطَجِعُ » . وكما قال الآخرُ في الزيادةِ في الكلامِ على النحوِ الذي وَصَفْتُ ^(٤) :

= نُكَلِّتُهُ أُمَّهُ . وفسرها محققو شرح شواهد الشافعية بأنها من قولهم : عال عولا . بمعنى زاد في جريه . أما عاك فيمعنى كثر . اللسان (ع و ك) .

(١) الكتاب ٣/٣٢١ ونسبه في شرح شواهد الشافعية ٤/٢٦٤ للقيم بن أوس .

(٢) في ص ، م : « عبدة » . وينظر تهذيب الكمال ١٩/٢٦٦ .

(٣) في ر : « التي » .

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٤ ، والصاحبي ص ٣٨٠ .

أَقُولُ إِذْ خَرْتُ عَلَى الْكَلْكَالِ^(١) يَانَا قَتَى مَا جُلَّتْ مِنْ مَجَالٍ
يُرِيدُ : الْكَلْكَالَ . وكما قال الآخر^(٢) :

إِنَّ شَكْلِي وَإِنْ شَكْلَكَ شَتَّى فَالزَّمِي الْخُصَّ وَالْخُفِضِي^(٣) تَبْيِضُضِي^(٤)
فَرَادَ ضَاذًا وَلَيْسَتْ فِي الْكَلِمَةِ .

قالوا : فكذلك ما نَقَصَ مِنْ تَمَامِ حُرُوفِ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي
ذَكَرْنَا أَنَّهَا تَيْمَّةٌ حُرُوفِ ﴿الْعَمَّ﴾ ونظائرها ، نظيرُ ما نَقَصَ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي حَكَيْنَاهُ
عَنِ الْعَرَبِ فِي أَشْعَارِهَا وَكَلَامِهَا .

وأما الذين قالوا : كُلُّ حَرْفٍ مِنْ ﴿الْعَمَّ﴾ ونظائرها دَالٌّ عَلَى مَعَانٍ شَتَّى -
نَحْوَ الَّذِي ذَكَرْنَا عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ - فَإِنَّهُمْ وَجَّهُوا ذَلِكَ إِلَى مِثْلِ الَّذِي وَجَّهَهُ إِلَيْهِ مَنْ
قَالَ : هُوَ بِتَأْوِيلٍ : أَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ . فِي أَنَّ كُلَّ حَرْفٍ مِنْهُ بَعْضُ حُرُوفِ كَلِمَةٍ تَامَةٍ
اسْتُعْنِيَ بِدَلَالَتِهِ عَلَى تَمَامِهِ عَنْ ذِكْرِ تَمَامِهِ - وَإِنْ كَانُوا لَهُ مُخَالَفِينَ فِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْ
ذَلِكَ ، أَهْوَى مِنَ الْكَلِمَةِ الَّتِي ادَّعَى أَنَّهُ مِنْهَا قَائِلُو الْقَوْلِ الْأَوَّلِ أَمْ مِنْ غَيْرِهَا ؟ فَقَالُوا : بَلِ
الْأَلْفُ مِنْ / ﴿الْعَمَّ﴾ مِنْ كَلِمَاتٍ شَتَّى ، هِيَ دَالَّةٌ عَلَى مَعَانِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَعَلَى
تَمَامِهِ . قَالُوا : وَإِنَّمَا أَفْرَدَ كُلَّ حَرْفٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَصَّرَ بِهِ عَنْ تَمَامِ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ ، أَنَّ
جَمِيعَ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ لَوْ أُظْهِرَتْ لَمْ تَدُلَّ الْكَلِمَةُ الَّتِي تُظْهَرُ - الَّتِي^(٥) بَعْضُ هَذِهِ
الْحُرُوفِ الْمُقْطَعَةِ بَعْضٌ لَهَا - إِلَّا عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لَا عَلَى مَعْنِيَيْنِ وَأَكْثَرَ مِنْهُمَا .

(١) الكلكال : الصدر أو ما بين الترقوتين . القاموس المحيط (ك ل ل) .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٥ ، واللسان (ب ي ض) ، (خ ف ض) .

(٣) الخفض : لين العيش وسعته . اللسان (خ ف ض) .

(٤) أي : تبيض ، من البياض ، فزاد ضادا أخرى ضرورة لإقامة الوزن . اللسان (ب ي ض) .

(٥) سقط من : م .

قالوا : وإذا كان لا دلالة في ذلك ، لو أظهر جميعها^(١) ، إلا على معناها الذي هو معنى واحد ، وكان الله جل ثناؤه قد أراد الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لشيء واحد - لم يَجْزُ إلا أن يُفَرِّدَ الحرف الدال على تلك المعاني ، ليَعْلَمَ المخاطبون به أنه جل ثناؤه لم يَقْصِدْ قَصْدَ معنى واحد ودلالة على شيء واحد بما خاطبهم به ، وأنه إنما قَصَدَ الدلالة به^(٢) على أشياء كثيرة .

قالوا : فالألف من ﴿الر﴾ مُقْتَضِيَةٌ معاني كثيرة ؛ منها تمام اسم الرب الذي هو الله ، وتمام اسم نعماء الله التي هي آلاء الله ، والدلالة على أجل قوم أنه سنة ، إذ كانت الألف في حساب الجُمَّل واحدًا . واللام مُقْتَضِيَةٌ تمام اسم الله الذي هو لطيف ، وتمام اسم فضله الذي هو لطيف ، والدلالة على أجل قوم أنه ثلاثون سنة . والميم مُقْتَضِيَةٌ تمام اسم الله الذي هو مجيد ، وتمام اسم عظمته التي هي معجذ ، والدلالة على أجل قوم أنه أربعون سنة .

فكان معنى الكلام في تأويل قائل القول الأول ، أن الله جل ثناؤه افْتَتَحَ كلامه بوضف نفسه بأنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء ، وجعل ذلك لعباده مَنَهِجًا يَسْلُكُونَهُ في مُفْتَتِحِ خُطْبِهِمْ ورسائلهم ومهم أمورهم ، وابتلاء منه لهم به^(٣) لِيَسْتَوْجِبُوا به عظيم الثواب في دار الجزاء ، كما افْتَتَحَ بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ و ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام : ١] . وما أشبه ذلك من السور التي جعل مفاتيحها الحمد لنفسه ، وكما جعل مفاتيح بعضها تعظيم نفسه وإجلالها بالتسبيح ، كما قال جل ثناؤه : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء : ١] . وما أشبه ذلك من سائر سور القرآن التي جعل مفاتيح بعضها

(١) في ص : « جميعا » .

(٢) سقط من : م ، ت ، ٢ .

تحميدَ نفسه ، ومفتاحَ بعضها تمجيدَها ، ومفتاحَ بعضها تعظيمَها وتزنيها ، فكذلك جعلَ مفاتيحَ السورِ الأخرِ التي أوائلُها بعضُ حروفِ المُعْجَمِ مدائحَ نفسه أحياناً بالعلم ، وأحياناً بالعدل والإنصاف ، وأحياناً بالإفضال والإحسان ، بإيجازٍ واختصارٍ ، ثم اقتصاصَ الأمورِ بعدَ ذلك .

وعلى هذا التأويلِ يَجِبُ أن تكونَ الألفُ واللامُ والميمُ في أماكنِ الرفعِ مرفوعاً بعضها ببعض ، دون قوله : ﴿ ذَلِكُ الْكِتَابُ ﴾ ، ويكونَ ﴿ ذَلِكُ الْكِتَابُ ﴾ خبراً^(١) مبتدأً مُنْقَطِعاً عن معنى ﴿ أَلَمْ ﴾ وكذلك ﴿ ذَلِكُ ﴾ في تأويلِ قولِ قائلِ هذا القولِ الثاني مرفوعٌ بعضُه ببعض ، وإن كان مخالفاً معناه معنى قولِ قائلِ القولِ الأولِ .

وأما الذين قالوا : هنَّ حروفٌ من حروفِ حسابِ الجُمْلِ دون ما خالف ذلك من المعاني . فإنهم قالوا : لا نعرفُ للحروفِ المُقْطَعَةِ معنى يُفْهَمُ سوى حسابِ الجُمْلِ ، وسوى تَهْجِي قولِ القائلِ : ﴿ أَلَمْ ﴾ . قالوا : وغيرُ جائزٍ أن يُخاطَبَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عباده إلا بما يُفْهَمونَ وَيَعْقِلونَ عنه ، فلما كان ذلك كذلك - وكان قوله : ﴿ أَلَمْ ﴾ . لا يُعْقَلُ لها وجهٌ تُوجَّهُ إليه إلا [٢٥/١ ط] أخذُ الوجهين اللذين ذَكَرْنَا ، فبَطَلَ أحدُ وجهيه ، وهو أن يكونَ مُراداً به تَهْجِي : ﴿ أَلَمْ ﴾ - صحَّ وثبت أنه مرادٌ به الوجهُ الثاني ، وهو حسابُ الجُمْلِ ؛ لأن قولَ القائلِ : ﴿ أَلَمْ ﴾ . لا يجوزُ أن يليه من الكلامِ ﴿ ذَلِكُ الْكِتَابُ ﴾ لاستحالة معنى الكلامِ وخروجه عن المعقولِ إذا أُولى ﴿ أَلَمْ ﴾ ﴿ ذَلِكُ الْكِتَابُ ﴾ .

واختُجِّجوا بقولهم ذلك أيضاً بما حدَّثنا به محمدُ بنُ حميدِ الرازي ، قال : حدَّثنا

سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، / قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قال : حَدَّثَنِي الْكَلْبِيُّ ، عن ٩٣/١
 أَبِي صَالِحٍ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ ، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعٍ ، قال : مرَّ أَبُو يَاسِرٍ بْنُ
 أَخْطَبٍ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهو يَتْلُو فاتحة ^(١) سورة البقرة ﴿الْعَمَّ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ
 لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿فَأَتَى أَخَاهُ حُثَيْبَ بْنَ أَخْطَبٍ فِي رَجَالٍ مِنْ يَهُودَ ، فقال : تَعْلَمُونَ ^(٢)
 وَاللَّهِ ، لقد سَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَتْلُو فيما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿الْعَمَّ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴿
 فقالوا : أَنْتَ سَمِعْتَهُ ؟ قال : نعم . فمَشَى حُثَيْبُ بْنُ أَخْطَبٍ فِي أَوْلَئِكَ الْفَرَسِ مِنْ يَهُودَ
 إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : يا مُحَمَّدُ ، أَلَمْ يَذْكُرْ لَنَا أَنَّكَ تَتْلُو فيما أَنْزَلَ عَلَيْكَ
 ﴿الْعَمَّ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ ؟ فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بَلَى » . قالوا : أَجَاءَكَ
 بِهَا ^(٣) جَبْرِيلُ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ؟ فقال : « نَعَمْ » . قالوا : لقد بَعَثَ اللَّهُ قَبْلَكَ أَنْبِيَاءَ ما نَعْلَمُهُ
 يَنْبِئُ لِنَبِيِّ مِنْهُمْ ما مُدَّةُ مُلْكِهِ ، وما أَكُلُ ^(٤) أُمَّتِهِ غَيْرَكَ . فقال حُثَيْبُ بْنُ أَخْطَبٍ وَأَقْبَلَ
 عَلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ ، فقال لَهُمْ : الأَلْفُ وَاحِدَةٌ ، واللامُ ثَلَاثُونَ ، والمِئَمُّ أَرْبَعُونَ ، فهذه
 إِحْدَى وَسَبْعُونَ سَنَةً ، أَفَتَدْخُلُونَ ^(٥) فِي دِينِ نَبِيِّ إِذَا مَدَّةُ مُلْكِهِ وَأَكُلُ ^(٦) أُمَّتِهِ إِحْدَى
 وَسَبْعُونَ سَنَةً ؟ قال : ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : يا مُحَمَّدُ ، هل مَعَ هَذَا
 غَيْرُهُ ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : ماذا ؟ قال : ﴿الْمَصَّ﴾ . قال : هذه أَثْقَلُ وَأَطْوَلُ ؛
 الأَلْفُ وَاحِدَةٌ ، واللامُ ثَلَاثُونَ ، والمِئَمُّ أَرْبَعُونَ ، والصادُ تِسْعُونَ ^(٧) ، فهذه إِحْدَى

(١) بعده فِي ص : « الكتاب » .

(٢) فِي سيرة ابن هشام : « تَعْلَمُوا » . أَى : اَعْلَمُوا .

(٣) فِي ص ، م : « بهذا » .

(٤) فِي م ، ت ٢ : « أَجَلَ » . والأَكْلُ : الرِّزْقُ . وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَيْتِ : انْقَطَعَ أَكْلُهُ . اللِّسَانُ (أَكْلُ ل) . والمراد مَدَّةُ
 الأُمَّةِ الَّتِي يَأْكُلُونَ فِيهَا رِزْقَهُمْ .

(٥) فِي م : « قال : فقال لَهُمْ : أَتَدْخُلُونَ » .

(٦) فِي م : « أَجَلَ » .

(٧) فِي ر ، ونسخة من سيرة ابن هشام : « ستون » .

وستون^(١) ومائة سنة . هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : ماذا ؟ قال :
« ﴿الرَّ﴾ » . قال : هذه أثقل وأطول ؛ الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء
مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة . فهل^(٢) مع هذا غيره يا محمد ؟ قال :
« نَعَمْ » ، « ﴿الْمَرَّ﴾ » . قال : فهذه أثقل وأطول ؛ الألف واحدة ، واللام ثلاثون ،
والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة . ثم قال : لقد لبس
علينا أمرك يا محمد حتى ما ندرى أقليلاً أُعْطِيتَ أم كثيراً . ثم قاموا عنه ، فقال
أبو ياسر لأخيه حُجَيْي بن أخطب ولمن معه من الأحرار : ما يُذْركم لعلّه قد جُمِعَ
هذا كله لمحمد ؛ إحدى وسبعون ، وإحدى وستون^(٣) ومائة ، وإحدى وثلاثون
ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبعمائة وأربع^(٤) وثلاثون .
فقالوا : لقد تشابه علينا أمره . فیزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم ﴿هُوَ
الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾^(٥)
[آل عمران : ٧] .

قالوا : قد صرّح^(٦) هذا الخبرُ بصحة ما قلنا في ذلك من التأويل وفساد ما قاله
مُخَالِفُونَا فيه .

(١) في ت ٢ ، ونسخة من سيرة ابن هشام : « ثلاثون » . وهو مبني على التقدير السابق للصاد .

(٢) في ر ، م ، ت ٢ : « فقال : هل » .

(٣) في ر : « ثلاثين » ، وفي ت ٢ : « ثلاثون » .

(٤ - ٤) في ص ، ر ، ت ٢ ، ونسخة من سيرة ابن هشام : « سنين » .

(٥) أخرجه البخاري في التاريخ ٢/٢٠٨ معلقاً عن سلمة بن الفضل به . وقال ابن كثير في تفسيره ١/٥٩ ،

٦٠ : حديث ضعيف ... مداره على محمد بن السائب الكلبي ، وهو بما لا يحتج بما انفرد به .

واختلف فيه على ابن إسحاق . ينظر تاريخ البخاري ، وسيرة ابن هشام ١/٥٤٥ .

(٦) في ص : « صرح » .

والصوابُ عندي من القولِ في تأويلِ مَفَاتِحِ السورِ التي هي حروفُ الْمُعْجَمِ ، أن اللهَ جَلَّ ثَناءُهُ جعلها حروفاً مُقَطَّعةً ، ولم يَصِلْ بعضُها ببعضٍ فيجعلها كسائرِ الكلامِ المُتَّصِلِ الحروفِ ؛ لأنه عزَّ ذكره أراد بلفظه ^(١) الدلالةَ بكلِّ حرفٍ منه على معانٍ كثيرةٍ لا على معنى واحدٍ ، كما قال الربيعُ بنُ أنسٍ ، وإن كان الربيعُ قد اقتصر به على معانٍ ثلاثةٍ دون ما زاد عليها .

والصوابُ في تأويلِ ذلك عندي أن كلَّ حرفٍ منه يَحْوِي ما قاله الربيعُ وما قاله سائرُ المُفسِّرينَ غيرُهُ فيه ، سوى ما ذَكَرْتُ من القولِ عَمَّنْ ذَكَرْتُ عنه من أهلِ العربيةِ أنه كان يُوجَّهُ تأويلُ ذلك إلى أنه حروفٌ هجاءٍ استغنى بذكرِ ما ذَكَرَ منه في مَفَاتِحِ السورِ عن ذكرِ تَيْمَةِ الثمانية والعشرين الحرفِ ^(٢) من حروفِ المُعْجَمِ ، بتأويلِ : أن هذه الحروفَ ذلك الكتابُ ، مجموعةٌ ، / لا ريبَ فيه . فإنه قولٌ خطأً فاسدٌ ، ٩٤/١ لخروجه عن أقوالِ جميعِ الصحابةِ والتابعينَ فمن بعدهم من الخالفينَ ^(٣) من أهلِ التفسيرِ والتأويلِ ، فكفى دلالةً على خطئه شهادةُ الحُجَّةِ عليه بالخطأ ، مع إبطالِ قائلِ ذلك قوله الذي حكيناه عنه - إذ صار إلى البيانِ عن رفعِ ﴿ ذَلِكْ أَلِكِتَابُ ﴾ - بقوله مرةً : إنه مرفوعٌ كلُّ واحدٍ منهما بصاحبه . ومرةً أخرى : إنه مرفوعٌ بالراجعِ من ذكره في قوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . ومرةً بقوله : ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . وذلك تركٌ منه لقوله : إن ﴿ أَلَمْ ﴾ مرافعةٌ ﴿ ذَلِكْ أَلِكِتَابُ ﴾ . وخروجٌ من القولِ الذي ادَّعاه في تأويلِ ﴿ أَلَمْ ﴾ ﴿ ذَلِكْ أَلِكِتَابُ ﴾ . وأن تأويلَ ذلك : هذه الحروفُ ذلك الكتابُ .

(١) في م : « بلفظه » .

(٢) في ر : « الحروف » ، وفي م : « حرفاً » .

(٣) في ص : « المخالفين » .

فإن قال لنا قائل : وكيف يجوزُ أن يكونَ حرفٌ واحدٌ شاملاً الدلالةَ على معاني كثيرةٍ مختلفةٍ ؟

قيل : كما جاز أن تكونَ كلمةٌ واحدةٌ تُشتمِلُ على معاني كثيرةٍ مختلفةٍ ، نحو قولهم للجماعةِ مِنَ الناسِ : أُمَّةٌ . وللحينِ مِنَ الزمانِ : أُمَّةٌ . وللرجلِ المُتَعَبِدِ المُطِيعِ لِلَّهِ : أُمَّةٌ . وللدينِ والمِلَّةِ : أُمَّةٌ . وكقولهم للجزاءِ والقصاصِ : دينٌ . وللسلطانِ والطاعةِ : دينٌ . وللتَّذَلُّلِ : دينٌ . وللحسابِ : دينٌ . في أشباهِ لذلكِ كثيرةٌ يطولُ الكتابُ بإحصائها ، مما يكونُ مِنَ الكلامِ بلفظٍ واحدٍ ، وهو مُشتمِلٌ على معاني كثيرةٍ ، فكَذلكِ قولُ اللَّهِ جلَّ ثناؤه : ﴿الْعَمَ﴾ و ﴿الرَّ﴾ و ﴿الْمَصَّ﴾ وما أشبهه ذلكِ مِنَ حروفِ المُعْجَمِ التي هي فَوَاتِحُ أوائلِ السورِ ، كُلُّ حرفٍ منها دالٌّ على معاني شَتَّى ، شاملٌ جميعُها مِنْ أسماءِ [٢٠٦/١] اللَّهُ عزَّ وجلَّ وصفاته ما قاله المُفسِّرونَ مِنَ الأقوالِ التي ذَكَرَناها عنهم ، وهنَّ مع ذلكِ فَوَاتِحُ السورِ ، كما قاله مَنْ قال ذلكِ ، وليس كونُ ذلكِ مِنَ حروفِ أسماءِ اللَّهِ جلَّ ثناؤه وصفاته ، بمانعٍها أن تكونَ للسورِ فَوَاتِحَ ؛ لأنَّ اللَّهَ جلَّ ثناؤه قد افْتَتَحَ كثيراً مِنْ سورِ القرآنِ بالحمدِ لنفسِهِ والثناءِ عليها ، وكثيراً منها بتمجيدِها وتعظيمِها ، فغيرُ مستحيلٍ أن يَبْتَدِئَ بعضُ ذلكِ بالقَسَمِ بها .

فالتى ابْتَدِئَ أوائلُها بحروفِ المُعْجَمِ ، أحدُ معاني أوائلِها أَنهِنَّ فَوَاتِحُ ما افْتَتَحَ بهنَ مِنْ سورِ القرآنِ ، وهنَ مما أَقْسَمَ بهنَ ؛ لأنَّ أحدَ معانيهِنَّ أَنهِنَّ مِنَ حروفِ أسماءِ اللَّهِ تعالى ذَكَرَهُ وصفاته ، على ما قَدَّمْنَا البَيانَ عنها ، ولاشكَّ في صحَّةِ معنى القَسَمِ بِاللَّهِ وأسمائه وصفاته . وهنَ مِنْ حروفِ حسابِ الجُمَّلِ ، وهنَ للسورِ التي افْتَتَحَتْ بهنَ شِعَارَ وأسماءَ ، فَذلكِ يَحْوِي معانيَ جميعِ ما^(١) وَصَفْنَا مما^(٢) بَيَّنَّا مِنْ وُجُوهِه ؛ لأنَّ

اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لو أراد بذلك أو بشيءٍ منه الدلالة على معنى واحدٍ مما يَحْتَمِلُهُ^(١) ذلك ، دون سائر المعانى غيره ، لأبان ذلك لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ إبانةً غيرَ مُشْكِلَةٍ ، إذ كان جَلَّ ثَنَاؤُهُ إنما أنزل كتابه على رسوله ﷺ ليبيِّنَ لهم ما اختلفوا فيه ، وفي تركه ﷺ إبانةً ذلك أنه مرادٌ به من وجوه تأويله البعض دون البعض - أوضح الدليل على أنه مرادٌ به جميعُ وجوهه التى هو لها مُحْتَمِلٌ ، إذ^(٢) لم يكن مُسْتَحِيلًا فى العقلِ وجةٌ منها أن يَكُونَ من تأويله ومعناه ، كما كان غيرَ مستحيل اجتماع المعانى الكثيرة للكلمة الواحدة باللفظ الواحد فى كلام واحد .

ومن أبى ما قلناه فى ذلك ، سئل الفرقَ بينَ ذلك وبينَ سائر الحروف التى تأتى بلفظ واحد ، مع اشتمالها على المعانى الكثيرة المختلفة ، كالأُمَّة والدين وما أشبه ذلك من الأسماء والأفعال ، فلن يقول فى أحد^(٣) ذلك قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

وكذلك يُسأل كلُّ من تأوَّل شيئاً من ذلك على وجهٍ دون الأوجه الأخر التى وصَّفنا ، / عن البرهان على دَعواه ، من الوجه الذى يَجِبُ التسليم له ، ثم يُعارض ٩٥/١ بقولٍ مُخالفٍ فى ذلك ، ويُسأل الفرقَ بينه وبينه ، من أصلٍ ، أو مما يدُلُّ عليه أصلٌ . فلن يقول فى أحدهما قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

وأما الذى زعم من النحويين أن ذلك نظيرُ « بل » فى قول المُثَنِّدِ شعراً^(٤) :

بل * ما هاج أخزاننا وشجوا قد شجاً

وأنه لا معنى له ، وإنما هو زيادةٌ فى الكلام معناه الطَّرْحُ . فإنه أخطأ من

(١) فى ص ، م : « لا يحتمله » .

(٢) فى ص : « إذا » .

(٣) فى ص : « واحد من » .

(٤) تقدم فى ص ٢١٥ .

وُجُوهُ شَتَّى :

أحدها : أنه وصف الله تعالى ذكره بأنه خاطب العرب بغير ما هو من لغتها ، وغير ما هو في لغة أحد من الآدميين ، إذ كانت العرب وإن كانت قد كانت تفتيح أوائل إنشادها ما أنشدت من الشعر بـ « بل » ، فإنه معلوم منها أنها لم تكن تبدئ شيئا من كلامها بـ ﴿ الْمَ ﴾ و ﴿ الرَّ ﴾ و ﴿ الْمَص ﴾^(١) بمثل معنى^(٢) ابتدائها ذلك بـ « بل » . وإذا كان ذلك ليس من ابتدائها ، وكان الله جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به^(٣) من القرآن بما يعرفون من لغاتهم ، ويستعملون بينهم من منطقتهم في جميع آيه - فلا شك أن سبيل ما وصفنا من حروف المعجم التي افتتحت بها أوائل السور التي هن لها فواخ ، سبيل سائر القرآن في أنه لم يغلّ بها عن لغاتهم التي كانوا بها عارفين ، ولها بينهم في منطقتهم مستعملين ؛ لأن ذلك لو كان مغدولا به عن سبيل لغاتهم ومنطقتهم ، كان خارجا عن معنى الإبانة التي وصف الله جل ثناؤه بها القرآن ، فقال : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشراء : ١٩٣ - ١٩٥] . وأنى يكون مبينا ما لا يعقله ولا يفهمه^(٤) أحد من العالمين ، في قول قائل هذه المقالة ، ولا يعرف في منطقي أحد من المخلوقين في قوله ؟ وفي إخبار الله جل ثناؤه عنه أنه عربي مبين ، ما يكذب قائل^(٥) هذه المقالة ، ويئسئ عنه أن العرب كانوا به عالمين ، وهو لها مشتبين ، فذلك أحد أوجه خطئه .

والوجه الثاني من خطئه في ذلك : إضافته إلى الله جل ثناؤه أنه خاطب عباده بما

(١ - ١) في ص ، م ، ت ٢ : « بمعنى » .

(٢) سقط من : م .

(٣) في م : « يفقه » .

(٤) سقط من : ص ، م .

لا فائدة لهم فيه ، ولا معنى له من الكلام ، الذى سواء الخطاب^(١) به وترك الخطاب به ؛ وذلك إضافة العبث الذى هو منقضى فى قول جميع الموحدين عن الله ، إلى الله تعالى ذكره .

والوجه الثالث من خطئه : أن « بل » فى كلام العرب مفهوم تأويلها ومعناها ، وأنها تدخلها فى كلامها رجوعاً عن كلام لها قد تقضى ، كقولهم : ما جاءنى أخوك ، بل أبوك ، وما رأيتُ عمرًا ، بل عبد الله . وما أشبه ذلك من الكلام ، كما قال أغشى بنى ثعلبة^(٢) :

وَلَأَشْرَبَنَّ ثَمَانِيًا وَثَمَانِيًا وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا
وَمَضَى فِى كَلِمَتِهِ حَتَّى بَلَغَ قَوْلَهُ :

بِالْجُلْسَانِ^(٣) وَطَيِّبِ أُرْدَانِهِ^(٤) بِالْوُنْ^(٥) يَضْرِبُ لِي يَكُرُّ^(٦) الْإِضْبَعَا
ثم قال :

بل عدُّ هذا فى قريض غيره واذكُرْ فتنى سَمَحَ الْخَلِيقَةِ أَرْوَعَا
فكأنه قال : دَعْ هذا ، وَخُذْ فى قريض غيره . فـ « بل »^(٧) إنما يأتى فى كلام العرب على هذا النحو من الكلام . / فأما افتتاحها لكلامها مُبْتَدَأً بمعنى ٩٦/١

(١) بعده فى ص : « فيه » .

(٢) البيتان الأولان فى الشعر والشعراء ٢٥٨ / ١ .

(٣) المجلسان ، فارسى معرب ، يقال : إنه الورد . ويقال : قبة يصنعونها ويجعلون عليها الورد . المعرب ص ١٥٣ ، ١٥٤ . والبيت فيه .

(٤) الأردن ، جمع رُذْن : وهو كم القميص . اللسان (رد ن) .

(٥) الوُنْ : الصنج الذى يضرب بالأصابع . اللسان (و ن ن) .

(٦) فى ر ، م : « يكد » .

(٧) فى ص ، ر ، ت ٢ : « قيل » .

التطويل^(١) والحذف ، من غير أن يدل على معنى ، فذلك ما^(٢) لا نَعْلَمُ أَحَدًا ادَّعَاهُ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَمَنْطِقِهَا ، سَوَى الَّذِي ذَكَرْتُ قَوْلَهُ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَصْلًا يُشَبِّهُ بِهِ حُرُوفُ الْمُعْجَمِ الَّتِي هِيَ فَوَاحِشُ سُورِ الْقُرْآنِ الَّتِي افْتُسِّحَتْ بِهَا ، لَوْ كَانَتْ لَهُ مُشَبِّهَةٌ ، فَكَيْفَ وَهِيَ مِنَ الشَّبهِ بِه بَعِيدَةٌ ؟

[٢٦/١ ظ] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلُّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ .

قال عامة المفسرين : تأويل قول الله جلُّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ : هذا الكتاب .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ إِدْرِيسَ الْأَصَمُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَارِثِيُّ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ . قَالَ : هُوَ هَذَا الْكِتَابُ^(٣) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا خَالِدُ الْحَذَّاءُ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ : هَذَا الْكِتَابُ^(٤) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَهْوَازِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ ظَهَيْرٍ ، عَنْ السُّدِّيِّ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ . قَالَ : هَذَا الْكِتَابُ^(٥) .

(١) في ص ، ر : « البطول » ، وفي ت ٢ : « التطول » .

(٢) في م : « مما » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٠/١ عن مجاهد .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٣/١ (٥٣) من طريق ابن عليه به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٣/١ عقب الأثر (٥٣) من طريق أسباط ، عن السدي . وأخرجه =

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ . قَالَ : هَذَا الْكِتَابُ . قَالَ : وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ : هَذَا الْكِتَابُ ^(١) .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿ ذَلِكَ ﴾ بِمَعْنَى « هَذَا » ؟ وَ« هَذَا » لَاشْكُ إِشَارَةٌ إِلَى حَاضِرٍ مُعَايِنٍ ، وَ﴿ ذَلِكَ ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى غَائِبٍ غَيْرِ حَاضِرٍ وَلَا مُعَايِنٍ ؟

قِيلَ : جَازَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا تَقَضَّى ^(٢) وَقَرُبَ ^(٣) تَقَضَّيِهِ مِنَ الْإِخْبَارِ ، فَهُوَ وَإِنْ صَارَ بِمَعْنَى غَيْرِ الْحَاضِرِ ، فَكَالْحَاضِرِ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ ، وَذَلِكَ كَالرَّجُلِ يُحَدِّثُ الرَّجُلَ الْحَدِيثَ ، فَيَقُولُ السَّامِعُ : إِنَّ ذَلِكَ وَاللَّهِ لَكَمَا قُلْتَ . وَ : هَذَا وَاللَّهِ كَمَا قُلْتَ . وَ : هُوَ وَاللَّهِ كَمَا ذَكَرْتَ . فَيُخْبِرُ عَنْهُ مَرَّةً بِمَعْنَى الْغَائِبِ ، إِذَا كَانَ قَدْ تَقَضَّى وَمَضَى ، وَمَرَّةً بِمَعْنَى الْحَاضِرِ ، لِقُرْبِ جَوَابِهِ مِنْ كَلَامِ مُخْبِرِهِ ، كَأَنَّهُ غَيْرُ مُنْقَضٍ ، فَكَذَلِكَ ﴿ ذَلِكَ ﴾ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ . لِأَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ لَمَّا قَدَّمَ قَبْلَ ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ ﴿ أَلَمْ ﴾ الَّتِي ذَكَرْنَا تَصَرُّفَهَا فِي وُجُوهِهَا مِنَ الْمَعَانِي عَلَى مَا وَصَفْنَا ، قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ : يَا مُحَمَّدُ ، هَذَا الَّذِي ذَكَرْتَهُ وَيَبَيِّنُهُ لَكَ ، الْكِتَابُ . وَلِذَلِكَ حُسْنُ وَضْعِ ﴿ ذَلِكَ ﴾ فِي مَكَانِ « هَذَا » ؛ لِأَنَّهُ أُشِيرَ بِهِ إِلَى الْخَبَرِ عَمَّا تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ ﴿ أَلَمْ ﴾ مِنَ الْمَعَانِي ، بَعْدَ تَقَضِّي الْخَبَرِ عَنْهُ بِ﴿ أَلَمْ ﴾ فَصَارَ لِقُرْبِ الْخَبَرِ عَنْهُ مِنَ تَقَضِّيهِ ، كَالْحَاضِرِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ ، فَأُخْبِرَ عَنْهُ بِ﴿ ذَلِكَ ﴾ لِانْقِضَائِهِ ، وَمَصِيرِ الْخَبَرِ عَنْهُ

= الْحَاكِمُ ٢/٢٦٠ من طريق أسباط ، عن السدي ، عن مرة ، عن ابن مسعود . وقال : صحيح على شرط مسلم .

(١) ينظر تفسير ابن كثير ١/٦٠ ، وفتح القدير ١/٣٣ .

(٢ - ٣) في ص : « بقرب » ، وفي ر : « بقرب » .

كالخبر عن الغائب . وترجمه المفسرون أنه بمعنى « هذا » ؛ لقرب الخبر عنه من انقضائه ، فكان كالمُشَاهِد^(١) المشار إليه بـ « هذا » ، نحو الذى وصفنا من الكلام الجارى بين الناس فى مُحاوراتهم ، وكما قال جل ذكره : ﴿ وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ ﴿ [ص : ٤٨ - ٤٩] . فهذا ما فى ﴿ ذَلِكَ ﴾ إذا عني بها^(٢) « هذا » .

وقد يَحْتَمِلُ قوله جل ذكره : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ . أن يكون مَعْنِيًا به السور التى نزلت قبل سورة البقرة بمكة والمدينة ، فكأنه قال جل ثناؤه لنبينا محمد ﷺ : يا محمد ، اعْلَمْ أن ما تَضَمَّنَتْهُ سور الكتاب التى قد أُنْزِلَتْهَا إليك هو الكتاب الذى لا ريب فيه ، ثم ترجمه المفسرون بأن معنى ﴿ ذَلِكَ ﴾ : هذا الكتاب ، إذ كانت تلك السور التى نزلت قبل سورة البقرة من جملة جميع كتابنا هذا الذى أنزله الله عز وجل على نبينا محمد ﷺ .

وكان التأويل الأول أولى بما قال المفسرون ؛ لأن ذلك أظهر معانى قولهم الذى قالوه فى : ﴿ ذَلِكَ ﴾ .

وقد وجه معنى ﴿ ذَلِكَ ﴾ بعضهم إلى نظير معنى بيت خُفَافٍ بن نُدْبَةَ السَّلَمِيِّ^(٣) :

فإن تَكُ خَيْلِي قد أُصِيبَ صَمِيمُهَا فَعَمْدًا على عَيْنِ تَيْمَمْتُ مَالِكًا^(٤)

(١) فى ص ، ر ، ت ٢ : « كالشاهد » .

(٢) فى ر : « بهذا » ، وفى ت ٢ : « به » .

(٣) الأغاني ٢ / ٣٢٩ ، الخزانة ٤٣٨ / ٥ - ٤٤٠ . وسيأتى البيت الثانى فى تفسير الآية ٨٥ من سورة البقرة .

(٤) هو مالك بن حمار الفزارى . ينظر الأغاني ٢ / ٣٢٩ .

أقول له والرُّمُحُ يَأْطُرُ^(١) مَثْنَهُ تَأْمُلُ خُفَافًا إِنْنِي أَنَا ذَلِكَا
 كأنه أراد : تَأْمُلْنِي أَنَا ذَلِكَا . فَرَعَمَ^(٢) أَنْ ﴿ذَلِكَ أَلِكِتْبُ﴾ بمعنى
 « هذا »^(٣) نظير ما^(٣) أَظْهَرَ خُفَافًا مِنْ اسْمِهِ عَلَى وَجْهِ الْخَبْرِ عَنِ الْغَائِبِ ، وَهُوَ
 مُخْبِرٌ عَنْ نَفْسِهِ ، فَكَذَلِكَ^(٤) أَظْهَرَ ﴿ذَلِكَ﴾ بِمَعْنَى الْخَبْرِ عَنِ الْغَائِبِ ، وَالْمَعْنَى فِيهِ
 الْإِشَارَةُ إِلَى الْحَاضِرِ الْمَشَاهِدِ .

وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ الْكِتَابِ ؛ لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْعِلَلِ .
 وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ : ﴿ذَلِكَ أَلِكِتْبُ﴾ يَعْنِي بِهِ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ^(٥) . وَإِذَا وُجِّهَ
 تَأْوِيلُ ﴿ذَلِكَ﴾ إِلَى هَذَا الْوَجْهِ ، فَلَا مَثُونَةَ فِيهِ عَلَى مُتَأْوِيلِهِ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّ ﴿ذَلِكَ﴾
 يَكُونُ حِينَئِذٍ إِخْبَارًا عَنِ غَائِبٍ عَلَى صَحَّةٍ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ .
 وَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ : لَا شَكَّ فِيهِ .
 كَمَا حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ إِدْرِيسَ الْأَصَمُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْحَارِثِيُّ ،
 عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قَالَ : لَا شَكَّ فِيهِ^(٦) .

حَدَّثَنِي سَلَامُ بْنُ سَالِمٍ الْخَزَاعِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ يَاسِينَ الْكُوفِيُّ ،

(١) أطر الشيء : عطفه وثناه . تاج العروس (أ ط ر) .

(٢) فى م : « فرأى » .

(٣ - ٣) فى ص : « نظيره » .

(٤) فى م : « لذلك » .

(٥) قال ابن كثير فى تفسيره ٦٧ / ١ : ومن قال إن المراد بـ ﴿ذلك الكتاب﴾ الإشارة إلى التوراة والإنجيل ...

فقد أبعد النجعة وأغرق فى النزاع وتكلف ما لا علم له به .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٤ / ١ إلى المصنف .

عن عبد العزيز بن أبي رَوَّادٍ^(١) ، عن عطاء : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قال : لا شك فيه^(٢) .

حدَّثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدَّثنا أبو أحمد الزُّبَيْرِيُّ ، قال : حدَّثنا الحَكَمُ بْنُ ظَهَيْرٍ ، عن السدي ، قال : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ : لا شك فيه^(٣) .

حدَّثني موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدَّثنا عمرو بن حمَّادٍ ، قال : حدَّثنا أشباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناسٍ من أصحاب النبي ﷺ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ : لا شك فيه^(٤) .

حدَّثنا محمد بن حُمَيد ، قال : حدَّثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ : لا شك فيه^(٥) .

حدَّثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدَّثنا الحسين ، قال : حدَّثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ . يقول : لا شك فيه .

(١) في ص : « داود » . ينظر تهذيب الكمال ١٨ / ١٣٦ .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤ / ١ عقب الأثر (٥٥) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤ / ١ عقب الأثر (٥٥) من طريق أشباط عن السدي .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦١ / ١ عن السدي به . وأخرجه الحاكم ٢ / ٢٦٠ من طريق عمرو بن حماد ، عن أشباط ، عن السدي ، عن مرة ، عن ابن مسعود . وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٥) سيرة ابن هشام ١ / ٥٣٠ . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤ / ١ عقب الأثر (٥٥) معلقا . وأخرجه أيضا

٦٣ / ١ (٢٣٤) - عند قوله : ﴿وإن كنتم في ريب﴾ - من طريق سلمة بن الفضل به .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : [٢٧/١ و] أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . يَقُولُ : لَا شَكَّ فِيهِ ^(١) .

/ وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، ٩٨/١
عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبِّيعِ بْنِ أَنَسٍ قَوْلَهُ : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ يَقُولُ : لَا شَكَّ فِيهِ ^(٢) .

وهو مصدرٌ مِنْ قولِ القائلِ : رَأَيْتُ الشَّيْءَ يَرِيئُنِي رَيْئًا . وَمِنْ ذَلِكَ قولُ سَاعِدَةَ ابْنِ جُوَيْيَّةَ الْهَذَلِيِّ ^(٣) :

فَقَالُوا تَرَكْنَا الْحَيَّ قَدْ حَصَرُوا بِهِ فَلَا رَيْبَ أَنْ قَدْ كَانَ ثُمَّ لَحِيمٌ
وَيُزَوَّى : حَصَرُوا ، وَحَصَرُوا . وَالْفَتْحُ أَكْثَرُ ، وَالْكَسْرُ جَائِزٌ . يَعْنِي بِقَوْلِهِ :
حَصَرُوا بِهِ : أَطَافُوا بِهِ . وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ : لَا رَيْبَ : لَا شَكَّ . وَبِقَوْلِهِ : أَنْ قَدْ كَانَ ثُمَّ
لَحِيمٌ . يَعْنِي قَتِيلًا . يَقَالُ : قَدْ لَحِمَ . إِذَا قُتِلَ .

وَالِهَاءُ الَّتِي فِي ﴿ فِيهِ ﴾ عَائِدَةٌ عَلَى الْكِتَابِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ
الْكِتَابِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ هُدًى ﴾ .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤/١ عقب الأثر (٥٥) معلقا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/١ إلى عبد بن حميد . وعزاه أيضا ٣٥/١ في قوله : ﴿ وَإِنْ كُتِمَ فِي رَيْبٍ ﴾ . إلى المصنف وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم . وهو عند ابن أبي حاتم ٦٣/١ عقب الأثر (٢٣٥) معلقا .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤/١ عقب الأثر (٥٥) من طريق ابن أبي جعفر به . وقال ابن أبي حاتم : لا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين .
(٣) ديوان الهذليين ١/ ٢٣٢ .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ الْغَفَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ ،
عَنْ بَيَّانٍ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ : ﴿ هُدًى ﴾ قَالَ : هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ
ابْنُ نَصِيرٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ الشُّدِّيِّ فِي خَيْرِ ذِكْرِهِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مَرْوَةَ الْهَمْدَانِيَّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ
النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ يَقُولُ : نَوْرٌ لِلْمُتَّقِينَ ^(٢) .

وَالهُدَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مُصَدَّرٌ مِنْ قَوْلِكَ : هَدَيْتُ فَلَانَا الطَّرِيقَ - إِذَا أُرْسَدَتْهُ
إِلَيْهِ ، وَدَلَّلْتَهُ عَلَيْهِ ، وَبَيَّنَّتَهُ لَهُ - أَهْدِيهِ هُدًى وَهِدَايَةً .

فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : أَوْ مَا كِتَابُ اللَّهِ نَوْراً إِلَّا لِلْمُتَّقِينَ ، وَلَا رَشَاداً إِلَّا
لِلْمُؤْمِنِينَ ؟

قِيلَ : ذَلِكَ كَمَا وَصَفَهُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَوْ كَانَ نَوْراً لَغَيْرِ الْمُتَّقِينَ ، وَرَشَاداً لَغَيْرِ
الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ يَخْصُصِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُ لَهُمْ هُدًى ، بَلْ كَانَ يُعْمَمُ بِهِ جَمِيعُ
الْمُتَذَكِّرِينَ ، وَلَكِنَّهُ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ، وَشَفَاءٌ لِمَا فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَقْرٌ فِي آذَانِ
الْمُكَذِّبِينَ ، وَعَمَى لِأَبْصَارِ الْجَاهِلِينَ ، وَحِجَّةٌ لِلَّهِ بِالْغَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ ، فَالْمُؤْمِنُ بِهِ
مُهْتَدٍ ، وَالْكَافِرُ بِهِ مُحْجُوجٌ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ هُدًى ﴾ يَخْتَمِلُ أَوْجَهَا مِنَ الْمَعَانِي :

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٣٤/١ (٥٧) مِنْ طَرِيقِ أَبِي نَعِيمٍ بِهِ . وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا ٣٤/١ (٥٦ ، ٥٧)
مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ سَفْيَانَ بِهِ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٢٤/١ إِلَى وَكِيعٍ .

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦١/١ عَنِ السَّدِيِّ بِهِ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٢٤/١ إِلَى الْمُصَنِّفِ عَنْ
ابْنِ مَسْعُودٍ وَحْدَهُ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣٤/١ (٥٨) مِنْ طَرِيقِ عَمْرُو بْنِ حَمَادٍ ، عَنْ أَسْبَاطٍ ،
عَنِ السَّدِيِّ مِنْ قَوْلِهِ .

أحدها : أن يكون نصبًا ، لمعنى القطع^(١) من ﴿الْكِتَابُ﴾ ؛ لأنه نكرة و﴿الْكِتَابُ﴾ معرفة ، فيكون التأويل حينئذ : أَلَمْ ذَلِكَ الكتاب هاديًا للمتقين . و﴿ذَلِكَ﴾ مرفوع ب﴿أَلَمْ﴾ ، و﴿أَلَمْ﴾ به ، و﴿الْكِتَابُ﴾ نعت ل﴿ذَلِكَ﴾ .

وقد يَحْتَمِلُ أن يكون نصبًا على القطع من راجع ذكر ﴿الْكِتَابُ﴾ الذى فى ﴿فِيهِ﴾ فيكون معنى ذلك حينئذ : أَلَمْ الذى لاريب فيه هاديًا .

وقد يَحْتَمِلُ أن يكون أيضًا نصبًا على هذين الوجهين ، أغنى على وجه القطع من الهاء التى فى ﴿فِيهِ﴾ ، ومن ﴿الْكِتَابُ﴾ على أن ﴿أَلَمْ﴾ كلام تام ، كما قال ابن عباس : إن معناه : أنا الله أعلم . ثم يكون ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ خبرًا مُسْتَأْنَفًا ، فيُزْفَعُ حينئذ ﴿الْكِتَابُ﴾ ب﴿ذَلِكَ﴾ ، و﴿ذَلِكَ﴾ ب﴿الْكِتَابُ﴾ ، ويكون ﴿هُدًى﴾ قطعًا من ﴿الْكِتَابُ﴾ ، وعلى أن يُزْفَعُ ﴿ذَلِكَ﴾ بالهاء العائدة عليه التى فى ﴿فِيهِ﴾ ، و﴿الْكِتَابُ﴾ / نعت له ، ٩٩/١ والهدى قطع من الهاء التى فى ﴿فِيهِ﴾ . وإن جعل الهدى فى موضع رفع ، لم يَجْزُ أن يكون ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ إلا خبرًا مُسْتَأْنَفًا ، و﴿أَلَمْ﴾ كلامًا تامًا مكتفيًا بنفسه ، إلا من وجه واحد ، وهو أن يُزْفَعُ حينئذ ﴿هُدًى﴾ بمعنى المدح ، كما قال الله جل ثناؤه : (الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ) [لقمان : ١ - ٣] . فى قراءة من قرأ (رَحْمَةً) بالرفع على المدح للآيات^(٢) .

والرفع فى ﴿هُدًى﴾ حينئذ يجوز من ثلاثة أوجه ؛ أحدها : ما ذكرنا من أنه

(١) يريد بالقطع هنا الحال . ينظر معانى القرآن ١١ / ١ ، والمصطلح النحوى ص ١٧٠ .

(٢) وهى قراءة حمزة وحده ، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائى ، بالنصب . السبعة

لابن مجاهد ص ٥١٢ .

مدح مُسْتَأْنَفٌ . وَالْآخِرُ : على أَنْ يُجْعَلَ مُرَافِعٌ ^(١) ﴿ذَلِكَ﴾ ، و﴿الْكِتَابُ﴾ نَعْتٌ لـ ﴿ذَلِكَ﴾ . وَالثَّالِثُ : أَنْ يُجْعَلَ تَابِعًا لِمَوْضِعِ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، وَيَكُونُ ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ مَرْفُوعًا بِالْعَائِدِ فِي ﴿فِيهِ﴾ ، فَيَكُونُ كَمَا قَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام : ٩٢ ، ١٥٥] .

وقد زعم بعض المتقدمين في العلم بالعربية من الكوفيين ^(٢) أن ﴿المر﴾ مرافع ^(٣) ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ بمعنى : هذه الحروف من حروف المعجم ، ذلك الكتاب الذي وعدتُك أن أوجيه إليك . ثم نقض ذلك من قوله فأسرع نقضه ، وهدم ما بنى فأسرع هدمه ، فزعم أن الرفع في ﴿هُدًى﴾ من وجهين ، والنصب من وجهين ، وأن أحد وجهي الرفع أن يكون ﴿الْكِتَابُ﴾ نعتًا لـ ﴿ذَلِكَ﴾ ، والهدى في موضع رفع خبر ^(٤) لـ ﴿ذَلِكَ﴾ ، كأنك قلت : ذلك هدى ^(٥) لا شك فيه . قال : وإن جعلت ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبره ، رفعت أيضًا ﴿هُدًى﴾ بجعله تابعًا لموضع ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ كأنه قال : وهذا كتاب هدى ، من صفته كذا وكذا . قال : وأما أحد وجهي النصب ، فإن تجعل الكتاب خبرًا لـ ﴿ذَلِكَ﴾ وتنصب ﴿هُدًى﴾ على القطع ؛ لأن ﴿هُدًى﴾ نكرة اتصلت بمعرفة ، وقد تم خبرها فنصبها ^(٦) ؛ لأن النكرة لا تكون دليلًا على معرفة ، وإن شئت نصبت ﴿هُدًى﴾ على القطع من

(١) في م ، ت ٢ : «الرافع» .

(٢) يعني الفراء في معاني القرآن ١٠ / ١ .

(٣) في م ، ت ٢ : «رافع» .

(٤) في ر : «خبرًا» .

(٥) سقط من النسخ ، وأثبتناه من معاني القرآن .

(٦) في م : «فتنصبها» .

الهَاءِ التِي فِي ﴿فِيهِ﴾ ، كَأَنَّكَ قُلْتَ : لَا شَكَّ فِيهِ هَادِيًا .

قال أبو جعفر: فَتَرَكَ الْأَصْلَ الَّذِي أَصْلُهُ فِي ﴿الْمَ﴾ ، وَأَنَّهَا مَرْفُوعَةٌ بِ﴿ذَلِكَ﴾ **الْكِتْبُ** ، وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَاللَّازِمُ كَانَ لَهُ عَلَى الْأَصْلِ الَّذِي أَصْلُهُ أَلَا يُجِيزَ الرِّفْعَ فِي ﴿هُدًى﴾ بِحَالٍ إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، وَذَلِكَ مِنْ قِبَلِ الْإِسْتِنَافِ إِذَا كَانَ مَذْحًا . فَأَمَّا عَلَى وَجْهِ الْخَبَرِ لـ ﴿ذَلِكَ﴾ ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الْإِتْبَاعِ لِمَوْضِعِ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، فَكَانَ اللَّازِمُ لَهُ عَلَى قَوْلِهِ أَنْ يَكُونَ خَطَأً ، وَذَلِكَ أَنَّ ﴿الْمَ﴾ إِذَا رَفَعْتَ **﴿ذَلِكَ﴾** **الْكِتْبُ** ، فَلَا شَكَّ أَنَّ ﴿هُدًى﴾ غَيْرُ جَائِزٍ حِينَئِذٍ أَنْ يَكُونَ خَبْرًا لـ ﴿ذَلِكَ﴾ بِمَعْنَى الْمَرَاغِيعِ لَهُ ، أَوْ ^(١) تَابِعًا لِمَوْضِعِ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ؛ لِأَنَّ مَوْضِعَهُ حِينَئِذٍ نَصَبٌ ، لِتَمَامِ الْخَبَرِ قَبْلَهُ وَانْقِطَاعِهِ - بِمُخَالَفَتِهِ إِيَّاهُ - عَنْهُ ^(٢) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿لِلْمُنْفِقِينَ﴾ .

حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ سَفِيَانَ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ الْحُسَيْنِ قَوْلَهُ : ﴿لِلْمُنْفِقِينَ﴾ . قَالَ : اتَّقُوا مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ ، وَأَدُّوا مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ [٢٧/١ ظ] عِكْرَمَةَ ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿لِلْمُنْفِقِينَ﴾ . أَيْ : الَّذِينَ يَخْذَرُونَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَقُوبَتَهُ فِي تَرْكِ مَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْهُدَى ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ بِالتَّصَدِيقِ بِمَا جَاءَ مِنْهُ ^(٤) .

(١) فِي ص ، ت ٢ : «و» .

(٢) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لَا يَسْلُكُ فِيهِ إِلَّا الْحَمْلَ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ ، وَأَبْعَدَهَا عَنِ التَّكْلُفِ ، وَأَسْوَغَهَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ ، فَكَمَا أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ أَفْصَحُ كَلَامَ ، فَكَذَلِكَ إِعْرَابُهُ يَجِبُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى أَفْصَحِ الْوُجُوهِ .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦١/١ عَنْ سَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ بِهِ .

(٤) فِي ر ، م : «بِهِ» .

وَالْأَثَرُ فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ٥٣٠/١ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣٥/١ (٦٢) مِنْ طَرِيقِ سَلَمَةَ بِهِ .

حَدَّثَنِي موسى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَشْبَاطُ ،
 ١٠٠/١ عَنْ السُّدِّيِّ فِي خَبَرٍ / ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ
 مُرَّةَ الهمداني ، عَنْ ابْنِ مسعودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ هُدَى
 لِلْمُتَّقِينَ ﴾ : هُمُ الْمُؤْمِنُونَ ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ ، قَالَ : سَأَلَنِي الْأَعْمَشُ عَنْ
 « الْمُتَّقِينَ » ، قَالَ : فَأَجَبْتُهُ ، فَقَالَ لِي : سَلْ عَنْهَا الْكَلْبِيُّ . فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ : الَّذِينَ
 يَجْتَنِبُونَ كِبَايِرَ الْإِثْمِ . قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى الْأَعْمَشِ ، فَقَالَ : نُزِيَ ^(٢) أَنَّهُ كَذَلِكَ . وَلَمْ
 يُنْكِرْهُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الطَّبْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحِجَاجِ ، عَنْ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو أَبُو حَفْصٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي
 عَرُوبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ هُدَى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ : مَنْ هُمْ ؟ نَعَتْهُمْ وَوَصَفَهُمْ فَأُثِّبَتْ
 صِفَتُهُمْ ، فَقَالَ : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
 يُنْفِقُونَ ﴾ ^(٤) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ
 عُمَارَةَ ^(٥) ، عَنْ أَبِي رَزْوَجٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . قَالَ :

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦١/١ عن السدي به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/١ ، ٢٥ إلى
 المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٥/١ (٦٣) من طريق عمرو ، عن
 أشباط ، عن السدي من قوله .

(٢) في ر : « ترى أي » ، وفي ت ٢ : « يرى » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٢/١ عن أبي بكر بن عياش به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٥/١ (٦٤) من طريق ابن أبي عروبة به .

(٥ - ٥) في م : « بن عمار » .

للمؤمنين الذين يَتَّقُونَ الشَّرْكَ ^(١) وَيَعْمَلُونَ بَطَاعَتِي ^(٢) .

وَأُولَى التَّأْوِيلَاتِ بِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . تأويلُ مَنْ وَصَفَ القَوْمَ بأنَّهم الذين اتَّقَوْا اللَّهَ تبارك وتعالى في ركوبِ ما نهاهم عن ركوبه ، فَتَجَنَّبُوا معاصِيه ، وَاتَّقَوْه فيما أَمَرَهُم به مِنْ فرائضه ، فَأَطَاعُوهُ بِأدائها ، وذلك أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَتْبَهُم ^(٣) وَصَفَهُم بالتقوى ، فلم يَخْصُرْ تَقْوَاهُمْ إياه على ^(٤) بعض ما هو جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَهْلٌ ^(٥) لَهُ منهم دونَ بعض ، فليس لأحدٍ مِنَ الناسِ أَنْ يَخْصُرَ معنى ذلك على وَصْفِهِمْ بشيءٍ مِنَ تقوى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ دونَ شيءٍ ، إلا بحجةٍ يجبُ التسليمُ لها ؛ لأنَّ ذلك مِنْ صفةِ القومِ لو كان مَخْصُورًا على خاصٍّ مِنْ معاني التقوى دونَ العامِّ ^(٦) ، لم يَدَعِ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيَانَ ذلك لعباده ، إما في كتابه ، وإما على لسانِ رسوله ﷺ ، إذ لم يَكُنْ في العقلِ دليلٌ على استحالةِ وَصْفِهِمْ بعمومِ التقوى .

فقد تَبَيَّنَ إذن بذلك فسَادُ قولٍ مَنْ زَعَمَ أَنَّ تأويلَ ذلك إنما هو الذين اتَّقَوْا الشَّرْكَ وَبَرُّوا مِنَ النِّفَاقِ ؛ لأنَّه قد يَكُونُ كذلك وهو فاسقٌ غيرُ مُسْتَحِقٍّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، إلا أَنْ يَكُونَ عِنْدَ قَائِلِ هذا القولِ معنى النِّفَاقِ ركوبُ الفَوَاحِشِ التي حَرَّمَها اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَتَضْيِيعُ فرائضه التي فَرَضَها عليه ، فإنَّ جماعةً مِنَ أَهْلِ العِلْمِ قد كانت تُسَمَّى مَنْ كان كذلك ^(٧) مُنَافِقًا ، فيكونُ ،

(١) بعده في ص : « بى » .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦١/١ عن أبي روق به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/١ إلى المصنف .

(٣) سقط من : ص ، وفي م : « إنما » .

(٤ - ٥) في ص ، م : « بعضها من أهل » .

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٦) بعده في م : « منها » .

(٧) في م : « يفعل ذلك » .

وإن كان مُخَالَفًا فِي تَسْمِيَّتِهِ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ بِهَذَا الْاسْمِ - مُصِيبًا تَأْوِيلَ قَوْلِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ الرَّازِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ
ابْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ . قَالَ : يُصَدِّقُونَ ^(١) .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَثْمَانَ بْنِ صَالِحِ السَّهْمِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ :
يُصَدِّقُونَ ^(٢) .

١٠١/١ / حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحَجَّاجِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ : ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ : يَخْشَوْنَ ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّنْعَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ
مَعْمَرٍ ، قَالَ : قَالَ الزُّهْرِيُّ : الْإِيمَانُ الْعَمَلُ ^(٤) .

وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الْعَلَاءِ
ابْنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ :

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٥/١ إلى المصنف وابن إسحاق .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٢/١ عن علي بن أبي طلحة به .

(٣) في ر : « يَخْشَعُونَ » .

والأثر ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٢/١ من طريق أبي جعفر به .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٢/١ عن معمر به .

الإيمانُ التصديقُ^(١) .

ومعنى الإيمان عند العرب التصديقُ ، فيُدعى المُصَدِّقُ بالشئِ قولاً مؤمناً به ، ويُدعى المُصَدِّقُ قولَه بفعله مؤمناً ، ومن ذلك قولُ الله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ [يوسف : ١٧] . يعنى : وما أنت بمُصَدِّقٍ لنا فى قولنا . وقد تَدخُلُ الخشيةُ لله فى معنى الإيمان الذى هو تصديقُ القولِ بالعملِ .

والإيمانُ كلمةٌ جامعةٌ للإقرارِ بالله وكتبه ورسله ، وتصديقِ الإقرارِ بالفعلِ . فإذا كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بتأويلِ الآيةِ وأشبهُ بصفةِ القومِ أن يَكُونُوا موصوفين بالتصديقِ بالغيبِ قولاً واعتقاداً وعملاً ؛ إذ كان جلَّ ثناؤه لم يَحْضُرْهم من معنى الإيمانِ على معنى دونَ معنى ، بل أَجْمَلَ وصفَهم به ، من غيرِ تَخْصِصٍ شئٍ من معانيه أَخْرَجَهُ من صفتِهِم بخبرٍ ولا عقلٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِ الله جلَّ ثناؤه : ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ الرَّازِئِيُّ ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، عن محمد بنِ إِسْحَاقَ ، عن محمد بنِ أَبِي مُحَمَّدٍ مولى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بنِ جَبْرِ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ . قال : بما جاء منه . يعنى من الله جلَّ ثناؤه . حَدَّثَنِي موسى بْنُ هَارُونَ ، قال : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قال : حَدَّثَنَا أَشْبَاطُ ، عن الشُّدِّيِّ فى خبرٍ ذَكَرَهُ عن أَبِي مَالِكٍ ، وعن أَبِي صَالِحٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، وعن مُرَّةَ الهَمْدَانِيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن نَاسٍ من أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ : أما « الغيبُ » ، فما غاب عن العبادِ من أمرِ الجَنَّةِ وأمرِ النارِ ، وما

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٥/١ إلى المصنف مطولاً .

ذَكَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ ، لَمْ يَكُنْ تَصْدِيقُهُمْ بِذَلِكَ - يَعْنِي الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْعَرَبِ - مِنْ قِبَلِ «أَصْلِ كِتَابٍ»^(١) أَوْ عَلِمَ كَانَ عِنْدَهُمْ^(٢) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَهْوَازِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفِيَّانٌ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ زُرَّ ، قَالَ : الْغَيْبُ الْقُرْآنُ^(٣) .

حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ مُعَاذٍ الْعَقَدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَّيْعٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ [٢٨/١] فِي قَوْلِهِ : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ . قَالَ : آمَنُوا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْبَغْيِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَكُلُّ هَذَا غَيْبٌ^(٤) .

حَدَّثْتُ عَنْ عُمَارِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبْعِ بْنِ أَنَسٍ : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ : آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَنَّتِهِ وَنَارِهِ وَلِقَائِهِ ، / وَآمَنُوا بِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَهَذَا غَيْبٌ كُلُّهُ^(٥) . ١٠٢/١

وَأَصْلُ الْغَيْبِ كُلُّ مَا غَابَ عَنْكَ مِنْ شَيْءٍ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِكَ : غَابَ فُلَانٌ يَغِيبُ غَيْبًا .

وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي أَعْيَانِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ

(١ - ١) فِي ص : «أَهْلُ الْكِتَابِ» .

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٣/١ عَنِ السَّدِيِّ بِهِ مُخْتَصَرًا . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣٥/١ ، ٣٦ (٦٨ ، ٦٥) مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو ، عَنْ أَسْبَاطٍ ، عَنِ السَّدِيِّ مِنْ قَوْلِهِ مُخْتَصَرًا .

وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّر الْمُنْثَوْر ٢٥/١ إِلَى الْمُصَنِّفِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَحْدَهُ . وَإِلَى الطَّبْطَبِيِّ فِي مَسَائِلِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ الْأَزْرَقِ قَالَ لَهُ ... فَذَكَرَهُ مُخْتَصَرًا .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣٦/١ (٦٩) مِنْ طَرِيقِ أَبِي أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيِّ بِهِ .

(٤) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّر الْمُنْثَوْر ٢٥/١ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ .

(٥) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّر الْمُنْثَوْر ٢٥/١ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ . وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٣٦/١ (٦٧) مِنْ طَرِيقِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنِ الرِّبْعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٦٣/١ كَذَلِكَ .

من أول هذه السورة فيهم ، وفي نعتهم وصفتهم التي وصفهم بها من إيمانهم بالغيب وسائر المعاني التي حوتها الآيتان من صفاتهم غيره ؛ فقال بعضهم : هم مؤمنو العرب خاصة ، دون غيرهم من مؤمنى أهل الكتابين ^(١) .

واستدلوا على صحة ^(٢) قولهم ذلك وحقيقة تأويلهم بالآية التي تتلو هاتين الآيتين ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ . قالوا : فلم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على محمد ﷺ ، تدين بتصديقه والإقرار والعمل به ، وإنما كان الكتاب لأهل الكتابين غيرها . قالوا : فلما قص الله جل ثناؤه نبأ الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد وما أنزل من قبله ، بعد اقتصاصه نبأ المؤمنين بالغيب - علمنا أن كل صنف منهم غير الصنف الآخر ، وأن المؤمنين بالغيب نوع غير النوع المصدق بالكتابين اللذين أحدهما منزل على محمد ﷺ ، والآخر منهما على من قبله ^(٣) من رسل ^(٤) الله عز وجل .

قالوا : وإذا كان ذلك كذلك ، صح ما قلنا من أن تأويل قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ . إنما هو ^(٥) : الذين يؤمنون بما غاب عنهم من الجنة والنار ، والثواب والعقاب ، والبعث ، والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وجميع ما كانت العرب لا تدين به في جاهليتها ، مما ^(٥) أوجب الله جل ثناؤه على

(١) في ص ، م : « الكتاب » .

(٢) في ر : « حقيقة » .

(٣ - ٣) في ص : « رسول » ، وفي ت ٢ : « من رسول » .

(٤) في ص ، ت ٢ : « هم » .

(٥) في م : « بما » .

عبادِهِ الَّذِينَ يُؤْنَسُ بِهِ ، دُونَ غَيْرِهِمْ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ،
عَنِ الشَّيْخِ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مَرْثَةَ
الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : أَمَّا ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ ﴾ فَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْعَرَبِ ، ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴾ : أَمَّا « الْغَيْبُ » ، فَمَا غَابَ عَنِ الْعِبَادِ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَمَا ذَكَرَ اللَّهُ
فِي الْقُرْآنِ ، لَمْ يَكُنْ تَصْدِيقُهُمْ بِذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَصْلِ كِتَابٍ أَوْ عِلْمٍ كَانَ عِنْدَهُمْ
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾
هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ^(١) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الْأَرْبَعُ فِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ خَاصَّةً ؛
لِإِيمَانِهِمْ بِالْقُرْآنِ عِنْدَ إِبْخَارِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِيَّاهُمْ فِيهِ عَنِ الْغُيُوبِ الَّتِي كَانُوا يُخْفُونَهَا
بَيْنَهُمْ وَيُسِرُّونَهَا ، فَعَلِمُوا عِنْدَ إِظْهَارِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهٖ ﷺ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فِي تَنْزِيلِهِ
أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَ ، فَآمَنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ ، وَصَدَّقُوا بِالْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْإِبْخَارِ عَنْ
الْغُيُوبِ الَّتِي لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهَا ؛ لِأَسْتَقَرَّ عِنْدَهُمْ بِالْحُجَّةِ الَّتِي اخْتَجَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَا
عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ ، مِنَ الْإِبْخَارِ فِيهِ عَمَّا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ مِنْ ضَمَائِرِهِمْ - أَنْ جَمِيعَ ذَلِكَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

١٠٣/١ / وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلِ الْآيَاتُ الْأَرْبَعُ مِنْ أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ أُنْزِلَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ
بِوصْفِ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ذَلِكَ صِفَتُهُمْ ، مِنَ الْعَرَبِ ، وَالْعَجَمِ ، وَأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ

سواهم ، وإنما هذه صفةٌ صَنَّفَ مِنَ النَّاسِ ، والمؤمنُ بما أنزلَ اللهُ على محمدٍ ﷺ وما أنزلَ مِنْ قَبْلِهِ هو المؤمنُ بالغيبِ .

قالوا : وإنما وَصَفَهُمُ اللهُ بالإيمانِ بما أنزلَ إلى محمدٍ وبما أنزلَ إلى مَنْ قَبْلَهُ ، بعدَ تَقَضَّى وصفِهِ إياهم بالإيمانِ بالغيبِ ؛ لأنَّ وصفَهُ إياهم بما وَصَفَهُمُ بِهِ مِنَ الإيمانِ بالغيبِ كانَ مَعْنِيًّا بِهِ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْبَعْثِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ الَّتِي كَلَّفَهُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاهُ الْإِيمَانَ بِهَا ^(١) ، مما لَمْ يَرَوْهُ وَلَمْ يَأْتِ بعدُ مما هو آتٍ ، دونَ الإخبارِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ وَمَنْ ^(٢) الْكِتَابِ .

قالوا : فلما كانَ معنى قولِهِ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ . غَيْرَ موجودٍ فى قولِهِ : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ . كانتِ الْحَاجَةُ مِنَ الْعِبَادَةِ إِلَى مَعْرِفَتِهِمْ صِفَتَهُمْ بِذَلِكَ لِيَعْرِفُوهُمْ ، نَظِيرَ حَاجَتِهِمْ إِلَى مَعْرِفَتِهِمْ بِالْصِفَةِ الَّتِي وُصِفُوا بِهَا مِنَ إِيْمَانِهِمْ بِالْغَيْبِ ؛ لِيَعْلَمُوا مَا يَرْضَى اللهُ مِنْ أَفْعَالِ عِبَادِهِ ، وَيُجِبُّهُ مِنْ صِفَاتِهِمْ ، فَيَكُونُوا بِهِ ^(٣) ، إِنْ وَفَّقَهُمْ لَهُ رَبُّهُمْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَبَّاسِ ^(٤) الْبَاهِلِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ الضُّبَّاحُ ابْنُ مَخْلَدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ مَيْمُونٍ الْمَكِّيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : أَرْبَعُ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي نَعْتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَآيَتَانِ ^(٥) فِي

(١) فى ر ، ت : « به » .

(٢) سقط من : م .

(٣) أى بهذا الوصف .

(٤) فى ص : « العاص » .

(٥) فى ت ٢ : « اثنتان » ، وغير منقوطة فى ص .

نعت الكافرين ، وثلاث عشرة في المنافقين ^(١) .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد بمثله ^(٢) .

وحدثني ^(٣) المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا موسى بن مسعود ، قال : حدثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله ^(٤) .

وحدثت عن عمار بن الحسين ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : أربع آيات من فاتحة هذه السورة - يعنى سورة البقرة - فى الذين آمنوا ، وآيات ^(٥) فى قادة الأحزاب ^(٦) .

وأولى القولين عندى بالصواب ، وأشبههما بتأويل الكتاب ، القول الأول ، وهو أن الذين وصفهم الله تعالى ذكره بالإيمان بالغيب ، وما وصفهم به جل ثناؤه فى الآيتين الأولتين ^(٧) ، غير الذين وصفهم بالإيمان بالذى أنزل على محمد والذى أنزل على ^(٨) من قبله من الرسل ؛ لما ذكرت من العلل [٢٨/١ ظ] قبل لمن قال ذلك .

وما يدل أيضاً مع ذلك على صحة هذا القول ، أنه جنس - بعد وصف المؤمنين

(١) تفسير مجاهد ص ١٩٥ ، من طريق ورقاء ، عن ابن أبي نجيح . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣/١ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن الضريس وابن المنذر . وينظر ما سيأتى فى ص ٢٧٦ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣/١ إلى وكيع . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٦٧/١ عن الثورى به . وهو فى تفسير الثورى ص ٤١ من قوله .

(٣ - ٣) فى ص : « ابن المثنى » .

(٤) أخرجه النحاس فى القطع والاختلاف ص ١١٥ من طريق شبيل به .

(٥) فى ص ، ت ٢ : « اثنان » .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٤/١ إلى المصنف .

(٧) فى ت ١ ، ت ٢ : « الأولين » .

(٨) فى ر ، م ، ت ٢ : « إلى » .

بالصفتين اللتين وصّف ، وبعدَ تصنيفه كلّ صنفٍ منهما على ما صنّف الكفار - جنسين ، فجعل أحدهما مطبوعاً على قلبه ، مختوماً عليه ، مأیوساً من إيمانه ، والآخَر منافقاً يُرائي بإظهار الإيمان في الظاهر ، ويستسيّر النفاق في الباطن ، فصيّر الكفار جنسين ، كما صيّر المؤمنين في أول السورة جنسين ، ثم عرّف عباده نعت كلّ صنفٍ منهم وصفتهم ، وما أعدّ لكلّ فريقٍ منهم من ثوابٍ أو عقابٍ ، وذمّ أهل الذمّ منهم ، وشكّر سعى أهل الطاعة منهم .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ .

/ وإقامتها أداؤها بحدودها وفروضها والواجب فيها ، على مَنْ فُرِضَتْ عليه ، ١٠٤/١
كما يقال : أقام القوم سُوقَهُمْ . إذا لم يُعْطَلَوْها من البيع والشراء فيها . وكما قال الشاعر^(١) :

أَقَمْنَا لِأَهْلِ الْعِرَاقَيْنِ^(٢) سُوقَ الضُّرِّ رَابٍ فَخَامُوا^(٣) وَوَلُّوا جَمِيعَا

وكما حدّثنا محمدُ بنُ حُمَيدٍ ، قال : حدّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمة ، أو عن سعيدِ ابنِ جبّير ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ . قال : الذين يقيمون الصلاة بقرضها^(٤) .

(١) المحرر الوجيز ١/١٤٦ .

(٢) العراقين : البصرة والكوفة .

(٣) في ص : « فجأمر » ، وفي م : « خاسوا » .

وخاموا في الحرب : جبنوا . اللسان (خ ي م) .

(٤) في ص ، م : « بقرضها » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤/١ (٧٤) من طريق سلمة بن الفضل به .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ بَشْرِ بْنِ عُمارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْحٍ، عَنْ الضَّحَّاكِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ قَالَ : إقامة الصلاة تمام الركوع والسجود، والتلاوة، والخشوع، والإقبال عليها فيها^(١).

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ : حَدَّثَنَا جُوَيْرُّ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ : يَعْنِي الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ .
القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الصَّلَاةَ ﴾ .

وأما الصلاة في كلام العرب فإنها الدعاء، كما قال الأعشى^(٢) :
لها حارس لا يترخ الدهر بيتها وإن ذبحت^(٣) صلى عليها وزمما^(٤)
يعنى بذلك : دعا لها . وكقوله^(٥) الآخر أيضا :

وقابلها الرّيح في دنّها^(٦) وصلى على دنّها وارتم^(٧)
وأرى أن الصلاة المفروضة سُميت صلاة ؛ لأن المصلّي مُتَعَرِّضٌ لاستنجاح^(٨)
طليبه من ثواب الله بعمله ، مع ما يسأل ربه فيها من حاجاته ، تَعَرُّضُ الداعي بدعائه

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٧/١ إلى المصنف .

(٢) ديوانه ص ٢٩٣ .

(٣) يذكر الخمر في دنها ، يقال : ذبحت الدن : أى بزلته . اللسان (ذ ب ح) .

(٤) الزمزمة : تراطن العلوج عند الأكل وهم صموت ، لا يستعملون اللسان ولا الشفة في كلامهم ، لكنه صوت تديره في خياشيمها وحلقها . اللسان (ز م م) .

(٥) في ص ، م ، ت ٢ : « قول » . والبيت في ديوان الأعشى ص ٣٥ .

(٦) الدن : وعاء ضخم للخمر ونحوها .

(٧) ارتسم الرجل : كثير ودعا . اللسان (ر س م) .

(٨) في ص : « لاستخراج » ، وفي ر ، ت ٢ : « استنجاح » .

رَبِّهِ اسْتَنْجَا حَاجَاتِهِ وَسُؤْلُهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ .

اختلف المفسرون في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم بما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ . قال : يؤتون الزكاة احتساباً لها ^(١) .

حدثني المثنى ^(٢) ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ . قال : زكاة أموالهم ^(٣) .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : حدثنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ . قال : كانت النفقات قروباً ^(٤) يتقربون بها إلى الله على قدر ميسورهم وجهدهم ، حتى نزلت فرائض الصدقات ؛ سبع آيات في سورة «براءة» ، مما يذكر فيهن الصدقات ، هن المثبتات الناسخات ^(٥) .

وقال بعضهم بما حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :

(١) في ر ، م ، ت ٢ : « بها » .

والأثر في سيرة ابن هشام ٥٣٠/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٧/١ (٧٧) من طريق سلمة به .

(٢) في ص : « ابن المثنى » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٥/١ عن علي بن أبي طلحة به .

(٤) في م : « قربات » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٧/١ إلى المصنف .

حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنِ الشَّيْخِ فِي خَيْرِ ذِكْرِهِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، ١٠٥/١ وَعَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ / مسعود ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ : هِيَ نَفَقَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ ، وَهَذَا قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الزَّكَاةُ ^(١) .

وأولى التأويلات بالآية وأحقها بصفة القوم ، أن يكونوا كانوا لجميع اللازم لهم في أموالهم مؤدّين ؛ زكاة كان ذلك أو نفقة من لزمته نفقته من أهلٍ وعيالٍ وغيرهم ، ممن تجب عليهم نفقته بالقرابة والملك وغير ذلك ؛ لأن الله جل ثناؤه عمّ وضمّهم ، إذ وضمهم بالإنفاق مما رزقهم ، فمدحهم بذلك من صفتهم ، فكان معلوماً أنهم ^(٢) إذ لم يخصّص مدحهم ووضفهم بنوعٍ من النفقات المحمود عليها صاحبها دون نوع ، بخبرٍ ولا غيره - أنهم موصوفون بجميع معاني النفقات المحمود عليها صاحبها ، من طيب ما رزقهم ربهم من أموالهم وأملاكهم ، وذلك الحلال منه الذي لم يشبهه حرام .
القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ .

قد مضى البيان عن المنعوتين بهذا النعت ، وأتى أجناس الناس هم ، غير أننا نذكر ما روى في ذلك عن روى عنه في تأويله قول ، فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٥/١ عن السدي به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٧/١ إلى المصنف عن ابن مسعود دون آخره . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٨/١ (٧٨) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي من قوله .

(٢) في ص ، م : « أنه » .

بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴿١﴾ . أَيْ : يُصَدِّقُونَكَ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ ^(١) اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ ، وَلَا يَجْحَدُونَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ ^(٢) رَبِّهِمْ ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ السُّدِّيِّ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [٢٩/١] : هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ^(٤) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : أَمَا الْآخِرَةُ ، فَإِنَّهَا صِفَةُ لِلدَّارِ ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] . وَإِنَّمَا وُصِفَتْ بِذَلِكَ لِمَصِيرِهَا آخِرَةً لِأُولَى كَانَ قَبْلَهَا ، كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ : أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَلَمْ تَشْكُزْ لِي الْأُولَى وَلَا الْآخِرَةَ . وَإِنَّمَا صَارَتِ الْآخِرَةُ آخِرَةً لِلأُولَى ؛ لِتَقْدِمِ الْأُولَى أَمَامَهَا ، فَكَذَلِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ، سُمِّيَتْ آخِرَةً لِتَقْدِمِ الدَّارِ الْأُولَى أَمَامَهَا ، فَصَارَتِ التَّالِيَةُ ^(٥) لَهَا آخِرَةً . وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ^(٦) وَصِفَتْ بِأَنَّهَا آخِرَةٌ ؛ لِتَأْخِرَهَا

(١) بعده فى ت ٢ : « عند » .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت ٢ : « عند » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣٠/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٨/١ (٨٠) من طريق سلمة به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦٧/١ عن السدى به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٨/١ (٨٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٥) فى ص : « الثانية » .

(٦) (٦ - ٦) فى ص ، م : « سميت » .

عن الخلق ، كما سُمِّيَت الدنيا دنيا^(١) ؛ لَدُنُّهَا مِنَ الْخَلْقِ .

وأما الذى وَصَفَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بهِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَى^(٢) نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وما أُنْزِلَ إِلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ - مِنْ إِيْقَانِهِمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ - فهو إِيْقَانُهُمْ بِمَا كَانَ الْمُشْرِكونَ بهِ جَاحِدِينَ ، مِنْ الْبَعْثِ وَالنَّشْرِ ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَالْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَعَدَّ اللَّهُ لَخَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

١٠٦/١ / كما حَدَّثَنَا بهِ مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ . أَيْ : بِالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَالْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ ، أَيْ لَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُزْعَمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا كَانَ قَبْلَكَ ، وَيَكْفُرُونَ بِمَا جَاءَكَ مِنْ رَبِّكَ^(٣) .

وهذا التَّأْوِيلُ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَدْ صَرَّحَ عَنْ أَنَّ السُّورَةَ مِنْ أَوَّلِهَا - وَإِنْ كَانَتْ الْآيَاتُ الَّتِي فِي أَوَّلِهَا مِنْ نَعْتِ الْمُؤْمِنِينَ - تَغْرِیْضٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِذَمِّ الْكُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ بِمَا جَاءَتْ بِهِ رِسْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ - مُصَدِّقُونَ ، وَهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ مُكَذِّبُونَ ، وَلَمَّا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّنْزِيلِ جَاحِدُونَ ، وَيَدَّعُونَ ، مَعَ مَجْهُودِهِمْ ذَلِكَ ، أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ، وَأَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، فَأُكْذِبَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ مِنْ قِيلِهِمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ

(١) فى ص : « قريبا » .

(٢) فى ر : « على » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣٠/١ ، ٥٣١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٨/١ (٨٢) من طريق أمة به .

الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ . وأخبر جل ثناؤه عباده أن هذا الكتاب هدى لأهل الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به ، المصدقين بما أنزل إليه وإلى من قبله من رسله من البينات والهدى ، خاصةً دون من كذب بمحمد ﷺ وبما جاء به ، وادّعى أنه مُصدقٌ بمن قبل محمد ﷺ من الرسل ، وبما جاء به من الكتب ، ثم أكد جل ثناؤه أمر المؤمنين من العرب ومن أهل الكتاب المصدقين بمحمد ﷺ وبما أنزل إليه وإلى من قبله من الرسل بقوله : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . فأخبر أنهم هم أهل الهدى والفلاح خاصةً دون غيرهم ، وأن غيرهم هم أهل الضلال والخسار .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في من عني الله جل ثناؤه بقوله : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ؛ فقال بعضهم : عني بذلك أهل الصفتين المتقدمتين ، أغنى المؤمنين بالغيب من العرب ، والمؤمنين بما أنزل إلى محمد ﷺ وإلى من قبله من الرسل ، وإياهم جميعاً وصف بأنهم على هدى منه ، وأنهم هم المفلحون .

ذكر من قال ذلك من أهل التأويل

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن الشدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : أما ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ فهم المؤمنون من العرب ، ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ المؤمنون من أهل الكتاب ، ثم جمع الفريقين ، فقال : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ .

١٠٧/١ / وقال بعضهم : بل عني بذلك المتقين الذين يؤمنون بالغيب ، وهم الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد ﷺ وبما أنزل إلى من قبله من الرسل .

وقال آخرون : بل عني بذلك الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد ﷺ وبما أنزل إلى من قبله ، وهم مؤمنو أهل الكتاب الذين صدّقوا بمحمد ﷺ وبما جاء به ، وكانوا مؤمنين من قبل بسائر الأنبياء والكتب .

وعلى هذا التأويل^(١) الآخر يَحْتَمِلُ أن يكون ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ في محلّ خفض ، ومحلّ رفع ؛ فأما الرفع فيه فإنه يأتيها من وجهين ؛ أحدهما ، من قبل العطف على ما في ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ من ذكر ﴿الَّذِينَ﴾ والثاني ، أن يكون خبراً^(٢) مبتدأ ، ويكون ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ مرافعاً .

وأما الخفض ، فعلى العطف على «الْمُتَّقِينَ» وإذا كانت معطوفة على ﴿الَّذِينَ﴾ اتجه لها وجهان من المعنى ؛ أحدهما ، أن تكون هي و﴿الَّذِينَ﴾ الأولى من صفة المتقين . وذلك على تأويل من رأى أن الآيات الأربع بعد ﴿الْم﴾ نزلت في صنف واحد من أصناف المؤمنين . والوجه الثاني ، أن تكون ﴿الَّذِينَ﴾ الثانية معطوفة في الإعراب على «الْمُتَّقِينَ» بمعنى الخفض ، وهم في المعنى صنف غير

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٩/١ عن السدي به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٥/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٥/١ ، ٣٨ ، ٤٠ (٦٥ ، ٨٣ ، ٨٩) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي من قوله .

(٢) في ص : «الوجه» .

(٣) في ص ، م : «خير» . والمقصود : أن يكون خبراً مقمداً .

الصنف الأول . وذلك على مذهب مَنْ رأى أن الذين نزلت فيهم الآيتان الأولتان من المؤمنين بعد قوله : ﴿الْعَم﴾ . غير الذين نزلت فيهم [٢٩٩ / ١ ظ] الآيتان الآخرتان اللتان تليان الأولتين ^(١) .

وقد يَحْتَمِلُ أن تكون ﴿الَّذِينَ﴾ الثانية مرفوعة في هذا الوجه بمعنى الاستئناف ^(٢) ، إذ كانت مُبْتَدَأً بها بعد تمام آية وانقضاء قِصَّة . وقد يجوزُ الرفع فيها أيضًا بنية الاستئناف ^(٣) ، إذ كانت في مبتدأ آية ، وإن كانت من صفة المتقين .

فالرفع إذن يَصِحُّ فيها من أربعة أوجه ، والحفض من وجهين .

وأولى التأويلات عندى بقوله : ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ . ما ذكرت من قول ابن مسعود وابن عباس ، وأن تكون ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى الفريقين ، أغنى المتقين ، و ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ، وتكون ﴿أُولَئِكَ﴾ مرفوعة بالعائد من ذكرهم في قوله : ﴿عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ . وأن تكون ﴿أُولَئِكَ﴾ الثانية معطوفة على ما قبل من الكلام ، على ما قد بيَّناه .

وإنما رأينا أن ذلك أولى التأويلات بالآية ؛ لأن الله جل ثناؤه نعت الفريقين بنعتهم الحمود ، ثم أثنى عليهم ، فلم يكن عز وجل ليُخَصَّ أحد الفريقين بالثناء مع تساويهما فيما استحقَّ به الثناء من الصفات ، كما غير جائز في عدله أن يتساويا فيما يستحقَّان به الجزاء من الأعمال ، فيُخَصَّ أحدهما بالجزاء دون الآخر ، ويَحْرِمَ الآخر جزاء عمله ، فكذلك سبيل الثناء

(١) في ص ، ر ، ت ٢ : «الأولين» .

(٢) في م : «الاستئناف» وهما بمعنى .

بالأعمال ؛ لأن الثناء أحد أقسام الجزاء .

وأما معنى قوله : ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ . فإن معنى ذلك أنهم على نورٍ من ربهم ، وبرهانٍ واستقامةٍ وسدادٍ ، بتسديد الله إياهم ، وتوفيقه لهم .

كما حدثني ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمةُ بنُ الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس : ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ . أى : على نورٍ من ربهم ، واستقامةٍ على ما جاءهم ^(١) .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

١٠٨/١ / وتأويلُ قوله : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ . أى : أولئك هم المنجحون المذركون ما طلبوا عند الله تعالى ذكره ، بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله ، من الفوزِ بالشوابِ ، والخلودِ فى الجنانِ ، والنَّجاةِ مما أعدَّ الله تبارك وتعالى لأعدائه من العقابِ .

كما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمةُ ، قال : حدثنا ابنُ إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ . أى : الذين أذركوا ما طلبوا ، ونجوا من شرِّ ما منه هربوا ^(٢) .

ومن الدلالة على أن أحد معانى الفلاح إدراكُ الطلِّبةِ والظفرِ بالحاجة ، قولُ لبيد

(١) سيرة ابن هشام ٥٣١/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٣٩/١ (٨٤) من طريق سلمة به .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٣١/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٣٩/١ (٨٨) من طريق سلمة به .

ابن ربيعة^(١) :

اعْقِلِي إِنْ كُنْتِ لِمَا تَعْقِلِي وَلَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقْلُ
يعنى : ظفِر بحاجته وأصاب خيرا . ومنه قول الراجز^(٢) :
عَدِمْتُ أُمًّا وَلَدَتْ رِيَاحًا^(٣)
جَاءَتْ بِهِ مُفْرَكًا فِرْكَاحًا^(٤)
تَحْسَبُ أَنْ قَدْ وَلَدَتْ نَجَاحًا
أَشْهَدُ لَا يَزِيدُهَا فَلَاحًا
يعنى : خيرا وقربا من حاجتها .

وَالْفَلَاحُ مُصَدَّرٌ مِنْ قَوْلِكَ : أَفْلَحَ فَلَانٌ يُفْلِحُ إِفْلَاحًا ، وَفَلَاحًا ، وَفَلَاحًا .
وَالْفَلَاحُ أَيْضًا الْبَقَاءُ . ومنه قول لبيد^(٥) :

نَحُلُّ بِلَادًا كُلُّهَا حُلٌّ قَبْلَنَا وَنَرْجُو الْفَلَاحَ بَعْدَ عَادٍ وَجَمِيرٍ
يريدُ : البقاء . ومنه أيضا قول عبيد^(٦) :

أَفْلِحَ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُدْرِكُ^(٧) بِالضُّعْفِ فِى وَقَدْ يُخَدِّعُ الْأَرِيبُ
يريدُ : عِشْ وَابْقَ بِمَا شِئْتَ . وكذلك قول نابغة بنى ذبيان^(٨) :

(١) شرح ديوان لبيد ص ١٧٧ .

(٢) البيت الثانى منه فى اللسان (فرّكح) غير منسوب .

(٣) فى م : « رباحا » .

(٤) الفرّكحة : تباعد ما بين الأليتين . اللسان (فرّكح) .

(٥) شرح ديوان لبيد ص ٥٧ .

(٦) ديوانه ص ١٤ .

(٧) فى م : « يبلغ » .

(٨) ديوانه ص ٢١٤ .

وَكُلُّ فِتْنَى سَتَشْعَبُهَا شُعُوبٌ^(١) وَإِنْ أَثَرَى وَإِنْ لَأَتَى فَلَاحًا
أَي : نَجَاحًا بِحَاجَتِهِ وَبِقَاءِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ .

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَنْ غُنِيَ بِهِذِهِ الْآيَةُ ، وَفِي مَنْ نَزَلَتْ ؛ فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ كَمَا حَدَّثَنَا بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . أَيْ : بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ قَالُوا : إِنَّا قَدْ آمَنَّا بِمَا^(٢) جَاءَنَا مِنْ قَبْلِكَ^(٣) .

فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَنَوَاجِي الْمَدِينَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ تَوْبِيخًا لَهُمْ فِي جُحُودِهِمْ نَبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِهِ ، مَعَ عَلَيْهِمْ بِهِ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً .

١٠٩/١ / وَقد حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ صَدْرَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ إِلَى الْمِائَةِ مِنْهَا نَزَلَ فِي رِجَالِ سَنَاهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ ، وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ^(٤) . كَرِهْنَا تَطْوِيلَ الْكِتَابِ بِذِكْرِ أَسْمَائِهِمْ .

(١) الشعوب : المنية . القاموس المحيط (ش ع ب) .

(٢) بعده في م : « قد » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٠/١ (٩٢) من طريق سلمة به .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٣٠/١ ، ٥٣١ . وسيأتي تمامه في ص ٢٧٢ ، ٢٧٥ .

وقد روى عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر، وهو ما حدثني به المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا عبد الله بن صالح،^(١) قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. قال: كان رسول الله ﷺ يخرص على أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله جل ثناؤه أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء [٣٠/١] في الذكر الأول^(٢).

وقال آخرون بما حدثت به عن عمار بن الحسين، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: آتان في قادة الأحزاب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. قال: وهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَنكُرُونَ الْقِرَارَ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]. قال: فهم الذين قُتِلُوا يوم بدر^(٣).

وأولى هذه التأويلات بالآية تأويل ابن عباس الذي ذكره محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبيرة، عنه، وإن كان لكل قول مما قاله الذين

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٢٨٤، ١٣٧١، ١٣٨٥ (٧٢٥٠، ٧٧٨٥، ٧٨٧٥)، والطبراني في الكبير (١٣٠٢٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٩) من طريق عبد الله بن صالح به. وعند البيهقي مطولا بذكر آيات أخر.

(٣) سيأتي تمامه في ص ٢٧٧ من طريق آخر عن ابن أبي جعفر به. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٠/١ (٩٣) من طريق أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية. وكذلك ذكره ابن كثير في تفسيره ٧٠/١ عن أبي جعفر به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٢٩ إلى ابن المنذر عن أبي العالية مطولا.

ذَكَرْنَا قَوْلَهُمْ فِي ذَلِكَ مَذْهَبٌ .

فَأَمَّا مَذْهَبُ مَنْ تَأَوَّلَ فِي ذَلِكَ مَا قَالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ ، فَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ لَمَّا أَخْبَرَ عَنْ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، وَأَنَّ الْإِنذَارَ غَيْرُ نَافِعِهِمْ ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الْكُفَارِ مَنْ قَدْ نَفَعَهُ اللَّهُ بِإِنذَارِ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهُ ؛ لِإِيْمَانِهِ بِاللَّهِ وَبِالنَّبِيِّ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بَعْدَ نَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ ، لَمْ يَجُزْ أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ نَزَلَتْ إِلَّا فِي خَاصٍّ مِنَ الْكُفَارِ ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَكَانَتْ قَادَةُ الْأَحْزَابِ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِإِنذَارِ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهُ ، حَتَّى قَتَلَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ بَدْرٍ ، عَلِمَ أَنَّهُمْ مِمَّنْ عَنِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهِذِهِ الْآيَةِ .

وَأَمَّا عَلَيْنَا فِي اخْتِيَارِنَا مَا اخْتَرْنَا مِنَ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ ، فَهِيَ أَنْ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . عَقِيبَ خَبَرِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَعَقِيبَ نَعِيَّتِهِمْ وَصِفَتِهِمْ ، وَثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ بِإِيْمَانِهِمْ بِهِ ، وَبَكْتَبِهِ وَرَسُولِهِ ، فَأَوَّلَى الْأُمُورِ بِحُكْمَةِ اللَّهِ أَنْ يُتْلَى ذَلِكَ الْخَبَرُ عَنْ كُفَّارِهِمْ وَنَعَوِيَّتِهِمْ ، وَذَمِّ أَسْبَابِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ ، وَإِظْهَارِ شَتْمِهِمْ ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ ؛ لِأَنَّ مُؤْمِنِيهِمْ وَمَشْرِكِيهِمْ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ بِاخْتِلَافِ أَدْيَانِهِمْ ، فَإِنَّ الْجَنْسَ يَجْمَعُ جَمِيعَهُمْ بِأَنَّهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ .

وَإِنَّمَا احْتَجَّ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَى مُشْرِكِي الْيَهُودِ مِنْ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلَيْهِمْ بِنُبُوَّتِهِ مُنْكَرِينَ نُبُوَّتَهُ ، بِإِظْهَارِ نَبِيِّهِ ﷺ عَلَى مَا كَانَتْ / تُسِرُّهُ الْأَحْبَارُ^(١) مِنْهُمْ وَتَكْتُمُهُ ، فَيَجْهَلُهُ عَظْمُ الْيَهُودِ وَتَعْلَمُهُ الْأَحْبَارُ مِنْهُمْ ؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي أَطْلَعَهُ عَلَى عِلْمِ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ

١١٠/١

السلام؛ إذ كان ذلك من الأمور التي لم يكن محمد ﷺ ولا قومه ولا عشيرته يعلمونه، ولا يعرفونه من قبل نزول الفرقان على محمد ﷺ، فيمكنهم ادعاء اللبس في أمره ﷺ أنه نبي، وأن ما جاء به فيمن عند الله. وأني يمكنهم ادعاء اللبس في صدق أمي نسا بين أميين، لا يكتب، ولا يقرأ، ولا يحسب، فيقال: قرأ الكتب فعلم. أو: حسب فتعجم؟^(١) انبعت على أخبار قراءة كتبة^(٢)، قد درسوا الكتب، ورأسوا الأمم، يخبرهم عن مستور عيوبهم، ومصون علومهم، ومكتوم أخبارهم، وخفيات أمورهم التي جهلها من هو دونهم من أخبارهم. إن أمر من كان كذلك لغيره مشكّل، وإن صدقه، والحمد لله، لبيّن.

وما يُنبئ عن صحّة ما قلنا - من أن الذين عني الله تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. هم أخبار اليهود الذين قتلوا على الكفر وماتوا عليه - اقتصاص الله تعالى ذكره نبأهم، وتذكيره^(٣) إيّاهم ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق في أمر محمد ﷺ بعد اقتصاصه تعالى ذكره ما اقتص من أمر المنافقين، واعتراضه بين^(٤) ذلك بما اعترض به من الخبر عن إبليس وآدم في قوله: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] الآيات. واحتجاجه لنبيه عليهم^(٥) بما احتج به عليهم^(٦) فيها عند مجحودهم نبوته. فإذا كان الخبر أولاً عن مؤمنى أهل الكتاب،

(١ - ١) في م: «وانبعت على أخبار قراءة كتب».

(٢) في ر: «بذكره».

(٣) في ص: «من».

(٤) في ص: «لما».

(٥ - ٥) سقط من: ر.

(٦) في ص، م: «بعد».

وآخراً عن مشركيهم ، فَأُولَئِي أَنْ يَكُونَ وَسَطًا عَنْهُمْ ، ^(١) إِذْ كَانَ الْكَلَامُ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ تَبَعٌ ، إِلَّا أَنْ تَأْتِيَ ^(٢) دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ بَعْدُولِ بَعْضِ ذَلِكَ عَمَّا ابْتَدَأَ بِهِ مِنْ مَعَانِيهِ ، فَيَكُونُ مَعْرُوفًا حَيْثُ يُنْصَرَفُ عَنْهُ .

وأما معنى الكفر في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . فإنه الجُحُودُ ، وذلك أن الأَحْبَارَ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ جَحَدُوا نَبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَسَرَّوْهُ عَنِ النَّاسِ ، وَكَتَمُوا أَمْرَهُ ، وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ .

وَأَصْلُ الْكُفْرِ عِنْدَ الْعَرَبِ تَغْطِيَةُ الشَّيْءِ ، وَلِذَلِكَ سَمَّوْا اللَّيْلَ كَافِرًا ؛ لِتَغْطِيَةِ ظُلْمَتِهِ مَا لَيْسَتْهُ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ ^(٣) :

فَتَذَكَّرْنَا ثِقَلًا ^(٤) رَثِيْدًا ^(٥) بَعْدَمَا أَلْقَيْتُ ذُكَاؤَ ^(٦) يَمِينِهَا فِي كَافِرٍ
وَكَمَا قَالَ لَيْيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ ^(٧) :

* فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ عَمَامُهَا *

يعنى : غَطَّاهَا .

فَكَذَلِكَ الْأَحْبَارُ مِنَ الْيَهُودِ ، غَطُّوا أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَتَمُوهُ النَّاسَ ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِنَبُوَّتِهِ وَوُجُودِهِمْ صِفَتَهُ فِي كِتَابِهِمْ ، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِمْ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) في م : « تَأْتِيهِمْ » .

(٣) هو ابن صغير المازني ، كما في المفضليات ص ١٣٠ .

(٤) الثقل : يبيض النعام المصون . اللسان (ث ق ل) .

(٥) الطعام الرثيد : المتضئد بعضه فوق بعض ، أو بعضه إلى جنب بعض . ينظر اللسان (ر ث د) .

(٦) الذُّكَاؤُ : اسم للشمس . اللسان (ذ ك و) .

(٧) شرح ديوان لبيد ص ٣٠٩ .

وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿٦﴾ [البقرة: ١٥٩] . وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .
القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

/ وتأويل ﴿ سَوَاءٌ ﴾ : معتدل . مأخوذ من التساوى ، كقولك : مُتساو هذان ١١١/١
الأمران عندى ، وهما عندى سواء . أى : هما متعادلان عندى . ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافُكَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْصِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ [الأنفال: ٥٨] . يعنى بذلك ^(١) : أغلظهم وأذنهم بالحرب ، حتى يستوى ^(٢) علمك وعلمهم بما عليه كل فريق منهم للفريق الآخر . فكذلك قوله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ : معتدل عندهم أى الأمرين كان منك إليهم ، الإنذار أم ترك الإنذار ؛ لأنهم [٣٠/١ ظ] لا يؤمنون ، وقد ختمت على قلوبهم وسمعهم . ومن ذلك قول عبد الله ^(٣) بن قيس الرقياتي ^(٤) :
تقدت ^(٥) بين الشهباء ^(٦) نخوائين جعفرٍ سواءً عليهما ليئلا ونهارها
يعنى بذلك : معتدل عندها فى السير الليل والنهار ؛ لأنه لا فتور فيه . ومنه قول الآخر ^(٧) :

(١) زيادة من : ر .

(٢) (٢ - ٢) فى ص : « عليك وعليهم » .

(٣) كذا فى النسخ . وهو مختلف فيه ، والراجح أنه عبيد الله ، وينظر البداية والنهاية ١٧٥/١٢ حاشية (٧) .

(٤) ديوانه ص ٨٢ .

(٥) فى م : « تغد » ، وهما بمعنى ، قدى الفرس : أسرع . اللسان (ق دى) .

(٦) الشبهة فى الخيل : لون يبيض ، يصدعه سواد فى خلاله . اللسان (ش ه ب) .

(٧) البيت للأعشى فى ديوانه ص ٣٧٣ . ونسبه ابن الشجرى فى الحماسة ٢/ ٧١٠ ، ٧٢٨ ، والنويرى فى

نهاية الأرب ١/ ١٤٢ ، إلى مضر بن ربيعة ، ونسبه المرزوقى فى الأزمنة والأمكنة ٢/ ٢٣٣ إلى مضر بن

لقيط ، ونسبه الحصرى فى زهر الآداب ٢/ ٧٥١ إلى ابن محكان السعدى .

وَلَيْلٍ يَقُولُ الْمَرْءُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ سَوَاءٌ صَحِيحَاتٌ^(١) الْغُيُوبِ وَغَوْرُهَا
لأن الصحيح لا يُصِرُّ فيه إلا بَصَرًا ضَعِيفًا مِنْ ظُلُمَاتِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . فإنه ظَهَرَ به الكلامُ ظهورَ
الاستفهام وهو خبرٌ ؛ لأنه وَقَعَ مَوْقِعَ « أَى » ، كما تقولُ : ما نُبَالَى أَقَمْتَ أَمْ قَعَدْتَ .
وأنت مخبرٌ لا مستفهمٌ ؛ لوقوعِ ذلك مَوْقِعَ « أَى » ، وذلك أن معناه إذا قلت ذلك :
ما نُبَالَى أَى هذين كان منك . فكذلك ذلك فى قوله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ
لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ . لما كان معنى الكلام : سواءٌ عليهم أَى هذين كان منك إليهم . حُسن
فى موضعه مع ﴿ سَوَاءٌ ﴾ : أَفَعَلْتَ أَمْ لَمْ تَفْعَلْ .

وقد كان بعضُ نحويِّى أهلِ البصرة يزعمُ أن حرفَ الاستفهامِ إنما دخلَ مع
﴿ سَوَاءٌ ﴾ وليس باستفهامٍ ؛ لأنَّ المُسْتَفْهَمَ إذا اسْتَفْهَمَ غَيْرَهُ فقال : أَرِيدُ عِنْدَكَ أَمْ^(٢)
عَمْرُو ؟ مُسْتَشَبَّهٌ صَاحِبُهُ أَيُّهُمَا عِنْدَهُ ، فليس أحدهما أحقُّ بالاستفهامِ مِنَ الْآخَرِ . فلما
كان قَوْلُهُ : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ . بمعنى التسوية ، أَشْبَهَ ذلك
الاستفهامَ ، إِذْ أَشْبَهَهُ فى التسوية . وقد يَبَيِّنُ الصَّوَابَ فى ذلك .

فتأويلُ الكلامِ إِذْنُ : معتدلٌ يا محمدُ على هؤلاء الذين جحدوا نبوتَكَ مِنْ
أَحْبَارِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهَا ، وَكَتَمُوا بَيَانَ أَمْرِكَ لِلنَّاسِ بِأَنَّكَ رَسُولُى إِلَى
خَلْقِى ، وَقَدْ أَخَذْتُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَلَّا يَكْتُمُوا ذَلِكَ ، وَأَنْ يَشِيَّتُوهُ لِلنَّاسِ ،
وَيُخْبِرُوهُمْ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ صِفَتَكَ فى كِتَابِهِمْ - أَلَّا نَذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ ، وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى الْحَقِّ ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِكَ وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ .

(١) فى ديوان الأعشى : « بصيرات » .

(٢) فى ص : « أو » .

كما حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ : أى أنهم قد كفروا بما عندهم ^(١) من ذكر ، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك ، وبما عندهم مما جاءهم به غيرك ، فكيف يسمعون منك إنذارًا وتحذيرًا وقد كفروا بما عندهم من علمك ^(٢) ؟

/ القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ . ١١٢/١
قال أبو جعفر : وأصل الختم الطَّبْع . والخاتم هو الطابَع . يقال منه : خَتَمْتُ الكتاب . إذا طَبَعْتَهُ .

فإن قال لنا قائل : وكيف يَخْتِمُ على القلوب ، وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف والغُلْف ^(٣) ؟

قيل : فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم ، وظروف لما يجعل فيها من المعارف بالأمور ^(٤) . فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع التى بها تَدْرِكُ المسموعات ، ومن قبيلها يُوصَلُ إلى معرفة حقائق الأنبياء عن المغيبات - نظير معنى الختم على سائر الأوعية والظروف .

فإن قال : فهل لذلك من صفة تصفها لنا فنفهمها أى مثل الختم الذى يُعْرِفُ ^(٥)

(١) بعده فى م : « من العلم » .

(٢) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٢٥٨ .

(٣) الغلف جمع الغلاف : وهو الصوان وما اشتمل على الشيء . اللسان (غ ل ف) .

(٤) فى ص : « بالعلوم » .

(٥) فى ر : « نعرف » .

لما ظهر للأبصار ، أم هي بخلاف ذلك ؟

قيل : قد اختلف أهل التأويل في صفة ذلك ، وسنُخبرُ بصفته بعد ذكرنا قولهم ؛ فحدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرَّمْلِيُّ ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، قال : أرانا مجاهدٌ بيده ، فقال : كانوا يُرَوْن أن القلب في مثل هذا - يعني الكف - فإذا أذنب العبدُ ذنباً ضُمَّ منه - وقال بإصبعه الخِنْصِرَ هكذا - فإذا أذنب ضُمَّ - وقال بإصبعٍ أخرى - فإذا أذنب ضُمَّ - وقال بإصبعٍ أخرى هكذا - حتى ضُمَّ أصابعه كلها . قال : ثم يُطْبَعُ عليه بطابع . قال مجاهدٌ : وكانوا يُرَوْن أن ذلك الرُّيْنُ .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : القلب مثل الكف ، فإذا أذنب ذنباً قبض إصبعاً حتى يَقْبِضَ أصابعه كلها ، وكان أصحابنا يُرَوْن أنه الران .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، قال : حدثنا ابن جريج ، قال : قال مجاهدٌ : بُيِّت أن الذنوب على القلب تحفُّ به من نواحيه حتى تلتقى عليه ، فالتقاؤها عليه الطبع ، والطبع الختم . قال ابن جريج : الختم ، الختم على القلب والسمع ^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حدثني عبد الله بن كثير أنه سَمِعَ مجاهدًا يقول : الرانُ أيسرُ من الطبع ، والطبع أيسرُ من الأقفال ، والأقفال أشدُّ ذلك كله ^(٢) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤١/١ (٩٩) من طريق حجاج به .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٧٢١٠) من طريق حجاج به .

وقال بعضهم : إنما معنى قوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ . إخبارٌ من الله جل ثناؤه عن تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دُعوا إليه من الحق ، كما يقال : إن فلانًا لأصم عن هذا الكلام . إذا امتنع من سماعه ، ورفع نفسه عن تفهمه تكبرًا .

والحق في ذلك عندى ماصحٌ بنظيره الخبر عن رسول الله ﷺ ، وهو ما حدثنا به محمد بن بشار ، قال : حدثنا صفوان بن عيسى ، قال : حدثنا ابن عجلان ، عن الققعقاع ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ ^(١) قَلْبُهُ ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تُغْلِقَ ^(٢) قَلْبُهُ ، فَذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ جَل ثناؤه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ » [المطففين : ١٤] .

١١٣/١

فأخبر ﷺ أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ^(٣) ، وإذا أغلقتها ^(٣) أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر منها مخلص ، فذلك هو الطبع . والختم الذى ذكره الله تبارك وتعالى فى قوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ . نظير الطبع والختم على ما تدرّكه الأبصار من الأوعية والظروف التى لا يوصل إلى ما فيها إلا بفرض ذلك عنها ثم حلّها ، فكذلك لا يصل الإيمان [١ / ٣١ و] إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم إلا بعد فضّه خاتمته ، وحلّه رباطه عنها .

ويقال لقائلى القول الثانى ، الزاعمين أن معنى قوله جل ثناؤه : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى

(١) سقط من : ت ٢ ، وفى ص ، ر : « صقلت » .

(٢) فى ص : « يغلق » ، وفى م : « يغلف » .

(٣) فى م : « أغلقتها » .

قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴿١﴾ . هو وصفهم بالاستكبار والإعراض عن الذى دُعوا إليه من الإقرار بالحق تكبيرا : أَخْبِرُونَا عَنْ اسْتِكْبَارِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ بهذه الصفة ، وإعراضهم عن الإقرار بما دُعوا إليه من الإيمان وسائر المعانى اللواحق به ، أَفَعَلَّ مِنْهُمْ أَمْ فَعَلَّ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ بِهِمْ ^(١) ؟

فَإِنْ زَعَمُوا أَنَّ ذَلِكَ فَعَلَّ مِنْهُمْ - وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ - قِيلَ لَهُمْ : فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَتَمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ ، وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِعْرَاضُ الْكَافِرِ عَنِ الْإِيمَانِ ، وَتَكْبِيرُهُ عَنِ الْإِقْرَارِ بِهِ ، وَهُوَ فَعَلُّهُ عِنْدَكُمْ ، خَتَمًا مِنَ اللَّهِ عَلَى قَلْبِهِ وَسَمْعِهِ ، وَخَتَمُهُ عَلَى قَلْبِهِ وَسَمْعِهِ فَعَلَّ اللَّهُ ^(٢) جَلَّ ذِكْرُهُ دُونَ فَعَلِّ الْكَافِرِ . فَإِنْ زَعَمُوا أَنَّ ذَلِكَ جَازٍ ^(٣) أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ لِأَن تَكْبِيرَهُ وَإِعْرَاضَهُ كَانَا عَنْ خَتَمِ اللَّهِ عَلَى قَلْبِهِ وَسَمْعِهِ ، فَلَمَّا كَانَ الْخَتْمُ سَبَبًا لِذَلِكَ جَازَ أَنْ يُسَمَّى مُسَبِّبُهُ بِهِ - تَرَكَوا قَوْلَهُمْ ، وَأَوْجَبُوا أَنَّ الْخَتْمَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِ وَأَسْمَاعِهِمْ مَعْنَى غَيْرِ كَفْرِ الْكَافِرِ ، وَغَيْرِ تَكْبِيرِهِ وَإِعْرَاضِهِ عَنْ قَبُولِ الْإِيمَانِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ ، وَذَلِكَ الدَّخُولُ ^(٤) فِيمَا أَنْكَرُوهُ .

وهذه الآية مِنْ أَوْضَحِ الدَّلِيلِ ^(٥) عَلَى فَسَادِ قَوْلِ الْمُنْكَرِينَ تَكْلِيفَ مَا لَا يُطَاقُ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِ صِنْفٍ مِنْ كَفَارِ عِبَادِهِ وَأَسْمَاعِهِمْ ، ثُمَّ لَمْ يُشَقِّطِ التَّكْلِيفَ عَنْهُمْ ، وَلَمْ يَضَعْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَرَائِضَهُ ، وَلَمْ يُعْذِرْهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا كَانَ مِنْهُ مِنْ خِلَافِ طَاعَتِهِ بِسَبَبِ مَا فَعَلَ بِهِ مِنَ الْخَتْمِ

(١) سقط من : ص .

(٢) فى ص : « لله » .

(٣) فى ص ، م : « جائز » .

(٤) فى م : « دخول » .

(٥) فى ر ، م : « الدلالة » .

والطبع على قلبه وسمعه ، بل أخبر أن لجميعهم منه عذاباً عظيماً على تركهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه من حدوده وفرائضه ، مع حتمه القضاء عليهم مع ذلك أنهم ^(١) لا يؤمنون .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَعَلَىٰ أَنْبَرِهِمْ غَشَوَةٌ ﴾ .

قال أبو جعفر : وقوله : ﴿ وَعَلَىٰ أَنْبَرِهِمْ غَشَوَةٌ ﴾ . خبرٌ مبتدأٌ بعد تمام الخبر عمّا ختم الله عليه من جوارح الكفار الذين مَضَتْ قصصُهم ، وذلك أنَّ ﴿ غَشَوَةٌ ﴾ مرفوعةٌ بقوله : ﴿ وَعَلَىٰ أَنْبَرِهِمْ ﴾ . فذلك دليلٌ على أنه خبرٌ مبتدأٌ ، وأن قوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ . قد تناهى عند قوله : ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ . وذلك هو القراءة الصحيحة عندنا لمُعَنَيْنِ :

أحدهما : اتفاقُ الحُجَّةِ مِنَ الْقِرَاءَةِ والعلماءِ على الشهادة بتصحیحها ، وانفراد المخالف لهم في ذلك ، وشذوذُه عمّا هم على تَخْطِئَتِهِ مجمعون ، وكفى بإجماع الحُجَّةِ على تَخْطِئَةِ قِرَاءَةٍ ^(٢) شاهداً على خطئها .

والثاني : أن الختم غيرُ موصوفٍ به العيونُ في شيءٍ من كتابِ اللَّهِ ^(٣) ، ولا في

خبرٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولا موجودٍ في لغةٍ أحدٍ من العرب ، وقد قال الله جل ثناؤه

في سورةٍ أخرى : ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ ^(٤)

غَشَوَةٌ ﴾ [الحائية : ٢٣] . فلم يُدْخِلِ البَصَرَ في معنى الختم ، وذلك هو المعروف في ^(٥)

كلامِ العرب ، فلم يَجْزُ لنا ولا لأحدٍ من الناسِ القراءةُ بنصبِ الغشاوة ^(٥) ؛ لما وصفتُ

(١) في م : « بأنهم » .

(٢) في م : « قراءته » .

(٣) زيادة من : م .

(٤) في ص : « من » .

(٥) وينصب الغشاوة قرأ المفضل عن عاصم . السبعة لابن مجاهد ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

من العِلَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْتُ ، وإن كان لنصبها مَخْرَجٌ معروفٌ في العربية .

وبما قلنا في ذلك من القولِ والتأويلِ رَوَى الخُبَرُ عن ابنِ عباسٍ .

حدَّثني محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمي الحسينُ بنُ الحسنِ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ : والغشاوةُ على أبصارِهِمْ ^(١) .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ مَخْرَجِ النَّصْبِ فيها ؟

قيل له : ^(٢) « أَنْ تَنْصِبَهَا » بإضمارِ « جَعَلَ » ، كأنه قال : وجعل على أبصارِهِمْ غشاوةً . ثم أسقط « جَعَلَ » ، إذ كان في أولِ الكلامِ ما يدلُّ عليه . وقد يَحْتَمِلُ نصبُها على إتباعِها موضعَ السمعِ ، إذ كان مَوْضِعُهُ نصبًا ، وإن لم يكن حسنًا إعادةُ العاملِ فيه على ﴿ غِشَاوَةٌ ﴾ ولكن على إتباعِ الكلامِ بعضُه بعضًا ، كما قال : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴾ . ثم قال : (وفاكهةٌ مما يتخيرون * ولحم طيرٍ مما يشتهون * ^(٣) وَخُورٍ عَيْنٍ ^(٤)) [الواقعة : ١٧ - ٢٢] . فحَفِضَ اللحمَ والخورَ العينَ ^(٥) على العطفِ به على الفاكهةِ ؛ إتباعًا لآخرِ الكلامِ أولَه . ومعلومٌ أن اللحمَ لا يُطافُ به ولا بالخورِ العينِ ^(٦) ، ولكن ذلك ^(٧) كما قال الشاعرُ يصفُ فرسه ^(٨) :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤١/١ (١٠٠) عن محمد بن سعد به .

(٢ - ٢) في ر ، ت ٢ : « أَنْ يَنْصِبَهَا » ، وفي م : « أَنْ نَصِبَهَا » .

(٣ - ٣) ضبطهما في النسخة : « ر » بالرفع وبالخفض ، والخفض شاهد المصنف ، وهو قراءة حمزة والكسائي ، ورواية المفضل عن عاصم ، وقرأ الباقون بالرفع . السبعة لابن مجاهد ص ٦٢٢ .

(٤) سقط من : ص ، م .

(٥) سقط من : ص .

(٦) معاني القرآن للفراء ١٤/١ وقال : أنشدني بعض بني أسد يصف فرسه . وفي الخزانة ٣/١٣٩ ، ١٤٠ :

ولا يعرف قائله ، ورأيت في حاشية نسخة صحيحة من الصحاح أنه لذي الرمة ، ففتشت ديوانه فلم أجده فيه .

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَتَّتْ ^(١) هَمَّالَةً ^(٢) عَيْنَاهَا
ومعلوم أن الماء يُشْرِبُ ولا يُغْلَفُ ^(٣) ، ولكنه نصب ذلك على ما وصفت قبل .
وكما قال الآخر ^(٤) :

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا
وكان ابنُ جُريجٍ يقولُ في انتهاء الخبرِ عن الختمِ إلى قوله : ﴿ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾
وابتداءِ الخبرِ بعده - بمثلِ الذى قلنا فيه ، ويتأوَّلُ فيه من كتابِ اللَّهِ : ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ
يَخْتَرْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ [الشورى : ٢٤] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجُ ، قال : حدَّثنا ابنُ
جُريجٍ ، قال : الختمُ على القلبِ والسمعِ ، والغشاوةُ على البصرِ ، قال اللَّهُ تعالى
ذِكْرُهُ : ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يَخْتَرْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ . وقال : ﴿ وَخَمَّ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى
بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ ^(٥) .

والغشاوةُ فى كلامِ العربِ الغطاءُ ، ومنه قولُ الحارثِ بنِ خالدٍ بنِ
العاصِ ^(٦) :

تَبَعْتُكَ ^(٧) إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَلُومَهَا

(١) شتا بالمكان : إذا أقام به شتاء . اللسان (ش ت و) .

(٢) هملت العين : فاضت وسالت . اللسان (ه م ل) .

(٣) بعده فى م : « به » .

(٤) تقدم فى ص ١٤٠ .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧١/١ عن المصنف .

(٦) شعر الحارث بن خالد ص ١٠١ .

(٧) فى شعر الحارث : « صحبتك » .

ومنه يقال : تغشائي^(١) اللهم . إذا تجلله وركبه . ومنه قول نابغة بنى ذبيان^(٢) :
هَلَّا سَأَلْتِ بَنَى ذُبْيَانَ مَا حَسْبِي إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الْأَشْمَطَ الْبَرْمَا^(٣)
يعنى بذلك^(٤) : تجلله وخالطه .

ولما أخبر الله تعالى ذكره نبيه ﷺ عن الذين [٣١/١] كفروا به من أحبار اليهود ، أنه قد ختم على قلوبهم وطبع عليها ، فلا يعقلون لله موعظة وعظم بها ،
١١٥/١ فيما آتاهم من علم / ما عندهم من كتبه ، وفيما حدد في كتابه الذى أوحاه وأنزله إلى
نبيه محمد ﷺ ، وعلى سمعهم ، فلا يسمعون من محمد نبي الله ﷺ تحذيرا ولا
تذكيرا ، ولا حجة أقامها عليهم بنبوته ، فيتذكروا ويحذروا عقاب الله في تكذيبهم
إياه ، مع علمهم بصدق وصحة أمره . وأعلمه مع ذلك أن على أبصارهم غشاوة
عن^(٥) أن ينصروا سبيل الهدى ، فيعلموا قبيح^(٦) ما هم عليه من الضلالة والرذى .
وبنحو ما قلنا فى ذلك روى الخبر عن جماعة من أهل التأويل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن
أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس :
﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ . أى : عن الهدى أن
يُصيبوه أبدا^(٧) بغير ما^(٧) كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك ، حتى يؤمنوا

(١) فى م : « تغشاه » .

(٢) ديوانه ص ١٠٦ .

(٣) البرم : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر . اللسان (ب ر م) .

(٤) بعده فى م : « إذا » .

(٥) فى ص : « من » .

(٦) فى ص ، م : « قبح » .

(٧ - ٧) فى سيرة ابن هشام : « يعنى بما » .

به ، وإن آمنوا بكل ما كان قبلك ^(١) .

حدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن الشَّدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ . يقول : فلا يَعْقِلُونَ ولا يَسْمَعُونَ . ويقول : وجعل على أبصارهم غشاوة . يقول : على أعينهم فلا يُبْصِرُونَ ^(٢) .

وأما آخرون ، فإنهم كانوا يتأولون أنَّ الذين أختبر الله عنهم من الكفار أنه فعل ذلك بهم هم قادة الأحزاب الذين قُتِلوا يوم بدر .

حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : هاتان الآيتان إلى قوله ^(٣) : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ هم ﴿ الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ [إبراهيم : ٢٨] . وهم الذين قُتِلوا يوم بدر ، فلم يَدْخُلْ مِنَ الْقَادَةِ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا رَجُلَانِ ؛ أَبُو سَفْيَانَ ، وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ ^(٤) .

حدثت عن عمار بن الحسين ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع

(١) سيرة ابن هشام ٥٣١/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤١/١ (٩٤) من طريق سلمة به ، وتقديم طرف منه في ص ٢٥٨ ، وسيأتي تمامه في ص ٢٧٤ .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٧١/١ عن السدي به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٢٩/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤١/١ ، ٤٢ (٩٥ ، ١٠١) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي من قوله . وينظر تفسير الثوري ص ٤١ .

(٣) زيادة من : ر .

(٤) تقدم في ص ٢٥٩ من طريق آخر عن ابن أبي جعفر به . (تفسير الطبري ١٨/١)

ابن أنس ، عن الحسن ، قال : أما القادة فليس فيهم نجيث ^(١) ، ولا ناج ، ولا مهتد .
وقد دللنا فيما مضى على أولى هذين التأويلين بالصواب فكرهنا إعادته .
القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .
وتأويل ذلك عندى كما قاله ابن عباس وتأوله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي
محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس :
ولهم بما هم عليه من خلافك عذاب عظيم . قال : فهذا في الأخبار من يهود فيما
كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك بعد معرفتهم ^(٢) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ
الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

/ قال أبو جعفر : أما قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾ فإن فى ^(٣) ﴿ النَّاسِ ﴾ وجهين ؛
أحدهما : أن يكون جمعا لا واحدا له من لفظه ، وإنما واحد هم ^(٤) إنسان وواحدتهم ^(٥)
إنسانية . والوجه الآخر : أن يكون أصله « أناس » ، أسقطت ^(٦) الهمزة منها لكثرة
الكلام بها ، ثم ^(٧) دخلتها الألف واللام المعرفتان ، فأدغمت ^(٨) اللام التى دخلت مع

١١٦/١

(١) فى م : « مجيب » .

(٢) تقدم طرف منه فى ص ٢٧٢ .

(٣) فى ر : « من » .

(٤) فى م : « واحده » .

(٥) فى م : « واحدته » .

(٦) فى ص : « وأسقطت » .

(٧) فى ص ، ر ، ت ٢ : « إذ » .

(٨) فى ر ، ت ٢ : « فاندغمت » .

الألف فيها للتعريف في النون، كما قيل في^(١): ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾
[الكهف: ٣٨]. على ما قد يثبت في اسم الله الذي هو الله^(٢).

وقد زعم بعضهم أن «الناس» لغة غير «أناس»، وأنه سمي العرب تُصَغَّرُهُ
«نُؤَيْسٌ» من الناس، وأن الأصل لو كان «أناس» لقل في التصغير: «أُنَيْسٌ». فزُدَ
إلى أصله.

قال أبو جعفر: وأجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من
أهل النفاق، وأن هذه الصفة صفتهم.

ذكر بعض^(٣) من قال ذلك من أهل التأويل بأسمائهم

حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن
محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبيرة، عن
ابن عباس: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾:
يعني المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم^(٤).

وقد سُمي في حديث ابن عباس هذا أسماؤهم^(٥)، غير أني تركت تسميتهم
كراهة إطالة الكتاب بذكرهم.

حدثنا الحسن^(٦) بن يحيى، قال: أنبأنا عبد الرزاق، قال: أنبأنا معمر، عن قتادة

(١) زيادة من: م.

(٢) ينظر ما تقدم في ص ١٢٤.

(٣) سقط من: ص.

(٤) سيرة ابن هشام ٥٣١/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٢/١ (١٠٤) من طريق سلمة به.

(٥) بعده في م: «عن أبي بن كعب».

(٦) في م، ت ٢: «الحسين».

فى قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ .
حتى بلغ : ﴿فَمَا رِيحَت بِجَنَّتِهِمْ وَمَا كَانُوا لَهُمْ جَنَّتِينَ﴾ . قال : هذه فى
المنافقين ^(١) .

حدثنا محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن
ميمون ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هذه الآية إلى ثلاث
عشرة فى نعت المنافقين ^(٢) .

حدثنى الثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ،
عن مجاهد مثله ^(٣) .

حدثنا سفيان ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد مثله .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن
الشدي فى خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ،
عن ^(٤) ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ
ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ : هم المنافقون ^(٥) .

حدثنى الثنى ، قال : حدثنا إسحاق ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع
ابن أنس فى قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ﴾ إلى :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٥٠/١ (١٥٦) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٢٤٥ .

(٣) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ١٣ من طريق أبي حذيفة ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح به .

(٤) فى م : « وعن » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبي حاتم فى

تفسيره ٤٢/١ عقب الأثر (١٠٥) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ . قال : هؤلاء أهل النفاق^(١) .

حدثنا [٣٢/١] القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج في قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ١١٧/١ قال : هذا المنافق ، يخالف قوله فعله ، وسره علانيته ، ومدخله مخرجه ، ومشهده مغيبه^(٢) .

وتأويل ذلك أن الله تبارك وتعالى لما جمع لرسوله محمد ﷺ أمره في دار هجرته ، واستقر بها قراؤه ، وأظهر الله بها كلمته ، وفشا في دور أهلها الإسلام ، وقهر بها المسلمون من فيها من أهل الشرك من عبدة الأوثان ، وذلل بها من فيها من أهل الكتاب - أظهر أحوار يهودها لرسول الله ﷺ الضغائن ، وأبدوا له العداوة والشنآن^(٣) ، حسدا وبغيا ، إلا نفرًا منهم هداهم الله للإسلام فأسلموا ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة : ١٠٩] . وطابقتهم سرًا على معاداة النبي ﷺ وأصحابه وبغيتهم الغوائل^(٤) - قوم من أراهم^(٥) الأنصار الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه ، كانوا^(٦) قد عسوا^(٧) في شركهم وجاهليتهم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٢/١ (١٠٥) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٧٢/١ عن ابن جريج به .

(٣) في ص : « الشنار » . والشنآن : البغض . اللسان (ش ن أ) .

(٤) الغوائل : الدواهي . اللسان (غ و ل) .

(٥) الأراهم جمع الرهط : ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة . اللسان (ر ه ط) .

(٦) في م : « وكانوا » .

(٧) في م : « عتوا » .

قد سئوا لنا بأسمائهم ، كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم وأنسابهم ، وظاهرهم على ذلك في خفاء غير جهار ؛ حذار القتل على أنفسهم والسبب من رسول الله ﷺ وأصحابه ، وركونا إلى اليهود ، لما هم عليه من الشرك وسوء البصيرة بالإسلام . فكانوا إذا لقوا رسول الله ﷺ وأهل الإيمان به من أصحابه ، قالوا لهم حذارا على أنفسهم : إنا مؤمنون بالله وبرسوله وبالبعث . وأعطوهم بألستهم كلمة الحق ليتذروا عن أنفسهم حكم الله في من اعتقد ما هم عليه مقيمون من الشرك ، لو أظهروا بألستهم ما هم معتقدوه من شركهم ، وإذا لقوا إخوانهم من اليهود وأهل الشرك والتكذيب بمحمد ﷺ وبما جاء به ، فخلوا بهم : ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ . فإياهم عنى جل ذكره بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . يعنى بقوله تعالى خبرا عنهم : ﴿ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ : صدقنا^(١) بالله .

وقد دللنا على أن معنى الإيمان التصديق ، فيما مضى من كتابنا هذا قبل^(٢) .

وقوله : ﴿ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ ﴾ . يعنى بالبعث يوم القيامة ، وإنما سُمي يوم القيامة اليوم الآخر ؛ لأنه آخر يوم ، لا يوم بعده سواه .

فإن قال قائل : وكيف لا يكون بعده يوم ، ولا انقطاع للآخرة ولا فناء ولا زوال ؟

قيل : إن اليوم عند العرب إنما يُسمَّى يوما بليته التي قبله ، فإذا لم يتقدم النهار ليل لم يُسمَّ يوما . فيوم القيامة يوم لا ليل^(٣) بعده ، سوى الليلة التي قامت في

(١) في م : « وصدقنا » .

(٢) زيادة من : ر . وينظر ما تقدم في ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٣) بعده في ص ، م : « له » .

صبيحتها القيامة ، فذلك اليوم هو آخر الأيام ، ولذلك سمّاه الله جلّ ثناؤه اليوم الآخر ، ونعته بالعقيم^(١) ، ووصفه بأنه يوم عقيم^(٢) ؛ لأنه لا ليل بعده .

وأما تأويل قوله : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . ونفيه عنهم جلّ ذكره اسم الإيمان ، وقد أخبر عنهم أنهم قد قالوا بالسنتهم : ﴿ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا الْآخِرِ ﴾ . فإن ذلك من الله جلّ ذكره تكذيب لهم فيما أخبروا عن اعتقادهم من الإيمان بقلوبهم^(٣) ، والإقرار بالبعث ، وإعلام منه نبيه ﷺ أن الذي يُتدونه له بأفواههم خلاف ما فى ضمائر قلوبهم ، وضد ما فى عزائم نفوسهم .

وفى هذه الآية دلالة واضحة على بطول مازعمته الجهمية^(٤) أن الإيمان هو التصديق بالقول دون سائر المعانى غيره ، وقد أخبر الله جلّ ذكره عن الذين ذكرهم / فى كتابه من أهل النفاق أنهم قالوا بالسنتهم : ﴿ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا الْآخِرِ ﴾ . ثم نفى عنهم أن يكونوا مؤمنين ، إذ كان اعتقادهم غير مُصدق قيلهم ذلك . وقوله : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . يعنى : بمصدقين بما^(٥) يزعمون أنهم به مُصدقون . القول فى تأويل قوله جلّ ثناؤه : ﴿ يُخَذِّلُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ .

قال أبو جعفر : وخداع المنافق ربّه والمؤمنين إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذى فى قلبه من الشك والتكذيب ؛ ليذراً عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم

(١) فى ص ، م : « بالعقيم » .

(٢) يشير إلى قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج : ٥٥] .

(٣) زيادة من : ر .

(٤) بعده فى ص ، م : « من » .

(٥) فى ر ، م : « فيما » .

اللَّهِ الْإِزَامَ مَنْ كَانَ بِمِثْلِ حَالِهِ مِنَ التَّكْذِيبِ ، لَوْ لَمْ يُظْهِرْ بِلْسَانِهِ مَا أَظْهَرَ مِنَ التَّصْدِيقِ
وَالْإِقْرَارِ - مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبَاءِ ، فَذَلِكَ خِدَاعُهُ رَبَّهُ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ يَكُونُ الْمُنَافِقُ لِلَّهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مَخَادِعًا ، وَهُوَ لَا يُظْهِرُ
بِلْسَانِهِ خِلَافَ مَا هُوَ لَهُ مُعْتَقِدٌ إِلَّا تَقِيَّةً ؟

قِيلَ : لَا تَمْتَنِعُ الْعَرَبُ ^(١) أَنْ تُسَمَّى مَنْ أُعْطِيَ بِلْسَانِهِ غَيْرَ ^(٢) الَّذِي هُوَ فِي ضَمِيرِهِ
تَقِيَّةٌ - لِيَنْجُوَ مَا هُوَ لَهُ خَائِفٌ ، فَنَجَا بِذَلِكَ مِمَّا خَافَهُ - مَخَادِعًا لِمَنْ تَخَلَّصَ مِنْهُ بِالَّذِي
أَظْهَرَ لَهُ مِنَ التَّقِيَّةِ ، فَكَذَلِكَ الْمُنَافِقُ ، سُمِّيَ مَخَادِعًا لِلَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، بِإِظْهَارِهِ
مَا أَظْهَرَ بِلْسَانِهِ تَقِيَّةً ، مِمَّا تَخَلَّصَ بِهِ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبَاءِ فِي ^(٣) الْعَاجِلِ ، وَهُوَ لَغَيْرِ مَا أَظْهَرَ
مُسْتَبْطِنٌ ، وَذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِ وَإِنْ كَانَ خِدَاعًا لِلْمُؤْمِنِينَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا ، فَهُوَ لِنَفْسِهِ
بِذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِ خَادِعٌ ؛ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ لَهَا بِفَعْلِهِ ذَلِكَ بِهَا أَنَّهُ يُعْطِيهَا أَمْنِيَّتَهَا ، وَيُسْقِيهَا
كَأْسَ سُرُورِهَا ، وَهُوَ ^(٤) مُورِدُهَا بِهِ حِيَاضَ عَطَبِهَا ، وَمُجَرِّعُهَا بِهِ كَأْسَ عَذَابِهَا ،
وَمُذْيِقُهَا ^(٥) مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ مَا لَا قِبَلَ لَهَا بِهِ ، فَذَلِكَ خَدِيعَتُهُ نَفْسَهُ ، ظَنًّا
مِنْهُ - مَعَ إِسَاءَتِهِ إِلَيْهَا فِي أَمْرِ مَعَادِهَا - أَنَّهُ إِلَيْهَا مُحْسِنٌ ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَمَا
يَخْدَعُونَ ^(٦) إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ . إِعْلَامًا مِنْهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ

(١) بعده في ص : « من » .

(٢) في ر : « خلاف » .

(٣) في ص ، م : « والعذاب » .

(٤) سقط من : م .

(٥) في ر : « مزيدها » ، وفي ت ١ : « مزيرها » ، وفي ت ٢ : « مزيرها » ، وغير منقوطة في ص ، وفي تفسير
ابن كثير ٧٤/١ نقلا عن المصنف : « مزيرها » ، وكذا استصوبها الشيخ شاكِر في تعليقه على تفسير الطبري .

(٦) في ص : « يخادعون » . وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو . وقرأ عاصم وابن عامر وحزمة والكسائي
كالثبوت . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٣٩ . وسيأتي كلام المصنف على هاتين القراءتين في ص ٢٨٣ وما
بعدها . وينظر أيضا حجة القراءات ص ٨٧ .

بإساءتهم إلى أنفسهم ، و^(١) إسخاطهم عليهم^(٢) ربهم ، بكفرهم وشكهم وتكذيبهم ، غير شاعرين ولا دارين ، ولكنهم على غمياء من أمرهم مقيمون .
وبنحو ما قلنا في [٣٢/١ ط] تأويل ذلك كان ابن زيد يقول .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سألت عبد الرحمن بن زيد عن قول الله عز وجل : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ إلى آخر الآية . قال : هؤلاء المنافقون يُخَادِعُونَ اللَّهَ ورسوله والذين آمنوا ، أنهم مؤمنون بما أظهروا^(٣) .

وهذه الآية من أوضح الدليل على تكذيب الله قول^(٤) الزاعمين أن الله لا يُعَذِّبُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا مَنْ كَفَرَ بِهِ عُنَادًا ، بعد علمه بوجدانيته ، وبعد تقرير صحة ما عاند ربه عليه من توحيده ، والإقرار بكثبه ورسله عنده^(٥) ؛ لأن الله جل ثناؤه قد أخبر عن الذين وصفهم بما وصفهم به من النفاق ، وخداعهم إياه والمؤمنين ، أنهم لا يشعرون أنهم مُبْطِلُونَ فيما هم عليه من الباطل مقيمون ، وأنهم بخداعهم الذي يحسبون أنهم به يُخَادِعُونَ رَبَّهُمْ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ - مخدوعون . ثم أخبر جل ذكره أن لهم عذابًا أليمًا بتكذيبهم^(٦) بما كانوا يكذبون من نبوة نبيه ﷺ ، واعتقاد الكفر به ، وبما كانوا يكذبون في زعيمهم أنهم مؤمنون ، وهم على الكفر مُصْرُونَ .

/ فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْمَفَاعِلَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ فَاعِلَيْنِ ، ١١٩/١

(١) في ص ، م : « في » .

(٢) سقط من : م .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف ، وسيأتي تمامه ص ٢٨٦ .

(٤) سقط من : ص .

(٥) في ص : « عنه » .

(٦) سقط من : ر .

كقولك : ضاربُ أخاك ، وجالِسُ أباك . إذا كان كلُّ واحدٍ منهما^(١) مجالسَ صاحبه ومضاربه ، فأما إذا كان الفعلُ من أحدهما فإنما يقال : ضربتُ أخاك . أو^(٢) : جلستُ إلى أبيك . فمن خادع المنافق فجاز أن يقال فيه : يُخادِعُ^(٣) اللهَ والمؤمنين ؟

قيل : قد قال بعضُ المنسويين إلى العلم بلغاتِ العرب^(٤) : إن ذلك حروفٌ جاء بهذه الصورة ، أعنى « يُخادِعُ » بصورة « يُفاعِلُ » ، وهو بمعنى « يَفْعَلُ » ، في حروفِ أمثالها شاذةٌ من منطقي العرب ، نظير قولهم : قاتَلَكَ اللهُ . بمعنى : قَتَلَكَ اللهُ .

وليس القولُ في ذلك عندى كالذى قال ، بل ذلك من التفاعِلِ^(٥) الذى لا يكونُ إلا من اثنين ، كسائر ما يُعرفُ من معنى « يُفاعِلُ ومُفاعِلُ » فى كلِّ كلامِ العربِ . وذلك أن المنافقَ يُخادِعُ اللهَ جلَّ ثناؤه بكذبه بلسانه - على ما قد تقدّم وصفه - واللهُ خادِعُه بخذلانه عن حسنِ البصيرة بما فيه نجاةُ نفسه فى أجلٍ معاده ، كالذى أخبرَ فى قوله : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ [آل عمران : ١٧٨] . وبالمعنى الذى أخبر أنه فاعلٌ به فى الآخرة بقوله : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِمِمْ فِي ثُورِكُمْ ﴾ [الحديد : ١٣] الآية . فذلك نظيرُ سائر ما يأتى من معانى الكلامِ بـ « يُفاعِلُ ومُفاعِلُ » .

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « و » .

(٣) فى ص ، م : « خادع » .

(٤) يعنى أباً عبيدة فى مجاز القرآن ١ / ٣١ .

(٥) فى ر ، ت ٢ : « المفاعل » .

(٦) فى ر ، ت ٢ : « تحسبن » . بالتاء ، وتنظر هاتان القراءتان فى موضعهما من التفسير .

وقد كان بعض أهل النحر من أهل البصرة يقول : لا تكون المفاعلة إلا من شيئين ، ولكنه إنما قيل : ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾ عند أنفسهم بظنهم ألا يُعَاقَبُوا ، فقد علموا خلاف ذلك في أنفسهم ، بحجة الله جلّ وعزّ الواقعة على خلقه بمعرفته ، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ قال : وقد قال بعضهم : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾^(١) . يقول : يَخْدَعُونَ أنفسهم بالتَّخْلِيَةِ^(٢) بها ، وقد تكون المفاعلة من واحد في أشياء كثيرة .

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾^(٣) إِلَّا أَنْفُسَهُمْ .

إن قال لنا قائلٌ : أو ليس المنافقون قد خدعوا المؤمنين بما أظهرُوا بألسنتهم من قيل الحق - عن أنفسهم وأموالهم وذرائعهم حتى سلّمت لهم دنياهم ، وإن كانوا قد كانوا مَخْدُوعِينَ في أمرٍ آخرتهم ؟

قيل : خطأ أن يقال : إنهم خدعوا المؤمنين . لأننا إذا قلنا ذلك أوجبنا لهم حقيقة خدعة جازت^(٤) لهم على المؤمنين . كما أننا لو قلنا : قتل فلان فلاناً . أوجبنا له حقيقة قتل كان منه لفلان ، ولكننا نقول : خادع المنافقون ربهم^(٥) والمؤمنين ولم يَخْدَعُوهم ، بل خدعوا أنفسهم - كما قال الله جلّ ثناؤه - دون غيرها . نظير ما تقول في رجل قاتل آخر فقتل نفسه ولم يقتل صاحبه : قاتل فلان فلاناً ولم يقتل إلا نفسه . فتوجب له مقاتلة صاحبه ، وتنفى عنه قتله صاحبه ، وتوجب له قتل نفسه . فكذلك تقول : خادع المنافق ربّه والمؤمنين فلم

(١) بعده في ر : « به » .

(٢) في ر ، ت ٢ : « بالتخلية » .

(٣) في ص : « يخادعون » .

(٤) في م : « جاءت » .

(٥ - ٥) في ص : « المؤمنون لم » .

يَخْدَعُ إِلَّا نَفْسَهُ . فَتَنِّيَتْ مِنْهُ خِدَاعُهُ ^(١) رَبُّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَتَنَفَّى ^(٢) أَنْ يَكُونَ خَدَعٌ غَيْرَ
نَفْسِهِ ؛ لِأَنَّ الْخَادِعَ هُوَ الَّذِي قَدْ صَحَّتْ لَهُ الْخَدِيعَةُ وَوَقَعَ مِنْهُ فَعْلُهَا ، وَالْمَنَافِقُونَ لَمْ
يَخْدَعُوا غَيْرَ أَنْفُسِهِمْ ؛ لِأَنَّ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ ، فَلَمْ يَكُنِ الْمُسْلِمُونَ مَلَكَوهُ
عَلَيْهِمْ فِي حَالِ خِدَاعِهِمْ إِيَّاهُمْ ^(٣) عَنْهُ بِنِفَاقِهِمْ وَلَا قَبْلَهَا ، فَيَسْتَتِيقِدُوهُ ^(٤) بِخِدَاعِهِمْ
مِنْهُمْ ، وَإِنَّمَا دَافَعُوا عَنْهُ بِكَذِبِهِمْ وَإِظْهَارِهِمْ بِالْأَسْتِيقَةِ غَيْرِ الَّذِي فِي ضَمَائِرِهِمْ ،
وَبِحُكْمِ ^(٥) اللَّهِ لَهُمْ فِي أُمُورِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَذُرَارِيَّتِهِمْ فِي ظَاهِرِ أُمُورِهِمْ بِحُكْمٍ مَا
اتَّسَبَوْا إِلَيْهِ مِنَ الْمَلَّةِ ، وَاللَّهُ بِمَا يُخْفُونَ مِنْ أُمُورِهِمْ عَالِمٌ ، وَإِنَّمَا الْخَادِعُ مَنْ خَتَلَ ^(٦) غَيْرَهُ
عَنْ شَيْئِهِ وَالْمَخْدُوعُ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَوْضِعِ خَدِيعَةِ خَادِعِهِ . فَأَمَّا وَالْخَادِعُ عَارِفٌ بِخِدَاعِ
صَاحِبِهِ إِيَّاهُ ، وَ ^(٧) غَيْرُ لَاحِقِهِ / مِنْ خِدَاعِهِ إِيَّاهُ مَكْرُوءٌ ، بَلْ إِنَّمَا يَتَجَافَى لِلظَّانِّ بِهِ أَنَّهُ لَهُ
مَخَادِعٌ ؛ اسْتِذْرَاجًا لِيَبْلُغَ غَايَةَ تِكْأَمَلُ لَهُ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ لِلْعُقُوبَةِ الَّتِي هُوَ بِهِ ^(٨) مُوقِعٌ عِنْدَ
بَلُوغِهِ إِيَّاهَا ، وَالْمُسْتَدْرِجُ غَيْرُ عَالِمٍ بِحَالِ نَفْسِهِ عِنْدَ مُسْتَدْرِجِهِ ، وَلَا عَارِفٌ بِأَطْلَاعِهِ
عَلَى ضَمِيرِهِ ، وَأَنَّ إِمْهَالَ مُسْتَدْرِجِهِ ^(٩) إِيَّاهُ ، وَتَرْكُهُ مُعَاجَلَةَ عَقُوبَتِهِ ^(١٠) عَلَى
جُرْمِهِ ؛ لِيَبْلُغَ الْمَخَاتِلُ الْمَخَادِعُ مِنْ اسْتِحْقَاقِهِ عُقُوبَةَ مُسْتَدْرِجِهِ - بِكَثْرَةِ
إِسْأَتِهِ ، ^(١١) وَطَوِيلِ عَصْيَانِهِ إِيَّاهُ ، وَكَثْرَةِ صَفْحِ الْمُسْتَدْرِجِ ^(١٢) ، وَطَوِيلِ عَفْوِهِ عَنْهُ -
أَقْصَى غَايَةٍ ، فَإِنَّمَا هُوَ خَادِعٌ نَفْسَهُ لَاشْكُ ، دُونَ مَنْ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ أَنَّهُ لَهُ مَخَادِعٌ ،

١٢٠/١

(١) فِي م : «مَخَادَعَةٌ» .

(٢) بَعْدَهُ فِي م : «عَنْهُ» .

(٣) فِي م : «إِيَّاهُ» .

(٤) فِي ص : «فَيَسْتَبْعِدُوهُ» .

(٥) فِي م : «يَحْكُمُ» . وَغَيْرُ مَنْقُوطَةٍ فِي ر ، ت ٢ .

(٦) خَتَلَ : خَدَعَ عَنْ غَفْلَةٍ . اللَّسَانُ (خ ت ل) .

(٧) سَقَطَ مِنْ : ص .

(٨) فِي م : «بِهَا» .

(٩ - ٩) فِي م : «وَتَرْكُهُ إِيَّاهُ مُعَاقِبَتُهُ» .

(١٠ - ١٠) سَقَطَ مِنْ : ص .

ولذلك نفى الله جل ثناؤه عن المنافق أن يكون خدع غير نفسه ، إذ كانت الصفة التي وصفنا صفتَه .

وإذ كان الأمر على ما وصفنا من خداع المنافق ربّه وأهل الإيمان به ، وأنه غير صائر^(١) بخداعه ذلك إلى خديعة صحيحة إلا لنفسه دون غيرها ؛ لما يُورّطها بفعله من الهلاك والعطب ، فالواجب إذن [٣٣ / ١] أن يكون الصحيح من القراءة : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . دون : (وَمَا يَخْدَعُونَ) . لأن لفظ الخداع غير موجب تثبيت خديعة على صحة ، ولفظ خادع موجب تثبيت خديعة على صحة . ولا شك أن المنافق قد أوجب تثبيت^(٢) خديعة الله لنفسه ، بما ركب من خداعه ربّه ورسوله والمؤمنين بنفاقه ، فلذلك وجبت الصحة لقراءة من قرأ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ .

ومن الدلالة أيضاً على أن قراءة من قرأ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ . أولى بالصحة من قراءة من قرأ : (وَمَا يَخْدَعُونَ) . أن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم يخادعون الله والمؤمنين في أول الآية ، فمحال أن ينفى عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه ؛ لأن ذلك تضاد في المعنى ، وذلك غير جائز من الله جل ثناؤه^(٣) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ : وَمَا يَذَرُونَ . يقال : ما شعر فلان بهذا الأمر ، وهو لا يشعر به - إذا لم يذر به^(٤) ولم يعلم - شعراً وشعوراً .

(١) في م : « سائر » .

(٢) سقط من : م .

(٣) القراءتان متواترتان كما تقدم في ص ٢٨٠ ، ولا تفاضل بين المتواتر ، وينظر توجيه قراءة : (وما يخادعون) في البحر المحيط ٥٧ / ١ .

(٤) سقط من : ص ، م .

و^(١) قال الشاعر^(٢) :

عَقُّوا بِسَهْمٍ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ ثُمَّ اسْتَفَاءُوا^(٣) وَقَالُوا حَيْثَا الْوَضَحُ^(٤)
يعنى بقوله : لم يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ^(٥) : لم يَذَرِ بِهِ أَحَدٌ وَلَمْ يَعْلَمْ .

فَأَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِأَنَّ اللَّهَ خَادِعُهُمْ ، بِإِمْلَائِهِ
لَهُمْ وَاسْتِدْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ ، الَّذِي هُوَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِبْلَاجٌ إِلَيْهِمْ فِي الْحِجَةِ وَالْمَعْذَرَةِ ،
وَمِنْهُمْ لَأَنْفُسِهِمْ خَدِيعَةٌ ، وَلَهَا فِي الْآجِلِ مَضْرُوءَةٌ .

كَالَّذِي حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ
ابْنَ زَيْدٍ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ . قَالَ : مَا يَشْعُرُونَ
أَنَّهُمْ ضَرُّوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا أَسْرَوْا مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ . وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ
جَمِيعًا ﴾ . قَالَ : هُمُ الْمُنَافِقُونَ . حَتَّى بَلَغَ : ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ﴾ [المجادلة : ١٨] .
وَقَدْ كَانَ الْإِيمَانُ يَنْفَعُهُمْ عِنْدَكُمْ^(٦) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَأَصْلُ الْمَرَضِ الشَّقَمُ ، ثُمَّ^(٧) يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْأَجْسَادِ وَالْأَدْيَانِ .
فَأَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ فِي قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ / مَرَضًا ، وَإِنَّمَا عَنَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِخَبْرِهِ عَنْ
مَرَضِ قُلُوبِهِمُ الْخَبَرَ عَنْ مَرَضٍ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِعْتِقَادِ . وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَعْلُومًا بِالْخَبَرِ

(١) فى م : « كما » .

(٢) البيت للمتخل الهذلي ، كما فى ديوان الهذليين ٣١ / ٢ .

(٣) فى ص : « استفادوا » ، وفى ر : « استفاموا » ، وفى ت ٢ : « استفادا » .

(٤) عقوا بسهم : أى رموا به فى السماء ، استفاءوا : رجعوا ، الوضح : اللبن . ينظر شرح أشعار الهذليين ١٢٧٩/٣ .

(٥) زيادة من : ر .

(٦) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٢٨١ .

(٧) سقط من : ص .

عن مرض القلب أنه مغنى به مرض ما هم مُعتقدوه من الاعتقاد ، استغنى بالخبر عن القلب بذلك^(١) والكناية به^(٢) عن تصريح الخبر عن ضمائرهم واعتقاداتهم ، كما قال عمر بن لُجأ^(٣) :

وسبحت المدينة لا تلعنها رأت قمرًا بسوقهم نهارًا
يريد : وسبح أهل المدينة . فاستغنى بمعرفة السامعين خبره بالخبر عن المدينة ،
عن الخبر عن أهلها . ومثله قول عنترة العبسي^(٤) :

هلاً سألت الخيل يابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلّمي
يريد : هلاً سألت أصحاب الخيل ؟ ومنه قولهم : يا خيل الله اركبي . يراد :
يا أصحاب خيل الله اركبوا . والشواهد على ذلك أكثر من أن يُخصّصها^(٥)
الكتاب^(٥) ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه .

فكذلك معنى قول الله جل ثناؤه : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ . إنما يعنى : فى
اعتقاد قلوبهم الذى يعتقدونه فى الدين ، والتصديق بمحمد ﷺ ، وبما جاء به من
عند الله ، مرض وشق . فاجتزأ بدلالة الخبر عن قلوبهم على معناه ، عن تصريح الخبر
عن اعتقادهم .

والمرض الذى ذكره الله جل ثناؤه أنه فى اعتقاد قلوبهم الذى وصفناه ، هو
شكهم فى أمر محمد ، وما جاء به من عند الله ، وتحييرهم فيه ، فلا هم به موقنون
إيقان إيمان ، ولا هم له منكرون إنكار إشراك ، ولكنهم كما وصفهم جل ذكره ،

(١ - ١) فى ص : « الكفاية » .

(٢) البيت فى التبيان ٤٩ / ١ .

(٣) البيت من معلقته الشهيرة ، وهو فى ديوانه ص ١٠٢ .

(٤) فى ر ، ت ٢ : « يحصيه » .

(٥) فى م : « كتاب » .

مُذَبِّذُونَ بَيْنَ ذَلِكَ ، لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ^(١) ، كَمَا يُقَالُ : فَلَانٌ يُمَرِّضُ فِي هَذَا الْأَمْرِ . أَيْ يُضَعِّفُ الْعَزْمَ^(٢) ، وَلَا يَصَحِّحُ الرُّوْيَةَ فِيهِ .

وبمثل الذى قلنا فى تأويل ذلك تظاهر القول فى تفسيره من المفسرين .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ . أَيْ : شَكٌّ^(٣) .

وَحَدَّثْتُ عَنْ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الْمَرَضُ التَّفَاقُّ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ . يَقُولُ : فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ^(٥) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ

(١) تضمين الآية ١٤٣ من سورة النساء .

(٢) فى ر ، ت ٢ : « للعزم » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣١/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٣/١ (١١٢) من طريق سلمة به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٣/١ (١١١) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٣/١ عقب الأثر (١١٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من

قوله . وسيأتى تمام هذا الأثر فى ص ٢٩١ .

عبدُ الرحمن بنُ زيدٍ فى قوله : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ . قال : هذا مرضٌ فى الدين ، وليس مرضًا فى الأجساد . قال : وهم المنافقون .

حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابنُ المبارك قراءةً ، عن سعيد ، عن قتادة فى قوله : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ . قال : فى قلوبهم ريبةٌ وشكٌ فى أمرِ الله جلَّ ثناؤه ^(١) .

وحدثت عن عمار بن الحسين ، قال : حدثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ابن أنس : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ / مَرَضٌ ﴾ . قال : هؤلاء أهلُ التفاق ، فالمرضُ الذى فى ١٢٢/١ قلوبهم الشكُّ فى أمرِ الله ^(٢) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : قال عبدُ الرحمن بنُ زيد : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ ﴾ . حتى بلغ : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ . قال : المرضُ الشكُّ الذى دخلهم فى الإسلام ^(٣) .

القول فى تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ .

قد دللنا آنفاً على أن تأويلَ [٣٣/١ ظ] المرضِ الذى وصفَ الله جلَّ ثناؤه أنه فى قلوبِ المنافقين هو الشكُّ فى اعتقاداتِ قلوبهم وأديانهم ، وما هم عليه فى أمرِ محمدٍ رسولِ الله ﷺ ، وأمرِ نبوته وما جاء به ، مُقيمون .

فالمرضُ الذى أخبر الله جلَّ ثناؤه عنهم أنه زادهم على مرضهم ، هو نظيرُ ما

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٣/١ عقب الأثر (١١٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) بعده فى ر : « فذلك هو المرض والله أعلم » .

كان فى قلوبهم من الشكِّ والحيرة قبل الزيادة ، فزادهم ^(١) الله بما أخذت من حدوده وفرائضه التى لم يكن فرضها قبل الزيادة التى زادها المنافقين - من الشكِّ والحيرة ، إذ ^(٢) شكُّوا وازتابوا فى الذى أخذت لهم من ذلك - إلى المرضِ والشكِّ الذى كان فى قلوبهم فى السالفِ ، من حدوده وفرائضه التى كان فرضها قبل ذلك . كما زاد المؤمنين به إلى إيمانهم الذى كانوا عليه قبل ذلك ، بالذى أخذت لهم من الفرائضِ والحدودِ ، إذ آمنوا به ، إلى إيمانهم بالسالفِ من حدوده وفرائضه - إيمانًا ، كالذى قال جلَّ ثناؤه فى تنزيله : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ^(٣) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥] . فالزيادة التى زيدها المنافقون من الرجاسة إلى رجاستهم هو ما وصفنا ، و ^(٣) التى زيدها المؤمنون إلى إيمانهم هو ما بيَّنا ، وذلك هو التأويلُ المجمعُ عليه .

ذكرُ بعضِ مَنْ قال ذلك من أهلِ التأويلِ

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدثنا سلمةٌ ، عن محمدِ بنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فزادهم الله مرضًا ﴾ . قال : شكًّا ^(٤) .

حدثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : أخبرنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن الشَّديِّ فى خبرٍ ذكره عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مروةَ

(١) فى م : « فزاد » .

(٢) فى م : « إذا » .

(٣) بعده فى م : « الزيادة » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٣/١ (١١٤) من طريق سلمة به .

الْهَمْدَانِي ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : ﴿ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ . يقول : فرادهم الله ^(١) شكًا ^(٢) .

حدّثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدّثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك قراءة ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ . يقول : فرادهم الله ريةً وشكًا في أمر الله ^(٣) .

حدّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ . قال : زادهم رجسًا . وقراء قول الله جل ثناؤه : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ / إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ ١٢٣/١ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ . قال : شرًا إلى شرهم ، وضلالة إلى ضلاليتهم ^(٤) .

وحدّث عن عمار بن الحسين ، قال : حدّثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ : فرادهم ^(٥) الله شكًا ^(٦) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

قال أبو جعفر : والأليم ^(٧) الموجع . ومعناه : ولهم عذاب مؤلّم . فصرف مؤلّم إلى أليم ، كما يقال : ضربت وجيع . بمعنى : موجع . والله بديع السماوات والأرض . بمعنى : مُبدِع . ومنه قول عمرو بن معديكرب الزبيدي ^(٨) :

(١) بعده في م : « رية و » .

(٢) تقدم أول هذا الأثر في ص ٢٧٣ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف وعبد بن حميد . وينظر الفتح ٨/١٦٢ .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٧٤/١ عن ابن زيد .

(٥) في ص ، م : « قال زادهم » .

(٦) تقدم أول هذا الأثر في ص ٢٨٩ .

(٧) بعده في م : « هو » .

(٨) ديوان عمرو بن معديكرب (مجموع) ص ١٣٦ .

أَمِنْ رِيحَانَةٍ^(١) الدَّاعِي السَّمِيعُ يُؤَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ
بمعنى : المُسْمِعُ . ومنه قولُ ذِي الرُّمَّةِ^(٢) :

وَنَزَفُوعٌ^(٣) مِنْ صُدُورِ شَمَرِ دَلَالٍ^(٤) يَصُدُّ^(٥) وَجُوهَهَا وَهَجَّ^(٦) أَلِيمٌ
وَيُزَوِّى : يَصُكُّ^(٧) .

وإنما الأليمُ صفةٌ للعذابِ ، كأنه قال : ولهم عذابٌ مؤلِّمٌ . وهو مأخوذٌ من
الألمِ ، والألمُ الوجعُ .

كما حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي
جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرِّبيعِ ، قال : الأليمُ الموجعُ^(٨) .

حدَّثنا يعقوبُ ، قال : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرنا جُوَيْرُّ ، عن الضَّحَّاكِ ، قال :
العذابُ^(٩) الأليمُ ؛ الموجعُ^(١٠) .

(١) ريحانة : هى ريحانة بنت معديكرب أخت عمرو ، وهى أم دريد بن الصمة ، كان الصمة سبها ثم تزوجها . الأغاني ٤ / ١٠ .

(٢) ديوان ذى الرمة ٦٧٧ / ٢ .

(٣) فى ص : « بريع » ، وفى ر : « ترفع » ، وفى ت ٢ ، م : « يرفع » . والمثبت من الديوان .
ورفع البعير بنفسه فى سيره : بالغ فيه . التاج (ر ف ع) .

(٤) الشمردلة : الناقة الحسنة الجميلة الخلق القوية على السير . اللسان (شمردل) .

(٥) يصد : يعترض . اللسان (ص د د) .

(٦) الوهج : حرارة الشمس والنار من بعيد . اللسان (و ه ج) .

(٧) هذه رواية الديوان . والصلك : الضرب الشديد . اللسان (ص ك ك) .

(٨) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٤ / ١ (١١٩) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

(٩) سقط من : م .

(١٠) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٤ / ١ عقب الأثر (١١٩) معلقا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠ / ١
إلى ابن أبى حاتم عن ابن عباس .

وَحَدَّثَتْ عَنْ الْمُتَجَابِ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الصَّحَّاحِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَلَيْمٌ ^(١) 》 . قَالَ : هُوَ الْعَذَابُ الْمَوْجِعُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَلِيمِ فَهُوَ الْمَوْجِعُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ 》 .

اِخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ ^(٢) فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَهُ ^(٣) بَعْضُهُمْ : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ 》 . مُخَفَّفَةً الذَّالِ ، مَفْتُوحَةً الْيَاءِ ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ^(٤) عَظِيمِ قِرَاءَةٍ أَهْلِ الْكُوفَةِ ^(٥) . وَقَرَأَهُ آخَرُونَ : (يُكْذِبُونَ) . بَضْمِ الْيَاءِ وَتَشْدِيدِ الذَّالِ ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ^(٤) عَظِيمِ قِرَاءَةٍ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ ^(٦) .

وَكَأَنَّ الَّذِينَ قَرَعُوا ذَلِكَ بِتَشْدِيدِ الذَّالِ وَضَمِّ الْيَاءِ رَأَوْا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ إِنَّمَا أَوْجِبَ لِلْمُنَافِقِينَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ بِتَكْذِيبِهِمْ ^(٧) نَبِيَّهُمْ مُحَمَّدًا ^(٧) عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِمَا جَاءَ بِهِ ، وَأَنَّ الْكَذِبَ لَوْلَا التَّكْذِيبُ لَا يُوجِبُ لِأَحَدٍ الْيَسِيرَ مِنَ الْعَذَابِ ، فَكَيْفَ بِالْأَلِيمِ مِنْهُ ؟ وَلَيْسَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ عِنْدِي كَالَّذِي قَالُوا ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ أَنْبَأَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ فِي أَوَّلِ النَّبَأِ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِأَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ بِدَعْوَاهُمْ الْإِيمَانَ ، وَإِظْهَارِهِمْ ذَلِكَ بِالْأَلْسِنَةِ ، خِدَاعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : ﴿ وَمَنْ

(١) فِي ص ، ر ، ت ٢ : « الْأَلِيمِ » .

(٢) فِي م : « الْقِرَاءَةُ » .

(٣) فِي ر : « فَقِرَاءَةُ » .

(٤ - ٤) فِي م : « مُعْظَمٌ » .

(٥) وَهِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ وَحُمَزةَ وَالْكَسَائِي . يَنْظُرُ حِجَةُ الْقِرَاءَاتِ ص ٨٨ .

(٦) وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ عَامِرٍ وَأَبِي عَمْرٍو . السَّبْعَةُ لِابْنِ مَجَاهِدٍ ص ١٤٣ .

(٧ - ٧) فِي ص : « نَبِيهِ » .

النَّاسَ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَٰذِينَ ءَامَنُوا ﴿٩﴾ بِذَلِكَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، مع استسرارهم الشك والريبة ، ﴿٩﴾ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴿٩﴾ بِصَنيعِهِمْ ذَلِكَ ﴿٩﴾ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ﴿٩﴾ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ ، ﴿٩﴾ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ بِمَوْضِعِ خَدِيعَتِهِمْ أَنْفُسَهُمْ ، واستدراج الله إِيَّاهُمْ بِإِمْلَائِهِ لَهُمْ ، ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿٩﴾ شُكٌّ ^(١) النفاق وريثته ^(١) ، واللَّهِ زَائِدُهُمْ شُكًّا وَرِيبةً/ بما كانوا يَكْذِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ١٢٤/١
وَالْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِمْ بِالسُّنْتِهِمْ : ﴿٩﴾ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرُ ﴿٩﴾ وَهُمْ فِي قَبْلِهِمْ ^(٢) ذَلِكَ كَذِبَةٌ ؛ لاستسرارهم الشك والمرض في اعتقادات قلوبهم في أمرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ . فَأَوَّلَى فِي حِكْمَةِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَنْ يَكُونَ الْوَعِيدُ مِنْهُمْ عَلَى مَا افْتَتَحَ بِهِ الْخَبَرَ عَنْهُمْ مِنْ قَبِيحِ أَعْمَالِهِمْ وَذَمِيمِ أَخْلَاقِهِمْ ، دُونَ مَا لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، إِذْ كَانَ سَائِرُ آيَاتٍ تَنْزِيلُهُ بِذَلِكَ نَزَلَ ، وَهُوَ أَنْ يَفْتَتَحَ ذِكْرَ مُحَاسِنِ أَعْمَالٍ قَوْمٍ ، ثُمَّ يَخْتِمَ ذَلِكَ بِالْوَعِيدِ ^(٣) عَلَى مَا افْتَتَحَ بِهِ ذِكْرَهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَيَفْتَتِحَ ذِكْرَ مَسَاوِي أَعْمَالٍ آخَرِينَ ، ثُمَّ يَخْتِمَ ذَلِكَ بِالْوَعِيدِ عَلَى مَا [١٢٤/١] ابْتَدَأَ بِهِ ذِكْرَهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ . فَكَذَلِكَ الصَّحِيحُ مِنَ الْقَوْلِ فِي الْآيَاتِ الَّتِي افْتَتَحَ فِيهَا ذِكْرَ بَعْضِ مَسَاوِي أَعْمَالِ الْمُنَافِقِينَ ، أَنْ يَخْتِمَ ذَلِكَ بِالْوَعِيدِ عَلَى مَا افْتَتَحَ بِهِ ذِكْرَهُ مِنْ قَبَائِحِ أَعْمَالِهِمْ .

فهذا هذا ^(٤) ، مع دلالة الآية الأخرى على صحة ما قلنا ، وشهادتها بأن الواجب من القراءة ما اخترنا ، وأن الصواب من التأويل ما تأوّلنا ، من أن وعيد الله المنافقين في هذه الآية العذاب الأليم على الكذب الجامع معنى الشك والتكذيب ، وذلك قول الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿٩﴾ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ

(١ - ١) في م : «أى نفاق وريبة» .

(٢) في ص : «قولهم» .

(٣) في م : «بالوعيد» .

(٤) سقط من : ص ، ر .

يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ [المنافقون : ١ ، ٢] . والآية الأخرى فى « المجادلة » : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [المجادلة : ١٦] . فأخبر الله جل ثناؤه أن المنافقين - بقيلهم ما قالوا الرسول الله ﷺ ، مع اعتقادهم فيه ما هم معتقدون - كاذبون ، ثم أخبر تعالى ذكره أن العذاب المهين لهم على ذلك من كذبهم . ولو كان الصحيح من القراءة على ما قرأه القارئون فى سورة « البقرة » : (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يُكْذِبُونَ) . لكانت القراءة فى السورة الأخرى : (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لُمُكَذِبُونَ) . ليكون الوعيد لهم ^(١) من العذاب المهين ^(٢) الذى هو عقيب ذلك وعيدا على التكذيب لا على الكذب .

وفى إجماع المسلمين على أن الصواب من القراءة فى قوله : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ . بمعنى الكذب ، وأن إبعاد الله فيه المنافقين العذاب الأليم على ذلك من كذبهم - أوضح الدلالة على أن الصحيح من القراءة فى سورة « البقرة » : ﴿ بِمَا كَانُوا يُكْذِبُونَ ﴾ . بمعنى الكذب ، وأن الوعيد من الله تعالى ذكره للمنافقين فيها على الكذب حق ، لا على التكذيب الذى لم يجر له ذكر - نظير الذى فى سورة « المنافقين » سواء .

وقد زعم بعض نحوئى البصرة أن « ما » من قول الله جل ثناؤه : ﴿ بِمَا كَانُوا يُكْذِبُونَ ﴾ . اسم للمصدر ، كما أن « أن » والفعل اسمان للمصدر فى قولك ^(٣) : أحب أن تأتيتى . وأن المعنى إنما هو : بكذبهم وتكذيبهم . قال : وأدخل « كان » ليخبر أنه

(١ - ١) زيادة من : ر .

(٢) فى ر : « قوله » ، وفى ت ٢ : « مثل قوله » .

كان فيما مضى ، كما تقول^(١) : ما أحسن ما كان عبدُ الله . فأنت تعجبُ من عبدِ الله لا من كونه ، وإنما وقع التعجبُ فى اللفظ على كونه .

وكان بعضُ نحويِّ الكوفة يُكرِّ ذلك من قوله وَيَشْتَخِطُّهُ ، ويقول : إنما أُلغيت « كان » فى التعجبِ لأن الفعلَ قد تقدَّمها ، فكأنه قال : حَسَنًا كان زيدٌ ، وحَسَنٌ كان زيدٌ^(٢) . يُبْطِلُ « كان » ، ويُعْمِلُ مع الأسماءِ والصفاتِ التى بالفاظِ الأسماءِ إذا جاءتْ قبلَ « كان » ، ووقعتْ « كان » بينها وبين الأسماءِ . / وأما العِلَّةُ فى إبطالِها إذا أُبْطِلَتْ فى هذه الحالِ ، فتشبيهُ^(٣) الصفاتِ والأسماءِ بـ « فعل » و « يَفْعَلُ » التى^(٤) لا يظهرُ عملُ « كان » فيهما ، ألا ترى أنك تقولُ : يقومُ كان زيدٌ . فلا يظهرُ عملُ « كان » فى « يقومُ » ؟ وكذلك : قام كان زيدٌ . فلذلك أُبطلُ عملُها مع « فاعل » تمثيلاً بـ « فعل » و « يَفْعَلُ » ، وأُعمِلت مع « فاعل » أحياناً ؛ لأنه اسمٌ ، كما تُعْمَلُ فى الأسماءِ . فأما إذا تقدَّمت « كان » الأسماءِ والأفعالِ ، وكان الاسمُ والفعلُ بعدها ، فخطأً عنده أن تكونَ « كان » مُبْطَلَةً . فلذلك أحال قولَ البصريِّ الذى حكيناه ، وتأوَّل قولَ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾^(٥) . أنه بمعنى : الذى يَكْذِبُونَهُ . القولُ فى تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ . اختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ هذه الآية ؛ فروى عن سلمانِ الفارسيِّ أنه كان يقولُ : لم يجئْ هؤلاء بعدُ .

(١) فى ص ، ت ٢ ، م : « يقال » .

(٢) فى ت ٢ : « فى التعجب لا » .

(٣) فى م : « تشبيه » .

(٤) فى م : « اللتين » .

(٥) ضبطه فى « ر » بضم الياء .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَثَّامُ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْمِنْهَالَ بْنَ عَمْرِوٍ يَحْدُثُ عَنْ عُبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ سَلْمَانَ ، قَالَ : مَا جَاءَ هَؤُلَاءِ بَعْدُ ، الَّذِينَ : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَرِيكٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْأَعْمَشُ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ وَغَيْرِهِ ، عَنْ سَلْمَانَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ . قَالَ : مَا جَاءَ هَؤُلَاءِ بَعْدُ ^(٢) .

وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ^(٣) . أَمَّا ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فَإِنَّ الْفَسَادَ هُوَ الْكُفْرُ وَالْعَمَلُ بِالْمَعْصِيَةِ ^(٤) .

وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ

(١) أخرجه وكيع - كما في تفسير ابن كثير ٧٥/١ ، والدر المنثور ٣٠/١ - وابن أبي حاتم في تفسيره ٤٥/١ (١٢٣) من طريق الأعمش به . وعباد بن عبد الله الأسدي ضعيف .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٧٥/١ عن المصنف . وعبد الرحمن بن شريك ضعيف ، وقد خولف فيه شريك كما في الإسناد قبله .

(٣) بعده في م : « هم المنافقون » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٥/١ (١٢٢) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي من قوله .

الرَّيْسُ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، يقول : لا تَغْصُوا فِي الْأَرْضِ ، ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ . قال : فكان فسادهم على أنفسهم ذلك معصية الله ؛ لأن مَنْ عَصَى اللَّهَ فِي الْأَرْضِ أَوْ أَمَرَ^(١) بِمَعْصِيَتِهِ ، فَقَدْ^(٢) أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ ؛ لِأَن إِصْلَاحَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ بِالطَّاعَةِ^(٣) .

وَأُولَى التَّائِيلِينَ بِالْآيَةِ تَأْوِيلُ مَنْ قَالَ : إِنْ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنْ كَانَ مَعْنِيًا بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَ بِمِثْلِ صِفَتِهِمْ^(٤) مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَقَدْ يَحْتَمِلُ قَوْلُ سَلْمَانَ عِنْدَ تِلَاوَةِ هَذِهِ الْآيَةِ : مَا جَاءَ هَؤُلَاءِ بَعْدُ . أَنْ يَكُونَ قَالَهُ بَعْدَ فَنَاءِ الَّذِينَ كَانُوا بِهَذِهِ الصِّفَةِ عَلَى عَهْدِ / رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، خَبَرًا مِنْهُ عَمَّنْ هُوَ^(٥) جَاءَ مِنْهُمْ بَعْدَهُمْ وَلَمَّا يَجِئْ بَعْدُ ،^(٦) « لَا أَنَّهُ »^(٧) عَنِّي أَنَّهُ لَمْ يَمِضْ مِمَّنْ ذَلِكَ^(٨) صِفَتُهُ أَحَدٌ .

وإنما قلنا : أُولَى التَّائِيلِينَ بِالْآيَةِ مَا ذَكَرْنَا ؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ [٣٤/١ ظ] أَهْلِ التَّائِيلِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ صِفَةٌ مَنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ فِيهِمْ نَزَلَتْ ، وَالتَّائِيلُ الْجَمْعُ عَلَيْهِ أُولَى بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ مِنْ قَوْلٍ لَا دَلَالَهَ عَلَى صِحَّتِهِ مِنْ أَصْلٍ وَلَا نَظِيرٍ .

(١ - ١) فِي ر : « بِمَعْصِيَةٍ فِي » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٤٥/١ عَقِبَ الْأَثَرِ (١٢٢) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

(٣) فِي ص : « وَصِفَتِهِمْ » .

(٤) سَقَطَ مِنْ : م .

(٥ - ٥) فِي م : « لِأَنَّهُ » .

(٦) فِي م : « هَذِهِ » .

والإفسادُ في الأرضِ العملُ فيها بما نهى اللهُ جلَّ وعزَّ عنه ، وتضييعُ ما أمر اللهُ بحفظه ، فذلك جملةُ الإفسادِ ، كما قال جلَّ ثناؤه في كتابه مُخبرًا عن قِيلٍ ملائكتِهِ : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [البقرة : ٣٠] يَغْنُونُ بذلك : أَتَجْعَلُ في الأرضِ من يعصيك ويُخالفُ أمرك ؟ فكذلك صفةُ أهلِ النفاقِ ؛ مفسدون في الأرضِ بمعصيتِهِم فيها ربِّهم ، ورُكوبِهِم فيها ما نهاهم عن رُكوبِهِ ، وتضييعِهِم فرائضَهُ ، وشكُّهم في دينِ اللهِ الذي لا يقبلُ من أحدٍ عملاً إلا بالتصديقِ به ، والإيقانِ بحقيقَتِهِ ، وكذبِهِم المؤمنين بدَعواهِم غيرَ ما هم عليه مقيمون من الشكِّ والزَّيْبِ ، ومُظاهرتِهِم أهلَ التكذيبِ باللهِ وكتبه ورسله على أوليائِهِ اللهُ إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً . فذلك ^(١) إفسادُ المنافقين في ^(٢) أرضِ اللهِ ، وهم يَحْسِبُونَ أنهم بفعلِهِم ذلك مُصلِحُونَ فيها ، فلم يُسْقِطِ اللهُ جلَّ ثناؤه عنهم عقوبَتَهُ ، ولا خَفَّفَ عنهم أَلِيمَ ما أعدَّ من عقابه لأهلِ معصيتِهِ ، بِحُسبانِهِم أنهم فيما أتوا من معاصي اللهِ مُصلِحُونَ ، بل أوجبَ لهم الدَّوْكَ الأسفلَ من نارِهِ ، والأَلِيمَ من عذابه ، والعارَ العاجلَ بسبِّ اللهِ إِيَّاهم وشتمِهِ لهم ، فقال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . وذلك من حُكْمِ اللهِ فيهِم أدلُّ الدليلِ على تكذيبِهِ جلَّ ثناؤه قولَ القائِلين : إن عقوباتِ اللهِ لا يَسْتَحِقُّهَا إِلَّا المعاندُ رَبَّهُ فيما لزمه من حقوقِهِ وفروضِهِ ، بعد علمِهِ وثبوتِ الحُجَّةِ عليه بمعرفَتِهِ بلزومِ ذلك إِيَّاهُ .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ .

وتأويلُ ذلك كالذي قاله ابنُ عباس ، الذي حدَّثنا به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمَةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاق ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ

(١) في ص : « وكذلك » ، وفي ر : « فكذلك » .

(٢ - ٢) في ص : « الأرض » .

ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ . أى قالوا : إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب ^(١) .

وخالفه فى ذلك غيره ، فحدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ . قال : إذا ركبوا معصية الله فليل لهم : لا تفعلوا كذا وكذا . قالوا : إنما نحن على الهدى ^(٢) .

قال أبو جعفر : وأى الأمرين كان منهم فى ذلك ، أعنى فى دَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ مُصْلِحُونَ ، فهم لا شك أَنَّهُمْ كانوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ فيما أتوا من ذلك مُصْلِحُونَ - فسواء بين اليهود والمسلمين كانت دَعْوَاهُمْ الإصلاح ، أو فى أديانهم ، وفيما ركبوا من معصية الله ، وكذبهم المؤمنين فيما أظهروا لهم من القول ، وهم لغير ما أظهروا / مُسْتَبْطِنُونَ ؛ لأنَّهُمْ كانوا فى جميع ذلك من أمرهم عند أنفسهم مُحْسِنِينَ ، وهم عند الله مُسِيئُونَ ، ولأمر الله مُخَالِفُونَ ، لأنَّ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ قد كان فرض عليهم عداوة اليهود وحرَبَهُمْ مع المسلمين ، وألزمهم التصديق برسول الله ﷺ ، وبما جاء به من عند الله ، كالذى ألزم من ذلك المؤمنين ، فكان لقاءهم اليهود على وجه الولاية منهم لهم ، وشكُّهم فى نبوة رسول الله ﷺ وفيما جاء به أنه من عند الله - أعظم الفساد ، وإن كان ذلك كان عندهم إصلاحاً وهدى فى أديانهم ، أو فيما بين المؤمنين واليهود ، فقال جَلَّ ثَنَاؤُهُ فيهم : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾

(١) سيرة ابن هشام ٥٣١/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٥/١ (١٢٤) من طريق سلمة به .

(٢) بعده فى ص ، ت ١ ، م : « مُصْلِحُونَ » .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف كاللفظ المثبت . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٧٥/١

عن ابن جريج عن مجاهد ، بزيادة : « مُصْلِحُونَ » فى آخره .

دُونَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ ، ﴿ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .
الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴾ (١) .

وهذا القول من الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ تكذيبٌ للمنافقين في دَعْوَاهُمْ إِذَا (١) أَمَرُوا بِطَاعَةِ
اللَّهِ فِيمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ ، وَنَهَوْا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فِيمَا نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالُوا : إِنَّمَا نَحْنُ
مُصْلِحُونَ لَا مُفْسِدُونَ ، وَنَحْنُ عَلَى رُشْدٍ وَهَدًى فِيمَا أَنْكَرْتُمُوهُ عَلَيْنَا دُونَكُمْ ، لَا
ضَالُّونَ . فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ فِي ذَلِكَ مِنْ قِيلِهِمْ ، فَقَالَ : أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ
الْمُخَالِفُونَ أَمْرَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، الْمُتَعَدُّونَ حُدُودَهُ ، الرَّاكِبُونَ مَعْصِيَتَهُ ، التَّارِكُونَ فِرْوَضَهُ ،
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَلَا يَذَرُونَ أَنَّهُمْ كَذَلِكَ ، لَا الَّذِينَ يَأْمُرُونَهُمْ بِالْقَسْطِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ فِي أَرْضِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ ﴾ .
قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ ﴾ يَعْنِي :
وَإِذَا قِيلَ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ وَنَعْتَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : ﴿ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ : صَدَّقُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ (٢) وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، كَمَا
صَدَّقَ بِهِ النَّاسُ . وَيَعْنِي بِـ ﴿ النَّاسُ ﴾ : الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ وَنَبَوَّتِهِ وَمَا جَاءَ
بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

كَمَا حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عِثْمَانُ (٣) بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ يَشْرِ بْنِ عُمَارَةَ ،
عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا

(١) فِي ر ، ت ٢ : « إِذ » .

(٢) بَعْدَهُ فِي ص : « وَنَبَوَّتِهِ » .

(٣) فِي ص : « عِمَار » .

ءَاَمَنَ النَّاسُ ﴿١﴾ . يقول : وإذا قيل لهم : صدّقوا كما صدّق أصحاب محمد ﷺ ، قولوا ^(١) : إنه نبيّ ورسولٌ ، وأن ما أنزل عليه حقٌ ، وصدّقوا بالآخرة ، وأنكم مبعوثون من بعد الموت ^(٢) .

وإنما أُدْخِلَتِ الألفُ واللامُ في ﴿النَّاسُ﴾ وهم بعضُ الناسِ لا جميعُهم ؛ لأنهم كانوا معروفين عندَ الذين خُوطِبوا ^(٣) بذلك في هذه ^(٤) الآيةِ بأعيانهم . وإنما معناه : آمَنوا كما آمَنَ الناسُ الذين تعرّفونهم من أهلِ اليقين / والتصديق بالله ، وبمحمد ﷺ ، وبما جاء به من عندِ الله ، وباليومِ الآخرِ . فلذلك أُدْخِلَتِ الألفُ واللامُ فيه ، كما [٣٥ / ١] أُدْخِلْنَا في قوله : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . لأنه أُشيرَ بدخولهما ^(٥) إلى ناسٍ معروفين عند مَنْ خُوطِبَ بذلك .

القولُ في تأويلِ قوله جلّ ثناؤه : ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَاَمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ . قال أبو جعفرٍ : والسفهاءُ جمعُ سَفِيهِ ، ^(٦) كما العلماءُ ^(٧) جمعُ عليمٍ ، والحكماءُ جمعُ حكيمٍ . والسفيهُ الجاهلُ الضعيفُ الرأي ، القليلُ المعرفةِ بمواضعِ المنافعِ والمضارِّ . ولذلك سُمِّيَ اللهُ جلَّ وعزَّ النساءَ والصبيانَ سفهاءً ، فقال تعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء : ٥] . فقال عامَّةُ أهلِ التأويلِ : هم النساءُ والصبيانُ ؛ لضعفِ آرائهم ^(٨) ، وقلةِ معرفتهم بمواضعِ المصالحِ والمضارِّ التي

(١) في م : « قالوا » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٥ / ١ (١٢٦ ، ١٢٧) من طريق أبي كريب به .

(٣ - ٣) في ص ، م : « بهذه » .

(٤) في م : « بدخولها » .

(٥ - ٥) في م : « كالعلماء » .

(٦) في ت ٢ : « رأيهم » .

تُضَرَفُ إِلَيْهَا الْأَمْوَالُ .

وإنما عَنِ الْمُنَافِقِينَ بَقِيلُهُمْ : ﴿ أَنْتُمْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ - إِذْ دُعُوا إِلَى التَّصَدِيقِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وبما جاء به من عِنْدِ اللَّهِ ، وَالْإِقْرَارِ بِالْبَعْثِ ، فَقِيلَ^(١) لَهُمْ : ﴿ ءَامِنُوا ﴾ - : كَمَا آمَنَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ وَأَتْبَاعُهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَصْدُوقِينَ بِهِ مِنْ^(٢) أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ ، وَالتَّصَدِيقِ بِاللَّهِ ، وَبِمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَفِي كِتَابِهِ ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ . فَقَالُوا إِجَابَةً لِقَائِلِ ذَلِكَ لَهُمْ : أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ أَهْلُ الْجَهْلِ ، وَنَصَدَّقُ بِمُحَمَّدٍ كَمَا صَدَّقَ بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا عَقْلَ لَهُمْ وَلَا أَفْهَامَ !

كَالَّذِي حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّيْثِيِّ فِي خَيْرِ ذِكْرِهِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ : يَعْنُونَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحَجَّاجِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ : ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ : يَعْنُونَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ^(٤) .

(١) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « فَقَالَ » .

(٢) سَقَطَ مِنْ : م .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٦/١ عَنْ السَّدِيِّ بِهِ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٣٠/١ إِلَى الْمُصَنِّفِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَحْدَهُ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٤٦/١ عَقِبَ الْأَثَرِ (١٣٠) مِنْ طَرِيقِ عَمْرُو ، عَنْ أَسْبَاطٍ ، عَنْ السَّدِيِّ مِنْ قَوْلِهِ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٤٦/١ (١٣٠) مِنْ طَرِيقِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ . قَالَ : هَذَا قَوْلُ الْمُنَافِقِينَ ، يريدون أصحابَ النَّبِيِّ ﷺ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ بَشْرِ بْنِ عُمَارَةَ ^(١) ، عَنْ أَبِي رَوْحٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ : يقولون : أنقول كما يقول السفهاء؟ يعنون أصحابَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، لِخِلَافِهِمْ لَدِينِهِمْ ^(٢) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا خبرٌ من اللَّهِ تعالى عن المنافقين الذين تقدّم نعتُهُ لهم ، ووصفُهُ إِيَّاهُمْ بما وصفَهُم به من الشكِّ والتكذيبِ - أنهم هم الجُهَّالُ في أديانِهِم ، الضعفاءُ الآراءِ في اعتقاداتِهِم واختياراتِهِم التي اختاروها لأنفسِهِم ، من الشكِّ ^(٣) والتكذيبِ ^(٣) والرَّيبِ في أمرِ اللَّهِ جَلَّ وعزَّ وأمرِ رسوله ١٢٩/١ وأمرِ نبوّته ، وفيما جاء به من عندِ اللَّهِ ، وأمرِ البعثِ ؛ لإساءَتِهِم إلى أنفُسِهِم بما أتَوْا من ذلك ، وهم يحسبون أنهم إليها يُحسنون ^(٤) ، وذلك هو عينُ السّفَه ؛ لأنَّ السّفِيهَ إِنَّمَا يُفْسِدُ من حيثُ يرى أَنَّهُ يُصْلِحُ ، وَيُضَيِّعُ من حيثُ يرى أَنَّهُ يحفظُ ، فكذلك المنافقُ ، يعصِي رَبَّهُ من حيثُ يرى أَنَّهُ يُطِيعُهُ ، ويكفرُ به من حيثُ يرى أَنَّهُ يُؤْمِنُ به ، وَيُسِيءُ إلى نَفْسِهِ من حيثُ

(١) في م : «عمار» .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٦/١ (١٢٩) من طريق أبي كريب به .

(٣ - ٣) زيادة من : ر .

(٤) في ر ، ت ٢ : «محسون» .

يَحْسَبُ^(١) أَنَّهُ يُحْسِنُ إِلَيْهَا ، كما وصفهم به ربُّنا جلَّ ذكره فقال : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . وقال : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ ﴾ دون المؤمنين المصدِّقين بالله وبكتابه وبرسوله وثوابه وعقابه ، ﴿ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . وكذلك كان ابنُ عباسٍ يتأوَّلُ هذه الآية .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرٍ بنِ عُمارةٍ ، عن أبي رَزُقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ ﴾ ، يقولُ : الجهَّالُ ، ﴿ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : ولكن لا يعقلون^(٢) .

وأما وجهُ دخولِ الألفِ واللامِ في ﴿ السَّفَهَاءُ ﴾ فشبهةٌ بوجهِ دخولهما في ﴿ النَّاسُ ﴾ ، في قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾ . وقد بيَّنا العلةَ في دخولهما هنالك ، والعلَّةُ في دخولهما في ﴿ السَّفَهَاءُ ﴾ نظيرُها في دخولهما في ﴿ النَّاسُ ﴾ هنالك ، سواءً .

والدلالةُ التي تدلُّ عليه هذه الآيةُ من خطأ قولٍ من زعم أن العقوبةَ من الله جلَّ وعزَّ لا يَشْتَحِقُّها إلا المعاندُ ربَّه ، بعد^(٣) علمه بصحة ما عانده فيه - نظيرة^(٤) دلالةِ الآياتِ الأخرِ التي قد تقدَّم ذكرُنا تأويلها في قوله : ﴿ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ونظائر^(٥) ذلك .

(١) في ر : « يرى » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٦/١ (١٣١ ، ١٣٢) من طريق أبي كريب به . وهو تمام الأثر المتقدم في الصفحة السابقة .

(٣) في م : « مع » .

(٤) في ت ٢ ، م : « نظير » .

(٥) في م : « نظير » .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا

قال أبو جعفر: وهذه الآية نظيرة^(١) الآية الأخرى التي أخبر الله جل ثناؤه فيها عن المنافقين بخداعهم الله ورسوله والمؤمنين ، فقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ ﴾ . ثم أكذبهم تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وأنهم بقيلهم ذلك يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا . وكذلك أخبر عنهم في هذه الآية أنهم يقولون للمؤمنين المصدقين بالله وكتابه ورسوله بالسنتهم : آمَنَّا وصدقنا بمحمد ، وبما جاء به من عند الله ، خداعاً عن دمائهم وأموالهم وذراريهم ، وذرءاً لهم عنها ، وأنهم إذا خلوا إلى مرديتهم^(٢) وأهل العتوِّ والشرِّ والخبث منهم ، ومن سائر أهل الشرك ، الذين هم على مثل ما^(٣) هم عليه من الكفر بالله وبكتابه ورسوله ، وهم شياطينهم - وقد دللنا فيما مضى من كتابنا^(٤) على أن شياطين كل شئٍ مرديته - قالوا لهم : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أى : إِنَّا مَعَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ ، وظهرواؤكم على مَنْ [٣٥١] خالفكم فيه ، وأولياؤكم دون أصحاب محمد ﷺ ، ﴿ إِنَّمَا تَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ بالله وبكتابه ورسوله وأصحابه .

١٣٠/١ كَالَّذِي حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا
الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ . قَالَ : كَانَ رَجُلًا / مِنَ الْيَهُودِ إِذَا لَقُوا أَصْحَابَ النَّبِيِّ

(۱) فی ر، ت ۲، م: «نظیر».

(۲) فی ص: «أهل مودتهم» .

(٣) في ص، م: «الذى» .

(٤) ينظر ما تقدم في ص ١٠٩.

﴿قَالُوا أَوْ بَعْضُهُمْ أَمْرُ بَعْضِهِمْ﴾ ، قالوا : إِنَّا عَلَى دِينِكُمْ . وَإِذَا خَلَوْا إِلَى أَصْحَابِهِمْ ، وَهُمْ شَيَاطِينُهُمْ ،
﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ ، مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ . قَالَ :
إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ مِنْ يَهُودَ ، الَّذِينَ يَأْمُرُونَهُمْ بِالْكَذِبِ وَخِلَافِ مَا جَاءَ بِهِ
الرَّسُولُ ، ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ ، أَيْ : إِنَّا عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ
مُسْتَهْزِءُونَ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشَّيْخِ فِي خَبَرِ
ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَ^(٣) عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ
ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ : أَمَّا
شَيَاطِينُهُمْ ، فَهُمْ رُءُوسُهُمْ فِي الْكُفْرِ ^(٤) .

حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ مُعَاذٍ الْعَقَدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ ^(٥) ، عَنْ
قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ أَيْ : رُءُوسَائِهِمْ وَقَادَتِهِمْ فِي الشَّرِّ ، قَالُوا :

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٤٦/١ - ٤٨ (١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٢) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَلَاءِ بِهِ .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٥٣١/١ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٤٧/١ ، ٤٨ (١٣٧ ، ١٤١) مِنْ طَرِيقِ
سَلْمَةَ بِهِ .

(٣) فِي ص : «أَوْ» .

(٤) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٧/١ عَنْ السُّدِّيِّ بِهِ . وَعَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَّرِ ٣١/١ إِلَى الْمُصَنِّفِ عَنْ
ابْنِ مَسْعُودٍ وَحْدَهُ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٤٧/١ عَقِبَ الْأَثَرِ (١٤٠) مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ حَمَادٍ ،
عَنْ أُسْبَاطٍ ، عَنْ السُّدِّيِّ مِنْ قَوْلِهِ .

(٥) فِي ر : «يَزِيدُ» .

﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴾ ^(١) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ . قال : المشركون .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرو الباهلي ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ابنُ ميمونٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ . قال : إذا خلا المنافقون إلى أصحابيهم من الكفار .

حدَّثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدَّثنا أبو حذيفة ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ . قال : أصحابيهم من المنافقين والمشركين ^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ . قال : إخوانهم من المشركين ، ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴾ ^(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ في قوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ قال : إذا أصاب المؤمنين رخاءٌ قالوا ^(٤) : نحن معكم ، إنما نحن إخوانكم . وإذا خلوا إلى شياطينهم استهزؤوا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٧/١ (١٣٨) من طريق سعيد به .

وأخرجه عبد بن حميد - كما في الفتح ١٦١/٨ - من طريق شيبان عن قتادة . وستأتي بقيته في ص ٣١٢ .

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٦ ، ومن طريقه عبد بن حميد - كما في تعليق التعليق ١٧٢/٤ - وابن أبي حاتم في تفسيره ٤٧/١ (١٣٩) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨/١ عقب الأثر (١٤٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) بعده في م : « إنا » .

بالمؤمنين .

حدَّثنا القاسم ، قال : حدَّثنا الحسين ، قال : حدَّثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ^(١) مجاهد : شياطينهم أصحابهم من المنافقين والمشركين .

فإن قال لنا قائل : رأيت قوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ . فكيف قيل : ﴿ خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ . ولم يقل : خَلَوْا بشياطينهم . فقد علّمت أن الجارى بين الناس فى كلامهم : خَلَوْت بفلان . أكثر وأفشى من : خَلَوْتُ / إلى فلان . ومن ١٣١/١ قولك : إن القرآن أفصح البيان ؟

قيل : قد اختلف فى ذلك أهل العلم بلغة العرب ، فكان بعض نحويى البصرة يقول : يقال : خَلَوْتُ إلى فلان . إذا أُريد به : خَلَوْتُ إليه فى ^(٢) الحاجة خاصة ^(٣) ، لا يَحْتَمَلُ - إذا قيل كذلك - إلا الخلاء إليه فى قضاء الحاجة . فأما إذا قيل : خَلَوْتُ به . احتَمَل معنيين : أحدهما ، الخلاء به فى الحاجة . والآخر ، فى ^(٤) السخرية به . فعلى هذا القول : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ لا شك أفصح منه لو قيل : وإذا خَلَوْا بشياطينهم . لما فى قول القائل : وإذا خَلَوْا بشياطينهم . من التباس المعنى على سامعيه ^(٥) ، الذى هو مُتَنَفِّى عن قوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ . فهذا أحد الأقوال .

والقول الآخر : ^(٦) « أن تُوجَّه » معنى قوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ :

(١) فى ص : « وقال » .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، م : « حاجة خاصة » .

(٣) سقط من : ص .

(٤) فى ص : « سامعه » .

(٥ - ٥) فى ص ، ت ٢ : « فأن توجه » ، وفى م : « أن توجه » .

و^(١) إذا خَلَوْا مع شياطينهم . إذ كانت حروف الصفات^(٢) يُعاقِب بعضها بعضًا ، كما قال الله مُخْبِرًا عن عيسى ابن مريم أنه قال للحواريين : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [الصف : ١٤] . يريدُ : مع الله . وكما تُوضَع « على » في موضعٍ « من » و « في » و « عن » ، و « الباء » ، كما قال الشاعر^(٣) :

إذا رَضِيتَ عليَّ بنو قُشيرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أعجبتني رِضاها
بمعنى : عَنِّي .

وأما بعضُ نحويي^(٤) الكوفة ، فإنه كان يتأوَّل أن ذلك بمعنى : وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمَنَّا ، وإذا صرَفوا خَلَاءَهم إلى شياطينهم . فيزعمُ أن الجالب لـ ﴿إِلَى﴾ المعنى الذى دلَّ عليه الكلامُ من انصرافِ المنافقين عن لقاءِ المؤمنين إلى شياطينهم خالين بهم ، لا قوله : ﴿ خَلَوْا ﴾ . وعلى هذا التأويل لا يَصْلُحُ في^(٥) موضعٍ ﴿إِلَى﴾ غيرها ؛ لتغيُّر الكلامِ بدخولِ غيرها من الحروف مكانها .

وهذا القولُ عندى أولى بالصواب ؛ لأن لكلَّ حرفٍ من حروفِ المعاني وجهًا هو به أولى من غيره ، فلا يَصْلُحُ تحويلُ ذلك عنه إلى غيره إلا بحجةٍ يجبُ التسليمُ

(١) فى ت ٢ : « فإذا » ، وفى م : « أى » .

(٢) حروف الصفات هى حروف الجر ، وسميت بذلك لأنها تحدث صفة فى الاسم ، فقولك : جلست فى الدار . دلت « فى » على أن الدار وعاء للجلوس ، وقيل : لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات . همع الهوامع ١٩ / ٢ . وهى أيضًا حروف المعانى ، كما سيأتى .

(٣) هو القحيف العجلي ، وينظر البيت فى النوادر لأبى زيد ص ١٧٦ ، والكامل ١٩٠ / ٢ ، ٩٨ / ٣ ، والخزانة ١٣٢ / ٢ .

(٤) بعده فى ص ، م : « أهل » .

(٥) سقط من : ص .

لها ، ولد «إلى» ^(١) في كل موضع دخلت من الكلام حُكْمٌ ، وغير جائز سلبها معانيها في أماكنها .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ .

أجمع أهل التأويل جميعاً لا خلاف بينهم على أن معنى قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ : إنما نحن ساخرون . فمعنى الكلام إذن : وإذا انصرف المنافقون خالين إلى مَرَدِّهِمْ من المنافقين والمشركين قالوا : إنا معكم على ^(٢) ما أُنْتُمْ عليه ، من التكذيب بمحمد ﷺ وبما جاء به ، ومعاداته ومعاداة أتباعه ، إنما نحن ساخرون بأصحاب محمد ﷺ ^(٣) في قيلنا ^(٣) لهم إذا لقيناهم : ﴿ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ آمِنَّا بِالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ أَكْبَرُ ﴾ [٣٦/١] الْآخِرُ .

كما حَدَّثَنَا محمد بن العلاء ، قال : حَدَّثَنَا عثمان بن سعيد ، قال : حَدَّثَنَا بشر ^(٤) بن عمار ، عن أبي رزق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ : ساخرون بأصحاب محمد ﷺ ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابن حميد ، قال : حَدَّثَنَا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي : إنما نحن نستَهزِئُ بالقوم ونلعب بهم ^(٦) .

/ حَدَّثَنَا بشر بن معاذ العقدي ، قال : حَدَّثَنَا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، ١٣٢/١

(١) في ص : « الأولى » .

(٢) في م : « عن » .

(٣ - ٣) في ص : « بقيلنا » .

(٤) في م : « قيس » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨/١ (١٤٢) من طريق محمد بن العلاء به . وهو تنمة الأثر المتقدم في ص ٣٠٦ .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣١ . وهو تنمة الأثر المتقدم في ص ٣٠٧ .

عن قتادة: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ : إِنَّمَا نَسْتَهْزِئُ بِهِؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَنَسْخَرُ بِهِمْ ^(١).

حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق بن الحجاج، عن عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ أى: نَسْتَهْزِئُ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ^(٢) ﷺ.

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾.

قال أبو جعفر: اختلف فى صفة استهزاء الله تعالى ذكره الذى ذكر أنه فاعله بالمنافقين الذين وصف صفتهم؛ فقال بعضهم: استهزاؤه بهم كالذى أخبرنا تبارك اسمه أنه فاعل بهم يوم القيامة فى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَمْ يَأْتِ بِآيَةٍ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [الحديد: ١٣، ١٤] الآية. وكالذى أخبرنا أنه فعل بالكفار بقوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطَمِّلُ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ [آل عمران: ١٧٨]. فهذا وما أشبهه من استهزاء الله تعالى ذكره وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به، عند قائلى هذا القول ومتأولى هذا التأويل.

وقال آخرون: بل استهزاؤه بهم توبيخه إياهم، ولو أنه لهم على ما ركبوا من معاصيه ^(٣)

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨/١ عقب الأثر (١٤٢) معلقا. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١/١ إلى عبد بن حميد. وهو تمة الأثر السابق فى ص ٣٠٧.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨/١ عقب الأثر (١٤٢) من طريق ابن أبى جعفر به.

(٣) فى م: «معاصى الله».

والكفر به ، كما يقال : إن فلاناً ليُهْزَأُ منه ^(١) اليوم ، ويُسخَرُ منه . يُرادُّ به توبيخُ الناسِ
إِيَّاهُ ولومُهم له . أو ^(٢) إهلاكُهُ إِيَّاهُمْ وتدميرُهُ بهم ، كما قال عبيدُ بنُ الأبرص ^(٣) :
سَائِلُ بَنَى حُجْرَ ابْنِ أُمِّ قَطَامٍ إِذْ ظَلَّتْ بِهِ الشُّمْرُ النَّوَاهِلُ ^(٤) تَلْعَبُ
فَرَعَمُوا أَنَّ الشُّمْرَ - وهى القَنَا - لَا لَيْبَ مِنْهَا ، ولكنها لما قَتَلَتْهُمْ وَشَرَّدَتْهُمْ ،
جَعَلَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهَا لَعِبًا بَيْنَ فَعَلَتْ ذَلِكَ بِهِ . قالوا : فَكَذَلِكَ اسْتَهْزَأَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ
بِمَنْ اسْتَهْزَأَ بِهِ مِنْ أَهْلِ التَّفَاقِي وَالْكَفْرِ بِهِ ، إِمَّا إِهْلَاكُهُ إِيَّاهُمْ وتدميرُهُ بهم ، وإِمَّا إِمْلَاؤُهُ
لَهُمْ لِيَأْخُذَهُمْ فِي حَالِ أَمْنِهِمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ بَغْتَةً ، أَوْ تَوْبِيخُهُ لَهُمْ وَلَائِمَتُهُ إِيَّاهُمْ . قالوا :
وَكَذَلِكَ مَعْنَى الْمَكْرِ مِنْهُ وَالْخَدِيعَةِ وَالشُّخْرِيَةِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : قَوْلُهُ : ﴿ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ ﴾ . عَلَى الْجَوَابِ ، كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِمَنْ كَانَ يَخْدَعُهُ إِذَا ظَفِرَ بِهِ : أَنَا الَّذِي
خَدَعْتُكَ . وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُ خَدِيعَةً ، وَلَكِنْ قَالَ ذَلِكَ إِذْ صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ . قَالُوا : وَكَذَلِكَ
قَوْلُهُ : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٥٤] ، وَ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ .
عَلَى الْجَوَابِ ، وَاللَّهُ لَا يَكُونُ مِنْهُ الْمَكْرُ وَلَا الْهُزْءُ . وَالْمَعْنَى عَنْدهُمْ ^(٥) أَنَّ الْمَكْرَ وَالْهُزْءَ
حَاقَ بِهِمْ .

(١) بعده فى ر : « منذ » .

(٢) فى ص ، ر ، ت ٢ : « و » .

والضمير فى قوله : إهلاكه إياهم وتدميرهم . عائد على الله سبحانه ، وهو معطوف على قوله : توبيخه
إياهم .

(٣) ديوانه ص ٧ .

(٤) النواهل ، جمع الناهل والناهلة : وهى الإبل العطاش ، تشبه بها الرماح ، كأنها تعطش إلى الدم .
الناج (ن ه ل) .

(٥) زيادة من : ر .

وقال آخرون: قوله: ﴿إِنَّمَا تَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٤) الله يستهزئ بهم. وقوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]. وقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]. و ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]. وما أشبه ذلك - إخبار من الله جل ثناؤه أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء، ومعاقبتهم عقوبة الخداع، فأخرج خبره عن جزائه / إياهم وعقابه^(١) لهم، مُخرج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوق العقاب في اللفظ، وإن اختلف المعنيان، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]. ومعلوم أن الأولى من صاحبها سيئة، إذ كانت منه لله تبارك وتعالى معصية، وأن الأخرى عدل؛ لأنها من الله جزاء للعاصي على المعصية، فهما - وإن اتفق لفظاهما - مختلفتا المعنى، وكذلك قوله: ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدْوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤]. فالعدوان الأول ظلم، والثاني جزاء لا ظلم، بل هو عدل؛ لأنه عقوبة للظالم على ظلمه، وإن وافق لفظه لفظ الأول. وإلى مثل^(٢) هذا المعنى وَجَّهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك، مما هو خبر عن مكر الله جل وعز بقوم، وما أشبه ذلك.

وقال آخرون: إن معنى ذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن المنافقين أنهم إذا خلوا إلى مردتهم قالوا: إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد ﷺ وما جاء به، وإنما نحن - بما نظهر لهم من قولنا لهم: صدقنا بمحمد ﷺ وما جاء به - مستهزئون. يعنون أننا نظهر لهم ما هو عندنا باطل لا حق ولا هدى. قالوا: وذلك هو معنى من معاني الاستهزاء، فأخبر الله أنه يستهزئ بهم، فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلاف الذي لهم عنده في الآخرة، كما أظهروا للنبي ﷺ والمؤمنين في الدين ما هم على خلافه في سرائرهم.

(١) في ص: «معاقبته».

(٢) زيادة من: ر.

والصوابُ في ذلك من القولِ والتأويلِ عندنا أن معنى الاستهزاء في كلام العرب إظهارُ المستهزئ للمستهزأ به من القولِ والفعلِ ما يُزْضِيهِ ويُوافِقُهُ ^(١) ظاهرًا، وهو بذلك من قبيله وفعله به مُؤرَّطُهُ ^(٢) مساءَّتُهُ ^(٣) باطنًا، وكذلك معنى الخِداعِ والشَّخْريَّةِ والمكرِ.

فإذ كان ذلك كذلك، وكان الله جلَّ ثناؤه قد جعل لأهل التَّفَاقِي في الدنيا من الأحكام - بما أظهرها بالسَّنتِهِم من الإقرارِ بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله، المَدْخِلِهِم ^(٤) في عِدَادِ مَنْ يَشْمَلُهُم ^(٥) اسمُ الإسلامِ، وإن كانوا ^(٦) لغير ذلك مُسْتَبْطِنِينَ ^(٧) - أحكامَ المسلمين ^(٨) المصدِّقين إقرارَهُم بالسَّنتِهِم بذلك، بضمايرِ قلوبِهِم، وصَحَائِحِ عَزَائِمِهِم، وحميدِ أفعالِهِم المحققةَ لَهُم صِحَّةَ إيمانِهِم، مع علمِ الله جلَّ وعزَّ بكذِبِهِم، وإطلاعه على خُبثِ اعتقادِهِم، وشكِّهِم فيما ادَّعَوْا بالسَّنتِهِم أَنَّهُم به ^(٩) مصدِّقون، حتى ظنُّوا في الآخرة - إذ حُشِرُوا في عِدَادِ مَنْ كانوا في عِدَادِهِم في الدنيا - أَنَّهُم وارِدُونَ مَوْرَدَهُم، وداخِلُونَ مَدْخَلَهُم، والله جلَّ جلاله مع إظهارِهِ ما قد أظهر لَهُم من الأحكامِ المُلْحِقَتِهِم ^(١٠) في عاجِلِ الدنيا وآجِلِ الآخرة

(١) سقط من: ص، وفي ر، ت ٢: «يوققه».

(٢) في م: «مورثه».

(٣) في ص، م: «مساءة».

(٤) في م: «المدخل لهم».

(٥) في ص، م: «يشمله».

(٦) في ر: «كان».

(٧) بعده في م: «من».

(٨) في ر: «الإسلام».

(٩) سقط من: م.

(١٠) في م: «الملحقهم».

إلى [٣٦/١] حال تمييزه بينهم وبين أوليائه، وتفريقه بينهم وبينهم - مُعَدَّ لهم من أليم عقابه ونكال عذابه، ما أعدَّ منه لأعدى أعدائه، وشرُّ^(١) عباده، حتى ميِّز بينهم وبين أوليائه، فألحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الأسفل^(٢) من النار^(٣) - كان معلوماً^(٤) أنه جلَّ ثناءه بذلك من فعله بهم، وإن كان جزاء لهم على أفعالهم، وعدلاً ما فقل من ذلك بهم؛ لاستحقاقهم إيَّاه منه بعصيانهم له كان بهم بما أظهر لهم من الأمور التي أظهرها لهم من إلحاقه أحكامهم في الدنيا بأحكام أوليائه وهم له أعداء، وحشره إليَّاهم في الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذبين، إلى أن ميِّز بينهم^(٥) وبينهم - مستهزئاً بهم^(٦) وساخراً، ولهم خادعاً، وبهم ماكرًا؛ إذ كان معنى الاستهزاء والشُّخْرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل، دون أن يكون ذلك معناه في حال فيها المستهزئُ بصاحبه له ظالمٌ، أو عليه فيها^(٥) عادلٌ، بل ذلك معناه في كلِّ / أحواله، إذا^(٦) وُجِدَت الصفات التي قدَّمنا ذكرها في معنى الاستهزاء وما أشبهه من نظائره.

وبنحو ما قلنا فيه روى الخبر عن ابن عباس .

حدَّثنا أبو كريب، قال : حدَّثنا عثمان بن سعيد، قال : حدَّثنا بشر بن عمار،

(١) في م : « أشر » .

(٢ - ٢) زيادة من : ر .

(٣) قوله : كان معلوماً . جواب قوله : فإذا كان ذلك كذلك ... المتقدم أول الفقرة .

(٤ - ٤) في م : « وبينهم مستهزئاً » .

(٥) بعده في م : « غير » .

(٦) في ر : « إذ قد » .

عن أبي رَزَقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ في قوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ . قال :
يَسْخَرُ بِهِمْ لِلنَّعْمَةِ مِنْهُمْ ^(١) .

وأما الذين زَعَمُوا أن قولَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ . إنما هو على وجهِ الجوابِ ، وأنه لم يكن من اللَّهِ استهزاء ولا مَكْرٌ ولا خديعةٌ ، فنافون عن اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ما قد أثبتهُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لنفسِهِ وأُوجِبَهُ لها . وسواءٌ قال قائلٌ : لم يكن من اللَّهِ جَلَّ ذكرُهُ استهزاء ولا مَكْرٌ ^(٢) ولا سُخْرِيَةٌ بمن أخبر أنه يَسْتَهْزِئُ وَيَسْخَرُ ويمَكُرُ به . أو قال : لم يخسِفِ اللَّهُ بمن أخبر أنه خَسَفَ به من الأممِ ، ولم يُغْرِقْ من أخبر أنه غَرِقَ منهم .

ويقالُ لقائلٍ ذلك : إن اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أخبرنا أنه مَكَّرَ بقومٍ مضوا قبلنا لم نَرَهُم ، وأخبر عن آخرين أنه خَسَفَ بهم ، وعن آخرين أنه غَرَقَهُم ، فصَدَّقْنَا اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فيما أخبرنا به من ذلك ، ولم نفرِّقْ بين شيءٍ منه ، فما برهانك على تفريقك ما فَرَّقْتَ بينه ، بزعمك أنه قد غَرِقَ وخَسَفَ بمن قد ^(٣) أخبر أنه غَرِقَ وخَسَفَ به ، ولم يمَكُرْ بمن أخبر أنه قد مَكَّرَ به ؟ ثم يُعَكِّسُ القولُ عليه في ذلك ، فلن يقول في أحدهما شيئاً إلا ألْزِمَ في الآخرِ مثله .

فإن لجأ إلى أن يقول : إن الاستهزاء عبثٌ ولعبٌ ، وذلك عن اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ منفيٌّ .

قيل له : إن كان الأمرُ عندك على ما وصَفْتَ من معنى الاستهزاء ، أَفَلَسْتَ تقولُ : اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ، وسِخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ، ومَكَّرَ اللَّهُ بِهِمْ . وإن لم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨/١ (١٤٣) من طريق أبي كريب به .

(٢) بعده في م : « ولا خديعة » .

(٣) زيادة من : ر .

يَكُنْ مِنَ اللَّهِ عِنْدَكَ هُزْءٌ وَلَا سَخِرِيَّةٌ ؟ فَإِنْ قَالَ : لَا . كَذَّبَ بِالْقُرْآنِ ، وَخَرَجَ مِنْ ^(١) مِلَّةِ
 الْإِسْلَامِ . وَإِنْ قَالَ : بَلَى . قِيلَ لَهُ : أَتَقُولُ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي قُلْتَ : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ
 بِهِمْ ﴾ ، ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ : يَلْعَبُ اللَّهُ بِهِمْ وَيَعْبَثُ . وَلَا لَعِبَ مِنَ اللَّهِ وَلَا عِبَثٌ ؟
 فَإِنْ قَالَ : نَعَمْ . وَصَفَ اللَّهُ بِمَا قَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى نَفْيِهِ عَنْهُ ، وَعَلَى تَخَطُّطِهِ
 وَاصِفِهِ بِهِ ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ مَا قَدْ قَامَتِ الْحُجَّةُ مِنَ الْعُقُولِ عَلَى ضَلَالِ مُضَيِّفِهِ إِلَيْهِ . وَإِنْ
 قَالَ : لَا أَقُولُ : يَلْعَبُ اللَّهُ بِهِمْ ، وَلَا يَعْبَثُ . وَقَدْ أَقُولُ : يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ، وَيَسْخَرُ
 مِنْهُمْ . قِيلَ : فَقَدْ فَرَّقْتَ بَيْنَ مَعْنَى اللَّعِبِ وَالْعِبَثِ ، وَالْهُزْءِ وَالسَّخِرِيَّةِ ، وَالْمَكْرِ
 وَالْخُدَيْعَةِ ، وَمِنَ الْوَجْهِ الَّذِي جَازَ قِيلُ هَذَا ، وَلَمْ يَجْزُ قِيلُ هَذَا ، أَفْتَرَقَ مَعْنِيَاهُمَا ، فَعَلِمَ
 أَنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعْنًى غَيْرَ الْمَعْنَى الْآخَرِ .

وللكلام في هذا النوع موضع غير هذا ، كَرِهْنَا إطالة الكتاب باستقصائه ،
 وفيما ذكرنا كفاية لمن وُفِّقَ لفهمه .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيَسْتَهْزِئُ ﴾ .

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ وَيَسْتَهْزِئُ ﴾ ؛ فقال بعضهم
 بما حدثني به موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن
 السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ،
 عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : ﴿ وَيَسْتَهْزِئُ ﴾ : يُمْلِي لَهُمْ ^(٢) .

(١) في م : « عن » .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٧٨/١ عن السدي به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣١/١ إلى المصنف عن
 ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨/١ (١٤٤) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ،
 عن السدي من قوله . وسيأتي بقية هذا الأثر في ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

/ وقال آخرون بما حدثني به المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا سويد بن نصر ، عن ١٣٥/١ ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة ، عن مجاهد : ﴿ وَيَمْدُهُمْ ﴾ قال : يَزِيدُهُمْ ^(١) .

وكان بعض نحوي ^(٢) البصرة يتأول ذلك أنه بمعنى : يَمْدُ لَهُمْ . ويزعم أن ذلك نظير قول العرب : الغلام يلعب بالكعب . ^(٣) يُراد به : يلعب بالكعب ^(٤) . قال : وذلك أنهم قد يقولون : قد مَدَدْتُ له ، وأمَدَدْتُ له . في غير هذا المعنى ، وهو قول الله جل وعز : ﴿ وَأَمَدَدْنَاهُمْ ﴾ [الطور : ٢٢] . وهذا من : أمَدَدْنَاهُمْ . قال : ويقال : قد مَدَّ البحرُ فهو مَادٌّ ، وأمَدَّ الجُرْحُ فهو مُمَدٌّ .

وحكى عن يونس الجزمي ^(٥) أنه كان يقول : ما كان من الشرِّ فهو : مَدَدْتُ ، وما كان من الخير فهو : أَمَدَدْتُ . ثم قال : وهو كما فسرتُ لك ، إذا أردت أنك تركته فهو : مَدَدْتُ له ، وإذا أردت أنك أعطيته قلت : أَمَدَدْتُ .

وأما بعض نحوي الكوفة فإنه كان يقول : كلُّ زيادةٍ حدثت في الشيء من نفسه ، فهو : مَدَدْتُ ، بغير ألف ، كما تقول : مَدَّ النهرُ ، ^(٦) ومَدَّ نَهْرٌ آخرٌ غيره . إذا اتَّصل به فصار منه ، وكلُّ زيادةٍ حدثت في الشيء من غيره فهو بألف ، كقولك : أَمَدَّ الجُرْحُ ؛ لأنَّ المِدَّةَ من غير الجرح ، وأمَدَدْتُ الجيشَ بِمَدَدٍ .

وأولى هذه الأقوال بالصواب في قوله : ﴿ وَيَمْدُهُمْ ﴾ . أن يكون بمعنى :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨/١ (١٤٥) من طريق ابن جريج به .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣١/١ إلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) بعده في ر : « أهل » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) ينظر تهذيب اللغة ٨٥/١٤ .

(٥ - ٥) في ص : « مده فهو » ، وفي ر : « مد نهر » .

يزيدهم . على وجه^(١) الإملاء والترك لهم في غنوّهم وتمزّدهم ، كما وصف ربنا جلّ ثناؤه أنه فعل بنظرائهم في قوله : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَّتْهُمْ وَأَبْصَرْتَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٠] .^(٢) فكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَيَمْدُكُمُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^(٣) . يعنى : ^(٤) يَذَرُهُمْ وَيَتْرَكُهُمْ فِيهِ ، وَيَمْلَى^(٥) لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا إِلَى إِثْمِهِمْ .

ولا وجه لقول من قال : ذلك بمعنى : يَمْدُ لَهُمْ . لأنه^(٦) لا تدافع بين^(٧) العرب وأهل المعرفة بلغيتها أن يستجيزوا قول القائل : مَدَّ النَّهْرَ^(٨) نَهَرَ آخِرُ . بمعنى : اتصل به فصار^(٩) زائداً^(١٠) ماء المتّصل^(١١) به بماء المتّصل . من غير تأويل منهم ذلك^(١٢) أن معناه : [٣٧/١] مَدَّ النَّهْرَ^(١٣) نَهَرَ آخِرُ . فكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَيَمْدُكُمُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ .

قال أبو جعفر : والطغيانُ القُغْلَانُ ، من قولك : طَغَى فلانٌ يطغى طُغْيَانًا . إذا تجاوز في الأمر حدّه فبغى . ومنه قولُ اللَّهِ جَلَّ ثناؤه : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴾ [١٠٠] .

(١) في ر : « معنى » .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م .

(٣ - ٣) في ص ، م : « نذرهم ونتركهم فيه ونملئ » .

(٤ - ٤) في ص : « تدافع » .

(٥) في ص : « إليهم » .

(٦) في ص : « صارا » .

(٧ - ٧) في ر ، ت ٢ : « ما اتصل » ، وفي ت ١ : « بماء المتصل » .

(٨) في ص : « وذلك » .

(٩) في ص : « للنهر » .

رَأَاهُ اسْتَعْفَى ﴿ [العلق: ٦، ٧] . أى: يتجاوز حده. ومنه قول أمية بن أبى الصلت^(١):

ودعا الله دعوة "لَا تَهْنَأُ" بعد طغيانه فظلاً^(٢) مُشيراً
ولما عنى الله جل ثناؤه بقوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ أى^(٣): يُملى لهم،
ويذرهم ييغون فى ضلاليتهم^(٤) وكفرهم حيارى يترددون.

كما حدثت عن المنجاب، قال: حدثنا بشر، عن أبى رزق، عن الضحاك،
عن ابن عباس فى قوله: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. قال: فى كفرهم يترددون^(٥).

وحدثنى موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدى
فى خبر ذكره/عن أبى مالك، وعن أبى صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن ١٣٦/١
مسعود، وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: فى كفرهم^(٦).

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة: ﴿فِي
طُغْيَانِهِمْ﴾: فى ضلاليتهم^(٧).

حدثت عن عمار بن الحسين، قال: حدثنا عبد الله بن أبى جعفر، عن أبيه، عن

(١) ديوانه ص ٤٤.

(٢) (٢ - ٢) فى الديوان: «لا يهنا».

(٣) فى إحدى نسخ الديوان: «فصار».

(٤) فى م: «أنه».

(٥) فى ص، م: «ضلالهم».

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩/١ (١٤٨، ١٥٠) عن أبى زرعة، عن المنجاب به.

(٧) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٢١، ٣٢٢.

(٨) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩/١ عقب الأثر (١٤٨) معلقاً.

(تفسير الطبرى ٢١/١)

الرَّبِيعُ : ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ : فِي ضَلَالَتِهِمْ ^(١) .

حَدَّثَنَا يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ قَالَ : طُغْيَانُهُمْ كَفَرُهُمْ وَضَلَالَتُهُمْ ^(٢) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَعْصُونَ ﴾ ^(٣) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالْعَمَةُ نَفْسُهُ الضَّلَالُ . يُقَالُ مِنْهُ : عِمَهُ فَلَانٌ يَعْمُهُ عَمَهَا نًا وَعُمُوهَا ، إِذَا ضَلَّ . وَمِنْهُ قَوْلُ رُؤْيَةَ بِنِ الْعَجَّاجِ يَصِفُ مَضَلَّةً مِنَ الْمَهَامِيهِ ^(٤) :

وَمُخْفَقٍ ^(٥) مِنْ لُهْلِهِ ^(٦) وَلُهْلِهِ

مِنْ ^(٧) مَهْمِهِ ^(٨) يَجْتَنُّهُ ^(٩) فِي مَهْمِهِ

أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّةِ

وَالْعُمَّةُ جَمْعُ عَامِيهِ ، وَهُمْ الَّذِينَ يَضِلُّونَ فِيهِ فَيَتَحَيَّرُونَ .

فَمَعْنَى قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِذَنْ ^(١٠) : ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْصُونَ ﴾ . فِي ضَلَالَتِهِمْ وَكَفَرِهِمْ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٤٩/١ عَقِبَ الْأَثَرِ (١٤٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ :

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٧٩/١ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ .

(٣) دِيَوَانُ رُؤْيَةَ (مَجْمُوعَةُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ) ص ١٦٦ .

(٤) الْمُخْفَقُ : الْأَرْضُ الَّتِي تَسْتَوِي فَيَكُونُ فِيهَا السَّرَابُ مُضْطَرِبًا . اللَّسَانُ (خ ف ق) .

(٥) فِي ص : « أَهْلُهُ » . وَاللَّهْلُ : الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ يَضْطَرِبُ فِيهَا السَّرَابُ . اللَّسَانُ (ل ه ل) .

(٦) فِي الدِّيَوَانِ : « وَ » .

(٧) الْمَهْمَةُ : الْفَلَاةُ بَعَيْنُهَا لَا مَاءَ بِهَا وَلَا أَنْيْسَ . اللَّسَانُ (م ه ه) .

(٨) فِي الدِّيَوَانِ : « أَطْرَافُهُ » ، وَفِي ص : « يَجْتَنُّهُ » ، وَفِي ت ١ : « يَجْنِيهِ » . وَجَابِ الْمَفَازَةِ جَوْبًا : قَطْعُهَا . تَاجُ

الْعُرُوسِ (ج و ب) .

(٩) فِي ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « وَ » .

(١٠) سَقَطَ مِنْ : م .

الذى قد غمَرهم دَنَسُه ، وعلاهم رِجْسُه ، يتردّدون حَيَارَى ضُلَالًا لَا ، لا يجدون إلى المَخْرَجِ منه سَبِيلًا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قد طَبَعَ على قُلُوبِهِمْ ، وَخَتَمَ عَلَيْهَا ، وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ عن الهدى وأغشاها^(١) ، فلا يُنْصِرُونَ رُشْدًا ، ولا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا .

وبنحو ما قلنا فى العمه جاء تأويل المتأولين .

حدّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدّثنا عمرو ، قال : حدّثنا أسباطُ ، عن الشدّئى فى خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النّبى ﷺ : ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ : يتمادّون فى كفرهم^(٢) .

حدّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ صالحٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن عليّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ . قال : يتمادّون^(٣) .

حدّثت عن المنجابِ ، قال : حدّثنا بشرٌ ، عن أبى رزقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قوله : ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ . قال : يتردّدون^(٤) .

حدّثنا القاسمُ ، قال : حدّثنا الحسينُ ، قال : حدّثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ : المتلذّدُ^(٥) .

(١) فى ص : « أعشاها » ، وفى ت ٢ : « أعشاها » .

(٢) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩/١ (١٤٩) من طريق عبد الله بن صالح به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١/١ إلى ابن المنذر .

(٤) تقدم فى ص ٣٢١ .

(٥) سقط من : ص ، وفى ت ١ : « التلذذ » ، وفى ت ٢ : « المتلذذ » . وتلد : تلفت يمينا وشمالا وتحير

متبلدا . اللسان (ل د د) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ مَيْمُونٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. قَالَ: يَتَرَدَّدُونَ^(١).

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ، قَالَ حَدَّثَنَا شَيْبُلٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ.

١٣٧/١ / حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قِرَاءَةً، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ.

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الرَّبِيعِ: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ قَالَ: يَتَرَدَّدُونَ^(٢).

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: إِنْ قَالَ لَنَا^(٣) قَائِلٌ: وَكَيْفَ اشْتَرَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى، وَإِنَّمَا كَانُوا مُنَافِقِينَ لَمْ يَتَقَدَّمْ نِفَاقُهُمْ إِيمَانٌ فَيَقَالُ فِيهِمْ: بَاعُوا هُدَاهُمْ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ بِضَلَالَتِهِمْ الَّتِي^(٤) اسْتَبَدَلُوهَا مِنْهُ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مَعْنَى الشِّرَاءِ الْمَفْهُومَ

(١) تفسير مجاهد ص ١٩٦، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣١/١ إلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٩/١ عقب الأثر (١٥٠) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٣) سقط من: م.

(٤) في م: «حتى».

اعتياضُ شَيْءٍ ببِذْلِ شَيْءٍ مكانَهُ عِوَضًا مِنْهُ ، والمنافقون الذين وصفهم اللهُ بهذه الصفةِ لم يكونوا قطُّ على هُدًى فيتركوه ويَعْتَاضُوا مِنْهُ كَفَرًا ونِفَاقًا ؟

قيل : قد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فذكُرَ ما قالوا فيه ، ثم نبينُ الصحيح من التأويل في ذلك إن شاء اللهُ .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُمَيدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمَةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جبَّيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾ أى : الكفرَ بالإيمان ^(١) .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكره عن أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾ . يقولُ ^(٢) : أَخَذُوا الضَّلَالَةَ وتركوا الهدى ^(٣) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾ : استحبُّوا الضَّلَالَةَ على الهدى ^(٤) .

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٢/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٩/١ (١٥٣) من طريق سلمة به .

(٢) في ص ، ت ١ : « قال » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٧٩/١ عن السدي به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٠/١ (١٥٥) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي من قوله .

(٤) بعده في ت ٢ : « وحدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدَّثنا أبو عاصم ، قال : حدَّثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ . استحَبُّوا الضَّلالة على الهدى » .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ مِيمُونٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى﴾ : آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا^(١).

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَكَانَ^(٢) [٣٧/١ ظ] الَّذِينَ قَالُوا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ : أَخَذُوا الضَّلَالََةَ وَتَرَكَوا الْهُدَى. وَجَّهُوا مَعْنَى الشُّرَاءِ إِلَى أَنَّهُ أَخَذَ الْمُشْتَرَى الْمُشْتَرَى^(٣) مَكَانَ الثَّمَنِ الْمُشْتَرَى بِهِ، فَقَالُوا : كَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ قَدْ أَخَذَا مَكَانَ الْإِيمَانِ الْكَفَرِ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُمَا شُرَاءَ لِلْكَفْرِ وَالضَّلَالَةِ لِلَّذِينَ أَخَذَاهُمَا بِتَرْكِهِمَا مَا تَرَكََا مِنَ الْهُدَى، وَكَانَ الْهُدَى الَّذِي تَرَكَاهُ^(٤) هُوَ الثَّمَنُ الَّذِي جَعَلَاهُ عَوَضًا مِنَ الضَّلَالَةِ الَّتِي أَخَذَاهَا.

وَأَمَّا الَّذِينَ تَأَوَّلُوا أَن مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿اشْتَرَوْا﴾ : اسْتَحْبُّوا. فَإِنَّهُمْ لَمَّا وَجَدُوا اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ وَصَفَ الْكَفَارَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، فَنسَبَهُمْ إِلَى اسْتِحْبَابِهِمُ الْكَفَرَ عَلَى الْهُدَى، فَقَالَ : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت : ١٧]. صَرَفُوا قَوْلَهُ : ﴿اشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى﴾ إِلَى ذَلِكَ، وَقَالُوا :

= وَأَثَرُ قِتَادَةِ أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ، كَمَا فِي الدَّرِ الْمُنْثُورِ ٣٢/١ - وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٤٩/١ (١٥٢) - عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قِتَادَةَ. وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ. وَسَأَتَى بِقَيْتِهِ فِي ص ٣٣٠.

(١) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ ص ١٩٧، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٠/١ (١٥٤). وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِ الْمُنْثُورِ ٣٢/١ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ.

(٢) فِي م : «فَكَانَ».

(٣) سَقَطَ مِنْ : ص، م.

(٤) فِي ر : «مِنْ».

قد تدخلُ/الباء مكانَ « عَلَى » ، و « على » مكانَ الباءِ ، كما يقالُ : مَرَزْتُ بفلانٍ ، ١٣٨/١
وَمَرَزْتُ على فلانٍ . بمعنى واحدٍ ، وكقولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ
إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران : ٧٥] . يُريدُ ^(١) : على قنطارٍ . فكان تأويلُ
الآيةِ على معنى هؤلاء : أولئك الذين اختاروا الضلالةَ على الهدى . وأُراهم وجَّهوا
معنى قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ اشْتَرَوْا ﴾ إلى معنى : اختاروا ؛ لأنَّ العربَ تقولُ :
اشْتَرَيْتُ كذا على كذا ، واشْتَرَيْتُهُ . يعنون : اخترتهُ عليه . ومن الاستِراءِ ^(٢) قولُ
أعشى بنى ثعلبة ^(٣) :

فقد أَخْرِجُ الكاعِبَ ^(٤) المُشْتَرَا ^(٥) عَ من خِدْرِها وَأُشِيعُ القِمَارَا
يعنى بالمُشْتَرَا ^(٦) المختارة .

وقال ذو الرُّمَّةِ فى الاشتراءِ بمعنى الاختيارِ ^(٧) :

يَذُبُّ القَصَايا ^(٨) عن سَرَاةٍ ^(٩) كأنَّها جَماهيرُ ^(١٠) تحت المُلْجَنَاتِ ^(١١) الهَوَاضِبِ ^(١٢)
يعنى بالسَّرَاةِ المختارة .

(١) فى م : « أَى » .

(٢) فى ر ، م : « الاشتراء » .

(٣) ديوانه ص ٤٥ .

(٤) الكاعب : الجارية التى نهذ ثديها . اللسان (ك ع ب) .

(٥) فى م : « المشتراة » .

(٦) فى م : « بالمشتراة » .

(٧) ديوان ذى الرمة ٢١٢/١ .

(٨) القصايا : خيار الإبل ، وقيل : القصية من الإبل رذالتها . وهو المراد هنا . اللسان (ق ص ي) .

(٩) فى الديوان ، واللسان (ق ص ي) : « سراة » ، وفى اللسان (ش ر ي) : « شراة » .

(١٠) الجماهير جمع الجمهور : الرمل الكثير المتراكم الواسع . اللسان (جمهر) .

(١١) أدجن المطر : دام فلم يقلع أياما . اللسان (د ج ن) .

(١٢) الهضبة : المطرة الدائمة العظيمة القطر . اللسان (هـ ض ب) .

وقال آخِرُ في مثل^(١) ذلك^(٢) :

إِنَّ الشِّرَاءَ رُوقَةً^(٣) الْأَمْوَالِ

وَحَزْرَةٌ^(٤) الْقَلْبِ خِيَارُ الْمَالِ

قال أبو جعفر : وهذا وإن كان وجهًا من التأويل ، فليست له بمختار ؛ لأنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قال : ﴿ فَمَا رِيحَتْ يَمْحَرْتُهُمْ ﴾ . فدلَّ بذلك على أن معنى قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾ معنى الشراء الذي يتعارفه الناس ، من استبدال شيء مكان شيء ، وأخذ عوض على عوض .

وأما الذين قالوا : إن القوم كانوا مؤمنين فكفروا . فإنه لا مؤنة عليهم لو كان الأمر على ما وصفوا به القوم ؛ لأن الأمر إذا كان كذلك ، فقد تركوا الإيمان ، واشتبدلوا به الكفر عوضًا من الهدى ، وذلك هو المعنى المفهوم من معانى الشراء والبيع ، ولكن دلائل^(٥) أول الآيات فى نعتهم إلى آخرها دالة على أن القوم لم يكونوا قط استضاءوا بنور الإيمان ، ولا دخلوا فى ملة الإسلام ، أو ما تسمع اللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ من لَدُنِ ابْتَدَأَ فى نعتهم إلى أن أتى على صفيتهم ، إنما وصفهم بإظهار الكذب بالسنتهم بدعواهم التصديق بنبينا محمد ﷺ ، وبما جاء به ، خداعًا لله ولرسوله وللمؤمنين عند أنفسهم ، واستهزاء فى أنفسهم بالمؤمنين ، وهم لغير ما كانوا يُظهِرون مُشْتَبِطُونَ ، يقول^(٦) اللَّه جَلَّ جلاله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ

(١) فى ر : « معنى » .

(٢) البيت الأول فى أساس البلاغة ص ١٧٠ ، والبيت الثانى فى الصحاح ، واللسان ، والتاج (ح ز ر) .

(٣) الروقة : الجميل جدًا من الناس . اللسان (ر و ق) .

(٤) حزة القلب : نقاوته . ويقال : هذا حزة نفسى : أى خير ما عندى . التاج (ح ز ر) .

(٥) فى ر ، ت ٢ : « دلالة » .

(٦) فى م : « لقول » .

الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ . ثم اقتَصَّ قَصَصَهُمْ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ . فَأَيْنَ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ فَكَفَرُوا ؟

فَإِنْ كَانَ ^(١) قَائِلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ ظَنَّ ^(٢) أَنَّ قَوْلَهُ : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ كَانُوا عَلَى الْإِيمَانِ فَانْتَقَلُوا عَنْهُ إِلَى الْكُفْرِ ، فَلِذَلِكَ قِيلَ لَهُمْ : ﴿اشْتَرَوْا﴾ . فَإِنْ ذَلِكَ تَأْوِيلٌ غَيْرُ مُسَلِّمٍ لَهُ ؛ إِذْ كَانَ الْإِشْتِرَاءُ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ قَدْ يَكُونُ أَخَذَ شَيْءٍ بِتَرْكِ آخَرٍ غَيْرِهِ ، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْإِخْتِيَارِ ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي ، وَالْكَلِمَةُ إِذَا اخْتَمَلَتْ وَجُوهًا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ صَرَفٌ مَعْنَاهَا إِلَى بَعْضِ وَجُوهِهَا دُونَ بَعْضٍ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا .

قال أبو جعفرٍ : والذي هو أولى عندي ^(٣) بتأويل الآية ما رَوَيْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ تَأْوِيلِهِمَا / قَوْلَهُ : ﴿اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ : أَخَذُوا الضَّلَالَةَ ۖ وَتَرَكَوا الْهُدَى . وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ كَافِرٍ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ مُسْتَبَدِّلٌ بِالْإِيمَانِ كُفْرًا ^(٤) ، بِاِكْتِسَابِهِ الْكُفْرَ الَّذِي وَجَدَ مِنْهُ ^(٥) بَدَلًا مِنَ الْإِيمَانِ ^(٦) الَّذِي أُمِرَ بِهِ ، أَوْ مَا تَسَمَّعَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقُولُ فِي مَنْ اِكْتَسَبَ كُفْرًا بِهِ مَكَانَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ : ﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة : ١٠٨] . وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى الشِّرَاءِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ مُشْتَرٍ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَسْتَبَدِّلُ مَكَانَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْهُ مِنَ الْبَدَلِ آخَرَ بَدِيلًا ^(٧) مِنْهُ ، فَكَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ ^(٨) ، اسْتَبَدَّلَا بِالْهُدَى الضَّلَالَ وَالنِّفَاقَ ، فَأَضْلَعَهُمَا اللَّهُ ، وَسَلَبَهُمَا نَوْرَ

(١) فِي ص : « ظن » ، وَفِي ر : « قَالَ » .

(٢) سَقَطَ مِنْ : ص .

(٣) فِي ص : « عِنْدَنَا » .

(٤) بَعْدَهُ فِي ر : « وَ » .

(٥ - ٥) فِي ر : « بِالْإِيمَانِ » .

(٦) فِي م : « بَدَلًا » .

(٧ - ٧) فِي ص : « وَكَانَ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ » .

الهدى ، فترك جميعهم فى ظلماتٍ لا يُنصرون .

القول فى تأويل قوله : ﴿ فَمَا رِيحَتْ يَجْعَرُثُهُمْ ﴾ .

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك أن المنافقين بشرائهم الضلالة بالهدى ، خسروا ولم يربحوا ؛ لأنَّ الرابح من التجار المستبدل من سلعته المملوكة عليه بدلاً هو أنفس من سلعته ^(١) ، أو أفضل من ثمنها الذى ابتاعها به ، فأما المستبدل من سلعته بدلاً ^(٢) دونها ، ودون الثمن الذى ابتاعها به ، فهو الخاسر فى تجارته لا شك . فكَذلك الكافر والمنافق ؛ لأنهما اختارا الحيرة والعمى على الرشاد والهدى ، والخوف والرعب على الخفض ^(٣) والأمن ، فاستبدلا فى العاجل بالرشاد الحيرة ، وبالهدى الضلالة ، وبالخفض ^(٤) الخوف ، وبالأمن الرعب ، مع ما قد أعدَّ لهما فى الآجل من أليم العقاب وشديد العذاب ، فخابا وخسرا ذلك هو الخسران المبين . وبنحو ما قلنا فى ذلك كان قتادة يقول ^(٥) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدٌ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ فَمَا رِيحَتْ يَجْعَرُثُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ : قد والله رأيتهم ، خرجوا من الهدى إلى الضلالة ، [٣٨ / ١] ومن الجماعة إلى الفرقة ، ومن الأمن إلى الخوف ، ومن السنة إلى البدعة ^(٦) .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وما وجه قوله : ﴿ فَمَا رِيحَتْ يَجْعَرُثُهُمْ ﴾ . وهل

(١) بعده فى ص : « المملوكة » .

(٢) فى ص : « ثمن » .

(٣) فى ص ، م : « الحفظ » . والخفض : الدعة وطيب العيش . التاج (خ ف ض) .

(٤) فى ص ، م : « بالخفض » .

(٥) فى ر ، ت ، ٢ : « يقوله » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٠ / ١ (١٥٧) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢ / ١ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٢٥ .

التجارةُ مما تَرْبَحُ أو تُرَكِّسُ^(١) ، فيقال : رَبِحْتَ أو وُضِعْتَ^(٢) ؟

قيل : إن وجهَ ذلك على غيرِ ما ظننْتَ ، وإنما معنى ذلك : فما ربحوا في تجارتهم ، لا فيما اشْتَرَوْا ولا فيما شَرَوْا . ولكنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَاطَبُ بَكْتَابِهِ عَرَبًا ، فَسَلِّكَ فِي خَطَابِهِ إِثَّاهُمْ وَيَبَانِهِ لَهُمْ مَسَلِّكَ خَطَابٍ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَبَانُهُمُ الْمُسْتَعْمَلُ بَيْنَهُمْ . فلما كان فصيحًا لديهم قولُ القائلِ لآخر : خاب سعيك ، ونام ليلك ، وخسر بيعك . ونحو ذلك من الكلام الذي لا يَخْفَى على سامعِهِ ما يريدُ قائلُهُ ، خَاطَبَهُمُ بِالَّذِي هُوَ فِي مَنْطِقِهِمْ مِنَ الْكَلَامِ ، فقال : ﴿ فَمَا رَبِحْتَ تِجَارَتُهُمْ ﴾ . إذ كان معقولًا عندهم أن الربح إنما هو في التجارة ، كما النومُ في الليل ، فاكْتَفَى بِفَهْمِ الْمُخَاطَبِينَ بِمَعْنَى ذَلِكَ عَنْ أَنْ يَقَالَ : فما ربحوا في تجارتهم . وإن كان ذلك معناه ، كما قال الشاعر^(٣) :

وَشَرُّ الْمَنَايَا مَيِّتٌ^(٤) وَسَطٌ أَهْلُهُ كَهُلْكِ الْفَتَاةِ^(٥) أَسْلَمَ^(٦) الْحَيُّ حَاضِرُهُ
يعنى بذلك : وَشَرُّ الْمَنَايَا مَيِّتٌ^(٨) مَيِّتٌ وَسَطٌ أَهْلُهُ . فاكْتَفَى بِفَهْمِ سَامِعِ قِيلَهُ
مَرَادَهُ مِنْ ذَلِكَ عَنْ إِظْهَارِ مَا تَرَكَ إِظْهَارَهُ . وكما قال رُوْبَةُ بِنُ الْعَجَّاجِ^(٩) :

حَارَتْ قَدْ فَرَّجَتْ عَنِّي هَمِّي

(١) في م : « تنقص » . وهما بمعنى .

(٢) وَضِعَ فِي تِجَارَتِهِ : غَبِنَ . اللسان (و ض ع) .

(٣) هو الحطيئة ، ينظر الكتاب ١ / ٢١٥ ، وطبقات فحول الشعراء ١ / ١١٢ .

(٤) في الطبقات : « هالك » .

(٥) في الكتاب : « بين » .

(٦) في الكتاب : « الفتى » .

(٧) في الطبقات : « أيقظ » ، وفي الكتاب : « قد أسلم » .

(٨) في ر ، ت ٢ : « ميتة » .

(٩) ديوانه ص ١٤٢ .

فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى غَمِّي

١٤٠/١ / فوصف بالنوم الليل، ومعناه أنه هو الذي نام. وكما قال جرير بن الحطاف^(١):

وَأَعْوَزَ مِنْ نَبْهَانٍ أَمَا نَهَارُهُ فَأَعْمَى وَأَمَا لَيْلُهُ فَبَصِيرُ
فأضاف العمى والإبصار إلى الليل والنهار، ومراده وصف النّبّهاني^(٢) بذلك.

القول في تأويل قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ١١.

يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: ما كانوا رُشداً في اختيارهم الضلالة على الهدى، واستبدلهم الكفر بالإيمان، واشترائهم النفاق بالتصديق والإقرار.

القول في تأويل قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدُوا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ دَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.

قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: وكيف قيل: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدُوا نَارًا﴾. وقد علمت أن الهاء والميم من قوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ كناية جماع^(٣) من الرجال، أو الرجال والنساء، و﴿الَّذِينَ﴾ دلالة على واحد من الذكور، فكيف جعل الخبر عن الواحد مثلاً لجماعة؟ وهلاً قيل: مثلهم كمثل الذين استوقدوا ناراً؟ وإن جاز عندك أن تمثل الجماعة بالواحد، فتجيز لقائل رأى جماعة من الرجال فأعجبته صُورهم وتمائم خلقهم وأجسامهم أن يقول: كأن هؤلاء، أو كأن أجسام

(١) ديوانه ٨٧٧/٢.

(٢) في ص: «النهار». والنّبّهاني: هو الأعور النّبّهاني، نزل بجرير فأهدى إليه جرير، ولكن الأعور أساء الأدب وأخذ يتفف على ما أهدى إليه، فتهاجيا، فكان ذلك مما أجابه به جرير.

(٣) في م: «جماعة».

هؤلاء نخلة ؟

قيل : أما فى الموضع الذى مثل ربنا جل ثناؤه جماعة من المنافقين بالواحد الذى جعله لأفعالهم مثلاً ، فجائز حسن ، وفى نظائره ، كما قال جل ثناؤه فى نظير ذلك : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب : ١٩] . يعنى : ^(١) كدور أعين الذين يغشى عليهم ^(٢) من الموت . وكقوله : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَاحِدَةً ﴾ [لقمان : ٢٨] . بمعنى : إلا كبعث نفس واحدة .

وأما فى تمثيل أجسام الجماعة من الرجال فى الطول وتمايز الخلق بالواحدة من النخيل ، فغير جائز ، ولا فى نظائره ، لفرق بينهما .

فأما تمثيل الجماعة من المنافقين بالمستوقد الواحد ، فإنما جاز لأن المراد من ^(٣) الخبر عن مثل المنافقين ^(٤) الخبر عن مثل استضاءتهم بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار وهم لغيره مستبطنون ، من اعتقاداتهم الرديئة ، وخطيئهم نفاقهم الباطن بالإقرار بالإيمان الظاهر . والاستضاءة - وإن اختلفت أشخاص أهلها - معنى واحد لا معانٍ مختلفة ، فالمثل لها ^(٥) فى معنى المثل للشخص الواحد من الأشياء المختلفة الأشخاص .

وتأويل ذلك : مثل استضاءة المنافقين بما أظهروا من الإقرار بالله عز وجل وبمحمد ﷺ وبما جاء به ، قولاً ، وهم به مكذبون اعتقاداً ، كمثل استضاءة الموقد

(١ - ١) فى ت ١ : « كدوران الذى يغشى عليه » ، وفى م : « كدوران عين الذى يغشى عليه » .

(٢) فى ص : « بمثل » .

(٣) فى ص ، ت ٢ : « المنافق » .

(٤) بعده فى ت ٢ : « والمراد هم الأفراد » .

(٥) فى ص ، ت ١ : « له » .

نارًا. ثم أَسْقَط ذكرُ الاستِضاءَةِ وأُضِيف المثلُ إليهم، كما قال نابغةُ بنى جَعْدَةَ^(١) :

وكيف توأصلُ من أَضْبَحَتْ خِلَالَتُهُ^(٢) كأبى مَرْحَبٍ^(٣)
يريدُ : كخِلَالَةِ أبى مرحَبٍ . فَأَسْقَط « خِلَالَةً » ؛ إذ كان فيما أَظْهَرَ من الكلامِ
دلالةٌ لسامعيه على ما حَذَف منه .

١٤١/١ / فكذلك القولُ فى قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ لما كان
معلومًا عندَ سامعيه بما ظَهَرَ^(٤) من الكلامِ أن المَثَلَ إنما ضُرب لاستِضاءَةِ القومِ بالإقرارِ
دونَ أعيانِ أجسامِهِم ، حُسنُ حَذَفِ ذكرِ الاستِضاءَةِ وإضافةُ المَثَلِ إلى أهله ،
والمقصودُ بالمَثَلِ ما ذُكرنا . فلِما وَصَفنا جاز وَحُسنُ قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي
اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ . وَتَشْبِيهُ^(٥) مَثَلِ الجماعةِ فى اللفظِ بالواحدِ ، إذ كان المرادُ بالمَثَلِ
الواحدِ فى المعنى . وأما إذا أُريدَ تشبیهُ الجماعةِ من أعيانِ بنى آدمَ ، أو أعيانِ ذوى
الصورِ والأجسامِ بشيءٍ ، فالصوابُ من الكلامِ تشبیهُ الجماعةِ بالجماعةِ ، والواحدِ
بالواحدِ ؛ لأنَّ عَيْنَ كُلِّ واحدٍ منهم غيرُ أعيانِ الآخرينَ ، ولذلك من المعنى افترَقَ
القولُ فى تشبیهِ الأفعالِ والأسماءِ ، فجاز تشبیهُ أفعالِ الجماعةِ من الناسِ
وغيرِهِم - ^(٦) « إذا كانت » بمعنَى واحدٍ - بفعلِ الواحدِ ، ثم حَذَفَ أسماءِ الأفعالِ ،
وإضافةُ المَثَلِ والتشبيهِ إلى الذين لهم الفعلُ ، فيقالُ : ما أفعالُكم إلا كفعلِ الكلبِ . ثم

(١) شعر النابغة الجعدى ص ٢٦ .

(٢) الخلالة والحلة : الصداقة المختصة التى ليس فيها خلل . اللسان (خ ل ل) ، والبيت فيه .

(٣) أبو مرحب : كنية الظل . اللسان (ر ح ب) ، والبيت فيه .

(٤) فى ص ، م ، ت ١ : « أظهر » .

(٥) فى ص ، م ، ت ٢ : « يشبه » .

(٦ - ٦) فى ت ٢ : « إذا كان » ، وفى ت ١ : « إذ كانوا » .

يُحَذَفُ فيقالُ : ما أفعالكم إلا كالكلبِ ، أو ^(١) كالكلابِ . وأنت تعنى : إلا كفعلِ الكلبِ ، وإلا كفعل الكلابِ . ولم يُجْزَأْ أن تقولَ : ما هم إلا نخلة . وأنت تريدُ تشبيهَ أجسامهم بالنخلِ فى الطولِ والتمامِ .

وأما قوله : ﴿ أَسْتَوْقَدُ نَارًا ﴾ . فإنه فى تأويلٍ : أوقد ، كما قال الشاعر ^(٢) :

وداعِ دَعَا يا من يُجِيبُ إلى الندى ^(٣) فلم يَسْتَجِبْهُ عندَ ذاكِ مُجِيبُ
[٣٨/١ ظ] يريدُ : فلم يُجِبْهُ .

فكان معنى الكلامِ إذن : مثلُ استضاءة هؤلاء المنافقين فى إظهارهم لرسولِ الله ﷺ وللمؤمنين بألسنتهم من قولهم : آمنا بالله وباليومِ الآخرِ ، وصدّقنا بمحمدٍ وبما جاء به . وهم للكفرِ مستبطنون ، فيما ^(٤) الله فاعلٌ بهم ، مثلُ استضاءة موقِدِ نارًا بناره ، حتى أضاءت له النارُ ما حوله . يعنى ما حوله المستوقِد .

وقد زعم بعضُ أهلِ العربية من أهلِ البصرة أن ﴿ الَّذِي ﴾ فى قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي أَسْتَوْقَدُ نَارًا ﴾ بمعنى الذين ، كما قال جلُّ ثناؤه : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٣٣] . وكما قال الشاعر ^(٥) :

(١) فى ر : « وإلا » .

(٢) هو كعب بن سعد الغنوى ، والبيت فى الأصمعيات ص ٩٦ ، وطبقات فحول الشعراء ١/ ٢١٣ ، وأمالى القالى ١٥١/٢ .

(٣) الندى : الجود . الصحاح (ن دى) .

(٤) فى ت ٢ : « مما » .

(٥) هو الأشهب ابن رميلة ، والبيت فى الكتاب ١/ ١٨٧ ، والمؤتلف والمختلف ص ٣٧ .

فإن الذى حانت بفلج^(١) دماؤهم هُم القومُ كُلُّ القومِ يا أُمَّ خَالِدٍ
قال أبو جعفر : والقولُ الأولُ هو القولُ ؛ لما وصفنا من العلة ، وقد أغفلَ قائلُ
ذلك فرقَ ما بينَ « الذى » فى الآيتين وفى البيت ؛ لأنَّ ﴿ الَّذِي ﴾ فى قوله : ﴿ وَالَّذِي
جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ قد جاءت الدلالةُ على أن معناها الجمعُ ، وهو قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ
الْمُنْقُوتُونَ ﴾ . وكذلك « الذى » فى البيت ، وهو قوله : دماؤهم . وليست هذه
الدلالةُ فى قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ﴾ . فذلك فرقُ ما بينَ ﴿ الَّذِي ﴾ فى
قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ﴾ وسائرِ شواهدِهِ التى اشْتَشَهَدَ بها على أن
معنى : ﴿ الَّذِي ﴾ فى قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ﴾ بمعنى
الجماع^(٢) ، وغيرُ جائزٍ لأحدٍ نقلُ الكلمةِ التى^(٣) الأغلبُ فى استعمالِ العربِ على
معنى إلى غيره إلا بحجةٍ يجبُ التسليمُ لها .

ثم اختلفَ أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فزوى عن ابنِ عباسٍ فيه أقوالٌ :

أحدها : ما حدَّثنى به محمدُ بنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاق ،
عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، / أو عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، ١٤٢/١
قال : ضربَ اللهُ للمنافقين مثلاً فقال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا
أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ أى :
يُبْصِرُونَ^(٤) الحقُّ ويقولون به ، حتى إذا خرجوا به من ظلمةِ الكفرِ ، أطفأوه
بكفرِهِمْ به ونفاقِهِمْ فيه ، فتركهم فى ظلماتِ الكفرِ ، فهم لا يُبْصِرُونَ هدىً ،

(١) فلج : موضع بين البصرة وحمى ضرية . وقيل : هو واد بطريق البصرة إلى مكة ، يبطنه منازل للحجاج . التاج
(ف ل ج) .

(٢) فى م : « الجماعة » .

(٣) فى ص : « إلى » ، وفى م : « التى هى » .

(٤) فى سيرة ابن هشام : « لا يبصرون » .

ولا يَسْتَقِيمُونَ عَلَى حَقٍّ^(١) .

والآخرُ : ما حَدَّثَنَا بهِ الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ ، قال : حَدَّثَنِي معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عن عليِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ إلى آخِرِ الْآيَةِ : هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَرُونَ^(٢) بالإسلام ، فَيَنَاجِحُهُمُ الْمُسْلِمُونَ ،^(٣) وَيُؤَارِثُونَهُمْ^(٣) ، وَيَقَاسِمُونَهُمُ الْفَنَاءَ ، فَلَمَّا مَاتُوا سَلَبَهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ الْعِزَّ ، كَمَا سَلَبَ صَاحِبُ النَّارِ ضَوْءَهُ ، ﴿ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ ﴾ .^(٤) يَقُولُ : فِي^(٤) عَذَابٍ^(٥) .

والثالثُ : ما حَدَّثَنِي بهِ مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قال : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قال : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عن الشَّدِيدِ فِي خَبَرِ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وعن أَبِي صَالِحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن نَاسٍ من أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ : زَعَمَ أَنَّ أَناسًا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ مُقَدِّمَ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ نَافَقُوا ، فَكَانَ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَ فِي ظُلْمَةٍ ، فَأَوْقَدَ نَارًا فَأَضَاءَتْ لَهُ^(٦) مَا حَوْلَهُ

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٢/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٢/١ (١٦٨) من طريق سلمة به ، وستأتي بقية هذا الأثر في ص ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٦٧ ، ٣٨١ .

(٢) في ر : « يغترون » ، وفي ت ٢ : « يعبرون » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤ - ٤) في ت ١ : « قال » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٠/١ (١٥٨) من طريق أبي صالح به إلى قوله : ضوؤه .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١ إلى ابن المنذر والصابوني في المائتين . وستأتي بقية هذا الأثر في

ص ٣٤٨ .

(٦) سقط من : ص ، ت ١ .

(تفسير الطبري ٢٢/١)

من قَدْى أو أَدَى ، فأُبْصِرْه حتى عَرَفَ ما يَنْتَقَى ، فبينما هو كذلك إذ طُفِئَتْ نَارُهُ ، فأَقْبَلَ لا يَذْرى ما يَنْتَقَى من أَدَى ، فكذلك المنافقُ ، كان فى ظِلْمَةِ الشَّرِكِ ، فأَسْلَمَ فَعَرَفَ الحلالَ من الحرامِ ، والخيرَ من الشرِّ ، فبينما هو كذلك إذ كَفَرَ ، فصار لا يَعْرِفُ الحلالَ من الحرامِ ، ولا الخيرَ من الشرِّ ، وأما النورُ فالإيمانُ بما جاء به مُحَمَّدٌ ﷺ ، وكانت الظلمةُ نفاقَهُمْ ^(١) .

والآخر : ما حَدَّثْنِي به مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ^(٢) ، قال : حَدَّثَنِي أَبِي ، قال : حَدَّثَنِي عُمَى ، عن أبيه ، عن جَدِّهِ ^(٣) ، عن ابنِ عباسٍ قَوْلَهُ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ، إلى ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ : ضَرَبَهُ اللَّهُ مَثَلًا لِلْمَنَافِقِ ، وقَوْلُهُ : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ . قال : أما النورُ فهو إيمانُهُم الذى يتكلمون به ، وأما الظلمةُ فهي ضلالَتُهُم وكفَرُهُم الذى ^(٤) يتكلمون به ، وهم قومٌ كانوا على هدى ، ثم نُزِعَ منهم فَعَتَوْا ^(٥) بعدَ ذلك ^(٦) .

وقال آخرون بما حَدَّثْنِي به بشرٌ ، قال : حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، قال : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عن

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٨١/١ عن السدى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة ، إلى قوله : من الشر .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥١/١ (١٦٢) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وعزاه السيوطى إلى ابن المنذر . وستأتى بقية هذا الأثر فى ص ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٦٨ .

(٢) فى م : « سعيد » .

(٣) فى ص : « أبيه » .

(٤) زيادة من : ر .

(٥) فى ر : « فعموا » .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف إلى قوله : وكفرهم .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٨١/١ عن العوفى به . وستأتى بقية هذا الأثر فى ص ٣٦٩ .

قتادة قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴾ : وإن المنافق تكلم بـ « لا إله إلا الله » ، فأضاءت له في الدنيا ، فناكح بها المسلمين ، وعاد^(١) بها المسلمين ، ووارث بها المسلمين ، وحقن بها دمه وماله ، فلما كان عند الموت شلبها المنافق ؛ لأنه لم يكن لها أصل في قلبه ، ولا حقيقة في عمله^(٢) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ : وهي لا إله إلا الله ، أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا ، / وأمنوا في الدنيا ، ونكحوا النساء ، ١٤٣/١ وحقنوا^(٣) دماءهم ، حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني أبو ثميلة^(٤) ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ . قال : أما النور فهو إيمانهم الذي يتكلمون به ، وأما الظلمات فهي ضلالتهم وكفرهم^(٥) .

(١) في ص ، ت ٢ : « عادا » ، وفي ر ، ت ١ ، والدر المنثور : « غازی » .

والمعنى : شارك . يقال : هم يتعادون . إذا اشتركوا فيما يعاد فيه بعضهم بعضا من مكارم أو غير ذلك من الأشياء كلها . تاج العروس (ع ٥٥) .

(٢) في ص ، ر ، م ، ت ٢ : « علمه » .

والأثر عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣/١ إلى المصنف وعبد بن حميد . وسيأتي تمامه في ص ٣٤٨ ، ٣٧١ .

(٣) بعده في م : « بها » .

(٤) في م : « ثميلة » . وينظر تهذيب الكمال ٢٢/٣٢ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥١ / ١ ، ٥٢ (١٦٥ ، ١٦٩) من طريق علي بن الحكم ، عن الضحاك .

وقال آخرون بما حدثني به محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال : حدثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ . قال : أما إضاءة النار ، فإقبالهم إلى المؤمنين و^(١) الهدى ، وذهاب نورهم إقبالهم إلى الكافرين و^(٢) الضلالة^(٣) .

حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، عن شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ [٣٩/١] نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ : أما إضاءة النار ، فإقبالهم إلى المؤمنين والهدى ، وذهاب نورهم إقبالهم إلى الكافرين والضلالة .

حدثني القاسم ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : ضرب مثل أهل النفاق فقال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ . قال : إنما ضوء النار ونورها ما أوقدتها ، فإذا خمدت ذهب نورها ، كذلك المنافق ، كلما^(٣) تكلم بكلمة الإخلاص أضاء له ، فإذا شك وقع في الظلمة^(٤) .

(١) سقط من : ص ، ر ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٧ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥١/١ (١٦١ ، ١٦٣) .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣/١ إلى عبد بن حميد . وستأتي بقيته في ص ٣٧٠ ، ٣٧٨ .

(٣) في ٢ : « كما » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٠/١ (١٥٩) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ . قَالَ : هَذِهِ صِفَةُ الْمُنَافِقِينَ ، كَانُوا قَدْ آمَنُوا حَتَّى أَضَاءَ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ ، كَمَا أَضَاءَتِ النَّارُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اسْتَوْقَدُوا ، ثُمَّ كَفَرُوا فَذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ، فَانْتَرَعَهُ كَمَا ذَهَبَ بِضَوْءِ هَذِهِ النَّارِ ، فَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ^(١) .

وَأَوَّلَى التَّأْوِيلَاتِ بِالْآيَةِ مَا قَالَهُ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ ، وَمَا رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا ضَرَبَ هَذَا الْمَثَلَ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ وَقَصَّ قِصَصَهُمْ ، مِنْ لَدُنِ ابْتِدَاءِ بَذَرِهِمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ^(٢) ﴾ لَا ^(٣) لِلْمُعَالِنِينَ بِالْكَفْرِ ^(٤) الْمَجَاهِرِينَ بِالشُّرْكِ . وَلَوْ كَانَ الْمَثَلُ لِمَنْ آمَنَ إِيْمَانًا صَحِيحًا ثُمَّ أَغْلَنَ بِالْكَفْرِ ^(٥) إِعْلَانًا صَحِيحًا - عَلَى مَا ظَنُّ الْمَتَأَوِّلُ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ أَنَّ ضَوْءَ النَّارِ ^(٦) مَثَلٌ لِإِيْمَانِهِمُ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ عِنْدَهُ عَلَى صَحِيَّةٍ ، وَأَنْ ذَهَابَ نُورُهُمْ مَثَلٌ لَارْتِدَادِهِمْ وَإِعْلَانِهِمُ الْكَفَرَ عَلَى صَحِيَّةٍ - لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِنَ الْقَوْمِ خِدَاعٌ وَلَا اسْتِهْزَاءٌ/عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا نِفَاقٌ . وَأَنَّى ١٤٤/١ يَكُونُ خِدَاعٌ وَنِفَاقٌ مِمَّنْ لَمْ يُدِّدْ لَكَ قَوْلًا وَلَا فِعْلًا إِلَّا مَا أَوْجَبَ لَكَ الْعِلْمَ بِحَالِهِ الَّتِي هُوَ لَكَ عَلَيْهَا ، وَبِعَزِيمَةِ نَفْسِهِ الَّتِي هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهَا ؟ إِنْ هَذَا لَغَيْرِ ^(٧) شَكٍّ مِنَ التَّفَاقُحِ بَعِيدٌ ،

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٨١/١ عن ابن زيد .

(٢) بعده في م : « أَى » .

(٣ - ٣) في ر : « المعالنين الكفر » ، وفي م : « المعالنين بالكفر » .

(٤) في ص ، ت ٢ : « الكفر » .

(٥) في ت ١ : « النهار » .

(٦) في ت ١ ، م : « بغير » .

ومن الخِدَاعِ برىءٌ، وإن^(١) كان القومُ لم تكنْ لهم إلا حالتان ؛ حالُ إيمانٍ ظاهرٍ ، وحالُ كفرٍ ظاهرٍ ، فقد سَقَطَ عن القومِ اسمُ النفاقِ ؛ لأنهم فى حالِ إيمانهم الصحيح كانوا مؤمنين ، وفى حالِ كفرهم الصحيح كانوا كافرين ، و لا حالةَ هنالك ثالثةَ كانوا بها منافقين . وفى وصفِ اللَّهِ جلَّ ثَناءُهُ إِيَّاهم بصفةِ النفاقِ ما يُنبئُ عن أن القولَ غيرُ القولِ الذى زَعَمَ مَنْ زَعَمَ أن القومَ كانوا مؤمنين ثم ارتدُّوا إلى الكفرِ فأقاموا عليه ، إلا أن يكونَ قائلُ ذلك أراد أنهم انتقلوا من إيمانهم الذى كانوا عليه إلى الكفرِ الذى هو نفاقٌ ، وذلك قولٌ إن قاله ، لم تُدركْ صحتهُ إلا بخبرٍ مستفيضٍ ، أو ببعضِ المعانى الموجبةِ صحتهُ . فأما فى ظاهرِ الكتابِ ، فلا دلالةَ على صحتهِ ؛ لاحتمالِهِ من التأويلِ ما هو أولى به منه .

فإذ كان الأمرُ على ما وصَفْنَا فى ذلك ، فأولى تأويلاتِ الآيةِ بالآيةِ : مثلُ استِضاءَةِ المنافقين - بما أَظْهَرُوا بِالسُّنَنِهم لرسولِ اللَّهِ ﷺ من الإقرارِ به ، وقولهم له وللمؤمنين : آمَنَّا بِاللَّهِ وَكُتِبَ وَرَسُولُهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . حتى حُكِمَ لهم بذلك فى عاجِلِ الدنيا بحكمِ المسلمين فى حقِّ الدماءِ والأموالِ ، والأمنِ على الذرِّيَّةِ من السَّيِّئِ ، وفى المناكحةِ والموارثةِ - كمثلِ استِضاءَةِ الموقِدِ النارِ بالنارِ ، حتى^(٢) اِرْتَفَقَ بضيائِها ، وأَبْصَرَ به^(٣) ما حوَلَهُ مستضيئًا بنوره من الظلمَةِ ، حتى خَمَدَتِ النارُ وانطفأتْ ، فذَهَبَ نورُهُ ، وعادَ المستضيءُ به فى ظلمَةٍ وخَيْرَةٍ .

وذلك أن المنافقَ لم يَزَلْ مستضيئًا بضوءِ القولِ الذى دافعَ عنه فى حياتِهِ القتلَ والسَّيِّئَ ، مع استِبطانِهِ ما كان مستوجبًا به القتلَ وسلبَ المالِ لو أَظْهَرَ بلسانِهِ ، تُخَيَّلُ

(١) فى ر : « فلو » ، وفى ت ٢ ، م : « فإن » .

(٢) بعده فى ت ١ : « إذا » .

(٣) سقط من : ص ، م .

إليه بذلك نفسه أنه بالله ورسوله والمؤمنين مستهزئ مخادع ، حتى سؤلت له نفسه إذ ورد على ربه في الآخرة أنه ناج منه بمثل الذى نجا به فى الدنيا من الكذب والنفاق . أو ما تسمع الله جل ثناؤه يقول إذ نعتهم ^(١) ، ثم أخبر خبرهم ^(٢) عند ورودهم عليه : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّمَا هُمْ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة : ١٨] . ظناً من القوم أن نجاءهم ^(٣) من عذاب الله فى الآخرة ، فى مثل ^(٤) الذى كان به نجاؤهم ^(٥) من القتل والسبائ ^(٦) وسلب المال ^(٧) فى الدنيا ، من الكذب والإفك ، وأن خداعهم نافعهم هنالك نفعه إيّاهم فى الدنيا ، حتى عاينوا من أمر الله ما أيقنوا به أنهم كانوا من ظنونهم فى غرور وضلال ، واستهزاء بأنفسهم وخداع ، إذ أطفأ الله نورهم يوم القيامة ، فاستنظروا المؤمنون ليقتبسوا من نورهم ، فقليل لهم ^(٨) : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ، واصلوا سعيّاً . فذلك حين ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يُنصرون ، كما انطفأت نار المستوقد النار بعد إضاءتها له ، فبقى فى ظلمة ^(٩) حيران تائها ، يقول الله جل ثناؤه : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمُ سُورٌ لَمْ يَبْأْ بِأُتْنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ

١٤٥/١

(١) فى ت ٢ : « بعثهم » .

(٢ - ٢) فى م : « أخبرهم » .

(٣) فى م : « نجاتهم » .

(٤) سقط من : ر ، ت ٢ .

(٥) بعده فى ت ١ : « والكذب » .

(٦) فى ص : « الأموال » .

(٧) سقط من : ص ، ت ١ .

(٨) فى م : « ظلمته » .

أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّكُمْ بِاللَّهِ الْعَزُورُ ﴿١٤﴾ فَأَلَيْكُمْ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمْ
النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ [الحديد: ١٣ - ١٥] .

فإن قال لنا قائل : إنك ذكرت أن معنى قول الله تعالى ذكره : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ ﴾ : خمدت وانطفأت . وليس ذلك بموجود في القرآن ، فما دلالته ^(١) على أن ذلك معناه ؟

قيل : قد قلنا : إن من شأن العرب الإيجاز والاختصار إذا ^(٢) كان فيما نطقت به الدلالة الكافية على ما حذف وترك ، [٣٩ / ١ ظ] كما قال أبو ذؤيب الهذلي ^(٣) :

عَصَيْتُ ^(٤) إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لِأَمْرِهَا سَمِيعٌ فَمَا أَدْرِي أُرْشِدُ طِلَابُهَا
يعنى بذلك : فما أدرى أُرْشِدُ طِلَابُهَا أم غي . فحذف ذكر « أم غي » ، إذ كان فيما نطق به الدلالة عليها ، وكما قال ذو الرمة في نعت حمير ^(٥) :

فَلَمَّا لَبَسْنَ اللَّيْلَ أَوْ حِينَ نَصَبْتُ ^(٦) لَهُ مِنْ خَدَا ^(٧) آذَانَهَا وَهُوَ جَانِحٌ
يعنى : أو حين أقبل الليل . في نظائر لذلك كثيرة كرهنا إطالة الكتاب
بذكرها . فكذلك قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ ﴾ لما
كان فيه وفيما بعده من قوله : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴾

(١) في ت ١ : « دليلك » .

(٢) في ص ، ت ١ : « إذ » .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٧١ .

(٤) في الديوان : « عصاني » .

(٥) ديوان ذى الرمة ٢ / ٨٩٧ .

(٦) نصبت : رفعت آذانها . اللسان (ن ص ب) .

(٧) خذيت الأذن : استرخت من أصلها وانكسرت مقبلة على الوجه ، يكون ذلك في الناس والخيول والحمير ، خلقة أو حدثا . اللسان (خ ذ ي) .

دلالة على المتروك كافية من ذكره ، اختصر الكلام طلب الإيجاز ، وكذلك حذف ما حذف واختصاراً ما اختصر من الخبر عن مثل المنافقين بعده ، نظير ما اختصر من الخبر عن مثل المستوقد النار ؛ لأن معنى الكلام : فكَذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ - بعد الضياء الذي كانوا فيه في الدنيا ، بما كانوا يُظْهِرُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْإِقْرَارِ بِالْإِسْلَامِ ، وهم لغيره مستبطنون - كما ذهب ضوء نارِ هذا المستوقد بانطفاء ناره وخمودها ، فبقِيَ في ظلمة لا يُبْصِرُ .

والهَاء والمِيم في قوله : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ عائدة على الهاء والميم في قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ .

القول في تأويل قوله : ﴿ صُمُّ بُكُمْ عُمَى ﴾ .

قال أبو جعفر : وإذا كان تأويل قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ هو ما وصفنا من أن ذلك خبرٌ من اللَّهِ جلَّ ثناؤه عما هو فاعلٌ بالمنافقين في الآخرة ، عند هتك أستارهم ، وإظهاره فضائح^(١) أسرارهم ، وسلية ضياء أنوارهم ، من تركهم في ظلم أهوال يوم القيامة يترددون ، وفي حنادسها لا يُبْصِرُونَ ، فبيِّن أن قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ صُمُّ بُكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ من المؤخر الذي معناه التقديم ، وأن معنى الكلام : أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مُهْتَدِينَ ، صُمُّ بُكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ، مثْلُهُمْ كمثل الذي استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله ذهب اللَّهُ بنورهم وتركهم في ظلماتٍ / لا ١٤٦/١ يُبْصِرُونَ ، أو كمثل صيبٍ من السماء .

وإذا كان ذلك معنى الكلام ، فمعلوم أن قوله : ﴿ صُمُّ بُكُمْ عُمَى ﴾ يأتيه الرفع

من وجهين ، والنصب من وجهين : فأما أحد وجهي الرفع : فعلى الاستئناف لما فيه من الذم ، وقد تفعل العرب ذلك في المدح والذم ، فتنصب وترفع وإن كان خبراً عن معرفة ، كما قال الشاعر^(١) :

لا يَبْعَدَنَّ^(٢) قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُرُ^(٣)
النازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ
فَيَزُوِي : «النازلون» و «النازِلين» ، وكذلك «الطيِّبون» و «الطيِّبين» ، على ما وصفت من المدح .

والوجه الآخر : على نيّة التكرير من : ﴿أُولَئِكَ﴾ . فيكون المعنى حيثئذ : أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، أولئك صمُّ بُكُمْ غُمِّي فهم لا يرجعون .

وأما أحد وجهي النصب : فأن يكون قطعاً مما في : ﴿مُهْتَدِينَ﴾ من ذكر ﴿أُولَئِكَ﴾ ، لأن الذي فيه من ذكرهم معرفة ، والصمُّ نكرة .

والآخر : أن يكون قطعاً من : ﴿الَّذِينَ﴾ لأن ﴿الَّذِينَ﴾ معرفة ، والصمُّ نكرة .

وقد يجوزُ النصب فيه أيضاً على وجه الذم ، فيكون ذلك وجهاً من النصب ثالثاً .

فأما على تأويل ما رَوَيْنَا عن ابن عباس من غير وجه رواية علي بن أبي طلحة عنه ، فإنه لا يجوزُ فيه الرفع إلا من وجه واحد ، وهو الاستئناف . وأما النصب فقد

(١) البيتان للخرنق بنت بدر بن هفان ، وهما في ديوانها ص ٢٩ .

(٢) يبعدن : يهلكن ، من يبعد يبعد . اللسان (ب ع د) .

(٣) الجزر ؛ جمع الجزور : وهى الناقة التى تنحر . اللسان (ج ز ر) .

يجوزُ فيه من وجهين : أحدهما ، الذم . والآخر ، القطع من الهاءِ والميم اللتين في ﴿وَرَكَّهْمَ﴾ ، أو من ذكرهم في ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ . وقد بيَّنا القول الذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك .

والقراءة التي هي القراءة^(١) ، الرفع دون النصب ؛ لأنه ليس لأحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين ، وإذا قرئ نصبًا كانت قراءة مخالفة رسم مصاحفهم^(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن المنافقين ، أنهم باشتراهم الضلالة بالهدى لم يكونوا للهدى والحق مهتدين ، بل هم ضلُّمٌ عنهما فلا يسمعونهما^(٣) ؛ لغلبة خذلان الله عليهم ، بُكِّم عن القيل بهما ، فلا ينطقون بهما - والبيكم الخرس ، وهو جماع^(٤) أبكم - عُمِّي عن أن يُبصروهما فيعقلوهما ؛ لأن الله قد طبع على قلوبهم بنفاقهم فلا يهتدون .

وبمثل ما قلنا في ذلك قالت علماء أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد^(٥) بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿صُمُّ بُكِّمٌ عُمِّي﴾ : عن الخير^(٦) .

(١) في م : «قراءة» .

(٢) بعده في ر ، ت ، ١ ، ت ٢ : «القول في تأويل قوله : صم بكم عمي» .

(٣) في ر : «يسمعون بهما» .

(٤) في م : «جمع» .

(٥) في م : «عبد» .

(٦) تقدم أول هذا الأثر في ص ٣٣٦ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ،
عن عليِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ صُمْ بُكُمْ عُمِّي ﴾ . يقولُ : لا يسمعون
الهدى ، ولا يُبصرونه ، ولا يعقلونه ^(١) .

حَدَّثَنِي موسى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عمرو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبر
ذَكَرَهُ عن أَبِي مالِكٍ ، وعن أَبِي صَالِحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ،
وعن ناسٍ من أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ بُكُمْ ﴾ : هم ^(٢) الخُرُسُ ^(٣) .

١٤٧/١ / حَدَّثَنَا بشرٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يزيدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ صُمْ
بُكُمْ عُمِّي ﴾ : صُمْ عن الحقِّ فلا يسمعونهُ ، عُمِّي عن الحقِّ فلا يُبصرونهُ ، بُكُمْ عن
الحقِّ فلا ينطقون به ^(٤) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وقوله : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ . إخبارٌ من اللَّهِ جلَّ ثناءُهُ عن هؤلاء
المنافقين الذين نعتهم اللَّهُ باشرائهم الضلالةَ بالهدى ، وصَمَمِهِم عن سماعِ الخيرِ
والحقِّ ، وبَكَمِهِم عن القيلِ بهما ، وعَمَاهُم عن إِبصارِهِما - أنهم لا يَرْجِعُونَ إلى

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٢/١ (١٧٢) من طريق عبد الله بن صالح به .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١ إلى ابن المنذر والصابوني في المائتين . وتقدم أول هذا الأثر في ص
٣٣٧ . وسيأتي في ٥١/٣ .

(٢) في ت ٢ : « هو » .

(٣) عزه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣/١ (١٧٥) من طريق أسباط ، عن السدي ، عن أبي مالك ، ٥٣/١

(١٧٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي من قوله . وتقدم أول هذا الأثر في ص ٣٣٧ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣/١ (١٧٤ ، ١٧٦) من طريق سعيد بن بشر ، عن قتادة .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣٣/١ إلى عبد بن حميد نحوه . وتقدم أوله في ص ٣٣٩ . وسيأتي في ٥٠/٣ .

الإقلاع عن ضلالتهم ، ولا يتوبون^(١) إلى الإنابة من نفاقهم ، فأيس المؤمنين من أن يُبَصِّرَ هؤلاء [٤٠/١] رُشْدًا ، ويقولوا حقًا ، أو يسمَعوا داعيًا إلى الهدى ، أو أن يذْكُرُوا فيتوبوا من ضلالتهم ، كما آيس من توبة قادة كفار أهل الكتاب والمشركين وأخبارهم ، الذين وصفهم بأنه قد ختم على قلوبهم وعلى سمعهم ، وغشى على أبصارهم .

وبمثل الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدٌ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أى : لا يتوبون ولا يذكرون^(٢) .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكره عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مِرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾^(٣) : إلى الإسلامِ^(٤) .

وقد روى عن ابنِ عباسٍ قولُ يُخَالِفُ معناه معنى هذا الخبرِ^(٥) ، وهو ما حدَّثنا به ابنُ حُمَيدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةٌ ، عن محمدِ بنِ إسحاقٍ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ

(١) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ : « يتوبون » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣/١ (١٧٩) من طريق يزيد به . وهو تمام الأثر المتقدم فى ص ٣٣٩ .

(٣) بعده فى ص ، ر : « فهم لا يرجعون » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣/١ (١٧٨) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٧ .

(٥) فى ر ، ت ، ٢ : « القول » .

مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أى : فلا يَرْجِعُونَ إلى الهدى ، ولا إلى خير ، ولا يُصَيِّبون نَجاةً ، ما كانوا على ما هم عليه ^(١) .

وهذا تأويل ظاهر التلاوة بخلافه ، وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن القوم أنهم لا يَرْجِعُونَ عن اشترائهم الضلالة بالهدى ، إلى ابتغاء الهدى وإبصار الحق ، من ^(٢) غير حصر منه جل ذكره ذلك من حالهم على ^(٣) وقت دون وقت ، وحال دون حال . وهذا الخبر الذى ذكرناه عن ابن عباس يُنبئ عن ^(٤) أن ذلك من صفيتهم محصور على وقت ، وهو ما كانوا على أمرهم مُقيمين ، وأن لهم السبيل إلى ^(٥) الرجوع عنه ، وذلك من التأويل دعوى باطلة ^(٦) لا دلالة عليها من ظاهر ، ولا من خبر تقوم بمثله الحجة فيُسلّم لها .

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ .

/ قال أبو جعفر : والصَّيْبُ الفَيْعَلُ ، من قولك : صاب المطرُ يصبُ صَوْبًا . إذا انحدر ونزل ، كما قال الشاعر ^(٧) :

١٤٨/١

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٢/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣/١ (١٧٧) من طريق سلمة به إلى قوله : الهدى . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٦ .

(٢) فى ص : « عن » .

(٣) فى م : « إلى » .

(٤) سقط من : ص ، وفى ر : « على » .

(٥) فى ص : « عن » .

(٦) فى ص : « ناظر » ، وفى ت ٢ : « باطل » .

(٧) البيت غير منسوب فى الاشتقاق ص ٢٦ ، والمفردات فى غريب القرآن ص ١٤٥ ، واللسان (أ ل ك ، ل ك) ، ونسبه فى المفضليات ص ٣٩٤ إلى علقمة بن عبدة ، وليس فى ديوانه ، ونسب فى مجاز القرآن ٣٣/١ إلى رجل من عبد القيس ، وفى شرح أشعار الهذليين ٢٢٢/١ إلى متمم بن نويرة ، وذكر فى اللسان (ص وب ، =

فَلَسْتُ لِلْإِنْسِيِّ^(١) وَلَكِنْ لِمَلَكٍ^(٢) تَنْزَلَ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ
وَكَمَا قَالَ عِلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ^(٣) :

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ ذَبِيبُ
فَلَا تَعْدِلِي يَتْنِي وَيَنْ مُمْغَرٍ^(٤) شَقِيبِ زَوَايَا^(٥) الْمُزْنِ^(٦) حِينَ^(٧) تُصُوبُ^(٨)
يعنى : حِينَ تَنْحَلِدُ .

وهو فى الأصلِ صَيُوبٌ ، وَلَكِنْ الْوَإِ لَمَّا سَبَقَتْهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ ، صُيِّرَتْ جَمِيعًا
يَاءً مُشَدَّدَةً ، كَمَا قِيلَ : سَيْدٌ ، مِنْ سَادَ يَسُودُ ، وَجَيْدٌ ، مِنْ جَادَ يَجُودُ . وَكَذَلِكَ
تَفْعَلُ الْعَرَبُ بِالْوَاوِ إِذَا كَانَتْ مُتَحَرِّكَةً وَقَبْلَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ ، تَصِيرُهُمَا جَمِيعًا يَاءً
مُشَدَّدَةً .

وبما قلنا من القولِ فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَخْمَسِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، قَالَ :

= م ل ك) الاختلاف فى نسبه ، وزاد عن السيرافى نسبه إلى أبى وجزة .

(١) فى ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « يانسى » .

(٢) فى ص ، ر ، ت ١ : « ملكا » ، وفى ت ٢ : « ملاكا » .

(٣) ديوانه ص ٣٤ ، ٤٦ .

(٤) المغمر من الرجال : من استجهله الناس . التاج (غ م ر) .

(٥) فى الديوان : « سقتك » .

(٦) الروايات : جمع الراوية : وهو البعير أو البغل أو الحمار الذى يسقى عليه الماء . اللسان (ر و ي) .

(٧) المزن : السحاب عامة ، وقيل : السحاب ذو الماء ، واحده مزنه ، وقيل : المزنه السحابة البيضاء . اللسان

(م ز ن) .

(٨) فى الديوان : « حيث » .

حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَنَتْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قَالَ: الْقَطْرُ^(١).

حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ، قَالَ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ لِي عَطَاءٌ: الصَّيْبُ الْمَطَرُ^(٢).

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي معاويةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: الصَّيْبُ الْمَطَرُ^(٣).

حَدَّثَنِي موسى، قَالَ: حَدَّثَنَا عمرو، قَالَ: حَدَّثَنَا أسباطُ، عَنْ الشَّدْيِ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ ثُرَّةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: الصَّيْبُ الْمَطَرُ^(٤).

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ^(٥).

حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ يَقُولُ: الْمَطَرُ^(٦).

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٤٧) من طريق محمد بن عبيد به.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في المطر - كما في فتح الباري لابن رجب ٢٣١/٩ - وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤/١ (١٨٠) من طريق هارون بن عنترة به.

وعزه السيوطي أيضا في الدر المنثور ٣٣/١ إلى وكيع وعبد بن حميد وأبي يعلى وابن المنذر.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤/١ عقب الأثر (١٨٠) معلقا.

(٣) عزه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم والصابوني في المائتين في أثر مطول، وسيأتي بطوله في ص ٣٦٩.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٨٢/١ عن ابن عباس، وابن مسعود، وناس من الصحابة، والسدي.

(٥) في م، ت ٢: «جده».

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ مَيْمُونٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : الصَّيْبُ الْمَطَرُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : الصَّيْبُ الْمَطَرُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الزَّيْعِ بْنِ أَنَسٍ : الصَّيْبُ الْمَطَرُ ^(٣) .

/ حَدَّثْتُ عَنْ الْمُتَجَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ ١٤٩/١ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الصَّيْبُ الْمَطَرُ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ قَالَ : أَوْ كَعَيْثٍ مِنَ السَّمَاءِ .

حَدَّثَنَا سَوَّازُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَنْبَرِيُّ ، قَالَ : قَالَ سَفِيَّانُ : الصَّيْبُ الَّذِي فِيهِ الْمَطَرُ ^(٤) .

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو معاويةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ قَالَ : الْمَطَرُ ^(٥) .

(١) في ص ، ر : « الربيع » .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٤٨) من طريق أبي حذيفة به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤/١ عقب الأثر (١٨٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) تفسير الثوري ص ٤١ عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبيرة : السحاب فيه المطر .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٨٢/١ عن عطاء .

(تفسير الطبري ٢٣/١)

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : مثل استضاءة المنافقين بضوء إقرارهم بالإسلام ، مع استسرارهم الكفر ، مثل استضاءة^(١) موقد نار^(٢) بضوء ناره ، على ما وصف جل ثناؤه من صفته ، أو كمثل مطر مظلم ، وذقه^(٣) تحذر من السماء ، تحمله مزنة ظلماء ، فى ليلة مظلمة ، وذلك هو الظلمات التى أخبر الله جل ثناؤه أنها فيه .

فإن قال لنا قائل : أخبرنا عن هذين المثلين ، أهما مثلان للمنافقين ، أو أحدهما ؟ فإن يكونا مثلين للمنافقين ، فكيف قيل : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ و «أو» تأتى بمعنى الشك فى الكلام ، ولم يقل : وكصيب . بالواو التى تلحق المثل الثانى بالمثل الأول ؟ أو يكون مثل القوم أحدهما ، فما وجه ذكر الآخر بـ ﴿ أَوْ ﴾ وقد علمت أن «أو» إذا كانت فى الكلام ، فإنما تدخل فيه على وجه الشك من الخير فيما أخبر عنه ، كقول القائل : لقيت أخوك أو أبوك . وإنما لقيه أحدهما ، ولكنه جهل عين الذى لقيه منهما ، مع علمه أن أحدهما قد لقيه ، وغير جائز فى الله جل ثناؤه أن يضاف إليه الشك فى شيء ، أو عزوب علم شيء عنه فيما أخبر أو ترك الخبر عنه .

قيل له : إن الأمر [١/٤٠٤] فى ذلك بخلاف^(٤) الذى^(٥) ذهبت إليه ، و «أو» وإن كانت فى بعض الكلام تأتى بمعنى الشك ، فإنها قد تأتى دالة على مثل ما تدل عليه الواو ، إما بسابق من الكلام قبلها ، وإما بما يأتى بعدها ، كقول توبة بن

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : «إضاءة» .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : «النار» .

(٣) الودق : المطر كله شديده وهينه . اللسان (و د ق) .

(٤) فى ص : «خلاف» .

(٥) فى ص : «منا» ، وفى ت ١ : «ما» .

الحُمَيْرُ^(١) :

وقد زَعَمْتُ ليلى بَأْنَى فاجِئْ لنفسي ثَقَاها أو عليها فُجُورُها
ومعلومٌ أن ذلك من توبةٍ على غير وجهِ الشكِّ فيما قال ، ولكن لما كانت «أو»
في هذا الموضعِ دَالَّةً على مثلِ الذى كانت تدلُّ عليه الواوُ لو^(٢) كانت مكانها ،
وضَعها موضعها . وكذلك قولُ جرير^(٣) :

نال^(٤) الخِلافةَ أو كانت له قَدَرًا كما أتى ربُّه موسى على قَدَرٍ
وكما قال الآخرُ^(٥) :

فلو كان البكاءُ يردُّ شيئًا بَكَيتُ عَلَى بُجَيْرٍ^(٦) أو عِفَاقٍ^(٧)
على المَرَّائِنِ^(٨) إِذْ مَضَبْنَا^(٩) جَمِيعًا لَشَأْنِهِمَا بِحُزْنٍ^(١٠) واشْتِيَاقٍ^(١١)

(١) الأضداد ص ٢٧٩ ، وأمالى القالى ٨٨ / ١ ، وأمالى المرتضى ٥٧ / ٢ .

(٢) فى م : « ولو » .

(٣) ديوانه ٤١٦ / ١ .

(٤) فى م : « جاء » .

(٥) هو متمم بن نويرة ، والبيتان فى الأضداد ص ٢٨٠ ، وأمالى المرتضى ٥٨ / ٢ ، واللسان (ع ف ق) .

(٦) فى النسخ : « جبير » ، وفى اللسان : « يزيد » . وقال ابن برى : صوابه بجير . وهو على الصواب فى الأضداد وأمالى المرتضى .

(٧) فى م : « عناق » .

وبجير أخو عفاق ، ويقال : عفاق . وهو ابن ملك ، ويقال : ابن أبى ملك . وكان بسطام بن قيس أغار على بنى يربوع فقتل عفاقا ، وقتل بجيرا بعد قتله أخاه عفاقا فى العام الأول ، وأسر أباهما ثم أعتقه وشرط عليه ألا يغير عليه . ذكره فى اللسان عن ابن برى .

(٨ - ٨) فى اللسان : « هما المرآن » .

(٩) فى الأضداد ، وأمالى المرتضى : « ملكا » ، وفى اللسان : « ذهاب » .

(١٠) فى الأضداد ، وأمالى المرتضى : « بشجو » .

(١١) فى اللسان : « واحترق » .

فقد دلّ بقوله : على المزأين . أن بكاءه الذى أراد أن يكيه لم يُرد أن يقصد به أحدهما دون الآخر ، بل أراد أن يكيهما جميعاً . فكذلك ذلك فى قول الله جل ثناؤه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ . لما كان معلوماً أن ﴿ أَوْ ﴾ ^(١) دالة ^(٢) فى ذلك على مثل الذى كانت تدل عليه الواو لو ^(٣) كانت مكانها ، كان سواءً نطق فيه بـ «أو» / أو بالواو . وكذلك وجه حذف المثل من قوله : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ لما كان قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ دالاً على أن معناه : كمثلي صيب . حذف المثل واكتفى بدلالة ما مضى من الكلام فى قوله ^(٤) : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ على أن معناه : أو كمثلي صيب - من إعادة ذكر المثل ؛ طلب الإيجاز والاختصار .

[٢/١] ^(٥) القول فى تأويل قول الله جل ثناؤه : ﴿ فِيهِ ظُلُمْتُ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْٓ أَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ ^(١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ .

قال أبو جعفر : فأما الظلمات فجمع ، واحداً ظلمة .

وأما الرعد ، فإن أهل العلم اختلفوا فيه ؛ فقال بعضهم : هو ملك يزجر السحاب .

(١) فى ت ١ : « الواو » .

(٢ - ٣) فى ت ١ : « على معنى يدل على مثله أو » .

(٣) فى ص ، ر ، م : « ولو » .

(٤) فى ت ١ : « أوله » .

(٥) من هنا يبدأ الجزء الثانى من نسخة جامعة القرويين ، ويشير إليها بـ « الأصل » ، وسيجد القارئ أرقام صفحاتها بين معقوفين .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : حدَّثنا شعبةٌ ، عن الحَكَمِ ، عن مجاهدٍ ، قال : الرعدُ ملكٌ يزجرُ السحابَ بصوته^(١) .

وحدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي عديٍّ ، عن شعبةٍ ، عن الحَكَمِ ، عن مجاهدٍ مثله .

حدَّثني يحيى بنُ طلحةَ اليزيدِيُّ ، قال : حدَّثنا فضيلُ بنُ عياضٍ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ مثله .

وحدَّثني يعقوبُ ، قال : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ سالمٍ ، عن أبي صالحٍ ، قال : الرعدُ ملكٌ من الملائكةِ يُسَبِّحُ^(٢) .

وحدَّثني نصرُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأودِيُّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يعلى ، عن أبي الخطَّابِ البصريِّ ، عن شهرِ بنِ حَوْشِبٍ ، قال : الرعدُ ملكٌ مُوَكَّلٌ بالسحابِ ، يسوقُه كما يسوقُ الحادي الإبلَ ، يسبِّحُ ، كلَّما خالفت سحابةٌ سحابةً صاح بها ، فإذا اشتدَّ غضبه طارت النارُ من فيه ، فهي الصواعقُ التي رأيتم^(٣) .

وحدَّثت عن المنجابِ بنِ الحارثِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةٍ ، عن أبي رَزْوِقي ،

(١) أخرجه البغوي في الجعديات (٢٥٥) ، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٢٨٤ ، ٢٨٥ من طريق شعبة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٩ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ . وينظر سنن البيهقي ٣/ ٣٦٣ ، والدر المنثور ٤/ ٥١ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٥١ إلى المصنف والخرائطي وأبي الشيخ .

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٧٧) من طريق حرب بن شداد ، عن شهر . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٥١ إلى عبد بن حميد . وأخرجه أبو الشيخ (٨٨١) من طريق آخر عن شهر ، عن كعب ، نحوه . وسيأتي في ص ٣٥٩ من طريق شهر ، عن ابن عباس ، مختصرا .

عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الرعدُ ملكٌ من الملائكةِ اسمه الرعدُ ، وهو الذى تسمعون صوته^(١) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا عبدُ الملكِ بنُ الحسينِ ، عن السُّدِّيِّ ، عن أبى مالكٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الرعدُ ملكٌ يزجرُ السحابَ بالتسبيحِ والتكبيرِ^(٢) .

حدَّثنا الحسنُ^(٣) بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثنا عليُّ بنُ عاصمٍ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الرعدُ اسمُ ملكٍ ، وصوته هذا تسيُّخُه ، فإذا اشتدَّ زجرُه السحابُ ، اضطربَ السحابُ واحتكَّ ، فتخرجُ الصواعقُ مِنْ بَيْتِه .

حدَّثنا الحسنُ^(٣) ، قال : حدَّثنا عفانُ ، قال : حدَّثنا أبو عوانةَ ، عن موسى البرازِ^(٤) ، عن شهرِ بنِ حوشبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الرعدُ ملكٌ يسوقُ السحابَ

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٠/٤ إلى المصنف وابن مردويه .

وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٧٠) من طريق جوير ، عن الضحاك من قوله . وعزاه السيوطى ٥١/٤ إلى ابن المنذر . وانظر ما سيأتى فى ص ٣٦٠ ، ٣٦١ .

وبعد هذا الأثر اختلاف فى ترتيب الآثار فى المخطوط الأصل عن بقية النسخ ، وما فى النسخ الأخرى أليق بالسياق ، ولذا سيجد القارئ اضطرابا فى ترقيم ورقات الأصل .

(٢) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٧٨) من طريق عبد الملك بن الحسين به . وعبد الملك بن حسين أبو مالك النخعى متروك .

وأخرج أبو الشيخ أيضا (٧٦٩) نحوه مرفوعا من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .
وأخرج أيضا (٧٧٦) من طريق أسباط ، عن السدى من قوله ، مثل أثر شهر عن ابن عباس الآتى .
(٣) فى الأصل : « الحسين » .

(٤) فى ر : « البراز » .

بالتسبيح ، كما يسوق الحادى الإبل بخدائه^(١) .

حدَّثنا الحسن^(٢) بن محمد ، قال : حدَّثنا يحيى بن عباد وشَّابُه ، قال^(٣) : حدَّثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : الرعدُ ملكٌ يزجرُ السحاب .

/ حدَّثنا أحمد بن إسحاق ، قال : حدَّثنا أبو أحمد ، قال : حدَّثنا عثَّاب بن ١٥١/١ زياد ، عن عكرمة ، قال : الرعدُ ملكٌ فى السماء^(٤) يجمعُ السحاب كما يجمعُ الراعى الإبل^(٥) .

حدَّثنا بشر ، قال : حدَّثنا يزيد ، قال : حدَّثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : الرعدُ خلقٌ من خلقِ الله سامعٌ مُطيعٌ لله .

حدَّثنا القاسم ، قال : حدَّثنا حسين ، قال : حدَّثنى حجاج ، عن ابنِ جريج ، عن عكرمة ، قال : الرعدُ ملكٌ يؤمُّ بإزاءِ السحاب ، ويؤلِّفُ بينه ، فذلك الصوتُ تسبيحه .

حدَّثنا القاسم ، قال : حدَّثنا الحسين ، قال : حدَّثنى حجاج ، عن ابنِ جريج ، عن مجاهد ، قال : الرعدُ ملكٌ .

(١) أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق (٥٦٦ - المتقى) من طريق عفان به .

وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٧٥) من طريق أبى عوانة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٠/٤ إلى ابن المنذر . وتقدم فى ص ٣٥٧ نحوه من قول شهر بن حوشب .

(٢) فى الأصل : « الحسين » .

(٣) فى الأصل : « قال » .

(٤) فى م ، ت ١ : « السحاب » .

(٥) أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق (٥٦٤ - المتقى) ، والبيهقى ٣/٣٦٣ من طريق آخر عن عكرمة نحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥١/٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ الْمِنْهَالِ ، قال : حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عن المغيرة [٢/٤٤] بن سالم^(١) ، عن أبيه أو غيره ، أن عليَّ بن أبي طالب قال : الرعدُ ملكٌ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ ، قال : حَدَّثَنَا حَمَادُ ، قال : أَخْبَرَنَا موسى ابنُ سالمٍ أبو جَهْضَمٍ مولى ابنِ عباسٍ ، قال : كَتَبَ ابنُ عباسٍ إلى أبي الجَلْدِ يسأله عن الرعدِ ؟ فقال : الرعدُ ملكٌ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا مسلمٌ بنُ إبراهيمٍ ، قال : حَدَّثَنَا عمرُ بنُ الوليدِ الشَّيْثِيُّ^(٤) ، عن عكرمة ، قال : الرعدُ ملكٌ يسوقُ السحابَ كما يسوقُ الراعى الإبلَ . حَدَّثَنِي سعدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الحَكَمِ ، قال : حَدَّثَنَا حفصُ بنُ عمرٍ ، قال : حَدَّثَنَا الحَكَمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمة ، قال : كان ابنُ عباسٍ إذا سمعَ الرعدَ قال : سبحانَ الذي سَبَّحَتْ له . قال : وكان يقولُ^(٥) : الرعدُ ملكٌ ينعقُ بالغَيْثِ ، كما ينعقُ الراعى بغنمه^(٦) .

(١) كذا في النسخ ، وفي المصادر : « مسلم » . وينظر تاريخ الدورى ٢١٠/٤ (٤٠٠٣) ، والثقات ٤٦٤/٧ .
(٢) أخرجه البيهقي ٣/٣٦٣ ، والخطيب في المتفق والمفترق ٣/١٩٣٦ من طريق حماد بن سلمة ، عن المغيرة ابن مسلم ، عن أبيه ، عن علي . وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٧٢) من طريق آخر عن علي بلفظ : البرق : مخاريق من نار بأيدي ملائكة السحاب يزجرون به السحاب .
وعزه السيوطي في الدر المنثور ٤/٥٠ إلى ابن أبي الدنيا في المطر وابن المنذر .

(٣) في ٢ ، ت ٣ : « الملك » .
والأثر أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٥٦٣ - المنتقى) من طريق حماد به من قول ابن عباس . وينظر الدر المنثور ٤/٤٩ .

(٤) في م : « السنى » .

(٥) بعده في ر ، م ، ت ٢ ، ت ٣ : « إن » .

(٦) ينظر ص ٣٥٨ .

وقال آخرون : الرعدُ ريحٌ تختنقُ تحتِ السحابِ فتصاعدُ ، فيكونُ منه ذلك الصوتُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، [٢/٢] قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزَّيْريُّ ، قال : حدَّثنا بشيرٌ^(١) أبو^(٢) إسماعيلَ ، عن أبي كثيرٍ^(٣) ، قال : كنتُ عندَ أبي الجَلَدِ^(٤) ، إذ جاءه رسولُ ابنِ عباسٍ بكتابٍ إليه ، فكتبَ^(٥) إليه : كتبتَ إليّ تسألني عن الرعدِ ، فالرعدُ الريحُ^(٦) .

حدَّثني إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، قال : حدَّثنا عمرانُ بنُ ميسرةَ ، قال : حدَّثنا ابنُ إدريسَ ، عن الحسنِ بنِ الفراتِ ، عن أبيه ، قال : كتبَ ابنُ عباسٍ إليّ أبي الجَلَدِ^(٤) يسألهُ عن الرعدِ ، فقال : الرعدُ ريحٌ^(٧) .

قال أبو جعفرٍ : فإن كان الرعدُ ما ذكره ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ ، فمعنى الآية : أو كصَيِّبٍ من السماءِ فيه ظلماتٌ وصوتٌ رعدٍ ؛ لأنَّ الرعدَ إن كان ملكاً يسوقُ السحابَ ، فغيَرُ كائِنٍ في الصَّيِّبِ ؛ لأنَّ الصَّيِّبَ إنما هو ما تحدَّر من صَوْبٍ^(٨) السحابِ ، والرعدُ إنما هو في جوِّ السماءِ يسوقُ السحابَ . على أنه لو كان فيه

(١) في م ، ص ، ت ١ : « بشر » .

(٢) في النسخ : « بن » وهو خطأ . وهو بشير بن سلمان ، أبو إسماعيل ، والثبت من مصدر التخريج ، وينظر تهذيب الكمال ١٦٨/٤ .

(٣) في الأصل : « كبير » .

(٤) في م : « الجلد » .

(٥) في ت ١ : « فقال في كتاب » .

(٦) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٧٣) من طريق بشير به ، وسيأتي تمامه في ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥/١ (١٨٧) من طريق ابن إدريس ، به .

(٨) في ص ، ت ١ ، ت ٢ : « صوت » .

ثُمَّ ^(١)، لم يكن له صوتٌ مسموعٌ، لم ^(٢) يكن هنالك رعبٌ يُوعَب به أحدٌ؛ لأنه قد قيل: إن مع كل قطرة من قطر المطر ملكًا. فلا يُعْذُو الملك الذي اسمه الرعد لو كان مع الصيْب، إذا لم يكن مسموعًا صوته - أن يكون كـبعض / تلك الملائكة التي تنزل مع القطر إلى الأرض، في ألا رُعب على أحد بكونه فيه. فقد عُلم - إذ كان الأمر كما ^(٣) وَصَفْنَا من قول ابن عباس - أن معنى الآية: أو كمثلي غيثٍ تحدر من السماء فيه ظلماتٌ وصوتٌ رعد. إن كان الرعد هو ما قاله ابن عباس، وأنه استغنى بدلالة ذكر الرعد باسمه على المراد في الكلام من ذكر صوته، وإن كان الرعد ما قاله أبو الجليل ^(٤)، فلا شيء في قوله: ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ﴾. متروك؛ لأن معنى الكلام حينئذ: فيه ظلماتٌ ورعدٌ، الذي هو ما وَصَفْنَا صفته.

وأما البرق، فإن أهل العلم اختلفوا فيه؛ فقال بعضهم بما حَدَّثَنَا مطر بن محمد الضبي، قال: حَدَّثَنَا أبو عاصم، وَحَدَّثَنَا محمد بن بشار، قال: حَدَّثَنَا عبد الرحمن ابن مهدي، وَحَدَّثَنَا أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: حَدَّثَنِي أبو أحمد الزبير، قالوا جميعًا: حَدَّثَنَا سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن سعيد بن أشوع، عن ربيعة بن الأبيض، عن علي، قال: البرق مخاريق ^(٥) الملائكة ^(٦).

(١) في م: «ير».

(٢) في م: «فلم».

(٣) في ص، ر، م: «على ما».

(٤) في م: «الخلد».

(٥) المخاريق، جمع مخراق: وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا، أراد أنه آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه. النهاية ٢/٢٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥/١ (١٩٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٧١)، والبيهقي ٣/٣٦٣ من طريق سفيان به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٤٩، ٥٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٥٦٥ - المنتقى) من طريق المسعودي، عن سلمة، عن رجل، عن علي بلفظ: الرعد: ملك، والبرق: مخاريق بأيدي الملائكة. وينظر علل الدارقطني ٣/٢٠٠.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حُسَيْنَ ، عَنْ الشَّيْخِ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الْبَرْقُ مَخَارِيقُ بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ يَزْجُرُونَ بِهَا السَّحَابَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادٌ ، عَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ أَوْ غَيْرِهِ ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : الرَّعْدُ الْمَلَكُ ، وَالْبَرْقُ ضَرْبُهُ السَّحَابَ بِمِخْرَاقٍ مِنْ ^(١) حَدِيدٍ ^(٢) .

وقال آخرون : هو سَوْطٌ مِنْ نُورٍ ، يَزْجُرُ بِهِ الْمَلَكُ السَّحَابَ .

[٢/٢٧] ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثْتُ عَنْ الْمُتَنَجِّبِ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْحٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِذَلِكَ ^(٣) .

وقال آخرون : هو ماءٌ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشِيرٌ ^(٤) أَبُو ^(٥) إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ أَبِي كَثِيرٍ ^(٦) ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي الْجَلَدِ ^(٧) ، إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ ابْنِ

(١) ليس في : الأصل .

(٢) ينظر ما تقدم في ص ٣٦٠ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٤ إلى المصنف وابن مردويه .

(٤) في م : « بشر » .

(٥) في النسخ : « بن » . وهو خطأ كما تقدم في ص ٣٦١ .

(٦) في الأصل : « كبير » .

(٧) في م : « الخلد » .

عباس بكتاب إليه ^(١) ، فكتب إليه ^(٢) : كتبت ^(٣) إلى ^(٤) تسألني عن البرق ، فالبرق الماء ^(٥) .

حدثنا إبراهيم بن عبد الله ، قال : حدثنا عمران بن ميسرة ، قال : حدثنا ابن إدريس ، عن الحسن ^(٦) بن الفرات ، عن أبيه ، قال : كتب ابن عباس إلى أبي الجلد يسأله عن البرق ، فقال : البرق ماء ^(٧) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن رجل من أهل البصرة من قرائتهم ، قال : كتب ابن عباس إلى أبي الجلد ^(٨) - رجل من أهل هجر - يسأله عن البرق ، فكتب إليه : كتبت إلى تسألني عن البرق ، وإنه من الماء ^(٩) .
وقال آخرون : هو مضع ^(١٠) ملك .

١٥٣/١ / حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : البرق مضع

(١) ليس في الأصل .

(٢ - ٣) سقط من : ص .

(٣) سقط من : م .

(٤) زيادة من : ص .

(٥) تقدم أول هذا الأثر في ص ٣٦١ . وينظر الدر المنثور ٤/ ٤٩٩ .

(٦) في الأصل : « الحسن » .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥/١ (١٨٨) من طريق ابن إدريس به .

(٨) في م : « الخلد » .

(٩) أخرج أبو الشيخ في العظمة (٧٨٢) من طريق ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن عامر ، قال : أرسل ابن عباس إلى أبي الجلد . فذكره مطولاً ، وفيه : وأما البرق فهو تالؤ الماء . ينظر علل أحمد ٧٠/١ (١٩٤) .

(١٠) سيأتي تعريف المصع في كلام المصنف ، وينظر النهاية ٤/ ٣٣٧ .

مَلَكٌ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هِشَامٌ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الطَّائِفِيِّ ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ الْبَرْقَ مَلَكٌ لَهُ أَرْبَعَةُ أَوْجِهٍ ، وَجْهُ إِنْسَانٍ ، وَوَجْهُ ثَوْرٍ ، وَوَجْهُ نَسِيرٍ ، وَوَجْهُ أَسَدٍ ، فَإِذَا مَضَعَ بِأَجْنَحَيْهِ فَذَلِكَ الْبَرْقُ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ وَهْبِ بْنِ سَلِيمَانَ ، عَنْ شُعَيْبِ الْجَبَلِيِّ ، قَالَ : فِي كِتَابِ اللَّهِ ؛ الْمَلَائِكَةُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ، لِكُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ وَجْهُ إِنْسَانٍ وَثَوْرٍ وَأَسَدٍ وَنَسِيرٍ ، فَإِذَا حَرَّكَوا أَجْنَحَتَهُمْ ، فَهُوَ الْبَرْقُ ، وَقَالَ أُمِيَّةُ بِنْتُ أَبِي الصَّلْتِ^(٣) :

[٥٤/٢] رَجُلٌ وَثَوْرٌ تَحْتَ رَجُلٍ يَمِينِهِ وَالنَّسِيرُ لِلْأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدٌ^(٤)
حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ^(٥) بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الْبَرْقُ مَلَكٌ^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦/١ (١٩٤) من طريق عثمان به ، بزيادة : يسوق به السحاب .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٤ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ مثله . وعزاه أيضًا إلى المنذر مطولا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم - كما في البداية والنهاية ٨٧/١ ، وتفسير ابن كثير ٣٦٣/٤ - عن أبيه ، عن هشام - هو ابن عبيد الله الرازي - به . وينظر الدر المنثور ٤٩/٤ .

(٣) ديوانه ص ٢٩ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٤ إلى أبي الشيخ .

(٥) في الأصل ، ص ، م ، ت ، ١ ، ت : « الحسين » . وتقدم في ص ٣٥٨ .

(٦) أخرج أبو الشيخ في العظمة (٧٨٠) من طريق جوير ، عن الضحاك ، عن ابن عباس بلفظ : البرق ملك يترايا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٤ إلى ابن أبي الدنيا في المطر .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ^(١)، قَالَ: الصَّوَاعِقُ مَلَكٌ يَضْرِبُ^(٢) السَّحَابَ بِالْمَطَارِقِ^(٣)، فَيُصِيبُ بِهِ مِنْ يَشَاءُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَا قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ؛ وَذَلِكَ أَنْ تَكُونَ الْمَخَارِقُ الَّتِي ذَكَرَ عَلِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهَا هِيَ الْبَرْقُ، هِيَ^(٤) السَّيَاطُ الَّتِي هِيَ مِنْ نَوْرِ، الَّتِي يُزْجَى بِهَا الْمَلَكُ السَّحَابَ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَيَكُونُ إِزْجَاءُ الْمَلَكِ السَّحَابَ مَضْعَعَةً إِتَاهُ بِهَا. وَذَلِكَ أَنَّ الْمِصَاعَ عِنْدَ الْعَرَبِ أَصْلُهُ الْمَجَالِدَةُ بِالسَّيْفِ، ثُمَّ تَسْتَعْمَلُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مُجُولِدٍ بِهِ، فِي حَرْبٍ وَغَيْرِ حَرْبٍ، كَمَا قَالَ أَغَشَى بَنِي ثَعْلَبَةَ وَهُوَ يَصِفُ جَوَارِي لَعِينٍ بِحَلِيهِنَّ وَتَجَالَدَنَ بِهِ^(٥):

إِذَا هُنَّ نَازَلْنَ أَقْرَانَهُنَّ وَكَانَ الْمِصَاعُ بِمَا فِي الْجَوْنِ^(٦)
يَقَالُ مِنْهُ: مَاصِعُهُ مِصَاعًا. وَكَأَنَّ مُجَاهِدًا إِنَّمَا قَالَ: مَضْعُ مَلَكٍ. إِذْ كَانَ

(١) بعده في ت ٢: «وهاب بن سليمان».

(٢) زيادة من: م.

(٣) في م، ت ٢: «بالمخارق».

(٤) في ص، ت ٢: «وهي».

(٥) ديوان الأعشى ص ١٧.

(٦) الجونة - وربما همزت - : سلة مستديرة مغطاة أدمًا، يجعل فيها الطيب والثياب. اللسان (ج أن، ج

السحابُ لا يُمَاصِغُ الْمَلَكُ ، وإنما الرعدُ هو الماصِغُ^(١) له ، فجعله مصدرًا من : مَصَغَهُ يَمَصِّغُهُ مَصْغًا .

وقد ذكرنا في معنى الصاعقة ما قاله شهر بن حوشب فيما مضى^(٢) .

وأما تأويل الآية ، فإن أهل التأويل مختلفون فيه ؛ فزوى عن ابن عباس في ذلك أقوال ؛ [٣/٢] أحدها : ما حدثنا به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَنُقُورٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيهِ إِذَا نَهَمَ مِنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ أى : هم من ظلمات ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل على الذى هم عليه من الخلاف والتخوف منكم - على مثل ما وصف من الذى^(٣) هو فى ظلمة الصيب ، فجعل أصابعه فى أذنيه من الصواعق حذر الموت ، ﴿ يَكَاذُ الْبَاقُونَ يُخَفُّونَ أَبْصَرَهُمْ ﴾ أى : لشدة ضوء الحق ، ﴿ كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا / أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ أى : يعرفون الحق ويتكلمون ١٥٤/١ به ، فهم من قولهم به على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا متحيّرين^(٤) .

(١) فى م : « الماصع » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٣٥٧ .

(٣) فى الأصل : « الذين » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٣٣/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤/١ ، ٥٦ ، ٥٨ (١٨٣) ، ١٩٨ ،

٢٠٦ ، ٢٠٩) من طريق سلمة به ، وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٦ .

والآخر: ما حدثنا به موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ إلى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أما الصيب ^(١) فالمطر. كان رجلا من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله ﷺ إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله، فيه رعْد شديد وصواعق وبرق، فجعلا كلما أصابهما ^(٢) الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما، من الفرق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلها، وإذا لمع البرق مشوا في ضوئه، وإذا لم يلمع لم يُبصر، قاما مكانهما لا يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا فنأتى محمدا فنضع أيدينا في يده. فأصبحا، فأتياه فأسلما، ووضعَا أيديهما في يده، وحسن إسلامهما، فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلا للمنافقين الذين بالمدينة، وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي ﷺ جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقا من كلام النبي ﷺ أن ينزل فيهم شيء، أو يُذكروا بشيء فيقتلوا، كما كان ذاك [٣/٢] المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما. ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ﴾، فإذا كثرت أموالهم، وولد لهم الغلمان، ^(٣) وأصابوا غنيمة أو فتحا، مشوا فيه، وقالوا: إن دين محمد ﷺ دين ^(٤)

(١ - ١) في م: « والمطر، كانا ».

(٢) في م: « أضاء لهما ».

(٣ - ٣) في الأصل: « فأصابوا »، وفي ر، ت ٢: « أو أصابوا ».

(٤) في ص، والدر المنثور: « حينئذ »، وفي ت ١: « حق و ».

صدق . فاستقاموا عليه ، كما كان^(١) ذاك المنافقان يَمُشِيَان ، إذا أضاء لهما^(٢) البرقُ مشَوْا فيه ، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ . فكانوا إذا هلكت أموالهم ، وولِد لهم الجوارى ، وأصابهم البلاء ، قالوا : هذا من أجل دين محمد . فازتدوا كفارًا ، كما قام ذاك المنافقان حينَ أظْلَمَ البرقُ عليهما^(٣) .

والثالثُ : ما حدَّثني به محمدُ بنُ سعيد ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ : كمطرٍ ، ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ إلى آخر الآية : هو مثلُ المنافقِ في ضوء ما تكلم بما معه من كتابِ الله ، وعملِ مُراءاةٍ للناسِ ، فإذا خلا وحده عملٌ بغيره ، فهو في ظلمةٍ ما أقام على ذلك ، وأمَّا الظلماتُ فالضلالةُ ، وأمَّا البرقُ فالإيمانُ ، وهم أهلُ الكتابِ ، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾ فهو رجلٌ^(٤) يأخذُ بطرفِ الحقِّ لا يستطيع أن يُجاوزه^(٥) .

والرابعُ : ما حدَّثني به المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ صالح ، قال : حدَّثني معاويةُ بنُ صالح ، عن عليِّ بنِ أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ : وهو المطرُ ، ضربٌ مثله في القرآن ، يقولُ : ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ يقولُ :

(١) سقط من : الأصل .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « لهم » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة نحوه . وتقدم أول هذا الأثر في ص ٣٣٧ .

(٤) بعده في ت ١ : « واحد » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف . وتقدم أوله في ص ٣٥٦ .

ابتلاء، ﴿وَرَعَدُ﴾ يقول: تخويف، ﴿وَبَرَقُ﴾^(١). ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾. يقول: يكادُ مُحَكِّمُ الْقُرْآنِ أَنْ يَدُلَّ عَلَى عَوْرَاتِ الْمُنَافِقِينَ، ﴿كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَأٌ فِيهِ﴾ يقول: كَلَّمَآ أَصَابَ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ عِزًّا أَطْمَأْنَوْا، وَإِنْ أَصَابَ الْإِسْلَامَ نَكْبَةٌ^(٢) قَامُوا لِيَرْجِعُوا^(٣) إِلَى الْكُفْرِ، يقول: ﴿وَإِذَا أَطْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ [الحج: ١١]. إِلَى آخِرِ الْآيَةِ^(٤).

١٥٥/١ قال أبو جعفر: / ثم اختلف سائر أهل التأويل بعد في ذلك نظير ما روى عن ابن عباس من الاختلاف فحدثني محمد بن عمرو الباهلي، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى بن ميمون، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: إضاءة البرق وإظلامه^(٥) على نحو ذلك المثل^(٦).

حدثنا المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا عمرو بن علي، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

(١ - ١) في الدر المنثور: «ورعد وبرق - تخويف».

(٢ - ٢) في م: «قالوا ارجعوا».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٨ (١٨٢، ١٨٦، ٢٠٣، ٢٠٨) من طريق عبد الله بن صالح به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٢ إلى ابن المنذر والصابوني في المائتين.

(٤) في الأصل، ر: «إظلامهم».

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٣ إلى عبد بن حميد. وينظر تفسير مجاهد ص ١٩٧. وتقدم أول هذا الأثر في ص ٣٥٧.

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿فِيهِ ظُلُمْتُ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾: ^(١) فَاَلْمَنَافِقُ إِذَا رَأَى فِي الْإِسْلَامِ رِخَاءً أَوْ طُمَأْنِينَةً أَوْ سَلَوَةً مِنْ عَيْشٍ، قَالَ: أَنَا مَعَكُمْ وَأَنَا مِنْكُمْ. وَإِذَا أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ ^(٢) حَفَقَ ^(٣) وَاللَّهُ عِنْدَهَا، فَانْقَطَعَ بِهِ، فَلَمْ يُصْبِرْ عَلَى بَلَائِهَا، وَلَمْ يَحْتَسِبْ أَجْرَهَا، وَلَمْ يَرْجُ عَاقِبَتَهَا ^(٤).

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿فِيهِ ظُلُمْتُ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ يَقُولُ: أَجَبٌ ^(٥) قَوْمٌ، لَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا إِلَّا ظَنُّوا أَنَّهُمْ هَالِكُونَ فِيهِ؛ "حَذَرًا مِنْ" الْمَوْتِ، ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾. ثُمَّ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا آخَرَ، فَقَالَ: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾. يَقُولُ: هَذَا الْمَنَافِقُ؛ إِذَا كَثُرَ مَالُهُ، وَكَثُرَتْ مَاشِيَتُهُ، وَأَصَابَتْهُ عَافِيَةٌ، قَالَ: لَمْ يُصِيبْنِي مَذْ دَخَلْتُ فِي دِينِي هَذَا إِلَّا خَيْرٌ. ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ يَقُولُ: إِذَا ذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَهَلَكَتْ مَوَاشِيَهُمْ، وَأَصَابَهُمُ الْبَلَاءُ، قَامُوا مَتَحِيرِينَ.

(١) فِي ت ١: «قَالَ».

(٢) فِي الْأَصْلِ، ص، ت ١، ت ٢: «شَدِيدَةٌ».

(٣) الْحَقِيقَةُ: أَنَّ يَسَارَ الْبَعِيرِ وَيَحْمِلُ عَلَى مَا يَتَّبِعُهُ وَمَا لَا يَطِيقُهُ حَتَّى يَدْعَ بِرَاكِبِهِ، وَقِيلَ: هُوَ الْمَتَعَبُ مِنَ السَّيْرِ. اللَّسَانُ (ح ق ق).

(٤) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٣٣/١ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ نَحْوَهُ، وَتَقَدَّمَ أَوَّلُهُ فِي ص

٣٣٩.

(٥) فِي م: «أَخْبَرَ عَنْ»، وَفِي ت ١: «هُمْ أَجَبِينَ».

(٦ - ٦) فِي ص، ت ١: «حَذَرًا مِنْ».

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحَجَّاجِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ : ﴿ فِيهِ ظُلُمْتُ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ قَالَ : مِثْلُهُمْ كَمِثْلِ قَوْمٍ سَارُوا فِي [٥/٢] لَيْلَةٍ مَظْلَمَةٍ ، وَلَهَا مَطَرٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ عَلَى جَادَةٍ ، فَلَمَّا أُبْرِقَتْ أَبْصَرُوا الْجَادَةَ فَمَضَوْا فِيهَا ، فَإِذَا ذَهَبَ الْبَرْقُ تَحَيَّرُوا ، وَكَذَلِكَ الْمُنَافِقُ ، كُلَّمَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ الْإِخْلَاصِ أَضَاءَ لَهُ ، فَإِذَا شَكَّ تَحَيَّرَ وَوَقَعَ ^(١) فِي الظُّلْمَةِ ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ . ثُمَّ قَالَ فِي أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمُ الَّتِي عَاشُوا بِهَا فِي النَّاسِ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو تَمِيلَةَ ^(٣) ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْبَاهِلِيِّ ، عَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ مَزَاحِمٍ : ﴿ فِيهِ ظُلُمْتُ ﴾ قَالَ : أَمَا الظُّلُمَاتُ فَالضَّلَالَةُ ، وَالْبَرْقُ الْإِيمَانُ ^(٤) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فِيهِ ظُلُمْتُ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ ^(٥) فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قَالَ : هَذَا أَيْضًا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِلْمُنَافِقِينَ ، كَانُوا قَدْ اسْتَنَارُوا ^(٦) بِالْإِسْلَامِ ، كَمَا اسْتَنَارَ ^(٧) هَذَا بِنُورِ هَذَا ^(٨) الْبَرْقِ .

(١) بعده في ر : « ورجع » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩/١ عقب الأثر (١٢٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) في الأصل : « تميلة » ، وفي م : « تميلة » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٤/١ ، ٥٦ (١٨٤ ، ١٩٥) من طريق علي بن الحكم عن الضحاك .

(٥ - ٥) في ر : « حتى قرأ » .

(٦) في ت ١ : « استضاءوا » .

(٧) في ت ١ : « استضاء » .

(٨) سقط من : ص ، ت ١ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : لَيْسَ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ يَسْمَعُهُ الْمُنَافِقُ إِلَّا ظَنَّ أَنَّهُ يُرَادُّ بِهِ ، وَأَنَّهُ الْمَوْتُ ، كَرَاهِيَةً لَهُ ، وَالْمُنَافِقُ أَكْرَهُ خَلْقِ اللَّهِ لِلْمَوْتِ ، كَمَا إِذَا كَانُوا بِالْبَرَارِيِّ^(١) فِي الْمَطَرِ ، فَرَّوْا مِنَ الصَّوَاعِقِ .

/حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، عَنْ ١٥٦/١ عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ قَالَ : مِثْلُ ضَرْبِ الْكَافِرِينَ^(٢) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ^(٣) الَّتِي ذَكَرْنَاهَا عَنْ رَوَيْنَاهَا عَنْهُ ، فَإِنَّهَا وَإِنْ اخْتَلَفَتْ فِيهَا أَلْفَاظُ قَائِلِيهَا مَتَقَارِبَاتُ الْمَعَانِي ؛ لِأَنَّهَا جَمِيعًا تُنْبِئُ عَنْ أَنَّ اللَّهَ ضَرَبَ الصَّيْبَ لظَاهِرِ إِيْمَانِ الْمُنَافِقِ مِثْلًا ، وَمِثْلُ مَا فِيهِ مِنْ ظُلُمَاتٍ بِضَلَالَتِهِ ، وَمَا فِيهِ مِنْ ضِيَاءٍ بَرَقَ بِنُورِ إِيْمَانِهِ ، وَاتِّقَاءَهُ مِنَ الصَّوَاعِقِ بِتَصْيِيرِ أَصَابِعِهِ فِي أُذُنَيْهِ ، لضعف^(٤) جَنَانِهِ ، وَنَخْبِ^(٥) فَوَائِدِهِ ، مِنْ حُلُولِ عَقُوبَةِ اللَّهِ بِسَاحَتِهِ ، وَمَشِيَّتِهِ فِي ضَوْءِ الْبَرَقِ بِاسْتِقَامَتِهِ عَلَى نُورِ إِيْمَانِهِ ، وَقِيَامِهِ فِي الظَّلَامِ بِحَيْرَتِهِ فِي ضَلَالَتِهِ وَارْتِكَاسِهِ فِي عَمَمِهِ .

فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ^(٦) إِذَنْ - إِذْ^(٧) كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْنَا - : [٥/٢] أَوْ^(٨) مِثْلُ مَا اسْتَضَاءَ بِهِ الْمُنَافِقُونَ ، مِنْ قِيلِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِالسَّنَنِ : آمَنَّا بِاللَّهِ

(١) فِي ص : « بِالْبَرِّ » ، وَفِي م ، ر ، ت ، ١ ، ت ٢ : « بِالْبَرَارِ » .

(٢) فِي ص ، ر ، م ، ت ١ : « لِلْكَافِرِ » ، وَفِي ت ٢ : « الْكَافِرِ » .

(٣) فِي ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « الْأَقْوَالِ » .

(٤) فِي م : « بضعف » .

(٥) فِي م : « تَحِيرِ » . وَالنَّخْبُ : الْجَبْنُ وَضَعْفُ الْقَلْبِ . اللِّسَانُ (ن خ ب) .

(٦) فِي ص : « الْكَلَامِ » .

(٧) فِي ص : « إِنْ » ، وَفِي م « إِذَا » .

(٨) فِي الْأَصْلِ : « وَ » .

وباليوم الآخر وبمحمد وبما جاء به . حتى صار لهم بذلك فى الدنيا أحكام المؤمنين ، وهم - مع إظهارهم بألسنتهم ما يُظهرون - بالله وبرسوله وما جاء به من عند الله وباليوم الآخر مُكذِّبون ، ولخلاف ما يُظهرون بالألسن فى قلوبهم مُعْتَقِدُونَ ، على عَمَى منهم وجهالة بما هم عليه مِنَ الضلالة ، لا يَذْرُونَ فى ^(١) أى الأمرين اللذين قد شُرعا لهم الهداية ، فى ^(٢) الكفر الذى كانوا عليه قبل إرسال الله محمدا ﷺ بما أَرْسَلَهُ بِهِ إِلَيْهِمْ ، أم فى الذى أتاهم به محمد ﷺ من عند ربهم ؟ فهم من وَعِيدِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَجَلُونَ ، وهم مع وَجَلِهِمْ مِنْ ذَلِكَ فى حقيقته شاكُونَ ، فى قلوبهم مرضٌ فرادهم الله مرضًا - كمثل غَيْثٍ سَرَى لَيْلًا فى مُزْنَةٍ ^(٣) ظُلُمَاءٌ وَلَيْلَةٌ ^(٤) مُظْلِمَةٌ ، يَخْذُوهَا رَعْدٌ ، وَيَسْتَطِيرُ فى حَافَاتِهَا بَرْقٌ ، شَدِيدٌ لَمَعَانُهُ ، كَثِيرٌ خَطَرَانُهُ ^(٥) ، يَكَادُ سَنَاهُ ^(٦) يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ، وَيَخْتَطِفُهَا مِنْ شِدَّةِ ضِيَائِهِ وَنُورِ شُعَاعِهِ ، وَتَهْبِطُ مِنْهَا تَارَاتٍ صَوَاعِقُ ، تَكَادُ تَدْعُ النُّفُوسَ مِنْ شِدَّةِ أَهْوَالِهَا زَوَاهِقَ .

فَالصَّبِيبُ مَثَلٌ لظَاهِرٍ مَا أَظْهَرَ الْمُنَافِقُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْإِفْرَارِ وَالتَّضَدِيقِ ، وَالظُّلُمَاتُ الَّتِي هِيَ فِيهِ لُظُلُمَاتٍ مَا هُمْ مُسْتَبْطِنُوهُ ^(٧) مِنَ الشُّكِّ وَالتَّكْذِيبِ وَمَرَضِ الْقُلُوبِ ، وَأَمَّا الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ فَلِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَجَلِ مِنْ وَعِيدِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ فى آيِ كِتَابِهِ ، إِمَّا فى الْعَاجِلِ وَإِمَّا فى الْآجِلِ ، أَنْ يَحُلَّ بِهِمْ ، مَعَ شُكُّهُمْ فى ذَلِكَ ، هَلْ هُوَ كَائِنٌ أَمْ غَيْرُ كَائِنٍ ، وَهَلْ لَهُ حَقِيقَةٌ أَمْ ذَلِكَ كَذَبٌ

(١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٢) فى الأصل ، ص : « أفى » .

(٣) فى ت ١ : « برية » .

(٤) فى م : « ليل » .

(٥) الخطران : الارتفاع والانخفاض . انظر التاج (خ ط ر) .

(٦) فى ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « سنا يرقه » .

(٧) فى م : « مستبطنون » .

وباطل؟ مثل^(١). فهم من وجّلهم أن يكون ذلك حقًا ، يتّقونه بالإقرار بما جاء به محمد ﷺ بالسنتهم ، مخافةً على أنفسهم من الهلاك ونزول النّقامات . وذلك تأويلُ قوله جلّ ثناؤه: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْءِ أَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ يعني بذلك: يتّقون وعيدَ الله الذي أنزله في كتابه على لسانِ رسوله ﷺ بما يُئذّونه بالسنتهم من ظاهر الإقرار، كما يتّقى الخائف^(٢) أصوات الصّواعق بتغطية أذنيه، وتّصيير أصابعه فيهما^(٣)، حذرًا على نفسه منها^(٤).

وقد ذكرنا الخبر الذي روى عن ابن مسعود وعن ابن عباس أنهما كانا يقولان: إن المنافقين [٦/٢] كانوا إذا حضروا مجلس رسول الله ﷺ أدخلوا أصابعهم في آذانهم فرقًا من كلام رسول الله ﷺ، أن ينزل فيهم شيء، أو يُذكروا بشيء فيقتلوا^(٥). فإن كان ذلك صحيحًا - ولست أعلمه صحيحًا، / إذ كنتُ بإسناده ١٥٧/١ مُرتابًا - فإن القول الذي روى عنهما هو القول. وإن يكن غير صحيح، فأولَى بتأويل الآية ما قلنا؛ لأنّ الله إنما قصّ علينا من خبرهم في أول مُبتدأ قصصهم، أنهم^(٦) يُخادعون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم: آمنا بالله وباليوم الآخر. مع شكّ قلوبهم ومرضِ أفئدتهم في حقيقة ما زعموا أنهم به مؤمنون، مما جاءهم به رسول الله ﷺ من عند ربّهم، وبذلك وصفهم في جميع آي القرآن التي ذكر فيها صفتهم، فكذلك ذلك في هذه الآية.

(١) ليست في: الأصل، وفي ت ١: « شك ».

(٢) بعده في ر: « من ».

(٣) في ص، م، ت ١: « فيها ».

(٤) في ت ٢: « منهما ».

(٥) تقدم في ص ٣٦٨.

(٦) بعده في ص: « عارفون ».

من حِذَارِ الموتِ فى آذَانِهِمْ .

وكان قتاده وابن جريج يتأولان قوله : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْٓءَاذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ أن ذلك من الله جل ثناؤه صفة للمنافقين بالهلع وضعف القلوب وكراهية الموت . [٦/٢٦] ويتأولان فى ذلك قوله : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون : ٤] .

وليس الأمر فى ذلك عندى كالذى قالوا ، وذلك أنه قد كان فيهم من لا تُنكر شجاعته ، ولا تُدفع بسأله ، كقرمان^(١) الذى لم يَقم مقامه أحد^(٢) من المؤمنين^(٣) يوم أُحُد^(٤) ، ودونه^(٥) ، وإنما كانت كراحتهم شهوة المشاهدة مع رسول الله ﷺ ، وتزكهم معاونته على أعدائه ؛ لأنهم لم يكونوا فى أديانهم مُستبصرين ، ولا برسول الله ﷺ مُصدِّقين ، فكانوا للحضور معه مشاهدته كارهين ، إلا بالتَّخذيل عنه . ولكن ذلك وصف من الله لهم بالإشفاق من حلول عقوبة الله بهم على نفاقهم ، إما عاجلاً وإما آجلاً .

ثم أخبر جل ثناؤه أن المنافقين الذين نعتهم الله النعته الذى ذكر ، وضرب لهم الأمثال التى وصف ، وإن اتَّقَوْا عقابه ، وأشفقوا من عذابه إشفاق الجاعل فى أذنيه أصابعه حذارٍ لحلول الوعيد الذى توعدهم به فى آي كتابه - غير مُنجيهم ذلك من نزوله بعقوبتهم^(٥) ، وحلوله بساجتتهم ، إما عاجلاً فى الدنيا ، وإما آجلاً فى الآخرة ،

(١) هو قرمان بن الحارث ، حليف بنى ظفر ، كان منافقاً معروفاً بالشجاعة ، وقاتل يوم أحد قتالاً شديداً ، حتى أصابته الجراحة ، فقتل نفسه . ينظر الإصابة ٥ / ٤٤٠ .

(٢) سقط من : ص ، وفى ر : « بأحد » ، وفى ت ٢ : « كأحد » .

(٣ - ٣) فى ص : « كثير أحد » ، وفى ر ، ت ٢ : « كبير أحد » ، وفى ت ١ ، م : « بأحد » .

(٤) فى الأصل ، ر : « ذويه » .

(٥) فى ص : « بعقولهم » ، وفى م : « بعقوبتهم » . والعقوة والعقا : الساحة وما حول الدار ، والحلة . اللسان (ع ق و) .

للذى فى قلوبهم من مرضها ، والشك فى اعتقادها ، فقال : ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) : جامعهم ، فمُحِلٌّ بهم عقوبته .

/ وكان مجاهدٌ يتأوّل ذلك كما حدّثنى محمد بن عمرو الباهلي ، قال : ١٥٨/١
حدّثنا أبو عاصم ، قال أخبرنا عيسى بن ميثون ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن
مجاهد فى قول الله : ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ قال : جامعهم فى
جهنم ^(٢) .

حدّثنى القاسم ، قال : حدّثنا حسين ، قال : حدّثنا حجاج ، عن ابن جريج ،
عن مجاهد فى قوله : ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ قال : جامعهم ^(٣) .

وأما ابن عباس فروى عنه فى ذلك ما حدّثنى به ابن حميد ، قال : حدّثنا
سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن
جبش ، عن ابن عباس : ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ يقول : الله مُنَزِّلُ ذلك بهم من
النّعمة ^(٤) .

ثم عاد جلّ ذكره إلى نعت إقرار المنافقين بألسنتهم ، والخبر عنه ^(٥) عنهم
وعن نفاقهم ، وإتمام المثل الذى ابتدأ ضربه لهم ولشكهم ومرض قلوبهم ، فقال :
﴿ يَكَادُ الْبَرُّ ﴾ يعنى بالبرق الإقرار الذى أظهره بألسنتهم بالله وبرسوله وما جاء به

(١) فى م : « بمعنى » .

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٧ ، ومن طريقه عبد بن حميد - كما فى تعليق التعليق ٤ / ١٧٢ - وابن أبي حاتم
فى تفسيره ٥٧ / ١ (٢٠١) . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٤٠ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٥٧ / ١ (٢٠٠) من طريق ابن جريج به ، بزيادة : يوم القيامة فى جهنم .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٥٧ / ١ (١٩٩) من طريق سلمة به .

(٥ - ٥) سقط من : ر ، ت ١ .

مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ . فَجَعَلَ الْبَرْقَ لَهُ مِثْلًا عَلَى مَا ^(١) قَدَّمْنَا صِفَتَهُ ، ﴿ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ ﴾ يعنى : يَذْهَبُ بِهَا وَيَسْتَلْبِثُهَا وَيَلْتَمِعُهَا ^(٢) مِنْ شِدَّةِ ضِيَائِهِ ^(٣) وَنُورِ شُعَاعِهِ ^(٤) .

كما [٧/٢] حُدِّثَتْ عَنْ الْمُتَجَابِ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَزْوِجٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ ﴾ . قَالَ : يَلْتَمِعُ أَبْصَارَهُمْ وَلَمَّا يَفْعَلُ ^(٥) .

وَالْخَطْفُ السَّلْبُ . وَمِنْهُ الْخَبْرُ الَّذِي رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْخَطْفَةِ ^(٦) . يَعْنِي بِهَا التَّهْبَةُ . وَمِنْهُ قِيلَ لِلْخُطَّافِ الَّذِي يُخْرِجُ بِهِ الدَّلْوُ مِنَ الْبَيْرِ : خُطَّافٌ ؛ لِاخْتِطَافِهِ وَاسْتِثْلَايِهِ مَا عَلِقَ بِهِ . وَمِنْهُ قَوْلُ نَابِغَةَ بَنِي دُيَّانَ ^(٧) :

(١) بعده فى ر : « قد » .

(٢) التمتع الشيء : اختلسه . اللسان (ل م ع) .

(٣) فى الأصل ، ص ، ر ، ت ٢ : « ضيائها » .

(٤) فى الأصل ، ص ، ر ، ت ٢ : « شعاعها » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧/١ (٢٠٤) عن أبى زرة ، عن المتجانب به .

(٦) أخرجه الدارمى ٨٥/٢ ، والطبرانى فى الكبير ٢٠٩/٢٢ (٥٥١) ، والبيهقى ٣٣٤/٩ من طريق أبى أويس عبد الله بن عبد الله ، عن الزهرى ، عن أبى إدريس ، عن أبى ثعلبة بلفظ : نهى رسول الله ﷺ عن الخطفة ، والمجثمة ، والنهبة ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع .

وأخره فى النهى عن كل ذى ناب من السباع فى الصحيحين ، وغيرهما من طرق عن الزهرى به . وينظر علل الدارقطنى ٣١٦/٦ - ٣١٨ .

وأخرجه الحميدى (٣٩٧) ، وأحمد ١٩٥/٥ ، ٤٥٥/٦ (الميجنة) من طريق سهيل ، عن عبد الله بن يزيد السعدى ، عن أبى الدرداء ، نحوه . وينظر علل الدارقطنى ٢٠٣/٦ ، ٢٠٤ .

والخطفة : ما اختطف الذئب من أعضاء الشاة وهى حية . والمراد ما يقطع من أطراف الشاة ، والخطفة المرة الواحدة من الخطف ، فسمى بها العضو المختطف . ينظر النهاية ٤٩/٢ .

(٧) ديوانه ص ٥٢ .

خَطَاطِيفُ حُجُنٍّ^(١) فِي جِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ
فَجَعَلَ ضَوْءَ الْبَرْقِ وَشِدَّةَ شُعَاعِ نُورِهِ ، لَصُوءَ^(٢) إِقْرَارِهِمْ بِالْسِّتِيهِمْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ
ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَشُعَاعِ نُورِهِ - مَثَلًا .

ثم قال : ﴿ كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ ﴾ يعنى أن البرق كلما أضاء لهم . وجعل البرق
لإيمانهم مَثَلًا . وإنما أراد بذلك أنهم كلما أضاء لهم الإيمان . وإضاءته لهم أن يَرَوْا فيه
ما يُعْجِبُهُمْ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ مِنَ النَّصْرَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَإِصَابَةِ الْغَنَائِمِ فِي الْمَغَازِي ،
وَكثْرَةِ الْفُتُوحِ وَتَتَابُعِهَا^(٣) ، وَالثَّرَاءِ فِي الْأَمْوَالِ ، وَالسَّلَامَةِ فِي الْأَبْدَانِ وَالْأَهْلِ
وَالْأَوْلَادِ - فَذَلِكَ إِضَاءَتُهُ لَهُمْ ؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يُظْهِرُونَ بِالسِّتِيهِمْ مَا يُظْهِرُونَهُ مِنَ الْإِقْرَارِ
ابْتِغَاءَ ذَلِكَ ، وَمُدَافَعَةً عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَذُرَارِيَّتِهِمْ ، فَهَمَّ كَمَا وَصَفَهُمْ
جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ
وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾ [الحج : ١١] .

ويعنى بقوله : ﴿ مَشَوْا فِيهِ ﴾ : مَشَوْا^(٤) فِي ضَوْءِ الْبَرْقِ . وإنما ذلك مَثَلٌ
لِإِقْرَارِهِمْ عَلَى مَا وَصَفْنَا . فمعناه : كلما رَأَوْا فِي الْإِيمَانِ مَا يُعْجِبُهُمْ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ -
عَلَى مَا وَصَفْنَا - ثَبَّتُوا عَلَيْهِ ، وَأَقَامُوا فِيهِ ، كَمَا يَثْبُتُ السَّائِرُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَظُلْمَةِ الصَّبِيِّ
الَّذِي وَصَفَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ، إِذَا بَرَقَتْ فِيهَا بَارِقَةٌ^(٥) فَأَبْصَرَ طَرِيقَهُ بِهَا^(٦) .

﴿ وَإِذَا أَظْلَمَ ﴾ يعنى : ذَهَبَ ضَوْءُ الْبَرْقِ عَنْهُمْ^(٦) . ويعنى بقوله : ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ :

(١) الحجن جمع أحجن : وهو الشيء المعوج . اللسان (ح ج ن) .

(٢) فِي ص : « بَضُوء » ، وَفِي م : « كَضُوء » .

(٣) فِي ص ، م : « مَنَافِعُهَا » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « يَعْنِي مَشَوْا » .

(٥ - ٥) فِي م : « أَبْصَرَ طَرِيقَهُ فِيهَا » .

(٦) فِي الْأَصْلِ ، ر ، ت ، ١ : « عَلَيْهِمْ » .

على السائرين في الصَّيْبِ الذی وَصَفَ جَلَّ ذِكْرُهُ ، وذلك للمنافقين مَثَلٌ . ومعنى
إِظْلَامٍ ذلك أن المنافقين كلما لم يَرَوْا في الإسلام ما يُعْجِبُهُمْ / في دنياهم - عند ابتلاء
اللَّهِ مؤمنى عبادِهِ بالضَّرَاءِ ، وتَمَحِيصِهِ إِيَّاهُمْ بالشَّدَائِدِ والبَلَاءِ ، من إخْفَاقِهِمْ في
مَغْزَاهُمْ ، ^(١) «أو إدالة» عدوُّهم منهم ، أو إدبارٍ من دنياهم عنهم - أقاموا على
نفاقِهِمْ ، وثَبَّتُوا على ضَلَالَتِهِمْ ، كما قام السَّائِرُونَ [٧/٢] في الصَّيْبِ الذی وَصَفَ
جَلَّ ذِكْرُهُ إذا أَظْلَمَ ^(٢) وَخَبَتْ ^(٣) ضَوْءُ الْبَرَقِ ، فحار في طريقه فلم يَعْرِفْ مَنَهِجَهُ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ﴾ .

قال أبو جعفر : وإنما خَصَّ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ بآئِهِ لو شاء أذهبها من
المنافقين دونَ سائرِ أَعْضَاءِ أَجْسَامِهِمْ - لِذِي جَرَى مِنْ ذِكْرِهَا فِي الْآيَتَيْنِ ، أغنى
قوله : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءَ آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوْعِ ﴾ . وقوله : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ﴾ فجزى ذكرها في الآيتين على وجه المثل . ثم
عَقَّبَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَكَرَ ذلك بآئِهِ لو شاء أذهبهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، عقوبةً لَهُمْ على نفاقِهِمْ
وكُفْرِهِمْ ، وعِيْدًا مِنَ اللَّهِ لَهُمْ ، كما تَوَعَّدَهُمْ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا بقوله : ﴿ وَاللَّهُ يُحِيطُ
بِالْكَافِرِينَ ﴾ واصفًا بذلك جَلَّ ذِكْرُهُ نَفْسَهُ أَنَّهُ الْمُقْتَدِرُ عَلَيْهِمْ وعلى جَمْعِهِمْ ^(٤) ،
لِإِخْلَالِ سُخْطِهِ بِهِمْ ، وَإِنْزَالِ نِقْمَتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَمُحَذِّرَهُمْ بِذلك سَطْوَتِهِ ، وَمُخَوِّفَهُمْ ^(٥)
عَقوبَتَهُ ، لِيَتَّقُوا بِأَسَهِ ، وَيُسَارِعُوا إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ

(١ - ١) في ص : « وإدالة » ، وفي م : « وإنالة » . والإدالة : الغلبة . اللسان (د و ل) .

(٢) بعده في الأصل : « عليهم » .

(٣) في ص : « خف » ، وفي ر ، م : « خفت » ، وخبت وخفت بمعنى .

(٤) في الأصل ، ص : « جميعهم » .

(٥) بعده في ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « به » .

إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾: لِمَا تَزَكُوا مِنَ الْحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ^(١).

حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: ثم قال - يعني: قال الله - في أسماعهم - يعني أسماع المنافقين - وأبصارهم التي عاشوا بها في الناس: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾^(٢).

ولما معنى قوله: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾: لأذهب سمعهم وأبصارهم. ولكن العرب إذا أدخلوا الباء في مثل ذلك قالوا: ذهب بصره. وإذا حذفوا الباء قالوا: أذهب بصره. كما قال جل ذكره: ﴿ءَاِئِنَّا غَدَاؤُنَا﴾ [الكهف: ٦٢]. ولو أدخلت الباء في الغداء ل قيل: آتينا بغداؤنا.

فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ فوحد، وقال: ﴿وَأَبْصَرِهِمْ﴾ فجمع، وقد علمت أن الخبر في السمع خبر عن سمع جماعة، كما الخبر في الأبصار خبر عن أبصار جماعة؟

قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعض نحويي الكوفة: وحد السمع لأنه عني به المصدر وقصد به الخرق، وجمع الأبصار لأنه عني [٨/٢] بها^(٣) الأعين.

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٣/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩/١ (٢١٣) من طريق سلمة به. وتقدم أول هذا الأثر في ص ٣٣٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩/١ (٢١٢) من طريق أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية.

(٣) في ص، ر، م، ت ١، ت ٢: «به».

وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيّى الْبَصْرَةِ يَزْعُمُ أَنَّ السَّمْعَ وَإِنْ كَانَ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ، فَإِنَّهُ بِمَعْنَى جَمَاعٍ . وَيَخْتَجُّ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرَفُهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤٣] . يُرَادُّ ^(١) : لَا تَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ أَطْرَافُهُمْ . وَبِقَوْلِهِ : ﴿ وَيَوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر : ٤٥] . يُرَادُّ بِهِ : أَذْبَارُهُمْ .

قال أبو جعفرٍ : وإنما جاز ^(٢) ذلك عندى لأن فى الكلام ما يدلُّ على أنه مُرَادُّ به الجمعُ ، فكان دَلَالَتُهُ ^(٣) على المراد منه وأدأى معنى الواحدِ مِنَ السَّمْعِ عن معنى جماعةٍ ، مُغْنِيًا ^(٤) عن جماعه ، ولو فُعِلَ بالبصرِ نظيرُ الذى فُعِلَ بالسمعِ ، أو فُعِلَ بالسمعِ نظيرُ الذى فُعِلَ / بالأبصارِ - مِنَ الجمعِ والتوحيدِ - كان فصيحًا صحيحًا ؛ ١٦٠/١ لما ذكرنا مِنَ العلةِ ، كما قال الشاعرُ ^(٥) :

كُلُّوا فِي بَعْضٍ ^(٦) بَطْنِكُمْ تَعِفُّوا ^(٧) فَإِنَّ زَمَانَنَا ^(٨) زَمَنٌ خَمِيصُ
فَوَحَّدَ الْبَطْنَ ، وَالْمَرَادُّ بِهِ ^(٩) الْبَطُونُ ؛ لِمَا وَصَفْنَا مِنَ الْعِلَّةِ .

(١) فى ص : « ويراد » ، وفى م : « يريد » .

(٢) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « جمع » ، وفى ر : « جميع » .

(٣ - ٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « فى دلالتِهِ » ، وفى م : « فيه دلالة » .

(٤) فى ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « معنا » .

(٥) بعده فى ر : « حيث قال » .

والبيت من أبيات سيبويه التى لا يعلم قائلها ، ينظر الكتاب ١ / ٢١٠ ، وأمالى ابن الشجرى ١ / ٣١١ ، ٢ / ٢٥ ، ٣٨ ، ٣٤٣ ، والخزانة ٧ / ٥٣٧ ، ٥٥٩ .

(٦) فى الأصل ، ص ، ر ، و أمالى ابن الشجرى ، والموضع الأول من الخزانة : « نصف » .

قال صاحب الكشف - كما فى الخزانة ٧ / ٥٦٣ - : أكل فى بعض بطنه ، إذا كان دون الشيع ، وأكل فى بطنه ، إذا امتلأ وشبع .

(٧) فى الأصل ، ص ، ر ، والموضع الأول من الخزانة : « تعيشوا » . وذكر صاحب الخزانة أنها رواية .

(٨) فى مصادر التخريج : « زمانكم » .

(٩) فى ص ، م : « منه » .

القول في تأويل قوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠).

قال أبو جعفر: وإنما وصف نفسه جلّ ذكره بالقُدرة على كل شيء في هذا الموضع؛ لأنه حذّر المنافقين بأسه وسطوته، وأخبرهم أنه بهم محيط، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير، ثم قال جلّ ذكره: فاتقوني أيها المنافقون، واحذروا خداعي وخداع رسولي وأهل الإيمان بي؛ لا^(١) أُجِلُّ بكم نقيمي، فإنني على ذلك وعلى غيره من الأشياء قدير^(٢). ومعنى ﴿قَدِيرٌ﴾: معنى قادر، كما معنى عليم^(٣): عالم. على ما وصفت فيما تقدّم من نظائره من زيادة معنى «فعيل» «على» «فاعل» في المدح والذم^(٤).

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

فأمر جلّ ثناؤه الفريقين اللذين أخبر عن أحدهما أنه سواء عليهم أنذروا^(٥) أم لم يُنذروا^(٦) أنهم لا يؤمنون؛ لطبعه على قلوبهم وسمعهم^(٧)، وعن الآخر أنه يُخادع الله والذين [٨/٢] آمنوا بما يُئدى بلسانه من قيله: آمناً بالله وباليوم الآخر. مع استبطائه خلاف ذلك ومرض قلبه وشكّه في حقيقة ما يُئدى من ذلك، وغيرهم من سائر خلقه المكلفين - بالاستكانة والخضوع له بالطاعة، وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة؛ لأنّه جلّ ذكره هو خالقهم وخالق من قبلهم من

(١) في الأصل: «لأنّي».

(٢) في ص، م: «قدير».

(٣) بعده في ر: «معنى».

(٤) ينظر ما تقدم في ص ١٢٥.

(٥) في ص، ت ١، ت ٢: «أنذرهم».

(٦) في ص، ت ١، ت ٢: «تنذرهم و».

(٧) بعده في م: «وأبصارهم».

آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ ، وَخَالِقُ أَوْلَادِهِمْ وَأَصْنَانِهِمْ وَالْهَيْتِهِمْ .

فَقَالَ لَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ : فَالَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ آبَاءَكُمْ وَأَجْدَادَكُمْ وَسَائِرَ الْخَلْقِ غَيْرَكُمْ ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى ضَرْبِكُمْ وَنَفْعِكُمْ ، أَوْلَى بِالطَّاعَةِ مِمَّنْ لَا يَقْدِرُ لَكُمْ عَلَى نَفْعٍ وَلَا ضَرْبٍ .

وكان ابن عباس فيما روى لنا عنه يقول في ذلك نظير ما قلنا فيه ، غير أنه ذكر عنه أنه كان يقول في معنى : ﴿ اَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ : وَحُدُوا رَبَّكُمْ .

وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على أن معنى العبادة ؛ الخضوع لله بالطاعة ، والتذلل له بالاستكانة^(١) .

والذي أراد ابن عباس - إن شاء الله - بقوله في تأويل قوله : ﴿ اَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ :^(٢) وَحُدُوهُ . أى : أَفْرِدُوا الطَّاعَةَ وَالْعِبَادَةَ لِرَبِّكُمْ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ .

حدثنا محمد بن حميد ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ اَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ : لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ ، أَى : وَحُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ^(٣) .

وحدثني موسى بن هارون ، قال : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِّادِيِّ فِي خَيْرِ ذِكْرِهِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مَرْثَةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ ١٦١/١

(١) ينظر ما تقدم في ص ١٥٩ .

(٢ - ٢) في ص : « وحدوا له » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣٣/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩/١ ، ٦٠ (٢١٥ ، ٢١٦) من طريق سلمة به .

(تفسير الطبري ٢٥/١)

أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿١﴾ . يَقُولُ : خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ^(١) .

قال أبو جعفر ^(٢) : وهذه الآية من أدل الدليل على فساد قول من زعم أن تكليف ما لا يطاق إلا بمعونة الله غير جائز ، إلا بعد إعطاء الله المكلف المعونة على ما كلفه ، وذلك أن الله جل وعز أمر من وصفنا بعبادته والتوبة من كفره ، بعد إخباره عنهم أنهم لا يؤمنون ، وأنهم عن ضلالتهم [٩/٢] لا يرجعون .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

وتأويل ذلك : لعلكم تتقون بعبادتكم ربكم الذي خلقكم ، وطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه ، وإفرادكم له بالعبادة ^(٣) - سخطه وغضبه أن يحل عليكم ^(٤) ، وتكونوا من المتقين الذين رضي عنهم ربهم .

وكان مجاهد يقول في تأويل قوله : ﴿ تَتَّقُونَ ﴾ : تطيعون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثني أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . قال : لعلكم تطيعون ^(٥) .

والذي أظن أن مجاهدًا أراد بقوله هذا : لعلكم أن تتقوا ربكم بطاعتكم إياه ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠/١ (٢١٧) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي من قوله .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ : « العبادة لتقوا » ، وفي م : « بالعبادة لتقوا » .

(٤) في ر : « بكم » .

(٥) تفسير الثوري ص ٤٢ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠/١ (٢٢٠) ، وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ٣٤/١ إلى وكيع وعبد بن حميد وأبي الشيخ .

وإقلا عِكم عن ضلالتِكم .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف قال جلُّ ثناؤه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أو لم يكن عالماً بما يصيرُ إليه أمرهم إذا هم عبدوه وأطاعوه ، حتى قال لهم : لعلكم إذا فعلتم ذلك أن تتقوا . فأخرج الخبر عن عاقبة عبادتهم إياه مُخرج الشك ؟

قيل : ذلك على غير المعنى الذى توهمت ، وإنما معنى ذلك : اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لَتَتَّقُوهُ بطاعته وتوحيده وإفراجه بالربوبية والعبادة ، كما قال الشاعر^(١) :

وَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا الْحُرُوبَ لَعَلَّنَا نَكُفُّ وَوُثِّقْتُمْ لَنَا كُلُّ مَوْثِقٍ
فَلَمَّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عُهُودُكُمْ كَلَمَحِ سَرَّابٍ فِي الْمَلَا^(٢) مُتَالِقٍ
يريد بذلك : قلتم لنا كفوا لنكف . وذلك أن « لعل » فى هذا الموضع لو كان شكاً لم يكونوا وثقوا لهم كل مَوْثِقٍ .

القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ .

وقوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ مردودٌ على ﴿ الَّذِي ﴾ الأول فى قوله : ﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ وهما جميعاً من نعت ﴿ رَبَّكُمْ ﴾ . فكأنه قال : اعبدوا ربكم الخالقكم ، والخالق [٩/٢] الذين من قبلكم ، الجاعل لكم الأرض فراشاً . يعنى بذلك أنه جعل لكم^(٣) الأرض مهذاً ثوطاً ، وقراراً يُستقرُّ / عليها . يُدَكِّرُ ربُّنا جلُّ ذكره بذلك من قبيله ، عباده^(٤) نعمته عندهم وآلاءه لديهم ؛ ١٦٢/١

(١) البيتان فى أمالى ابن الشجرى ٥١/١ غير منسوين .

(٢) فى ص ، م : « الفلا » . والفلا والملا : المتسع من الأرض ، أو الصحراء الواسعة . اللسان (ف ل و ، م ل و) .

(٣) فى ص : « لهم » .

(٤) فى م : « زيادة » .

ليذكروا أياديَه عندهم ، فينبوا إلى طاعته ، تعطفًا منه بذلك عليهم ، ورأفةً منه بهم ، ورحمةً لهم ، من غير ما حاجة منه إلى عبادتهم ، ولكن ليثبت نعمته عليهم ولعلمهم يهتدون .

كما حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن ^(١)مرة ، عن ^(٢)ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَشًا ﴾ : فهي فراش يُمشى عليها ، وهي المهاد والقار ^(٣) .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَشًا ﴾ قال : مهادًا لكم ^(٤) .

وحدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَشًا ﴾ أي : مهادًا ^(٥) .

القول في تأويل قوله جل وعز : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَاءً ﴾ .

قال أبو جعفر : وإنما سُميت السماء سماء ؛ لعلوها على الأرض ، وعلى سُكَّانها من خلقه ، وكلُّ شيء كان فوق شيء آخر ، فهو لما تحته سماء . ولذلك قيل لسقف

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١/١ (٢٢٢) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي من قوله .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١/١ عقب الأثر (٢٢٢) معلقا .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١/١ عقب الأثر (٢٢٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

البيت : سماؤه ؛ لأنه فوقه مرتفع عليه ، وكذلك قيل : سما فلان لفلان : إذا أشرف له وقصد نحوه عاليًا عليه ، كما قال الفرزدق^(١) :

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانِي وَأَهْلِيهِ وَنَجْرَانُ^(٢) أَرْضُ لَمْ تُدَيْثُ^(٣) مَقَاوِلُهُ^(٤)
وكما قال نابغة بنى دُيَّانَ^(٥) :

« سَمَتْ لِي نَظْرَةٌ^(٦) فَرَأَيْتُ مِنْهَا تُحَيَّتُ الْخِذِرَ^(٧) وَاضِعَةً الْقِرَامَ^(٨) »
يريد بذلك : أشرفت لى نظرة وبدت . فكَذلك السماء سُمِّيت للأرضِ سماءً ؛ لعلوها وإشرافها عليها .

كما حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مَرْثَةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ وَالسَّمَاءُ بَنَاءٌ ﴾ : ابْتَنَى^(٩) السَّمَاءَ [١٠/٢] عَلَى الْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الْقُبَّةِ ، وَهِيَ سَقْفٌ عَلَى الْأَرْضِ^(١٠) .

(١) ديوانه ص ٧٣٥ .

(٢) نجران : من مخاليف اليمن من ناحية مكة . معجم البلدان ٤ / ٧٥١ .

(٣) تدِيث : توطأ . وطريق مديث أى مذلل . اللسان (د ي ث) .

(٤) المقول : الملك من ملوك حمير ، والجمع مقالول ومقاولة . اللسان (ق و ل) .

(٥) ديوانه ص ١٥٩ .

(٦ - ٦) فى الديوان : « صفحت بنظرة » .

(٧) الخدر : ستر يمد للجارية فى ناحية البيت . تاج العروس (خ د ر) .

(٨) القرام : الستر الرقيق . اللسان (ق ر م) .

(٩) فى م : « فبناء » ، وفى ص ، ر ، ت ، ٢ : « فبنى » ، وفى حاشية الأصل : « فى الأم : فبنى » .

(١٠) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١ / ٣٤ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١ / ٦١ (٢٢٤) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى عن قوله .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ قَالَ : جَعَلَ السَّمَاءَ سَقْفًا لَكَ ^(١) .

وإنما ذَكَرَ السَّمَاءَ والأَرْضَ جَلِ ثَنَاؤُهُ فيما عَدَّدَ عَلَيْهِم مِّن نِّعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ ؛ لِأَنَّ مِنْهُمَا أَقْوَاتَهُمْ وَأَرْزَاقَهُمْ وَمَعَايِشَهُمْ ، وَبِهِمَا قِوَامُ دُنْيَاهُمْ . فَأَعْلَمَهُم أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُمَا وَخَلَقَ جَمِيعَ مَا فِيهِمَا وَمَا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ ، هُوَ الْمُسْتَحِقُّ عَلَيْهِم الطَّاعَةَ ، وَالْمُسْتَوْجِبُ مِنْهُمْ الشُّكْرَ وَالْعِبَادَةَ ، دُونَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَنْفَعُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ : ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ .

يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ جَلِ ثَنَاؤُهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا ، فَأَخْرَجَ بِذَلِكَ الْمَطَرِ مِمَّا أَنْبَتُوهُ ^(٢) فِي الْأَرْضِ مِنْ زُرُوعِهِمْ / وَغُرُوبِهِمْ ثَمَرَاتٍ رِزْقًا لَهُمْ ؛ غِذَاءً وَأَقْوَاتًا . فَنَبِّهَهُمْ بِذَلِكَ جَلِّ ثَنَاؤُهُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَذَكَرَهُمْ بِهِ آلَاءَهُ لَدَيْهِمْ ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ ، وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ وَيَكْفُلُهُمْ ^(٣) ، دُونَ مَنْ جَعَلُوهُ لَهُ نِدًّا وَعِدْلًا مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْآلِهَةِ . ثُمَّ زَجَرَهُمْ عَنْ أَنْ يَجْعَلُوا لَهُ نِدًّا مَعَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَهُمْ ، وَأَنَّهُ لَا يَدُّ لَهُ وَلَا عِدْلَ ، وَلَا لَهُمْ نَافِعٌ وَلَا ضَارٌّ ، وَلَا خَالِقٌ وَلَا رَازِقٌ سِوَاهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالْأَنْدَادُ جَمْعُ نِدٍّ ، وَالنِّدُّ الْعِدْلُ وَالْمِثْلُ ، كَمَا قَالَ حَسَنُ بْنُ

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١/١ عقب الأثر (٢٢٤) معلقا .

(٢) فِي ز : « أَنْبَتُوهُ » .

(٣) فِي ص ، ت ٢ : « يَكْفُلُهُمْ » .

ثابت^(١) :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنْدٌ^(٢) فَشَرُّكُمْ لِخَيْرِكُمْمَا الْفِدَاءُ
يعنى بقوله : ولست له بند : لست له بمثل ولا عدل . وكل شيء كان نظيرًا
لشيء وله شبيها ، فهو له بند .

كما حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة :
﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ أى : عدلاً^(٣) .

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن [١٠/٢] ابن
أبى نجیح ، عن مجاهد : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ أى : عدلاً^(٤) .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن
السُّدِّى فى خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ،
عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ .
قال : أَكْفَاءٌ مِنَ الرِّجَالِ تُطِيعُونَهُمْ فى معصية الله^(٥) .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى

(١) ديوانه ص ٧٦ .

(٢) فى الديوان : « بكفو » .

(٣) فى م : « عدلاء » .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/١ إلى المصنف .

(٤) فى م : « عدلاء » .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/١ إلى المصنف ووكيع وعبد بن حميد .

وأخرجه الثورى فى تفسيره ص ٤٢ عن مجاهد . وستأتى بقيته فى ص ٣٩٤ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤/١ ، ٣٥ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .

قَوْلِ اللَّهِ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ . قال : الأندادُ الآلهةُ التي جعلوها معه ، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له .

وحدثت عن المنجاب ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي رزق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قولِ اللَّهِ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ قال : أشباهاً^(١) .

حدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ : أن تقولوا : لولا كلبنا لدخل علينا اللص الدار ، ولولا كلبنا^(٢) في الدار . ونحو هذا^(٣) .

فنهاهم اللَّهُ جل ذكره أن يُشركوا به شيئاً ، وأن يعبدوا غيره ، أو يتخذوا له نداً أو عدلاً في الطاعة ، فقال : كما لا شريك لي في خلقكم ، وفي رزقي^(٤) الذي أَرْزُقُكُمْ ، وملكي إياكم ، ونعمتي التي أنعمتها عليكم ، فكَذلك فأفردوا إلى الطاعة ، وأخلصوا إلى العبادة ، ولا تجعلوا لي شريكاً ونداً من خلقي ، فإنكم تعلمون أن كلَّ نعمة عليكم فمُنَى .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ .

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في الذين عُتُوا بهذه الآية ؛ فقال بعضهم : غنّى بها جميعُ المشركين من مُشركي العربِ وأهل الكتابِ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢/١ (٢٢٨) عن أبي زرعة ، عن المنجاب به .

(٢) بعده في ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت : ٢ : « صاح » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢/١ (٢٢٩) من طريق أبي عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مطولاً . وينظر مسند أحمد ٣/٣٣٩ (١٨٣٩) ، وتفسير ابن كثير ١/٨٧ .

(٤) في م ، ت : ٢ : « رزقكم » .

وقال بعضهم : غنى بذلك أهل الكتابين التوراة والإنجيل .

ذكر من قال : غنى بها جميع عبدة

الأوثان من العرب وكفار أهل الكتابين

حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة [١١/٢] بن الفضل ، عن محمد

ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد / مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن
سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نزل ذلك في الفريقين جميعاً من الكفار
والمنافقين ، وإنما عني بقوله : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى : لا
تُشْرِكُوا بِاللَّهِ غَيْرَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ، وأنتم تعلمون أنه لا ربَّ لكم
يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك
فيه ^(١) .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله :

﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى : تعلمون أن الله خلقكم وخلق السماوات والأرض ، ثم
تجعلون له أنداداً ^(٢) .

ذكر من قال : غنى بذلك أهل الكتابين

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد :

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه إله واحد في التوراة والإنجيل ^(٣) .

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٣/١ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢/١ (٢٣١) من طريق سلمة به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢/١ (٢٣٣) من طريق يزيد به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢/١ (٢٣٢) من طريق سفيان به .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ ^(١) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حذيفة ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . يَقُولُ : وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَدُّ لَهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَأَحْسَبُ أَنَّ الَّذِي دَعَا مُجَاهِدًا إِلَى هَذَا التَّأْوِيلِ ، وَإِضَافَةِ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ خُطَابٌ لِأَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ دُونَ غَيْرِهِمْ ، الظَّنُّ مِنْهُ بِالْعَرَبِ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهَا وَرَازِقُهَا بِجُحُودِهَا وَحَدَانِيَةِ رَبِّهَا ، وَإِشْرَاقِهَا مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ غَيْرِهِ ، وَإِنْ ذَلِكَ لِقَوْلٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تُقَرُّ بِوَحْدَانِيَّتِهِ ، غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ تُشْرِكُ فِي عِبَادَتِهِ مَا كَانَتْ تُشْرِكُ فِيهَا ، فَقَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف : ٨٧] . وَقَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴾ [يونس : ٣١] .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ - إِذْ كَانَ مَا كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ مِنَ الْعِلْمِ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، وَأَنَّهُ مُبْدِعُ الْخَلْقِ وَخَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ ، نَظِيرَ الَّذِي كَانَ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ [١١/٢] أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَنِ بَقَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أَحَدَ الْحَزِينَيْنِ ، بَلْ مَخْرُجُ الْخُطَابِ بِذَلِكَ عَامٌّ لِلنَّاسِ كَافَّةً ^(٢) ؛ لِأَنَّهُ تَحَدَّى النَّاسَ كُلَّهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ

(١) تفسير الثوري ص ٤٢ . وهذا الأثر ثمرة الأثر المتقدم في ص ٣٩١ .

(٢) بعده في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « لهم » .

أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴿١﴾ - أن يكون تأويله ما قاله ابن عباس وقتادة ، من أنه معنى بذلك كل مُكَلِّفٍ عالم بوحداية الله وأنه لا شريك له في خلقه ، يشرك^(١) معه في عبادته^(٢) ، كائناً من كان من الناس ، غريباً كان أو أعجمياً ، كاتباً^(٣) أو أمياً ، وإن كان الخطأ لكفار أهل الكتاب الذين كانوا حواري دار هجرة رسول الله ﷺ ، وأهل النفاق منهم ، ومن بين ظهرائهم من كان مشركاً فانتقل إلى النفاق بمقدم رسول الله ﷺ عليهم .

/ القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ .

قال أبو جعفر : وهذا من الله جل ثناؤه احتجاج لنبیه محمد ﷺ على مشركي قومه من العرب ومناقبيهم ، وكفار أهل الكتاب وضلالهم الذين افتتح بقصصهم قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ وإياهم يُخاطب بهذه الآيات ،^(٤) وضرباءهم يعني بها ، قال الله جل ثناؤه لهم : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ ﴾ أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين ، إن كنتم في شك ، وهو الريب ، ﴿ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ محمد ﷺ من النور والبرهان وآيات الفرقان ، أنه من عندي ، وأنى الذى أنزلته إليه ، فلم تؤمنوا به ، ولم تصدقوه فيما يقول ، فأتوا بحجة تدفع حجتى ؛ لأنكم تعلمون أن حجة كل ذى نبوة على صدقه فى دعواه النبوة أن يأتى ببرهان يعجز عن أن يأتى بمثله جميع الخلق . ومن حجة محمد ﷺ

(١) فى الأصل : « مشرك » .

(٢) بعده فى ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « غيره » .

(٣) فى ص ، ر ، ت ، ٢ : « كتابيا » .

(٤ - ٤) فى م : « وأخبر بأهم نعوته » .

على صِدْقِهِ ، وبرهانِهِ على حَقِيقَةِ نَبَوِّتِهِ ، وأن ما جاء به مِنْ عِنْدِي ، عَجَزُ جَمِيعِكُمْ وَجَمِيعٍ مَنْ تَسْتَعِينُونَ بِهِ مِنْ أَعْوَانِكُمْ وَأَنْصَارِكُمْ عَنْ أَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، وإذا عَجَزْتُمْ عَنْ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الْبِرَاعَةِ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالذَّرَابَةِ ^(١) ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ غَيْرَكُمْ عَمَّا عَجَزْتُمْ عَنْهُ [١٢/٢] مِنْ ذَلِكَ أَعَجَزُ ، كَمَا كَانَ بَرَهَانُ مَنْ سَلَفَ مِنْ رُسُلِي وَأَنْبِيَائِي عَلَى صِدْقِهِ ، وَحُجَّتُهُ عَلَى نَبَوِّتِهِ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَعِجْزُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ جَمِيعُ خَلْقِي . فَتَقَرَّرَ حِينَئِذٍ عِنْدَكُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يَتَقَوَّلْهُ وَلَمْ يَخْتَلِقه ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مِنْهُ اخْتِلَافًا وَتَقَوُّلاً لَمْ تَعِجْزُوا وَجَمِيعُ خَلْقِي ^(٢) عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يَعُدْ أَنْ يَكُونَ بَشَرًا مِثْلَكُمْ ، وَفِي مِثْلِ حَالِكُمْ فِي الْجِسْمِ وَبَسْطَةِ الْخَلْقِ وَذَرَابَةِ اللِّسَانِ ، فَيُمْكِنُ أَنْ يُظَنَّ بِهِ اقْتِدَارٌ عَلَى مَا عَجَزْتُمْ عَنْهُ ، أَوْ يُتَوَهَّمُ مِنْكُمْ ^(٣) عَجْزٌ عَمَّا اقْتَدَرَ عَلَيْهِ .

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ ؛ فحدثنا بشرٌ ، قال : حدثنا يزيدٌ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ يعني بذلك : مِنْ مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ حَقًّا وَصِدْقًا ، لَا بَاطِلَ فِيهِ وَلَا كَذِبٌ ^(٥) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن

(١) في م : « الذرابة » .

والذرابة : حِدَّةٌ نَحْوُ السِّيفِ وَالسِّنَانِ ، وَتَسْتَعَارُ لَطَلَاقَةِ اللِّسَانِ مَعَ عَدَمِ اللَّكْنَةِ . التاج (ذ ر ب) .

(٢) في م : « خلقه » .

(٣) في ص : « فيكم » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣/١ (٢٣٨) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥/١

إلى عبد بن حميد .

قتادة في قوله : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ . يقول : بسورة من ^(١) مثل هذا القرآن ^(٢) .

حدثني محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ابن ميمون ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ : مثل القرآن ^(٣) .

حدثنا المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ قال : ﴿ مِثْلِهِ ﴾ مثل القرآن .

/ فمعنى قول مجاهد و قتادة الذي ذكرناه عنهما أن الله جلَّ ذكره قال لمن حاجه لنبئه ^(٤) محمد ﷺ من الكفار : فاتوا بسورة من مثل هذا القرآن ، من كلامكم أيُّها العرب ، كما أتى به محمد بلغاتكم ومعاني منطقكم .

وقد قال قوم آخرون : إن معنى قوله : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ : من مثل محمد من البشر ؛ لأن محمداً بشرٌ مثلكم .

والتأويل الأول الذي قاله مجاهد و قتادة هو التأويل الصحيح ؛ لأن الله جلَّ ثناؤه قال في سورة أخرى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾

(١) زيادة من : الأصل .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥/١ إلى عبد الرزاق .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣/١ (٢٣٧) من طريق ابن أبي نجيح به .

(٤) في م : « في نبه » .

[يونس : ٣٨] . ومعلوم أن السورة ليست لمحمد بنظير ولا شبيهه فيجوز أن يقال : فأتوا بسورة مثل محمد .

فإن قال لنا قائل : [١٢/٢ ظ] إنك ذكرت أن الله عني بقوله : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ : من مثل هذا القرآن ، فهل للقرآن من مثل فيقال : اتوا بسورة من مثله ؟ قيل : إنه لم يعن به : اتوا بسورة من مثله في التأليف والمعاني التي باتن بها سائر الكلام غيره . وإنما عني : اتوا بسورة من مثله في البيان ؛ لأن القرآن أنزله الله بلسان عربي ، وكلام العرب - لا شك - له مثل في معنى العربية ، فأما في المعنى الذي باتن به القرآن سائر كلام المخلوقين ، فلا مثل له من ذلك الوجه ولا نظير ولا شبيه .

ولما احتجَّ جل ثناؤه عليهم لنبيه محمد ﷺ بما احتجَّ به ^(١) له عليهم من القرآن ، إذ ظهر عجز القوم عن أن يأتوا بسورة من مثله في البيان ، إذ كان القرآن بياناً مثل بيانهم ، وكلاماً نزل بلسانهم ، فقال لهم جل ثناؤه : وإن كنتم في ريب من أن ما أنزلت على عبدي من القرآن من عندي ، فأتوا بسورة من كلامكم الذي هو مثله في العربية ، إذ كنتم عرباً ، وهو بيان نظير بيانكم ، وكلام شبيه كلامكم . فلم يكلفهم جل ثناؤه أن يأتوا بسورة من غير اللسان الذي هو نظير اللسان الذي نزل به القرآن ، فيقدروا أن يقولوا : كلّفنا ما لو أحسنّاه أتينا به ، وإنا لا نقدر على الإتيان به ؛ لأننا لسنا من أهل اللسان الذي كلّفنا الإتيان به ، فليس لك علينا بهذا حجة ؛ لأننا وإن عجزنا عن أن نأتى بمثله من غير ألسننا - لأننا لسنا من أهلها - ففي الناس خلق كثير من غير أهل لساننا يقدر على أن يأتى بمثله من اللسان الذي كلّفنا الإتيان به . ولكنه جل ثناؤه قال لهم : اتوا بسورة من مثله ؛ لأن مثله من الألسن ألسنكم ،

وأنتم - إن كان محمدٌ اختلقه وأفتراه - إذا اجتمعتم وتظاهرتُم على الإتيانِ بمثلِ سورةٍ منه من لسانِكُم وبيانيكُم ، أقدرُ على اختلاقه ورصيفه^(١) وتأليفه من محمدٍ ﷺ ، وإن لم تكونوا أقدرَ عليه منه ، فلن تعجزوا وأنتم جميعٌ عما قدرَ عليه محمدٌ من ذلك وهو وحيدٌ^(٢) ، إن كنتم صادقين في دَعواكُم وزعيمكُم أن محمدًا افتراه واختلقه وأنه من عندِ غيري .

^(٣) القولُ في تأويلِ قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾ [١٣/٢] مَن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ .^(٤)

واختلف أهل التأويل في تأويلِ قوله : ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾ مَن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ؛ فقال ابنُ عباسٍ ما حَدَّثنا به محمدٌ بنُ حُميدٍ ، قال : حَدَّثنا سلمةٌ ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ ، عن عكرمة ، أو عن سعيدِ بنِ جبير ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾ مَن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ يعني : أعوانكُم على ما أنتم عليه إن كنتم صادقين^(٥) .

/ حَدَّثني محمدٌ بنُ عمرو ، قال : حَدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حَدَّثنا عيسى ، عن ١٦٧/١ ابنِ أبي^(٥) نجيح ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾ : ناسٌ يشهدون لكم^(٦) .

(١) في م : « وضعه » .

(٢) في م : « وحده » .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) سيرة ابن هشام ١/٥٣٣ ، ٥٣٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٦٣ ، ٦٤ (٢٤٠) من طريق سلمة به .

(٥) سقط من : م .

(٦) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

والأثر في تفسير مجاهد ص ١٩٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٦٤ (٢٤٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، عَنْ شَبِيلٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ
مَجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ ،
قَالَ : قَوْمٌ يَشْهَدُونَ لَكُمْ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ
مَجَاهِدٍ : ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾ قَالَ : نَاسٌ يَشْهَدُونَ . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ :
﴿ شُهَدَاءَكُمْ ﴾ عَلَيْهَا إِذَا أُتِيَتْ بِهَا أَنَّهُ مِثْلُهُ ؛ مِثْلُ الْقُرْآنِ . وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ لِمَنْ شَكَّ
مِنَ الْكُفَّارِ فِيمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ ^(١) .

وقوله : ﴿ وَادْعُوا ﴾ يعنى : اسْتَنْصَرُوا واستَعِينُوا ، كما قال الشاعر ^(٢) :

فَلَمَّا اتَّقَتْ فُرْسَانُنَا وَرَجَالَهُمْ دَعَوْا يَا لَكَغِبٍ ^(٣) واعتزينا ^(٤) لِعَامِرٍ
يعنى بقوله : دَعَوْا يَا لَكَغِبٍ : اسْتَنْصَرُوا كَعَبَا واستغاثوا ^(٥) بهم .

وأما الشهداء ، فإنها جمعُ شهيدٍ ، كما الشركاء جمعُ شريكٍ ، والخطباء جمعُ
خطيبٍ . والشهيدُ يُسَمَّى به الشاهدُ على الشيءِ لغيره بما يُحَقِّقُ دَعْوَاهُ ، وقد يُسَمَّى
به المُشَاهِدُ للشيءِ ، كما يقالُ : فلانٌ جليسُ فلانٍ ، يعنى به مُجَالِسُهُ ، ونَدِيمُهُ ، يعنى
به مُنَادِمُهُ ، وكذلك يقالُ : شهيدُهُ . يعنى به مُشَاهِدُهُ .

(١) ينظر تفسير ابن أبى حاتم ٦٣/١ (٢٣٦) .

(٢) البيت للراعى النميرى ، وهو فى ديوانه ص ١٤٥ .

(٣) فى الديوان : « لَكَلْب » .

(٤) اعتزى : انتسب ، صدقًا كان أو كذبًا . اللسان (ع ز و) .

(٥) فى ر ، م : « استعانوا » .

فإذا كانت الشهداء مُحْتَمِلَةً أَنْ تَكُونَ جَمَعَ الشَّهِيدِ الَّذِي هُوَ مَنْصَرِفٌ
لِلْمَعْنَيْنِ اللَّذِينَ وَصَفْتُ ، فَأُولَى وَجْهِهِ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، [١٣/٢ ظ]
وهو أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : وَاسْتَصْبِرُوا عَلَى أَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ أَعْوَانَكُمْ وَشُهَدَاءَكُمْ
الَّذِينَ يُشَاهِدُونَكُمْ وَيُعَاوَنُونَكُمْ عَلَى تَكْذِيبِكُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُظَاهِرُونَكُمْ عَلَى
كُفْرِكُمْ وَنِفَاقِكُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ مُحَقِّقِينَ فِي جُحُودِكُمْ أَنْ مَا جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ
اخْتِلَاقٌ وَافْتِرَاءٌ ؛ لَمْ تَمْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ وَغَيْرَكُمْ : هَلْ تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ
مِثْلِهِ ، فَيَقْدِرَ مُحَمَّدٌ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِجَمِيعِهِ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ اخْتِلَاقًا ؟

وَأَمَّا مَا قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَابْنُ جُرَيْجٍ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ، فَلَا وَجْهَ لَهُ ؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا
عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَصْنَافًا ثَلَاثَةً ؛ أَهْلَ إِيْمَانٍ صَحِيحٍ ، وَأَهْلَ كُفْرٍ صَحِيحٍ ،
وَأَهْلَ نِفَاقٍ بَيْنَ ذَلِكَ . فَأَهْلُ الْإِيْمَانِ كَانُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ مُؤْمِنِينَ ، فَكَانَ مِنَ الْمُحَالِ
أَنْ يَدَّعَى الْكُفْرَ أَنْ لَهُمْ شُهَدَاءٌ - عَلَى حَقِيقَةٍ مَا كَانُوا يَأْتُونَ بِهِ ، لَوْ أَتَوْا بِاخْتِلَاقٍ مِنَ
الرِّسَالَةِ ، ثُمَّ ادَّعَوْا أَنَّهُ لِلْقُرْآنِ نَظِيرٌ - مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَمَّا ^(١) أَهْلُ النِّفَاقِ وَالْكَفْرِ ، فَلَا
شَكَّ أَنَّهُمْ لَوْ دُعُوا إِلَى تَحْقِيقِ الْبَاطِلِ وَإِبْطَالِ الْحَقِّ لَسَارَعُوا إِلَيْهِ مَعَ كُفْرِهِمْ
وَضَلَالَتِهِمْ ، فَمِنْ أَى الْفِرَقِ ^(٢) كَانَتْ تَكُونُ شُهَدَاؤُهُمْ لَوْ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ قَدْ أَتَوْا بِسُورَةٍ
مِنْ مِثْلِ الْقُرْآنِ ؟

وَلَكِنْ ذَلِكَ كَمَا قَالَ اللَّهُ : ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ
هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .
فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ مِثْلَ الْقُرْآنِ لَا يَأْتِي بِهِ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ وَلَوْ تَظَاهَرُوا
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِتْيَانِ بِهِ ، وَتَحَدَّاهُمْ بِمَعْنَى التَّوْبِيخِ لَهُمْ فِي سُورَةِ « الْبَقَرَةِ » ، فَقَالَ :

(١) بعده في الأصل ، ر ، ت ، ١ ، ت ٣ : « من » .

(٢) في م : « الفريقين » .

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ . يعنى بذلك : إن كنتم فى شك فى صدق محمد ﷺ فيما جاءكم به من عندى أنه من عندى ، فأتوا بسورة من مثله ، وليستنصروا بعضكم بعضاً على ذلك ، إن كنتم صادقين فى زعيمكم ، حتى تعلموا أنكم إذ عجزتم عن ذلك ، أنه لا يقدر على أن يأتى به محمد ﷺ ولا من البشر أحد ، ويصح عندكم أنه تنزيلي ووحي إلى عبدى .

١٦٨/١

القول فى تأويل قوله جلّ وعز : ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا [١٤/٢] وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ .

ويعنى بقوله جلّ ثناؤه : ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ : إن لم تأتوا بسورة من مثله ، وقد تظاهرت أئمتكم وشركاؤكم عليه وأعوانكم ، فبيّن لكم بامتحانكم واختباركم عجزكم وعجز جميع خلقى عنه ، وعلمتم أنه من عندى ، ثم أقمتكم على التكذيب به .

وقوله : ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أى : ولن تأتوا بسورة من مثله أبداً .

كما حدّثنا بشر بن معاذ ، قال : حدّثنا يزيد ، قال : حدّثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أى : لا تقدرون على ذلك ولا تطيقونه ^(١) .

وحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ، عن ابن عباس : ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ : ^(٢) قد تبين ^(٣) لكم الحق .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤/١ (٢٤٣) من طريق سعيد بن بشر ، عن قتادة به بنحوه .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/١ إلى عبد بن حميد .

(٢ - ٢) فى ص ، ر ، م : « فقد بين » ، وضبطه فى ر : « بين » بضم الباء .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣٤/١ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/١ إلى ابن أبى حاتم .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤه بقوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ : فاتَّقُوا أَنْ تَصْلَوْا النَّارَ بِتَكْذِيبِكُمْ رَسُولِي ، بما جاءكم به مِنْ عِنْدِي أَنَّهُ مِنْ وَحْيِي وَتَنْزِيلِي ، بَعْدَ تَبْيُيْنِكُمْ أَنَّهُ كِتَابِي وَمِنْ عِنْدِي ، وَقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ بِأَنَّهُ كَلَامِي وَوَحْيِي ، بَعْجَزِكُمْ وَعَجْزِ جَمِيعِ خَلْقِي عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ .

ثم وَصَفَ جَلَّ ذِكْرُهُ النَّارَ الَّتِي حَذَّرَهُمْ صِلِيَّهَا ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ النَّاسَ وَقُودُهَا ، وَأَنَّ الْحِجَارَةَ وَقُودُهَا ، فَقَالَ : ﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ يعني بقوله : ﴿وَقُودُهَا﴾ : حَطَبُهَا ، وَالْعَرَبُ تَجْعَلُهُ مَصْدَرًا ، وَهُوَ اسْمٌ إِذَا فَتَحَتْ الْوَاقِفُ بِمَنْزِلَةِ الْحَطَبِ ، فَإِذَا ضَمَّنَتْ الْوَاقِفُ مِنَ «الْوَقُودِ» كَانَ مَصْدَرًا مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : وَقَدَتِ النَّارُ ، فَهِيَ تَقْدُ وَقُودًا وَقِدَّةً وَوَقْدَانًا وَوَقْدًا ، يُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّهَا التَّهَبَّتْ .

قال أبو جعفر : فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ خُصِّصَتِ الْحِجَارَةُ فَقُرِنَتْ بِالنَّاسِ ، حَتَّى جُعِلَتْ لِنَارِ جَهَنَّمَ حَطَبًا ؟ قِيلَ : إِنَّهَا حِجَارَةُ [١٤/٢] الْكِبْرِيَّتِ ، وَهِيَ أَشَدُّ الْحِجَارَةِ فِيمَا بَلَّغْنَا حَرًّا إِذَا أُخْمِيتْ .

كما حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنْ مُسْعِرٍ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرَةَ الزَّرَادِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قَالَ : هِيَ حِجَارَةٌ مِنْ كِبْرِيَّتِ خَلَقَهَا اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا يُعَدُّهَا لِلْكَافِرِينَ ^(١) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤/١ (٢٤٤) ، والطبراني في الكبير (٩٠٢٦) ، والحاكم ٢/٢٦١ ، ٤٩٤ ، والبيهقي في البعث والنشور (٥٠٣) من طريق مسعر به .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣٦/١ إلى الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر . وينظر تفسير الثوري ص ٤٢ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ مِسْعَرٍ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ/الزَّرَادِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قَالَ : حِجَارَةُ الْكِبْرِيتِ جَعَلَهَا اللَّهُ كَمَا شَاءَ^(١) .

١٦٩/١

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدْيِ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مَرْثَةَ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ : أَمَا الْحِجَارَةُ فَهِيَ حِجَارَةٌ فِي النَّارِ مِنْ كِبْرِيتٍ أَسْوَدَ يُعَذَّبُونَ بِهِ مَعَ النَّارِ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قَالَ : حِجَارَةٌ مِنْ كِبْرِيتٍ أَسْوَدَ فِي النَّارِ . قَالَ : وَقَالَ لِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ : حِجَارَةٌ أَصْلَبُ مِنْ هَذِهِ وَأَعْظَمُ^(٣) .

حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ مِسْعَرٍ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : حِجَارَةُ^(٤) الْكِبْرِيتِ . قَالَ^(٥) : خَلَقَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ^(٦) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦/١ إلى عبد الرزاق .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٨٩/١ عن السدي به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤/١ (٢٤٥) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي من قوله .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٨٩/١ عن ابن جريج به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥/١ (٢٤٧) من طريق ابن جريج ، عن عمرو بن دينار به .

(٤) بعده في م : « من » .

(٥) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤/١ (٢٤٤) ، والطبراني (٩٠٢٦) ، والحاكم ٢٦١/٢ من طرق عن مسعر به .

القول في تأويل قوله جلّ وعزّ: ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۖ﴾ .

قد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على أن الكافر في كلام العرب هو السائر شيئاً بغطاء، وأن الله جلّ ثناؤه إنما سمى الكافر كافراً لجهوده آلاؤه عنده، وتغطيته نعماءه قبله^(١).

فمعنى قوله إذن: ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۖ﴾ : أَعِدَّتْ النار للجاحدين أن الله ربهم، المتوحد بخلقهم وخلق الذين من قبلهم، الذي جعل لهم الأرض فراشاً، والسماء [١٥/٢] بناءً، وأنزل من السماء ماءً، فأخرج به من الثمرات رزقاً لهم، المشركين معه في عبادته الأنداد والآلهة، وهو المتفرّد لهم بالإنشاء، والمتوحد بالأقوات والأرزاق.

كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد، عن ابن عباس: ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۖ﴾ أى: لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر^(٢).

القول في تأويل قوله جلّ وعزّ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ﴾ .

قال أبو جعفر: أما قوله: ﴿وَبَشِّرِ ۖ﴾ . فإنه يعنى: أخبرهم . والبشارة أصلها الخبر بما^(٣) يُسرّ به المخبر، إذا كان سابقاً به كلّ مخبر سواه .

(١) ينظر ما تقدم في ص ٢٦٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٣٤/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥/١ (٢٤٨) من طريق سلمة به .

(٣) بعده في الأصل: «بشر» .

١٧٠/١

وهذا أمرٌ من الله نبيه محمدًا ﷺ بإبلاغ بشارته خلقه الذين آمنوا به / وبمحمدٍ ﷺ وبما جاء به من عند ربه ، وصدقوا إيمانهم ذلك وإقرارهم بأعمالهم الصالحة ، فقال له : يا محمد ، بشّر من صدّقك أنك رسولى ، وأنّ ما جئت به من الهدى والنور فمن عندى ، وحقق تصديقه ذلك قولاً بأداء الصالح من الأعمال التى افترضتها عليه ، وأوجبها فى كتابى على لسانك عليه - أن له جنات تجرى من تحتها الأنهار ، خاصة ، دون من كذب بك ^(١) ، وأنكر ما جئته به من الهدى من عندى ، وعاندك ، ودون من أظهر تصديقك وأقر بأن ما جئته به فمن عندى ، قولاً ، وجحدته اعتقاداً ولم يحققه عملاً ، فإن لأولئك النار التى وقودها الناس والحجارة مُعدّة عندى .

والجنات جِماعٌ بجنة ، والجنة البستان .

وإنما عني جلّ ذكره بذكر الجنة ما فى الجنة من أشجارها وثمارها وغروسيها دون أرضها ، فلذلك قال : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ؛ لأنه معلوم أنه إنما أراد جلّ ثناؤه الخبر عن ماء أنهارها أنه جارٍ تحت أشجارها وغروسيها وثمارها ، [١٥٠ / ٢ ط] لا أنه جارٍ تحت أرضها ؛ لأن الماء إذا كان جارياً تحت الأرض ، فلا حظّ فيها لعبون من فوقها إلا بكشف الساتر بينه وبينها . على أن الذى توصّف به أنهار الجنة أنها جارية فى غير أخاديد .

كما حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن عمرو بن مَرّْة ، عن أبى عبيدة ، عن مسروق ، قال : نخل الجنة نضيدٌ من أصلها إلى فرعها ، وثمرها أمثال القلال ، كلّما نُزِعَتْ ثمرة عادت مكانها أخرى ، وماؤها يجرى فى غير أخدود ^(٢) .

(١) فى الأصل : « به » .

(٢) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٣٢٠) من طريق الثورى به . وأخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة =

حَدَّثَنَا مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ ، عَنْ
عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ بِنَحْوِهِ ^(١) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفْيَانُ ، قَالَ :
سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ مُرَّةَ يَحْدُثُ عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ . فَذَكَرَ مَثْلَهُ . قَالَ : فَقُلْتُ لِأَبِي عُيَيْدَةَ :
مَنْ حَدَّثَكَ ؟ فغَضِبَ وَقَالَ : مَسْرُوقٌ ^(٢) .

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فِي أَنْ أَنْهَارَهَا جَارِيَةً فِي غَيْرِ أَحَادِيدَ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي
أُرِيدَ بِالْجَنَاتِ أَشْجَارُ الْجَنَاتِ وَغُرُوشُهَا وَثِمَارُهَا دُونَ أَرْضِهَا ، إِذْ كَانَتْ أَنْهَارُهَا تَجْرِي
فَوْقَ أَرْضِهَا وَتَحْتَ غُرُوشِهَا وَأَشْجَارِهَا ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ مَسْرُوقٌ ، وَذَلِكَ أَوْلَى بِصِفَةِ
الْجَنَّةِ مِنْ أَنْ تَكُونَ أَنْهَارُهَا جَارِيَةً تَحْتَ أَرْضِهَا .

وَإِنَّمَا رَغِبَ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عِبَادَهُ فِي الْإِيمَانِ ، وَحَضَّهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِ بِمَا أَخْبَرَهُمْ
أَنَّهُ أَعَدَّهُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ عِنْدَهُ ، كَمَا حَذَّرَهُمْ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا بِمَا أَخْبَرَهُمْ
إِعْدَادِهِ مَا أَعَدَّ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ وَالْجَاعِلِينَ مَعَهُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ مِنْ عِقَابِهِ عَنْ إِشْرَاكِ غَيْرِهِ
مَعَهُ ، وَالتَّعَرُّضِ لِعَقُوبَتِهِ بِرُكُوبِ مَعْصِيَتِهِ وَتَرْكِ طَاعَتِهِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا
الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ .

يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا ﴾ : مِنَ الْجَنَاتِ . وَالْهَاءُ رَاجِعَةٌ

= (٤٩) من طريق عمرو بن مرة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٨/١ إلى هناد وابن أبي حاتم وأبي
الشيخ .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٧/١٣ من طريق مسعر به .

(٢) أخرجه حسين المروزي وابن صاعد في زوائدهما على الزهد لابن المبارك (١٤٨٩ ، ١٤٩٠) ، وأبو نعيم

في صفة الجنة (٣١٥) من طريق ابن مهدي به .

على الجنات ، [١٦/٢] وإنما المَعْنَى أشجارها . فكأنه قال : كُلُّمَّا رُزِقُوا مِنْ أَشْجَارِ
البساتين التي أعدّها الله للذين آمنوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّتِهِ مِنْ ثَمَرَةٍ مِنْ ثَمَرِهَا
رِزْقًا ، قالوا : هذا الذي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ .

١٧١/١ / ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ؛
فقال بعضهم : تأويله : هذا الذي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ^(١) في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدَّثني موسى بن هارون ، قال : حدَّثنا عمرو بن حماد ، قال : حدَّثنا أسباط ،
عن الشَّدَّيِّ في خبرٍ ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابنِ عباس ، وعن
مُرَّة ، عن ابنِ مسعود ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبي ﷺ : ﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِي
رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ . قال : إنهم أتوا بالتمر في الجنة ،^(٢) فلما نظروا^(٣) إليها قالوا : هذا
الذي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ في الدنيا^(٤) .

وحدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : حدَّثنا يزيد بن زريع ، قال : حدَّثنا سعيد ، عن
قتادة : ﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ : في الدنيا .

وحدَّثنا محمد بن عمرو ، قال : حدَّثنا أبو عاصم ، قال : حدَّثنا عيسى بن
ميمون ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ .

(١) بعده في ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « هذا » .

(٢ - ٢) في ص : « فنظروا » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٩٠/١ عن السدي به . وعراه السيوطي في الدر المنثور ٣٨/١ إلى المصنف عن
ابن مسعود ، وناسٍ من الصحابة . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦/١ (٢٥٧) من طريق عمرو ، عن
أسباط ، عن السدي من قوله .

يقولون : ما أشبهه به ^(١) .

^(٢) وحَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهدٍ مثله ^(٣) .

وحَدَّثَنِي يونس ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ : فِي الدُّنْيَا . قَالَ ^(٤) : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا ﴾ : يَعْرِفُونَهُ ^(٥) .

وقال آخرون : تأويل ذلك : هذا الذي رَزَقْنَا مِنْ « قَبْلُ مِنْ » ثَمَارِ الْجَنَّةِ مِنْ قَبْلِ هَذَا ؛ لَشِدَّةِ مُشَابَهَةِ بَعْضِ ذَلِكَ بَعْضًا فِي اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ . وَمِنْ عِلَّةِ قَائِلِي هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ ثَمَارَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا نُزِعَ مِنْهَا شَيْءٌ عَادَ مَكَانَهُ آخَرُ مِثْلُهُ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْدِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ مُرَّةٍ يَحْدُثُ عَنْ [١٦/٢ ظ] أَبِي عُبَيْدَةَ ^(٦) ، قَالَ : نَخَلُ الْجَنَّةِ نَضِيدٌ مِنْ أَصْلِهَا إِلَى فِرْعَها ، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقَلَالِ ، كُلَّمَا نُزِعَتْ مِنْهَا ثَمَرَةٌ عَادَتْ مَكَانَهَا أُخْرَى ^(٧) .

قالوا : فَإِنَّمَا اسْتَبْهَتْ عِنْدَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِأَنَّ الَّتِي عَادَتْ نَظِيرَةُ الَّتِي نُزِعَتْ فَأُكِلَتْ ،

(١) تفسير مجاهد ص ١٩٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦/١ (٢٥٨) بزيادة : يقول : من كل صنف مثل . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٨/١ إلى عبد بن حميد .

(٢ - ٢) سقط من : ر .

(٣) في ص : « قالوا » .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٩٠/١ عن ابن زيد .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٦) بعده في ر : « وذكر ثمار الجنة » .

(٧) تقدم تخريجه في ص ٤٠٦ .

فى كلِّ معانيها . قالوا : ولذلك قال الله : ﴿ وَأَتُوا يَوْمَ مُتَشَبِهًا ﴾ ؛ لاشتباؤه جميعه فى كلِّ معانيه .

وقال بعضهم : بل قالوا : ﴿ هَذَا الَّذِى رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ؛ لمشابهته الذى قبله فى اللون وإن خالفه فى الطعم .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا القاسم بن الحسين ، قال : حدَّثنا الحسين بن داود ، قال : حدَّثنا شيخ من المصيصية^(١) ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبى كثير ، قال : يُؤْتَى أحدهم بالصَّحْفَةِ فَيَأْكُلُ مِنْهَا ، ثُمَّ يُؤْتَى بِأُخْرَى فيقول : هذا الذى أُتينا به من قبل . فيقول الملك : كُلْ ، فاللون واحد والطعم مُخْتَلِفٌ^(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا التأويلُ مذهبٌ من تأويل^(٣) الآية ، غير أنه يدفع صحته ظاهرُ التلاوة . والذى يدلُّ على صحته ظاهرُ الآية ويُحقِّقُ صحته^(٤) قولُ القائلين : إن معنى ذلك : هذا الذى رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ فى الدنيا . وذلك أن الله جلَّ ثناؤه قال : ﴿ كُلَّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا ﴾ . فَأَخْبَرَ جَلَّ ثناؤه أن من قيلِ أهلِ الجنة كُلَّمَا رَزَقُوا مِنْ ثَمَرِ الجنةِ رِزْقًا أن يقولوا : ﴿ هَذَا الَّذِى رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ . ولم يخصَّضْ بأن ذلك من قيلهم فى بعضِ ذلك دون بعض ، فإذا كان قد أخبر جَلَّ ذكره عنهم أن

(١) المصيصية : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . معجم البلدان ٥٥٧/٤ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ (٢٦١) من طريق عامر بن يساف ، عن يحيى بن أبى كثير به نحوه .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ : « تأول » .

(٤) فى الأصل : « صحة » .

ذلك من قيلهم فى كلِّ ما رزقوا من / ثمرِها ، فلا شكَّ أن ذلك من قيلهم فى أولِ رزقِ ١٧٢/١
 رزقوه من ثمارِها ، وأتوا به بعدَ دخولهم الجنةَ واستقرارهم فيها ، الذى لم يتقدَّمه
 عندهم من ثمارِها ثمرةً .

فإذ كان لا شكَّ أن ذلك من قيلهم فى أوله ، كما هو من قيلهم فى أوسطه وما
 يتلوه ، فمعلومٌ أنه مُحالٌ أن يكونَ من قيلهم لأولِ رزقِ رزقوه من ثمارِ الجنةِ : هذا
 الذى رزقنا من قبلِ هذا من ثمارِ الجنةِ . وكيف يجوزُ أن يقولوا لأولِ رزقِ رزقوه من
 ثمارِها ولما يتقدَّمه عندهم غيره منها : هذا الذى رزقناه من قبلِ ؟ إلا أن ينسبهم ذو
 عتية^(١) وضلالٍ إلى قيلِ الكذبِ الذى قد [١٧/٢ و] طهرهم اللهُ منه ، أو يدفعَ دافعٌ أن
 يكونَ ذلك من قيلهم لأولِ رزقِ يُرزقونه منها من ثمارِها ، فيدفعَ صحةً ما أوجبَ اللهُ
 صحتهُ بقوله : ﴿ كَلِمًا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ﴾ من غيرِ نصبٍ دلالةً على أنه
 معنًى به حالٌ من أحوالهم دونَ حالٍ . فقد تبينَ بما بيَّنا أن معنى الآيةِ : كلما رزقَ
 الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ من ثمرةٍ من ثمارِ الجنةِ فى الجنةِ رزقًا ، قالوا : هذا الذى
 رزقنا من قبلِ هذا فى الدنيا .

فإن سألنا سائلٌ فقال^(٢) : وكيف قال القومُ : هذا الذى رزقنا من قبلِ . والذى
 رزقوه من قبلِ قد عُدمَ بأكلهم إياه ؟ وكيف يجوزُ أن يقولَ أهلُ الجنةِ قولًا لا حقيقةً
 له ؟

قيل : إن الأمرَ على غيرِ ما ذهبَ إليه فى ذلك ، وإنما معناه : هذا من النوعِ
 الذى رزقناه من قبلِ هذا من الثمارِ والرزقِ ، كالرجلِ يقولُ لآخرَ : قد أعدُّ لك فلانٌ

(١) فى م : « غرة » .

(٢) سقط من : الأصل .

مِنَ الطَّعَامِ كَذَا وَكَذَا مِنْ أَلْوَانِ الطَّبِيخِ وَالشُّوَاءِ وَالْحَلْوَى . فيقولُ المَقُولُ له ذلك : هذا طعامي في منزلي . يعنى بذلك أن النوع الذي ذَكَرَ له صاحبه أنه أعدّه له من الطعام هو طعامه ، « لا أن » أعيانَ ما أَخْبَرَهُ صاحبه أنه قد أعدّه له هو طعامه ، بل ذلك مما لا يجوزُ لسامعٍ سَمِعَهُ يقولُ ذلك أن يتوَهَّم أنه أرادَه أو قَصَدَه ؛ لأن ذلك خلافُ مَخْرَجِ كلامِ المتكلمِ ، وإنما يُوجَّهُ كلامُ كُلِّ متكلمٍ إلى المعروفِ في الناسِ من مَخارجِهِ دونَ المجهولِ من معانيه ، فكذلك ذلك في قوله : ﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ إذ كان ما كانوا رُزِقوه من قبلُ قد فَنِيَ وعُدِمَ ، فمعلومٌ أنهم عَنَتُوا بذلك : هذا من النوع الذي رُزِقنا من قبلُ ، ومن جنسِهِ في التسمياتِ ^(٢) والألوانِ . على ما قد بيَّنا من القولِ في ذلك في كتابنا هذا ^(٣) .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ .

والهاءُ في قوله : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ عائدةٌ على الرزقِ ، فتأويلُهُ : وأتوا بالذي رُزِقوا من ثمارِها متشابهًا .

وقد اختلفَ أهلُ التأويلِ في تأويلِ التشابهِ ^(٤) في ذلك ؛ [١٧/٢ ط] فقال بعضهم : تشابهُهُ أن كلَّهُ خِيارٌ لا رَدْلَ فيه .

(١ - ١) في الأصل : « إلا أن » ، وفي م : « لأن » .

(٢) في ص : « السمات » .

(٣) بعده في ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى قوله : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ أنه متشابه في الفضل : أي كل واحد منه له من الفضل في نحوه مثل الذي للآخر في نحوه . قال أبو جعفر : وليس هذا قولاً نستعجز التشاغل بالدلالة على فساده لخروجه عن قول جميع علماء أهل التأويل . وحسب قول بخروجه عن قول أهل العلم دلالة على خطئه » ، وفي ت ١ ، ت ٢ : « أن كل » بدلٌ من : « أي كل » وسيأتي في مكانه الصحيح في ص ٤١٨ .

(٤) في ص ، م : « المتشابه » .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا خِلَادُ بْنُ أَسْلَمَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَامِرٍ ،
عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ مُتَشَبِهًا ﴾ قَالَ : خِيَارًا كُلُّهَا لَا رَدَّلَ فِيهَا ^(١) .

/ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ : قَرَأَ الْحَسَنُ ١٧٣/١
آيَاتِ مِنْ « الْبَقَرَةِ » فَأَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا ﴾ قَالَ : أَلَمْ تَرَوْا إِلَى
ثَمَارِ الدُّنْيَا كَيْفَ تُرْذَلُونَ بَعْضُهُ ؟ وَإِنْ ذَلِكَ لَيْسَ فِيهِ رَدَّلٌ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، قَالَ :
قَالَ الْحَسَنُ : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا ﴾ . قَالَ : يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا لَيْسَ فِيهِ مَرْدُودٌ ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَأَتُوا بِهِ
مُتَشَبِهًا ﴾ : أَيْ خِيَارٌ لَا رَدَّلَ فِيهِ ^(٣) ، وَإِنْ ثَمَارُ الدُّنْيَا يُنْتَقَى مِنْهَا وَيُرْذَلُ مِنْهَا ،
وَتَمَارُ الْجَنَّةِ خِيَارٌ كُلُّهُ لَا يُرْذَلُ مِنْهُ شَيْءٌ ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ،
قَالَ : ثَمَرُ الدُّنْيَا مِنْهُ مَا يُرْذَلُ وَمِنْهُ نَقَاوَةٌ ، وَثَمَرُ الْجَنَّةِ نَقَاوَةٌ كُلُّهُ ، يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي
الطَّيِّبِ ، لَيْسَ فِيهِ مَرْدُودٌ ^(٥) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) فِي ص : « مِنْ رَدَّلٍ » .

(٣) فِي ص : « فِيهَا » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧/١ (٢٦٣) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة به ، وعزاه السيوطي

في الدر المنثور ٣٨/١ إلى عبد بن حميد .

(٥) ذكره ابن القيم في حادي الأرواح ص ١٣٣ عن ابن جريج .

وقال بعضهم : تشابهه في اللون وهو مختلف الطعم .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن الشدّي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مَتَشَبِهًا ﴾ : في اللون والمزّة ، وليس يُشبهه الطعم ^(١) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مَتَشَبِهًا ﴾ : مثل الخيار ^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مَتَشَبِهًا ﴾ : لونه ، مختلفاً طعمه ، مثل الخيار من القثاء ^(٣) .

حدثت عن عمار بن الحسين ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ابن أنس : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مَتَشَبِهًا ﴾ : يُشبهه بعضه بعضاً ويختلف الطعم ^(٤) .

[١٨/٢] حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ مَتَشَبِهًا ﴾ . قال : مشتبهاً في

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٩١/١ عن المصنف . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣٨/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٨ .

(٣) عزه السيوطي في الدر المنثور ٣٨/١ إلى وكيع وعبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧/١ عقب الأثر (٢٦٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

اللون ومختلفًا في الطعم^(١) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ،
عن مجاهدٍ : ﴿ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهًا ﴾ : مثلَ الخيارِ .
وقال بعضهم : تشابهه في اللون والطعم .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبي ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ
قوله : ﴿ مُتَشَبِهًا ﴾ . قال : اللون والطعم .
وحدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، عن الثوريِّ ،
عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ويحيى بنِ سعيدٍ : ﴿ مُتَشَبِهًا ﴾ . قالوا : في اللون
والطعم .

/ وقال بعضهم : تشابهه تشابهُ ثمرِ الجنةِ وثمرِ الدنيا في اللونِ ، وإن اختلفت
طعومُهما .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ :
﴿ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهًا ﴾ . قال : يُشَبِّهُ ثمرَ الدنيا ، غيرَ أن ثمرَ الجنةِ أطيبُ^(٢) .
حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا حفصُ بنُ عمرٍ ، قال :

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٨/١ إلى عبد الرزاق ، وينظر تفسير الثوري ص ٤٢ .

(٢) أخرجه ابن الأثير في الأضداد ص ٣٨٦ من طريق محمد بن ثور ، عن معمر به . وعزاه السيوطي في
الدر المنثور ٣٨/١ إلى عبد بن حميد .

حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَابِهًا ﴾ . قَالَ : يُشْبِهُ ثَمَرَ الدُّنْيَا ، غَيْرَ أَنْ ثَمَرَ الْجَنَّةِ أَطْيَبُ ^(١) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا يُشْبِهُ شَيْءًا مِمَّا فِي الْجَنَّةِ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَشْجَعِيُّ ، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُؤَمِّلٌ ، قَالَا جَمِيعًا : حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، ^(٢) عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ فِي حَدِيثِهِ عَنْ الْأَشْجَعِيِّ - : لَا يُشْبِهُ شَيْءًا مِمَّا فِي الْجَنَّةِ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ . وَقَالَ ابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ عَنْ مُؤَمِّلٍ ، قَالَ : لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَيْسَ [١٨ / ٢ ط] فِي الدُّنْيَا مِنَ الْجَنَّةِ شَيْءٌ إِلَّا الْأَسْمَاءُ . وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَابِهًا ﴾ . قَالَ : يَعْرِفُونَ أَسْمَاءَهُ كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا ، الثَّقَافُ بِالْثَّقَافِ ، وَالرُّمَّانُ بِالرُّمَّانِ ، قَالُوا فِي الْجَنَّةِ : ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَابِهًا ﴾ يَعْرِفُونَهُ ، وَلَيْسَ هُوَ مِثْلَهُ فِي الطَّعْمِ ^(٤) .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٩١/١ عن عكرمة .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ر ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦/١ (٢٦٠) ، والبيهقي في البعث والنشور (٣٦٨) من طرق عن الأعمش به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣٨/١ إلى هناد ومسدد وابن المنذر . وينظر الصحيحة (٢١٨٨) .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٩١/١ عن ابن زيد .

قال أبو جعفر : وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية تأويل من قال : وأتوا به متشابهاً في اللون والمنظر ، والطعم مختلف . يعنى بذلك اشتباه ثمر الجنة وثمر الدنيا في المنظر واللون ، مختلفاً في الطعم والدوق ، لما قدمنا من العلة في تأويل قوله : ﴿ كَلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ . وأن معناه : كلما رزقوا من الجنان من ثمرة من ثمارها رزقاً قالوا : هذا الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا . فأخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوا ذلك من أجل أنهم أتوا بما أتوا به من ذلك فى الجنة متشابهاً ، يعنى بذلك تشابه ما أتوا به منه فى الجنة والذى كانوا رزقوه فى الدنيا ، فى اللون والمزاة والمنظر ، وإن اختلفا فى الطعم والدوق فتباينا ، فلم يكن لشيء مما فى الجنة من ذلك فى الدنيا نظير .

وقد دللنا على فساد قول من زعم أن معنى قوله : ﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ . إنما هو من قول أهل الجنة فى تشبيههم بعض ثمر الجنة ببعض ، وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هى الدلالة على فساد قول من خالف قولنا فى تأويل قوله : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا ﴾ . لأن الله جل ثناؤه إنما أخبر عن المعنى الذى من أجله قال القوم : ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ . بقوله : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا ﴾ .

ويُسأل من أنكّر ذلك فزعم أنه غير جائز أن يكون شيء مما فى الجنة نظيراً لشيء مما فى الدنيا بوجه من الوجوه ، فيقال له : أيجوز أن تكون أسماء ما فى الجنة من ثمارها وأطعمتها وأشربتها نظائر أسماء ما فى الدنيا/ منها ؟

فإن أنكّر ذلك خالف نص كتاب الله ؛ لأن الله إنما عرف عباده فى الدنيا ما هو عتيق^(١) فى^(٢) الجنة بالأسماء التى يُسمى بها ما فى الدنيا من ذلك .

(١) فى ص ، م : « عنده » . والعتيد : الحاضر المهيأ . التاج (ع ت د) .

(٢) فى ر : « فيها » .

وإن قال : ذلك جائزٌ ، بل هو كذلك .

قيل : فما اُنْكَرْتَ أن يكونَ ألوانٌ ما فيها من ذلك نظيرَ ألوانِ ما فى الدنيا منه ، بمعنى البياضِ والحمرة والصُّفْرةِ وسائرِ صنوفِ الألوانِ ، وإن تباينت فتفاضلت بفضلِ [١٩/٢] حسنِ المِزَاجِ والمنظرِ ، فكان لما فى الجنةِ من ذلك مِنَ البهاءِ والجمالِ وحسنِ المِزَاجِ والمنظرِ ، خلافاً الذى لما فى الدنيا منه ، كما كان جائزاً ذلك فى الأسماءِ مع اختلافِ المسَمِّياتِ بالفضلِ فى أجسامِها ؟ ثم يُعَكَّسُ عليه القولُ فى ذلك ، فلن يقولَ فى أحدهما شيئاً إلا ألْزِمَ فى الآخرِ مثله .

وكان أبو موسى الأشعرى يقولُ فى ذلك بما حَدَّثَنَا به محمد بنُ بشارٍ ، قال : حَدَّثَنَا ابنُ أبى عدىٍّ وعبدُ الوهابِ ومحمدُ بنُ جعفرٍ ، عن عوفٍ ، عن قَسَّامَةَ ، عن الأشعرى ، قال : إن اللهَ لما أَخْرَجَ آدمَ من الجنةِ زَوَّدَهُ من ثمارِ الجنةِ ، وعَلَّمَهُ صنعةَ كُلِّ شَيْءٍ ، فثمارُكم هذه من ثمارِ الجنةِ ، غيرَ أن هذه تَغَيَّرُ ، وتلك لا تَغَيَّرُ ^(١) .

^(٢) وقد زَعَمَ بعضُ أهلِ العربيةِ أنَّ معنى قوله : ﴿ وَأَتَوُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ . أنه متشابهة فى الفضلِ ، أى كُلُّ واحدٍ منه له مِنَ الفضلِ فى نحوه مثل الذى للآخرِ فى نحوه . وليس هذا قولاً نستجيزُ التشاغلَ بالدلالةِ على فساده ؛ لخروجه عن قولِ جميعِ علماءِ أهلِ التأويلِ . وحسبُ قولِ بخروجه عن قولِ جميعِ أهلِ العلمِ دلالةً على خَطِئِهِ ^(٢) .

(١) أخرجه البزار (٢٣٤٥ - كشف) من طريق ابن أبى عدى به .

وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٤٣/١ ، والحاكم ٥٤٣/٢ ، والبيهقى فى البعث والنشور (١٩٨) من طريق معمر وهودة بن خليفة ، عن عوف به .

وأخرجه عبد الله بن أحمد - كما فى حادى الأرواح ص ١٣٤ - والبزار (٢٣٤٤ - كشف) من طريق ربعى بن علية ، عن عوف به مرفوعاً . وعزاه الهيثمى فى المجمع ١٩٧/٨ إلى الطبرانى ، وقال : رجاله ثقات .

(٢) - سقط من : ر ، م ، وتقدم مكانه فيهما فى ص ٤١٢ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ .

قال أبو جعفر : والهاء والميم اللتان في ﴿ لَهُمْ ﴾ عائدتان على ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ . والهاء والألف اللتان في ﴿ فِيهَا ﴾ عائدتان على الجنّات . وتأويل ذلك : وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنّات فيها أزواج مطهرة . والأزواج جمع زوج ، وهى امرأة الرجل . يقال : فلانة زوج فلان وزوجته . وأما قوله : ﴿ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . فإن تأويله أنهم ^(١) طهّرن من كل أذى وقذى وريية ، مما يكون فى نساء أهل الدنيا من الحيض والنّفاس والغائط والبول والمخاط والبصاق والمنى ، وما أشبه ذلك من الأذى والأذناس والزّيب والمكاره .

كما حدّثنا به موسى بن هارون ، قال : حدّثنا عمرو بن حماد ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السّدى فى خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن ثروة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب [١٩ / ٢ ط] النّبي ﷺ : أما ﴿ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ فإنهم لا يحضن ولا يُحدثن ولا يتنخّضن ^(٢) .

وحدّثني المشي ، قال : حدّثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . يقول : مُّطَهَّرَةٌ مِنَ الْقَذْرِ وَالْأَذَى ^(٣) .

(١) سقط من : الأصل .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ عقب الأثر (٢٦٧) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ ، ٩٨٤/٣ ، (٢٦٤ ، ٥٥٠٧) من طريق عبد الله بن صالح به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/١ إلى ابن المنذر .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى ^(١) الْقَطَّانُ ^(٢) ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ . قَالَ : لَا يَيْلُنَ وَلَا يَتَغَوَّطُنَ وَلَا يَمِيزُنَ ^(٣) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَهْوَازِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفْيَانُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ زَادَ فِيهِ : وَلَا يَمْنَيْنَ وَلَا يَحِضْنَ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ . قَالَ : مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْخَيْضِ وَالْغَائِطِ وَالْبَوْلِ وَالتَّخَامِ وَالْبَصَاقِ وَالْمَنَى وَالْوَلَدِ ^(٤) .

١٧٦/١ / حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ ^(٥) .

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ^(٦) نَحْوَ حَدِيثِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّبَيْرِيِّ ، غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ فِيهِ : وَلَا يَلْدَنَ وَلَا يَيْزُقُنَ ^(٦) .

(١) بعده في ت ١ : « بن » .

(٢) في ص : « العطار » .

(٣) تفسير الثوري ص ٤٣ .

(٤) تفسير مجاهد ص ١٩٨ . ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧/١ ، ٩٨٤/٣ ، ٢٦٥ ، ٥٥٠٨ ، والبيهقي في البعث والنشور (٣٩٩) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٩/١ إلى وكيع وهناد في الزهد وعبد بن حميد .

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٤٣ - زوائد نعيم بن حماد) ، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٩٢) .

(٦ - ٦) سقط من ت ١ ، وفي ص ، م : « قال : لا ييلن ولا يتغوطن ولا يحضن ولا يلدن ولا يمينن ولا ييزقن » ، ومثله في ت ٢ ، إلا أن فيها : « ولا ينزفن » بدلا من : « ولا ييزقن » .

حدثنا المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحو حديث محمد بن عمرو ، عن أبي عاصم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ : إى واللّه ، من الإثم والأذى ^(١) .

وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . قال : طهرهن الله من كل بول وغائط وقذر ، ومن كل مائم ^(٢) .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال : مطهرة من الحيض والحبل والأذى ^(٣) .

حدثت عن عمار ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : المطهرة من الحيض والحبل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . قال : المطهرة التى لا تحيض . قال : وأزواج الدنيا ليست بمطهرة ؛ [٢٠ / ٢] ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام ؟ قال ابن زيد : وكذلك خلقت حواء حتى عصت ، فلما عصت قال الله : إني خلقتك مطهرة ، وسأدّميك كما دميت هذه الشجرة ^(٤) .

= والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/١ إلى عبد الرزاق . وينظر تفسير الثورى ص ٤٣ .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ ، ٩٨٤/٣ ، ٢٦٦ ، ٥٥٠٩ من طريق سعيد وأبان ، عن قتادة .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/١ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ ، ٢٦٧ من طريق خليد ، عن قتادة ، بنحوه .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٩٢/١ ، وابن رجب فى فتح البارى ١٢/٢ عن المصنف ، وقال ابن كثير : وهذا

غريب . وسيأتى بسياق أطول من هذا فى ص ٥٦٥ .

وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ،
عَنْ ^(١) الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ يَقُولُ : مُطَهَّرَةٌ مِنْ
الْحَيْضِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ
الرَّازِيُّ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ
مُطَهَّرَةٌ ﴾ . قَالَ : مِنْ الْحَيْضِ .

وَحَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو معاوية ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، عَنْ عطاءٍ فِي
قَوْلِهِ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ . قَالَ : مِنَ الْوَلَدِ وَالْحَيْضِ وَالْغَائِطِ وَالْبَوْلِ .
وَذَكَرَ أَشْيَاءَ مِنْ هَذَا النَّحْوِ ^(٣) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٢٥) .

يعنى بذلك : والذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ فى الجناتِ خالدون . فالهَاءُ
والميمُ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ وَهُمْ ﴾ عَائِدَةٌ عَلَى ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ .
والهَاءُ وَالْأَلْفُ فِي ﴿ فِيهَا ﴾ عَلَى الْجَنَاتِ . وَخَلُودُهُمْ فِيهَا دَوَامُ بَقَائِهِمْ فِيهَا عَلَى مَا
أَعْطَاهُمُ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْجَزَةِ ^(٤) وَالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ .

١٧٧/١ / الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا
بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ .

(١) فى الأصل : « وعن » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ عقب الأثر (٢٦٧) معلقا .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ عقب الأثر (٢٦٧) معلقا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/١
إلى وكيع وهناد . وينظر البداية والنهاية ٣٣٥/٢٠ .

(٤) فى ر ، ت ١ : « الخيره » . والخبرة : النعمة وسعة العيش . النهاية ٣٢٧/١ .

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أنزل الله جل ثناؤه فيه^(١) هذه الآية وفي تأويلها؛ فقال بعضهم بما حدثني به موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن [٢٠ / ٢] ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: لما ضرب الله هذين المثليين للمنافقين - يعني قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾. وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾. الآيات الثلاث - قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال. فأنزل الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢).

وقال آخرون بما حدثني به أحمد بن إبراهيم^(٣)، قال: حدثنا قراذ، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾ قال: هذا مثل ضرب به الله للدنيا؛ أن البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا سمنت ماتت، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن، إذا امتلأوا من الدنيا رياء، أخذهم الله عند ذلك. قال: ثم تلا ﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية^(٤) [الأنعام: ٤٤].

(١) في الأصل: «في».

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/١ إلى المصنف وابن أبي حاتم عن ابن مسعود وناس من الصحابة. وهو عند ابن أبي حاتم ٦٨/١ (٢٧٣) من طريق عمرو، عن أسباط، عن السدي من قوله.

(٣) بعده في ر: «الدورقي».

(٤) قال ابن كثير في تفسيره ٩٣/١: هكذا رواه ابن جرير، ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، بنحوه، فالله أعلم.

وهو عند ابن أبي حاتم ٦٨/١ (٢٧٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٣ إلى أبي الشيخ.

حدثنا الثنَّيْ ، قال : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحِجَاجِ ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس بنحوه ، إلا أنه قال : فإذا خلت آجالهم ، وانقطعت مدَّتُهم ، صاروا كالبعوضة تحيا ما جاءت وتموت إذا رويت ، فكَذلك هؤلاء الذين ضرب الله لهم هذا المثل ، إذا امتلأوا من الدنيا رِيًّا أخذهم الله فأهلكهم ، فذلك قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا فُرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] .

وقال آخرون بما حَدَّثَنَا به بشرٌ ، قال : حَدَّثَنَا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ أى : إن الله لا يستحيى من الحق أن يذكر منه شيئاً ما ، قلَّ منه أو كثر ، إن الله جل ذكره لما ذكر فى كتابه الذباب والعنكبوت ، قال أهل الضلالة : ما أراد الله من ذكر هذا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ^(١) .

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا معمرٌ ، عن قتادة ، قال : لما ذُكِرَ / اللَّهُ العنكبوت والذباب ، قال المشركون : ما بال العنكبوت والذباب يُذكران ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ^(٢) .

قال أبو جعفر : وقد ذهب [٢١/٢] كلُّ قائلٍ من ذَكَرْنَا قوله فى هذه الآية وفى المعنى الذى أنزلت فيه مذهباً ، غير أن أولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحق ما ذَكَرْنَا من قول ابن مسعود وابن عباس ، وذلك أن الله أخبر عباده أنه لا يستحيى أن يضرب مثلاً

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٩٢/١ عن سعيد به .

(٢) تفسير عبد الرزاق - كما فى الدر المنثور ١٤/١ - وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسير ٦٩/١ (٢٧٣) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وقال ابن كثير فى تفسيره ٩٢/١ : والعبارة الأولى - يعنى رواية معمر عن قتادة - فيها إشعار أن هذه الآية مكية ، وليس كذلك ، وعبارة رواية سعيد عن قتادة أقرب ، والله أعلم .

ما بعوضةً فما فوقها ، عقيبٌ أمثالٍ قد تقدّمت في هذه السورة ضربها للمنافقين دون الأمثال التي ضربها في سائر السور غيرها - فلأن^(١) يكون هذا القول ، أعنى قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ . جواباً لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب الله لهم من الأمثال في هذه السورة ، أحقّ وأولى من أن يكون ذلك جواباً لنكيرهم ما ضرب الله لهم من الأمثال في غيرها من السور .

فإن ظنّ ظانٌّ أنه إنما وجب أن يكون ذلك جواباً لنكيرهم ما ضرب من الأمثال في سائر السور ؛ لأن الأمثال التي ضربها الله لهم ولآلهم في سائر السور أمثال في موافقة المعنى لما أخبر الله عنه أنه لا يستحي أن يضربه مثلاً ؛ إذ كان بعضها تمثيلاً لآلهم بالعنكبوت ، وبعضها تشبيهاً لها في الضعف والمهانة بالذباب ، وليس ذكر شيء من ذلك بموجود في هذه السورة فيجوز أن يقال : إن الله لا يستحي أن^(٢) يضربه مثلاً^(٣) . فإن ذلك بخلاف ما ظنّ ، وذلك أن قول الله جلّ ثناؤه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ إنما هو خبر منه جلّ ذكره أنه لا يستحي أن يضرب في الحق من الأمثال صغيرها وكبيرها ابتلاءً بذلك عباده ، واختباراً^(٣) منه لهم ، ليميز به أهل الإيمان والتصديق به من أهل الضلالة والكفر به ، إضلالاً منه به لقوم وهدايةً منه به لآخرين .

كما حدّثنى محمد بن عمرو ، قال : حدّثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ : يعنى الأمثال صغيرها وكبيرها ، يؤمن بها المؤمنون ، ويعلمون أنها الحق من ربهم ، ويهديهم الله بها ،

(١) في ص : « فلا » .

(٢ - ٢) في م : « يضرب مثلاً ما » .

(٣) في ص : « إخباراً » ، وفي ر : « اختياراً » .

وَيُضِلُّ بِهَا الْفَاسِقُونَ . يَقُولُ : يَعْرِفُهُ الْمُؤْمِنُونَ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَعْرِفُهُ الْفَاسِقُونَ فَيُكْفِرُونَ بِهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَذِيفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ بِمِثْلِهِ .

وَحَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، [٢١/٢ ط] قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوَهُ .

لَا أَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ قَصَدَ الْخَبَرَ ^(٢) عَنْ عَيْنِ الْبَعُوضَةِ أَنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ ضَرْبِ الْمِثْلِ بِهَا ، وَلَكِنَّ الْبَعُوضَةَ ^(٣) لَمَّا كَانَتْ أَوْعَفَ الْخَلْقِ - كَمَا حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو سَفْيَانَ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : الْبَعُوضَةُ أَوْعَفُ مَا خَلَقَ اللَّهُ ^(٤) .

وَحَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ نَحْوَهُ - خَصَّهَا اللَّهُ بِالذِّكْرِ فِي الْقَلَةِ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ أَقْلَ الْأَمْثَالِ فِي الْحَقِّ وَأَحْقَرَهَا وَأَعْلَاهَا إِلَى غَيْرِ نَهَائَةٍ فِي الِارْتِفَاعِ ، جَوَابًا مِنْهُ جَلَّ ذِكْرُهُ لَمَنْ أَنْكَرَ مِنْ مَنَافِقِي خَلْقِهِ مَا ضَرَبَ لَهُمْ مِنَ الْمِثْلِ بِمُوقِدِ النَّارِ ، وَالصَّبِيِّ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى مَا نَعْتَهُمَا بِهِ مِنْ نَعْتِهِمَا .

فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : وَأَيْنَ ذِكْرُ نَكِيرِ الْمَنَافِقِينَ الْأَمْثَالِ الَّتِي وَصَفْتَ الَّذِي هَذَا الْخَبَرُ

(١) تفسير مجاهد ص ١٩٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨/١ (٢٧٢) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/١ إلى عبد بن حميد نحوه .

(٢) في الأصل : « بالخبر » .

(٣) في الأصل ، ص ، ر ، ت ، ١ ، ت ٢ : « البعوض » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/١ إلى المصنف .

١٧٩/١

جوابه ، فنعلم أَنَّ/ القول في ذلك ما قلت ؟

قيل : الدلالة على ذلك بيّنة في قوله جل ذكره : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا ۖ ﴾ . وإن القوم الذين ضرب لهم الأمثال في الآيتين المتقدمتين - اللتين مثل ما عليه المنافقون مقيمون فيهما ^(١) بموقد النار وبالصَّيْب من السماء على ما وصف من ذلك قبل قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ۖ ﴾ - قد أنكروا المثل ، وقالوا : ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا ۖ ﴾ . فأوضح خطأ قيلهم ذلك ، وقبح لهم ما نطقوا به وأخبرهم بحكمهم في قيلهم ما قالوا منه ، وأنه ضلالٌ وفسوقٌ ، وأن الصواب والهدى ما قاله المؤمنون دون ما قالوه .

وأما تأويل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ ﴾ . فإن بعض المنسوين إلى المعرفة بلغة العرب كان يتأول معنى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ ﴾ : إن الله لا يخشى أن يضرب مثلاً . ويستشهد على ذلك من قوله بقول الله جل وعز : ﴿ وَنَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ۖ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] . ويَزْعُم أن معنى ذلك : وتستحيى الناس والله أحق أن تستحييه . فيقول : الاستحياء بمعنى الخشية ، والخشية بمعنى الاستحياء .

وأما معنى قوله : ﴿ أَنْ يَضْرِبَ ۖ ﴾ . فهو : أن يُبَيِّنَ ويصف . كما قال جل ثناؤه : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ۖ ﴾ [الروم : ٢٨] . بمعنى : وصف لكم . وكما قال الكميث ^(٢) :

(١) قوله : « فيهما » متعلق بقوله : « مثل » يعني الآيتين اللتين مثل فيهما - ما عليه المنافقون مقيمون - بموقد النار .

(٢) شعر الكميث بن زيد (مجموع) ١٢٢/٢ .

وذلك ضربُ أحماسٍ أُريدتْ لأسداسٍ عسى ألا تكونا^(١)
 بمعنى وصفِ أحماسٍ . والمثلُ الشُّبُه ، يقال : هذا مثلُ الشيءِ ومثله ، كما
 يقال : شُبَّهه وشَبَّهه . [٢٢/٢] ومنه قولُ كعبِ بنِ زهير^(٢) :

كانت مواعيدُ عُرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ^(٣)
 يعني شَبَّها .

فمعنى قوله إذن : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ : إن الله لا
 يخشى أن يصفَ شَبَّها لما شَبَّه به^(٤) .

وأما ﴿مَا﴾ التي مع «مثل» فإنها بمعنى الذي ؛ لأن معنى الكلام : إن الله لا
 يستحي أن يضربَ الذي هو بعوضةٌ في الصُّغَرِ والقِلَّةِ فما فوقها مثلاً .

فإن قال قائلٌ : فإن كان القولُ في ذلك ما قلت ، فما وجهُ نصبِ «البعوضة» ،
 وقد علمت أن تأويلَ الكلامِ على ما تأولتْ : أن الله لا يستحي أن يضربَ مثلاً الذي
 هو بعوضةٌ ؛ فالبعوضةُ على قولك في محلِّ الرفع ، فأني أتاها النصبُ ؟

قيل : أتاها النصبُ من وجهين ، أحدهما : مِن أن ﴿مَا﴾ لما كانت في محلِّ
 نصبٍ بقوله : ﴿يَضْرِبَ﴾ وكانتِ البعوضةُ لها صلةٌ ، عُزِّبَتْ^(٥) بتعريبها فألزمَتْ

(١) البيت في أصله مثل يضرب لمن يرواغ ويظهر أمراً وهو يريد غيره . ينظر جمهرة الأمثال ٥/٢ .

(٢) ديوانه ص ٨ .

(٣) أصل البيت مثل يضرب في إخلاف الوعد . وعرقوب هو عرقوب بن معبد بن أسيد بن زيد مناة ، وقيل :
 هو رجل من الأُمم الماضية . الفاخر ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٤) هذا تنمة تفسير الكلمة على مذهب من قال : إن الاستحياء بمعنى الخشية ، لا ما أخذ به الطبري . وأما
 تفسير الطبري فيأتي في آخر تفسير الآية .

(٥) في م : «أعربت» . قال الشيخ شاكر : وقوله : عربت . أى أجريت مجراها في الإعراب ، وهذا هو معنى
 التعريب في اصطلاح قدماء النحاة .

إِغْرَابَهَا ، كما قال حسانُ بْنُ ثابتٍ^(١) :

« وَكَفَى^(٢) بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرِنَا حُبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَانَا

فَغَرْبُ « غَيْرِ »^(٣) بِإِغْرَابِ « مَنْ » ، والعربُ تفعلُ ذلك خاصةً في « مَنْ »
و « ما » ؛ تُعَرِّبُ صِلَاتَهُمَا^(٤) بِإِغْرَابِهِمَا ؛ لأنهما يكونان معرفةً أحيانًا ونكرةً أحيانًا .

وأما الوجهُ الآخَرُ : فأن يكونَ معنى الكلامِ : إن الله لا يستحي أن

يضربَ مثلاً ما بينَ بعوضةٍ إلى/ ما فوقَها . ثم حذَفَ ذِكْرَ « يِنَّ » ١٨٠/١

و « إلى » ؛ إذ كان في نصبِ « البعوضة » ودخولِ الفاءِ في ﴿ مَا ﴾ الثانيةِ

دلالةً عليهما ، كما قالتِ العربُ : مُطِرْنَا ما زُبَالَةً فَالثَّغْلِيَّةُ^(٥) . وله عشرون

ما^(٦) ناقةً فَجَمَلًا . و : هي أحسنُ الناسِ ما قرئنا فقدمًا . يعنون بذلك : « ما يِنَّ »^(٧)

(١) ليس في ديوان حسان ، وقد أورده المصنف في تفسير الآية ١٥٩ من سورة آل عمران غير منسوب ، ونسبه في الكتاب ١٠٥/٢ إلى الأنصارى بدون تحديد ، ونسبه في خزنة الأدب إلى كعب بن مالك وقال : ونسب إلى حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا ، ولم يوجد في شعره . قال اللخمي في شرح شواهد الجمل : وقيل : هو لعبد الله بن رواحة الأنصارى . وقيل : لبشير بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك . الخزنة ١٢٢/٦ .
(٢ - ٢) في الأصل ، ر : « لكفى » ، وفي ص : « أكفا » .

(٣) في الأصل : « غيرنا » .

(٤) في الأصل : « صلاتها » .

(٥) المعنى إذا قلت : مُطِرْنَا بين زبالَةٍ فَالثَّغْلِيَّةِ . أنك أردت أن المطر انتظم الأماكن التي ما بين القريتين ، وإذا قلت : مطرنا ما بين زبالَةٍ فَالثَّغْلِيَّةِ . فإنك تريد أن المطر وقع بينهما ، ولم ترد أنه اتصل في هذه الأماكن كلها .
والعرب إذا ألقت « بين » من كلام تصلح « إلى » في آخره ، نصبوا الحرفين المخفوضين اللذين خفض أحدهما بـ « بين » والآخر بـ « إلى » ، فيقولون : مطرنا ما زبالَةٍ فَالثَّغْلِيَّةِ . ينظر معاني القرآن للفراء ٢٢/١ ، وخزنة الأدب ١١/١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ .

وزبالَةٍ بضم أوله ؛ منزل معروف بطريق مكة من الكوفة . والثعلبية ماء لبنى أسد ، وهي من أعمال المدينة منسوبة إلى ثعلبة بن مالك . معجم ما استعجم ٣٤١/١ ، ومعجم البلدان ٩١٢/٢ .

(٦) سقط من : ص .

(٧ - ٧) في ص : « من » .

قَوْنَهَا إِلَى قَدِيمِهَا . وكذلك يقولون في كُلِّ ما حَسُنَ فيه من الكلامِ دخولُ « ما » بين كذا إلى كذا . يَنْصِبُونَ الْأَوَّلَ والثَّانِي ، ليدلَّ النَّصْبُ ^(١) « في الأسماءِ » على المحذوفِ من الكلامِ . فكَذَلِكَ ذلك في قوله : ﴿ مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ .

وقد زعم بعضُ أهلِ العربيةِ أن ﴿ مَا ﴾ التي مع « المثل » صِلَةٌ في الكلامِ بمعنى التَّطَوُّلِ ^(٢) ، وأن معنى الكلامِ : إِنْ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي ^(٣) أَنْ يَضْرِبَ بَعُوضَةً مِثْلًا فَمَا فَوْقَهَا . فعلى هذا التَّأْوِيلِ يجبُ أَنْ تَكُونَ « البعوضة » منصوبةً بـ ﴿ يَضْرِبُ ﴾ ، وأن تَكُونَ ﴿ مَا ﴾ الثانية التي في ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ معطوفةٌ على البعوضةِ لا على ﴿ مَا ﴾ .

وأما [٢٢/٢ ظ] تأويلُ قوله : ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ . « فهو : ما » هو أعظمُ منها عِنْدِي ؛ لما ذَكَّرْنَا قَبْلُ من قولِ قتادةَ وابنِ جريجٍ أَنَّ البعوضةَ أضعفُ خَلْقِ اللَّهِ ، فَإِنْ كَانَتْ أضعفُ خَلْقِ اللَّهِ فَهِيَ نِهَايَةٌ فِي الْقَلَّةِ وَالضَّعْفِ ، وَإِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ فَلَا شَكَّ أَنَّ ما فوقَ أضعفِ الأشياءِ لَا يَكُونُ إِلَّا أَقْوَى مِنْهُ . فقد يجبُ أَنْ يَكُونَ المعنى على ما قالاه : فما فوقها في العِظَمِ والكِبَرِ ، إِذْ ^(٤) كَانَتْ البعوضةُ نِهَايَةً فِي الضَّعْفِ وَالْقَلَّةِ . وقيل في تأويلِ قوله : ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ : في الصَّغَرِ وَالْقَلَّةِ . كما يُقَالُ في الرَّجُلِ يَذْكُرُهُ الذَّاكِرُ فَيَصِفُهُ بِاللُّؤْمِ وَالشَّحِّ ، فيقولُ السامِعُ : نعم ، وفوقَ ذلك . يعنى

(١ - ١) في م : « فيهما » .

(٢) في الأصل ، ر : « البطول » ، وفي ص : « التطويل » . والتطويل بمعنى الزيادة في الكلام .

(٣) بعده في ص : « من الحق » .

(٤ - ٤) في م : « فما » ، وفي ت ١ : « فهو » .

(٥) في الأصل ، ت ١ : « إذا » .

به فوق الذى وصفت فى الشحّ واللؤم .

وهذا قولٌ خلافٌ تأويلِ أهلِ العلمِ الذين ثرّضى معرفتهم بتأويلِ القرآن ، فقد تبينَ إذن بما وصفنا أن معنى الكلام : إن الله لا يستحيى أن يصفَ شَبَهَا لما شَبَّه به الذى هو ما بينَ بعوضةٍ إلى ما فوق «البعوضة» . فأما تأويلُ الكلامِ لورُفعتِ «البعوضة» ، فغيرُ جائزٍ فى ﴿ مَا ﴾ ، إلا ما قلنا من أن تكونَ ^(١) اسماً لا صلةً ، بمعنى التطول ^(٢) .

القولُ فى تأويلِ قولِ الله جلّ ثناؤه : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ ﴾ .
يعنى بقوله جلّ ذكره : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ : فأما الذين صدّقوا الله ورسوله .

وقوله : ﴿ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ . يعنى : فيعرفون أن المثل الذى ضرب به الله لما ضرب به له مثلاً ^(٣) مثل .

كما حدّثنى المنشى بن إبراهيم ، قال : حدّثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ أى : هذا المثلُ الحقُّ من ربهم ، وأنه كلامُ الله ومن عندِ الله ^(٤) .

وكما حدّثنا بشر بن معاذ ، قال : حدّثنا يزيد بن زريع ، قال : حدّثنا سعيد ،

(١) فى ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : « يكون » .

(٢) فى الأصل ، ر : « البطول » .

(٣) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩/١ عقب الأثر (٢٧٧) من طريق ابن أبى جعفر به . وينظر تفسير ابن أبى حاتم ٦٩/١ (٢٧٥) ، والدر المنثور ٤٢/١ .

عن قتادة قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ أى : يعلمون أنه كلام الرحمن ، وأنه الحق من الله ، ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾^(١) .

وقوله : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . يعنى : الذين جحدوا آيات الله ، وأنكروا ما عرفوا ، وستروا ما علموا أنه الحق . وذلك صفة المنافقين ، وإياهم عنى الله جل ثناؤه ومن كان من نظرائهم^(٢) / وشركائهم من المشركين من^(٣) أهل الكتاب وغيرهم ، بهذه الآية : ﴿ فَيَقُولُونَ ﴾ [٢٣/٢] ماذا أراد الله بهذا مثلاً .

كما قد ذكرنا قبل^(٤) من الخبر الذى رويناه عن مجاهد الذى حدثنا به محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ الآية . قال : يؤمن بها المؤمنون ، ويعلمون أنها الحق من ربهم ، ويهديهم الله بها ، ويضل بها الفاسقون . يقول : يعرفه المؤمنون فيؤمنون به ، ويعرفه الفاسقون فيكفرون به .

وتأويل قوله : ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ : ما الذى أراد الله بهذا المثل مثلاً ؟ فـ « ذا » الذى مع « ما » فى معنى « الذى » ، وأراد صلته ، و « هذا » إشارة إلى « المثل » . القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾ .

ومعنى قوله جل ذكره : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا ﴾ : يضل الله به كثيراً من خلقه . والهاء فى ﴿ بِهِ ﴾ من ذكر « المثل » . وهذا خبر من الله جل ثناؤه مبتدأ ، ومعنى

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩/١ (٢٧٦) من طريق يزيد به دون آخره ، ثم أخرجه (٢٧٧) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، وفيه : وأنه من عند الله .

(٢) فى حاشية الأصل : « وقع فى غير الأم : نُصَرَّائِهِمْ » .

(٣) فى ر : « و » .

(٤) تقدم فى ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

الكلام : « قال الله : يُضِلُّ الله^(١) بالمثل الذى يضربه كثيرًا من أهل النفاق والكفر . كما حَدَّثَنِي موسى ، قال : حَدَّثَنَا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : حَدَّثَنَا أسباطُ ، عن السدىّ فى خبرٍ ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا ﴾ : يعنى المنافقين ، ﴿ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾ : يعنى المؤمنين ، فيزيد هؤلاء ضلالًا إلى ضلالهم لتكذيبهم بما قد علموه حقًا يقينًا من المثل الذى ضربه الله لما ضربه له ، وأنه لما ضربه له موافقٌ ، فذلك إضلالُ الله إياهم به ، ﴿ وَيَهْدِي بِهِ ﴾ - يعنى بالمثل - كثيرًا من أهل الإيمان والتصديق ، فيزيدهم هدىً إلى هداهم ، وإيمانًا إلى إيمانهم ، لتصديقهم بما قد علموه حقًا يقينًا أنه موافقٌ ما ضربه الله له مثلاً ، وإقرارهم به ، وذلك هداية^(٢) الله لهم به^(٣) .

وقد زَعَمَ بعضهم أن ذلك خبرٌ عن قول^(٤) المنافقين ، كأنهم قالوا : ما أَرَادَ الله بمَثَلٍ لا يعرفه كلُّ أحدٍ ، يُضِلُّ به هذا ويَهْدِي به هذا ؟ ثم استؤنف الكلام والخبر عن الله ، فقال الله : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ وفى ما فى سورة « المدثر » من قولِ الله : ﴿ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [المدثر: ٣١] - ما ينبئُ عن أنه فى سورة « البقرة » كذلك مبتدأ ، أعنى قوله : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾ .

(١ - ١) فى م : « أن الله يضل » .

(٢) بعده فى ص ، ر ، م : « من » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠/١ (٢٨٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله ،

مقتصرًا على أوله .

(٤) تفسير الطبرى ٢٨/١ ()

(٤) سقط من : م .

[٢٣/٢] القول في تأويل قوله جل وعز: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٦).

وتأويل ذلك ما حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾: هم المنافقون^(١).

حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾: فسقوا فأضلهم الله على فسقهم^(٢).

١٨٢/١ /حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾: هم أهل النفاق^(٣).

قال أبو جعفر: وأصل الفسق في كلام العرب الخروج عن الشيء، يقال منه: فسقت الرطبة، إذا خرجت من قشرها؛ ومن ذلك سُميت الفأرة فُوسقة؛ لخروجها عن^(٤) جحرها، فكذلك المنافق والكافر، سُميا فاسقين لخروجهما عن طاعة ربهما، ولذلك قال جل ذكره في صفة إبليس: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]. يعني به: خرج عن طاعته واتباع أمره.

كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠/١ (٢٨٤) من طريق عمرو، عن أسباط، عن السدي من قوله.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠/١ (٢٨٥) من طريق سعيد به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/١ إلى عبد بن حميد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠/١ عقب الأثر (٢٨٢) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٤) في ر: «من».

داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ بِمَا كَانُوا يَنْشُقُونَ ﴾ [البقرة : ٥٩] أى : بما ^(١) تعدوا من ^(٢) أمرى .

فمعنى قوله : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ : وما يضل الله بالمثل الذى يضربه لأهل النفاق والضلال إلا الخارجين عن طاعته والتاركين اتباع أمره ، من أهل الكفر به من أهل الكتاب ، وأهل الضلال من أهل النفاق .

القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ .

قال أبو جعفر : وهذا وصف من الله جل ذكره الفاسقين الذين أخبر أنه لا يضل بالمثل الذى ضربه لأهل النفاق غيرهم ، فقال : وما يضل الله بالمثل الذى يضربه ، على ما وصف قبل فى الآيات المتقدمة - إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه .

ثم اختلف أهل المعرفة فى معنى العهد الذى وصف الله هؤلاء الفاسقين [٢٤/٢] بنقضه ؛ فقال بعضهم : هو وصية الله إلى خلقه ، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته ، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته فى كتبه وعلى لسان رسوله ﷺ ، ونقضهم ذلك تركهم العمل به .

وقال آخرون : إنما نزلت هذه الآيات فى كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم ، وإياهم عنى الله جل ذكره بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ ﴾ . وبقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ ﴾ . فكل

(١ - ١) فى ص ، ر ، م ، ت ٢ : « بعدوا عن » ، وفى ت ١ ، ت ٣ : « بعدوا من » .

(٢) وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٠/١ (٥٩٦) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق من قوله .

ما فى هذه الآيات فَعْدَلٌ لهم وتوبيخٌ إلى انقضاءِ قَصَصِهِمْ . قالوا : فعهدُ الله الذى نقضوه بعدَ ميثاقه هو ما أخذَه اللهُ عليهم فى التوراة ؛ من العملِ بما فيها ، واتباعِ محمدٍ ﷺ إذا بُعث ، والتصديقِ به وبما جاء به من عندِ ربِّهم ، ونقضُهم ذلك هو جُحودُهم به بعدَ معرفتهم بحقيقته ، وإنكارهم ذلك ، وكتمانهم علمَ ذلك الناس ، بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاقَ لِيُبَيِّنَنَّ للناسِ ولا يَكْتُمُونَهُ ، فأخبر جل ذكره أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا .

وقال بعضهم : إن الله عنى بهذه الآية جميعَ أهلِ الشرك والكفر والنفاق ، وعهده إلى جميعهم فى توحيدِهِ / ما وُضِعَ لهم من الأدلة^(١) الدالة على ربوبيّته ، وعهده إليهم فى أمرِهِ ونهيهِ ما احتج به لرسلِهِ من المعجزات التى لا يقدرُ أحدٌ من الناسِ غيرهم أن يأتى بمثلها ، الشاهدة لهم على صدقِهِمْ . قالوا : ونقضُهم ذلك تركُهم الإقرارَ بما قد تبَيَّنَتْ لهم صحته بالأدلة^(٢) ، وتكذيبهم الرسلَ والكُتُبَ ، مع علمِهِمْ أن ما أتوا به حقٌّ . ١٨٣/١

وقال آخرون : العهد الذى ذكره الله هو العهد الذى أخذَه عليهم حينَ أخرجهم من صُلْبِ آدَمَ ، الذى وصفه فى قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾^(٣) الآيتين [الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣] . ونقضُهم ذلك تركُهم الوفاءَ به .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوالِ عندى بالصوابِ فى ذلك قولٌ من قال : إنَّ هذه

(١) فى الأصل : « الدلالة » .

(٢) فى الأصل ، ص ، ر ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ذرياتهم » . والمثبت من : م ، وهى قراءة ابن كثير وعاصم وحزمة والكسائى ، وقراءة الجمع قرأ بها نافع وأبو عمرو وابن عامر . ينظر السبعة ص ٢٩٨ . ولم يشر المصنف فى سورة الأعراف إلى هاتين القراءتين ، فأثبتناه بالإفراد كرمس مصاحفنا .

الآياتِ نزلتْ في كفارِ أحبارِ اليهودِ الذين كانوا بين ظَهْرَانِي مُهاجِرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وما قُربَ منها من بقايا بني إسرائيلَ ، ومن كان على شريكِ من أهلِ النفاقِ الذين قد بَيَّنَّا قَصَصَهُمْ فيما مضى من كتابنا [٢٤/٢ ظ] هذا .

وقد دَلَّلْنَا على أن قولَ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ . وقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ ﴾ . فيهم أنزلتْ ، وفي مَنْ كان على مِثْلِ الذي هم عليه من الشريكِ بِاللَّهِ ، غيرَ أن هذه الآياتِ عندى وإن كانت فيهم نزلتْ ، فإنه مَعْنَى بها كُلُّ مَنْ كان على مِثْلِ ما كانوا عليه من الضلالة ، ومعنى بما وافقَ منها صفةُ المنافقين خاصةً جميعُ المنافقين ، وبما ^(١) وافقَ منها صفةُ كفارِ أحبارِ اليهودِ جميعُ ^(٢) مَنْ كان لهم نَظِيرًا في كفرهم ، وذلك أن اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ يَعْصِمُ أحيانًا جميعَهُم بالصفةِ لتقديمه ذِكْرَ جميعِهِم ^(٣) في أولِ الآياتِ التى ذَكَرْتُ قَصَصَهُمْ ^(٤) ، وَيُخَصُّ بالصفةِ أحيانًا بعضَهُم لتفصيله في أولِ الآياتِ بينَ فَرِيقِهِم ^(٥) ، أعنى فريقَ المنافقين من عبدةِ الأوثانِ وأهلِ الشريكِ بِاللَّهِ ، وفريقَ كفارِ أحبارِ اليهودِ . فالذين ينقضون عهدَ اللَّهِ هم التاركونَ ما عهدَ اللَّهُ إليهم من الإقرارِ بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به وتَبَيَّنَ بُرْؤُهُ للناسِ ، والكاظمونَ بيانَ ذلك بعدَ عَلمِهِم به وبما قد أَخَذَ اللَّهُ عليهم في ذلك ، كما قال جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ ^(٦) لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ^(٧) فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] . ونَبَذُهم ذلك

(١) فى ص : « ما » .

(٢) فى ص : « وجميع » .

(٣) فى م : « جميعها » .

(٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) فى م : « فريقهم » .

(٦) فى ص : « ليبينه » . قراءة وستأنى فى موضعها من التفسير .

(٧) فى ص : « يكتُمونه » . وهى قراءة ستأنى .

وراء ظهورهم هو نقضهم العهد الذي عهد إليهم في التوراة ، الذي وصفناه ، وتركهم العمل به .

وإنما قلت : إنه عني بهذه الآية ^(١) من قلت إنه عني بها ؛ لأن الآيات من مبتدأ الآيات الخمس والست من سورة « البقرة » فيهم نزلت إلى تمام قصصهم ، وفي الآية التي بعد الخبر عن خلي آدم ، وبيانه ^(٢) في قوله : ﴿ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٠] . وخطابه جل ذكره إياهم بالوفاء بذلك خاصة دون سائر البشر ، ما يدل على أن قوله : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ . مقصود ^(٣) به كفارهم ومنافقوهم ، ومن كان من أشياعهم من مشركي عبدة الأوثان على ضلالتهم ، غير أن الخطاب وإن كان لمن وصفت من الفريقين ، فداخل في أحكامهم وفي ما أوجب الله لهم من الوعيد والذم والتوبيخ ، كل من كان على سبيلهم ومنهاجهم من جميع الخلق وأصناف الأمم المخاطبين بالأمر والنهي .

فمعنى الآية إذن : وما يُضِلُّ به إلا التاركين طاعة الله ، الخارجين عن اتباع / أمره ونهيه ، الناكثين عهد الله التي عهدا إليهم في الكتب التي أنزلها إلى رسله وعلى ألسن أنبيائه ، باتباع أمر رسوله [٢٥/٢] محمد ﷺ وما جاء به ، وطاعة الله فيما افترض عليهم في التوراة من تبين أمره للناس ، وإخبارهم إياهم أنهم يجدونه مكتوباً عندهم أنه رسول من عند الله مفترضة طاعته ، وترك كتمان ذلك لهم . ونكثهم ذلك ونقضهم إياه هو مخالفتهم الله في عهده إليهم فيما وصفت أنه عهد إليهم ، بعد إعطائهم ربهم الميثاق بالوفاء بذلك ، كما وصفهم به ربنا جل ذكره

(١) في ر ، م ، ت ٣ : « الآيات » .

(٢) في م : « أبنائه » . وفي ر : « نبه » . وقوله : وبيانه . معطوف على قوله : وفي الآية التي بعد الخبر .

(٣) في ص : « مقصور » .

بقوله : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ [الأعراف : ١٦٩] .

وأما قوله : ﴿ مِنْ بَعدِ مِيثَاقِهِ ﴾ . فإنه يعنى : من بعد توثيق الله منه ^(١) بأخذ ^(٢) عهده بالوفاء له بما عهد إليه فى ذلك ، غير أن التوثيق مصدر من قولك : توثقت من فلان توثقاً . والميثاق اسم منه ، والهاء فى «الميثاق» عائدة على اسم «الله» جل ذكره . وقد يدخل فى حكم هذه الآية كل من كان بالصفة التى وصف الله بها هؤلاء الفاسقين من المنافقين والكفار فى نقض العهد ، وقطع الرحم ، والإفساد فى الأرض . كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعدِ مِيثَاقِهِ ﴾ : فإياكم ونقض هذا الميثاق ، ^(٣) فإن الله قد كره نقضه وأوعده فيه ، وقدم فيه فى آي من ^(٤) القرآن ^(٥) ، حجة وموعظة ونصيحة ، وإنا لا نعلم الله أوعده فى ذنب ما أوعده فى نقض الميثاق ، فمن أعطى عهد الله وميثاقه من ثمرة قلبه فليف به لله ^(٥) .

وحدثنى المشنى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ : فهى

(١) فى ص : « فيه » .

(٢) فى ص : « يأخذ » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) سقط من : ر ، م . وينظر الدر المنثور ٤٢/١ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن أبى حاتم وأبى الشيخ .

سَتْ خِلَالٍ فِي أَهْلِ النِّفَاقِ ، إِذَا كَانَتْ لَهُمُ الظُّهْرَةُ^(١) أَظْهَرُوا هَذِهِ الْخِلَالَ السَّتْ جَمِيعًا ؛ إِذَا حَدَّثُوا كَذَبًا ، وَإِذَا وَعَدُوا أَخْلَفُوا ، وَإِذَا اتَّيَمَّنُوا خَانُوا ، وَنَقَضُوا عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَقَطَعُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ ، وَإِذَا كَانَتْ عَلَيْهِمُ الظُّهْرَةُ أَظْهَرُوا الْخِلَالَ الثَّلَاثَ ؛ إِذَا حَدَّثُوا كَذَبًا ، وَإِذَا وَعَدُوا [٢٥/٢] أَخْلَفُوا ، وَإِذَا اتَّيَمَّنُوا خَانُوا^(٢) .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ .

قال أبو جعفر : والذي رَغِبَ اللَّهُ فِي وَصْلِهِ وَذَمَّ عَلَى قَطْعِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، الرَّحْمُ ، وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٢٢] . وَإِنَّمَا عَنَى بِالرَّحِمِ أَهْلَ الرَّجُلِ^(٣) الَّذِينَ جَمَعْتَهُمْ وَإِيَاهُ رَحْمُ وَالِدَةٍ وَاحِدَةٍ . وَقَطَّعَ ذَلِكَ ظَلْمُهَا^(٤) فِي تَرْكِ أَدَائِ مَا أَلْزَمَ اللَّهُ مِنْ حَقُوقِهَا ، وَأَوْجَبَ مِنْ يَرْهَا . وَوَضَّلَهَا أَدَاءُ الْوَاجِبِ لَهَا إِلَيْهَا ، مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ الَّتِي أَوْجَبَ لَهَا ، وَالتَّعَطُّفُ عَلَيْهَا بِمَا يَحِقُّ التَّعَطُّفُ بِهِ عَلَيْهَا .

و ﴿ أَنْ ﴾ الَّتِي مَعَ ﴿ يُوصَلَ ﴾ فِي مَحَلِّ خَفَضٍ ، بِمَعْنَى رَدِّهَا عَلَى / مَوْضِعِ الْهَاءِ الَّتِي فِي ﴿ بِهِ ﴾ . فَكَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ : وَيَقْطَعُونَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ^(٥) بِأَنْ يُوصَلَ . وَالْهَاءُ الَّتِي فِي ﴿ بِهِ ﴾ هِيَ كِنَايَةٌ^(٦) ذَكَرَ ﴿ مَا ﴾^(٧) .

١٨٥/١

(١) الظهرة : الكثرة ، ويريد هنا الغلبة ، من قولك : ظهرت على فلان ، إذا علوته وغلبته . اللسان (ظ ه ر) .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٩٦/١ عن الربيع .

(٣) في الأصل ، ص ، ر : « الرحم » .

(٤) في ص ، م : « ظلمه » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ظلمة » .

(٥) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٦) بعده في م : « عن » .

(٧) في ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « أن » ، وفي م : « أن يوصل » .

وبما قلنا فى تأويل قوله : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ . وأنه الرحم ، كان قتادة يقول .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ : ففُطِعَ واللّه ما أمر الله به أن يوصل بقطيعة الرحم والقراية ^(١) .

وقد تأول بعضهم ذلك أن الله ذمهم بقطعهم رسوله والمؤمنين به وأرحامهم . واستشهد على ذلك بعموم ^(٢) ظاهر الآية ، وألا ^(٣) دلالة على أنه معني بها بعض ما أمر الله بوضله دون بعض .

وهذا مذهب من تأويل الآية غير بعيد من الصواب ، ولكن الله جل ثناؤه قد ذكر المنافقين فى غير آية من كتابه ، فوصفهم بقطع الأرحام ، فهذه نظيرة تلك ، غير أنها وإن كانت كذلك ، فهى دالة على ذم الله كل قاطع قطع ما أمر الله أن يوصل ، رحماً كانت أو غيرها .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : [٢٦/٢] ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

قال أبو جعفر : وفسادهم فى الأرض هو ما تقدّم وصّفناه قبل من معصيتهم ربهم ، ^(٤) وكفرهم به ^(٥) ، وتكذيبهم رسوله ، وجحدهم نبوته ، وإنكارهم ما أتاهم به من عند الله أنه حق من عنده .

القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾  .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) فى الأصل ، ص ، ر : « عموم » .

(٣) فى ص : « لا » .

(٤ - ٥) سقط من : الأصل .

والخاسرون جمعٌ خاسرٍ ، والخاسرون ؛ الناقصون أنفسهم حظوظها بمعصيتهم
 الله - من رحمته ، كما يخسر الرجل في تجارته بأن يوضع من رأس ماله في بيعه ^(١) .
 كذلك الكافر والمنافق خسر بجزمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة
 أخرج ما كان إلى رحمته . يقال منه : خسر الرجل يخسر خُسْرًا وخُسْرَانًا وخَسَارًا .
 كما قال جرير بن عطية ^(٢) :

إِنْ سَلِيطًا فِي الْخَسَارِ إِنَّهُ

أَوْلَادُ قَوْمٍ خُلِقُوا أَقْتَةً ^(٣)

يعنى بقوله : فى الخسار . أى : فيما يوكسهم حظوظهم من الشرف والكرم .
 وقد قيل : إن معنى ﴿ أَوْلَيْتَكَ هُمْ الْخَسِرُونَ ﴾ : أولئك هم الهالكون . وقد
 يجوز أن يكونَ قائلُ ذلك أرادَ ما قلنا من هلاكِ الذى وصفَ الله صفته بالصفة التى
 وصفه بها فى هذه الآية ، بجزمانِ الله إياه ما حرّمه من رحمته بمعصيته إياه وكفره به .
 فحمل تأويلَ الكلام على معناه دونَ البيانِ عن تأويلِ عينِ الكلمة بعينها ، فإن أهلَ
 التأويلِ ربما فعلوا ذلك لعللٍ كثيرة تدعوهم إليه .

وقال بعضهم فى ذلك بما حدّثت به عن المنجاب بن الحارث ، قال : حدّثنا بشر
 ابنُ عُمارة ، عن أبى رَوَيْق ، عن الضحاك ، عن ابنِ عباس ، قال : كلُّ شىءٍ نسبته الله
 إلى غيرِ أهلِ الإسلامِ من اسمٍ مثلَ خاسرٍ فإنما يعنى به الكفر ، وما نسبته إلى أهلِ
 الإسلامِ فإنما يعنى به الذنْب ^(٤) .

(١) وُضع الرجل فى تجارته - بالبناء للمجهول - كمنى : خسر فيها . التاج (و ض ع) .

(٢) ديوانه ١٠١٧/٢ ، والنقائض ص ٤ .

(٣) أقنة جمع قن ، وهو العبد ، وهو جمع نادر . التاج (ق ن ن) .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

/ [٢٦/٢] ط القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٨) .

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم بما حدثني به موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ يقول : لم تكونوا شيئاً فخلقكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم يوم القيامة ^(١) .

وحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قوله : ﴿ أَمْتَنَا أَتْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَتْنَيْنِ ﴾ [غافر : ١١] . قال : هي كالتي في « البقرة » : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ .

وحدثني أبو حصين ^(٢) عبد الله بن أحمد ^(٣) بن يونس ، قال : حدثنا عبثر ، قال : حدثنا حصين ^(٤) ، عن أبي مالك في هذه الآية : ﴿ أَمْتَنَا أَتْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَتْنَيْنِ ﴾ قال : خلقنا ولم نكن شيئاً ، ثم أمتنا ، ثم أحيينا .

وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هُشَيْمٌ ، عن حصين ، عن أبي مالك

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

(٢ - ٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ .

(٣) بعده في م : « ابن عبد الله » . وينظر تهذيب الكمال ٢٨٤/١٤ .

فى قوله: ﴿أَمَتْنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ قال: كانوا أمواتًا فأحياهم الله، ثم أماتهم، ثم أحياهم.

وحدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين بن داود^(١)، قال: حدثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد فى قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾. قال: لم تكونوا شيئًا حتى^(٢) خلقكم، ثم يميئكم الموت الحق، ثم يحييكم، وقوله: ﴿أَمَتْنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ مثلها^(٣).

وحدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنى الحجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرنى عطاء الخراسانى، عن ابن عباس، قال: هو قوله: ﴿أَمَتْنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾^(٤).

وحدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: [٢٧/٢] حدثنى أبو العالية فى قول الله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ

(١ - ١) فى ص: «الحسن».

(٢) فى ر، م، ت ١: «حين».

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣/١ (٣٠٢) من طريق ابن جريج به بنحوه، وليس فيه تصريح ابن جريج بالسماع. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى ابن المنذر.

وفى رواية ابن جريج عن عطاء الخراسانى ضعف، قال ابن المدينى: سألت يحيى بن سعيد عن حديث ابن جريج عن عطاء الخراسانى، فقال: ضعيف. قلت ليحيى: إنه يقول: أخبرنى؟ قال: لا شيء، كله ضعيف إنما هو كتاب دفعه إليه. ينظر تهذيب التهذيب ٤٠٦/٦، وعطاء لم يسمع من ابن عباس. ينظر جامع التحصيل ص ٢٣٨.

يَا لِلّٰهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴿١﴾ . يقول : حينَ لم يكونوا شيئًا ، ثم أحيَاهُم
 حينَ ^(٢) خلقهم ^(١) ، ثم أماتهم ، ثم أحيَاهم يومَ القيامةِ ، ثم رجَعوا إليه بعدَ
 الحياةِ ^(٣) .

وَحَدَّثْتُ عَنِ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَزْوِجٍ ، عَنْ
 الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ / فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ . قَالَ : كُنْتُمْ
 تَرَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكُمْ ، فَهَذِهِ مَيِّتَةٌ ، ثُمَّ أَحْيَاكُمْ فَخَلَقَكُمْ ، فَهَذِهِ حَيَاةٌ ^(٤) ، ثُمَّ يَمِيتُكُمْ
 فَتَرْجِعُونَ إِلَى الْقُبُورِ ، فَهَذِهِ مَيِّتَةٌ أُخْرَى ، ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهَذِهِ حَيَاةٌ ^(٤) ، فَهَمَا
 مَيِّتَتَانِ وَحَيَاتَانِ ، فَهُوَ قَوْلُهُ ^(٥) : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ
 ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ ^(٦) .

وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ
 السَّدِيِّ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ
 يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ . قَالَ : يُحْيِيكُمْ فِي الْقَبْرِ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ^(٧) .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) في ر : « وحين » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣/١ (٣٠٣) من طريق أبي جعفر به .

(٤) في ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « إحياء » .

(٥) في الأصل : « كقوله » .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣/١ (٣٠١) عن أبي زرعة ، عن منجاب به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٧/٥ إلى ابن مردويه .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣/١ عقب الأثر (٣٠١) معلقا .

وقال ابن كثير في تفسيره ٩٧/١ : هذا غريب .

وقال آخرون بما حدثنا به بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ ^(١) الآية . قال : كانوا أمواتاً ^(٢) فى أضلوبة ^(٣) آبائهم ، فأحياهم الله وخلقهم ، ثم أماتهم الموتة التى لا بد منها ، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما حياتان وموتتان .

وقال بعضهم بما حدثنى به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله : ﴿ رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ قال : خلقهم الله من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق ^(٤) . وقرأ : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) . حتى بلغ : ﴿ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣] . قال : فكسبهم العقل وأخذ عليهم الميثاق . قال : وانتزع ضلعاً من أضلاع آدم القصيرى ^(٥) ، فخلق منه حواء . ذكره عن النبى ﷺ . قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا ۖ ٢٧ ﴾ [النساء : ١] . قال : بث منهما ^(٥) بعد ذلك فى الأرحام خلقاً كثيراً . وقرأ : ﴿ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ [الزمر : ٦] . قال : خلقاً بعد ذلك . قال : فلما أخذ عليهم الميثاق أماتهم ، ثم خلقهم فى الأرحام ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يوم القيامة ، فذلك قول الله : ﴿ رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ۖ ٢٧ ﴾

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى ر ، م : « أضلاب » ، والصلب يجمع على أصلب وأضلاب .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٩٧ / ١ .

(٤) القصيرى : الضلع التى تلى الشاكلة ، وهى أسفل الأضلاع . التاج (ق ص ر) .

(٥) فى ص ، ر ، م : « فيهما » .

أَتَذَتَّبِينَ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ﴿٦٥﴾ . وقرأ قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء : ١٥٤ ، والأحزاب : ٧] . قال : يومئذ . قال : وقرأ قول الله : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [المائدة : ٧] .

قال أبو جعفر : ولكل قول من هذه الأقوال التي حكيناها عمن رَويناها عنه وجهٌ ومذهبٌ من التأويل . فأما وجهُ تأويلٍ من تأويل قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ . أى : لم تكونوا شيئاً . فإنه ذهب إلى نحو قول العرب للشئ الدَّارِسِ والأمرِ الخاملِ الذَّكْرِ : هذا شئٌ ميتٌ ، وهذا أمرٌ ميتٌ . يُرادُ بوصفه بالموتِ خمولُ ذكره ودروسُ أثره من الناس ، وكذلك يقالُ في ضدِّ ذلك وخلافه : هذا أمرٌ حيٌّ ، وذكُرَ حيٌّ . يُرادُ بوصفه بذلك أنه نايبةٌ مُتعالَمٌ فى الناس ، كما قال أبو نُخَيْلَةَ السَّعْدِيُّ ^(١) :

فأحييتُ ^(٢) لى ذِكْرِى وما كنتُ خاملاً ولكنَّ بعضَ الذَّكْرِ أنبئه من بعض

/يريدُ بقوله : فأحييتُ لى ذِكْرِى . أى : رفَعته وشَهَرته فى الناسِ حتى نُبّه فصار ١٨٨/١
مذكوراً حيّاً بعد أن كان خاملاً ميتاً .

فذلك ^(٣) تأويلُ قولٍ من تأويلٍ فى قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ : لم تكونوا شيئاً .
أى : كنتم تُحمولاً لا ذِكْرَ لكم ، وذلك كان ^(٤) موتكم ، ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ فجعلكم ^(٤)

(١) البيت فى طبقات ابن المعتز ص ٦٤ ، والمؤتلف والمختلف ص ٢٩٧ .

(٢) فى ص ، والمؤتلف والمختلف : « وأحييت » ، وفى ابن المعتز : « وأنبئت » .

(٣) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « فكذلك » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « موتهم فأحياهم فجعلهم » .

بَشَرًا أَحْيَاءَ^(١) تُذَكَّرُونَ وَتَعْرِفُونَ^(٢) ، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ ،
وإِعَادَتِكُمْ كَالَّذِي كُنْتُمْ قَبْلَ أَنْ يَحْيِيَكُمْ مِنْ دُرُوسِ ذِكْرِكُمْ ، وَتَعْقَى
آثَارِكُمْ ، وَتَحْمُولِ أُمُورِكُمْ ، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بِإِعَادَةِ أَجْسَامِكُمْ إِلَى هَيْئَاتِهَا ،
وَنَفْخِ الرُّوحِ فِيهَا ، وَتَضْيِيرِكُمْ بَشَرًا كَالَّذِي كُنْتُمْ قَبْلَ الْإِمَاتَةِ تَتَعَارَفُونَ فِي بَعْثِكُمْ
وَعِنْدَ حَشْرِكُمْ .

وَأَمَّا وَجْهُ تَأْوِيلِ مَنْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ أَنَّهُ الْإِمَاتَةُ الَّتِي هِيَ خُرُوجُ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ ،
فَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَهَبَ بِقَوْلِهِ : ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ . إِلَى أَنَّهُ خَطَابٌ لِأَهْلِ
الْقُبُورِ بَعْدَ إِحْيَائِهِمْ فِي قُبُورِهِمْ ، [٢٨/٢] وَذَلِكَ مَعْنَى بَعِيدٌ ؛ لِأَنَّ التَّوْبِيخَ
هِنَاكَ إِنَّمَا هُوَ تَوْبِيخٌ عَلَى مَا سَلَفَ وَفَرَطَ مِنْ إِجْرَائِهِمْ ، لَا اسْتِعْتَابَ
وَاسْتِرْجَاعَ . وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ
أَمْوَاتًا﴾ . تَوْبِيخٌ مُسْتَعْتَبٍ عِنْدَهُ^(٣) ، وَتَأْنِيْبٌ مُسْتَرْجِعٍ خَلْقَهُ مِنَ الْمَعَاصِي إِلَى
الطَّاعَةِ ، وَمِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْإِنَابَةِ ، وَلَا إِنَابَةَ فِي الْقُبُورِ بَعْدَ الْمَمَاتِ ، وَلَا تَوْبَةَ
فِيهَا بَعْدَ الْوَفَاةِ .

وَأَمَّا وَجْهُ تَأْوِيلِ قَوْلِ قَتَادَةَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَمْوَاتًا فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ . فَإِنَّهُ عَنَى
بِذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا نُطْفًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا ، فَكَانَتْ بِمَعْنَى سَائِرِ الْأَشْيَاءِ الْمَوَاتِ الَّتِي لَا
أَرْوَاحَ فِيهَا ، وَإِحْيَاؤُهُ إِيَّاهَا جَلَّ ذِكْرُهُ ؛ نَفْخُ الْأَرْوَاحِ فِيهَا ، وَإِمَاتَتُهُ إِيَّاهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ ؛
قَبْضُهُ أَرْوَاحَهُمْ ، وَإِحْيَاؤُهُ إِيَّاهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ نَفْخُ الْأَرْوَاحِ فِي أَجْسَامِهِمْ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي
الصُّورِ وَيُعْتَقُ الْخَلْقُ لِلْمَوْعِدِ .

وَأَمَّا ابْنُ زَيْدٍ فَقَدْ أَبَانَ عَنْ نَفْسِهِ مَا قَصَدَ بِتَأْوِيلِهِ ذَلِكَ ، وَأَنَّ الْإِمَاتَةَ الْأُولَى

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ : « يَذْكُرُونَ وَيَعْرِفُونَ » .

(٢) فِي م : « عِبَادَهُ » .

عنده^(١) إعادةُ الله جلّ ثناؤه عباده في أصلابِ آبائهم بعدما أخذهم من صُلبِ آدم ، وأن الإحياءَ الآخرَ هو نفخُ الأرواحِ فيهم في بطونِ أمهاتهم ، وأن الإماتةَ الثانيةَ هي قبضُ أرواحهم للعودِ إلى الترابِ ، والمصيرُ في البرزخِ إلى يومِ البعثِ ، وأن الإحياءَ الثالثَ هو نفخُ الأرواحِ فيهم لبعثِ الساعةِ ونشرِ القيامةِ . وهذا تأويلٌ إذا تدبَّرَ المتدبِّرُ وجده خِلافًا لظاهرِ قولِ الله الذي زعم مفسِّره أن الذي وصَفنا من قوله تفسيره ، وذلك أن الله جلّ ذكره أخبر في كتابه عن الذين أخبر عنهم من خلقه أنهم قالوا : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا وَأَحْيَيْتَنَا أَتَلَّتَيْنِ ﴾ . وزعم ابنُ زيد أن^(٢) تفسيره أن الله أحياهم ثلاثَ إحياءاتٍ ، وأماتهم ثلاثَ إماتاتٍ .

قال أبو جعفر : والأمرُ عندنا وإن كان في ما وصف من استخراجِ الله جلّ ثناؤه من صُلبِ آدم ذريته ، وأخذه ميثاقه عليهم ، كما وصف ، فليس ذلك من تأويلِ هاتين الآيتين - أعنى قوله : ﴿ كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ الآية . وقوله : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا وَأَحْيَيْتَنَا أَتَلَّتَيْنِ ﴾ - في شيء ؛ لأن أحدًا لم يدَّع أن الله أمات من ذرأ يومئذٍ غيرَ الإماتة التي صار [٢٨/٢] بها في البرزخِ إلى البعثِ ، فيكون جائزًا أن يوجَّه تأويلُ الآية إلى ما وجَّهه إليه ابنُ زيد .

/ وقال بعضهم : الموتة الأولى مُفارقةُ نُطفةِ الرجلِ جسده إلى رحمِ المرأةِ ، فهي ١٨٩/١ ميتةٌ من لدُنْ فراقِها جسده إلى نفخِ الروحِ فيها ، ثم يُحييها الله بنفخِ الروحِ فيها فيجعلها بشرًا سويًّا بعدَ تاراتٍ تأتي عليها ، ثم يُميتُها المِيتةَ الثانيةَ بقبضِ الروحِ منه ، فهو في البرزخِ ميتٌ إلى يومٍ يُنفَخُ في الصورِ ، فيزُدُّ في جسده روحه ، فيعودُ حيًّا سويًّا لبعثِ القيامةِ ، فذلك موتتان وحياتان .

(١) في م : « عند » .

(٢) في م : « في » .

وإنما دعًا هؤلاء إلى هذا القول لأنهم قالوا : موث ذى الروح مفارقة الروح إياه .
 فرغموا أن كل شيء من ابن آدم حتى ما لم يفارق جسده الحي ذا الروح ، فكل ما
 فارق جسده الحي ذا الروح ، فارقه "الروح" الحياة فصار ميتا ، كالعضو من
 أعضائه ؛ مثل اليد من يديه أو الرجل من رجله ، لو قُطعت فأُيِّنَتْ ، والمقطوع ذلك
 منه حتى ، كان الذى بان من جسده ميتا لا روح فيه بفراقه سائر جسده الذى فيه
 الروح . قالوا : فكذلك نطفته حية بحياته ، ما لم تفارق جسده ذا الروح ، فإذا فارقه
 مُبَايَنَةٌ له صارت ميتة ، نظير ما وصفنا من حكم اليد والرجل وسائر أعضائه ، وهذا
 قولٌ ووجهٌ من التأويل لو كان من أقوال أهل القدوة الذين يُرتضى للقرآن تأويلهم .

وأولى ما ذكرنا من الأقوال التى يبتأويل قول الله جل ثناؤه : ﴿ كَيْفَ
 تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ الآية . القول الذى ذكرناه عن ابن
 مسعود ، وعن ابن عباس ، من أن معنى قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ . أموات
 الذكري ، خمولاً فى أصلاب آبائكم ، نطفة لا تعرفون ولا تذكرون ، فأحياكم
 بإنشاءكم بشراً سوياً ، حتى ذُكرتم وعُرفتم وحيثم ، ثم يميتكم بقبض أرواحكم
 وإعادتكم رُفَاتاً ، لا تعرفون ولا تذكرون فى البرزخ إلى يوم تُبعثون ، ثم يُحييكم بعد
 ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة ، ثم إلى الله تُرجعون بعد
 ذلك ، كما قال : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ لأن الله جل ثناؤه يُحييهم فى قبورهم قبل
 حشرهم ، ثم يحشرهم لموقف الحساب ، كما قال جل ذكره ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ
 الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ [المعارج : ٤٣] . وقال : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا
 هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [يس : ٥١] .

والعلة التى من أجلها [٢٩/٢] اخترنا هذا التأويل ، ما قدّمنا ذكره للقائلين به ،

وفساد ما خالفه بما قد أوضحنه قبل .

وهذه الآية توبيخ من الله جل ثناؤه للقائلين : ﴿ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرًا فَلا تَمُوتُوا وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَلِكِينَ ﴾ . الذين أخبر الله عنهم أنهم مع قِيلِهِمْ ذلك بأفواههم ، غير مؤمنين به ، وأنهم إنما يقولون ذلك خِداً على الله وللمؤمنين ، فعَذَلَهُمُ اللهُ بقوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ . ووبَّخَهُمْ واحتجَّ عليهم في نكيرهم ما أنكروا من ذلك ، وجُحودهم ما جحدوا بقلوبهم المريضة ، فقال : كيف تكفرون بالله فتجحدون قدرته على إحيائكم بعد إماتتكم ^(١) لبُعْثِ القيامة ، ومجازاة المسىء منكم بالإساءة ، والمحسن بالإحسان ، وقد كنتم نطفًا أمواتًا في أصلاب آبائكم ، فأنشأتكم ^(٢) خلقًا سويًا ، وجعلتكم ^(٣) بشرًا أحياء ، ثم أمتكم ^(٤) بعد إنشאתكم ، فقد علمتم أن من فعل ذلك بقدرته ، غير معجزه - بالقدرة التي فعل ذلك بكم - إحيائكم بعد إماتتكم ^(١) ، وإعادتكم بعد إفنائكم ، وحشركم إليه لمجازاتكم بأعمالكم .

^(٥) القول في تأويل قوله جل وعز : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾

قال أبو جعفر ^(٥) : ثم عدَّد ربُّنا عليهم ، وعلى أوليائهم من أحرار اليهود الذين جمع بين قصصهم وقصص المنافقين في كثير من آي هذه السورة التي افتتح الخبر

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٢) في ص : « فأنشأكم » .

(٣) في ص : « فجعلكم » .

(٤) في ص : « أماتكم » .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

عنهم فيها بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ - نَعَمَ التى سَلَفَتْ مِنْهُ إِلَيْهِمْ وَإِلَى آبَائِهِمْ ، التى عَظُمَتْ مِنْهُمْ مَوَاقِفُهَا ، ثُمَّ سَلَبُهُ ^(١) كَثِيرًا مِنْهُمْ كَثِيرًا مِنْهَا ، بِمَا رَكِبُوا مِنَ الْآثَامِ ، وَاجْتَرَمُوا مِنَ الْأَجْرَامِ ، وَخَالَفُوا مِنَ الطَّاعَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ ، / مُحَذَّرُهُمْ بِذَلِكَ تَعْجِيلَ الْعُقُوبَةِ لَهُمْ ، كَالْتِى ^(٢) ١٩٠/١

عَجَّلَهَا لِلْأَسْلَافِ وَالْأَفْرَاطِ قَبْلَهُمْ ، وَمَخَوْفَهُمْ حُلُولَ مِثْلَاتِهِ بِسَاحَتِهِمْ ، كَالَّذِى أَحَلَّ بِأَوَائِلِهِمْ ^(٣) ، وَمَعْرِفَهُمْ مَا لَهُمْ مِنَ النِّجَاحَةِ فِي سُرْعَةِ الْأَوْبَةِ إِلَيْهِ وَتَعْجِيلِ التَّوْبَةِ ؛ مِنْ الْخَلَاصِ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ [٢٩/٢ ظ] الْعِقَابِ . فَبَدَأَ بَعْدَ تَعْدِيدِهِ عَلَيْهِمْ مَا عَدَّدَ مِنْ نِعَمِهِ الَّتِى هُمْ فِيهَا مُقِيمُونَ بِذِكْرِ آبَائِنَا وَأَبِيهِمْ آدَمَ أَبَى الْبَشَرِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَمَا سَلَفَ مِنْهُ مِنْ كَرَامَتِهِ إِلَيْهِ وَآلَائِهِ لَدَيْهِ ، وَمَا أَحَلَّ بِهِ وَبَعْدُوهُ إِبْلِيسَ مِنْ عَاجِلِ عِقُوبَتِهِ بِمَعْصِيَتَيْهِمَا الَّتِى كَانَتَا مِنْهُمَا ، وَمَخَالَفَتَيْهِمَا أَمْرَهُ الَّذِى أَمَرَهُمَا بِهِ ، وَمَا كَانَ مِنْ تَغْمِيْدِهِ آدَمَ بِرَحْمَتِهِ إِذْ تَابَ وَأَنَابَ إِلَيْهِ ، وَمَا كَانَ مِنْ إِحْلَالِهِ بِإِبْلِيسَ مِنْ لَعْنَتِهِ فِي الْعَاجِلِ ، وَإِعْدَادِهِ لَهُ مَا أَعَدَّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ الْمَقِيمِ فِي الْآجِلِ ، إِذْ اسْتَكْبَرَ وَأَتَى التَّوْبَةَ إِلَيْهِ وَالْإِنَابَةَ ، مُنْبِهًا لَهُمْ عَلَى حُكْمِهِ فِي الْمُنْبِيِّينَ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ ، وَقَضَائِهِ فِي الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْ الْإِنَابَةِ ، إِعْذَارًا مِنَ اللَّهِ بِذَلِكَ إِلَيْهِمْ ، وَإِنْدَارًا لَهُمْ لِيَتَذَبَّرُوا آيَاتِهِ ، وَلِيَتَذَكَّرَ مِنْهُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ، وَخَاصًّا أَهْلَ الْكِتَابِ بِمَا ذَكَرَ مِنْ قِصَصِ آدَمَ وَسَائِرِ الْقِصَصِ الَّتِى ذَكَرَهَا مَعَهَا وَبَعْدَهَا ، مِمَّا عَلِمَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ وَجَهْلَتُهُ الْأُمَمُ الْأُمِيَّةُ مِنْ مُشْرِكِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ - بِالْإِحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ - دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَصْنَافِ الْأُمَمِ الَّذِينَ لَا عِلْمَ عَنْدهُمْ بِذَلِكَ - لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ لِيَعْلَمُوا بِإِخْبَارِهِ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ أَنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ مَبْعُوثٌ ، وَأَنَّهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ فَمِنْ عِنْدِهِ ، إِذْ كَانَ مَا اقْتَصَصَ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ مِنْ مَكْنُونٍ

(١) فى م : « سلب » .

(٢) فى الأصل : « كالذى » .

(٣) فى م : « بأوليهم » .

علومهم ، ومصون ما في كتبهم ، وخفي أمورهم ، التي لم يكن يدعى معرفة علمها غيرهم وغير من أخذ عنهم وقرأ كتبهم . وكان معلوماً من محمد ﷺ أنه لم يكن قط كاتباً ، ولا لأسفارهم تالياً ، ولا لأحد منهم مصاحباً ولا مجالساً ، فيمكنهم أن يدعوا أنه أخذ ذلك من كتبهم ، أو عن بعضهم ، فقال جل ذكره في تعديده عليهم ما هم فيه مقيمون من نعمه مع كفرهم به ، وتركهم شكره عليها بما يجب له عليهم من طاعته : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

فأخبرهم جل ذكره أنه خلق لهم ما في الأرض جميعاً ؛ لأن الأرض وجميع ما فيها لبنى آدم منافع ، أما في الدين فدليل^(١) على وحدانية ربهم^(٢) ، وأما في الدنيا فمعاش وبلاغ لهم^(٣) إلى طاعته ، وأداء فرائضه ، فلذلك قال جل ثناؤه : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ .

وقوله : ﴿ هُوَ ﴾ مكني^(٤) من اسم الله جل ذكره ، [٣٠/٢] عائد على اسمه في قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾ . ومعنى خلقه ما خلق جل ثناؤه ؛ إنشاؤه عينه ، وإخراجه من حال العدم إلى الوجود . و ﴿ مَا ﴾ بمعنى « الذي » ، فمعنى الكلام إذن : كيف تكفرون بالله وقد كنتم نطفاً في أصلاب آبائكم ، فجعلكم بشراً أحياء ، ثم يميتكم ، ثم هو محييكم بعد ذلك ، وباعثكم يوم الحشر للثواب

(١) بعده في الأصل : « له » .

(٢) في الأصل : « ربه » .

(٣) في ص : « له » .

(٤) إنما أطلق الكوفيون على الضمير : « المكنى » أو « الكناية » . لأنه يرمز به عن الظاهر اختصاراً ، فهو اسم كنى به عن اسم . ينظر معاني القرآن للفراء ٥/١ ، ١٩ ، ٥٠ ، وشرح الفصل ٣/١٨٤ ، وشرح الرضی ٩٣/٢ .

والعقاب ، وهو المنعم عليكم بما خلق لكم فى الأرض ، من معاشيكم وأدلتكم على وحدانية ربكم . و ﴿ كَيْفَ ﴾ بمعنى التعجب والتوبيخ ، لا بمعنى الاستفهام ، كأنه قال : ويحكمكم كيف تكفرون بالله ! كما قال : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير : ٢٦] . وحلّ قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ محلّ الحال ، وفيه ضمير^(١) « قد » ، ولكنها حذفت لما فى الكلام من الدليل عليها ، وذلك أن « فعل » إذا حلت محلّ الحال كان معلوما أنها مقتضية « قد » ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [النساء : ٩٠] يعنى : قد حصرت صدورهم . وكما تقول للرجل : أصبحت كثرت ماشيتك . تريد : قد كثرت ماشيتك .

وبنحو / ما قلنا فى قوله : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ ١٩١/١ كان قتادة يقول .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ : نَعَمْ وَاللَّهِ ، سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ^(٢) .

القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ .

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معنى ﴿ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ : أقبل عليها . كما تقول : كان فلان مقبلا على فلان ، ثم استوى علىّ يشاتمنى ، واستوى إلىّ يشاتمنى . يعنى : أقبل علىّ وإلىّ

(١) الضمير هنا بمعنى التقدير . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص ١٤١ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥/١ (٣٠٧) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة به . وعزاه السيوطى

فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى عبد بن حميد . وينظر تاريخ دمشق ٣٩٩/٧ .

يُشَاتَّمْنِي . واستشهد على أن معنى الاستواء بمعنى الإقبال بقول الشاعر^(١) :
أقول وقد قَطَعَنَ بنا شَرُورِي^(٢) سَوَامِدَ^(٣) واستَوَيْنَ مِنَ الضُّجُوعِ^(٤)
فرغم أنه عني به أنهم خرجن من الضُّجُوعِ ، وكان ذلك عنده بمعنى
« أَقْبَلْنَ » .

وهذا [ظ٣٠/٢] من التأويل في هذا البيت خطأً ، وإنما معنى قوله : واستوين من
الضُّجُوعِ - عندي - : استوين على الطريق من الضُّجُوعِ خارجاتٍ . بمعنى :
استقمن عليه^(٥) .

وقال بعضهم : لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحوّل ، ولكنه يعنى فعله ، كما
تقول : كان الخليفة في أهل العراق يؤاليهم ، ثم تحوّل إلى أهل الشام . إنما يريد تحوّل
فعله .

وقال بعضهم : قوله : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ يعنى : استوت به . كما قال
الشاعر :

أقول له لما استوى في تراه^(٦) على أي دين قتل الناس^(٧) مضعّب

(١) البيت لابن مقبل ، وهو في ديوانه ص ١٦٤ .

(٢) شروري : جبل بين العقق والمعين ، في طريق مكة إلى الكوفة ، وهي بين بني أسد وبني عامر . معجم ما
استعجم ٣/ ٧٩٤ ، والبيت فيه .

(٣) رواية الديوان ، ومعجم ما استعجم : « ثواني » . وسمدت الإبل : إذا جدت في السير . التاج
(س م د) .

(٤) الضُّجُوعِ : موضع بين بلاد هذيل وبلاد بني سليم . معجم ما استعجم ٣/ ٨٥٧ والبيت فيه .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) في ص : « ثراته » ، وفي ر : « تراه » .

(٧ - ٧) في م : « قبل الرأس » .

وقال بعضهم : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ : عمد لها . وقال : كلُّ تاركٍ عملاً كان فيه إلى آخر^(١) فهو مُستوي لما عمد له ومُستوي إليه .

وقال بعضهم : الاستواء هو العلوُّ ، والعلوُّ هو الارتفاعُ .

ومن قال ذلك الربيعُ بنُ أنسٍ ، حَدَّثْتُ بذلك عن عمارِ بنِ الحسينِ ، قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ يقولُ : ارتفع إلى السماءِ^(٢) .

ثم اختلف متأولوا الاستواء بمعنى العلوِّ والارتفاع في الذي استوى إلى السماء ؛ فقال بعضهم : الذي استوى إلى السماءِ وعلاً عليها خالقها ومُنشئها .

وقال بعضهم : بلِ العالِي إليها^(٣) الدخانُ الذي جعله اللَّهُ للأَرْضِ سماءً .

قال أبو جعفرٍ : والاستواءُ في كلامِ العربِ منصَرَفٌ على وجوه ؛ منها : انتهاءُ شبابِ الرجلِ وقوَّتِه ، فيقالُ إذا صارَ كذلك : قد استوى الرجلُ .

ومنها : استقامةُ ما كان فيه أودَّ^(٤) من الأمورِ والأسبابِ ، يقالُ منه : استوى لفلانٍ أمرُه : إذا استقامَ له بعدَ أودٍ^(٥) . ومنه قولُ الطِّرِمَاحِ بنِ حَكِيمٍ^(٦) :

طال على رسمٍ مُهَدِّدٍ أَبَدُهُ و عفا واشتوى به بَلَدُهُ

(١) في م : « آخره » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥/١ عقب الأثر (٣٠٨) من طريق ابن أبي جعفر به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٣/١ إلى المصنف عن أبي العالية . وستأتي بقيته في ص ٤٥٨ .

(٣) في ص : « عليها » .

(٤) الأود : الموج . ينظر التاج (أود) .

(٥) في الأصل : « درء » .

(٦) ديوانه ص ١٩٣ .

(٧) في الأصل : « ثم » .

يعنى : استقام به .

/ ومنها : الإقبال على الشيء بالفعل ، كما يقال : استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الإحسان إليه .

ومنها : ^(١) الاستيلاء والاحتواء^(٢) ، كقولهم : استوى فلان على المملكة .
بمعنى : احتوى عليها وحازها .

ومنها : العلو والارتفاع ، كقول القائل : استوى فلان على سريريه . يعنى به : علوه [٣١/٢] عليه .

قال أبو جعفر : وأولى المعانى بقول الله : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ : علا عليهن وارتفع ، فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سماوات .

والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب فى تأويل قول الله : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ الذى هو بمعنى العلو والارتفاع هرباً عند نفسه من أن يلزمه بزعمه - إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك - أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها ، إلى أن تأوله بالجهول من تأويله المستنكر^(٣) ، ثم لم ينبج مما هرب منه ، فيقال له : أرعمت أن تأويل قوله : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ﴾ : أقبل ، أفكان مُدْبِراً عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير . قيل له : فكذلك فقل^(٤) : علا عليها علو ملوك وسلطان لا علو انتقال وزوال . ثم لن يقول فى شيء من ذلك قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله . ولولا أننا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال فى ذلك قولاً لقول أهل الحق فيه مخالفاً ، وفيما بيننا منه ما يُشرف

(١ - ١) فى م : « الاحتياز والاستيلاء » .

(٢) فى ص : « المستكره » .

(٣) فى ر : « تقل » .

بذى الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله .

وإن قال لنا قائل : أخبرنا عن استواء الله جلّ وعز إلى السماء ، كان قبل خلق السماء أم بعده ؟

قيل : بعده ، وقبل أن يسويهن سبع سماوات ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت : ١١] .
فلاستواء كان بعد أن خلقها دخاناً ، وقبل أن يسويها سبع سماوات .

وقال بعضهم : إنما قال ^(١) : ﴿ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ولا سماء ، كقول الرجل لآخر : اعمل هذا الثوب . وإنما معه غزل .

وأما قوله : ﴿ فَسَوَّيْنَهُنَّ ﴾ . فإنه يعنى : هيأهنّ وخلقهن ودبرهن وقومهن .
والتسوية فى كلام العرب التقويم والإصلاح والتوطئة ، كما يقال : سوى فلان لفلان هذا الأمر . إذا قومه وأصلحه ووطأه له ، فكذلك تسوية الله جلّ وعز سماواته ، تقويمه إياهن على مشيئته ، وتديبره لهن على إرادته ، وتفتيقهن بعد ارتفاقهن ^(٢) .

كما حدثت عن عمار بن الحسين ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : ﴿ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ [٣١/٢] سَمَوَاتٍ ﴾ يقول : سوى خلقهن ، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(٣) .

وقال جلّ ذكره : ﴿ فَسَوَّيْنَهُنَّ ﴾ . فأخرج مكنيهن ^(٤) مخرج مكنى الجميع ،

(١) فى الأصل ، ر : « قيل » .

(٢) فى ص : « بتامتهن » ، وفى م : « ارتاقهن » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥/١ (٣١٠) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/١ إلى المصنف عن أبى العالية . وتقدم أوله فى ص ٤٥٦ .

(٤) فى ر : « مكنيهن » . والمكنى هو الضمير فى اصطلاح نحوى الكوفة . ينظر ص ٤٥٣ .

وقد قال قبل : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ فَأَخْرَجَهَا عَلَى تَقْدِيرِ الْوَاحِدِ ، وَإِنَّمَا أَخْرَجَ مَكْنِيَّهِنَّ مُخْرَجَ مَكْنَى الْجَمِيعِ ؛ لِأَنَّ السَّمَاءَ جَمْعٌ ، وَاحِدُهَا سَمَاوَةٌ ، فَتَقْدِيرُ وَاحِدَتِهَا وَجَمِيعِهَا إِذْنُ تَقْدِيرِ بَقْرَةٍ وَبَقْرٍ ، وَنَخْلَةٍ وَنَخْلٍ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَلِذَلِكَ أَثَبْتُ السَّمَاءَ مَرَّةً ، فَقِيلَ : هَذِهِ سَمَاءٌ . وَذُكِّرَتْ أُخْرَى ، فَقِيلَ : ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِئِذٍ﴾ [المزمل : ١٨] . كَمَا يُفَعَّلُ ذَلِكَ بِالْجَمِيعِ الَّذِي لَا فَوْقَ بَيْنِهِ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ غَيْرُ دُخُولِ الْهَاءِ وَخُرُوجِهَا ، فَيَقَالُ : هَذَا بَقْرٌ ، وَهَذِهِ بَقْرٌ ، وَهَذَا نَخْلٌ ، وَهَذِهِ نَخْلٌ . وَمَا أَشْبَهَ / ذَلِكَ .

١٩٣/١

وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَزْعُمُ أَنَّ السَّمَاءَ وَاحِدَةٌ ، غَيْرَ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى السَّمَاوَاتِ ، فَقِيلَ : ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾ . يُرَادُ بِذَلِكَ الَّتِي ذُكِّرَتْ وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ سَائِرِ السَّمَاوَاتِ الَّتِي لَمْ تُذَكَّرْ مَعَهَا . قَالَ : وَإِنَّمَا تُذَكَّرُ إِذَا ذُكِّرَتْ وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ ، فَيَقَالُ : ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِئِذٍ﴾ . كَمَا يُذَكَّرُ الْمُؤَنَّثُ ، وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ ^(١) :

فَلَا مُزْنَةٌ وَذَقْتُ وَذَقَهَا وَلَا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِيقَالَهَا
وَكَمَا قَالَ أَغْشَى بَنَى ثَعْلَبَةَ ^(٢) :

فَإِنَّمَا تَرَى لِمَتِي بُدِّلَتْ فَإِنَّ الْخَوَادِثَ أَزْرَى بِهَا
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : السَّمَاءُ وَإِنْ كَانَتْ سَمَاءً فَوْقَ سَمَاءٍ ، وَأَرْضًا فَوْقَ أَرْضٍ ، فَهِيَ فِي التَّأْوِيلِ وَاحِدَةٌ إِنْ شِئْتَ ، ثُمَّ تَكُونُ تِلْكَ الْوَاحِدَةُ جَمَاعًا ، كَمَا يَقَالُ : ثَوْبٌ

(١) البيت لعامر بن جوين الطائي ، وهو في الكتاب ٤٦/٢ ، والخزانة ٤٥/١ .

(٢) ديوانه ١٧١ ، وروايته :

فإن تعهدني ولي لمة فإن الخواث ألوى بها

أَخْلَقَ وَأَسْمَالَ^(١)، وَبُؤْمَةً أَعْشَارَ^(٢). لِلْمُتَكَسِّرَةِ، وَبُؤْمَةً أَكْسَارَ وَأَجْبَارَ. وَأَخْلَقَ، أَى أَنَّ نَوَاحِيَهُ أَخْلَقَ.

فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : فَإِنَّكَ^(٣) قَدْ قُلْتَ : إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دَخَانٌ قَبْلَ أَنْ يَسَوِّيَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ثُمَّ سَوَّاهَا سَبْعًا^(٤) بَعْدَ اسْتَوَائِهِ إِلَيْهَا^(٥)، فَكَيْفَ زَعَمْتَ أَنَّهَا جَمَاعٌ ؟

قِيلَ : إِنَّهُمْ كُنُّ سَبْعًا غَيْرَ مُسْتَوِيَاتٍ، فَلِذَلِكَ^(٥) قَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ : فَسَوَّاهُنَّ سَبْعًا.

كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : كَانَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ النُّورَ [٣٢/٢] وَالظُّلْمَةَ، ثُمَّ مَيَّرَ بَيْنَهُمَا فَجَعَلَ الظُّلْمَةَ لَيْلًا أَسْوَدَ مُظْلَمًا، وَجَعَلَ النُّورَ نَهَارًا مُضِيئًا مُبْصِرًا، ثُمَّ سَمَكَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ مِنْ دَخَانٍ، يُقَالُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - : مِنْ دَخَانِ الْمَاءِ. حَتَّى اسْتَقْلَلْنَ وَلَمْ يُخْبِكُنْ، وَقَدْ أَغْطَشَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا، فَجَرَى فِيهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَيْسَ فِيهَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ وَلَا نَجْمٌ، ثُمَّ دَخَا الْأَرْضَ فَأَرْسَاهَا بِالْجِبَالِ، وَقَدَّرَ فِيهَا الْأَقْوَاتَ، وَبَثَّ فِيهَا مَا أَرَادَ مِنَ الْخَلْقِ، فَفَرَّغَ مِنَ الْأَرْضِ وَمَا قَدَّرَ فِيهَا مِنْ أَقْوَاتِهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دَخَانٌ، كَمَا قَالَ، فَجَبَّكَهِنَّ، وَجَعَلَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا شَمْسَهَا وَقَمَرَهَا وَنَجْمَهَا، وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا،

(١) ثوب أخلاق : من قولهم : خلق الثوب. أى بلى كله. وأسمال من : سمل الثوب سمولا وسمولة : أخلق. التاج (خ ل ق ، س م ل).

(٢) أى : مكسرة على عشر قطع. ينظر التاج (ع ش ر).

(٣) سقط من : ص ، ر .

(٤ - ٥) فى ص : « فقد استوى به إليها ».

(٥) فى ص : « فكذلك ».

فَأَكْمَلَ خَلْقَهُمْ فِي يَوْمَيْنِ ، فَفَرَّغَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : ﴿ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ لِمَا أَرَدْتُ ^(١) بَكَمَا ، فَاطْمَئِنَّا عَلَيْهِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ ^(٢) .

فقد أخبر ابنُ إسحاق أن الله تعالى ذكره استوى إلى السماء بعد خلقه الأرض وما فيها وهنَّ سبعٌ من دخانٍ ، فسَوَّاهُنَّ كما وصف .

وإنما استشهدنا لقولنا الذي قلنا في ذلك بقول ابنِ إسحاق ؛ لأنه أوضح بياناً عن خبر ^(٣) السماوات أنهنَّ كنَّ سبعاً من دخانٍ قبلَ استواءِ ربِّنا إليها لتسويتها ^(٤) - من غيره ، وأحسنُ شرحاً لما أردنا الاستدلالَ به ، من أن معنى السماء التي قال تعالى ذكره فيها : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ بمعنى الجمعِ على ما وصفنا ، وأنه إنما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ فَسَوَّاهُنَّ ﴾ . إذ كانت السماء بمعنى الجمع ، على ما بينا .

فإن قال لنا قائلٌ : فما صِفةُ تسويةِ الله السماوات التي ذكرها في قوله : ﴿ فَسَوَّاهُنَّ ﴾ . إذ كنَّ قد كنَّ خُلِقْنَ سبعاً قبلَ تسويته إياهنَّ ؟ وما وجهُ ذكرِ خلقهنَّ بعد ذكرِ خلقِ الأرض ، ألا أنها ^(٥) خُلِقَتْ قبلها أم لمعنى ^(٦) غير ذلك ؟

قيل : قد ذكرنا ذلك في الخبر الذي رَوَيْنَاهُ عن ابنِ إسحاق ، ونزيد ذلك توكيداً بما نضُمُّ إليه من أخبارِ بعضِ السلفِ المتقدمين وأقوالهم .

(١) في الأصل : « أردته » .

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ٣٤١/١ إلى قوله : مبصراً . وينظر تفسير الآيات ٩ - ١٢ من سورة فصلت .

(٣) في ص : « خلق » .

(٤) في ص ، ر ، م : « بتسويتها » .

(٥) في ص : « لا أنها » ، وفي ر : « لأنها » .

(٦) في ص ، م : « بمعنى » .

/ فحدّثني موسى بن هارون ، قال : حدّثنا عمرو بن حماد ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السديّ في خير ذكره عن [٣٢/٢] أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ۚ ۞ ﴾ . قال : إن الله تعالى ذكره كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء ، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء ^(١) دخاناً ، فارتفع فوق الماء فسما عليه ، فسماه سماء ، ثم أيس الماء فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعل سبع أرضين في يومين ، في الأحد والاثنين ، فخلق الأرض على حوت ، والحوث هو النون الذي ذكر الله في القرآن : ﴿ تَٰبَ وَأَلْقَمَ ۚ ۞ [القلم : ١] . والحوث في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة في الريح - وهي الصخرة التي ذكر لقمان ^(٢) - ليست في السماء ولا في الأرض ، فتحرّك الحوث فاضطرب ، فتزلزلت الأرض ، فأرسي عليها الجبال فقرّت ، فالجبال تفخر على الأرض ، وذلك قوله : ﴿ وَاللّٰقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَبْعَدَ بَيْتَكُمْ ۚ ۞ [النحل : ١٥] . وخلق الجبال فيها ، وأقوات أهلها ، وشجرها ، وما ينبغي لها في يومين ؛ في الثلاثاء والأربعاء ، وذلك حين يقول : ﴿ آيَتَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ ٩ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا ۚ ۞ . يقول : أنبت شجرها . ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ۚ ۞ . يقول :

(١) في ص : « النار » .

(٢) يشير إلى الآية ١٦ من سورة لقمان .

(٣ - ٣) في النسخ ، والتوحيد ، وتفسير ابن أبي حاتم ، والدر المنثور : « وجعل لها » ، والمثبت هو صواب

تلاوة الآية ، وهي كذلك في تاريخ المصنف .

أَقْوَاتَهَا لِأَهْلِهَا . ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ﴾ . يقول : ^(١) « مَنْ سَأَلَ فَهَكَذَا الْأَمْرُ . ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت : ٩ - ١١] . وكان ذلك الدخان من تَنْفُسِ الْمَاءِ حِينَ تَنْفَسُ ، فَجَعَلَهَا سَمَاءً وَاحِدَةً ، ثُمَّ فَتَقَهَا فَجَعَلَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ؛ فِي الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ لِأَنَّهُ جُمِعَ فِيهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ . قال : خَلَقَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ خَلْقَهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْخَلْقِ الَّذِي فِيهَا ، مِنَ الْبَحَارِ وَجِبَالِ الْبَرِّ وَمَا لَا يُعْلَمُ ، ثُمَّ زَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالْكَوَاكِبِ ، فَجَعَلَهَا زِينَةً وَحِفْظًا تَحْفَظُ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، فَلَمَّا قَرَعَ مِنْ خَلْقِ مَا أَحَبَّ ، اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الأعراف : ٥٤ ، يونس : ٣ ، هود : ٧] . يقول : ﴿ كَانَنَا رَتَقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ ^(٢) [الأنبياء : ٣٠] .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، [٣٣/٢] قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ . قال : خَلَقَ الْأَرْضَ قَبْلَ السَّمَاءِ ، فَلَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ ثَارَ مِنْهَا دُخَانٌ ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ . قال : بَعْضُهُنَّ فَوْقَ بَعْضٍ ، وَسَبْعُ أَرْضِينَ بَعْضُهُنَّ تَحْتَ ^(٣)

(١ - ١) في م : « قُلْ لِمَنْ يَسْأَلُكَ هَكَذَا » .

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ١/٥٢، ٥٣ عن موسى وغيره ، عن عمرو به ، إلى آية سورة النحل . وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد ص ٢٤٣ ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٠٧) من طريق عمرو به .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٧٤ (٣٠٦) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي من قوله .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/٤٣، ٤٢ إلى ابن المنذر .

(٣) في ر : « فَوْق » .

بعض^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ قَالَ : بَعْضُهُنَّ فَوْقَ بَعْضٍ ، بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ مِنْ مَسِيرَةٍ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ حَيْثُ ذَكَرَ خَلْقَ الْأَرْضِ قَبْلَ السَّمَاءِ ، ١٩٥/١ ثُمَّ ذَكَرَ السَّمَاءَ قَبْلَ الْأَرْضِ - : وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ / خَلَقَ الْأَرْضَ بِأَقْوَاتِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْخُوهَا قَبْلَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [النازعات : ٣٠] .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو مُعْشَرَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ بَدَأَ الْخَلْقَ يَوْمَ الْأَحَدِ ، فَخَلَقَ الْأَرْضَ فِي الْأَحَدِ وَالْاِثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ الْأَقْوَاتِ وَالرَّوَابِىَ فِي الثَّلَاثَةِ وَالْأَرْبَعَاءِ ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ فِي الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ ، وَفَرَّغَ فِي آخِرِ سَاعَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، فَخَلَقَ فِيهَا آدَمَ عَلَى عَجَلٍ ، فَتِلْكَ السَّاعَةُ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا السَّاعَةُ^(٣) .

(١) تفسير عبد الرزاق - كما في الدر المنثور ٤٢/١ - وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥/١ (٣١١) ، وأبو

الشيخ في العظمة (٨٨٥) من طريق الحسن بن يحيى به .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/١ إلى المصنف وعبد الرزاق .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ٤٤/١ ، ٥٤ ، ٥٥ مفرقا .

فمعنى الكلام إذن : هو الذى أنعم عليكم ، فخلق لكم ما فى الأرض جميعاً ، وسخره لكم ، تفضلاً منه بذلك عليكم ؛ ليكون لكم بلاغاً فى دنياكم ، ومتاعاً إلى موافاة آجالكم ، ودليلاً لكم على وحدانية ربكم ، ثم علا إلى السماوات السبع وهن دخان ، فسواهن وحبكهن ، وأجرى فى بعضهن ^(١) ^(٢) شمسه وقمره ونجومه ^(٣) ، وقدر فى كل واحدة منهن ما قدر من خلقه .

[٣٣/٢] القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٩) .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَهُوَ ﴾ نفسه ، وبقوله : ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أن الذى خلقكم وخلق لكم ما فى الأرض جميعاً ، وسوى السماوات السبع بما فيها ، فأحكمهن من دخان الماء وأتقن ^(٣) صنعهن ، لا يخفى عليه أيها المنافقون والملحدون والكافرون به من ^(٤) أهل الكتاب - ما تُبدون وما تكتمون فى أنفسكم ، وإن أبدى منافقوكم بألسنتهم قولهم : ﴿ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا الْآخِرُ ﴾ . وهم على التكذيب به مُنطَوون ، وكذبت أخباركم ^(٥) بما أتاهم به رسولى من الهدى والنور ، ^(٦) وهم ^(٦) بصحته عارفون ، وجحدوا ^(٧) وكنتموا ما

= وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٨٨٤) من طريق محمد بن بكير ، عن أبى معشر به .

وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٨١١) من طريق ابن أبى ذئب ، عن سعيد بن أبى سعيد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن سلام . وأخرج أحمد ٥/ ٤٥٠ (اليمينية) آخره من طريق آخر عن عبد الله بن سلام .

(١) فى الأصل ، ص : « بعضها » .

(٢ - ٣) فى الأصل : « شمسها وقمرها ونجومها » .

(٣) فى ت ١ : « أيقن » .

(٤) فى ص : « و » .

(٥) فى ص : « أخبارهم » .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) الأصل ، ر : « جحدوه » .

قد أَخَذْتُ عَلَيْهِمْ تَبَيَّانَهُ^(١) لَخَلَقِي مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتُبُوتِهِ^(٢) - المَوَائِقَ ، وَهُمْ بِهِ عَالِمُونَ ، بَلْ أَنَا عَالَمٌ بِذَلِكَ^(٣) مِنْ أَمْرِكُمْ^(٤) وَغَيْرِهِ مِنْ أُمُورِكُمْ وَأُمُورٍ غَيْرِكُمْ ؛ أَيْ^(٥) بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

وقوله : ﴿ عَلِيمٌ ﴾ . بمعنى عالم . ورُوي عن ابن عباس أنه كان يقول : هو الذي قد كَمَّلَ في علمه .

حدَّثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قال : حَدَّثَنِي معاويةُ ابنُ صالحٍ ، عن عليِّ بن أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : العالمُ الذي قد كَمَّلَ في علمه^(٥) .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ .

زَعَمَ بعضُ المنسويين إلى العلمِ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ^(٦) أَنْ تَأْوِيلَ قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ : وقال ربُّك . وَأَنَّ ﴿ إِذْ ﴾ من الحروفِ الزَّوائِدِ ، وأن معناها الحذفُ . واعتلَّ لقوله الذي وَصَفْنَا عَنْهُ فِي ذَلِكَ بَيْتِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَغْفَرُ^(٧) :

فَإِذَا وَذَلِكَ لَا مَهَاةَ لِدِكْرِهِ والدهرُ يُغَقِّبُ صَالِحًا بِفَسَادِ

(١) في م : « بَيَّانُهُ » .

(٢) - ٢) سقط من : ص .

(٣) - ٣) سقط من : م .

(٤) في ص ، ر ، م : « إِنِّي » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في مجموع الفتاوى ١٧/٢٢٠ - من طريق عبد الله بن صالح به . وينظر تفسير ابن كثير ٨/٥٤٧ .

(٦) هو أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/٣٦ ، ٣٧ .

(٧) البيت في المفضليات ، ص ٢٢٠ ، واللسان (م ه ه) .

/ ثم قال : ومعناها : وذلك لا مَهَاةَ لِذِكْرِهِ . وَبَيْتِ عَبْدٍ مِنْافٍ بِنِ رِيعٍ ^(١) ١٩٦/١
الْهُذَلِيُّ ^(٢) :

حتى إذا أَسْلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ ^(٣) سَلًا ^(٤) كما تَطْرُدُ الْجَمَالَ ^(٥) الشُّرُودَا ^(٦)
[٣٤/٢] وقال : معناه : حتى أَسْلَكُوهُمْ .

قال أبو جعفر : والأمر في ذلك بخلاف ما قال ، وذلك أن «إِذْ» ^(٧) حرفٌ يأتي بمعنى الجزاء ، وَيَذُلُّ على مجهولٍ من الوقت ، وغيرُ جائزٍ إبطالُ حرفٍ كان دليلاً على معنى ^(٨) في الكلام ^(٩) . إذ سواءٌ قيلُ قائلٍ : هو بمعنى البُطُولِ ^(٩) ، ^(٨) وهو ^(٨) في الكلام دليلٌ على معنى مفهوم . وقيلُ آخرُ في جميعِ الكلامِ الذي نطَقَ به دليلاً على ما أريدُ به : هو بمعنى البُطُولِ ^(٩) .

وليس ^(١٠) لما ادَّعى ^(١٠) الذي وَصَفْنَا قَوْلَهُ ^(١١) - في بيتِ الأسودِ بنِ يَعْفَرٍ ، أن «إِذَا» ^(١٢) بمعنى البُطُولِ ^(٩) - وجهٌ مفهومٌ ؛ بل ذلك لو حُذِفَ من الكلامِ لَبَطَلَ المعنى

(١) في ت ١ ، ت ٢ : « زريع » .

(٢) ديوان الهذليين ٤٢ / ٢ ، وسيأتي ٩ / ١٤ ، وفي الشعراء .

(٣) قتادة : جبل بين المنصرف والروحاء . معجم ما استعجم ٣ / ١٠٤٨ .

(٤) شل السائق الإبل سَلًا ؛ إذا طردها ، والشل : الطرد . التاج (ش ل ل) .

(٥) في ص : « الحمالة » ، والجمالة أصحاب الجمال .

(٦) شرد جمع شرود من قولهم : شرد الفرس أو البعير . إذا استعصى وذهب على وجهه . التاج (ش ر د) .

(٧) في ر ، ت ١ ، ت ٢ : « إذا » .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩) في م : « التطول » .

(١٠ - ١٠) في م : « المدعى » .

(١١) في ر : « في قوله » .

(١٢) في ت ٢ : « إذ » .

الذى أرادَه الأسودُ من قوله :

* فإذا وذلك لا مَهَاءَ لِذِكْرِهِ *

وذلك أنه أراد بقوله : فإذا^(١) : فإذا الذى نحن فيه وما قد مضى من عَيْشِنَا .
وأشار بقوله : ^(٢) وذلك^(٢) . إلى ما تقدّم وصفه من عيشه الذى كان فيه . لا مَهَاءَ
لِذِكْرِهِ ، يعنى : لا طَعَمَ له ولا فَضْلَ ؛ لإعقابِ الدهرِ صالح ذلك بفسادِ . وكذلك
معنى قول عبد مناف بن ربيع^(٣) :

حتى إذا أسلکوهم فى قُتائِدَةٍ شَلًّا^(٤)

لو أُسْقِطَ منه « إذا » بطل معنى الكلام ؛ لأن معناه : حتى إذا أسلکوهم
فى قُتائِدَةٍ سلکوا شَلًّا . فدل^(٥) قوله : أسلکوهم شَلًّا^(٤) . على معنى
المُحذوفِ ، فاستغنى عن ذكره بدلالة « إذا » عليه فحذف - كما قد ذكرنا
فيما مضى من كتابنا^(٦) - على ما تفعل العرب فى نظائر ذلك ، وكما قال
الْتَمِيزُ بْنُ تَوَلَبٍ^(٧) :

فإن المنيّة من يخشها فسوف تصادفه أينما

وهو يريد : أينما ذهب . وكما تقول العرب : أتيتك من قبل ومن بعد . تريد :

(١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٢ - ٢) فى ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « ذلك » .

(٣) فى ت ، ١ ، ت ٢ : « زريع » .

(٤) فى ت ، ١ ، ت ٢ : « سلا » .

(٥) فى ر : « فذلك » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ١١١ - ١١٢ ، ٣٤٤ .

(٧) البيت فى الصناعتين ١٨٣ ، والخزانة ١٠١/١١ وشرح التصريح ٢٠٣/٢ .

من قبل ذلك ومن بعد ذلك . فكذلك ذلك في «إذا» ، كما يقول القائل : إذا
أكرمك أخوك فأكرمه ، وإذا لا فلا . يريد : وإذا لم يُكرمك ^(١) فلا تُكرمه . ومن ذلك
قول الآخر ^(٢) .

فإذا وذلك لا يضرك ضره ^(٣) في يوم أسأل ^(٤) نائلاً أو أنكدًا
نظير ما ذكرنا من المعنى في بيت الأسود بن يعفر . وكذلك معنى قول الله
تعالى ذكره : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ﴾ . لو أُبطلت «إذ» وحذفت من
الكلام ، لاستحال عن ^(٥) معناه الذى هو به وفيه «إذ» .

فإن قال قائل : فما معنى ذلك ، وما الجالب لـ «إذ» ، إذا ^(٦) لم يكن فى
الكلام قبله ما يُعطف به عليه ؟

قيل له : قد ذكرنا فيما مضى أن الله تعالى ذكره [٣٤/٢] خاطب الذين
خاطبهم بقوله : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ . بهذه الآيات والى
بعدها مؤيِّخهم ومُقبِّحاً إليهم سوءَ فعَالِهِمْ ومُقامِهِمْ على ضلالِهِمْ مع النعم التى
أنعمها عليهم وعلى أسلافِهِمْ ، ومُذَكِّرُهُمْ - بتعددِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ وعلى أسلافِهِمْ -
بأنه أن يسلكوا سبيلَ مَنْ هلك من أسلافِهِمْ فى معصيته ، فيسلكَ بهم سبيلَهُمْ ^(٧) فى

(١) فى ت ١ : « يكن معك » .

(٢) التبيان ١ / ١٣١ .

(٣) فى ص ، والتبيان : « ضرة » ، وفى ر : « ضيرة » .

(٤) فى ص ، م : « أئل » .

(٥) فى ت ١ ، ت ٢ : « من » .

(٦) فى ص ، م : « إذ » .

(٧) فى ت ١ : « سبيله » .

عقوبته ، ومُعْرِفَهُمْ ما كان منه من تعطفه على التائب منهم ، استعتاباً منه لهم ، فكان
 ١٩٧/١ مما عَدَّدَ من نِعَمِهِ عليهم ، أنه خلق لهم ما فى الأرض / جميعاً ، وسَخَّرَ لهم ما فى
 السماوات ؛ من شمسها وقمرها ونجومها وغير ذلك من منافعها التى جعلها لهم
 ولسائر بنى آدم معهم منافع ، فكان فى قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ
 أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ . معنى ^(١) :
 اذكروا نعمتى ^(٢) عليكم إذ خلقتكم ولم تكونوا شيئاً ، وخلقْتُ لكم ما فى الأرض
 جميعاً ، وسوَّيتُ لكم ما فى السماء . ثم عطف بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ على
 المعنى المقتضى بقوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾ إذ كَانَ مُقتضياً ما وصفتُ من
 قوله : اذكروا نعمتى إذ فعلتُ بكم وفعلتُ ، واذكروا فِعلِي بأبيكم آدم ، إذ قلتُ
 للملائكة : إني جاعلٌ فى الأرض خليفةً .

فإن قال قائلٌ : فهل لذلك من نظيرٍ فى كلام العرب نعلمُ به صحة ما
 قلتُ ؟

قيل : نعم ، أكثرُ من أن يُحصَى ، من ذلك قولُ الشاعر ^(٣) :

أَجِدُّكَ لَنْ تَرَى بُتْعِيلِيَّاتٍ ^(٤) وَلَا بَيْدَانَ ^(٥) نَاجِيَةً ^(٦) دُمُولًا ^(٧)

(١) فى ر : « معناه » .

(٢) بعده فى م : « التى أنعمت » .

(٣) البيتان للمرار بن سعيد الفقعسى ، وهما فى مجالس ثعلب ١/١٥٩ ، واللسان (ب ي د ، ن ش غ ، ط ف ل) .

(٤) فى ص : « بتعيلنات » . وتعييلات تصغير جمع ثعلبة : موضع . معجم البلدان ١/٩٢٧ .

(٥) بيدان : جبل أحمر مستطيل من أخيلة حمى ضربة . معجم البلدان ١/٧٨٣ .

(٦) الناجية : الناقة السريعة . التاج (ن ج و) .

(٧) الذميل : ضرب من سير الإبل ، وقيل : هو السير اللين ما كان ، وقيل : هو فوق العنق . اللسان

(ذ م ل) .

ولا متدارك^(١) والشمس طفلاً ببعض نواشغ^(٢) الوادى حُمُولاً
فقال : ولا مُتَدَارِك . ولم يتقدّمه فعلٌ بلفظه يُعْطَفُ^(٣) به عليه ، ولا حرفٌ
مُعَرَّبٌ لإعرابه فيُردُّ « متدارك » عليه فى إعرابه ، ولكنه لما تقدّمه فعلٌ مجحودٌ
بـ « لن »^(٤) يَدُلُّ على المعنى المطلوب فى الكلام من^(٥) المحذوف ، استغنى بدلالة ما
ظَهَرَ منه عن إظهار ما حذِف ، وعامل الكلام فى المعنى والإعراب معاملته أن^(٦) لو
كان ما هو محذوفٌ منه ظاهراً ؛ لأن قوله :

* أَجِدُّكَ لَنْ تَرَى بُشَعِيلِيَّاتِ *

معناه : أَجِدُّكَ لَسْتَ بِرَأٍ . فردَّ « مُتَدَارِكاً » على موضع « تَرَى » ، كأن
« لست » والباء^(٧) موجودتان فى الكلام . فكذلك قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ .
لما سَلَفَ قبله تذكيرُ الله جلّ وعزّ المخاطبين به ما سَلَفَ قبلهم وقيلَ آبائهم من
آياديه وآلائه ، وكان قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ [٣٥/٢] لِلْمَلَائِكَةِ مع ما بعده
من النِّعَمِ التى عدّدها عليهم ، ونَبَّههم على مواقعها - ردَّ « إِذْ » على موضع
﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ . لأن معنى ذلك : اذكُروا هذه من نِعْمى^(٨) ،
وهذه التى قلتُ فيها للملائكة . فلمّا كانت الأولى مُقتضية « إِذْ » ، عطِفَ

(١) فى اللسان : « متلاقياً » .

(٢) النواشغ : مجارى الماء فى الوادى . التاج (ن ش غ) .

(٣) فى ر : « يفعلهُ » .

(٤) فى ص ، ت ، ١ ، ت ٢ : « بأن » .

(٥) فى م : « وعلى » .

(٦) فى ص : « إِذْ » .

(٧) فى ر ، ت ، ١ ، ت ٢ : « الياء » .

(٨) فى ص : « نعمتى » .

(١) بـ «إذ»^(١) على موضعها في الأولى ، كما وصّفنا من فِعْلٍ^(٢) الشاعر في : ولا مُتَدَارِك .

القول في تأويل قوله جلّ وعزّ: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ .

والملائكة جمعُ مَلَكٍ^(٣) ، غير أن أحدهم بغير الهمز أكثر وأشهر في كلام العرب منه بالهمز ، وذلك أنهم يقولون في واحدٍهم : مَلَكٌ من الملائكة . فيحذفون الهمز منه ، ويُحرّكون اللام التي كانت مُسَكَّنَةً لو هُمَزَ الاسمُ ، وإنما يُحرّكونها بالفتح لأنهم ينقلون حركةَ الهمزة التي فيه بسقوطها^(٤) إلى الحرف الساكن قبلها ، فإذا جمَعوا واحدَهم رُدُّوه^(٥) في^(٦) الجمع إلى الأصل^(٧) وهَمَزُوا^(٧) ، فقالوا : ملائكةٌ . وقد تفعل العرب نحو ذلك كثيراً في كلامها ، فتترك الهمز في الكلمة التي هي مهموزة فيجرى كلامهم بترك همزها في حالٍ ، وبهمزها في أخرى ، كقولهم : رأيتُ فلاناً . فجرى كلامهم بهمز في حالٍ ، ثم قالوا : نرى / وترى ويرى . فجرى كلامهم في « يفعل » ونظائرها بترك الهمز ، حتى صار الهمز معها شاذاً ، مع كون الهمز فيها أصلاً . فكَذلك ذلك في « مَلَكٌ وملائكة » ، جرى كلامهم بترك الهمز من واحدٍهم ، وبالهمز

(١ - ١) في م : « إذ » .

(٢) في م : « قول » .

(٣) في ص ، ر ، م : « ملك » .

(٤) في ص : « فسقطها » ، وفي ر : « لسقوطها » .

(٥) في ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « ردوا » .

(٦) سقط من : ص ، م .

(٧ - ٧) في الأصل : « فهمزوا » .

فى جميعهم ، وربما جاء الواحد منهم ^(١) مهموزًا ، كما قال الشاعر ^(٢) :
 فلست بجنّى ^(٣) ولكنّ ملأَكَا ^(٤) تحدر من جو السماء يصبوب
 وقد يقال فى واحدٍهم : مألَك . فيكون ذلك مثل قولهم : جبذ وجذب ،
 وشأمل وشمأل ^(٥) . وما أشبه ذلك من الحروف المقلوبة ^(٦) ، غير أن الذى يجب إذا
 سُمى واحدُهم : مألَك ^(٧) ، أن يُجمع إذا جُمع على ذلك : مألَك ، ولست أحفظ
 جمعُهم كذلك سماعًا ، ولكنهم قد يجمعون : ملائِك ، وملائِكَة ، كما يُجمع
 أشعث : أشاعثُ وأشاعِثَة ، ومسمع : مسامعُ ومسامِعة . قال أمية بن أبى الصلت فى
 جميعهم كذلك ^(٨) :

[ظ ٣٥/٢] وفيها من عبادِ الله قومٌ ملائِك ذُلّلوا وهُم صِعابُ
 وأصلُ الملائِك ^(٩) الرسالة ، كما قال عدى بن زيد العبادى ^(١٠) :

(١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٢) تقدم تخريج البيت فى ص ٣٥٠ .

(٣) فى م : « لإنسى » .

(٤) فى م : « للملأك » .

(٥) فى ص : « شمل » .

(٦) قلب الشيء : حوله ظهرًا لبطن . والقلب المكانى باب من أبواب التصريف ، يقع فيه تقديم بعض حروف الكلمة على بعض ، وأكثر ما يتفق القلب فى المعلن والمهموز ، وأكثر ما يكون بتقديم الآخر على متلوه . وأنواعه كثيرة . ينظر التاج (ق ل ب) ، وفهارس سيبويه ، وفهارس المقتضب ، والخصائص ٢ / ٨٨ ، وشرح الرضى على الشافية ١ / ٢١ فما بعدها . وينظر أيضًا القلب والإبدال لابن السكيت نشرة هفتر ؛ ضمن مجموعة الكنز اللغوى .

(٧) فى ص : « ملك » .

(٨) ديوانه ص ٦٢ .

(٩) فى ص : « الملك » .

(١٠) البيت فى الأغاني ٢ / ١١٤ ، والعقد الفريد ٥ / ٢٦١ ، وكتاب ليس فى كلام العرب لابن خالويه =

أَبْلِغِ النِّعْمَانَ عَنِّي مَلَأَكُمَا^(١) أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتَظَارِي^(٢)
 وَقَدْ يُنْشَدُ: مَأْلَكُمَا، عَلَى اللُّغَةِ الْأُخْرَى. فَمَنْ قَالَ: مَلَأَكُمَا. فَهُوَ «مَفْعَلٌ»،
 مِنْ: «لَأَكُ إِلَيْهِ يَلَأُكَ»^{(٣)(٤)}، إِذَا أُرْسِلَ إِلَيْهِ رِسَالَةٌ، مَلَأَكُهُ^(٥). وَمَنْ قَالَ: مَأْلَكُمَا. فَهُوَ
 «مَفْعَلٌ»، مِنْ: أَلَكْتُ إِلَيْهِ أَلَكُهُ^(٦)، إِذَا أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ، مَأْلَكُهُ وَأَلَوَكُمَا. كَمَا قَالَ لَبِيدُ
 ابْنُ رِبْعَةَ^(٧):^(٨)

وَعُغْلَامٍ أُرْسَلَتْهُ أُمُّهُ بِأَلْوَكٍ فَبَذَلْنَا مَا سَأَلُ
 فَهَذَا مِنْ: أَلَكْتُ. وَمِنْهُ قَوْلُ نَابِغَةَ بَنِي دُيَّانَ^(٩):

أَلِكْنِي يَا عُيَيْنَ إِلَيْكَ قَوْلًا سَأْهَدِيهِ^(١١) إِلَيْكَ إِلَيْكَ عَنِّي^(١٠)
 وَقَالَ عَبْدُ بَنِي الْحَمَحَاسِ^(١٢):

أَلِكْنِي إِلَيْهَا عَمْرُكَ اللَّهُ يَا فَتَى بَأْيَةٍ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا

= ص ٤٧. والرواية فيهن جميعاً: «مَأْلَكُمَا».

(١) فِي ص، ت ١، ت ٢: «مَأْلَكُمَا».

(٢) فِي م، ت ١، ت ٢: «انتظار».

(٣ - ٤) فِي ص: «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ».

(٤) فِي م: «يَلْعَلُ».

(٥) فِي ص، ت ١، ت ٢: «مَلَكُهُ».

(٦) فِي م: «أَلَكْتُ».

(٧) بَعْدَهُ فِي م: «أَبَى».

(٨) شَرْحُ دِيَّانٍ لَبِيدُ ص ١٧٨.

(٩) دِيَّانُهُ ص ١٩٧.

(١٠ - ١١) فِي م: «سَأْهَدِيهِ الرُّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّي».

(١١) فِي الدِّيَّانِ: «سَأْهَدِيهِ».

(١٢) تَقْدِمُ الْبَيْتِ وَتَخْرِيجُهُ فِي ص ١٠٤.

يعنى بذلك : أُبْلِغَهَا رَسَالَتِي . فَسُمِّيَتْ الْمَلَائِكَةُ مَلَائِكَةً بِالرَّسَالَةِ ؛ لِأَنَّهَا رُسُلُ اللَّهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ وَمَنْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلُّ وَعِزُّ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ^(١) قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ ﴾ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنِّي فَاعِلٌ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ ^(٢) وَمَبَارِكٍ ، عَنْ الْحُسَيْنِ ، وَأَبِي بَكْرٍ - يَعْنِي الْهَذَلِيَّ - عَنْ الْحُسَيْنِ وَقَتَادَةَ ، قَالُوا : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ لِمَلَائِكَتِهِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . قَالَ لَهُمْ : إِنِّي فَاعِلٌ ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : إِنِّي خَالِقٌ .

١٩٩/١

[٣٦/٢] ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حُدِّثْتُ عَنِ الْمِنْجَابِ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، قَالَ : كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ « جَعَلَ » فَهُوَ « خَلَقَ » ^(٤) .

(١) سقط من : م .

(٢) في ص : « حَازِم » .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ١/٩٨، ١٠١ مطولا . وسيأتي بتمامه في ص ٤٩٢ .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٧٦ (٣١٥) من طريق سعيد بن سليمان ، عن مبارك ، عن الحسن به .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/٤٤ إلى المصنف عن الحسن وحده .

(٤) عزه السيوطي في الدر المنثور ١/٤٤ : إلى المصنف من قول الضحاك .

قال أبو جعفر: والصواب في تأويل قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ .
إِنِّي مُسْتَخْلِفٌ فِيهَا^(١) خليفةً ، ومُصَيِّرٌ فِيهَا خُلَفَاءَ^(٢) . وذلك شبيهة بتأويل قول الحسن
وقتادة .

وقيل : إن الأرض التي ذكرها الله جل ثناؤه في هذه الآية هي مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن ابن سابط ، أن
النبي ﷺ قال : « دُحِيتِ الْأَرْضُ مِنْ مَكَّةَ ، وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ ،
فَهِيَ أَوَّلُ مَنْ طَافَ بِهِ ، وَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً﴾ . وَكَانَ النَّبِيُّ إِذَا هَلَكَ قَوْمُهُ وَنَجَا هُوَ وَالصَّالِحُونَ ، أَتَاهَا^(٣) هُوَ وَمَنْ مَعَهُ
فَعَبَدُوا اللَّهَ بِهَا حَتَّى يَمُوتُوا ، فَإِنَّ قَبْرَ نُوْحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ بَيْنَ زَمْرَمَ وَالرُّكْنِ
وَالْمَقَامِ^(٤) » .

القول في تأويل قوله جل وعز: ﴿خَلِيفَةً﴾ .

والخليفة الفعيلة ، من قولك : خَلَفَ فُلَانٌ فُلَانًا فِي هَذَا الْأَمْرِ^(٥) ، إِذَا قَامَ مَقَامَهُ
فِيهِ بَعْدَهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ . ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ

(١) في ر ، م ، ت ، ١ ، ٢ : « في الأرض » .

(٢) في ص ، ر : « خلقا » .

(٣) في م : « أتى » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦/١ (٣١٧) من طريق عطاء به مختصراً ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر المنثور ٤٦/١ إلى ابن عساكر ، وينظر مختصر تاريخ دمشق ١٥٦/٢٧ ، ١٥٧ .

وقال ابن كثير في تفسيره ١٠٠/١ : وهذا مرسل ، وفي سنده ضعف ، وفيه مدرج ، وهو أن المراد بالأرض مكة ، والله أعلم ، فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك .

(٥) في ر : « الإقرار » .

لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ [يونس : ١٤] . يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ أَبْدَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ ، فَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ^(١) بَعْدَهُمْ ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلسُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ : خَلِيفَةٌ . لِأَنَّهُ خَلَفَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ ، فَقَامَ بِالْأَمْرِ مَقَامَهُ ، فَكَانَ مِنْهُ خَلَفًا^(٢) ، يُقَالُ مِنْهُ : خَلَفَ الْخَلِيفَةُ يَخْلُفُ خِلَافَةً وَخِلَيفِي^(٣) .

وكان ابنُ إسحاقَ يقولُ بما حَدَّثَنَا^(٤) به ابنُ حميدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ - يقولُ : ساكنا وعامرا يسكنها ويعمرها - ليسَ خَلَفًا^(٥) مِنْكُمْ^(٦) .

وليس الذي قال ابنُ إسحاقَ في معنى « الخليفة » بتأويلها^(٧) ، وإن كان الله [٣٦/٢] تعالى ذكره إنما أختبر ملائكتَه أَنه جاعِلٌ في الأرضِ خليفةً يسكنها ، ولكن معناها ما وصفتُ قبلُ .

فإن قال لنا قائلٌ : فما الذي كان في الأرضِ قبلَ بنى آدمَ لها عامرا ، فكان بنو آدمَ منه بدلا ، وفيها منه^(٨) خَلَفًا ؟

قيلَ : قد اختلف أهلُ التأويلِ في ذلك ؛ فَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قال : حَدَّثَنَا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حَدَّثَنَا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبي رَزْوَجٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ

(١ - ١) سقط من : ت ١ ، ت ٢ .

(٢) الخلفي ، بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة وفتح الفاء : الخلافة ، وقيل : هو مبالغة في الخلافة لا نفسها ، ويدل على كثرة الجهد في أمور الخلافة وتصريف أعبائها . التاج (خ ل ف) .

(٣) في ر : « حدثكم » .

(٤) في ر : « خلفا » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦/١ (٣١٦) من طريق سلمة به . وسيأتي بتمامه في ص ٤٩٦ .

(٦) في ص : « بتأويلهما » .

(٧) في الأصل : « منهم » .

عباس ، قال : أول من سكن الأرض الجن ، فأفسدوا فيها ، وسفكوا^(١) الدماء ، وقتل بعضهم بعضاً . قال : فبعث الله إليهم إبليس في جندي من الملائكة ، فقتلهم إبليس ومن معه^(٢) ، حتى ألحقوهم^(٣) بجزائر البحور وأطراف الجبال ، ثم خلق الله آدم فأسكنه إياها ، فلذلك قال : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾^(٤) .

فعلى هذا^(٥) القول : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ من الجن يخلقونهم^(٦) فيها فيسكنونها ويغمرونها .

حدثني المثني ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس في قوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية . قال : إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجن يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ، ٢٠٠/١ قال : فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم ، فكانت الدماء وكان الفساد في الأرض^(٧) .

وقال آخرون في تأويل قوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . أى : خلفاء^(٨)

(١) بعده في ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « فيها » .

(٢) في الأصل : « معهم » .

(٣) في ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « ألحقهم » .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٠١/١ عن المصنف .

وأخرجه الحاكم ٢٦١/٢ من طريق مجاهد عن ابن عباس به بنحوه ، وقال : صحيح الإسناد .

(٥ - ٥) في ر : « فعنى بها » .

(٦) في الأصل : « يخلقونه » .

(٧) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٨٤ . وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٨٨٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٤٥ إلى المصنف وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن أبي العالية . وهو عند ابن أبي

حاتم ٧٧/١ (٣٢٢) .

(٨) في ر : « خلقا » ، وفي م : « خلفا » .

يَخْلُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَهُمْ وَلَدُ آدَمَ الَّذِينَ يَخْلُقُونَ أَبَاهُمْ آدَمَ ، وَيَخْلُفُ كُلُّ قَرْنٍ مِنْهُمْ الْقَرْنَ الَّذِي سَلَفَ قَبْلَهُ . وَهَذَا قَوْلٌ حُكِيَ ^(١) عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ .

ونظيرُ له ما حَدَّثَنَا بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزَّيْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ ابْنِ سَابِطٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ۚ ﴾ قَالَ : يَعْنُونَ بِهِ بَنَى آدَمَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : قَالَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْلُقَ فِي ^(٣) الْأَرْضِ خَلْقًا ، وَأَجْعَلُ فِيهَا خَلِيفَةً . وَلَيْسَ لِلَّهِ يَوْمَئِذٍ خَلْقٌ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ ، وَالْأَرْضُ لَيْسَ فِيهَا خَلْقٌ ^(٤) .

[٣٧/٢] وَهَذَا الْقَوْلُ يَحْتَمِلُ مَا حُكِيَ عَنِ الْحَسَنِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ ابْنُ زَيْدٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً لَهُ ، يَحْكُمُ فِيهَا بَيْنَ خَلْقِهِ بِحُكْمِهِ ، نَظِيرَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، ^(٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مُرَّةَ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، ^(٥) وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ . قَالُوا : رَبَّنَا وَمَا يَكُونُ ذَلِكَ الْخَلِيفَةُ ؟ قَالَ يَكُونُ لَهُ ذُرِّيَّةٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَحْكِي » .

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٠١/١ عَنِ الثَّوْرِيِّ بِهِ . وَيَنْظُرُ مَا سَيَأْتِي فِي ص ٤٩١ .

(٣) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ .

(٤) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٠١/١ عَنِ ابْنِ زَيْدٍ . وَهُوَ جُزْءٌ مِنَ الْأَثَرِ الْآتِي فِي ص ٤٩٥ .

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ : ص .

وَيَتَحَاسَدُونَ وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(١) .

فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس :
إني جاعل في الأرض خليفة مني يَخْلُقُنِي في الحكم بين خلقي ، وذلك الخليفة هو
آدمُ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ في طاعة الله ، والحكم بالعدل بين خلقه . وأما الإفساد وسفك
الدماءِ بغير حقها فمن غير خلفائه ، ومن غير آدم وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ في عباد الله ؛ لأنهما
أخبرا أن الله تعالى ذكره قال لملائكته إذ سأله : ما ذاك الخليفة ؟ : إنه خليفة تكون له
ذرية يُفْسِدُونَ في الأرض ويتحاسدون وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فأضاف الإفساد
وسفك الدماءِ بغير حقها إلى ذرية خليفته دونه ، وأخرج منه خليفته .

وهذا التأويل وإن كان مخالفاً في معنى الخليفة ما حكي عن الحسن من وجه ،
فموافق له من وجه ، فأما موافقته إياه فصرف متأوليه إضافة الإفساد في الأرض
وسفك الدماءِ فيها إلى غير الخليفة . وأما مخالفته إياه ، فإضافتهم الخلافة إلى آدم
بمعنى استخلاف الله إياه فيها . وإضافة الحسن الخلافة إلى ولده ، بمعنى خلافة
بعضهم بعضاً ، وقيام قرن منهم مقام قرن قبلهم ، وإضافة الإفساد في الأرض وسفك
الدماءِ إلى الخليفة .

والذي دعا المتأولين قوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾^(٢)
التأويل^(٢) [٣٧/٢] الذي ذكر عن الحسن - إلى ما قالوا في ذلك ؛ أنهم قالوا : إن

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٠١/١ عن السدي به .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٧/١ (٣٢٤) من طريق السدي ، عن حدثه ، عن ابن عباس وحده ،
نحوه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥/١ إلى عبد بن حميد . وسيأتي مطولاً في ص ٤٨٦ - ٤٨٨ ،
٥١٠ ، ٥٠٩ .

(٢) في م : « في التأويل » .

الملائكة إنما قالت لربها - إذ قال لهم ربهم : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ - :
 ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . إخباراً منها بذلك عن الخليفة
 الذى أخبر الله جلّ ذكره أنه جاعله فى الأرض لا عن ^(١) غيره ؛ لأن ^(٢) «المجاورة بين»
 الملائكة وبين ربها عنه جرت . قالوا : فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره
 قد برأ آدم من الإفساد فى الأرض وسفك الدماء ، وطهره من ذلك ، علم أن الذى
 غنى به غيره من ذريته . فثبت أن / الخليفة الذى يفسد فى الأرض ويسفك الدماء هو ٢٠١/١
 غير آدم ، وأنهم ولده الذين فعلوا ذلك ، وأن معنى الخلافة التى ذكرها الله إنما هى
 خلافة قَومٍ منهم قرناً ، عندهم ^(٣) ؛ لما وصفنا . وأغفل قائلو هذه المقالة ومتأولو الآية
 هذا التأويل سبيل التأويل ، وذلك أن الملائكة - إذ قال لها ربها : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ
 فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ - لم تُضِف ^(٤) الإفساد وسفك الدماء فى جوابها ربها إلى
 خليفته فى أرضه ، بل قالت : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . ^(٥) وغير منكر
 أن يكون ربها أعلمها أنه يكون لخليفته ذلك ذرية يكون منهم الإفساد وسفك
 الدماء ، ^(٦) فقالت : يا ربنا ، أتعجل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ^(٧) . كما قال
 ابن مسعود وابن عباس ومن حكينا ذلك عنه من أهل التأويل ^(٨) .

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى ر : « المجاورة من » .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ : « غيرهم » . وعندهم . يعنى عند هؤلاء المتأولين .

(٤) فى ص : « تصف » ، وفى : ت : ٢ : « يصف » .

(٥ - ٥) سقط من : ر .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) بعده فى ص : « على الأصل المنقول منه بلغت من أوله قراءتى على القاضى أبى الحسن الخصب بن

عبد الله الخصبى عن أبى محمد الفرغانى عن أبى جعفر الطبرى . وسمع معى أخى على بن أحمد بن =

(تفسير الطبرى ٣١/١)

القول في تأويل قوله جل ثناؤه خبراً عن ملائكتِهِ : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ .

إن قال لنا قائل : وكيف قالتِ الملائكةُ لربِّها ، إذ أخبرها أنه جاعلٌ في الأرض خليفة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . ولم يكن آدمُ بعدُ مخلوقاً ولا ذريته ، فيعلموا ما يفعلون عياناً ؟ أعلمتِ الغيبَ فقالت ذلك ، أم [٣٨/١] قالت ما قالت من ذلك ظناً ؟ فذلك شهادةٌ منها بالظنِّ ، وقولٌ بما لا تعلمُ ، وذلك ليس من صفتِها ، أم ما وجهُ قيلها ذلك لربِّها ؟

قيل : قد قالتِ العلماءُ من أهل التأويل في ذلك أقوالاً ، ونحن ذاكروا أقوالهم في ذلك ، ثم مُخْبِرُونَ بأصحِّها برهاناً وأوضحِّها حُجَّةً .

فروى عن ابن عباسٍ في ذلك ما حدثنا به أبو كريبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان إبليسُ من حيٍّ من أحياءِ الملائكةِ يقالُ لهم : الجنُّ^(١) . خُلِقُوا من نارِ السَّمومِ من بينِ الملائكةِ . قال : وكان اسمُهُ الحارثُ . قال : وكان خازناً من خُزَّانِ الجنةِ . قال : وَخُلِقَتِ الملائكةُ كُلُّهُمْ من نورٍ غيرِ هذا الحيِّ . قال : وَخُلِقَتِ الجنُّ الذين ذكروا في القرآنِ من مارجٍ من نارٍ - وهو لسانُ النارِ الذي يكونُ في طرفِها إذا أُلهِبت - قال : وخلق الإنسانُ^(٢) من طينٍ^(٣) ، فأولُ من سكَنَ الأرضَ الجنُّ ، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماءَ ، وقتل بعضهم بعضاً . قال : فبعثَ اللهُ جُلَّ وعزِّ إليهم

= عيسى ونصر بن الحسن الطبري . وسمع أبو الفتح أحمد بن عمر الجهارى من موضع سماعه . وكتب محمد بن أحمد بن عيسى السعدى فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربع مائة ، بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم .

(١) فى ص : « الجن » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

إِبْلِيسَ فِي جَنَدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - وَهُمْ ^(١) هَذَا الْحَيُّ ^(٢) الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمْ : الْجِنَّ ^(٣) -
فَقَتَلَهُمْ إِبْلِيسُ وَمِنْ مَعَهُ حَتَّى الْخَقَمَ بِجَزَائِرِ الْبُحُورِ وَأَطْرَافِ الْجِبَالِ ، فَلَمَّا فَعَلَ إِبْلِيسُ
ذَلِكَ اغْتَرَّ ^(٤) فِي نَفْسِهِ ، وَقَالَ : قَدْ صَنَعْتُ شَيْئًا لَمْ يَصْنَعْهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَاطَّلَعَ اللَّهُ
عَلَى ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ ، وَلَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ ، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ
لِلْمَلَائِكَةِ ^(٥) الَّذِينَ مَعَهُ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ
مَجِيبِينَ لَهُ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ، كَمَا أَفْسَدَتِ الْجِنَّ
وَسَفَكَتِ الدَّمَاءَ ، وَإِنَّمَا بَعَثْنَا ^(٦) عَلَيْهِمْ لَذَلِكَ ، فَقَالَ : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .
يَقُولُ : إِنِّي قَدْ أَطَّلَعْتُ مِنْ قَلْبِ إِبْلِيسَ عَلَى مَا لَمْ تَطَّلِعُوا عَلَيْهِ مِنْ كَيْبَرِهِ وَاعْتِرَاضِهِ ^(٧) .
قَالَ : ثُمَّ أَمَرَ بِتَرْبَةِ آدَمَ فَرَفَعَتْ ، فَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ - وَاللَّازِبُ اللَّزِجُ
الطَّيِّبُ ^(٨) - مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ مُنْتَنِ . قَالَ : وَإِنَّمَا كَانَ حَمَاءً مَسْنُونًا بَعْدَ التَّرَابِ .
قَالَ : فَخَلَقَ [٣٨/١ ظ] مِنْهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ . قَالَ : فَمَكَثَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً جَسَدًا
مَلْقَى ، فَكَانَ إِبْلِيسُ يَأْتِيهِ فَيَضْرِبُهُ بِرِجْلِهِ فَيُصَلِّصُ - أَيْ ^(٩) : فَيُصَوِّتُ - قَالَ :
فَهُوَ / قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ مِنْ صَلَّصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] . يَقُولُ : ٢٠٢/١
كَالشَّيْءِ الْمَنْفُوحِ ^(١٠) الَّذِي لَيْسَ بِمُصَمَّتٍ ^(١١) . قَالَ : ثُمَّ يَدْخُلُ فِيهِ وَيَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « هُوَ » .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ ، ص : « اعْتَزَّ » .

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ : ص .

(٥) فِي ص ، م : « بَعَثْنَا » ، وَفِي ت ٢ : « بَغَيْنَا » ، وَفِي ت ١ : « بَقَيْنَا » .

(٦) فِي الْأَصْلِ ، ص : « اعْتَزَّاهُ » .

(٧) فِي ص ، ر ، م ، ت ١ : « الصَّلْبُ » .

(٨) زِيَادَةٌ مِنْ : م .

(٩) فِي ر ، ت ٢ : « الْمَنْفَرَجُ » .

(١٠) الْمُصَمَّتُ : الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ . (اللِّسَانُ (ص م ت) .

وَيَدْخُلُ مِنْ دُبُرِهِ ، وَيَخْرُجُ مِنْ فِيهِ ؛ ثُمَّ يَقُولُ : لَسْتُ شَيْئًا لِلصَّلَاصِلَةِ ، وَلِشَيْءٍ مَا خُلِقْتُ ، لَكُنْ سُلْطْتُ عَلَيْكَ لِأَهْلِكَ نَكْتِكَ ، وَلَكُنْ سُلْطْتُ عَلَيَّ لِأَعْصِيَتِكَ . قَالَ : فَلَمَّا نَفَخَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، أَتَتْ النَّفْخَةُ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَجَعَلَ لَا يَجْرِي شَيْءٌ مِنْهَا فِي جَسَدِهِ إِلَّا صَارَ لَحْمًا وَدَمًا ، فَلَمَّا انْتَهَتْ النَّفْخَةُ إِلَى شُرَّتِهِ نَظَرَ إِلَى جَسَدِهِ ، فَأَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ حُسْنِهِ ، فَذَهَبَ لِيَنْهَضَ فَلَمْ يَقْدِرْ ، فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَكَانَ ^(١) الْإِنْسَانُ نَجْوًى ﴾ [الإسراء : ١١] . قَالَ : ضَجِرًا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَى سَرَاءٍ وَلَا ضَرَاءٍ . قَالَ : فَلَمَّا تَمَّتِ النَّفْخَةُ فِي جَسَدِهِ عَطَسَ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . بِإِلْهَامِ اللَّهِ لَهُ ، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا آدَمُ . قَالَ : ثُمَّ قَالَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ إِبْلِيسَ خَاصَّةً دُونَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ فِي السَّمَاوَاتِ : اسْجُدُوا لِآدَمَ . فَسَجَدُوا كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَتَى وَاسْتَكْبَرَ ، لَمَّا كَانَ ^(٢) حَدَّثَ بِهِ ^(٣) نَفْسَهُ مِنْ كِبَرِهِ وَاغْتِرَارِهِ ^(٤) ، فَقَالَ : لَا أَسْجُدُ لَهُ ، وَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، وَأَكْبَرُ سِنًّا وَأَقْوَى خَلْقًا ، ﴿ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢] . يَقُولُ : إِنْ النَّارَ أَقْوَى مِنَ الطِّينِ . قَالَ : فَلَمَّا أَتَى إِبْلِيسُ أَنْ يَسْجُدَ أَبْلَسَهُ اللَّهُ ، أَيْ ^(٥) : آيَسَهُ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَجَعَلَهُ شَيْطَانًا رَجِيمًا عَقُوبَةً لِعَصِيَّتِهِ .

ثُمَّ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، وَهِيَ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي يَتَعَارَفُ بِهَا النَّاسُ ؛ إِنْسَانًا وَدَابَّةً وَأَرْضًا وَسَهْلًا وَبَحْرًا وَجَبَلًا ^(٦) وَحِمَارًا ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمَمِ وَغَيْرِهَا ، ثُمَّ عَرَضَ

(١) فِي الْأَصْلِ ، ص ، ر ، ت ، ١ ، ت ٢ : « خَلَقَ » ، وَفِي الدَّرَجَةِ الْمَشْهُورَةِ : « خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَل » ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ تَرَكْتُ عَلَى الْخَطِأِ كَمَا جَاءَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الْخَمْسِ الْمَذْكُورَةِ .

(٢) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ .

(٣) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ ، ر .

(٤) فِي ص : « اعْتَزَاذَهُ » .

(٥) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ ، وَفِي م : « وَ » .

(٦) فِي ص : « حَبَل » .

هذه الأسماء على أولئك الملائكة - يعنى الملائكة الذين كانوا مع إبليس الذين خُلِقُوا مِنْ نَارِ السَّمُومِ - وقال لهم: ﴿أَنِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾. يقول: أَخْبِرُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: ^(١) إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لَمْ أَجْعَلْ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً. قال: فَلَمَّا عَلِمَتِ الْمَلَائِكَةُ مُوَاعِدَةَ ^(٢) اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِيمَا تَكَلَّمُوا بِهِ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، الَّذِي لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ، قالوا: ﴿سُبْحَنَكَ﴾ - تَنْزِيهَا لِلَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ [٣٩/٢] يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرَهُ - تَبْنَا إِلَيْكَ، ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ - تَبَرَّيْنَا مِنْهُمْ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ - ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ كما عَلَّمْتَ آدَمَ. فقال: ﴿يَتَّخِذُ أَتْبَئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾. يقول: أَخْبِرْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾. ^(٣) يقول: أَخْبِرْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ أيها الملائكة خاصة: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وَلَا يَعْلَمُهُ غَيْرِي، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾. يقول: مَا تُظْهِرُونَ، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. يقول: أَعْلَمُ السِّرَّ كَمَا أَعْلَمُ الْعَلَانِيَةَ، يعنى ما ^(٤) كَتَمَ إبليسُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْكِبْرِ وَالْاِغْتِرَارِ ^(٥).

وهذه الرواية عن ابن عباسٍ تُنبئُ عن أن قولَ اللَّهِ تعالى ذكره: ﴿وَإِذْ قَالَ

(١ - ١) فى ص، ر، م: «أنكم».

(٢) فى ص، م، ت، ٢: «أنى».

(٣) فى ص: «موجلة».

(٤ - ٤) سقط من: ص، ر، م، ت، ١، ٢.

(٥) فى ص، ر: «مما».

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٨٤، ٩٠، ٩٢، ٩٥، ٩٧، ١٠٠ مفرقا.

وعزه ابن كثير فى تفسيره ١/١٠٨ إلى المصنف بطوله، وقال عقبه: هذا سياق غريب، وفيه أشياء فيها نظر بطول مناقشتها، وهذا الإسناد إلى ابن عباس يروى به تفسير مشهور.

رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾ . خطابٌ مِنَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ لخاصِّ
 مِنَ الملائكةِ دونَ الجميعِ ، وأن الذين قيل لهم ذلك من الملائكةِ كانوا قبيلةِ إبليسَ
 خاصةً ، الذين قاتلوا معه جنَّ الأرضِ قبلَ خلقِ آدمَ ، وأن اللهَ إنما خصَّهم بقيلِ ذلك
 امتحانًا منه لهم وابتلاءً ؛ ليعرَّفَهم قصورَ علمِهم وفضلَ كثيرٍ ممَّن هو أضعفُ خلقًا
 منهم من خلقه عليهم ، وأن كرامته لا تُنالُ بقوى الأبدانِ وشدةِ الأجسامِ ، كما ظنَّه
 إبليسُ عدوُّ اللهِ ، ومُصرِّحٌ^(١) بأن قيلَهم لرَبِّهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا
 وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . كانت هَفْوَةٌ منهم ورجمًا بالغيبِ ، وأن اللهَ أطلعَهم على
 مكروهٍ ما نطقوا به مِن ذلك ، ووقفَهم عليه حتى تابوا وأنبأوا / إليه مما قالوا ونطقوا مِن
 رَجَمِ الغيبِ بالظنونِ ، وتبرَّءوا إليه من أن يَعْلَمَ الغيبَ غيره ، وأظهرَ لهم من إبليسَ ما
 كان مُنطويًا عليه من الكِبَرِ الذي قد كان عنهم مستخفيًا .

٢٠٣/١

وقد روى عن ابنِ عباسٍ خلافُ هذه الروايةِ ، وهو ما حدَّثني به موسى بنُ
 هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السديِّ في خبرٍ
 ذكره عن أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ،
 وعن ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : لما فرغَ اللهُ مِن خلقِ ما أحبَّ ، استوى على
 العرشِ ، فجعلَ إبليسَ على مُلكِ سماءِ الدنيا ، وكان من قبيلةٍ من الملائكةِ يُقالُ لهم :
 الجنُّ . وإنما سُمُّوا الجنَّ لأنهم خُزَّانُ الجنةِ ، وكان إبليسُ مع مُلكِهِ خازنًا ، [٣٩/٢] ظ
 فوقَّعَ في صدرِهِ كِبَرٌ ، وقال : ما أعطاني اللهُ هذا إلا لمزيدٍ^(٢) لى - هكذا قال موسى
 ابنُ هارونَ ، وقد حدَّثني به^(٣) غيره^(٤) فقال : لمَزِيَّةٍ لى - على الملائكةِ . فلما وقَّعَ

(١) فى ر : « تصرح » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ : « يصرح » .

(٢) فى الأصل ، وتاريخ المصنف : « لمزية » .

(٣) سنقط من : الأصل .

(٤) هو أحمد بن أبى خيثمة ، كما صرح المصنف باسمه فى تاريخه ٨٦/١ .

ذلك الكبُرُ في نفسه ، اطلع الله على ذلك منه ، فقال الله للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ . قالوا : ربنا ، وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال : يكون له ذرية يُفْسِدُونَ في الأرضِ ويتحاسدون ويقتُل بعضهم بعضًا . قالوا : ربنا ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۚ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يعنى من شأن إبليس . فبعث جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطين منها ، فقالت الأرض : إني أعودُ بالله منك أن تنقص منى أو تشيننى . فرجع ولم يأخذ ، وقال : رب إنها عاذت بك فأعذتها . فبعث الله ميكائيل ، فعاذت منه فأعادها ، فرجع فقال كما قال جبريل ، فبعث ملك الموت ، فعاذت منه ، فقال : وأنا أعودُ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره . فأخذ من وجه الأرض وخلط ، فلم يأخذ من مكانٍ واحدٍ ، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مُختلفين ، فصعد به قبل التراب حتى عاد طينًا لازبًا - واللازب هو الذى يلتصق ببعضه ببعض - ثم ترك حتى أثنى وتغير ، فذلك حين يقول : ﴿ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٦] . قال : مُثْنِي . ثم قال للملائكة : ﴿ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴾ (٦) فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ ﴾ [ص : ٧١ ، ٧٢] . فخلقه الله يديه ، لكيلا يتكبر إبليس عنه ليقول له : تتكبر عما عملت يدي ، ولم أتكبر أنا عنه ؟ فخلقه بشرا ، فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فمرت به الملائكة ، ففرعوا منه لما رأوه ، وكان أشدهم منه فرعا إبليس ، فكان يمر به فيضربه ، فيصوتُ الجسدُ كما يصوتُ الفخارُ ، وتكون له صلصلة ، فذلك حين يقول : ﴿ مِن صَالِصِلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] . ويقول : لأمر ما خلقت . ودخل من ^(١) فيه فخرج من دُبره . فقال للملائكة : لا تزهبوا من هذا ، فإن ربكم صمدٌ وهذا أجوف ،

لَنْ سُلِّطْتُ عَلَيْهِ لِأَهْلِكَ نَهْ . فَلَمَّا بَلَغَ الْحَيْنَ الَّذِي يُرِيدُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ [٤٠/٢] الرُّوحَ ، قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ : إِذَا نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَاسْجُدُوا لَهُ . فَلَمَّا نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ فَدَخَلَ الرُّوحُ فِي رَأْسِهِ ، عَطَسَ ، فَقَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ : قُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ . فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ . فَقَالَ لَهُ اللَّهُ : رَحِمَكَ رَبُّكَ . فَلَمَّا دَخَلَ الرُّوحُ فِي عَيْنَيْهِ نَظَرَ إِلَى ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي جَوْفِهِ اشْتَهَى الطَّعَامَ ، فَوَثَبَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الرُّوحَ رِجْلَيْهِ عَجَلَانَ إِلَى ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء : ٣٧] . ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٣٠ ، ٣١] أَيْ ^(١) : / استكبر وكان من الكافرين . قَالَ اللَّهُ لَهُ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ . قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ . قَالَ اللَّهُ لَهُ : اخْرُجْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ - يَعْنِي : مَا يَنْبَغِي لَكَ - أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ، فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ . وَالصَّغَارُ هُوَ الذَّلُّ . قَالَ : وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، ثُمَّ عَرَضَ الْخَلْقَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . أَنْ بَنَى آدَمُ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ . فَقَالُوا لَهُ : ﴿ سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ . قَالَ اللَّهُ : ﴿ يَتَكَادَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَبْنَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قَالَ : قَوْلُهُمْ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . فَهَذَا الَّذِي أَبَدُوا ، وَأَعْلَمُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ، يَعْنِي مَا أَسْرَّ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْكِبَرِ ^(٢) .

(١) فِي م : « أَيْ » .

(٢) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ١ / ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٠ مَفْرَقًا .

وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ (٧٧٣) ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِهِ ٧ / ٣٧٧ ، ٣٧٨ مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ حَمَادٍ بِهِ ، دُونَ قَوْلِهِ : قَالَ اللَّهُ لَهُ : أَخْرَجَ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ ...

فهذا الخبر أوله مُخَالِفٌ معناه معنى الرواية التى رُوِيَتْ عن ابن عباسٍ من رواية الضحاكٍ التى قدمنا ذكرها قبلُ ، وموافقٌ معنى آخره معناها ، وذلك أنه ذُكِرَ فى أوله أن الملائكةَ سألت ربَّها : ما ذاك الخليفةُ ؟ حين قال لها : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ . فأجابها أنه تكونُ له ذُرِّيَّةٌ يُفْسِدُونَ فى الأرضِ وَيَتَحَاسَدُونَ وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فقالت الملائكةُ حينئذٍ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ۖ ﴾ . فكان قولُ الملائكةِ ما قالت لربِّها من ذلك بعدَ إعلامِ اللهِ إياها أن ذلك كائنٌ من ذريةِ الخليفةِ الذى يجعلُهُ فى الأرضِ . ٤٠/٢٦] فذلك معنى خلافِ أوله معنى خبرِ الضحاكٍ الذى ذكرناه .

وأما موافقته إياه فى آخره ، فهو قولهم فى تأويلِ قوله : ﴿ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أن بنى آدمَ يفسدون فى الأرضِ وَيَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ ، وأن الملائكةَ قالت - إذ قال لها ربُّها ذلك - تَبَرُّيًا مِن عِلْمِ الْغَيْبِ : ﴿ سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وهذا إذا تدبَّرَه ذو الفهم ، عِلِمَ أنَّ أوله يُفْسِدُ آخره ، وأن آخره يُطِيلُ معنى أوله ، وذلك أن الله تعالى ذكره إن كان أخبرَ الملائكةَ أن ذريةَ الخليفةِ الذى يجعلُهُ فى الأرضِ تُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ ، فقالتِ الملائكةُ لربِّها : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ۖ ﴾ . فلا وجهَ لتوبيخها على أن أُخْبِرَتْ عَمَّنْ أَخْبَرَهَا اللهُ عنه أنه يُفْسِدُ فى الأرضِ وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ ، بمثلِ الذى أَخْبَرَهَا عنهم ربُّها ، فيجوزُ أن يُقالَ لها فيما طَوَى عنها مِنَ الْعِلْمِ : إن كنتم صادقين فيما عِلِمْتُمْ بخبرِ اللهِ إياكم أنه كائنٌ من الأمورِ فَأُخْبِرْتُمْ به ، فَأُخْبِرُونَا بالذى قد طَوَى اللهُ عنكم علمه ، كما قد أُخْبِرْتُمُونَا بالذى قد أَطْلَعَكُمْ اللهُ ^(١) على علمه ^(١) - بل ذلك حُلْفٌ مِنَ التَّأْوِيلِ ، ودَعْوَى على اللهِ

ما لا يجوزُ أن يكونَ^(١) له صفةٌ ، وأخشى أن يكونَ بعضُ نَفْلَةٍ هذا الخبرِ هو الذى غَلِطَ على من رواه عنه من الصحابة^(٢) ، وأن يكونَ التأويلُ منهم^(٣) كان فى^(٤) ذلك :

﴿ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فيما ظننتم أنكم أدرَ كنتموه من العلمِ بخبرِى إياكم أن بنى آدمَ يُفسِدون فى الأرضِ وَيَسْفِكون الدماءَ ، حتى اسْتَجَزْتُمْ أن تقولوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . فيكونُ التَّوْبِيخُ حينئذٍ واقعاً على ما ظننوا أنهم قد أدرَ كوا بقولِ الله لهم : إنه يكونُ له ذريةٌ يُفسِدون فى الأرضِ وَيَسْفِكون الدماءَ . لا على / إخبارِهم بما أخبرهم اللهُ به أنه كائنٌ ، وذلك أن اللهَ جلَّ ثناءؤه وإن كان أخبرهم عما يكونُ من بعضِ ذريةِ خليفته فى الأرضِ ، ما يكونُ منه فيها من الفسادِ وسَفْكِ الدماءِ ، فقد كان طوى عنهم الخبرَ عما يكونُ من كثيرٍ منهم بما يكونُ من طاعتِهِم رَبِّهِمْ ، وإصلاحِهِمْ^(٥) فى أرضِهِ وَحَقْنِ الدماءِ ، ورفعِهِ^(٦) منزلَتِهِمْ ، وكرامَتِهِمْ^(٧) عليه ، فلم يُخَبِّرْهم بذلك ، فقالتِ الملائكةُ : [٤١/٢] ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ على ظنٍّ منها - على تأويلِ هذين الخبرين اللذين ذَكَرْتُ وظاهرهما - أن جميعَ ذريةِ الخليفةِ الذى يُجْعَلُ^(٨) فى الأرضِ يُفسِدون فيها ، وَيَسْفِكون فيها الدماءَ ، فقال اللهُ لهم ، إذ علِمَ آدمُ الأسماءَ كُلَّهَا : ﴿ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنكم تَعْلَمُونَ أن جميعَ بنى آدمَ يُفسِدون فى الأرضِ وَيَسْفِكون الدماءَ ، على ما

(١ - ١) سقط من : ر .

(٢) فى الأصل : « عنهم » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « على » .

(٤) فى ر : « لإصلاحه » .

(٥ - ٥) فى ر : « منزلته وكرامته » .

(٦) فى م : « يجعله » .

ظننتم في أنفسكم . إنكاراً منه لِقِيلِهِمْ ما قالوا مِن ذلك على الجميع والعموم ، وهو مِن صفةٍ خاصّةٍ ذرية الخليفة منهم . وهذا الذي ذكرنا هو صفةٌ منا لتأويل الخبر لا القول الذي نختاره في تأويل الآية .

ومما يدلُّ على ما ذكرنا مِن توجيهٍ مخرج^(١) خبر الملائكة عن إفساد ذرية الخليفة وسفكها الدماء على العموم ما حدّثنا به أحمد^(٢) بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدّثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدّثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الرحمن بن سابط قوله : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . قال : يغنون الناس^(٣) .

وقال آخرون في ذلك بما حدّثنا به بشر بن معاذ ، قال : حدّثنا يزيد ، قال : حدّثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . فاستشار^(٤) الملائكة في خلق آدم ، فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . وقد علمت الملائكة مِن علم الله أنه لا شيء أكره إلى الله مِن سفك الدماء والفساد في الأرض ، ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . فكان في علم الله أنه سيكون مِن تلك^(٥) الخليفة أنبياء ورسل ، وقوم صالحون ، وساكنو^(٦) الجنة . قال : وذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : إن الله لما أخذ في خلق آدم قالت الملائكة : ما الله خالق خلقاً أكرم عليه ممّا ، ولا أعلم

(١) سقط من : م .

(٢) في م : « بن أحمد » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨/١ (٣٢٦) من طريق أبي أحمد الزبيري به . وينظر ما تقدم في ص ٤٧٩ .

(٤) في م : « فاستشار » .

(٥) سقط من : ص ، وفي م : « ذلك » .

(٦) في الأصل ، ص : « ساكن » .

مَنَّا . فابْتُلُوا بِخَلْقِ آدَمَ - وَكُلُّ خَلْقٍ مُبْتَلَى - كَمَا ابْتُلِيَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
بِالطَّاعَةِ ، فَقَالَ اللَّهُ : ﴿ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالُوا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ ^(١) [فصلت : ١١] .

وهذا الخبر عن قتادة يُدُلُّ على أن قتادة كان يرى أن الملائكة قالت ما قالت من
قولها : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . على غير ^(٢) [٤١/٢ ط] يقين
علم تقدم منها بأن ذلك كائن ، ولكن على الرأي منها والظن ، وأن الله جل ثناؤه أنكر
ذلك من قبلها ، ورد عليها ما رأت بقوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . من أنه يكون من
ذرية ذلك الخليفة الأنبياء والرسل والمجتهد في طاعة الله .

وقد روى عن قتادة خلاف هذا التأويل ، وهو ما حدثنا به الحسن بن يحيى ،
قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قتادة في قوله : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن
يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . قال : كان الله أعلمهم ^(٣) إذا كان في الأرض خلق أفسدوا فيها ،
وسفكوا الدماء ، فذلك قوله : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ ^(٤) .

وبمثل قول قتادة قال جماعة من أهل التأويل ، منهم الحسن البصري .

/ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قال : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عن جرير بن
حازم ومبارك ، عن الحسن ، وأبي بكر ، عن الحسن و قتادة ، قالا : قال الله لملائكته :
﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . قال لهم : إِنِّي فاعِلٌ . فعرضوا برأيهم ، فعلمهم
علمًا ، وطوى عنهم علمًا علمه لا يعلمونه ، فقالوا بالعلم الذي علمهم : ﴿ أَتَجْعَلُ

٢٠٦/١

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ١٠٠ ، ١٠١ . وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣٩٩/٧ من طريق شيبان ،
عن قتادة ، نحوه . وينظر ما سيأتي في ص ٥١٠ .

(٢) من هنا إلى قوله : « قال : علمه اسم » . ص ٤٩٣ سقط من المخطوط الأصل .

(٣) بعده في ص ، ر : « أنه » ، وينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٠٢ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٨/١ (٣٢٥) عن الحسن بن يحيى به .

فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴿١﴾ . وقد كانت الملائكة عَلِمَتْ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا ذَنْبَ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ ، ﴿٢﴾ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ . فلما أَخَذَ فِي خَلْقِ آدَمَ هَمَسَتِ الْمَلَائِكَةُ فِيمَا بَيْنَهُمَا ، فَقَالُوا : لِيَخْلُقْ رَبُّنَا مَا شَاءَ أَنْ يَخْلُقَ ، فَلَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا إِلَّا كُنَّا أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَأَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ . فَلَمَّا خَلَقَهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ لِمَا قَالُوا ، فَفَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِخَيْرٍ مِنْهُ ، فَقَالُوا : إِنْ لَمْ نَكُنْ خَيْرًا مِنْهُ ، فَنَحْنُ أَعْلَمُ مِنْهُ ؛ لِأَنَّا كُنَّا قَبْلَهُ ، وَخُلِقَتِ الْأُمُّ قَبْلَهُ . فَلَمَّا أُعْجِبُوا بِعِلْمِهِمْ ائْتَلَوْا ، ﴿٤﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥﴾ أَنَّى لَا أَخْلُقُ خَلْقًا إِلَّا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَأَخْبِرُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالَ : فَفَرَعَ الْقَوْمُ إِلَى التَّوْبَةِ - وَإِلَيْهَا يَفْزَعُ كُلُّ مُؤْمِنٍ - فَقَالُوا : ﴿٦﴾ سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٧﴾ قَالَ يَتَّخِذُ أَنْثَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٨﴾ . لقولهم : لِيَخْلُقْ رَبُّنَا مَا شَاءَ ، فَلَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، وَلَا أَعْلَمَ مِنْهُ . قَالَ : عَلَّمَهُ اسْمُ [٢/٤٢ و] كُلِّ شَيْءٍ ؛ هَذِهِ الْخَيْلُ ^(١) ، وَهَذِهِ الْبِغَالُ ، وَالْإِبِلُ ، وَالْجَنُ ، وَالْوَحْشُ ، وَجَعَلَ يُسَمِّي كُلَّ شَيْءٍ بِاسْمِهِ ، وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أُمَّةٌ أُمَّةٌ : ﴿٩﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١٠﴾ . قَالَ : أَمَا مَا أَبْذَوْا فَقَوْلُهُمْ : ﴿١١﴾ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴿١٢﴾ . وَأَمَا مَا كَتَمُوا فَقَوْلُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ : نَحْنُ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَعْلَمُ ^(٢) .

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « الجبال » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ بتمامه . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٧٧ =

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأُمَلِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحِجَاجِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّيِّعِ بْنِ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ الْآيَةِ . قَالَ : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، وَخَلَقَ الْجِنَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَخَلَقَ آدَمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ . قَالَ : فَكَفَرُ قَوْمٌ مِنَ الْجِنِّ ، فَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَهَيِّطُ إِلَيْهِمْ فِي الْأَرْضِ فَتَقَاتِلُهُمْ ، فَكَانَتِ الدِّمَاءُ ، وَكَانَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ ، فَمِنْ ثَمَّ قَالُوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ۖ ﴾ الْآيَةِ ^(١) .

^(٢) حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّيِّعِ بْنِ أَنَسٍ بِمِثْلِهِ ^(٣) .

حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ غَيْرِ ^(٣) الرَّيِّعِ ابْنِ أَنَسٍ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْثُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ ﴾ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۖ ﴾ . قَالَ : وَذَلِكَ حِينَ قَالُوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ ﴾ . قَالَ : فَلَمَّا عَرَفُوا أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا بَيْنَهُمْ : لَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ خَلْقًا إِلَّا كُنَّا نَحْنُ أَعْلَمُ مِنْهُ وَأَكْرَمُ . فَأَرَادَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنْ يُخْبِرَهُمْ أَنَّهُ قَدْ فَضَّلَ عَلَيْهِمْ آدَمَ ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، فَقَالَ لِلْمَلَائِكَةِ : ﴿ أَنْثُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ ﴾ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَأَعْلَمُ / مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۖ ﴾ . فَكَانَ ٢٠٧/١

= (٣٢٣) من طريق مبارك ، عن الحسن به مختصراً . وقد تقدم مختصراً في ص ٤٧٥ . وينظر تاريخ دمشق ٣٩٩/٧ .

(١) تقدم في ص ٤٧٨ .

(٢ - ٣) في ص : « حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ قَالَ » .

(٣) سقط من : ر .

الذى أبدوأ حين قالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . وكان الذى كتموا بينهم قولهم : لن يَخْلُقَ رَبُّنَا خَلْقًا إِلَّا كُنَّا نَحْنُ أَعْلَمُ مِنْهُ وَأَكْرَمُ . فعرفوا أن اللهَ فَضَّلَ عَلَيْهِمْ آدَمَ فِي الْعِلْمِ وَالْكَرَمِ ^(١) .

وقال ابنُ زيدٍ بما حدَّثنى به يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : لما خَلَقَ اللهُ النَّارَ ذُعِرَتْ مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ ذُعْرًا شَدِيدًا ، وقالوا : رَبُّنَا لَمْ خَلَقْتَ هَذِهِ النَّارَ ، وَلَأَيُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهَا ؟ [٢ / ٤٢ ظ] قال : لِمَنْ عَصَانِي مِنْ خَلْقِي . قال : وَلَمْ يَكُنْ لِلَّهِ ^(٢) خَلْقٌ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ ، وَالْأَرْضُ لَيْسَ فِيهَا خَلْقٌ ، إِنَّمَا خُلِقَ آدَمُ بَعْدَ ذَلِكَ . وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان : ١] . قال : قال عمرُ بنُ الخطابِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَيْتَ ذَلِكَ الْحِينَ ^(٣) . ثُمَّ قَالَ : وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : يَا رَبُّ ، أَوْيَأْتِي عَلَيْنَا دَهْرٌ نَعْصِيكَ فِيهِ ! - لَا يَزِيدُونَ لَهُ خَلْقًا غَيْرَهُمْ - قال : لا ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْلُقَ فِي الْأَرْضِ خَلْقًا ، وَأَجْعَلَ فِيهَا خَلِيفَةً ^(٤) ، يَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ . فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : أَتَجْعَلُ فِي الْأَرْضِ مَن يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَقَدْ اخْتَرْتَنَا ؟ فَاجْعَلْنَا نَحْنُ فِيهَا ، فَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، وَنَعْمَلُ فِيهَا بِطَاعَتِكَ . وَأَعْظَمْتَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ مَن يَعَصِيهِ ، فَقَالَ : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . ﴿ يَتَّكِدُمُ اثْنَيْتُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ . فقال : فلائ ، وفلائ . قال : فلما رأوا ما أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ عَلَيْهِمْ ^(٥) ،

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٠٢، ١٠٣ بهذا الإسناد عن الربيع . ووقع فيه : حدثنا عمار بن الحسن .

(٢) فى الأصل ، ر : « الله » .

(٣) أى : لبت الإنسان بقى شيئا غير مذكور ، خوفا من يوم القيامة .

وقول عمر أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٢٣٥) ، وأبو عبيد فى الفضائل ص ٧٠ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٩٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) فى ص ، م : « خليفة » .

(٥) سقط من : م .

أَقْرَبُوا لَآدَمَ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِمْ ، وَأَبَى الْخَبِيثُ إِبْلِيسُ أَنْ يُقَرَّلَهُ ، قَالَ : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴿ (١) [الأعراف : ١٢، ١٣] .

وقال ابنُ إسحاقَ بما حَدَّثَنَا به ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : لما أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِقَدْرَتِهِ لِيَتَلَيَّهَ وَيَتَلَيَّ بِهِ ، لَعَلِّهِ بِمَا فِي مَلَائِكَتِهِ وَجَمِيعِ خَلْقِهِ - وَكَانَ أَوَّلَ بَلَاءٍ ابْتُلِيَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مِمَّا لَهَا فِيهِ مَا تَحِبُّ وَمَا تَكْرَهُ ، لِلْبَلَاءِ وَالتَّمْهِيصِ لِمَا فِيهِمْ مِمَّا لَمْ يَعْلَمُوا ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمُ اللَّهِ مِنْهُمْ - جَمَعَ (٢) الْمَلَائِكَةَ مِنْ سَكَاةِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . يَقُولُ : سَاكِنًا وَعَامِرًا لِيَسْكُنَهَا وَيَعْمُرَهَا ، خَلْقًا (٣) لَيْسَ مِنْكُمْ . ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِعِلْمِهِ فِيهِمْ ، فَقَالَ : يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ وَيَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي . فَقَالُوا جَمِيعًا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . لَا نَعْصِي ، وَلَا نَأْتِي شَيْئًا كَرِهْتَ ، ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) أَيْ (٥) : فِيكُمْ وَمِنْكُمْ - وَلَمْ يُبَيِّنْهَا لَهُمْ - مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَالْفَسَادِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَإِتْيَانِ مَا أَكْرَهُ مِنْهُمْ ، مِمَّا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ مِمَّا ذَكَرْتُ فِي بَنِي آدَمَ .

قال الله لحَمِيدٍ ﷺ : ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ [٤٣/٢] عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَفَعُولًا لَمْ سَجِدِينَ ﴾ [ص : ٦٩ - ٧٢] .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥/١ إلى المصنف مختصراً . وينظر الدر المنثور ٢٩٧/٦ .

(٢) في الأصل ، م : « جميع » .

(٣) في ر : « خلفا » .

(٤) بعده في ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « قال » .

(٥) بعده في م : « إني أعلم » .

فذكر لنبيه ﷺ الذي كان من ذكره آدم ﷺ حين أراد خلقه ، ومراجعة الملائكة إياه فيما ذكر لهم منه ، فلما عزم الله تعالى ذكره على خلق آدم قال للملائكة : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلَاصِلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٨] . بيديه تَكْرِيمَةً له ، وتَعْظِيمًا لأمره ، وتَشْرِيفًا له ، حَفِظَتِ الملائكةُ عَهْدَهُ ، وَوَعَوْا قَوْلَهُ ، وَأَجْمَعُوا لَطَاعَتَهُ ، إلا ما كان من عدوِّ الله إبليس ، فإنه صَمَتَ على ما كان في نفسه من الحسد والبغى والتكبر والمعصية .

وخلق الله آدم عليه السلام من أديم الأرض ؛ من طين لازبٍ من حمًا مسنونٍ بيديه ، تَكْرِيمَةً له ، / وتَعْظِيمًا لأمره ، وتَشْرِيفًا له على سائر خلقه .

٢٠٨/١

قال ابن إسحاق : فيقال والله أعلم : خلق الله آدم ، ثم وضعه ينظر إليه أربعين عامًا قبل أن ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالًا كالْفَخَارِ ، ولم تَمْسُسه نَارٌ . قال : فيقال والله أعلم : إنه لما انتهى الروح إلى رأسه عطس ، فقال : الحمد لله . فقال له ربُّه : يَزَحْمُكَ^(١) ربُّك . ووقع الملائكة حين استوى سجودًا له ؛ حفظًا لعهد الله الذي عهد إليهم ، وطاعةً لأمره الذي أمرهم به ، وقام عدوُّ الله إبليس من بينهم فلم يَسْجُدْ ، مُكَابِرًا مُتَعَظِّمًا ، بَغِيًّا وَحَسَدًا ، فقال له : ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ﴾ . إلى : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٧٥-٨٥] . قال : فلما فرغ الله من إبليس ومن مُعَاتَبَتِهِ ، وأبى إلا المعصية ، أوقع عليه اللعنة ، وأخرجه من الجنة ، ثم أقبل على آدم وقد علَّمه الأسماء كلها ، فقال : ﴿ يَتَادُمُ أَنْبَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . ﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ أى : إنما أجبناك فيما علَّمتنا ، فأما ما لم

(١) فى الأصل : «رحمك» .

تُعَلِّمُنَا فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ ، فكان ما سَمَّى آدَمُ مِنْ شَيْءٍ ، كان اسْمُهُ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(١) .

وقال ابنُ جُرَيْجٍ بما حَدَّثَنَا بِهِ الْقَاسِمُ ، قال : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قال : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : إِنَّمَا [٤٣ / ٢ ظ] تَكَلَّمُوا بِمَا أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ كَاتِنٌ مِنْ خَلْقِ آدَمَ ، فَقَالُوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ^(٢) .

وقال بعضهم : إِنَّمَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَالَتْ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَذِنَ لَهَا فِي السُّؤَالِ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ مَا أَخْبَرَهَا أَنَّ ذَلِكَ كَاتِنٌ مِنْ بَنَى آدَمَ ، فَسَأَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ، فَقَالَتْ عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْهَا : وَكَيْفَ يَعْصُونَكَ يَا رَبُّ وَأَنْتَ خَالِقُهُمْ ؟ فَأَجَابَهُمْ رَبُّهُمْ : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .
يعنى أَنَّ ذَلِكَ كَاتِنٌ مِنْهُمْ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوهُ أَنْتُمْ ، وَمِنْ بَعْضٍ مَنْ تَرَوْنَهُ لِي طَائِعًا ، يُعَرِّفُهُمْ بِذَلِكَ قُصُورَ عِلْمِهِمْ عَنْ عِلْمِهِ .

وقال بعضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ : قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْإِنْكَارِ مِنْهُمْ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَإِنَّمَا سَأَلُوهُ لِيَعْلَمُوا ، وَأَخْبَرُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ يُسَبِّحُونَ . وقال : قالوا ذلك لأنهم كرهوا أَنْ يُعْصِيَ اللَّهُ ؛ لِأَنَّ الْجِنَّ قَدْ كَانَتْ أُمِرَتْ قَبْلَ ذَلِكَ فَعَصَتْ .

وقال بعضهم : ذَلِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى وَجْهِ الْاسْتِزْشَادِ عَمَّا لَمْ يَعْلَمُوا مِنْ ذَلِكَ ، فَكَانَهُمْ قَالُوا : يَا رَبُّ خَبِّرْنَا . مَسْأَلَةٌ اسْتِخْبَارٍ مِنْهُمْ لِلَّهِ ، لَا عَلَى وَجْهِ مَسْأَلَةِ التَّوْبِيخِ .
قال أبو جعفرٍ : وَأَوَّلَى هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ مُخْبِرًا عَنْ مَلَائِكَتِهِ

(١) أخرج المصنف بعضه فى تاريخه ٩٣/١ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، وتقدم طرف منه فى ص ٤٧٧ .

(٢) ينظر تفسير ابن كثير ١/١٠٢ .

قِيلَ لَهَا لَه : ﴿ اَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . تَأْوِيلُ مَنْ قَالَ : إِنَّ ذَلِكَ مِنْهَا اسْتِخْبَارٌ لِرَبِّهَا ، بِمَعْنَى : أَعْلَمْنَا يَا رَبَّنَا ، أَجَاعِلُ أَنْتَ فِي الْأَرْضِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ، وَتَارِكٌ أَنْ تَجْعَلَ ^(١) خَلِيفَتَكَ فِيهَا ^(٢) ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ . لَا إِنكَارًا مِنْهَا لِمَا أَعْلَمَهَا رَبُّهَا أَنَّهُ فَاعِلٌ ، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ اسْتَعْظَمَتْ لِمَا أُخْبِرَتْ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ خَلْقٌ يَعْصِيهِ .

وَأَمَّا دَعْوَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ أَذِنَ لَهَا بِالسُّؤَالِ عَنْ ذَلِكَ ، فَسَأَلَتْ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ ، فَدَعْوَى لَا دَلَالَهَ عَلَيْهَا فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ ، وَلَا خَبَرَ بِهَا عَنْ ^(٣) الْحُجَّةِ يَقْطَعُ الْعُدْرَ ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقَالَ فِي تَأْوِيلِ كِتَابِ اللَّهِ بِمَا لَا دَلَالَهَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا الْحُجَّةُ .

وَأَمَّا وَصْفُ الْمَلَائِكَةِ مَنْ وَصَفَتْ - فِي اسْتِخْبَارِهَا رَبُّهَا عَنْهُ - بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَسْفِكِ الدِّمَاءِ ، فَغَيْرُ مُسْتَحِيلٍ فِيهِ ^(٤) مَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي رَوَاهُ السَّدِيُّ ، وَوَأَفْقَهُمَا [٢ / ٤٤] عَلَيْهِ قِتَادَةٌ مِنَ التَّأْوِيلِ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً تَكُونُ لَهُ ذُرِّيَّةٌ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالُوا : ﴿ اَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . عَلَى مَا وَصَفَتْ مِنَ الْاسْتِخْبَارِ . فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : وَمَا وَجْهُ اسْتِخْبَارِهَا ، وَالْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفَتْ مِنْ أَنَّهَا قَدْ أُخْبِرَتْ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ ؟

قِيلَ : وَجْهُ اسْتِخْبَارِهَا حِينَئِذٍ يَكُونُ عَنْ حَالِهِمْ عِنْدَ ^(٥) وَقُوعِ ذَلِكَ ، وَهَلْ

(١ - ١) فِي ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « خَلْفَاءُكَ » .

(٢) فِي م : « مِنْ » .

(٣) فِي ص : « مِنْهُ » .

(٤) فِي ر ، م : « عَنْ » .

ذلك منهم ؟ ومسألتهُم ربهم أن يجعلَهم الخلفاء في الأرض حتى لا يَغصُوه .
 وغيرُ فاسِدٍ أيضًا ما رواه الضحاكُ عن ابنِ عباسٍ ، وتابعه عليه الربيعُ بنُ أنسٍ ،
 من أن الملائكةَ قالت ذلك لِمَا كان عندها مِن علمِ سُكَّانِ الأرضِ قبلَ آدمَ من الجنِّ ،
 فقالت لربُّها : أجاعِلُ فيها أنت مثلهم مِن الخلقِ يَفْعَلون مثلَ الذي كانوا يَفْعَلون ؟
 على وجهِ الاستِعْلامِ منهم لربهم ، لا على وجهِ الإيجابِ أن ذلك كائنٌ كذلك ،
 فيكونَ ذلك منها إخبارًا عما لم تَطَّلِعْ عليه مِن علمٍ ^(١) الغيبِ .

وغيرُ خطأ أيضًا ما قاله ابنُ زيدٍ مِن أن يكونَ قِيلَ الملائكةَ ما قالت كان ^(٢) على
 وجهِ التعجبِ منها مِن أن يكونَ لله خلقٌ يَغصِي خالفه .

وإنما تَرَكْنَا القولَ بالذي رواه الضحاكُ عن ابنِ عباسٍ ، ووافقه عليه الربيعُ ،
 والذي قاله ابنُ زيدٍ في تأويلِ ذلك ؛ لأنه لا خبرَ عندنا بالذي قالوه مِن وجهِ يَقْطَعُ
 مجيئه العذرَ ، ويلزِمُ سامعَه به الحجَّةُ ، والخبرُ عما قد مضى وما قد سَلَفَ لا يُدْرِكُ
 علمُ صحتهِ إلا بمجيئه مَجِيئًا يَمْتَنِعُ منه التشاُعْبُ ^(٣) والتَّوَاطُّؤُ ، وَيَشْتَحِيلُ فيه ^(٤)
 الكذبُ والخطأُ والسَّهْوُ ، وليس ذلك بموجودٍ كذلك فيما حكاه الضحاكُ عن ابنِ
 عباسٍ ، ^(٥) ووافقه عليه الربيعُ ^(٥) ، ولا فيمَا قاله ابنُ زيدٍ .

فأولَى التَّأويلاتِ إذ كان الأمرُ كذلك بالآيةِ ، ما كان عليه مِن ظاهرِ التنزيلِ دلالةً
 مما يَصِحُّ مَخْرَجُه في المفهومِ .

(١) في ص : « ظهر » .

(٢) في ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « من ذلك » .

(٣) في ص : « الشاعر » .

(٤) في ص ، ر ، م : « منه » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

فإن قال قائل: فإن كان أولى التأويلات بالآية هو ما ذكرنا، من أن الله تعالى ذكره أخبر الملائكة بأن ذرية خليفته في الأرض يفسدون فيها ويسفكون فيها الدماء، فمن أجل ذلك قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾. فأين ذكرنا إخبار الله تعالى ذكره إياهم بذلك [٢/٤٤ ظ] في كتابه؟

قيل له: اكتفى بدلالة ما قد ظهر من الكلام عليه عنه، كما قال الشاعر^(١):

/ 'فلا تدفوني إن دفني محرم'^(٢) عليكم ولكن خايري^(٣) أم عامر
فحذف قوله: دعوني للتي يقال لها^(٤) إذا أريد^(٥) صيدها: خايري أم عامر^(٥).
إذ كان فيما ظهر من كلامه دلالة على معنى مراده، فكذلك ذلك في قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ لما كان فيه دلالة على ما ترك ذكره بعد قوله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ من الخبر عما يكون من إفساد ذريته في الأرض، اكتفى بدلالته، فحذف وترك ذكره، كما ذكرنا من قول الشاعر، ونظائر ذلك في القرآن وأشعار العرب وكلامها أكثر من أن يخصي، فلما ذكرنا من ذلك^(٦) اخترنا ما اخترنا من القول في تأويل قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾.

(١) في نسبة البيت خلاف، وأكثر الرواية تنسبه إلى الشنفرى - ينظر الشعر والشعراء ٨٠/١، والأغاني ١٨٢/٢١، وشرح الحماسة للرزوقي ٤٨٧/٢، وأمالى ابن السجى ٣٦٠/١ - وبعضها ينسبه إلى ثابت شراً. ينظر الحيوان ٤٥٠/٦، وأمالى المرتضى ٧٣/٢.

(٢ - ٢) رواية الجبوان: فلا تقبروني إن قبري محرم.

(٣) رواية الأصفهاني، والرزوقي: «أبشري».

(٤ - ٤) في م: «عند».

(٥) أم عامر هي الضبيع، ويضرب بها المثل فيشبه بها الأحقق فيقال: خايري أم عامر، ينظر عقلاء المجانين ص ٢٥، ٢٦، ومجمع الأمثال ٤٢٢/١.

(٦) بعده في ص: «ما ذكرنا».

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ .

أما قوله : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ . فإنه يعنى : إنا نعظمُك بالحمد لك والشكر ، كما قال الله تعالى ذكره : ^(١) ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [النصر : ٣] . وكما قال : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [الشورى : ٥] . وكل ذكر لله عند العرب فتسبيح وصلاة ، يقول الرجل منهم : قضيتُ شُبْحَتِي ^(٢) من الذكر والصلاة . وقد قيل : إن التسبيح صلاة الملائكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان النبي ﷺ يُصَلِّي ، فمرَّ رجل من المسلمين على رجل من المنافقين ، فقال له : النبي ﷺ يُصَلِّي وأنت جالس ! فقال له : امض إلى عملك إن كان لك عمل . فقال : ما أظن إلا سيمرُّ عليك من يُشكرُ عليك . فمرَّ عليه عمر بن الخطاب ، فقال له : يا فلان ، النبي ﷺ يُصَلِّي وأنت جالس ! فقال له مثلها ، فقال : هذا من عملي . فوثب عليه ، فضربه حتى انبهر ^(٣) ، ثم دخل المسجد ، فصلَّى مع النبي ﷺ ، فلما انقُلت النبي ﷺ قام إليه عمر ، [٤٥/٢] فقال : يا نبي الله ، مررتُ آنفاً على فلان وأنت تُصَلِّي ، فقلتُ له : النبي ﷺ يُصَلِّي وأنت جالس ! فقال : مُرَّ ^(٤) إلى عملك إن كان لك عمل . فقال النبي ﷺ : « فَهَلَّا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ » . فقام عمرٌ مُسرِعاً ، فقال : « يا عمر ، ارجع ، فإن غضبك عز ، ورضاك حُكم ، إن لله

(١ - ١) في ر : « نسبح بحمدك » .

(٢) السبحة : الدعاء ، وصلاة التطوع ، والنافلة . التاج (س ب ح) .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ : « ابتهر » ، وفي م : « انتهى » . والبهو : انقطاع النفس من الإعياء ، وقد انبهر وابتهر : أى تتابع نفسه . التاج (ب ه ر) .

(٤) في م : « سر » .

فى السماوات السبع ملائكة يُصلُّونَ له غَنًى^(١) عن صلاةِ فلانٍ . فقال عمرُ : يا نبيَّ اللهِ ، وما صلاتُهم ؟ فلم يَزِدْ عليه شيئاً ، فأتاه جبريلُ ، فقال : يا نبيَّ اللهِ ، سألكَ عمرُ عن صلاةِ أهلِ السماءِ ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : اقرَأْ على عمرَ السلامَ ، وأخبره أن أهلَ سماءِ الدنيا سجدوا إلى يومِ القيامةِ يَقُولونَ : سبحانَ ذى الملكِ والملكوتِ . وأهلَ السماءِ الثانيةِ ركوعُ^(٢) إلى يومِ القيامةِ يَقُولونَ : سُبحانَ ذى^(٣) العزةِ والجبروتِ . وأهلَ السماءِ الثالثةِ قيامٌ إلى يومِ القيامةِ يقولونَ : سبحانَ الحيِّ الذى لا يموتُ^(٤) .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ وسهلُ بنُ موسى الرازى ، قالا : حدَّثنا ابنُ عُليَّةَ ، قال : أَخْبَرَنَا الجُرَيْرِيُّ ، عن أبى عبدِ اللهِ الجَسْرِيِّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ الصامتِ ، عن أبى ذَرٍّ ، أن رسولَ اللهِ ﷺ عادَهُ - أو أن أبا ذَرٍّ عادَ النبيَّ ﷺ - فقال : يا رسولَ اللهِ ، بأبى أنت ، / أى الكلامِ أحبُّ إلى اللهِ جل وعز ؟ فقال : « ما اصطَفَى اللهُ لملائكتِهِ ؛ ٢١١/١ سبحانَ ربى وبحمده ، سبحانَ ربِّى وبحمده »^(٥) .

فى أشكالٍ لما ذَكَرْنَا مِنَ الْأَخْبَارِ ، كَرِهْنَا إطالَةَ الْكِتَابِ بِاسْتِثْصَائِهَا .

(١) فى الأصل : « غَناء » . وهما بمعنى .

(٢) فى الأصل ، ص ، ر : « قيام » .

(٣) كذا فى الأصل ، م ، والخلية ، وكتب فوقه فى الأصل : « رب » وفى ص ، ر ، ت ، ١ ، ت ٢ : « رب » .

(٤) إسناده مرسل ، ولا يصح وصله . أخرجه أبو نعيم فى الخلية ٢٧٧/٤ من طريق ابن حميد به .

وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ص ٦٢ (ترجمة عمر طبعة الرسالة) من طريق يعقوب به ، مختصراً . وأخرجه ابن عدى ٢٢٨٩/٦ ، وابن عساكر ص ٦٢، ٦١ من طريق يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، وعن أنس ، مختصراً . وصوب ابن عدى المرسل .

(٥) أخرجه الترمذى (٣٥٩٣) من طريق ابن عليَّة به . وأخرجه أحمد ١٤٨/٥ ، ١٦١ ، ١٧٦ (الميمنية) ، ومسلم (٢٧٣١) ، من طرق عن الجريرى به نحوه . وينظر العلل للدارقطنى ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

وأصل التسبيح لله عند العرب التنزيه له من إضافة ما ليس من صفاته إليه ،
والتبرئة له من ذلك ، كما قال أغشى بنى ثعلبة^(١) :

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سَبْحَانَ مِنْ عِلْقَمَةِ الْفَاجِرِ
يريدُ : سَبْحَانَ اللَّهِ مِنْ فَخْرِ عِلْقَمَةَ . أى : تنزيهاً^(٢) لله مما أتى علقمة من
الافتخار . على وجه التكثير^(٣) منه لذلك .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك التسبيح والتقديس في هذا الموضع ؛
فقال بعضهم : قولهم^(٤) : ﴿ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ : نُصَلِّيُ لَكَ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

[٤٥/٢ ط] حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ
السَّيِّدِ فِي خَيْرِ ذِكْرِهِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مَرْثَةَ
الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ قَالَ : يَقُولُونَ^(٥) : نُصَلِّيُ لَكَ^(٦) .
وَقَالَ آخَرُونَ : نُسَبِّحُ لَكَ التَّسْبِيحَ الْمَعْلُومَ .

(١) ديوانه ص ١٤٣ .

(٢) في ر : « تبرئة » .

(٣) في ص ، ر : « التكبير » ، ت ٢ : « التثكير » .

(٤) في الأصل ، ص ، ت ١ ، ت ٢ : « قوله » .

(٥) في الأصل : « يقول » .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٦/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة . وأخرجه ابن أبي
حاتم في تفسيره ٧٩/١ (٣٣٠) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي من قوله .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ . قَالَ : التَّسْبِيحُ : التَّسْبِيحُ ^(١) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ .

والتَّقْدِيسُ هُوَ التَّطْهِيرُ وَالتَّعْظِيمُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ . يَعْنِي بِقَوْلِهِمْ : سُبُّوحٌ . تَنْزِيَةً لِلَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، وَبِقَوْلِهِمْ : قُدُّوسٌ . طَهَارَةً لَهُ وَتَعْظِيمًا . وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْأَرْضِ : أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ . يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُطَهَّرَةُ .

فَمَعْنَى قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ إِذَنْ : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ : نُنَزِّهُكَ وَنُبْرِئُكَ مِمَّا يُضْيِفُهُ إِلَيْكَ أَهْلُ الشَّرِكِ بِكَ ، وَنُصَلِّيَ لَكَ . ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . نَنْسِبُكَ إِلَى مَا هُوَ مِنْ صِفَاتِكَ مِنَ الطَّهَارَةِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَمَا أَضَافَ إِلَيْكَ أَهْلُ الْكُفْرِ بِكَ .

وَقَدْ قِيلَ : إِنْ تَقْدِيسَ الْمَلَائِكَةِ لِرَبِّهَا صَلَاتُهَا لَهُ ، كَمَا حَدَّثَنَا بِهِ الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قَالَ : التَّقْدِيسُ : الصَّلَاةُ ^(٢) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ : نُعْظِمُكَ وَنُجَدِّدُكَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو

(١) تفسير عبد الرزاق - كما في الدر المنثور ٤٦/١ - وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩/١ (٣٢٩) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق - كما في الدر المنثور ٤٦/١ - وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩/١ (٣٣٢) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد .

سعيد المؤدّب ، قال : حدّثنا إسماعيلُ ، عن أبي صالحٍ في قوله : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : نُعَظِّمُكَ وَنُجَدِّدُكَ ^(١) .

حدّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : حدّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدّثني عيسى ، وحدّثني المثنى ، قال : حدّثنا أبو حذيفة ، قال : حدّثنا شبّلُ ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مُجاهِدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : نُعَظِّمُكَ وَنُكَبِّرُكَ ^(٢) .

٢١٢/١ [٤٦/٢ و] / حدّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ : لا نعصى ولا نأتى شيئاً نكرهه ^(٣) .

حدّثتُ عن المنجابِ ، قال : حدّثنا بشرٌ ، عن أبي روقٍ ، عن الضحاكِ في قوله : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : التقديسُ : التطهيرُ ^(٤) .

وأما قولُ من قال : التقديسُ : الصلاةُ ، أو ^(٥) : التعظيمُ . فإن معنى قوله ذلك راجعٌ إلى نحو ^(٦) المعنى الذى ذكرنا من التطهيرِ ، من أجل أن صلاتها لرَبِّها تعظيمٌ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ص ١١٣ (٣٣٤، ٣٣٥ - تحقيق د. أحمد عبد الله العمارى) من طريق سفيان ، عن إسماعيل به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٩ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم فى تفسيره ص ١١٣ (٣٣٣ - تحقيق د. أحمد عبد الله العمارى) من طريق ابن أبي نجيح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/١ إلى عبد بن حميد . وينظر تفسير الثورى ص ٤٤ .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٠٣ ، وتقدم بتمامه فى ص ٤٩٦ .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٠٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٩/١ (٣٣١) عن أبى زرعة ، عن منجاب ، عن بشر ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس .

(٥) فى ر ، ت ، ١ ، ت ٢ : « و » .

(٦) سقط من : ر ، م .

منها له ، وتطهيرٌ مما ينسبُ إليه أهلُ الكفرِ به .

ولو كان ^(١) مكانَ : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ : ونُقَدِّسُكَ . كان فصيحاً من الكلام ، وذلك أن العربَ تقولُ : فلانٌ يُسَبِّحُ اللهَ ويُقَدِّسُهُ ، ويُسَبِّحُ لله ويُقَدِّسُ له . بمعنى واحدٍ ، وقد جاء بذلك القرآنُ ، قال الله جلَّ ثناؤه : ﴿ كَيْ تَسْبَحَ كَثِيرًا ﴾ [طه : ٣٣] . وقال في موضعٍ آخرَ : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [الجمعة : ١] .

القولُ في تأويلِ قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .
اختلف أهلُ التأويلِ في تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضهم : يعني بقوله : ﴿ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ مما اطلع عليه من إبليسَ ، وإضماره المعصيةَ لله وإخفائه الكبرَ ، مما اطلع عليه تعالى ذكره منه ، وخفي على ملائكتِهِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يَقُولُ : إِنِّي قَدْ أَطْلَعْتُ مِنْ قَلْبِ إِبْلِيسَ عَلَى مَا لَمْ تَطَّلِعُوا عَلَيْهِ مِنْ كِبَرِهِ ^(٢) واغتراره ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ [٤٦ / ٢] ط [عَبَّاسٍ ،

(١) في ص ، م : « قال » .

(٢ - ٣) في الأصل : « واعتزازه » . وتقدم الأثر بتمامه في ص ٤٨٢ وما بعدها .

وعن مُرَّةً ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبي ﷺ : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يعنى : من شأنِ إبليس^(١) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاق الأهوازي ، قال : حدَّثنا أبو أحمد ، وحدَّثنا محمدُ ابنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا مؤمِّلٌ ، قال جميعاً : حدَّثنا سفيانٌ ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : عِلِم من إبليس المعصية وخلقه لها^(٢) .

حدَّثني موسى بنُ عبد الرحمن المَشْرُوقِي ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ بشرٍ ، قال : حدَّثنا سفيانٌ ، عن عليّ بنِ بَديمةٍ ، عن مُجاهِدٍ مثله^(٣) .

حدَّثنا أبو كريِّبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ يمانٍ ، عن سفيانٍ ، عن عليّ بنِ بَديمةٍ ، عن مُجاهِدٍ مثله .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا حَكَّامٌ ، عن عَنبَسَةَ ، عن محمدٍ بنِ عبد الرحمن ، عن القاسمِ بنِ أبي بَزةٍ ، عن مُجاهِدٍ في قوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : عِلِم من إبليس المعصية وخلقه لها .

/ حدَّثني جعفرُ^(٤) بنُ محمدٍ البُزُورِيُّ ، قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ بشرٍ ، عن حمزة

٢١٣/١

(١) تقدم بتمامه في ص ٤٨٦ - ٤٨٨ .

(٢) أخرجه ابن عيينة في تفسيره - كما في الدر المنثور ٤٦/١ - وعنه سعيد بن منصور في سننه (١٨٤) - تفسير) عن ابن أبي نجيح وغيره ، عن مجاهد . وهو في تفسير مجاهد ص ١٩٩ .
وأخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية ص ٦٠ من طريق ابن جريج ، عن مجاهد . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٩٣٨) عن أبيه ، عن محمد بن بشر به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩/١ (٣٣٤) من طريق علي بن بَديمة به .

(٤) في الأصل : « يعقوب » .

الزيات ، عن ابن أبي نجيح ، عن مُجاهدٍ في قوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .
قال : عَلِمَ مِنْ إِبْلِيسَ كَثْمَانَهُ الْكَبِيرَ أَلَا يَسْجُدَ لآدَمَ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قال : حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ
مِيمُونٍ ^(١) ، قال : وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ ، قال : حَدَّثَنَا شَيْبَةُ ،
جَمِيعًا عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .
قال : عَلِمَ مِنْ إِبْلِيسَ الْمَعْصِيَةَ ^(٢) .

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قال : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ
مِثْلَهُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا سُؤَيْدٌ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ سُفْيَانَ ، قال :
قال مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : عَلِمَ مِنْ إِبْلِيسَ الْمَعْصِيَةَ ،
وَخَلَقَهُ لَهَا . وقال مرةً : آدَمَ .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا حُجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ ، قال : حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ
سُلَيْمَانَ ، قال : سَمِعْتُ عَبْدَ الْوَهَّابِ بْنَ مُجَاهِدٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي
أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤) . قال : عَلِمَ مِنْ إِبْلِيسَ الْمَعْصِيَةَ وَخَلَقَهُ لَهَا ، وَعَلِمَ مِنْ آدَمَ
الطَّاعَةَ وَخَلَقَهُ لَهَا .

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مُعَمَّرٌ ، عَنْ ابْنِ

(١) بعده في ر : « عن ابن أبي نجيح عن مجاهد » .

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٨٩١) من طريق شبل به ، بزيادة : وخلقها لها .

(٣) أخرجه وكيع - كما في الدر المنثور ٤٦/١ - ومن طريقه عبد الله بن أحمد في السنة (٩٣٨) .

(٤) في ص : « يعلمون » .

طاوس ، عن أبيه والثوري ، عن علي بن بزيمة ، عن مجاهد في قوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : عليم من إبليس المعصية وخلقه لها^(١) .

وحديثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق^(٢) : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أى : فيكم ومنكم - ولم يندبها لهم - [٤٧/٢] من المعصية والفساد وسفك الدماء^(٣) .

وقال آخرون : معنى ذلك : إني أعلم ما لا تعلمون من أنه يكون من تلك^(٤) الخليفة أهل الطاعة والولاية لله جل ذكره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ : فكان في علم الله أنه سيكون من تلك الخليفة^(٥) أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة^(٦) .

وهذا الخبر من الله تعالى ذكره يُنبئ عن أن ملائكته التي قالت : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . استفظعت أن يكون لله جل ثناؤه خلق يعصيه ، وعجبت منه إذ أخبرت أن ذلك كائن فلذلك قال لهم ربهم : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا

(١) تفسير عبد الرزاق - كما في الدر المنثور ٤٦/١ - وأخرجه عبد الرزاق أيضًا في الأمالي (١٩٥) .

(٢) في ر : « أبى » .

(٣) تقدم مطولاً في ص ٤٩٦ .

(٤) في م : « ذلك » .

(٥ - ٥) في م : « ذلك الخليفة » ، وفي ت ١ : « تلك الخليفة » .

(٦) في الأصل ، وتفسير ابن أبي حاتم : « ساكن » ، وفي ر ، ت ١ : « ساكنون » .

(٧) جزء من الأثر المتقدم في ص ٤٩١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩/١ (٣٣٥) من طريق سعيد بن

بشير ، عن قتادة . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٤٦/١ إلى عبد بن حميد .

تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ يَغْنَىٰ بِذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ : إِنَّكُمْ لَتَعْجَبُونَ مِنْ أَمْرِ^(١) وَتَسْتَظْفِرُونَهُ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ فِي بَعْضِكُمْ ، وَتَصِفُونَ أَنْفُسَكُمْ بِصِفَةٍ أَعْلَمُ خِلَافَهَا مِنْ بَعْضِكُمْ ، وَتَعَزِّضُونَ بِأَمْرِ قَدْ جَعَلْتَهُ لغيرِكُمْ . وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ^(٢) قَالَتْ لِرَبِّهَا^(٣) - لِمَا أَخْبَرَهَا رَبُّهَا بِمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ ذَرِيَةِ خَلِيفَتِهِ مِنَ الْفَسَادِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ - قَالَتْ لِرَبِّهَا : رَبَّنَا ، أَجَاعِلُ أَنْتَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً مِنْ غَيْرِنَا ،^(٤) يَكُونُ مِنْ ذَرِّيَّتِهِ^(٥) مِنْ يَعْصِيكَ أَمْ مِنَّا ، فَإِنَا نَعْظُمُكَ وَنُصَلِّي لَكَ وَنُطِيعُكَ وَلَا نَعْصِيكَ ؟ - وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهَا عِلْمٌ بِمَا قَدْ انْطَوَى كَشْحًا عَلَيْهِ إِبْلِيسُ مِنْ اسْتِكْبَارِهِ عَلَى رَبِّهِ - فَقَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ : إِنِّي أَعْلَمُ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُونَ مِنْ بَعْضِكُمْ . وَذَلِكَ هُوَ مَا كَانَ مُسْتَوْرًا عَنْهُمْ مِنْ أَمْرِ إِبْلِيسَ وَانْطَوَائِهِ عَلَى مَا كَانَ قَدْ انْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ ، وَعَلَى قِيلِهِمْ ذَلِكَ ، وَوَضَفِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِالْعُمُومِ مِنَ الْوَصْفِ ، غُوتِبُوا .

٢١٤/١

/ الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ ﴾ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمِّيُّ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمَغِيرَةِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : بَعَثَ رَبُّ الْعِزَّةِ تَعَالَى ذِكْرَهُ إِبْلِيسَ^(٤) ، فَأَخَذَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ مِنْ عَذْبِهَا وَمِلْحِهَا ، فَخَلَقَ مِنْهُ آدَمَ ، وَمِنْ ثَمَّ سُمِّيَ آدَمَ ؛ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدِيمٍ [٤٧/٢ ط] الْأَرْضِ^(٥) .

(١) فِي م : « أَمْرُ اللَّهِ » .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : ر ، ت ، ١ ، ت ، ٢ .

(٣ - ٣) فِي الْأَصْلِ : « تَكُونُ ذَرِيَّتُهُ تَعْصِيكَ وَاجْعَلْهُ » .

(٤) فِي م : « مَلِكُ الْمَوْتِ » .

(٥) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٩٠/١ ، ٩١ ، وَفِيهِ زِيَادَةٌ ، وَيَنْظُرُ تَفْسِيرَ عَبْدِ الرَّزَاقِ ٤٣/١ .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ ٣٨٠/٧ مِنْ طَرِيقِ يَعْقُوبَ الْقُمِيِّ بِهِ نَحْوَهُ .

وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ (٨١٦) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ =

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ : إِنَّ آدَمَ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ
الْأَرْضِ ، فِيهِ الطَّيِّبُ وَالصَّالِحُ وَالرَّذَىءُ ، فَكُلُّ ذَلِكَ أَنْتَ رَأَيْ فِي وَلَدِهِ ، الصَّالِحِ
وَالرَّذَىءُ ^(١) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ ، عَنْ
أَبِي حَصِينٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، قَالَ : خُلِقَ آدَمُ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ ، فَسُمِّيَ
آدَمَ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ ،
عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، قَالَ : إِنَّمَا سُمِّيَ آدَمَ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَشْبَاهُ ، عَنْ الشَّدِيِّ ،
فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مُرَّةَ ، عَنْ ابْنِ
مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ لَمَّا بُعِثَ لِيَأْخُذَ مِنْ

= مختصراً . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/١ إلى المصنف وابن سعد وابن أبي حاتم وابن عساكر
مطولاً . وأخرجه ابن سعد ٢٦/١ - ومن طريقه ابن عساكر ٣٧٩/٧ ، ٣٨٠ - من طريق آخر ، عن يعقوب ،
عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن مسعود . وابن جبير لم يدرك ابن مسعود .

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٩١/١ . وعمرو بن ثابت ضعيف .

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ٩١/١ . وأخرجه ابن سعد ٢٦/١ من طريق مسعر به .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ٩١/١ . وأخرجه ابن سعد ٢٦/١ - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ٧/٧

٣٨٧ - من طريق شعبة به . وأخرجه ابن عساكر ٣٨٦/٧ من طريق الثوري ، عن أبي حصين أو غيره ، عن

سعيد بن جبير . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/١ إلى عبد بن حميد . وأخرجه ابن عساكر أيضا ٣٨٧/٧

من طريق إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، بزيادة ستأتي من طريق آخر عن سعيد في

تفسير الآية ١١٥ من سورة طه .

الأرض تُزْبَةُ آدَمَ ، أَخَذَ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ وَخَلَطَ ، فَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ ، وَأَخَذَ مِنْ تَرَبَّةٍ حُمْرَاءَ وَبَيْضَاءَ وَسُودَاءَ ، فَلِذَلِكَ خَرَجَ بَنُو آدَمَ مُخْتَلِفِينَ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ آدَمَ ؛ لِأَنَّهُ أُخِذَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ ^(١) .

وقد رَوَى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ خبرٌ يُحَقِّقُ ما قالَ مَنْ حَكَيْنَا قَوْلَهُ فى معنى «آدَمَ» ، وذلك ما حَدَّثَنِى به يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالَ : حَدَّثَنَا ابنُ عُثَيْمَةَ ، عن عوفٍ ، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ بَشَّارٍ وَعُمَرُ بنُ شَبَّةَ ، قالا : حَدَّثَنَا يحيى بنُ سعيدٍ ، قالَ : حَدَّثَنَا عوفٌ ، وَحَدَّثَنَا ابنُ بَشَّارٍ ، قالَ : حَدَّثَنَا ابنُ أَبِي عَدِيٍّ وَمُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ وَعَبْدُ الوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ ، قالوا : حَدَّثَنَا عوفٌ ، وَحَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بنُ عُمَارَةَ الْأَسَدِيُّ ، قالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بنُ أَبَانَ ، قالَ : حَدَّثَنَا عَنبَسَةُ ، عن عوفٍ الْأَعْرَابِيِّ ، عن قَسَامَةَ بنِ زُهَيْرٍ ، عن أَبِي موسى الْأَشْعَرِيِّ ، قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ ، فَجاءَ بَنُو آدَمَ على قَدَرِ الْأَرْضِ ، جاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ ، وَبَيْنَ ذَلِكَ ، ^(٢) وَالسَّهْلُ وَالْحَزَنُ ^(٣) ، وَالْحَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ^(٤) » .

(١) تقدم تخريجه فى ص ٤٨٨ .

(٢ - ٣) فى الأصل : «الحن والسهل» .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ٩١/١ بزيادة فى آخره . وأخرجه الترمذى (٢٩٥٥) ، وأبو الشيخ فى العظمة (١٠١٤) من طريق ابن بشار به . وأخرجه أحمد ٤٠٦،٤٠٠/٤ (الميمنية) ، وأبو داود (٤٦٩٣) ، وابن حبان (٦١٨١) ، وأبو الشيخ (١٠١٥) من طريق يحيى بن سعيد به . وأخرجه أحمد ٤٠٠/٤ (الميمنية) عن محمد بن جعفر به .

وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٤٣/١ ، وابن سعد ٢٦/١ ، وأحمد ٤٠٦،٤٠٠/٤ (الميمنية) ، وعبد بن حميد (٥٤٨) ، وأبو داود (٤٦٩٣) ، وابن حبان (٦١٦٠) ، والحاكم ٢٦١/٢ ، وأبو نعيم فى الحلية ٣/١٠٤ ، ٨/١٣٥ ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٨١٥،٧١٥) ، وابن عساكر فى تاريخه ٣٧٤/٧ من طرق أخرى عن عوف به . وقال الترمذى : حسن صحيح . وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

(تفسير الطبرى ٢٣/١)

٢١٥/١ قال أبو جعفر: فعلى التأويل الذى تأول «آدم» مَنْ تأوَّله بمعنى أنه خُلِقَ من أديم الأرض، يَجِبُ أن يكون أصلُ «آدم» فعلاً / سُمِّيَ به أبو البشر، كما سُمِّيَ أحمدُ بالفعل [٢/٤٨ و] من الإحماد، وأسعدُ من الإسعاد، فلذلك لم يُجَرَ^(١). ويكون تأويله حينئذٍ: آدمُ الملكُ الأرض. يعنى به: بلغ أدمتها - وأدمتها: وجهها الظاهر لرأى العين، كما^(٢) جلدة كل^(٣) ذى جلدة^(٤) له أدمة، ومن ذلك سُمِّيَ الإدائم إداماً؛ لأنه صار كالجلدة العليا مما هي منه - ثم نُقِلَ من الفعل فجُعِلَ اسماً للشخص بعينه.

القول فى تأويل قوله جل وعز: ﴿الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا﴾.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل فى الأسماء التى علّمها آدم ثم عرضها على الملائكة؛ فقال ابن عباس بما حدّثنا به أبو كريب، قال: حدّثنا عثمان بن سعيد، قال: حدّثنا بشر بن عمار، عن أبى رزق، عن الضحّاك، عن ابن عباس، قال^(٥): علّم الله آدم الأسماء كلها، وهى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس؛ إنساناً، ودابةً، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها^(٥).

حدّثنا محمد بن عمرو، قال: حدّثنا أبو عاصم، قال: حدّثنا عيسى، وحدّثنى المثنى، قال: حدّثنا أبو حذيفة، قال: حدّثنا شبّل، عن ابن أبى نجیح، عن مُجاهد

(١) أى لم يُضرف، والإجراء الصرف. ينظر المصطلح النحوى ص ١٦٦.

(٢) بعده فى م: «أن».

(٣ - ٢) فى ص: «شئ».

(٤) فى ت ١، ت ٢: «فلما».

(٥) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٢ - ٤٨٥.

فى قول الله تعالى ذكره: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. قال: ^(١) ما خلق الله كله ^(١).

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبى، عن سفيان، عن خُصيف، عن مُجاهد: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. قال: علّمه اسم كل شيء ^(٢).

حدثنا على بن الحسن ^(٣)، قال: حدثنا مُسلم الجرمي، عن محمد بن مُصعب، عن قيس بن الربيع، عن خُصيف، عن مُجاهد، قال: علّمه اسم الغراب والحمامة، واسم كل شيء ^(٤).

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبى، عن شريك، عن سالم الأقطس، عن سعيد ابن جبّير، قال: علّمه اسم كل شيء، حتى البعير والبقرة والشاة ^(٥).

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبى، عن شريك، عن عاصم بن كليب، عن سعيد ^(٦) بن مَعْبُد، عن ابن عباس، قال: علّمه اسم ^(٧) القُصعة والفُسوة ^(٨) والفُسَيّة ^(٩).

(١ - ١) فى م، ت ١، ت ٢: «علمه اسم كل شيء».

والأثر أخرجه المصنف فى تاريخه ٩٧/١، وهو فى تفسير مجاهد ص ١٩٩.

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٩٧/١. وأخرجه ابن أبى حاتم ٨٠/١ (٣٣٨) من طريق سفيان، عن ابن أبى نجیح، عن مجاهد، بلفظ: علمه كل دابة وكل طير وكل شيء.

(٣) فى ص، ت ١: «الحسين».

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٢/١ (٣٥١) من طريق قيس به.

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ٩٨/١. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/١ إلى وكيع.

(٦) فى الأصل: «سعد».

(٧) بعده فى ت ١: «كل شيء حتى».

(٨) فى ت ٢: «القوس».

(٩) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٠/١ (٣٣٧) من طريق عاصم به. وسعيد بن معبد مجهول.

حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَرِيكٌ ، عَنْ عَاصِمِ ابْنِ كُثَيْبٍ ، [٤٨ / ٢ ظ] عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ . قَالَ : حَتَّى الْفُسُوءِ وَالْفُسَيْيَةِ ^(١) .

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُضْعَبٍ ، عَنْ قَيْسٍ ، عَنْ ^(٢) عَاصِمِ بْنِ كُثَيْبٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَعْبُدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ . قَالَ : عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى الْهَنَةِ وَالْهَنْئَةِ ، وَالْفُسُوءَ وَالضَّرْطَةَ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ ، عَنْ عَاصِمِ ابْنِ كُثَيْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : عَلَّمَهُ الْقُضْعَةَ مِنَ الْقُضَيْعَةِ ، وَالْفُسُوءَ مِنَ الْفُسَيْيَةِ ^(٤) .

حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ / الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ . حَتَّى بَلَغَ : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ أَلْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ٢١٦/١ قَالَ يَكَادُمُ أَنْفُسُهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ : فَأَنْبَأَ كُلَّ صَنْفٍ مِنَ الْخَلْقِ بِاسْمِهِ ، وَأَلْجَأَهُ إِلَى جَنْبِهِ ^(٥) .

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ . قَالَ : عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٩٧ / ١ .

(٢) في الأصل ، ص : « ابن » .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ٩٧ / ١ .

(٤) عاصم بن كليب لم يدرك ابن عباس كما في الأسانيد قبله .

(٥) أخرجه المصنف في تاريخه ٩٨ / ١ . وينظر تاريخ دمشق ٣٩٩ / ٧ .

شيء؛ هذا جبل، وهذا بحر، وهذا كذا، وهذا كذا، لكل شيء، ثم عرض تلك الأسماء^(١) على الملائكة، فقال: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن جرير بن حازم ومبارك، عن الحسن، وأبي بكر، عن الحسن وقتادة، قال: علمه اسم كل شيء؛ هذه الخيل، وهذه البغال، والإبل، والجن، والوحش، وجعل يُسمّى كل شيء باسمه^(٣).

حدثت عن عمار، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن غير الربيع، قال: اسم كل شيء. وقال آخرون: علم آدم أسماء الملائكة.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثت عن عمار، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. قال: أسماء الملائكة^(٤). وقال آخرون: إنما علمه أسماء ذريته.

(١) في م: «الأشياء».

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ٩٨/١. وهو في تفسير عبد الرزاق ٤٢/١، ٤٣.

(٣) تقدم بتمامه في ص ٤٩٣.

(٤) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢.

(٥) أخرجه المصنف في تاريخه ٩٩/١ عن عبدة المروزي، عن عمار بن الحسن به.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ . قَالَ : أَسْمَاءُ ذُرِّيَّتِهِ كُلِّهِمْ ^(١) أَجْمَعِينَ ^(٢) .

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب وأشبهها بما دلَّ على صحته ظاهرُ التلاوة، قولُ مَنْ قال في قوله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ . أنها أسماءُ ذُرِّيَّتِهِ وأسماءُ [٤٩/٢ ر] الملائكة، دون أسماءِ سائرِ أجناسِ الخلق، وذلك أن الله تعالى ذكره قال: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ . يعنى بذلك أعيانَ المُسَمَّينَ بالأسماءِ التي علَّمها آدمَ. ولا تكادُ العربُ تُكْنِي بالهاءِ والميمِ إلا عن أسماءِ بنى آدمَ والملائكة. فأما إذا كُنْتُ عن أسماءِ البهائمِ وسائرِ الخلقِ سوى مَنْ وَصَفْنَا، فإنها تُكْنِي عنها بالهاءِ والألفِ، أو ^(٣) بالهاءِ والنونِ، فقالت: عَرَضَهُنَّ، أو عَرَضَها. وكذلك تَفْعُلُ إذا كُنْتُ عن أصنافٍ مِنَ الخلقِ؛ كالبهائمِ والطيرِ وسائرِ أصنافِ الأُممِ، وفيها أسماءُ بنى آدمَ أو ^(٤) الملائكة، فإنها تُكْنِي عنها بما وَصَفْنَا مِنَ الهاءِ والنونِ، و ^(٥) الهاءِ والألفِ. وربما كُنْتُ عنها إذا كان ذلك ^(٦) كذلك، بالهاءِ والميمِ، قال تعالى ذكره: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ ^(٧) كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَبَيْنَهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾

(١) سقط من: م، ت، ١، ٢، وفي ص، ر: «كلها».

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ٩٩/١ مطولاً.

(٣) في ت ١: «و».

(٤) في ر، م، ت، ١: «و».

(٥) في م: «أو».

(٦) سقط من: ص، ر، م، ت، ١، ٢.

(٧) في الأصل: «خالق». وهي قراءة حمزة والكسائي. السبعة لابن مجاهد ص ٤٥٧.

[النور: ٤٥]. فكُنِيَ عنها بالهاءِ والميمِ ، وهى أصنافٌ مختلفةٌ ، فيها آدميٌّ وغيره . وذلك وإن كان جائزًا ، فإن الغالبَ المُستفِضُ فى كلامِ العربِ ما وصَفْنَا ، مِن إخراجِهِم كنايةً أسماءِ أجناسِ الأممِ - إذا اختَلَطَت - بالهاءِ والألفِ ، و^(١) الهاءِ والنونِ ؛ فلذلك قلتُ : أولى بتأويلِ الآيةِ أن تكونَ الأسماءُ التى عَلَّمَهَا آدمُ أسماءَ أعيانِ بنى آدمَ وأسماءِ الملائكةِ . وإن كان ما قال ابنُ عباسٍ / جائزًا ، على مثالِ ما جاء ٢١٧/١ فى كتابِ اللَّهِ جل ثناؤه مِن قوله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ ^(٢) كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ﴾ الآية . وقد ذُكِرَ أنها فى حرفِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ : (ثم عَرَضَهُنَّ) ^(٣) . وأنها فى حرفِ أبيّ : (ثم عَرَضَهَا) ^(٤) .

ولعلَّ ابنَ عباسٍ تأوَّل ما تأوَّل مِن قوله : عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ ، حتى الفسوةِ والفسئيةِ . على قراءةِ أبيّ ، فإنه فيما بلغنا كان يَقْرَأُ قراءةَ أبيّ . وتأويلُ ابنِ عباسٍ - على ما حكى عن أبيّ من قراءته - غيرُ مُسْتَنَكِرٍ ، بل هو صحيحٌ مُسْتَفِضٌ فى كلامِ العربِ ، على نحوِ ما تقدَّم وصِفَى ذلك .

القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قد تقدَّم ذكرُنا التأويلَ الذى هو أولى بالآيةِ على قراءتنا ورسمِ مُصَحِّفِنا ، وأن [٢ / ٤٩ ظ] قوله : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴾ . بالدلالةِ على بنى آدمَ والملائكةِ ، أولى منه بالدلالةِ على أجناسِ الخلقِ كُلِّها ، وإن كان غيرَ فاسدٍ أن يكونَ دالًّا على

(١) فى م : « أو » .

(٢) فى الأصل ، ر ، ت ، ١ : « خالق » .

(٣) فى النسخ : « و » .

(٤) ينظر البحر المحيط ١ / ١٤٦ .

(٥) زيادة من : م .

جميع أصناف الأمم ، للعلل التي وصفنا .

ويعنى بقوله : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴾ : ثم عرض أهل الأسماء على الملائكة .

وقد اختلف المفسرون فى تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ نحو اختلافهم فى قوله : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ . وسأذكر " قول بعض " من انتهى إلينا عنه فيه قول .

حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبى رزق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ : ثم عرض هذه الأسماء على الملائكة . يعنى أسماء جميع الأشياء التى علمها آدم من أصناف الخلق ^(٢) .

حدثنى موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن الشدى فى خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴾ : ثم عرض الخلق على الملائكة ^(٣) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أسماء ذريته كلها أخذهم من ظهره ، ثم عرضهم على الملائكة ^(٤) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن

(١ - ١) فى ص ، م : « قول » ، وفى ر ، ت ، ١ ، ت ٢ : « بعض قول » .

(٢) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٥ .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٠٥/١ عن السدى به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٠/١ (٣٤١) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وتقدم بتمامه فى ص ٤٨٨ .

(٤) تقدم تخريجه فى ص ٥١٨ .

قتادة: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ . قال : علّمه اسم كل شيء ، ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ : عرض أصحاب الأسماء على الملائكة^(٢) .

حدثني علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم ، قال : حدثنا محمد بن مضع ، عن قيس ، عن خصيف ، عن مجاهد : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ . يعني : عرض الأسماء ؛ الحماة والغراب^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن جرير بن حازم ومبارك ، عن الحسن ، وأبي بكر ، عن الحسن و قتادة ، قالا : علّمه اسم كل شيء ؛ هذه الخيل ، وهذه البغال ، وما أشبه ذلك ، وجعل يُسمّى كل شيء باسمه ، وعرضت عليه أمة أمة^(٤) .

٢١٨/١

/ القول في تأويل قوله جلّ وعزّ : ﴿فَقَالَ أَنِثُونِي﴾ .

قال أبو جعفر : وتأويل قوله عزّ وجلّ : ﴿أَنِثُونِي﴾ : أخبروني . كما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان [٥٠/٢] بن سعيد ، قال : حدثنا بشر ، عن أبي رَوْق ، عن الضحّاك ، عن ابن عباس : ﴿أَنِثُونِي﴾ . يقول : أخبروني بأسماء هؤلاء^(٥) .

(١) تقدم تخريجه في ص ٥١٧ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/١ إلى المصنف .

(٣) تقدم في ص ٥١٥ .

(٤) تقدم بتمامه في ص ٤٩٣ .

(٥) تقدم بتمامه في ص ٤٨٥ .

ومنه قول نابغة بنى ذُيَّان^(١) :

وَأَنْبَأَ الْمُنْبِئُ أَنَّ حَيًّا حُلُولًا مِنْ حَرَامٍ^(٢) أَوْ مُجَذَّامٍ
يعنى بقوله : أنبأه : أخبره وأعلمه .

القول فى تأويل قوله : ﴿ يَا سَمَاءُ هَؤُلَاءِ ﴾ .

حدَّثنى محمد بن عمرو ، قال : حدَّثنا أبو عاصم ، قال : حدَّثنا عيسى ،
وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو خديفة ، قال : حدَّثنا شبيل ، جميعاً عن ابن أبي
نَجِيح ، عن مُجاهد فى قوله : ﴿ يَا سَمَاءُ هَؤُلَاءِ ﴾ . قال : بأسماء هذه التى حدَّثت
بها آدم^(٣) .

حدَّثنا القاسم ، قال : حدَّثنا الحسين بن داود ، قال : حدَّثنى حجاج ، عن ابن
جُرَيْج ، عن مجاهد ، قال : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . يقول :
بأسماء هؤلاء التى^(٤) حدَّثت بها آدم^(٣) .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣١) .

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فحدَّثنا أبو كُرَيْب ، قال :
حدَّثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدَّثنا بشر بن عمار ، عن أبى رزق ، عن الضَّحَّاك ،
عن ابن عباس : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ : إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لِمَ أَجْعَلُ فى الأرضِ

(١) ديوانه ص ١٦٢ .

(٢) فى ت ٢ : « حزام » ، وفى ت ١ : « جذام » . وحرام : بطن من جذام .

(٣) تفسير مجاهد ص ١٩٩ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨١/١ (٣٤٢) .

(٤) فى ت ١ ، ت ٢ : « الذين » .

خليفة^(١) ؟

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ،
عَنِ الشَّيْذِيِّ فِي خَيْرِ ذِكْرِهِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ
مُرَّةَ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
أَنَّ بَنِي آدَمَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ
حَازِمٍ وَمُبَارِكٍ ، عَنِ الْحَسَنِ ، وَأَبِي بَكْرٍ ، عَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ : ﴿ فَقَالَ أَنْثُونِي بِأَسْمَاءِ
هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أَنَّى لَمْ^(٣) أَخْلُقْ خَلْقًا إِلَّا كُنْتُمْ أَعْلَمَ مِنْهُ ، فَأَخْبِرُونِي
بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(٤) .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية تأويل ابن عباس ومن قال بقوله .
[٥٠ / ٢ ظ] ومعنى ذلك : فقال : أَنْثُونِي بِأَسْمَاءِ مَنْ عَرَضْتُهُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا
الملائكة القائلون : أَتَجْعَلُ^(٥) فِي الْأَرْضِ مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ ، مِنْ غَيْرِنَا أَمْ
مِنَّا ، فَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ؟ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قِيلِكُمْ أَنِّي إِنْ جَعَلْتُ
خَلِيفَتِي فِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِكُمْ ، عَصَانِي ذَرِيَّتُهُ وَأَفْسَدُوا فِيهَا وَسَفَكُوا الدَّمَاءَ ، وَإِنْ
جَعَلْتُكُمْ فِيهَا ، أَطَعْتُمُونِي وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي ، بِالتَّعْظِيمِ لِي وَالتَّقْدِيسِ ، فَإِنَّكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ أَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَرَضْتُهُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ خَلْقِي ، وَهُمْ مَخْلُوقُونَ

(١) تقدم بتمامه في ص ٤٨٥ .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٠٥ / ١ عن السدي به . وتقدم بتمامه في ص ٤٨٨ .

(٣) في الأصل : « لَنْ » .

(٤) تقدم في ص ٤٩٣ .

(٥ - ٥) في ص ، م : « فِيهَا » .

موجودون تَرْوَنَهُمْ وَتُعَايَنُونَهُمْ ، وَعَلِمَهُمْ غَيْرُكُمْ بِتَعْلِيمِي إِيَّاهُ ، فَأَنْتُمْ بِمَا هُوَ غَيْرُ موجودٍ مِنْ الْأُمُورِ الْكَائِنَةِ الَّتِي لَمْ تَوْجَدْ بَعْدُ ، وبما هُوَ مُتَسَتِّرٌ مِنَ الْأُمُورِ - الَّتِي هِيَ موجودةٌ - عَنْ أَعْيُنِكُمْ ، / أُخْرَى أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ عَالِمِينَ ، فَلَا تَسْأَلُونِي مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، فَإِنِّي أَعْلَمُ بِمَا يُضْلِحُكُمْ وَيُصْلِحُ خَلْقِي .

وهذا الفعلُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِمَلَائِكَتِهِ الَّذِينَ قَالُوا لَهُ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . مِنْ جِهَةِ عِتَابِهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ إِيَّاهُمْ - نَظِيرُ قَوْلِهِ لِنَبِيِّهِ نُوحٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، إِذْ قَالَ : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَنْبِئُ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ - ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦] . فكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ سَأَلَتْ رَبَّهَا أَنْ تَكُونَ خُلَفَاءَهُ فِي الْأَرْضِ لِيَسْبَحُوهُ وَيُقَدِّسُوهُ فِيهَا ؛ إِذْ كَانَ ذَرِيَّةً مَنْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ جَاعِلُهُ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً يُفْسِدُونَ فِيهَا وَيَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ ، فَقَالَ لَهُمْ تَعَالَى ذَكَرَهُ : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يَعْنِي بِذَلِكَ : إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَكُمْ فَاتِحُ الْمَعَاصِي وَخَاتِمُهَا . وَهُوَ إِبْلِيسُ ، مُنْكَرًا بِذَلِكَ ^(١) تَعَالَى ذَكَرَهُ قَوْلَهُمْ . ثُمَّ عَرَّفَهُمْ مَوْضِعَ هَفْوَتِهِمْ ، فِي قِيلِهِمْ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ ، بِتَعْرِيفِهِمْ قُصُورَ عِلْمِهِمْ عَمَّا هُمْ لَهُ شَاهِدُونَ عِيَانًا - فَكَيْفَ بِمَا لَمْ يَرَوْهُ وَلَمْ يُخْبَرُوا عَنْهُ ؟ - بَعْرُضِهِ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْقِهِ الْمَوْجُودِينَ يَوْمئِذٍ ، وَقِيلَهُ لَهُمْ : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أَنْكُمْ إِنْ اسْتَخْلَفْتُمْ فِي أَرْضِي سَبَّحْتُمُونِي وَقَدَّسْتُمُونِي ، وَإِنْ اسْتَخْلَفْتُ فِيهَا غَيْرُكُمْ عَصَانِي ذُرِّيَّتَهُ وَأَفْسَدُوا وَسَفَكُوا الدَّمَاءَ . فَلَمَّا اتَّضَحَ لَهُمْ مَوْضِعُ خَطَأِ قِيلِهِمْ ، وَبَدَتْ لَهُمْ هَفْوَةُ زَلَّتِهِمْ ، أَنْابُوا إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ فَقَالُوا : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ . فَسَارَعُوا الرَّجْعَةَ مِنَ

الْهَفْوَةَ ، وَبَادَرُوا الْإِنَابَةَ مِنَ الزَّلَّةِ ، كما قال نوح عليه السلام حين عوتب في مسألتِهِ ،
 فقيل له : ﴿ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ - ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا
 لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(١) [هود :
 ٤٦ ، ٤٧] . وكذلك فعل كلُّ مُسَدِّدٍ للحقِّ مُؤَفِّقٍ له ، سريعة [٥١ / ٢] إلى الحقِّ
 إِنْابَتُهُ ، قربةٌ إليه أَوْبَتُهُ .

وقد زعم بعضُ نحوِي أهلِ البصرة أن قوله : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . لم يكن ذلك لأن الملائكة أَدْعَوْا شَيْئًا ، إنما أَخْبَرَ عن جهلِهِم بعلمِ
 الغيبِ وعلمِهِ بذلك وفضله ، فقال : أَنْبِئُونِي إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . كما يقول الرجلُ
 للرجلِ : أَنْبِئْنِي بهذا إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ . وهو يَعْلَمُ أنه لا يَعْلَمُ ، يُريدُ أنه جاهِلٌ .

وهذا قولٌ إذا تَدَبَّرَهُ مَتَدَبِّرٌ عَليمٌ أن بعضَهُ مُفْسِدٌ بعضًا ، وذلك أن قائلَهُ زعمَ
 أن الله تعالى ذكرَهُ قال للملائكة - إذ عَرَضَ عليهم أهلُ الأسماءِ - : ﴿ أَنْبِئُونِي
 بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ﴾ . وهو يَعْلَمُ أنهم لا يَعْلَمُونَ ذلك ^(٢) ، ولا هم أَدْعَوْا ^(٣) عِلْمَ شَيْءٍ ^(٤)
 يوجبُ أن يوبَّخُوا بهذا القولِ . وزعمَ أن قوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
 نظيرُ قولِ القائلِ ^(٥) : أَنْبِئْنِي بهذا إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ . وهو يَعْلَمُ أنه لا يَعْلَمُ ، يُريدُ أنه
 جاهِلٌ . ولا شكٌ أن معنى قوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . إنما هو : إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ؛ إمَّا في قولِكُم ، وإمَّا في فعلِكُم ؛ لأن الصدقَ في كلامِ العربِ إنما هو
 صِدْقٌ في الخبرِ لا في العلمِ ، وذلك أنه غيرُ معقولٍ في لغةٍ مِنَ اللغاتِ أن يُقالَ : صَدَقَ

(١) سقطت هذه الآية من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٢) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٣ - ٣) في ص : « شَيْئًا » .

(٤) في ر ، م : « الرجل للرجل » .

الرجل . بمعنى : عَلِمَ . فإذا كان ذلك كذلك ، فقد وجب أن يكونَ اللهُ تعالى ذكره قال للملائكة - على تأويل قولِ هذا الذي حكينا قوله في هذه الآية - ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . وهو يَعْلَمُ أنهم غيرُ صادقين ، يُريدُ بذلك أنهم كاذبون ، وذلك هو عينُ ما أنكره ؛ لأنه زعمُ أن الملائكةَ لم تدَّعِ شيئاً ، فكيف جاز أن / يقالَ لها^(١) : إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ^(٢) ؟ مع خروج هذا القولِ الذي حكينا عن صاحبه ، مِنْ أقوالِ جميعِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالتَّأَخِّرِينَ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ وَالتفسيرِ . ٢٢٠/١

وقد حُكِيَ عن بعضِ أَهْلِ التفسيرِ أنه كان يتأوَّلُ قوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . بمعنى : إِذْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .

ولو كانت ﴿ إِنْ ﴾ بمعنى « إِذ » في هذا الموضع ، لوجب أن تكونَ قراءتُها بفتح ألفِها ؛ لأن « إِذ » إذا تقدَّمتْها فعلٌ مُسْتَقْبَلٌ ، صارت علةً للفعل وسبباً له ، وذلك كقولِ القائلِ : أَقُومُ إِذْ قُمْتُ . فمعناه : أَقُومُ مِنْ أَجْلِ أَنْتَ قُمْتَ . والأمرُ بمعنى الاستقبالِ . فمعنى الكلامِ لو كانت ﴿ إِنْ ﴾ بمعنى « إِذ » : أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ مِنْ أَجْلِ أَنْتُمْ صَادِقُونَ . فإذا وُضِعَتْ « إِنْ » مكانَ^(٣) ذلك ، قيل : أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . مفتوحة الألفِ . وفي إجماعِ جميعِ قُرَاءَةِ [٥١/٢] أَهْلِ الإِسْلَامِ على كسرِ الألفِ مِنْ ﴿ إِنْ ﴾ دليلٌ واضحٌ على خطأ تأويلِ مَنْ تأوَّلَ ﴿ إِنْ ﴾ بمعنى « إِذ » في هذا الموضع .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ

(١) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، وفي م : « لهم » .

(٢) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ : « هذا » .

(٣) في ص : « في موضع » .

أَنْتَ أَعْلَمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ .

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن ملائكته بالأوبة إليه ، وتسليمِ علمٍ ما ^(١) عِلْمٍ مَّا ^(٢) لم يَعْلَمُوهُ له ، وتَبَيَّرِيهِمْ ^(٣) مِنْ أَنْ يَعْلَمُوا أَوْ يَعْلَمَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَّمَهُ تعالى ذكره .

وفى هذه الآيات الثلاث العبرة لمن اعتبر ، والذكرى لمن اذكر ، والبيان لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ ، عما أودع الله تعالى ذكره آى هذا القرآن من لطائف الحكم التي تعجز عن أوصافها الألسن . وذلك أن الله تعالى ذكره احتج فيها لنبيه ﷺ على مَنْ كان بين ظهورانيه من يهود بنى إسرائيل ، بإطلاعه إياه من علوم الغيب التي لم يكن تعالى ذكره أطلع عليها من خلقه إلا خاصًا ، ولم يكن مُدْرَكًا علمه إلا بالإنباء والإخبار ؛ لتَقَرَّرَ عندهم صحة نبوته ، ويعلموا أن ما اتاهم به مِنْ عنده ، ودلَّ فيها على أن كلَّ مُخْبِرٍ خبيرًا عما قد كان ، أو عما هو كائنٌ مما لم يكن ولما يأت به خبرٌ ، ولم يُوضَع له على صحته بُرهانٌ ، فمُتَقَوِّلٌ ما يَسْتَوْجِبُ به مِنْ رَبِّهِ الْعُقُوبَةَ .

ألا ^(٣) تَرَى أَنَّ ^(٢) الله رَدَّ على ملائكته قِيلَهُمْ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ سَائِجِيحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وعرفهم أن قيل ذلك لم يكن جائزًا لهم ، بما عرفهم مِنْ قُصُورِ علمهم عند عَرْضِهِ ما عَرَضَ عليهم مِنْ أَهْلِ الْأَسْمَاءِ ، فقال : ﴿ أَلَيْسَ لِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . فلم يَكُنْ لَهُمْ مَفْرَعٌ إِلَّا الْإِقْرَارُ بِالْعِجْزِ والتَّيَبُّرِ إليه أن يعلموا إِلَّا مَا عَلَّمَهُمْ بقولهم : ﴿ سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ . فكان فى ذلك أوضح

(١ - ١) فى ص ، ١ ، ت ٢ : « إن » .

(٢) فى ت ١ ، ٢ : « تنزيههم » .

(٣ - ٣) فى ر : « تسمعون » ، وفى ت ١ ، ٢ : « يسمعون » .

الدلالة وأبين الحجة على كذب مقالة كل من ادعى شيئاً من علوم الغيب ، من الحزاة^(١) والكهنة والعافة^(٢) والمتنجمة .

وذكر [٥٢/٢] بها الذين وصفنا أمرهم من أهل الكتاب ، سؤلف نعمه على آبائهم ، وأياديه عند أسلافهم ، عند إنايتهم إليه ، وإقبالهم إلى طاعته ، مُستغطفهم بذلك إلى الرشاد ، ومُستغِيثهم به إلى النجاة ، وحذرهم - بالإصرار والتمادي / في الغي^(٣) والضلال - حلول العقاب بهم ، نظير ما أحلَّ بعدوه إبليس ، إذ تمادى في الغي^(٣) والخسار^(٤) .

وأما تأويل قوله : ﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ . فهو كما حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ ﴾ تنزيهاً لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره ، ثبنا إليك ، ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ تبرئاً منهم من علم الغيب ، إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا كما عَلَّمْتَ آدَمَ^(٥) .

و« سبحان » مصدر لا تصرف له ، ومعناه : تسبيحك^(٦) . كأنهم قالوا : نُسَبِّحُكَ تَسْبِيحًا ، ونُنَزِّهُكَ تَنْزِيهاً ، ونُبْرِئُكَ مِنْ أَنْ نَعْلَمَ شيئاً غير ما عَلَّمْتَنَا .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾^(٧) .

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : إنك أنت يا ربنا العليم - من غير تعليم -

(١) الحزاة : جمع حاز ، وهو الذى يحزر الأشياء ويقدرها بظنه . النهاية ٣٨٠/١ .

(٢) فى الأصل ، م : « القافة » . والعافة : جمع عائف ، وهو المتكهن بالطير أو غيرها . التاج (ع ي ف) .

(٣) فى م : « البغى » .

(٤) بعده فى ص ، ر ، م : « قال » .

(٥) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٥ .

(٦) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « نسبحك » .

بجميع^(١) ما قد كان ، وما هو كائن ، والعالم للغيوب دون جميع خلقك . وذلك أنهم نفّوا عن أنفسهم بقولهم : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ . أن يكون لهم علم إلا ما علّمهم ربهم ، وأثبتوا ما نفّوا عن أنفسهم من ذلك لربهم بقولهم : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ . ينعنون بذلك العالم من غير تعليم ؛ إذ كان من سواك لا يعلم شيئا إلا بتعليم غيره إياه .

﴿ الْحَكِيمُ ﴾ : هو ذو الحكمة ، كما حدّثني به المثنى ، قال : حدّثنا عبد الله ، قال : حدّثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : العليم الذى قد كمل فى علمه ، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته^(٢) .

وقد قيل : إن معنى ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ الحاكم ، كما^(٣) العليم بمعنى العالم ، والخبير بمعنى الخابر .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْيَتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

قال أبو جعفر : إن الله تعالى ذكره عرّف ملائكتّه [٢/٥٢ظ] الذين سألوه أن يجعلهم الخلفاء فى الأرض ووصفوا أنفسهم بطاعته والخضوع لأمره ، دون غيرهم الذين يفسدون فيها ويسفكون الدماء - أنهم من الجهل بمواقع تذييره ومحلّ قضائه ، قبل إطلاعه إياهم عليه ، على نحو جهلهم بأسماء الذين عرّضهم عليهم ، إذ كان ذلك مما لم يعلمهم فيعلموه ، وأنهم وغيرهم من العباد لا يعلمون من العلم إلا ما

(١) فى الأصل : « لجميع » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما فى مجموع الفتاوى ١٧/٢٢٠ - وأبو الشيخ فى العظمة (٩٨) من طريق عبد الله بن صالح به مطولا . وسيأتى فى تفسير قوله : ﴿ الصمد ﴾ .

(٣) بعده فى م : « أن » .

(تفسير الطبرى ١/٣٤)

عَلَّمَهُمْ إِيَّاهُ رَبُّهُمْ ، وَأَنَّهُ يُخَصِّصُ بِمَا شَاءَ مِنَ الْعِلْمِ مَنْ شَاءَ مِنَ الْخَلْقِ ، وَيَمْنَعُهُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ ،
كَمَا عَلَّمَ آدَمَ أَسْمَاءَ مَنْ عَرَّضَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، وَمَنَعَهُمْ عِلْمَهَا إِلَّا بَعْدَ تَعْلِيمِهِ إِيَّاهُمْ .

فَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ : ﴿ قَالَ يَتَكَادَمُ أَنْبَتْهُمْ ﴾ : « قَالَ اللَّهُ : يَا آدَمُ أَنْبَتْهُمْ » . يَقُولُ :
أَخْبِرِ الْمَلَائِكَةَ . وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَنْبَتْهُمْ ﴾ عَائِدَتَانِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ . وَقَوْلُهُ :
﴿ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ يَعْنِي : بِأَسْمَاءِ الَّذِينَ عَرَّضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ . وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ اللَّتَانِ فِي
﴿ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ كِنَايَةٌ عَنْ ذِكْرِ ﴿ هَؤُلَاءِ ﴾ الَّتِي فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَنْبَتْوْنِي بِأَسْمَاءِ
هَؤُلَاءِ ﴾ . ﴿ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ ﴾ يَقُولُ : فَلَمَّا أَخْبَرَ آدَمُ الْمَلَائِكَةَ بِأَسْمَاءِ الَّذِينَ عَرَّضَهُمْ
عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَعْرِفُوا أَسْمَاءَهُمْ ، وَأَيَقَنُوا خَطَأَ قِيلِهِمْ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ سَاجِدُونَ لِمُحَمَّدٍ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . وَأَنَّهُمْ قَدْ هَفَوْا ^(١) فِي ذَلِكَ ،
/ وَقَالُوا مَا لَا يَعْلَمُونَ كَيْفِيَّةَ وَقُوعِ قَضَائِ رَبِّهِمْ فِي ذَلِكَ ، لَوْ وَقَعَ عَلَى مَا نَطَقُوا بِهِ - ٢٢٢/١
قَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . وَالْغَيْبُ : هُوَ
مَا غَابَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ فَلَمْ يُعَايِنُوهُ . تَوَيْيخًا مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ لَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى مَا سَلَفَ
مِنْ قِيلِهِمْ ، وَفَرَطَ مِنْهُمْ مِنْ خَطَأٍ مَسْأَلَتِهِمْ .

كَمَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ
ابْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَزْوِجٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ قَالَ يَتَكَادَمُ أَنْبَتْهُمْ
بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ . يَقُولُ : أَخْبِرَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، ﴿ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ﴾
أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ خَاصَّةً : ﴿ إِنْي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وَلَا يَعْلَمُهُ غَيْرِي ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قِصَّةِ الْمَلَائِكَةِ

(١ - ١) سقط من : م ، وفي ص : « يقول أخبرهم » .

(٢) بعده في ص : « عنده » .

(٣) تقدم بتمامه في ص ٤٨٥ .

وَأَدَمَ : فقال الله للملائكة : كما لم تَعْلَمُوا هذه الأسماء ، فليس لكم علمٌ أنما^(١) أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَهُمْ لِيُفْسِدُوا فِيهَا ، هذا عِنْدِي^(٢) قد عَلِمْتُهُ ، فكَذَلِكَ أَخْفَيْتُ عَنْكُمْ أَنِّي أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَعْصِيَنِي وَمَنْ يُطِيعُنِي . قال : وَسَبَقَ مِنَ اللَّهِ : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنِجَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود : ١١٩] . قال : ولم تَعْلَمِ الملائكة ذلك ولم يَذْرُوه . قال : فلما رَأَوْا مَا أُعْطِيَ اللَّهُ آدَمَ مِنَ الْعِلْمِ ، أَقْرَبُوا لآدَمَ بِالْفَضْلِ^(٣) .

[٥٣/٢] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿وَأَعْلَمُ مَا بُدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ .

قال أبو جعفر : اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ؛ فَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو كُرَيْبٍ ، قال : حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قال : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَزْوَقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿وَأَعْلَمُ مَا بُدُونَ﴾ . يقول : مَا تُظْهِرُونَ ، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ . يقول : أَعْلَمُ السِّرَّ كَمَا أَعْلَمُ الْعَلَانِيَةَ . يعني مَا كَتَمَ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْكِبْرِ وَالْإِغْتِرَارِ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قال : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قال : حَدَّثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيدِ فِي خَبَرِ ذِكْرِهِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مَرْثَةَ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿وَأَعْلَمُ مَا بُدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ . قال : قَوْلُهُمْ : ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ . فهذا الَّذِي أَبْدَوْا ، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ . يعني مَا أَسَرَّ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْكِبْرِ^(٥) .

(١) فِي ص : « بَمَا » .

(٢) فِي ص ، ر : « عِنْدِي » .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٠٧/١ عَنْ الْمُصَنِّفِ .

(٤) تَقْدِمُ بِتَمَامِهِ فِي ص ٤٨٥ .

(٥) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٠٦/١ عَنْ السُّدِّيِّ بِهِ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَهْوَازِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا
عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا بُدُونَ وَمَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴾ . قَالَ : مَا أَسْرَ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ ^(١) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفِيَانُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَعْلَمُ
مَا بُدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قَالَ : مَا أَسْرَ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْكِبَرِ إِلَّا يَسْجُدُ
لَادَمَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ الْأَنْمَاطِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ ،
قَالَ سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ دِينَارٍ قَالَ لِلْحَسَنِ وَنَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَهُ فِي مَنْزِلِهِ : يَا أَبَا
سَعِيدٍ ، أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ لِلْمَلَائِكَةِ : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا بُدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . فَمَا
الَّذِي كَتَمَتِ الْمَلَائِكَةُ؟ فَقَالَ الْحَسَنُ : إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ / آدَمَ ، رَأَتْ الْمَلَائِكَةُ خَلْقًا
عَجَبًا ، فَكَانَهُمْ دَخَلَهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَأَسْرَوْا ذَلِكَ
بَيْنَهُمْ ، فَقَالُوا : مَا يُهَيِّئُكُمْ مِنْ هَذَا الْخَلْقِ ! إِنَّ اللَّهَ لَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا إِلَّا كُنَّا أَكْرَمَ عَلَيْهِ
مِنْهُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ
قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا بُدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قَالَ : أَسْرَوْا بَيْنَهُمْ فَقَالُوا :

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٢/١ (٣٥٤) من طريق الفضل بن خالد ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك عن ابن عباس بنحوه .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٣/١ عقب الأثر (٣٥٧) معلقا . وعمرو بن ثابت ضعيف .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٠٦/١ عن الثوري .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٨٥- تفسير) من طريق مهدي بن ميمون به .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/١ إلى عبد بن حميد .

يَخْلُقُ اللَّهُ مَا^(١) يَشَاءُ أَنْ يَخْلُقَ^(١) ، فَلَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا إِلَّا وَنَحْنُ أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا بُدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُتُونَ ﴾ : فَكَانَ الَّذِي أَبَدُوا [٥٣/٢] حِينَ قَالُوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . وَكَانَ الَّذِي كَتَمُوا بَيْنَهُمْ قَوْلُهُمْ : لَنْ يَخْلُقَ رَبُّنَا خَلْقًا إِلَّا كُنَّا نَحْنُ أَعْلَمُ مِنْهُ وَأَكْرَمُ . فَعَرَفُوا أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ آدَمَ عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالْكَرَمِ^(٣) .

قال أبو جعفرٍ : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله ابنُ عباسٍ ، وهو أن معنى قوله : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا بُدُونَ ﴾ : وأعلم - مع علمي غيب السماوات والأرض - ما تُظهِرون بالسننكم ، ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُتُونَ ﴾ : وما كنتم تُخفونه في أنفسكم ، فلا يُخْفَى عَلَى شَيْءٍ ، سِوَاءٍ عِنْدِي سَرَائِرِكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ . وَالَّذِي أَظْهَرَهُ بِالْسِنَتِهِمْ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ^(٤) : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . وَالَّذِي كَانُوا يَكْتُمُونَهُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَنْطُوبًا لِإِبْلِيسَ مِنَ الْخِلَافِ عَلَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ ، وَالتَّكْبِيرِ عَنْ طَاعَتِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ أَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ أَحَدِ الْوَجْهَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفْتُ ، وَهُوَ مَا قُلْنَا . وَالْآخِرُ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ ، وَمَنْ قَالَ : إِنْ مَعْنَى ذَلِكَ كِتْمَانُ الْمَلَائِكَةِ بَيْنَهُمْ : لَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ خَلْقًا إِلَّا كُنَّا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ . فَإِذَا كَانَ لَا قَوْلَ فِي

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ ، ر : « شَاءَ » .

(٢) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ٤٣/١ .

(٣) بَعْدَهُ فِي ت ١ ، ت ٢ : « كَتَمُوا بَيْنَهُمْ قَوْلَهُمْ لَنْ يَخْلُقَ رَبُّنَا خَلْقًا » .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٨٣/١ (٣٥٧) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

(٤) فِي م : « قَوْلُهُمْ » .

تأويل ذلك إلا أحد القولين اللذين وصفتُ ، ثم كان أحدهما غير موجودة على صحته الدلالة من الوجه الذي يجب التسليم له - صَحَّ الوجه الآخر . والذي حكي عن الحسن وقتادة ومن قال بقولهما في تأويل ذلك ، غير موجودة الدلالة على صحته من الكتاب ، ولا من خبرٍ تجب به حجة . والذي قاله ابن عباس يُدَلُّ على صحته خبرُ الله عن إبليس وعصيانِه إياه ، إذ دعاه إلى السجود لآدم عليه السلام فأبى واشتَكَبَ ، وإظهاره لسائر الملائكة من معصيته وكِبَرِه ما كان له كما تمَّ قبل ذلك .

فإن ظنَّ ظانٌّ أن الخبر عن كتمانِ الملائكة ما كانوا يَكْتُمُونَ ، لما كان خارجاً مَخْرَجَ الخبر عن الجميع ، كان غير جائز أن يكون ما رُوِيَ في تأويل ذلك عن ابن عباس ومن قال بقوله ، من أن ذلك خبرٌ عن كتمانِ إبليس الكِبَرِ والمعصية ، صحيحاً ، فقد ظنَّ غير الصواب . وذلك أن من شأن العرب إذا أَخْبَرَتْ خبراً عن بعض جماعةٍ بغير تسمية شخصٍ بعينه أن تُخْرِجَ الخبر [٥٤/٢] عنه مُخْرَجَ الخبر عن الجميع ، وذلك كقولهم : قُتِلَ الجيشُ وهُزِمُوا . وإنما قُتِلَ الواحدُ أو البعض ، وهُزِمَ الواحدُ أو البعض ، فَتُخْرِجُ الخبر عن المهزومِ منهم والمقتولِ مُخْرَجَ الخبر عن جميعهم ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ / أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات : ٤] . ذُكِرَ أن الذي نادى رسولَ الله ﷺ فنزلت هذه الآية فيه ، كان رجلاً من جماعةٍ من بنى تميم ، كانوا قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ . فَأَخْرَجَ الخبر عنه مُخْرَجَ الخبر عن الجماعة ، فكذلك قوله : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا بُدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُبُونَ ﴾ . أَخْرَجَ الخبر مُخْرَجَ الخبر عن الجميع ، والمراد به الواحد منهم .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا

إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ .

قال أبو جعفر: أما قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ . فمعطوف على قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ﴾ . كأنه قال لليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجرين رسول الله ﷺ من بنى إسرائيل ، مُعَدِّدًا عليهم نعمه ، ومُدَّ كَرِّهم آلاءه ، على نحو الذى قد وصفنا فيما مضى قبل - : اذْكُرُوا فِغْلَى بكم إِذْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ، فخلقت لكم ما فى الأرض جميعا ، وإذ قلت للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة ، فكرمت أباكم آدم بما آتيت من علمى وفُضِّلَى وكرامتى ، وإذ أسجدت له ملائكتى فسجدوا له . ثم استثنى من جميعهم إبليس ، فدل باستثنائه إياه منهم على أنه منهم ، وأنه ممن قد أمر بالسجود معهم ، كما قال تعالى ذكره : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴿١٢﴾ [الأعراف : ١١ : ١٢] . فأخبر جل ثناؤه أنه قد أمر إبليس فى من أمره من الملائكة بالسجود لآدم ، ثم استثناه مما أخبر عنهم أنهم فعلوه من السجود لآدم ، فأخرجه من الصفة التى وصفهم بها من الطاعة لأمره ، ونفى عنه ما أثبتته للملائكة من السجود لعبده آدم .

ثم اختلف أهل التأويل فيه ؛ هل هو من الملائكة أم هو من غيرهم ؟ فقال بعضهم [٥٤/٢ هـ] بما حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبى رزق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم : الجئن . خلِقوا من نار السموم من بين الملائكة . قال : وكان اسمه الحارث . قال : وكان خازنا من خزان الجنة . قال : وخلق الملائكة من نور غير هذا الحى . قال : وخلق الجئن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار ؛ وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها إذا التهب^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ خَلَادِ بْنِ عَطَاءٍ ، عَنْ طَاوُسٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَانَ إِبْلِيسُ قَبْلَ أَنْ يَزَكَّبَ الْمَعْصِيَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، اسْمُهُ عَزَازِيلُ^(١) ، وَكَانَ مِنْ سَكَانِ الْأَرْضِ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ الْمَلَائِكَةِ اجْتِهَادًا وَأَكْثَرِهِمْ عِلْمًا ، فَذَلِكَ دَعَاهُ إِلَى الْكِبْرِ ، وَكَانَ مِنْ حَيٍّ يُسَمَّوْنَ جَنًّا^(٢) .

وَحَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ مَرَّةً أُخْرَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ خَلَادِ بْنِ عَطَاءٍ^(١) ، عَنْ طَاوُسٍ ، أَوْ مُجَاهِدٍ أَبِي الْحَجَّاجِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ بِنَحْوِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : كَانَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ اسْمُهُ عَزَازِيلُ^(٤) ، وَكَانَ مِنْ سَكَانِ الْأَرْضِ وَعُجْمَارِهَا ، وَكَانَ سَكَانُ الْأَرْضِ فِيهِمْ يُسَمَّوْنَ الْجِنَّ مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ^(٥) .

/ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ،

٢٢٥/١

(١) فِي ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ١/ ١١٠ ، وَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ١/ ١٢٩ : « عَنْ » .

وَفِي الرَّوَاةِ : خَلَادُ بْنُ عَطَاءٍ بْنِ رِبَاعٍ ، يَرُودُ عَنْ أَبِيهِ . التَّارِيخُ الْكَبِيرُ ٣/ ١٨٦ .

وَخَلَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّنَعَانِيُّ ، يَرُودُ عَنْ طَاوُسٍ وَمُجَاهِدٍ . تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٨/ ٣٥٦ .

وَالْمُثَبَّتُ كَمَا فِي الْأَصْلِ ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي تَارِيخِ الْمُصَنِّفِ ، وَالْأَضْدَادُ ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ٥/ ١٦٥ .

وَفِي الرَّوَاةِ : خَلَادُ بْنُ عَطَاءٍ بْنِ الشَّيْخِ ، يَرُودُ عَنْ طَاوُسٍ . وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : هُوَ الشَّامِيُّ . التَّارِيخُ الْكَبِيرُ

٣/ ١٨٦ . وَيَنْظُرُ مَا سَبَقَتْ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ ٥٠ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « عَزْرَائِيلُ » .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي الْمُبْتَدَأِ ، كَمَا فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ ١/ ١١٠ .

وَأَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٨٦/ ١ . وَيَنْظُرُ الدَّرَ الْمُنْتَوِرَ ٥٠/ ١ .

(٤) فِي ر : « عَزْرَائِيلُ » .

(٥) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٨٦/ ١ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ الْأَثَرِيِّ فِي الْأَضْدَادِ ص ٣٣٤ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ حَمِيدٍ

وَابْنِ غَانِمٍ ، عَنْ سَلَمَةَ بِهِ مَطْوَلًا .

وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناسٍ من أصحابِ النبي ﷺ: جُعِلَ إبليسُ على مُلكِ سماءِ الدنيا، وكان من قِبَلَةِ الملائكة يُقالُ لهم: الجنُّ. وإنما سُمُوا الجنَّ لأنهم خُزَّنوا الجنة، وكان إبليسُ مع مُلكِه خازنًا^(١).

حدَّثنا القاسم، قال: حدَّثنا الحسين، قال: حدَّثني حجاج، عن ابنِ جُرَيْج، قال: قال ابنُ عباسٍ: كان إبليسُ من أشرافِ الملائكةِ و^(٢)أكرمهم قِبَلَةً، وكان خازنًا على الجنانِ، وكان له سلطانُ سماءِ الدنيا، وكان له سلطانُ الأرضِ. قال: قال ابنُ عباسٍ: وقوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]. إنما سُمِيَ بالجنِّ أنَّهُ كان خازنًا عليها. كما يُقالُ للرجلِ: مَكِّيٌّ، ومدنِّي، وكوفِّي، وبصريٌّ. قاله^(٣) ابنُ جُرَيْج^(٤).

وقال آخرون: هم سَبَطُ من الملائكةِ قِبَلَةً، وكان اسمُ قِبَلَتِهِ الجنِّ.

حدَّثنا القاسم، قال: حدَّثنا الحسين، قال: حدَّثني حجاج، عن ابنِ جُرَيْج، عن صالحٍ مولى التوأمةِ وشريكِ بنِ أبي نَمِرٍ - أحدهما أو كلاهما - عن ابنِ عباسٍ، قال: إن من الملائكةِ قِبَلَةً من الجنِّ، وكان إبليسُ منها، وكان يَشْوِشُ ما بين السماءِ والأرضِ^(٥).

(١) تقدم بتمامه في ص ٤٨٦.

(٢) زيادة من: م.

(٣) في النسخ: «قال». والمثبت مما سيأتى في تفسير سورة الكهف.

(٤) أخرجه المصنف في تاريخه ٨١/١ إلى قوله: «وكان له سلطان الأرض». وسيأتى في سورة الكهف بزيادة. وعزه السيوطي في الدر المنثور ٢٢٧/٤ إلى المصنف وابن المنذر، بزيادة نحوه.

(٥) أخرجه المصنف في تاريخه ٨١/١. وسيأتى في ص ٥٤١ من طريق آخر عن شريك، عن صالح، عن ابن عباس. وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (١١٣١) من طريق سليمان بن بلال، عن شريك، عن كريب، عن ابن عباس.

حَدَّثَنَا عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ الْفَضْلَ بْنَ خَالِدٍ ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ بْنَ مُزَاجِمٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ :
﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ . قَالَ : كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : إِنْ إِبْلِيسَ
كَانَ مِنْ أَشْرَفِ الْمَلَائِكَةِ وَأَكْرَمِهِمْ قَبِيلَةً . ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ [٥٥٠/٢] ابْنِ
جُرَيْجٍ الْأَوَّلِ سَوَاءً^(١) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنِي شَيْبَانُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَامُ بْنُ مِسْكِينٍ ،
عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : كَانَ إِبْلِيسُ رَئِيسَ مَلَائِكَةِ سَمَاءِ الدُّنْيَا^(٢) .
حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ :
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ : قَبِيلٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
يُقَالُ لَهُمْ : الْجِنُّ . وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يُؤْمَرْ بالسُّجُودِ ،
وَكَانَ عَلَى خِزَانَةِ سَمَاءِ الدُّنْيَا . قَالَ : وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ : لُجْنٌ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ ، عَنْ
قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ . قَالَ : كَانَ مِنْ قَبِيلٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
يُقَالُ لَهُمْ : الْجِنُّ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : أَمَّا

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٨١/١ عن عبدان المروزي ، عن الحسين بن الفرّج به .

وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (١١٣٨) من طريق أبي معاذ به نحوه .

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ٨٦/١ . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/١ ، ٢٢٧/٤ إلى ابن أبي حاتم .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٢٧/٤ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبيه ، إلى قوله : سماء الدنيا .

وأخرج باقيه أبو الشيخ في العظمة (١١٣٢) من طريق سلام بن مسكين ، عن أبيه ، عن قَتَادَةَ .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٤٠٤/١ .

العرب فيقولون : ما الجنُّ إلَّا كلُّ ما اجتنَّ فلم يُر . قال : وأما قوله : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ . أى : كان من الملائكة ، وذلك أن الملائكة اجتنُّوا فلم يُروا ، وقد قال الله تعالى ذكره : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات : ١٥٨] . وذلك لقول قريش : إن الملائكة بناتُ الله . فيقولُ الله جلُّ ذكره : إن تكنِ الملائكةُ بناتى / فإبليسُ منها ، وقد جعلوا بينى وبينَ إبليسَ وذريته نسبًا . قال : وقد قال الأعشى ؛ أعشى بنى قيس بن ثعلبة البكرى ، وهو يذكرُ سليمانَ بنَ داودَ وما أعطاه الله عزَّ وجلَّ :

فلو كان شيءٌ خالداً أو مُعمِّراً لكان سليمانُ البريء من الدهرِ
بَرَاهِ إلهى واصطَفاهِ عِبَادَه وملَّكه ما بينَ ثريا^(١) إلى مضِرِ
وسخَّر من جنِّ الملائكِ تسعةً قياماً لديه يعملون بلا أجرِ
قال : فأبَّت العربُ فى لغتها إلَّا أن الجنَّ كلُّ ما اجتنَّ ، وتقولُ : ما سمى الله الجنَّ إلَّا أنهم اجتنُّوا فلم يُروا ، وما سمى بنى آدمَ الإنسَ إلَّا أنهم ظهروا فلم يجتنُّوا ، فما ظهر فهو إنسٌ ، وما اجتنَّ فلم يُر فهو جنٌّ^(٢) .

وقال آخرون بما حدَّثنا به محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عديٍّ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ ، قال : ما كان إبليسُ من الملائكة طُرْفَةَ عَيْنٍ قطُّ ، وإنه لأصلُ

(١) فى الأصل : « تونا » ، وفى الأضداد : « ترنا » .

(٢) أخرجه ابن الأثير فى الأضداد ص ٣٣٥ من طريق ابن حميد وابن غانم ، عن سلمة به مختصراً .

وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره ١٦٥/٥ : وقد روى فى هذا آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الإسرائيليات التى تنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته الحق الذى بأيدىنا ، وفى القرآن غنية عن كل ما عدها من الأخبار المتقدمة .

الجنُّ كما أن آدمَ أصلُ الإنسِ^(١) .

حدَّثنا بشر بن مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، قال : كان الحسنُ يقولُ في قوله : ﴿ إِلَّا إِلَيْسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ : أُلْجَاهُ إِلَى نَسَبِهِ ، [٥٥/٢] فقال اللهُ جلَّ ثناؤه : ﴿ أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي ﴾ الآية . وهم يتوالدون كما يتوالدُ بنو آدمَ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : حدَّثنا أبو سعيدٍ اليمحمدي^(٣) إسماعيلُ بنُ إبراهيمٍ ، قال : حدَّثنا سَوَّارُ بنُ الجَعْدِ اليمحمدي ، عن شهرِ ابنِ حوشبٍ قوله : ﴿ مِنَ الْجِنِّ ﴾ . قال : كان إبليسُ مِنَ الجنِّ الذين طردتهم الملائكةُ ، فأَسْرَه بعضُ الملائكةِ فذهب به إلى السماءِ^(٤) .

حدَّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : إبليسُ أبو الجنِّ ، كما آدمُ أبو الإنسِ^(٥) .

حدَّثنا عليُّ بنُ الحسنِ^(٦) ، قال : حدَّثني أبو نصرٍ أحمدُ بنُ محمدٍ الخَلَّالُ ، قال : حدَّثني سُنيْدُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثني هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا عبدُ الرحمنِ بنُ يحيى ، عن موسى بنِ مُخَيَّرٍ وعثمانَ بنِ سعيدٍ بنِ كاملٍ ، عن سعيدِ بنِ مسعودٍ ، قال :

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١١٥٦) من طريق ابن أبي عدي به .
وأخرجه ابن الأنباري في الأضداد ص ٣٣٧ ، وأبو الشيخ (١١٤٠) من طريق عوف به . وقال ابن كثير في تفسيره ١/ ١١٠ ، ٥/ ١٦٤ : هذا إسناد صحيح .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١١٤٨) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة من قوله .

(٣) بعده في م : « حدَّثنا » .

(٤) أخرجه المصنف في تاريخه ٨٧/١ . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٧ إلى ابن أبي حاتم .

(٥) ينظر تفسير ابن كثير ١/ ١١٠ .

(٦) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الحسين » .

كانت الملائكة تُقاتِلُ الجنَّ ، فسبى إبليسُ وكان صغيراً ، فكان مع الملائكة فتعبَدَ معها ، فلما أمروا بالسجود لآدمَ سجدوا ، فأبى إبليسُ ، فلذلك قال الله : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾^(١) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنا المباركُ بنُ مُجاهدٍ أبو الأزهرِ ، عن شريكِ بنِ عبدِ الله بنِ أبي نمرٍ ، عن صالحِ مولى التَّوْأمةِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : إن من الملائكة قبيلًا يقال لهم : الجنُّ . فكان إبليسُ منهم ، وكان إبليسُ يشوشُ ما بينَ السماء والأرضِ ، فعصى فمسَّخه الله شيطاناً رجيمًا^(٢) .

حدَّثنا محمدُ بنُ سنانٍ القَزَّازُ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن شريكٍ ،^(٣) عن رجلٍ^(٤) ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : إن الله خلق خلقاً فقال : اسجدوا لآدمَ . فقالوا : لا نفعلُ . فبعث الله عليهم ناراً تحرقهم ، ثم خلق خلقاً آخرَ ، فقال : إني خالقُ بشرٍ من طينٍ ، فاسجدوا لآدمَ . قال : فأبوا ، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقهم . قال : ثم خلق هؤلاء ، فقال : اسجدوا لآدمَ . فقالوا : نعم . قال : وكان إبليسُ من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدمَ^(٥) .

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٨٧/١ . وينظر العظمة (١١٤٣) ، وتفسير ابن كثير ١١١/١ .

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ٨٢/١ . وأخرجه البيهقي في الشعب (١٤٤) من طريق زهير بن محمد ، عن شريك به .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص ، ر .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١١١/١ عن المصنف . وقال : وهذا غريب ، ولا يكاد يصح إسناده ؛ فإن فيه رجلاً مبهماً ، ومثله لا يحتاج به .

وأخرجه المصنف في تاريخه ٨٧/١ عن محمد بن سنان ، عن أبي عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . وأخرجه ابن الأنباري في الأضداد ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ من طريق أبي عاصم به مثله . وينظر ما سيأتي في تفسير الآية ٢٨ ، ٢٩ من سورة الحجر .

قال أبو جعفر: وعلة من قال هذه المقالة - ^(١) أن إبليس ليس هو من الملائكة - أن الله تعالى ذكره أخبر في كتابه أنه خلق إبليس من نار السموم، ومن مارج من نار، ولم يخبر عن الملائكة أنه خلقها من شيء من ذلك، وأن الله أخبر ^(٢) أنه من الجن.

قالوا: فغير جائز أن يُنسب إلى غير ما نسب الله إليه. قالوا: وإبليس نسل وذرية، والملائكة لا تتناسل ولا تتوالد.

٢٢٧/١

قال أبو جعفر: وهذه علل ثنيت عن ضعف معرفة أهلها، [٥٦/٢] وذلك أنه غير مُستتكر أن يكون الله تعالى ذكره خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى. فخلق بعضا من نور، وبعضا من نار، وبعضا مما شاء من غير ذلك. وليس في ترك الله تعالى ذكره الخبر عما خلق منه ملائكته، وإخباره عما خلق منه إبليس، ما يوجب أن يكون إبليس خارجا من ^(٣) معناهم، إذ كان جائزا أن يكون خلق صنفًا من ملائكته من نار كان منهم إبليس، وأن يكون أفراد إبليس بأن خلقه من نار السموم دون سائر ملائكته. وكذلك غير مخرجه أن يكون كان من الملائكة بأن كان له نسل وذرية، لما ركب فيه من الشهوة واللذة التي نزعته من سائر الملائكة، لما أراد الله به ^(٤) من المعصية.

وأما خبر الله تعالى ذكره عنه أنه من الجن، فغير مدفوع أن يُسمى ^(٥) ما اجتن

(١ - ١) سقط من: ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٢) بعده في ص: « في كتابه ».

(٣) في م: « عن ».

(٤) في الأصل: « منهم »، وفي ص، ت، ٣: « بهم ».

(٥) بعده في ص: « من الجن ».

مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا عَنِ الْأَبْصَارِ جُثًّا - كَمَا قَدْ ذَكَّرْنَا قَبْلُ فِي شَعْرِ الْأَعْشَى - فَيَكُونُ
إِبْلِيسَ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ لَا اجْتِنَانَهُمْ عَنِ أَبْصَارِ بَنِي آدَمَ .

القول فى معنى : ﴿إِبْلِيسَ﴾ .

قال أبو جعفر : وإِبْلِيسُ : إِفْعِيلٌ ، مِنَ الْإِبْلَاسِ ، وَهُوَ الْإِيَّاسُ مِنَ الْخَيْرِ وَالنَّدَمِ
وَالْحُزْنِ .

كما حَدَّثَنَا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قال : حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ
عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنِ الضُّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قال : إِبْلِيسُ أَبْلَسَهُ اللَّهُ مِنَ
الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَجَعَلَهُ شَيْطَانًا رَجِيمًا عُقُوبَةً لِمَعْصِيَتِهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي موسى ، قال : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قال : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدْيِ ، قال :
كَانَ اسْمُ إِبْلِيسَ الْحَارِثَ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ إِبْلِيسُ حِينَ أَبْلَسَ فَقِيرًا ^(٢) .

قال أبو جعفر : وكما قال الله تبارك وتعالى : ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام : ٤٤] .
يعنى به أنهم آيسون من الخير ، نادِمون حُزْنًا ، كما قال العجَّاج ^(٣) :

يا صاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسًا ^(٤)

قال نَعَمْ أَغْرِفُهُ وَأَبْلَسًا

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٩٥/١ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٤/١ (٣٦٢) ، وابن الأنبارى فى
الأضداد ص ٣٣٦ من طريق بشر به بنحوه .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٠/١ إلى ابن المنذر . وتقدم بتمامه فى ص ٤٨٢ .

(٢) فى م : « فغير » ، وغير منقوطة فى ص .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٤/١ عقب الأثر (٣٦٢) من طريق عمرو بن حماد به نحوه .

(٣) ديوانه ص ١٢٣ .

(٤) رسم مكْرَس ومكْرَس : بعرت فيه الإبل وبؤلت ، فركب بعضه بعضًا . التاج (ك ر س) .

وقال رُؤْبُهُ^(١) :

وحَضَرْتُ^(٢) يَوْمَ الْخَمِيسِ الْأَخْمَاسِ

وفى الْوُجُوهُ صُفْرَةٌ وَإِبْلَاسُ

[٥٦/٢ظ] يعنى به : اكتئابًا وكُسُوفًا .

فإن قال قائل : فإن كان إبليسُ كما قلتُ إفعيلَ مِنَ الْإِبْلَاسِ ، فهلاً صُرِفَ وأُجْرِيَ ؟

قيل : تُرك إجراؤه استيقناً ، إذ كان اسماً لا نظيرَ له مِنَ أَسْمَاءِ الْعَرَبِ ، فشَبَّهَتْهُ الْعَرَبُ - إذ كان كذلك - بِأَسْمَاءِ الْعَجَمِ الَّتِي / لَا تُجْرَى ، وقد قالوا : مرزُتُ بِإِسْحَاقَ . فلم يُجْروه ، وهو مِنَ : أَشْحَقَهُ اللَّهُ إِسْحَاقًا . إذ كان وَقَعَ مَبْتَدَأَ اسْمًا لغيرِ الْعَرَبِ ، ثم تَسَمَّيَتْ بِهِ الْعَرَبُ ، فَجَرَى مَجْرَاهُ - وهو مِنَ أَسْمَاءِ الْعَجَمِ - فى الْإِعْرَابِ ، فلم يُصْرَفْ . وكذلك أَيُوبُ ، إِنَّمَا هُوَ فِعْعُولٌ^(٣) ، مِنَ : أَبَ يَتُوبُ ،^(٤) نظيرُ قَيُّومٍ مِنَ : قام يَقُومُ^(٥) .

وتأويلُ قولِهِ : ﴿أَبَى﴾ . يعنى بذلك إبليسَ ، أَنَّهُ امْتَنَعَ مِنَ السَّجُودِ لِآدَمَ فلم يَسْجُدْ لَهُ ، ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ . يعنى بذلك أَنَّهُ تَكَبَّرَ وَتَعَزَّظَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ فى السَّجُودِ لِآدَمَ .

وهذا وإن كان مِنَ اللَّهِ تعالى ذِكْرُهُ خَبْرًا عَنْ إبليسَ ، فإنه تَفْرِيعٌ لَصُورَائِهِ مِنَ

(١) ديوانه (مجموع أشعار العرب) ص ٦٧ .

(٢) فى الديوان : « عرفت » .

(٣) فى ص ، ر ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ : « فعول » ، وفى م : « فيعوع » . وأيوب زنة فيعول ، وقيل : فعول .

(٤ - ٥) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ .

خلق الله الذين يَتَكَبَّرُونَ عن الخضوعِ لأمرِ الله ، والانقيادِ لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه ، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعضٍ من الحق . وكان ممن تكبرَ عن الخضوعِ لأمرِ الله ، والتذللِ لطاعته ، والتسليمِ لقضائه فيما ألزمهم من حقوقِ غيرهم - اليهودُ الذين كانوا بينَ ظَهْرَانِي مُهاجِرِ رسولِ الله ﷺ ، وأحبارهم الذين كَذَّبُوا^(١) برسولِ الله ﷺ ،^(٢) وهم بصفته عارفون^(٣) ، وبأنه لله رسولٌ عالمون . ثم استكبروا - مع علمهم بذلك - عن الإقرارِ بنبوته ، والإذعانِ لطاعته ؛ بغيًا منهم له وحسدًا . فقرَّعهم الله بخبره عن إبليسَ الذى فعل فى استكباره عن السجودِ لآدمَ ، حسدًا له وبغيًا ، نظيرَ فعلهم فى التكبرِ عن الإذعانِ لمحمدٍ نبيِّ الله ﷺ ونبوته ، إذ جاءهم بالحقِّ من عندِ ربِّهم ، حسدًا وبغيًا .

ثم وصف إبليسَ بمثلِ الذى وصف به الذين ضربَهم له مثلًا ، فى الاستكبارِ والحسدِ والامتنكافِ عن الخضوعِ لمن أمره الله بالخضوعِ له ، فقال : ﴿ وَكَانَ ﴾ - يعنى إبليسَ - ﴿ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ . من الجاحدين نعمَ الله عليه ، وأيديه عنده ، بخلافه عليه فيما أمره به من السجودِ لآدمَ ، كما كفرت اليهودُ نعمَ ربِّها التى آتاها وآباءُها قبلُ ؛ من إطعامِ الله أشلافهم المنَّ والسَّلوَى ، وإزالةِ الغمامِ عليهم ، وما لا يُحصَى من نعمه التى كانت لهم خصوصًا ، وما خصَّ الذين أذركوا محمدًا ﷺ بإذراكهم إياه ، ومشاهدتهم^(٣) حُجَّةَ الله عليهم^(٣) ، [٥٧/٢] فجحدت نبوته بعد علمهم به ، ومعرفتهم بنبوته ، حسدًا وبغيًا ، فنسبه الله تعالى ذكره إلى الكافرين ، فجعله من عدايدهم فى الدِّينِ والمِلَّةِ ، وإن خالفهم فى الجنسِ والنسبة ، كما جعل أهلَ

(١) فى ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « كانوا » .

(٢ - ٢) فى ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وصفته عارفين » .

(٣ - ٣) فى ص : « محمد ﷺ » .

النِّفَاقِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، لاجتماعهم على النفاق ، وإن اختلفت أنسابهم وأجناسهم ، فقال : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٦٧] .
يعنى بذلك أن بعضهم من بعض في النفاق والضلال ، فكذلك قوله في إبليس : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ . كان منهم في الكفر بالله ، والمخالفة لأمره ، وإن كان مخالفاً جنسه أجناسهم ، ونسبته نسبتهم . ومعنى قوله : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ . أى أنه كان حينئذى السجود من الكافرين حينئذى .

وقد روى عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية أنه كان يقول فى تأويل قوله : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ . فى هذا الموضع : وكان من العاصين .

حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم العسقلاني ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية فى قوله : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ . يعنى : من ^(١) العاصين ^(٢) .

حدثت عن عمار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله .

وذلك شبيهة بمعنى ^(٣) قولنا فيه .

وكان سجود الملائكة لآدم تكملة لآدم ، وطاعة لله ، لا عبادة لآدم ،

/ كما حدثنا به بشر بن معاوية ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ . فكانت الطاعة لله ،

٢٢٩/١

(١) سقط من : الأصل ، ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٨٥/١ (٣٦٧) من طريق آدم به .

(٣) فى الأصل : « لمعنى » .

وَالسَّجْدَةُ لَادَمَ، أَكْرَمَ اللَّهُ آدَمَ أَنْ أَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ ^(١).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾.

قال أبو جعفر: وفي هذه الآية دلالة واضحة على صحة قول من قال: إن إبليس أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ بَعْدَ الْاِسْتِكْبَارِ عَنِ السَّجْدِ لَادَمَ، وَأَسْكَنَهَا آدَمُ قَبْلَ أَنْ يَهْبِطَ إِبْلِيسُ إِلَى الْأَرْضِ. أَلَا تَسْمَعُونَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ. فقد تبين أن إبليس إنما أزلهما عن طاعة الله بعد أن لعن وأظهر التكبر؛ لأن سجود الملائكة لآدم كان بعد أن نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ، وحينئذ كان امتناع إبليس من السجود له، وعند الامتناع من ذلك حلت عليه اللعنة.

كما حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا [٥٧/٢ ظ] عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن الشَّيْخِ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ ثَمَرَةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ أَقْسَمَ بِعِزَّةِ اللَّهِ لَيَغْوِيَنَّ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ وَزَوْجَتَهُ، إِلَّا ^(٢) عِبَادَ اللَّهِ ^(٣) الْمُخْلِصِينَ مِنْهُمْ، بَعْدَ أَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَبَعْدَ أَنْ أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَقَبْلَ أَنْ يَهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَلَّمَ اللَّهُ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا.

وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما فرغ الله من

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/١ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وينظر تفسير ابن أبي حاتم ٨٤/١ (٣٦٤)، وتاريخ دمشق ٧/٤٠٠.

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٤/١ (٣٦٠) من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، عن ابن عباس.

(٢ - ٣) في ص، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «عباده».

إِبْلِيسَ وَمُعَاتِيَّتِهِ ، وَأَنبَى إِلَّا الْمَعْصِيَةَ ، أَوْقَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّعْنَةَ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، أَقْبَلَ عَلَى آدَمَ وَقَدْ عَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، فَقَالَ : ﴿ يَتَّكِدُمْ أَتَيْتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(١) .

ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْحَالِ الَّتِي خُلِقَتْ لآدَمَ زَوْجَتُهُ ، وَالْوَقْتُ الَّذِي جُعِلَتْ لَهُ سَكَنًا ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ السُّدِّيِّ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مُرَّةَ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : فَأَخْرَجَ إِبْلِيسُ مِنَ الْجَنَّةِ حِينَ لَعِنَ ، وَأُسْكِنَ آدَمُ الْجَنَّةَ ، فَكَانَ يَمْشِي فِيهَا وَخَشًا ^(٢) ، لَيْسَ لَهُ زَوْجٌ يَسْكُنُ إِلَيْهَا ، فَنَامَ نَوْمَةً ، فَاسْتَيْقَظَ وَإِذَا عِنْدَ رَأْسِهِ امْرَأَةٌ قَاعِدَةٌ ، خَلَقَهَا اللَّهُ مِنْ ضَلْعِهِ ، فَسَأَلَهَا : مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : امْرَأَةٌ . قَالَ : وَلَمْ تَخْلُقِي ؟ قَالَتْ : تَسْكُنُ إِلَيَّ . قَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ - يَنْظُرُونَ مَا بَلَغَ عِلْمُهُ - : مَا اسْمُهَا يَا آدَمُ ؟ قَالَ : حَوَاءُ . قَالُوا : وَلِمَ سَمِيتِ حَوَاءَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ شَيْءٍ حَيٍّ . فَقَالَ اللَّهُ لَهُ : ﴿ يَتَّكِدُمْ أَتَيْتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ . قَالَتْ : وَلَمْ تَسْمِيْنِي ؟ قَالَتْ : سَمِيتِ حَوَاءَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ شَيْءٍ حَيٍّ . فَقَالَ اللَّهُ لَهُ : ﴿ يَتَّكِدُمْ أَتَيْتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ ^(٣) .

فَهَذَا الْخَبَرُ يُنْبِئُ عَنْ أَنَّ حَوَاءَ خُلِقَتْ بَعْدَ أَنْ أُسْكِنَ آدَمُ الْجَنَّةَ ، فَجُعِلَتْ لَهُ سَكَنًا .

/ وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ خُلِقَتْ قَبْلَ أَنْ يُسْكِنَ آدَمُ الْجَنَّةَ . ٢٣٠/١

(١) تقدم بتمامه في ص ٤٩٦ .

(٢) أى وحده ليس معه غيره . اللسان (و ح ش) .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ١٠٣/١ ، ١٠٤ . وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٢٠) ، وابن عساكر في تاريخه ٤٠٢/٧ من طريق عمرو بن حماد به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٥/١ (٣٧٢) من طريق عمرو بن حماد ، عن أشباط ، عن السدي من قوله .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : لَمَّا فَرَّغَ اللَّهُ مِنْ مُعَاتَبَةِ إِبْلِيسَ ، أَقْبَلَ عَلَى آدَمَ وَقَدْ عَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، فَقَالَ : ﴿ يَتَكَادَمُ أَنْيَتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ . ثُمَّ أَلْفَى السَّنَةَ عَلَى آدَمَ - فِيمَا بَلَّغْنَا عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ الثَّوْرَةِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ - ثُمَّ أَخَذَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ مِنْ شِقِّهِ الْأَيْسَرِ ، [٥٨/٢] وَلَأَمَ مَكَانَهُ لَحْمًا ، وَآدَمُ نَائِمٌ لَمْ يَهْبُثْ مِنْ نَوْمِهِ حَتَّى خَلَقَ اللَّهُ مِنْ ضِلْعِهِ تِلْكَ زَوْجَتَهُ حَوَاءَ ، فَسَوَّاهَا امْرَأَةً لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا كَشَفَ عَنْهُ السَّنَةَ وَهَبَتْ مِنْ نَوْمَتِهِ رَأَاهَا إِلَى جَنْبِهِ ، فَقَالَ - فِيمَا يَزْعُمُونَ وَاللَّهِ أَعْلَمُ - : لَحْمِي وَدَمِي وَزَوْجَتِي . فَسَكَنَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا زَوَّجَهُ اللَّهُ ، وَجَعَلَ لَهُ سَكَنًا مِنْ نَفْسِهِ ، قَالَ لَهُ قَبِيلًا ^(١) : ﴿ يَتَكَادَمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٢) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَيُقَالُ لَامْرَأَةِ الرَّجُلِ : زَوْجُهُ وَزَوْجَتُهُ . وَالزَّوْجَةُ بِالْهَاءِ أَكْثَرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْهَا بِغَيْرِ الْهَاءِ ، وَالزَّوْجُ بِغَيْرِ الْهَاءِ يُقَالُ : إِنَّهَا لَعَنَةٌ لِأَزْدٍ شَنْوَعَةٍ . فَأَمَّا الزَّوْجُ الَّذِي لَا اخْتِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْعَرَبِ فَهُوَ زَوْجُ الْمَرْأَةِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : أَمَّا الرَّغْدُ ، فَإِنَّهُ الْوَاسِعُ مِنَ الْعَيْشِ الْهَنِيِّ الَّذِي لَا يُعْنَى صَاحِبُهُ ، يُقَالُ : أَرَغَدَ فُلَانٌ . إِذَا أَصَابَ وَاسِعًا مِنَ الْعَيْشِ الْهَنِيِّ ، كَمَا قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ

(١) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فِتْلًا » . وَقِيلَا : عَيَانًا وَمُقَابَلَةً ، لَا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يُولَى أَمْرَهُ أَوْ كَلَامَهُ أَحَدًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ . النِّهَايَةُ ٨/٤ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ١٠٤/١ . وَذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١١٢/١ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ بِهِ .

حُجْرٍ^(١) :

بَيْنَمَا المرءُ تَرَاهُ نَاعِمًا يَأْمَنُ الْأَحْدَاثُ فِي عَيْشٍ رَغْدٍ
وَكَمَا حَدَّثَنَا بِهِ موسى ، قال : حَدَّثَنَا عمرو ، قال : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عن السُّدِّيِّ
فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ ثُرَّةَ ، عَنْ ابْنِ
مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا﴾ : وَالرَّعْدُ
الْهَنِيُّ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قال : حَدَّثَنَا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ
أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلَهُ : ﴿رَعْدًا﴾ . قال : لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ^(٣) .
حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو حذيفة ، قال : حَدَّثَنَا شُبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا حَكَّامٌ ، عَنْ عُبَيْسَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَرَّةَ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ
سِتْنَمًا﴾ . أَى : لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ .

حَدَّثْتُ عَنْ الْمُتَنَجِّبِ بْنِ الْحَارِثِ ، قال : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْحٍ ،

(١) لم نجده في ديوان امرئ القيس بهذه الرواية ، ولكن لامرئ القيس قصيدة على نفس الوزن بها بيت شبيهه ،
لعله المراد وليس فيه موضع الشاهد ، وهو :

بينما المرء شهاب ثاقب ضرب الدهر ثناه فحمد

ديوان امرئ القيس ص ٢١٧ .

(٢) ذكره الحافظ في الفتح ١٦٤/٨ عن المصنف من طريق السدي عن رجاله . وأخرجه ابن أبي حاتم في
تفسيره ٨٦/١ (٣٧٥) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي من قوله . وهو تمام الأثر
المتقدم في ص ٥٤٧ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٠٣ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٦/١ (٣٧٤) .

عن الضَّحَّاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا ﴾ . قال : الرَّعْدُ سَعَةُ الْمَعِيشَةِ ^(١) .

[٢/٥٨ هـ] فمعنى الآية : وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا من الجنة رزقاً واسعاً هنيئاً من العيش حيث شئتما .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ يَتَّكِدُمُ آسَكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ : ثم أتى ^(٢) البلاء الذي كُتِبَ على الخلق / على آدم ، كما ابتلى الخلق قبله ، إن الله تعالى ذكره ٢٣١/١ أحلَّ له ما في الجنة أن يأكلَ منها رَعْدًا حيث شاء ، غير شجرة واحدة نُهيَ عنها ، وقُدِّمَ إليه فيها ، فما زال به البلاء حتى وقَعَ بالذي نُهيَ عنه .

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ .

قال أبو جعفر : والشجرُ في كلام العرب كلُّ ما قام على ساق ، ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَالتَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن : ٦] . يعنى بالنَّجْمِ ما نجم من الأرض من نبت ، وبالشجر ما استقلَّ على ساق .

ثم اختلف أهل التأويل في عين الشجرة التي نُهيَ عن أكل ثمرها آدم عليه السلام ؛ فقال بعضهم : هي السَّنْبُلَةُ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : حدثنا عبد الحميد الحِمَاني ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٥/١ (٣٧٣) عن أبي زرعة ، عن المنجاب به .

(٢) في م : « إن » .

عن النضر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الشجرة التي نُهي آدم عنها^(١) الشَّيْطَانُ^(٢).

حدَّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدَّثنا هُشَيْمٌ، وحدَّثنا ابنُ وَكِيعٍ، قال: حدَّثنا عُمَرَانُ بنُ عُيَيْنَةَ^(٣)، جميعًا عن حُصَيْنٍ، عن أبي مالكٍ في قوله: ﴿وَلَا نَقْرِبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾. قال: هي الشَّيْطَانُ^(٤).

حدَّثنا محمد بن بشار، قال: حدَّثنا ابنُ مَهْدِيٍّ، وحدَّثنا أحمدُ بنُ إِسْحَاقَ الأَوهَازِيُّ، قال: حدَّثنا أبو أحمدَ الزَّيْتَرِيُّ، قالًا جميعًا: حدَّثنا سفيانُ، عن حُصَيْنٍ، عن أبي مالكٍ مثله.

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ وابنُ وَكِيعٍ، قالًا: حدَّثنا ابنُ إِدْرِيسَ، قال: سَمِعْتُ أبا، عن عطية العوفى في قوله: ﴿وَلَا نَقْرِبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾. قال: الشَّيْطَانُ^(٥).

حدَّثنا بشر بن مُعَاذٍ، قال: حدَّثنا يَزِيدُ، قال: حدَّثنا سَعِيدٌ، عن قتادة، قال: الشجرة التي نُهي عنها آدم هي الشَّيْطَانُ.

حدَّثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدَّثنا مسلم بن إبراهيم، قال: [٥٩/٢] حدَّثنا

(١) في م: «عن أكل ثمرها».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٦/١ (٣٧٧)، وأبو الشيخ في العظمة (١٠٥٩) من طريق محمد بن إسماعيل به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٢/١ إلى ابن المنذر وابن عساكر. والنضر بن عبد الرحمن متروك.

(٣) في م: «عتية». وينظر تهذيب الكمال ٣٤٥/٢٢.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٠١/٧ من طريق حصين به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/١ إلى وكيع وعبد بن حميد وأبي الشيخ.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٦/١ عقب الأثر (٣٧٧) معلقا.

القاسم ، قال : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِّنْ بَنِي تَمِيمٍ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَتَبَ إِلَى أَبِي الْجَلْدِ يَسْأَلُهُ عَنِ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَكَلَ مِنْهَا آدَمُ ، وَالشَّجَرَةُ الَّتِي تَابَ عِنْدَهَا ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْجَلْدِ : سَأَلْتَنِي عَنِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيَ عَنْهَا آدَمُ ، وَهِيَ السُّنْبُلَةُ ، وَسَأَلْتَنِي عَنِ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَابَ عِنْدَهَا آدَمُ ، وَهِيَ الزَّيْتُونَةُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : الشَّجَرَةُ الَّتِي نُهِيَ عَنْهَا آدَمُ الْبَرْقُ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ عُثَيْمَةَ وَابْنُ الْمُبَارِكِ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُمَارَةَ ، عَنِ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَانَتِ الشَّجَرَةُ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا آدَمَ وَزَوْجَتَهُ السُّنْبُلَةَ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْيَمَنِ ، عَنْ^(٣) وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهِ الْيَمَانِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : هِيَ الْبَرْقُ ، وَلَكِنَّ الْحَبَّةَ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ كَكَلَى الْبَقْرِ ، أَلَيْنُ مِنَ الرَّثِيدِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَهْلُ الثَّوَرَةِ يَقُولُونَ : هِيَ الْبَرْقُ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَعْقُوبَ

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ١١٣/١ عن ابن إسحاق به . وينظر الدر المنثور ٥٢/١ .

(٢) سيأتي بتمامه في تفسير الآية ٢٢ من سورة الأعراف .

(٣) في الأصل : « وعن » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٦/١ (٣٧٨) من طريق سلمة به .

ابن عُثْبَةَ ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّهَا الشَّجَرَةُ الَّتِي تَحْتَكُ^(١) بِهَا الْمَلَائِكَةُ لِلْخُلْدَةِ^(٢) .

٢٣٢/١ / حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ رِفَاعَةَ ، عَنْ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ ، قَالَ : هِيَ السَّنْبُلَةُ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ الْحَسَنِ ، قَالَ : هِيَ السَّنْبُلَةُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ رِزْقًا لَوْلَدِهِ فِي الدُّنْيَا^(٣) .
وَقَالَ آخَرُونَ : هِيَ الْكَرْمَةُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا 'عَبِيدُ اللَّهِ' ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ السُّدِّيِّ ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : هِيَ الْكَرْمَةُ^(٥) .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ السُّدِّيِّ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مَرْثَةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا هَٰذِهِ ﴾

(١) فِي م : « تَحْتَك » .

(٢) فِي ص ، م : « لِلْخُلْد » .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٨٦/١ عَقِبَ الْأَثَرِ (٣٧٧) مَعْلَقًا .

(٤ - ٤) فِي ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت : « عَبْدُ اللَّهِ » .

(٥) فِي ر ، وَالْمَصَادِر : « الْكَرْم » .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٨٦/١ (٣٧٦) مِنْ طَرِيقِ عُبَيْدِ اللَّهِ بِهِ .

وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّر الْمُنْثُورِ ٥٣/١ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

وَذَكَرَ السَّيُوطِيُّ ٥٣/١ عَنِ الْمُصَنِّفِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : هِيَ اللَّوْزُ . وَقَالَ : كَذَبًا فِي النُّسخة ، وَهِيَ قَدِيمَةٌ ،

وَعِنْدِي أَنَّهَا تَصَحَّفَتْ مِنَ الْكَرْمِ .

الشَّجَرَةَ ﴿ هِيَ الْكَزْمُ ، وَتَزْعُمُ الْيَهُودُ أَنَّهَا الْخَنْطَةُ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ
السَّدِيِّ ، قَالَ : الشَّجَرَةُ هِيَ الْكَزْمُ .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ مُغِيرَةَ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ
جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ ، قَالَ : هُوَ الْعَنْبُ . فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا نَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ خَلَادِ الصَّفَّارِ ، عَنْ بَيَانَ ، عَنْ
الشَّعْبِيِّ ، عَنْ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ : ﴿ وَلَا نَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ . قَالَ : الْكَزْمُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَا : [٥٩/٢ ظ] حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مُغِيرَةَ ، عَنْ
الشَّعْبِيِّ ، عَنْ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ ، قَالَ : الشَّجَرَةُ الَّتِي نُهِيَ عَنْهَا آدَمُ شَجَرَةُ الْحَمْرِ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ
الْعَوَّامِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ حُسَيْنٍ ^(٣) ، عَنْ يَعْلَى بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ
قَوْلَهُ : ﴿ وَلَا نَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ . قَالَ : الْكَزْمُ ^(٤) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ
السَّدِيِّ ، قَالَ : الْعَنْبُ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ ، عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ : عَنْبٌ ^(٤) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/١ إلى المصنف عن ابن مسعود . وينظر تاريخ دمشق ٧/ ٤٠١ .

(٢) أخرجه وكيع - كما في الدر المنثور ٥٣/١ - وأخرجه ابن سعد ٣٤/١ من طريق بيان به . وعزاه السيوطي
إلى أبي الشيخ . وينظر تفسير ابن أبي حاتم ٨٦/١ (٣٧٦) .

(٣) في ص : « حصين » .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٦/١ عقب الأثر (٣٧٦) معلقا .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا خَالِدُ الْوَاسِطِيُّ ، عَنْ بَيَانَ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ . قَالَ : الْكَزْمُ . وَقَالَ آخَرُونَ : هِيَ التَّيْنَةُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، قَالَ : تَيْنَةٌ ^(١) .

/ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّ آدَمَ وَزَوْجَهُ قَدْ أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاَهُمَا عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا ، وَأَتَيَا الْخَطِيئَةَ الَّتِي نَهَاَهُمَا عَنْ إِيْتَانِهَا بِأَكْلِهِمَا مَا أَكَلَا مِنْهَا ، بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَهُمَا عَيْنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاَهُمَا عَنْ الْأَكْلِ مِنْهَا ، وَأَشَارَ لَهُمَا إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ . وَلَمْ يَضَعْ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمَخَاطِبِينَ بِالْقُرْآنِ دَلَالََةً عَلَى أَىْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ كَانَ نَهْيُهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَتَقَرَّبَ بِهَا ، بِنَصِّ عَلَيْهَا بِاسْمِهَا ، وَلَا بِدَلَالَةٍ عَلَيْهَا ، وَلَوْ كَانَ لِلَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي الْعِلْمِ بِأَىْ ذَلِكَ مِنْ أَىْ رِضَا ، لَمْ يُخَلِّ عِبَادَهُ مِنْ نَضْبِ دَلَالَةِ لَهُمْ عَلَيْهَا يَصِلُونَ بِهَا إِلَى مَعْرِفَةِ عَيْنِهَا ، لِيُطِيعُوهُ بِعِلْمِهِمْ بِهَا ، كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَا فِي الْعِلْمِ بِهِ لَهُ رِضَا .

فَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ نَهَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَوْجَتَهُ عَنْ أَكْلِ شَجَرَةٍ بَعَيْنِهَا مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ دُونَ سَائِرِ أَشْجَارِهَا ، فَخَالَفَا إِلَى مَا نَهَاَهُمَا اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَكَلَا مِنْهَا كَمَا وَصَفَهُمَا اللَّهُ بِهِ ، وَلَا عِلْمَ عِنْدَنَا ^(٢) بِأَىْ ذَلِكَ مِنْ أَىْ ^(٣) . وَقَدْ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/١ إلى المصنف عن بعض الصحابة .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٦/١ (٣٧٩) من طريق ابن جريج عن مجاهد . وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ عن مجاهد . وينظر ما تقدم في ص ٢٠٤ .

(٢ - ٣) في م : « أَىْ شَجَرَةٍ كَانَتْ عَلَى التَّعْيِينَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ لِعِبَادِهِ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ ، وَلَا =

قِيلَ : كانت شجرة البُرِّ . وقيل : كانت شجرة العِنَبِ . وقيل : كانت شجرة التَّيْنِ .
وجائز أن تكون واحدة منها ، وذلك ^(١) عِلْمٌ إِذَا عُلِمَ ^(٢) لم يَنْفَعِ الْعَالَمَ بِهِ عِلْمُهُ ، وَإِنْ
جَهَلَهُ جَاهِلٌ لَمْ يَضُرَّهُ جَهْلُهُ بِهِ .

[٦٠/٢] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٥) .

قال أبو جعفر : اختلف أهل العربية في تأويل قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ
فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ؛ فقال بعض نحويي الكوفيين : تأويل ذلك : ولا تَقْرَبَا هذه
الشجرة ، فإنكما إن قَرَبْتُمَاها كُنتُمَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فصار الثاني في موضع جواب
الجزاء ، وجواب الجزاء يَعْمَلُ فِيهِ أَوَّلُهُ ، كقولك : إِنْ تَقُمْ أَقُمْ . فَتَجْزِمُ الثَّانِي بِجَزْمِ
الأوَّلِ ، فكذلك قوله : ﴿ فَتَكُونَا ﴾ لَمَّا وَقَعَتِ الْفَاءُ فِي مَوْضِعِ شَرْطِ الْأَوَّلِ نُصِبَ بِهَا ،
وَصُيِّرَتْ بِمَنْزِلَةِ « كَى » فِي نَصْبِهَا الْأَفْعَالَ الْمُسْتَقْبَلَةَ ، لِلزُّومِهَا الْإِسْتِقْبَالَ ، إِذْ كَانَ
أَصْلُ الْجَزَاءِ الْإِسْتِقْبَالَ .

وقال بعض نحويي أهل البصرة : تأويل ذلك : لَا يَكُنْ مِنْكُمَا قُرْبُ هَذِهِ
الشجرة ، فَأَنْ تَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . غَيْرَ أَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ « أَنْ » غَيْرُ جَائِزٍ إِظْهَارُهَا مَعَ
﴿ لَا ﴾ ، وَلَكِنَّهَا مُضْمَرَةٌ لَا بَدَّ مِنْهَا لِيَصِحَّ الْكَلَامُ بِعَطْفِ اسْمٍ - وَهِيَ « أَنْ » - عَلَى
اسْمٍ ، كَمَا غَيْرُ جَائِزٍ فِي قَوْلِهِمْ : عَسَى أَنْ يَفْعَلَ : عَسَى الْفِعْلُ . وَلَا فِي قَوْلِكَ : مَا
كَانَ لِيَفْعَلَ : مَا كَانَ لِأَنْ يَفْعَلَ .

وهذا القول الثاني يُفْسِدُهُ إِجْمَاعُ جَمِيعِهِمْ عَلَى تَخْطِئَةِ قَوْلِ الْقَائِلِ : سَرَنِي

= فِي السَّنَةِ الصَّحِيحَةِ ، فَأَنَّى يَأْتِي ذَلِكَ مِنْ أَتَى .

(١ - ١) فِي م : « إِنْ عَلِمَهُ عَالَمٌ » .

تقوم يا هذا . وهو يُريد : سرّنى قيامك . فكَذلك يجب أن يكون خطأ على هذا المذهب قول القائل : لا تقم . إذا كان المعنى : لا يكن منك قيام . وفى إجماع جميعهم على صحة قول القائل : لا تقم . وفساد قول القائل : سرّنى تقوم . بمعنى : سرّنى قيامك - الدليل الواضح على فساد دعوى المدعى أن مع ﴿ لَا ﴾ التى فى قوله : ﴿ وَلَا نَقْرَبُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ . ضمير « أن » ، وصحة القول الآخر .

وفى قوله : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . وجهان من التأويل ؛ أحدهما : أن يكون ﴿ فَتَكُونَا ﴾ فى نية العطف على قوله : ﴿ وَلَا نَقْرَبُ ﴾ فىكون تأويله حيثئذ : ولا نقرّب هذه الشجرة ، ولا تكونا من الظالمين . فىكون ﴿ فَتَكُونَا ﴾ حيثئذ فى معنى الجزم مجزوماً بما جزم به : ﴿ وَلَا نَقْرَبُ ﴾ . كما يقول القائل : لا تكلم عمراً ولا تؤذّه . كما قال امرؤ القيس ^(١) .

٢٣٤/١ [٢/ ٦٠ ظ] / قُلْتُ لَهُ صَوِّبْ وَلَا تَجْهَدْنَهُ فَيَذْرَكَ مِنْ أُخْرَى الْقِطَاعِ ^(٢) فَتَزْلَقْ

فجزم « يُذْرَكَ » بما جزم به « لَا تَجْهَدْنَهُ » ، كأنه كرّر النهي .

والثانى : أن يكون ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . بمعنى جواب النهي ، فىكون تأويله حيثئذ : لا نقرّب هذه الشجرة ، فإنكما إن قرّبتماها كنتما من الظالمين . كما تقول : لا تشتم زيداً ^(٣) فيشتمك مجازاة . فىكون ﴿ فَتَكُونَا ﴾ حيثئذ فى موضع نصب إذ كان حرفاً عطفاً على غير شكله ، لما كان فى ﴿ وَلَا نَقْرَبُ ﴾ حرف عامل فيه لا ^(٤) يصلح إعادته فى ﴿ فَتَكُونَا ﴾ ، فنصب على ما قد بينت فى أول هذه المسألة .

(١) ديوانه ص ١٧٤ .

(٢) القطة : موضع الردف من الدابة خلف الفارس . اللسان (ق ط و) .

(٣) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عمراً » .

(٤) فى ص ، م ، ت : « ولا » .

وأما تأويلُ قوله : ﴿ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فإنه يعنى به : فتكونوا من المتعدِّين إلى غير ما أُذن لهم فيه وأُيح لهم . وإنما عنى بذلك أنكما إن قريئتما هذه الشجرة كنتما على منهاج من تعدَّى حدودى ، وعصى أمرى ، واستحلَّ محارمى ؛ لأن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله وليُّ المتقين .

وأصلُ الظلمِ فى كلامِ العربِ وضعُ الشيءِ فى غيرِ موضعه ، ومنه قولُ نابغةِ بنى ذُيَّان^(١) :

إِلَّا أَوَارِيَّ^(٢) لَأَيُّمَا مَا أُبَيِّنُهَا وَالتُّؤَى كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ
فَجَعَلَ الْأَرْضَ مَظْلُومَةً ؛ لأن الذى حفر فيها التُّؤَى حَفَرَ فى غيرِ موضعِ الحفرِ ،
فَجَعَلَهَا مَظْلُومَةً^(٣) لَوْضِعِ الْحُفْرَةِ^(٤) مِنْهَا فى غيرِ موضعِهَا . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ قَمِيئَةَ
فِي صِفَةِ غَيْثٍ^(٥) :

ظَلَمَ الْبَطَاحُ^(٥) بِهِ^(٦) أَنْهَالُ^(٧) حَرِيصَةٍ^(٨) فَصَفَا النَّطَافُ^(٩) لَهُ بُعَيْدَ الْمُقْلَعِ^(١٠)

(١) تقدم فى ص ١٨٤ .

(٢) فى الأصل ، م : « الأوارى » . ويروى بالوجهين ، وقد تقدم بدون الألف واللام فى جميع النسخ فى الموضع السابق .

(٣ - ٣) فى ص : « لموضع الحفر » .

(٤) كذا نسبه المصنف ، وورد هذا البيت فى ديوان ابن قميئة ص ٢٠٧ على أنه من الشعر المنسوب إليه وليس فى مخطوطة الديوان . والصواب أنه للحادرة ، ينظر المفضليات ص ٤٤ ، وديوان شعر الحادرة ص ٣٠٨ .
(٥) البطاح : بطون الأودية . التاج (ب ط ح) .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بها » . وفى المفضليات : « له » . والمثبت من الأصل ، ص موافق لما فى ديوان شعر الحادرة .

(٧) أنهل المطر انهلالاً : سال بشدة . اللسان (ه ل ل) .

(٨) الحريصة : السحابة التى تقشر وجه الأرض بمطرها . التاج (ح ر ص) .

(٩) النطاف : القليل من الماء . وقيل : هى الماء الصافى قلُّ أو كثر . اللسان (ن ط ف) .

(١٠) المقلع : الإقلاع ؛ وهو الإمساك والكف . التاج (ق ل ع) .

وظلمه إياه مَجِيئُهُ في غير أوانِهِ ، وانصبأه في غير مَصَبِّهِ . ومنه ظلم الرجل جزوره ، وهو نحره إياه لغير عِلَّةٍ ، وذلك عند العربِ وَضْعَ النحرِ في غير موضعه . وقد يَتَفَرَّغُ الظُّلْمُ في معانٍ يَطُولُ بإحصائها الكتابُ ، سَنُبَيِّنُهَا في أماكنها إذا أتينا عليها ، إن الله شاء ذلك ، وأصل ذلك كُلُّهُ ما وَصَفْنَا من وضعِ الشيءِ في غير موضعه .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ .

قال أبو جعفر : اختلفتِ القراءةُ في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامتهم : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ . بتشديد اللام ^(١) ، بمعنى : اشتَرَلَهُمَا ، من قولك : زَلَّ الرجلُ في دينه . إذا هَفَا فيه وأَخْطَأَ ، فأتى ما ليس له إتيائه [٦١/٢] فيه ، وأزله غيره ، إذا سَبَّبَ له ما يَزِلُّ من أجله في دينه أو دنياه ؛ ولذلك أضاف الله تعالى ذكره إلى إبليس خروج آدمَ وزوجته من الجنة فقال : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ . يعني : إبليس أخرجهما ^(٢) ﴿ وَمَا كَانَا فِيهِ ﴾ ؛ لأنه كان الذي سَبَّبَ لهما الخطيئة التي عاقبهما الله عليها بإخراجهما من الجنة .

وقرأه آخرون : (فَأَزَلَّاهُما) ^(٣) . بمعنى إزالة الشيء عن الشيء ، وذلك تَنَجِيئُهُ عنه .

وقد روى عن ابن عباس في تأويل قوله : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ ^(٤) ما حدثناه ^(٥) القاسم ،

٢٣٥/١ قال : حدثنا الحسين ، قال : / حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : قوله : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ . قال : أغواهما ^(٥) .

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وأبي عمرو والكسائي . السبعة لابن مجاهد ص ١٥٣ .

(٢) سقط من ص ، م ، ت ٢ .

(٣) وهي قراءة حمزة . المصدر السابق .

(٤ - ٥) في ص : « الشيطان عنها ، قال : أغواهما . حدثنا » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٧/١ (٣٨٦) من طريق ابن جريج به . وعزه السيوطي في الدر المنثور

٥٣/١ إلى ابن المنذر .

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأه : ﴿ فَازْلِهْهُمَا ﴾ ؛ لأن الله تعالى ذكره قد أخبر في الحرف الذى يثْلُوهُ بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه ، وذلك هو معنى قوله : (فازلهما)^(١) . فلا وجه - إذ كان معنى الإزالة معنى التَّحْيَةِ والإخراج - أن يُقال : (فازلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) فيكون كقوله : فازلهما الشيطان عنها فازلهما مما كانا فيه . ولكن المعنى المفهوم أن يُقال : فاستزلهما إبليس عن طاعة الله - كما قال تعالى ذكره : ﴿ فَازْلِهْهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ . وقرأت به القراءة - فأخرجهما باستزلاله إياهما عن^(٢) الجنة .

فإن قال قائل : وكيف كان استزلال إبليس آدم وزوجته عليهما السلام ، حتى أُضيفَ إليه إخراجهما من الجنة ؟

قيل : قد قالت العلماء فى ذلك أقوالاً سنذكر بعضها .

فحكى عن وهب بن مُنبِّه فى ذلك ما حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمر^(٣) بن عبد الرحمن بن مُهْرِب ، قال : سمعتُ وهب ابن مُنبِّه يقول : لما أسكن الله آدم وذريته ، وأزوجته - الشك من أبى جعفر ، وهو فى أصل كتابه : وذريته - ونهاه عن الشجرة ، وكانت شجرة غصونها مُتَشَعِّبٌ بعضها فى بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم ، وهى الثمرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته ، فلما أراد إبليس أن يستزلهما ، دخل فى جوف الحية ، وكانت للحية أربع قوائم كأنها بُحْتِيَّةٌ^(٤) من أحسن دابة خلقها الله جل ثناؤه ، فلما دخلت الحية الجنة ،

(١) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فازلهما » .

(٢) فى م : « من » .

(٣) فى م : « عمرو » .

(٤) البختية : الأنثى من الجمال البُحْتِ ، والذكر بُحْتِى ، وهى جمال طوال الأعناق ، وتجمع على بُحْتٍ

وبخاتى - غير مصروف - واللفظة معربة . النهاية ١٠١/١ . (تفسير الطبرى ٣٦/١)

خَرَجَ مِنْ جَوْفِهَا إِبْلِيسَ ، فَأَخَذَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي [٦١/٢ ظ] نَهَى اللَّهُ عَنْهَا آدَمَ وَزَوْجَتَهُ ، فَجَاءَ بِهَا ^(١) إِلَى حَوَاءَ ، فَقَالَ : انْظُرِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، مَا أَطْيَبَ رِيحُهَا ، وَأَطْيَبَ طَعْمُهَا ، وَأَحْسَنَ لَوْنُهَا ! فَأَخَذَتِ حَوَاءَ فَأَكَلَتْ مِنْهَا ، ثُمَّ ذَهَبَتْ بِهَا إِلَى آدَمَ ، فَقَالَتْ : انْظُرِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، مَا أَطْيَبَ رِيحُهَا ، وَأَطْيَبَ طَعْمُهَا ، وَأَحْسَنَ لَوْنُهَا ! فَأَكَلَ مِنْهَا آدَمُ ، فَبَدَتْ لِهَمَا سَوَاتُهُمَا ، فَدَخَلَ آدَمُ فِي جَوْفِ الشَّجَرَةِ ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ : يَا آدَمُ ، أَيْنَ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا هَذَا ^(٢) يَا رَبِّ . قَالَ : أَلَا تَخْرُجُ ؟ قَالَ : أَسْتَخْيِي مِنْكَ يَا رَبِّ . قَالَ : مَلْعُونَةُ الْأَرْضِ الَّتِي خُلِقَتْ مِنْهَا لَعْنَةٌ ^(٣) تَتَحَوَّلُ ثَمَارُهَا ^(٤) شَوْكًا . قَالَ : وَلَمْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ^(٥) شَجَرَةٌ كَانَ أَفْضَلُ مِنَ الطَّلْحِ وَالسَّدْرِ . ثُمَّ قَالَ : يَا حَوَاءُ ، أَنْتِ الَّتِي غَرَزْتِ عَبْدِي ، فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلِينَ حَمْلًا إِلَّا حَمْلُيهِ كَرْهًا ، فَإِذَا أَرَدْتِ أَنْ تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكَ أَشْرَفْتِ عَلَى الْمَوْتِ مِرَارًا . وَقَالَ لِلْحَيَّةِ : أَنْتِ الَّتِي دَخَلْتَ الْمَلْعُونُ فِي جَوْفِكَ ، حَتَّى غَرَّ عَبْدِي ، مَلْعُونَةُ أَنْتِ لَعْنَةٌ تَتَحَوَّلُ قَوَائِمُكَ فِي بَطْنِكَ ، ^(٦) وَلَا يَكُونُ ^(٧) لَكَ رِزْقٌ إِلَّا التَّرَابُ ، أَنْتِ عِدْوَةٌ لِبَنِي آدَمَ ، وَهُمْ أَعْدَاؤُكَ ، حَيْثُ لَقِيتِ أَحَدًا مِنْهُمْ أَخَذْتِ بَعْقِيهِ ، وَحَيْثُ لَقِيتِكَ شَدَخَ رَأْسُكَ . قَالَ عَمْرُو ^(٨) : قِيلَ لَوْهَبٍ : وَمَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَأْكُلُ ؟ قَالَ : يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ^(٩) .

وقد رَوَى عن ابن عباسٍ نحوه هذه القصّة .

(١) في م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ : « به » .

(٢) في م ، ت ، ٢ : « هنا » .

(٣ - ٣) في م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ : « يتحول ثمرها » .

(٤) في ص : « السماء » .

(٥ - ٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ٢ ، وتاريخ المصنف : « لا يكن » ، وفي ت ٣ : « لم يكن » .

(٦) في م : « عمرو » .

(٧) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٢٦ ، وأخرجه المصنف في تاريخه ١/ ١٠٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٨٧/ ١

(٣٨٢) - مختصرا - عن الحسن بن يحيى به . وعندهم : لما أسكن الله آدم وزوجه الجنة . بدون شك .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِّيِّ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مُرَّةَ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : لَمَّا قَالَ اللَّهُ لَأَدَمَ : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ / شِئْتُمَا وَلَا نَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . أَرَادَ إِبْلِيسُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمَا الْجَنَّةَ ، فَمَنَعَهُ الْخَزَنَةُ ، فَأَتَى الْحَيَّةَ - وَهِيَ دَابَّةٌ لَهَا أَرْبَعُ قَوَائِمَ ، كَأَنَّهَا الْبَعِيرُ ، وَهِيَ كَأَحْسَنِ الدَّوَابِّ - فَكَلَّمَهَا أَنْ تُدْخِلَهُ فِي فُجْمِهَا ^(١) حَتَّى تَدْخُلَ بِهِ إِلَى آدَمَ ، فَأَدْخَلَتْهُ فِي فُجْمِهَا ^(٢) - ^(٣) قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالْفُجْمُ جَانِبُ الشَّدَقِ ^(٤) - فَمَرَّتِ الْحَيَّةُ عَلَى الْخَزَنَةِ فَدَخَلَتْ وَلَا يَعْلَمُونَ ، لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ مِنَ الْأَمْرِ . فَكَلَّمَهُ مِنْ فُجْمِهَا ^(٥) ، فَلَمْ يُبَالِ كَلَامَهُ ^(٥) ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : ﴿ يَتَّكِدُمْ هَلْ أَذْلُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ [طه : ١٢٠] . يَقُولُ : هَلْ أَذْلُكَ عَلَى شَجَرَةٍ إِنْ أَكَلْتَ مِنْهَا كُنْتَ مَلِكًا مِثْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ فَلَا تَمُوتَانِ أَبَدًا . وَحَلَفَ لَهُمَا بِاللَّهِ : ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَئِنِ اتَّصَيْحِبْتَ ﴾ [الأعراف : ٢١] . وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ لِئُبَيِّدَيَّ لَهُمَا مَا تَوَارَى عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا بِهِتْلِكَ لِبَاسِهِمَا ، وَكَانَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ لَهُمَا سَوْءَةً ، لِمَا كَانَ يَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ الْمَلَائِكَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ آدَمُ يَعْلَمُ ذَلِكَ ، وَكَانَ [٦٢/٢] لِبَاسُهُمَا الطُّفَرُ ، فَأَتَى آدَمُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ، فَتَقَدَّمَتْ حَوَاءُ فَأَكَلَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا آدَمُ كُلْ ، فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُ فَلَمْ يَضُرَّنِي . فَلَمَّا أَكَلَ آدَمُ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ، وَطَفِيقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ^(٦) .

(١) فِي ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، وَتَارِيخُ الْمُصَنِّفِ ، وَالدِّرَ الْمُنْتَوَر : « فَمَهَا » .

(٢) فِي م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، وَالتَّارِيخُ ، وَالدِّر : « فَمَهَا » .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) فِي م : « فَمَهَا » ، وَفِي ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فَمَه » .

(٥) فِي م ، وَالدِّر : « بِكَلَامِهِ » .

(٦) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ١٠٦/١ ، ١٠٧ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي تَارِيخِهِ ٤٠٢/٧ مِنْ طَرِيقِ عَمْرُو =

حُدِّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَدَّثٌ أَنَّ الشَّيْطَانَ دَخَلَ الْجَنَّةَ فِي صُورَةِ دَابَّةٍ ذَاتِ قَوَائِمَ ، فَكَانَ يُرَى أَنَّهُ ^(١) الْبَعِيرُ ، قَالَ : فَلَمِنَ ، فَسَقَطَتْ قَوَائِمُهُ فَصَارَ حَيَّةً ^(٢) .

حُدِّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْعَالِيَةِ أَنَّ مِنَ الْإِبِلِ مَا كَانَ أَوَّلُهَا مِنَ الْجَنِّ . قَالَ : فَأُيِّحَتْ لَهُ الْجَنَّةُ كُلُّهَا إِلَّا الشَّجَرَةَ ، وَقِيلَ لَهُمَا ^(٣) : ﴿ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ قَالَ : فَاتَى الشَّيْطَانُ حَوَاءَ ، فَبَدَأَ بِهَا ، فَقَالَ : أَلَنْهَيْتُمَا عَنْ شَيْءٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ . فَقَالَ : ﴿ مَا نَهَيْكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠] . قَالَ : فَبَدَأَتْ حَوَاءُ فَأَكَلَتْ مِنْهَا ، ثُمَّ أَمَرَتْ آدَمَ فَأَكَلَ مِنْهَا . قَالَ : وَكَانَتْ شَجَرَةً مَنْ أَكَلَ مِنْهَا أُحْدِثَ . قَالَ : وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْجَنَّةِ حَدَثٌ . قَالَ : ﴿ فَأَزَالَهُمَا ^(٤) الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ . قَالَ : فَأَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّ آدَمَ حِينَ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْكِرَامَةِ وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْهَا ، قَالَ : لَوْ

= ابن حماد به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٥١/٥ (٨٢٩٤، ٨٢٩٥، ٨٢٩٨) من طريق عمرو بن حماد به ، عن السدي من قوله مختصراً .

(١) في ت ٣ : « كأنه » .

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ١٠٩/١ .

(٣) في ص : « له » .

(٤) في الأصل ، ص : « فأزالهما » . وهي قراءة حمزة كما تقدم .

(٥) أخرجه المصنف في تاريخه ١٠٩/١ ، ١١٠ .

أَنْ خُلِدَا كَانَ . ^(١) «فَاغْتَمَزَ فِيهَا» مِنْهُ الشَّيْطَانُ لَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ ، فَأَتَاهُ مِنْ قِبَلِ الْخُلْدِ ^(٢) .
 حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثْتُ أَنْ أَوَّلَ
 مَا ابْتَدَأَهُمَا بِهِ مِنْ كَيْدِهِ إِيَاهُمَا أَنَّهُ نَاحَ عَلَيْهِمَا نِيَاخَةً ^(٣) حَزَنَتُهُمَا ^(٤) حِينَ سَمِعَاَهَا ،
 فَقَالَا لَهُ : مَا يُفْعِلُكَ ؟ قَالَ : أَتَبْكِي عَلَيْهِمَا ؟ تَمُوتَانِ فَتُفَارِقَانِ مَا أَنْتُمَا فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ
 وَالْكَرَامَةِ . فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي أَنْفُسِهِمَا ، ثُمَّ أَتَاهُمَا فَوْسُوسٌ إِلَيْهِمَا ، فَقَالَ : ﴿ يَتَنَادِمُ هَلْ
 أَذْلَكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ [طه : ١٢٠] . وَقَالَ : ﴿ مَا نَهَيْكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ
 هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ ^(٥) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ
 ﴿ [الأعراف : ٢٠ ، ٢١] . أَيْ : تَكُونَانِ مَلَكَيْنِ ، أَوْ تَخُلَدَانِ - إِنْ لَمْ تَكُونَا
 مَلَكَيْنِ - فِي نِعْمَةِ الْجَنَّةِ ، فَلَا تَمُوتَانِ . يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ فَذَلَّلَهُمَا يَظْهَرُونَ ﴾ ^(٥)
 [الأعراف : ٢٢] .

/ وَحَدَّثَنِي يُونُسُ [٢/ ٦٢ ط] بَنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ٢٣٧/١
 ابْنُ زَيْدٍ : وَشَوَّسَ الشَّيْطَانُ إِلَى حَوَاءَ فِي الشَّجَرَةِ حَتَّى أَتَى بِهَا إِلَيْهَا ، ثُمَّ حَسَنَهَا فِي عَيْنِ
 آدَمَ . قَالَ : فَدَعَاهَا آدَمُ لِحَاجَتِهِ . قَالَتْ : لَا ، إِلَّا أَنْ تَأْتِيَنِي هَلْهِنًا . فَلَمَّا أَتَى قَالَتْ : لَا ، إِلَّا
 أَنْ تَأْكُلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ . قَالَ : فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوَاءُ أَثْمَهُمَا . قَالَ : وَذَهَبَ آدَمُ
 هَارِبًا فِي الْجَنَّةِ ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ : يَا آدَمُ ، أَمْنِي تَفَرُّ ؟ قَالَ : لَا يَا رَبِّ ، وَلَكِنْ خِيَاءٌ مِنْكَ .
 قَالَ : يَا آدَمُ ، أَنَّنِي أُتِيْتُ ؟ قَالَ : مِنْ قِبَلِ حَوَاءَ أَيْ رَبِّ . فَقَالَ اللَّهُ : فَإِنْ لَهَا عَلَيَّ أَنْ أَذْمِيَهَا

(١ - ١) فِي م : « فَاغْتَمَزَهَا » . وَقَوْلُهُ اغْتَمَزَ فِيهَا : يُقَالُ : سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً فَاغْتَمَزْتُهَا فِي عَقْلِهِ ، وَأَغْمَزْتُ فِيهِ ،
 أَيْ : وَجَدْتُ فِيهِ مَا يَسْتَضَعِفُ لِأَجَلِهِ . أَاسَاسُ الْبَلَاغَةِ (غ م ز) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ١/ ١١٠ .

(٣) فِي ت ٢ ، ت ٣ : « مَنَاحَةٌ » .

(٤) فِي م ، وَتَارِيخُ الْمُصَنِّفِ : « أَحْزَنَتُهُمَا » . وَفِي نَسَخَتَيْنِ مِنْ نَسَخِ التَّارِيخِ كَالْمَثْبُوتِ هُنَا .

(٥) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ١/ ١١٠ ، ١١١ .

فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً كَمَا دَمَّتْ^(١) هَذِهِ الشَّجَرَةُ ، وَأَنْ أَجْعَلَهَا سَفِيهَةً ، فَقَدْ كُنْتُ خَلَقْتُهَا حَلِيمَةً ، وَأَنْ أَجْعَلَهَا تَحْمِلُ كَرْهًا وَتَضَعُ كَرْهًا ، فَقَدْ كُنْتُ جَعَلْتُهَا تَحْمِلُ يُسْرًا^(٢) وَتَضَعُ يُسْرًا^(٣) . قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : وَلَوْلَا الْبَلِيَّةُ الَّتِي أَصَابَتْ حَوَاءَ لَكَانَ نِسَاءُ الدُّنْيَا لَا يَحْضُرْنَ ، وَلَكِنْ حَلِيمَاتٍ ، وَكُنَّ يَحْمِلْنَ يُسْرًا^(٤) وَيَضَعْنَ يُسْرًا^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : سَمِعْتُهُ يَخْلِفُ بِاللَّهِ مَا يَسْتَشْنِي : مَا أَكَلَ آدَمُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَهُوَ يَغْقِلُ ، وَلَكِنْ حَوَاءَ سَقَتْهُ الْخَمْرَ ، حَتَّى إِذَا سَكِرَ قَادَتْهُ إِلَيْهَا فَأَكَلَ^(٦) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ ، عَنْ طَاوُسِ الْيَمَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : إِنْ عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسَ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى دَوَابِّ الْأَرْضِ أَنْهَا تَحْمِلُهُ حَتَّى تَدْخُلَ بِهِ^(٧) الْجَنَّةَ^(٨) حَتَّى^(٩) يُكَلِّمَ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ ، فَكُلُّ الدَّوَابِّ أَيْ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، حَتَّى كَلَّمَ الْحَيَّةَ ، فَقَالَ لَهَا : أَمْنَعُكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ ، فَأَنْتِ فِي ذِمَّتِي إِنْ أَنْتِ أَذْخَلْتِنِي الْجَنَّةَ . فَجَعَلَتْهُ بَيْنَ نَابِيْنِ مِنْ أَنْبِيَائِهَا ، ثُمَّ دَخَلَتْ بِهِ ، فَكَلَّمَهُمَا مِنْ فِيهَا ، وَكَانَتْ كَاسِيَةً تَمْشِي عَلَى أَرْبَعِ قَوَائِمَ ، فَأَغْرَاهَا اللَّهُ وَجَعَلَهَا

(١) فِي م : « أَدَمِت » ، وَفِي تَارِيخِ الْمَصْنَفِ : « أَدَمَت » . وَالمثبت هنا والذي فِي التَّارِيخِ كِلَاهُمَا بِمَعْنَى ، وَيَنْظُرُ النَّاجِ (د م ي) .

(٢) فِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يَسِيرًا » .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ الْمَصْنَفُ فِي تَارِيخِهِ ١ / ١١١ . وَتَقْدِمُ طَرَفٍ مِنْهُ فِي ص ٤٢١ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْمَصْنَفُ فِي تَارِيخِهِ ١ / ١١١ ، ١١٢ مَطُولًا .

(٤) سَقَطَ مِنْ : م .

(٥) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ ، ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مَعَهُ » ، وَبَعْدَهُ فِي م : « مَعَهَا » .

(٦) فِي م : « وَ » .

تَمْشِي عَلَى بَطْنِهَا . قال : يقولُ ابنُ عباسٍ : اقْتُلُوهَا حَيْثُ وَجَدْتُمُوهَا ، أَخْفِرُوا ذِمَّةَ عَدُوِّ اللَّهِ فِيهَا ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قال : قال ابنُ إسحاقَ : وأهلُ التَّورَةِ يَذْرُسُونَ : إنما كَلَّمَ آدَمَ الْحَيَّةَ . ولم يُفَسِّرُوا كَتَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قال : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عن أَبِي مَعْشَرٍ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ ، قال : نَهَى اللَّهُ آدَمَ وَحَوَاءَ أَنْ يَأْكُلَا مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَيَأْكُلَا مِنْهَا ^(٢) رَعْدًا حَيْثُ شَاءَ ، فَجَاءَ الشَّيْطَانُ فَدَخَلَ فِي [٦٣/٢] جَوْفِ الْحَيَّةِ ، فَكَلَّمَ حَوَاءَ ، وَوَسَّسَ ^(٣) إِلَى آدَمَ ، فَقَالَ : ﴿ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ نَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ نَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [٢٠] وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَيْنَ النَّاصِحِينَ ﴿ [الأعراف : ٢٠ ، ٢١] . قال : فَقَطَعَتْ ^(٤) حَوَاءُ الشَّجَرَةَ ، فَدَمِيتِ الشَّجَرَةَ ، وَسَقَطَ عَنْهُمَا رِيشُهُمَا

الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمَا ، ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [الأعراف : ٢٢] . لَمْ أَكَلَتْهَا وَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْهَا ؟ قال : يَارَبِّ ، أَطَعَمْتَنِي حَوَاءَ . قال لِحَوَاءَ : لَمْ أَطَعَمْتِهِ ؟ قالت : أَمَرْتَنِي الْحَيَّةَ . قال لِلْحَيَّةِ : لَمْ أَمَرْتِهَا ؟ قالت : أَمَرَنِي إِبْلِيسُ . قال : مَلْعُونٌ مَذْحُورٌ ؛ أَمَا أَنْتِ يَا حَوَاءَ فَكَمَا أَدَمِيتِ الشَّجَرَةَ ، تَدْمِينَ ^(٥) فِي كُلِّ هَلَالٍ ، وَأَمَا أَنْتِ يَا حَيَّةَ فَأَقْطَعُ / قَوَائِمَكَ ، فَتَمْشِينَ جُرًّا ^(٦) عَلَى وَجْهِكَ ، وَسَيَشْدُخُ رَأْسُكَ مِنْ ٢٣٨/١

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ١٠٧/١ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/١ إلى عبد الرزاق .

(٢) في ر : « من الجنة » .

(٣) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الشيطان » .

(٤) في م : « فعضت » .

(٥) في م : « فدمين » .

(٦) سقط من : ر . وفي م ، وتاريخ المصنف : « جريا » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « جرى » .

لَقَيْتِكَ بِالْحَجَرِ، اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ^(١).

فقد رُوِيَتْ هذه الأخبارُ - عَمَّن رَوَّيَها عنه مِنَ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ وغيرِهِم -
فِي صِفَةِ اسْتِزْلالِ إبْلِيسَ عَدُوَّ اللَّهِ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ حَتَّى أُخْرِجَهُمَا مِنَ الْجَنَّةِ.

قال أبو جعفر: وأولى ذلك بالحق عندنا ما كان لكتابِ اللَّهِ مُوافِقًا، وقد
أخبر اللَّهُ تعالى ذكره عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليبيد لهما ما وُورِي
عنهما من سوءاتهما، وأنه قال لهما: ﴿مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا
أَنْ نَكُونَا مَلَائِكَيْنِ أَوْ نَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾. وأنه قاسمهما: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ
النَّاصِحِينَ﴾. مُدْلِيًا لهما بغرور. ففي إخبارِ اللَّهِ تعالى ذكره عن عدوِّ اللَّهِ أنه
قاسم آدم وزوجته بقبيله لهما: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾. الدليل الواضح
على أنه قد باشر خطابهما بنفسه، إما ظاهرًا لأعينهما، وإما مُسْتَجِنًا فِي غَيْرِهِ،
وذلك أنه غير معقول في كلامِ العرب أن يُقال: قاسم فلان فلانًا في كذا
وكذا. إذا سبب له سببًا وصل به إليه دون أن يخلف له، والحلف لا يكون
بِتَسْبِيبِ السَّبَبِ، فكذلك قوله: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ [طه: ١٢٠]. لو
كان ذلك كان منه إلى آدم على نحو الذي منه إلى ذريته - من تزوين أكل ما
نهى اللَّهُ آدمَ عن أكله مِنَ الشَّجَرَةِ، بغير مباشرة خطابِهِ إياه بما اسْتَزَلَّ به من
القولِ والحِيلِ - لما قال تعالى ذكره: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ
النَّاصِحِينَ﴾. كما غير جائز أن يقول اليوم قائلٌ مَن أتى معصية: قاسمَنِي
إبليسُ أنه لِي ناصحٌ فيما زَيَّنَ لِي مِنَ المَعْصِيَةِ [٢/٦٣ ظ] التي أَتَيْتُها. فكذلك
الذي كان من آدم وزوجته لو كان على النحو الذي يكون فيما بين إبليس اليوم
وذرية آدم، لما قال تعالى ذكره: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾. ولكن

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ١/١٠٩.

ذلك كان إن شاء الله على نحو ما قال ابن عباس ومن قال بقوله .

فأما سبب وصوله إلى الجنة حتى كلم آدم بعد أن أخرجه الله منها وطرده عنها ، فليس فيما روى عن ابن عباس ووهب بن مُنبّه في ذلك معنى يجوز لدى^(١) فهم مُدافعته ، إذ كان ذلك قولاً لا يدفعه عقل^(٢) ، ولا خبرٌ يلزم تصديقُه من حجةٍ بخلافه ، وهو من الأمور المُمكنة . فالقول في ذلك أنه قد وصل إلى خطايهما على ما أخبرنا الله تعالى ذكره ، وممكن أن يكون وصل إلى ذلك بنحو الذى قاله المتأولون ، بل ذلك - إن شاء الله - كذلك ؛ لتتابع أقوال أهل التأويل على تصحيح ذلك ، وإن كان ابن إسحاق قد قال فى ذلك ما حدثنا به ابن حمّيد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن^(٣) إسحاق فى ذلك : 'الله أعلم ، أكما' قال ابن عباس وأهل الثّوراة ، أم^(٤) خلص إلى آدم وزوجته بسلطانه الذى جعل الله له ليتلقى به آدم وذريته ؟ وأنه يأتى ابن آدم فى نومه وفى يقظته ، وفى كل حالٍ من أحواله ، حتى يخلص إلى ما أراد منه حتى يدعوه إلى المعصية ، ويوقع فى نفسه الشهوة وهو لا يراه ، وقد قال الله تعالى ذكره : ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ . ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ . وقال : ﴿ يَنْبَىءَ آدَمَ لَا يَفْنَيْكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرْنَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مَن حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٧] . وقد قال الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ

(١) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «لدى» .

(٢) فى ص : «قول» .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «أبو» .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «والله أعلم ، كما» .

(٥) فى م ، ت ٢ : «إنه» .

يَرْبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ [الناس : ١ ، ٢] . إلى آخر السورة . ثم ذكر
 ٢٣٩/١ الأخبار التي رويت عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ / مَجْرَى
 الدَّمِ » ^(١) . ثم ^(٢) قال ابن إسحاق : وإنما أمر ابن آدم فيما بينه وبين عدو الله كأمره فيما
 بينه وبين آدم ، فقال الله : ﴿ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ
 الصَّاغِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣] . ثم خلص إلى آدم وزوجته حتى كلمهما ^(٣) كما قص
 الله علينا من خبرهما ، فقال : ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ [٢/٦٤] يَتَّكِدُمُ هَلْ
 أَذُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ [طه : ١٢٠] . فخلص إليهما ^(٤) بما خلص إلى
 ذريته من حيث لا يريانه - فالله أعلم أى ذلك كان - فتابا إلى ربهما .

قال أبو جعفر : وليس فى يقين ابن إسحاق - لو كان قد أُثِّقَ فى نفسه - أن
 إبليس لم يخلص إلى آدم وزوجته بالمخاطبة بما أخبر الله عنه أنه قال لهما وخاطبهما
 به ، ما يجوز لذى فهم الاعتراض به على ماورد من القول مُستَفِيضًا فى أهل العلم ،
 مع دلالة الكتاب على صحة ما استفاض من ذلك بينهم ، فكيف بشكّه ؟ والله تَسْأَلُ
 التوفيق .

القول فى تأويل قوله جلّ وعزّ : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ .

وأما تأويل قوله : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ . فإنه يعنى : فأخرج الشيطان آدم وزوجته ،
 ﴿ مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ يعنى : مما كان فيه آدم وزوجته من رَغْدِ العيش فى الجنة ، وسَعَةِ
 نعيمها الذى كانا فيه . وقد بيّنا أن الله تعالى ذكره إنما أضاف إخراجهما من الجنة إلى

(١) أخرجه البخارى (٢٠٣٩) ، ومسلم (٢١٧٥) من حديث صفية ، رضى الله عنها .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى ص ، ت ١ : « كلمها » .

(٤) فى ض : « إليها » .

الشيطان ، وإن كان الله هو المُخْرِجُ لهما ؛ لأن خروجهما منها كان عن سببٍ من الشيطان ، فأُضيف ذلك إليه لتسبيبه إياه ، كما يقول القائل لرجلٍ وصل إليه منه أذى حتى تحوّل من أجله عن موضعٍ كان يسكنه : ما حوّلني عن ^(١) موضعي الذي كنت فيه إلا أنت . ولم يكن منه له تحويل ، ولكنه لما كان تحوّلُه عن سببٍ منه جاز له إضافة تحويله إليه .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَقُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ .

يُقال : هبط فلان أرض كذا ، ووادى كذا . إذا حلّ ذلك ، كما قال الشاعر ^(٢) :

ما زِلْتُ أَرْمُقُهُمْ حَتَّى إِذَا هَبَطَتْ أَيْدِي الرُّكَّابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ ^(٣) فَلَقَا ^(٤)
وقد أبان هذا القول من الله جل ثناؤه عن صحة ما قلنا من أن المُخْرِجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ هو [٢/٦٤ط] الله جل ثناؤه ، وأن إضافة الله إلى إبليس ما أضاف إليه من إخراجهما كان على ما وصفنا ، ودلّ بذلك أيضًا على أن هبوط آدم وزوجته وعدوهما إبليس كان في وقتٍ واحدٍ ، لجمع ^(٥) الله إياهم في الخبر عن إهباطهم ، بعد الذي كان من خطيئة آدم وزوجته ، وتسبب إبليس ذلك لهما ، على ما وصفه ربنا تعالى ذكره عنهم .

(١) في ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « من » .

(٢) هو زهير بن أبي سلمى ، شرح ديوانه ص ٣٧ .

(٣) راكس : واد . معجم البلدان ٢ / ٧٣٥ .

(٤) في ص : « فلتا » ، وفي ت ١ ، ت ٣ : « فلقا » . والفلق : المطمئن من الأرض بين ربتين . اللسان (ف ل ق) .

(٥) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بجمع » ، وفي م : « يجمع » .

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله : ﴿ أَهْبَطُوا ﴾ . مع إجماعهم على أن آدم وزوجته ممن غنى به .

فحدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن أبي عوانة ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح : ﴿ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : آدم وحواء ^(١) والحية ^(٢) .

^(٣) حدثنا ابن وكيع وموسى بن هارون ، قالا : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن الشدي : ﴿ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : فلعن الحية وقطع قوائمها ، وتركها تمشي على بطنها ، وجعل رزقها من التراب ، وأهبط إلى الأرض آدم وحواء وإبليس والحية ^(٤) .

٢٤٠/١ / وحدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : ﴿ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : آدم وإبليس والحية ^(٤) .

(١) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وإبليس » . وسيأتي بهذه الزيادة من وجه آخر عن إسماعيل في ص ٥٨٨ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٢/١ (٤١٦) من طريق أبي عوانة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٥٥ إلى أبي الشيخ من طريق قتادة ، عن أبي صالح .

(٣ - ٣) سقط من ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٢/١ عقب الأثر (٤١٦) من طريق عمرو به .

وأخرجه المصنف في تاريخه ١١٢/١ بهذا الإسناد عن السدي بإسناده المعروف .

(٤) بعده في ت ١ : « وحواء » .

والأثر في تفسير مجاهد ص ٢٠٠ بلفظ : إبليس وآدم . وأخرجه المصنف في تاريخه ١١٢/١ بزيادة :

حواء . وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٠٤/٧ من طريق الثوري ، عن مجاهد بلفظ : آدم والحية والشيطان .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٥٥ إلى أبي الشيخ عن مجاهد بهذا اللفظ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ : آدَمُ وَإِبْلِيسُ وَالْحَيَّةُ ذُرِّيَّةُ بَعْضِهِمْ أَعْدَاءُ لِبَعْضٍ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قَالَ : آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ ، وَإِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ^(١) فِي قَوْلِهِ : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قَالَ : يَعْنِي آدَمَ وَإِبْلِيسَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ الشَّدِيِّ ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ ^(١) ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قَالَ : ^(٢) «بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» ؛ آدَمُ وَحَوَاءُ وَإِبْلِيسُ وَالْحَيَّةُ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّدِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : ﴿ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قَالَ : آدَمُ وَحَوَاءُ وَإِبْلِيسُ وَالْحَيَّةُ ^(٣) .

[٦٥/٢و] حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ :

(١ - ١) سقط من : ر .

(٢ - ٢) في الأصل : «بعضكم لبعض عدو قال» .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ١١٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٨٩ ، ١٤٥٥/٥ ، (٣٩٨ ، ٨٣٢٠)

عن يونس به .

﴿ أَهْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : لهما ولذريتهما .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وما كانت عداوة ما بين آدم وزوجته وإبليس والحية ؟

قيل : أما عداوة إبليس آدم وذريته ، فحسده إياه ، واشتكباره عن طاعة الله في السجود له حين قال لربه : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢ ، ص : ٧٦] .

وأما عداوة آدم وذريته إبليس ، فعداوة المؤمنين إياه ؛ لكفره بالله وعصيانه ربه في تكبره عليه ومخالفته أمره ، وذلك من آدم ومؤمنى ذريته إيماناً بالله .
وأما عداوة إبليس آدم ، فكفر بالله .

وأما عداوة ما بين آدم وذريته والحية ، فقد ذكرنا ما روى في ذلك عن ابن عباس ووهب بن منبه ، وذلك هي العداوة التي بيننا وبينها ، كما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما سألمتاهن منذ حاربتاهن ، فمن تركهن خشيةً تأرهن فليس مناً » .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا حجاج بن رشدين ^(١) ، قال : حدثنا حيوة بن شريح ، عن ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما سألمتاهن منذ حاربتاهن ، فمن ترك شيئاً منهن خيفةً فليس مناً » ^(٢) .

(١) في م : « رشد » .

(٢) أخرجه أحمد ٣٦٠/١٥ ، ٤٣٣/١٦ ، (٩٥٨٨ ، ١٠٧٤١) ، وأبو داود (٥٢٤٨) ، والطحاوي في المشكل (١٣٣٨) من طرق عن ابن عجلان به . وأخرجه الحميدى (١١٥٦) ، وأحمد ٣٢٤/١٢ =

وأُحْسِبُ أن الحرب التي بيننا كان أصله ما ذكره علماؤنا الذين قدّمنا الرواية عنهم / في إدخالها إبليس الجنة بعد أن أخرجه الله منها ، حتى استترّله عن طاعة ربّه ٢٤١/١ في أكل^(١) ما نُهي عن أكليه من الشجرة .

وقد حدّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدّثنا مُعاويةُ بنُ هشامٍ ، وحدّثنا محمدُ بنُ خليف العسقلانيّ ،^(٢) قال : حدّثنا آدمُ ، جميعاً عن شَيْبَانَ^(٣) ، عن جابرٍ ، عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : سئل رسولُ اللهِ ﷺ عن قتلِ الحَيَّاتِ ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « خُلِقَتْ هي والإنسانُ ، كُلُّ واحدٍ منهما عَدُوٌّ لصاحبه ، إن رآها أفزعته ، وإن لدغته أوجعته ، فاقتلها حيث وجدتها »^(٤) .

القولُ في تأويلِ قوله جلّ وعزّ : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم بما حدّثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدّثنا [٦٥/٢] آدمُ العسقلانيّ ، قال : حدّثنا أبو جعفرِ الرازيّ ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال : هو قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾^(٥) .

وحدّثت عن عمارِ بنِ الحسنٍ ، قال : حدّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ،

= (٧٣٦٦) ، وابن حبان (٥٦٤٤) من طريق ابن عجلان أيضاً ، عن بكير بن عبد الله بن الأشج ، عن عجلان به . وقال الدارقطني في العلل ١٣٨/١١ : ولعل محمد بن عجلان سمعه عن أبيه ، واستثبته من بكير بن الأشج .

(١) في م : « أكله » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) إسناده ضعيف ؛ لضعف جابر الجعفي . وأخرجه الطيالسي (٢٧٤١) ، والطبراني في الأوسط (٤٥٠٠) من طريق جابر به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٠/١ ، ١٤٥٥/٥ (٤٠١) ، ٨٣٢٣ من طريق آدم به .

عن الربيع في قوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال : هو قوله : ﴿ جَعَلْ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [غافر : ٦٤] .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولكم في الأرض قرار في القبور ^(١) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا موسى بن هارون ، قال : حدَّثنا عمرو بن حماد ، قال : حدَّثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال ^(٢) : القبور ^(٣) .

حدَّثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن إسماعيل الشدي ، قال : حدَّثني من سميع ابن عباس قال : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال : القبور ^(٤) .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال : مقامهم فيها .

والمستقر في كلام العرب هو موضع الاستقرار ، فإذا كان ذلك كذلك ، فحيث كان من ^(٥) الأرض موجودًا حالًا ، فذلك المكان من الأرض مُسْتَقَرُّه .

وإنما عَنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ بذلك أن لهم في الأرض مستقرًا وَمَنْزِلًا بأماكنهم

(١) بعده في ر : « ولكم فيها بلاغ إلى الموت » .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « يعني » ، وفي ت ٣ : « أعني » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٥٥/٥ عقب الأثر (٨٣٢١) من طريق عمرو به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٩/١ (٣٩٩) من طريق إسرائيل ، عن السدي ، عن ابن عباس .

(٥) بعده في م : « في » .

وَمُسْتَقَرٍّ لَهُم مِّنَ الْجَنَّةِ وَالسَّمَاءِ ، وكذلك قوله : ﴿ وَمَتَّعْ ﴾ . يعنى به أَنَّ لَهُم فِيهَا مَتَاعًا بِمَتَاعِهِمْ فِي الْجَنَّةِ .

القولُ فى تأويلِ قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ ﴾ .
اختلفَ أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضهم : ولكم فيها بلاغٌ إلى الموتِ .

٢٤٢/١

/ ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدىِّ فى قوله : ﴿ وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ ﴾ . قال : يقولُ : بلاغٌ إلى الموتِ ^(١) .

حدَّثنى يونسُ ، قال أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ ، عن إسرائيلَ ، عن إسماعيلَ الشَّدىِّ ، قال : حدَّثنى مَنْ سَمِعَ ابنَ عباسٍ : ﴿ وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ ﴾ . قال : الحياةُ .

^(٢) حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن [٢٠٦ / ٢] إسرائيلَ ، عن السدىِّ ، عَمَّنْ حدَّثه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ ﴾ . قال : الحياةُ ^(٢) .

وقال آخرون : يعنى بقوله : ﴿ وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ ﴾ : إلى قيامِ الساعةِ .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٠ / ١ ، ١٤٥٦ / ٥ ، (٤٠٢ ، ٨٣٢٤) من طريق عمرو به .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٠ / ١ ، ١٤٥٦ / ٥ ، (٤٠٣ ، ٨٣٢٥) من طريق عبيد اللَّهِ بن موسى ، عن إسرائيلَ ، عن السدىِّ ، عن عكرمة ، عن ابنِ عباسٍ .

(تفسير الطبرى ٣٧ / ١)

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ ﴾ . قَالَ : إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، إِلَى انْقِطَاعِ الدُّنْيَا .

وَقَالَ آخَرُونَ : ﴿ إِلَى حِينٍ ﴾ ^(١) : إِلَى أَجَلٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبْعِ : ﴿ وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ ﴾ . قَالَ : إِلَى أَجَلٍ ^(٢) .

وَالْمَتَاعُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كُلُّ مَا اسْتُمْتِعَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ ، فِي ^(٣) مَعَاشٍ اسْتُمْتِعَ بِهِ ، أَوْ رِيشٍ أَوْ زِينَةٍ أَوْ لَذَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ - وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ - قَدْ جَعَلَ حَيَاةَ كُلِّ حَيٍّ مَتَاعًا لَهُ يَسْتُمْتِعُ بِهَا أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، وَجَعَلَ الْأَرْضَ لِلْإِنْسَانِ مَتَاعًا أَيَّامَ حَيَاتِهِ بِقَرَارِهِ عَلَيْهَا ، وَاعْتِزَائِهِ بِمَا أَخْرَجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالشُّمَارِ ، وَالتِّزَادِهِ بِمَا خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْمَلَأْذُ ، وَجَعَلَهَا مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِ لِحَيَّتِهِ كِفَاتًا ^(٤) ، وَلِجَسَمِهِ مَنْزِلًا وَقَرَارًا ، وَكَانَ اسْمُ الْمَتَاعِ يَشْتَمِلُ جَمِيعَ ذَلِكَ - كَانَ أُولَى التَّأْوِيلَاتِ بِالْآيَةِ - إِذْ ^(٥) لَمْ يَكُنِ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ وَضَعَ دَلَالَةً دَالَّةً عَلَى أَنَّهُ قَصَدَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ ﴾ . بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ ، وَخَاصًّا دُونَ عَامٍّ فِي عَقْلِ وَلَا خَبِيرٍ - أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي

(١) بعده في ص ، م : « قال » .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ٣٢١/١ عن الربيع .

(٣) في م : « من » .

(٤) كِفَاتًا : أَيْ تَحْفَظُهُمْ وَتَحْرِزُهُمْ أَحْيَاءَ عَلَى ظَهَرِهَا فِي دَوْرِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ ، وَتَحْفَظُهُمْ وَتَحْرِزُهُمْ أَمْوَاتًا فِي بَطْنِهَا . التَّاج (ك ف ت) .

(٥) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « إن » .

معنى العام، وأن يكون الخبر أيضًا كذلك إلى وقت يطول^(١) استمتاع بني آدم وبني إبليس بها، وذلك إلى أن تبدل الأرض غير الأرض.

فإذ كان ذلك أولى التأويلات بالآية لما وصفنا، فالواجب إذن أن يكون تأويل الآية : ولكم في الأرض منازل ومساكن تستقرون فيها استقراكم - كان - في السماوات، وفي الجنان في منازلكم منها، واستمتاع منكم بها وبما أخرجت لكم منها، وبما جعلت لكم فيها من المعاش والرياش والزين والملاذ، وبما أعطيتكم على ظهرها^(٢) من الحياة^(٣) أيام حياتكم، ومن بعد وفاتكم لأزمايسكم^(٤) وأجداثكم [٢/ ٦٦ ظ] تُدَفَنون فيها، وتبلغون باستمتاعكم بها إلى أن أبدلكم بها غيرها.

القول في تأويل قوله جل وعزّ: ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾.

أما تأويل قوله : ﴿فَلَقَىٰ﴾ . فإنه : أخذ وقيل^(٥) . وأصله التَّفْعُلُ من اللِّقَاءِ ، كما يَتَلَقَّى / الرجلُ الرجلَ يستقبله^(٦) عندَ قدومه من غَيْبَةٍ أو سفرٍ ، فكذلك^(٧) ذلك^(٨) في قوله : ﴿فَلَقَىٰ﴾ . كأنه استقبله فتلقاه بالقبول حين أوجى إليه أو أُخبر به ، فمعنى ذلك إذن : فلقي الله آدم كلمات توبة ، فتلقاها آدم من ربه وأخذها عنه تائبًا ، فتاب الله عليه بقبوله إياها وقبوله إياها من ربه .

كما حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾ الآية . قال : لقاهما هذه الآية : ﴿رَبَّنَا

(١) في ص ، م : « يطول » .

(٢ - ٣) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) الرمس : القبر . التاج (ر م س) .

(٤) في م ، ر : « قيل » .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « مستقبله » .

(٦ - ٧) في ص : « غيبته أو سفره فكان ذلك كذلك و » .

ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١﴾ [الأعراف : ٢٣] .

وقد قرأ بعضهم : (فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) ^(١) . فجعل « الكلمات » هي المتلقيّة آدم . وذلك وإن كان من جهة العربية جائزاً - إذ كان كل ما تلقّاه الرجل فهو له متلقًى ، وما لقيه فقد لقيه ، فصار للمتكلم أن يُوجّه الفعل إلى أيّهما شاء ، ويُخرج من الفعل أيّهما أحبّ - فغيرُ جائزٍ عندى فى القراءة إلا رفع « آدم » ^(٢) على أنه المتلقّى « الكلمات » ؛ لإجماع الحُجّة من القرأة وأهل التأويل من علماء السلف والخلف على توجيه التلقّى إلى آدم دون الكلمات ، وغيرُ جائزٍ الاعتراضُ عليها فيما كانت عليه مُجمِعةً بقول من يجوزُ عليه السهو والخطأ .

واختلف أهل التأويل فى أعيان الكلمات التى تلقّاها آدم من ربه ؛ فقال بعضهم بما حدّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدّثنا ابنُ عَطِيَّةَ ، عن قيس ، عن ابنِ أبى ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ . قال : أى ربّ ، ألم تخلُقنى بيدك ؟ قال : بلى . قال : أى ربّ ، ألم تنفخ فىّ من روحك ؟ قال : بلى . قال : أى ربّ ، ألم تُسكِنى جنتك ؟ قال : بلى . قال : أى ربّ ، ألم تُشيق رحمك غضبك ؟ قال : بلى . قال : أَرَأَيْتَ إِنْ ^(٣) تُبْتُ وأصلحتُ ، أراجعى أنت إلى الجنة ؟ قال : بلى ^(٤) . قال : فهو قوله : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ .

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١١٦/١ عن ابن زيد .

(٢) هذه قراءة ابن كثير . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٥٣ .

(٣) بل قراءة الرفع والنصب متواترتان .

(٤) بعده فى م : « أنا » .

(٥) فى م : « نعم » . وهو وجه الكلام ، وتظاهرت النسخ على « بلى » ، وكذا هو فى التاريخ للمصنف ،

والمستدرك .

مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ^(١) .

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ ،
عَنْ قَيْسِ بْنِ الرَّيِّعِ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَعْبُدٍ^(٢) ، [٦٧ / ٢] عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوَهُ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَى ، قَالَ : حَدَّثَنِي
أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَتَبَٰءَ عَلَيْهِ ﴾ : فَإِنَّ
آدَمَ قَالَ لِرَبِّهِ إِذْ عَصَاهُ : رَبِّ ، أَرَأَيْتَ إِنْ تَبْتُ وَأَصْلَحْتُ ؟ فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ : إِنِّي رَاجِعُكَ
إِلَى الْجَنَّةِ^(٤) .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ،
عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً ﴾ : ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ قَالَ : يَا رَبِّ ،
أَرَأَيْتَ إِنْ أَنَا تَبْتُ وَأَصْلَحْتُ ؟ قَالَ : إِذْنِ أَرْجِعُكَ إِلَى الْجَنَّةِ^(٥) . قَالَ : وَقَالَ

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ١ / ١٣٢ . وأخرجه الآجری فی الشریعة (٧٥٥ ، ٩١٠) من طریق قيس بن الربيع به . وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٧ / ٤٣٣ من طريق ابن أبي ليلى به .

وابن عطية هو الحسن بن عطية بن نجیح - كما سيأتي في ٨٦ / ٢ - وهو صدوق ، وقد اختلف على قيس فيه .

وقد أخرجه الحاكم ٢ / ٥٤٥ من طريق الحسن بن عطية ، عن الحسن بن صالح ، عن المنهال به . وقال : صحيح الإسناد . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١ / ٥٩ إلى عبد بن حميد وابن أبي الدنيا في التوبة وابن المنذر وابن مردويه .

(٢) بياض في ص ، وفي م : « جبير » ، وفي ت ١ ، ت ٢ : « معبد » وينظر تفسير ابن كثير ١ / ١١٦ .

(٣) سعيد بن معبد مجهول ، وقد اختلف على قيس فيه .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١ / ١١٦ عن العوفي عن ابن عباس .

(٥) أخرجه المصنف في تاريخه ١ / ١٣٢ . وأخرجه البيهقي في الشعب (٧١٧٤) ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ٧ / ٤٣٥ من طريق شيبان ، عن قتادة . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١ / ٥٩ إلى عبد بن حميد وابن المنذر . وسيأتي من وجه آخر عن قتادة في ص ٥٨٦ .

الحسن^(١) : إنهما قالا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٢) .

حدثني المشي ، قال : حدثنا آدم العسقلاني ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ فَلَقَّيْءَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ ﴾ . قال : إن آدم لَمَّا أصاب الخطيئة ، قال : يارب أرأيت / إن تبث وأصلحت ؟ فقال الله : إذن أزوجك ٢٤٤/١ إلى الجنة . فهي من الكلمات . ومن الكلمات أيضا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٣) .

حدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ فَلَقَّيْءَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ ﴾ . قال : رب ، ألم تخلقني بيدك^(٤) ؟ قيل له : بلى . قال : ونفخت في رُوحك ؟ قيل له : بلى . قال : وسبقت رحمك^(٥) غضبك ؟ قيل له : بلى . قال : رب ، هل^(٦) كتبت هذا علي ؟ قيل له : نعم . قال : رب ، إن تبث وأصلحت هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قيل له : نعم . قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَجَبْنَاهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾^(٧) [طه : ١٢٢] .

(١) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الحسن » .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٩١/١ عقب الأثر (٤١٠) معلقا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٩/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١١٦/١ عن أبي جعفر به .

(٤) في الأصل ، ت ١ : « بيدك » .

(٥) بعده في الأصل : « إلى » .

(٦) بعده في م : « كنت » .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٠/١ عقب الأثر (٤٠٧) من طريق عمرو به . وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٨٦ - تفسير) - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ٤٣٣/٧ - عن الحسن بن يزيد الأصم ، =

وقال آخرون بما حدثنا به محمد بن بشار، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيٍّ، قال : حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رُفَيْعٍ، قال : حدثني مَنْ سَمِعَ عُبيدَ ابنَ عُميرٍ يقولُ : قال آدم عليه السلام : يا ربِّ ، خَطِئْتُي التي أَخْطَأْتُهَا ، أَسَىءُ كَتَبْتَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَنِي ، أَوْ شَيْءٌ ابْتَدَعْتَهُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِي ؟ قال : بَلِ ^(١) شَيْءٌ كَتَبْتَهُ عَلَيْكَ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَكَ . قال : فكما كَتَبْتَهُ عَلَيَّ فَاغْفِرْهُ لِي . قال : فهو قولُ الله : ﴿ فَلَقَّحْ ءَادَمُ مِنْ رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ^(٢) .

حدثنا ابنُ بشارٍ ^(٣) ، قال : حدثنا مُؤَمِّلٌ ، قال : حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رُفَيْعٍ ، ^(٤) عن مجاهد ، عن ^(٥) عُبيد بن عُميرٍ بمثله .

حدثنا ابنُ بشارٍ ^(٣) ، قال : حدثنا وَكِيعٌ بنُ الجراح ، قال : حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رُفَيْعٍ ، عَمَّنْ سَمِعَ عُبيدَ بنَ عُميرٍ يقولُ : قال آدم . فذكر نحوه ^(٦) .

حدثنا الحسن بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن

= عن السدي . وأخرجه ابن أبي حاتم أيضا (٤٠٧) من طريق إسرائيل ، عن السدي ، عن حدثه ، عن ابن عباس .

(١) في م : « بلى » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩١/١ (٤٠٩) من طريق ابن مهدي . وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٧٢ ، عن محمد بن كثير ، عن سفيان به .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « سنان » .

(٤ - ٥) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال أخبرني من سمع » .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٣٤/٧ من طريق مؤمل به . وقد خولف مؤمل في إسناده .

(٦) أخرجه وكيع - كما في الدر المنثور ٥٩/١ - ومن طريقه الفريابي في القدر (١٢١) ، والآجري في الشريعة (٣٢٢) ، وأبو الشيخ في العظمة (١٠٢٣) ، وأبو نعيم في الحلية ٢٧٣/٣ .

عبد العزيز [٦٧/٢ ظ] بن ربيع ، عن عُبيد بن عُمرٍ مثله^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : حدَّثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رُفَيْعٍ ، قال : أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ عُبيدَ بنَ عُمرٍ . بنحوه .

وقال آخرون بما حدَّثني به أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ حَكِيمٍ الأودِيُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ شريكٍ ، قال : حدَّثنا أبي ، قال : حدَّثنا حُصَيْنُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن حُميدِ بنِ نُبَهانٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ^(٢) يزيدَ بنِ معاويةَ^(٣) أنه قال : قوله : ﴿ فَلَقِيَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ قُنَابَ عَلَيْهِ ﴾ . قال آدمُ^(٤) : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمديك ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، فَتُبَّ عَلَى إِنْكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ^(٥) .

حدَّثني المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو عَسَّانَ ، قال : حدَّثنا زُهَيْرٌ^(٦) ، وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازيُّ ، قال : أَخْبَرَنَا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا سفيانُ وقيسٌ ، جميعًا عن حُصَيْنٍ ، عن مُجاهِدٍ في قوله : ﴿ فَلَقِيَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ ﴾ . قال : قوله : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ﴾ حتى فرغ منها^(٧) .

(١) تفسير عبد الرزاق ٤٤/١ . وأخرجه الآجری فی الشریعة (٣٢٣) ، وابن عساکر فی تاریخہ ٤٣٤/٧ من طریق الحسن بن یحیی ومحمد بن حماد الطهرانی ، عن عبد الرزاق به .

(٢ - ٣) فی ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « زيد عن » .

(٣) سقط من : ص .

(٤) عبد الرحمن بن شريك ضعيف ، وحמיד بن نبهان لم يتعين لنا .

وأخرجه البيهقي في الشعب (٧١٧٥) ، وابن عساکر فی تاریخہ ٤٣٥/٧ ، ١١٥/٤٢ (ترجمة عبد الرحمن ، طبعة مجمع اللغة بدمشق) - من طريق البيهقي والخطيب وغيرهما - من طريق العوام بن حوشب ، عن عبد الكريم المكتب - وعند البيهقي : عبد الرحيم - عن عبد الرحمن بن يزيد . وعبد الكريم هو ابن أبي المخارق المعلم ، ضعيف .

(٥ - ٥) فی م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أنبأنا أبو زهير » .

(٦) أخرجه المصنف في تاريخه ١٣٢/١ ، عن أحمد بن إسحاق الأهوازي وحده . وأخرجه ابن أبي حاتم =

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حذيفة ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ كَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ الْكَلِمَاتُ : اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ، / رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، فَاغْفِرْ لِي إِنَّكَ ٢٤٥/١ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ، اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ، رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاذْخُمْنِي إِنَّكَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ، اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ، رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، فَتُبَّ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ ^(٢) ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ . قَالَ : هُوَ قَوْلُهُ : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ﴾ الْآيَةِ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ . قَالَ : أَيْ رَبِّ ، أَتَتُوبُ عَلَىَّ إِنْ تُبْتُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَتَابَ آدَمُ ، فَتَابَ عَلَيْهِ رَبُّهُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ . قَالَ : هُوَ قَوْلُهُ : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٤) .

= فِي تَفْسِيرِهِ ٩١/١ (٤١٠) مِنْ طَرِيقِ سَفْيَانَ بِهِ ، عَنْ خَصِيفٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ ابْنِ جَبْرِ .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٩١/١ (٤١١) مِنْ طَرِيقِ أَبِي حَذِيفَةَ ، عَنْ شَيْبُلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ . وَذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١١٦/١ عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ .

(٢) فِي ت ١ : « عَمِير » ، وَفِي ت ٢ ، ت ٣ : « عَتِير » .

(٣) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوْرِ ٥٩/١ إِلَى وَكِيعٍ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٤) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ٤٤/١ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ ٤٣٥/٧ ، مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمَادٍ =

^{١)} حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : هُوَ قَوْلُهُ : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(١) .

وهذه الأقوال التي حكيتها عمن حكيتها عنه ، وإن كانت مختلفة [٦٨/٢] الألفاظ ، فإن معانيها متفقة في أن الله تعالى ذكره لقي آدم كلمات تلقاهن آدم من ربه فقبلهن ، وعمل بهن ، وتاب - بقبيله إياهن وعمله بهن - إلى الله من خطيئته ، مُعْتَرِفًا بذنبه ، مُتَنَصِّلًا إلى ربه من خطيئته ، نادمًا على ما سلف منه من خلاف أمره ، فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاهن منه ، وندمه على سالف الذنب منه .

والذي يدلُّ عليه كتابُ اللهِ جلَّ ثناؤه أن الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه هن الكلمات التي أخبر جلَّ ذكره عنه أنه قالها مُتَنَصِّلًا بقبيلها إلى ربه ، معترفًا بذنبه ، وهو قوله : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . وليس ما قاله من خالف قولنا هذا - من الأقوال التي حكيتها - بمدفوع قوله ، ولكنه قول لا شاهد عليه من حجةٍ يَجِبُ التسليم لها ، فيجوز لنا إضافته إلى آدم ، وأنه مما تلقاه من ربه عند إنايته إليه من ذنبه .

وهذا الخبر الذي أخبر الله عن آدم - من قبله الذي لقاه الله إياه ، فقال تائبًا إليه من خطيئته - تعريف منه جلَّ ذكره جميع المخاطبين بكتابه كيفية التوبة إليه من

= الطهراني ، عن عبد الرزاق به . وتقدم من وجه آخر عن قتادة في ص ٥٨١ .

(١ - ١) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

والأثر ذكره ابن كثير في تفسيره ١١٦/١ عن ابن زيد .

الذنوب ، وتنبية للمُخاطَبِينَ بقوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ آمَوَاتًا ﴾ .
على موضعِ التوبةِ ممَّا هم عليه من الكفرِ باللَّهِ ، وأن خلاصهم ممَّا هم عليه مُقيّمون
من الضَّلالةِ نظيرُ خلاصِ أبيهم آدَمَ من خطيئته ، مع تذكيره إِيّاهم به السالفَ إليهم
من النِّعمِ التي خصَّ بها أباهم آدَمَ وغيره من آبائهم .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ .

وقوله : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ . يعنى على آدَمَ ، والهَاءُ التي في ﴿ عَلَيْهِ ﴾ عائدةٌ على
آدَمَ . وقوله : / ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ . يعنى : رزقه التوبةَ من خطيئته . والتوبةُ معناها ٢٤٦/١
الإِنابةُ إلى اللَّهِ جلَّ ثناؤه ، والأوبةُ إلى طاعته مما يكره من معصيته .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

وتأويلُ قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ . أن اللَّهَ جلَّ ثناؤه هو التَّوَّابُ على مَنْ
تاب إليه من عبادِهِ [٢ / ٦٨ ظ] المُذْنِبِينَ مِنْ ذُنُوبِهِ ، التَّارِكُ مُجَازَاتِهِ بِإِنَابَتِهِ إلى طاعته
بعدَ معصيته بما سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ . وقد ذَكَرْنَا أن معنى التوبةِ مِنَ الْعَبْدِ إلى رَبِّهِ إِنَابَتُهُ إلى
طاعته ، وَأَوْبَتُهُ إلى مَا يُؤْصِيهِ ، بتركِهِ مَا يَسْخَطُهُ مِنَ الْأُمُورِ التي كان عليها مُقِيمًا مما
يَكْرَهُهُ رَبُّهُ . فكذلك توبةُ اللَّهِ على عبده ، هو أن يَرْزُقَهُ ذَلِكَ ، وَيُؤَوِّبَ لَهُ ^(١) مِنْ غَضَبِهِ
عليه إلى الرضا عنه ، وَمِنْ الْعَقُوبَةِ إلى الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عنه .

وأما قوله : ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ فإنه يعنى أَنَّهُ الْمُتَفَضِّلُ عَلَيْهِ مع التوبةِ بِالرَّحْمَةِ ، وَرَحْمَتِهِ
إِيَّاهُ إِقَالَتهُ ^(٢) عَثْرَتَهُ وَصَفَحَهُ عَنْ عَقُوبَةِ جُرْمِهِ .

(١) سقط من : م .

(٢) في م : « إقالة » .

وقد ذكرنا القول في تأويل قوله : ﴿ أَهْطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ . فيما مضى ، فلا حاجة بنا إلى إعادته ؛ إذ كان معناه في هذا الموضع هو معناه في ذلك الموضع .
وقد حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هُشَيْمٌ ، قال : حدثنا إسماعيلُ ابنُ سالم ، عن أبي صالح في قوله : ﴿ أَهْطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ . قال : آدمُ وحواءُ والحيتُةُ وإبليسُ ^(١) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾ .

وتأويلُ قوله : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ : فإن يأتِكم ، و « ما » التي مع « إن » توكيدٌ للكلام ، ولدخولها مع « إن » أَدْخَلَتِ النونُ المُشَدَّدَةُ في ﴿ يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ تفرقةً بدخولها بين « ما » التي تأتي بمعنى توكيدِ الكلام - التي تُسمِّيها أهلُ العربيةِ صِلَةً وَحْشَوًا - وبين « ما » التي تأتي بمعنى « الذي » ، فتؤذُنُ بدخولها في الفعلِ أَنَّ « ما » التي مع « إن » التي بمعنى الجزاءِ توكيدٌ ، وليست « ما » التي بمعنى « الذي » .

وقد قال بعضُ نحويِّي ^(٢) « أهلُ البصرة » : إِنَّ « إِمَّا » : « إن » ، زِيدَتْ معها « ما » ، وصارَ الفعلُ الذي بعده بالنونِ الخفيفةِ أو الثقيلةِ ، وقد يكونُ بغيرِ نونٍ ، وإنما حُسِّنَتْ فيه النونُ لما دَخَلَتْه « ما » ؛ لأنَّ « ما » نفْيٌ ، وهي مما ليس بواجبٍ ، وهي الحرفُ الذي يَنْفِي الواجبَ ، فحُسِّنَتْ فيه النونُ ، نحو قولهم : بعينِ ما أَرَيْتُكَ . حينَ أَدْخَلْتَ فيها « ما » حُسِّنَتْ النونُ فيما هلهنا .

وقد أنكر جماعةٌ من أهلِ العربيةِ دعوى قائلِ ^(٣) هذه المقالة أن « ما » التي مع :

(١) تقدم في ص ٥٧٢ من طريق آخر عن إسماعيل .

(٢ - ٢) في م : « البصريين » .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قائل » .

بعين ما أرينك ، بمعنى الجحد ، وزعموا أن ذلك بمعنى التوكيد للكلام .

وقال آخرون : بل هو حشو في الكلام ، ومعناها الحذف ، وإنما معنى الكلام : « بعين أراك . [٢/٦٩] وغير جائز أن يُجعل مع الاختلاف فيه أصلاً يُقاس عليه غيره .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ مَنِ هْدَىٰ فَمَن يَبْعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ .

والهْدَى في هذا الموضع البيان والرَّشَادُ ، كما حدَّثني المشني بن إبراهيم ، قال : حدَّثنا / آدم العسقلاني ، قال : حدَّثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ٢٤٧/١ ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى ﴾ . قال : الهُدَى الأنبياء والرسل والبيان^(١) .

فإن كان ما قال أبو العالية في^(٢) ذلك كما قال ، فالخطاب بقوله : ﴿ أَهْطُوا ﴾ . وإن كان لآدم وزوجته ، فيجب أن يكون مراداً به آدم وزوجته وذريتهما ، فيكون ذلك حينئذٍ نظير قوله : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنثِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] . بمعنى : أتينا بما فينا من الخلق طائعين . ونظير قوله في قراءة ابن مسعود : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن دُرِّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرْهِم مَّنَاسِكَهْم)^(٣) . فجمع قبل أن تكون ذريةً ، وهو في قراءتنا : ﴿ وَأَرْبَا مَنَاسِكًا ﴾ [البقرة : ١٢٨] . وكما يقول القائل لآخر : كأنك قد تزوجت وولد لك وكثرتم وعزَّزتم . ونحو ذلك من الكلام .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٣/١ (٤١٩) من طريق آدم به .

(٢) في ص : « من » .

(٣) سيأتي تخريج هذه القراءة في موضعها من التفسير .

وإنما قلنا : إن ذلك هو الواجب على التأويل الذى ذكرناه عن أبى العالية ؛ لأن آدم كان هو النبى عليه السلام أيام حياته بعد أن أهبط إلى الأرض ، والرسول من الله تعالى ذكره إلى ولده ، فغير جائز أن يكون مغنياً - وهو الرسول - بقوله : ﴿ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾ . خطاباً له ولزوجته : ﴿ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي ﴾^(١) أنبياء ورسل . إلا على ما وصفت من التأويل .

وقول أبى العالية فى ذلك - وإن كان وجهاً من التأويل تحمله الآية - فأقرب إلى الصواب منه عندى ، وأشبه بظاهر التلاوة أن يكون تأويلها : ﴿ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾^(٢) يا معشر من أهبط^(٣) إلى الأرض من سمائي - وهو آدم وزوجته وإبليس ، كما قد ذكرنا قبل فى تأويل الآية التى قبلها - ﴿ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي ﴾ بيان من أمرى وطاعتى ورشادى إلى سبيلى ودينى ، فمن اتبعه منكم فلا خوف عليهم ولا هم [٦٩ / ٢ ط] يخزنون ، وإن كان قد سلف منهم قبل ذلك إلى معصية وخلاف لأمرى وطاعتى . يُعَرِّفُهُمْ بذلك تعالى ذكره أنه التائب على من تاب إليه من ذنوبه ، والرحيم بمن^(٤) أناب إليه ، كما وصف نفسه بقوله : ﴿ إِنَّكُمْ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

وذلك أن ظاهر الخطاب بذلك إنما هو للذين قال لهم جل ثناؤه : ﴿ أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ . والذين خوطبوا به هم من سمئنا فى قول الحجة من الصحابة والتابعين الذين قد قدمنا الرواية^(٥) عنهم . وذلك وإن كان خطاباً من الله تعالى ذكره لمن أهبط حيثئذ من السماء إلى الأرض ، فهو سنة الله فى جميع خلقه ، وتعريف منه بذلك

(١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هدى » .

(٢) بعده فى م : « منى » .

(٣) فى م : « أهبطه » .

(٤) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « لمن » .

(٥) بعده فى ص : « ٤ » .

الذين أَخْبَر عنهم في أول هذه السورة بما أَخْبَر عنهم في قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . وفي قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة : ٦ ، ٨] . أن^(١) مُحْكَمَهُ فيهم - إن تابوا إليه وأنابوا ، وَاتَّبَعُوا مَا أَتَاهُمْ مِنَ الْبَيَانِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ - أَنَّهُمْ عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ مَن لَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَأَنَّهُمْ إِنْ هَلَكُوا عَلَى^(٢) كُفْرِهِمْ وَضَلَّالَتِهِمْ قَبْلَ الْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ ، كَانُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ الْمُخَلَّدِينَ فِيهَا .

وقوله : ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ﴾ . يعنى : فَمَنْ تَبَعَ بَيَانِى الَّذِى أُبَيِّنُهُ^(٣) عَلَى أَلْسِنِ رُسُلِى ، أَوْ مَعَ رُسُلِى .

كما حَدَّثَنِى بِهِ الْمُتَنَبِّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ الْعَسْقَلَانِى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ : ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ﴾ يعنى : بَيَانِى^(٤) .

/ وقوله : ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ . يعنى : فَهَمْ آمِنُونَ فِي أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ مِنْ ٢٤٨/١ عِقَابِ اللَّهِ ، غَيْرُ خَائِفِينَ عَذَابِهِ ؛ بِمَا أَطَاعُوا اللَّهَ فِي الدُّنْيَا ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ وَهُدَاهُ وَسَبِيلَهُ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يَوْمَئِذٍ عَلَى مَا خَلَّفُوا بَعْدَ وَفَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا .

كما حَدَّثَنِى يُونُسُ ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ . يَقُولُ : لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ أَمَامَكُمْ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْظَمَ فِي صَدْرِ الَّذِى يَمُوتُ مِمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَأَمَّنْهُمْ مِنْهُ وَسَلَّاهُمْ عَنْ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

(١) فى ص ، م : « وَأَنْ » .

(٢) فى الأصل : « مِنْ » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فِى » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « آيَتُهُ » .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٩٣/١ (٤٢٢) مِنْ طَرِيقِ آدَمَ .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا ﴾ [٧٠/٢] بِآيَاتِنَا . يعنى : والذين جحدوا آياتى وكذبوا رُسلى . وآيات الله حُجُجُه وأدلتُه على وحدانيَّتِه وربوبيَّتِه ، وما جاءت به الرسل من الأعلام والشواهد على ذلك ، وعلى صدقها فيما أنبأت عن ربِّها ، وقد بيَّنا أن معنى الكفرِ التَّغْطِيَةُ على الشئ^(١) .

﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ يعنى : أهلها الذين هم أهلها دون غيرهم ، المخلَّدون فيها أبداً^(٢) إلى غير أمدٍ ولا نهاية .

كما حدَّثنى عُقْبَةُ بْنُ سِنَانٍ البصرى ، قال : حدَّثنا غَسَّانُ بْنُ مُضَرَ ، قال : حدَّثنا سعيدُ بْنُ يَزِيدَ ، وحدَّثنا سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ العُتْبَرى ، قال : حدَّثنا بشرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قال : حدَّثنا أبو مَسْلَمَةَ^(٣) ، وحدَّثنى يعقوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وأبو بكرُ بْنُ^(٤) عَوْنٍ ، قالا : حدَّثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُثَيْبَةَ ، عن سعيدِ بْنِ يَزِيدَ ، عن أبى نُضْرَةَ ، عن أبى سعيدِ الخُدْرى ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ، فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ ، وَلَكِنْ أَقْوَامًا أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِخَطَايَاهُمْ - أَوْ بِذُنُوبِهِمْ - فَأَمَّا تَنْتَهُمُ إِمَاتَةً ، حَتَّى إِذَا صَارُوا فَحَمًا أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ »^(٥) .

(١) تقدم فى ص ٢٦٢ .

(٢) فى ر : « هم فيها خالدون » .

(٣) بعده فى م : « سعيد بن يزيد » . وهو اسم أبى مسلمة .

(٤) بعده فى الأصل ، ص : « أبى » .

(٥) أخرجه ابن خزيمة فى التوحيد ص ١٨٢ ، وابن صاعد فى زوائده على زهد ابن المبارك (١٢٦٩) من طريق عقبة بن سنان ويعقوب بن إبراهيم به .

وأخرجه مسلم (١٨٥) ، وابن ماجه (٤٣٠٩) من طريق بشر بن المفضل به . وأخرجه أحمد ١٧ / ١٣٤ ، ١٣٥ (١١٠٧٧) ، وحسين المروزى وابن صاعد فى زوائدهما على زهد ابن المبارك (١٢٦٩) ، وأبو يعلى (١٠٩٧ ، ١٣٧٠) ، وابن حبان (٧٤٨٥) ، وابن منده فى الإيمان (٨٣٢) من طريق ابن عليه به .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ . ولد^(١) يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن . وكان يعقوب يُدعى إسرائيل ، بمعنى : عبد الله وصفوته من خلقه . و «إيل» هو الله تعالى ذكره ، و «إسرا» : هو العبد ، كما قيل : جبريل . بمعنى : عبد الله .

وكما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن عُمَيْرِ مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، أن إسرائيل كقولك : عبد الله^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الله ابن الحارث قال : «إيل» الله بالعبرانية^(٣) .

وإنما خاطب الله جل وعزّ بقوله : ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أحبار اليهود من بنى إسرائيل الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله ﷺ ، فنسبهم إلى يعقوب ، كما نسب / ذرية آدم إلى آدم ، فقال : ﴿يَبْنِي ʼآدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ٢٤٩/١ [الأعراف : ٣١] . وما أشبه ذلك .

وإنما خصّهم بالخطاب في هذه الآية والتي بعدها من الآي التي ذكرهم فيها نعمه - وإن كان قد تقدّم ما أنزل فيهم وفي غيرهم في ٧٠ / ٢ ظ [أول هذه السورة ما

(١) في ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «يا ولد» .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٢/١ (٩٦٣) ، والبيهقي في الشعب (١٦٥) ، والخطيب في المتفق والمفترق ٣٩٨/١ من طريق أبي معاوية ، عن الأعمش به . وسيأتى في ٢٩٦/٢ بهذا الإسناد . وينظر تعليق التعليق ١٧٥/٤ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٢/١ (٩٦٧) من طريق جرير به . وسيأتى في ٢٩٥/٢ بهذا الإسناد .

(تفسير الطبري ٣٨/١)

قد تقدّم - أن الذي احتجّ به من الحجج في ^(١) الآيات التي فيها أنباء أسلافهم وأخبار أوائلهم ، وقصص الأمور التي هم بعلمها مخصوصون دون غيرهم من سائر الأمم ، ليس عند ^(٢) غيرهم من العلم بصحته وحقيقته مثل الذي لهم من العلم به ، إلا لمن اقتبس علم ذلك منهم ، فعرفهم باطلاع محمد ﷺ على علمها - مع بُعد قومه وعشيرته من معرفتها ، وقلة مزاولة محمد ﷺ دراسة الكتب التي فيها أنباء ذلك - أن محمداً ﷺ لم يصل إلى علم ذلك إلا بوحي من الله تعالى ذكره وتنزيل منه ذلك إليه ؛ لأنهم من علم صحة ذلك بمحلّ ليس به من الأمم غيرهم ، فلذلك تعالى ذكره خصّ بقوله : ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ خطابهم .

كما حدّثنا به ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال : يا أهل الكتاب ، للأخبار من يهود ^(٣) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ .

ونعمته التي أنعمها على بني إسرائيل ^(٤) اصطفاؤه منهم الرسل ، وإنزاله عليهم الكتب ، واستنقاذهم إياهم مما كانوا فيه من البلاء والضراء من فرعون وقومه ، إلى التمكن لهم في الأرض ، وتفجير غيور الماء من الحجر ، وإطعام المن والسلوى ، فأمر جل ثناؤه أغقابهم أن يكون ما سلف منه إلى آبائهم على ذكرهم منهم ^(٥) ، وألا ينسوا صنيعه إلى أسلافهم وآبائهم ، فيحلّ بهم من النقم ما أحلّ بمن نسي نعمه عنده منهم

(١) في ص ، م ، «و» .

(٢) في ص : «عندهم» .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٥/١ (٤٣٤) من طريق سلمة به .

(٤) بعده في ر : «وتلك النعم» ، وبعده في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «جل ذكره» .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

وَكَفَرَهَا وَجَحَدَ صِنَائِعَهُ عِنْدَهُ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سلمةُ ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي : بلائى ^(١) عندكم وعند آبائكم ؛ لِمَا كَانَ نَجَّاهُمْ بِهِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : حَدَّثَنَا آدمُ العسقلانيُّ ، قال : حَدَّثَنَا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ قال : نعمته أن جعل منهم الأنبياء والرسل ، وأنزل عليهم الكتب ^(٣) .

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : حَدَّثَنَا أبو حذيفة ، قال : حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ ، عن ابن أبي نجيح ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ : يعنى نعمته التى أنعم على بنى إسرائيل فيما سمى وفيما سوى ذلك ؛ [٧١ / ٢] فجُرَّ لهم الحجر ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، وأنجاهم من عبودية ^(٤) آلِ فِرْعَوْنَ ^(٥) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قوله : ﴿ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ قال : نعمة عامة ، ولا نعمة أفضل من نعمة الإسلام ، والنعم بعد تبع لها . وقرأ قول الله تعالى ذِكْرُهُ : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمْتُكُمْ ﴾ الآية [الحجرات : ١٧] .

(١) فى م : « الآئى » .

(٢) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٥/١ (٤٣٥) من طريق آدم به .

(٤) فى الأصل : « عبودة » ، وفى ص : « عيون » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٥/١ (٤٣٦) من طريق ابن أبى نجيح به .

وتذكّر الله تعالى ذكره الذى ذكرهم بهذه الآية من نعمه على لسان رسوله محمد ﷺ ، نظير تذكّر موسى صلوات الله / عليه أسلافهم على عهده الذى أخبر الله عنه أنه قاله لهم ، وذلك قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٠] .

القول فى تأويل قوله جلّ وعزّ : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ .

قال أبو جعفر : قد تقدّم بيّنا عن معنى العهد فيما مضى من كتابنا هذا ، واختلاف المختلّفين فى تأويله ^(١) ، والصواب عندنا من القول فيه . وهو فى هذا الموضع عهد الله ووصيته التى أخذ على بنى إسرائيل فى التّوراة أن يُؤيّنوا للناس أمر محمد ﷺ أنه رسول الله ، وأنهم يجدونه مكتوبًا عندهم أنه نبيّ الله ، وأن يؤمنوا به وبما جاء به من عند الله .

﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ وعهده إليهم ^(٢) أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ الآية [المائدة : ١٢] . وكما قال : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١٥٦] الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي الْأَمْرُ ﴾ الآية [الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧] .

وكما حدّثنا به ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ،

(١) تقدم فى ص ٤٣٥ - ٤٣٩ .

(٢) فى ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : إياهم .

عن ابن عباس : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾ : الذى أخذتُ فى أعناقكم للنبيِّ محمدٍ إذ جاءكم ، ثم ﴿ أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ أى : أنجز لكم ما وعدتكم عليه بتصديقه واتباعه ، بوضع ما كان عليكم من الإضرِّ والأغلالِ التى كانت فى أعناقكم بذنوبكم [٢/ ٧١ ظ] التى كانت من أحداثكم^(١) .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدم ، قال : حدَّثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . قال : عهده إلى عباده ؛ دينه^(٢) الإسلام أن يتبعوه ، ﴿ أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . يعنى الجنة^(٣) .

حدَّثنى موسى بن هارون ، قال : حدَّثنا عمرو بن حماد ، قال : حدَّثنا أسباط ، عن السدى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ : أما ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾ ، فما عهدت إليكم فى الكتاب ، وأما ﴿ أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ ، فالجنة ، عهدت إليكم إن عملتم بطاعتي أَدْخَلْتُكُمْ الجنةَ^(٤) .

حدَّثنا القاسم ، قال : حدَّثنا الحسين ، قال : حدَّثنى حجاج ، عن ابن جريج فى قوله : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ قال : ذلك الميثاق الذى أخذ عليهم فى « المائدة » : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ إلى آخر الآية . فهذا عهدُ الله الذى عهد إليهم ، وهو عهدُ الله فىنا ، فمن أوفى بعهدِ الله وفى الله له بعهده .

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٥ ، ٩٦ (٤٣٨ ، ٤٤١) من طريق سلمة به .

(٢) فى م : « دين » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٥ ، ٩٦ (٤٣٩) ، وعقب (٤٤١) من طريق آدم به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١١٨ عن السدى .

حَدَّثْتُ عَنْ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . يَقُولُ : أَوْفُوا بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِي ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِي فِي النَّبِيِّ ﷺ وَفِي غَيْرِهِ ، ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . يَقُولُ : أَرْضَ عَنْكُمْ وَأَدْخِلْكُمْ الْجَنَّةَ ^(١) .

٢٥١/١

/ حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . قَالَ : أَوْفُوا بِأَمْرِي أُوفِ بِالَّذِي وَعَدْتُكُمْ . وَقَرَأَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ١١١] . قَالَ : هَذَا عَهْدُهُ الَّذِي عَاهَدَ لَهُمْ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِيتَى فَاذْهَبُون ﴾ .

قال أبو جعفر : وتأويل قوله جل وعز : ﴿ وَإِيتَى فَاذْهَبُون ﴾ : وإياي فَاخْشَوْا وَاتَّقُوا أَيُّهَا الْمُضِيعُونَ عَهْدِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَالْمُكَذِّبُونَ رَسُولِي الَّذِي قَدْ أَخَذْتُ مِيثَاقَكُمْ فِيهِمَا أَنْزَلْتُ مِنَ الْكِتَابِ عَلَى أَنْبِيَائِي أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ وَتَتَّبِعُوهُ - أَنْ أُحِلَّ بِكُمْ مِنْ عَقُوبَتِي - إِنْ لَمْ تُبَيِّهُوا وَتَتَوَبُّوا إِلَيَّ بِاتِّبَاعِهِ وَالْإِقْرَارِ بِمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْهِ - مَا أَخْلَلْتُ بَيْنَ خَالَفِ أَمْرِي وَكَذَّبَ [٧٢/٢] رُسُلِي مِنْ أَسْلَافِكُمْ .

كما حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَإِيتَى فَاذْهَبُون ﴾ أَي ^(٢) : أَنْ أُنْزَلَ بِكُمْ مَا أَنْزَلْتُ بَيْنَ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ مِنْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٥/١ ، ٩٦ (٤٣٧ ، ٤٤٠) من طريق المنجاب به .

(٢) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

النِّقَمَاتِ الَّتِي قَدْ عَرَفْتُمْ مِنَ الْمَسْخِ وَغَيْرِهِ^(١).

حَدَّثَنِي الْمُنَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنِي آدَمُ الْعَسْقَلَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونُ ﴾ . يَقُولُ : فَاخْشَوْنِ^(٢).

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيدِ : ﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونُ ﴾ يَقُولُ : وَإِيَّايَ فَاخْشَوْنِ^(٣).

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ .

يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَءَامِنُوا ﴾ : صَدِّقُوا ، كَمَا قَدْ قَدَّمْنَا الْبَيَانَ عَنْهُ قَبْلُ^(٤) . وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿ بِمَا أَنزَلْتُ ﴾ . مَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْقُرْآنِ . وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ . أَنَّ الْقُرْآنَ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ التَّوْرَةِ ، فَأَمَرَهُم بِالتَّصَدِيقِ بِالْقُرْآنِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ فِي تَصَدِيقِهِم بِالْقُرْآنِ تَصَدِيقًا مِنْهُمْ لِلتَّوْرَةِ ؛ لِأَنَّ الَّذِي فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصَدِيقِهِ وَاتِّبَاعِهِ ، نَظِيرُ الَّذِي مِنْ ذَلِكَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، فَفِي تَصَدِيقِهِمْ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ تَصَدِيقٌ مِنْهُمْ لِمَا مَعَهُم مِنَ التَّوْرَةِ ، وَفِي تَكْذِيبِهِمْ بِهِ تَكْذِيبٌ مِنْهُمْ لِمَا مَعَهُم مِنَ التَّوْرَةِ .

وَقَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ . قَطَعَ مِنَ الْهَاءِ الْمَتْرُوكَةِ فِي ﴿ أَنزَلْتُ ﴾^(٥)

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٤/١ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٦/١ (٤٤٢) من طريق سلمة به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٦/١ (٤٤٣) من طريق آدم به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٦/١ عقب الأثر (٤٤٣) من طريق عمرو به .

(٤) تقدم في ص ٢٥٤ .

(٥) في ص ، م : « أنزلته » .

من ذكر « ما » . ومعنى الكلام : وآمنوا بالذى أنزلته مصداقاً لما معكم أيها اليهود .
والذى معهم هو التوراة والإنجيل .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثني عيسى
ابن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَآمِنُوا بِمَا
أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ . يقول : ﴿ بِمَا ﴾ ^(١) أَنْزَلْتُ ﴿ الْقُرْآنُ ، مُصَدِّقًا لِمَا
مَعَكُمْ ﴾ التوراة والإنجيل ^(٢) .

٢٥٢/١ / حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، [٧٢ / ٢ ط] قال : حدثنا شبلى ، عن ابن
أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا آدم العسقلاني ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن
الربيع ، عن أبي العالية : ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ . يقول : يا
معشر أهل الكتاب ، آمنوا بما أنزلت على محمد ﷺ مصداقاً لما معكم ، يقول :
لأنهم يجدون محمداً ﷺ مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ^(٣) .

القول في تأويل قوله جل وعز : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ .

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : كيف قيل : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾
والخطاب خبر ^(٤) لجميع ، وقوله ^(٥) : ﴿ كَافِرٍ ﴾ واحد ؟ وهل يُجيز - إن كان ذلك

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ : « إنما » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠١ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٦/١ (٤٤٥) ، بدون ذكر التوراة ،
وعزاه السيوطي في الدر المنثور ص ١٦ (مخطوط) إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٦/١ (٤٤٤) من طريق آدم به .

(٤) في ص ، م : « فيه » .

(٥) سقط من : م .

جائزاً - أن يقول قائلٌ : لا تكونوا أول رجلٍ قام ؟

قيل له : إنما يجوزُ توحيدُ ما أُضيف إليه « أَفْعَل » وهو خبرٌ لجميع ، إذا كان اسماً مشتقاً من « فَعَلَ وَيَفْعُلُ » ؛ لأنه يؤدّي عن المرادِ معه المحذوف من الكلام ، وهو « مَنْ » ، ويقومُ مقامه في الأداء عن معنى ما كان يؤدّي عنه « مَنْ » ، من الجمع والتأنيث ، وهو في لفظٍ واحدٍ . ألا ترى أنك تقول : ولا تكونوا أول مَنْ يَكْفُرُ به . ف « مَنْ » بمعنى جمع ، وهو غيرُ مُتَصَرِّفٍ تَصَرَّفَ الأسماءُ للتثنية والجمع والتأنيث ، فإذا أُقيم الاسمُ المشتقُّ من « فَعَلَ وَيَفْعُلُ » مقامه ، جرى وهو موحدٌ مَجْرَاهُ في الأداء عما كان يؤدّي عنه « مَنْ » من معنى الجمع والتأنيث ، كقولك : الجيشُ مُنْهَزِمٌ^(١) ، والجندُ مُقْبِلٌ^(٢) . فتوحدُ الفعلُ لتوحيدِ لفظِ الجيشِ والجندِ ، وغيرُ جائزٍ أن يُقالَ : الجيشُ رجلٌ ، والجندُ غلامٌ . حتى تقول : الجندُ غلمانٌ ، والجيشُ رجالٌ . لأن الواحدَ من عددِ الأسماءِ التي هي غيرُ مشتقةٍ من « فَعَلَ وَيَفْعُلُ » لا يؤدّي عن معنى الجماعةِ منهم ، ومن ذلك قولُ الشاعرِ^(٣) :

وَإِذَا هُمْ طَعِمُوا فَأَلَامَ طَاعِمٍ وَإِذَا هُمْ جَاعُوا^(٤) فَشَرُّ جِيَاعٍ

فَوحدَ مرّةً على ما وصفتُ من نيةِ « مَنْ » ، وإقامةِ الظاهرِ من الاسمِ الذي هو مشتقٌّ من « فَعَلَ وَيَفْعُلُ » مقامه ، وجمعَ أخرى على الإخراجِ على عددِ الأسماءِ المُخْبَرِ عنهم ، ولو وُحدَ حيثُ جمعَ أو جمعَ حيثُ وُحدَ ، كان صواباً جائزاً .

وأما تأويلُ ذلك فإنه يَعْنِي به : يا معشرَ أخبارِ أهلِ الكتابِ ، صدّقوا بما أنزلْتُ

(١) في م : « ينهزم » .

(٢) في م : « يقبل » .

(٣) ذكره أبو زيد في النوادر ص ١٥٢ ، والفراء في معاني القرآن ١ / ٣٣ .

(٤) في النوادر : « عاوا » . وهي رواية في البيت .

على رسولى محمد ﷺ من القرآن المصدق كتابكم ، والذى عندكم من التوراة والإنجيل المعهود إليكم فيهما أنه رسولى [٧٣/٢] ونبيّ المبعوث بالحق ، ولا تكونوا أول أمتيكم ^(١) كذب به وجحد أنه من عندى ، وعندكم من العلم به ما ليس عند غيركم .

وكفرهم به لجحدهم أنه من عند الله .

والهاء التى فى ﴿بِهِ﴾ من ذكر «ما» التى مع قوله : ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلْتُ﴾ .

كما حدثنى القاسم ، قال : حدثنى الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج فى قوله : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ : بالقرآن ^(٢) .

وروى عن أبى العالية فى ذلك ما حدثنى به المشنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ . يقول : ولا تكونوا أول من كفر بمحمد ﷺ ^(٣) .

٢٥٣/١ / وقال بعضهم : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ . يعنى : بكتابكم . ويتأول أن فى تكذيبهم بمحمد ﷺ تكذيباً منهم بكتابهم ؛ لأن فى كتابهم الأمر باتّباع محمد ﷺ .

وهذان القولان من ظاهر ما تدل عليه التلاوة بعيدان ، وذلك أن الله جل ثناؤه أمر المخاطبين بهذه الآية فى أولها بالإيمان بما أنزل على محمد ﷺ ، فقال تعالى ذكره : ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ . ومعقول أن الذى أنزله الله فى

(١) فى م : « من » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/١ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٧/١ (٤٤٧) من طريق آدم به .

عصير محمد ﷺ هو القرآن لا محمد ؛ لأن محمداً صلوات الله عليه رسولٌ مُرْسَلٌ لا تَنْزِيلٌ مُنْزَلٌ ، والمُنْزَلُ هو الكتاب ، ثم نهاهم أن يكونوا أولَ مَنْ يَكْفُرُ بالذى أمرهم بالإيمان به فى أولِ الآية - من أهل الكتاب ، فذلك هو الظاهرُ المفهومُ ، ولم يَجْرِ لمحمد ﷺ فى هذه الآية ذكرٌ ظاهرٌ فيعادَ عليه بذكره مَكْنِيًّا فى قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ . وإن كان غيرُ مُحالٍ فى الكلام أن يُدْكَرَ مَكْنِيًّا اسمٌ لم يَجْرِ له ذكرٌ ظاهرٌ فى الكلام .

وكذلك لا معنى لقولِ مَنْ زَعَمَ أن العائدَ مِنَ الذِّكْرِ فى ﴿ بِهِ ﴾ على « ما » التى فى قوله : ﴿ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ . لأن ذلك وإن كان مُحْتَمِلًا ظاهرَ الكلام ، فإنه بعيدٌ مما يَدُلُّ عليه ظاهرُ التلاوة والتزيل ؛ لما وَصَفْنَا قَبْلُ مِنْ أن الأمرَ ^(١) بالإيمان به فى أولِ الآية هو القرآن ، فكَذلك الواجبُ أن يكونَ النهى عن الكفر به فى آخرها هو القرآن . فأما أن يكونَ المأمورُ بالإيمان به غيرَ المنهى عن الكفر به فى كلامٍ واحدٍ وآيةٍ واحدةٍ ، فذلك غيرُ الأشهرِ الأظهرِ فى الكلام ، هذا مع بُعْدِ معناه فى التأويل .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن محمد بنِ أبى محمد مولى زيد بنِ ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بنِ جبير ، عن ابنِ [٧٣ / ٢ ط] عباس : ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أُنْزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ : وعندكم فيه مِنَ العلمِ ما ليس عند غيركم ^(٢) .

القولُ فى تأويلِ قوله جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَلَا تَشْرَوْا بِإِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .

اختلفَ أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فحدَّثنى المشنى ، قال : حدَّثنا آدم ، قال : حدَّثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : ﴿ وَلَا تَشْرَوْا بِإِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .

(١) فى م : « المأمور » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٥٣٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٩٧ / ١ (٤٤٦) من طريق سلمة به .

يقولُ : لا تأخذوا عليه أجرًا . قال : وهو مكتوبٌ عندهم فى الكتابِ الأولِ : يا بنِ آدمَ ، علِّمَ مَجَانًا كما علِّمْتَ مَجَانًا ^(١) .

وقال آخرون بما حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّى : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . يقولُ : لا تأخذوا طمعًا قليلًا وتكثموا اسمَ الله ، فذلك الطَّمَعُ هو الثَّمَنُ ^(٢) .

فتأويلُ الآيةِ إذن : لا تبيعوا ما آتيتكم من العلمِ بكتابتى وآياته بثمانٍ خسيسٍ وعَرَضٍ من الدنيا قليلٍ . ويُعْهَمُ إياه تركُهم إبانةَ ما فى كتابِهم من أمرِ محمدٍ ﷺ للناسِ وأنه مكتوبٌ فيه أنه النبىُّ الأمى الذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراةِ والإنجيلِ ، بثمانٍ قليلٍ ، وهو رضاهم بالرِّياسَةِ على أتباعِهم من أهلِ ملَّتِهِم ودينِهِم ، وأخذِهِم الأجرَ ممَّن يَبتِنوا له ذلك على ما يَبتِنوا له منه .

ولمَّا قلنا : معنى ذلك : لا تبيعوا ؛ لأنَّ مُشْتَرَى الثمنِ القليلِ بآياتِ الله بائِعٌ ٢٥٤/١ الآياتِ بالثمنِ ، فكلُّ واحدٍ من / الثمنِ والمُثْمَنِ مَبِيعٌ لصاحبِهِ ، وصاحبُهُ به مُشْتَرٍ ^(٣) .

وأما معنى ذلك على ما تأوَّله أبو العالية : فَيَبْتِنُوا للناسِ أمرَ محمدٍ ﷺ ، ولا تَبْتَغُوا عليه منهم أجرًا . فيكونُ حيثُذُ نهْيِهِ عن أخذِ الأجرِ على تَبْيِينِهِ هو النهى عن شراءِ الثمنِ القليلِ بآياته .

القولُ فى تأويلِ قوله جلَّ وعز : ﴿ وَإِنِّي فَأَنْقُوتُ ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٧/١ (٤٤٩) والخطيب فى الكفاية ص ١٥٣ من طريق آدم به . وأخرجه ابن عدى ١٠٢٣/٣ - ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ١٧٩/١٨ - ، وأبو نعيم فى الحلية ٢/ ٢٢٠ ، والخطيب ص ١٥٤ من طريق أبى جعفر به نحوه . وأخرجه أبو خيثمة فى العلم (٦٨) عن إسحاق بن سليمان الرازى عن أبى جعفر عن الربيع قوله .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٧/١ (٤٥١) من طريق عمرو به .

(٣) فى الأصل : « مُشْتَرَى » .

قال أبو جعفر : يقول : فاتَّقُونِ في بيعكم آياتي بالحسيسِ مِنَ الثمنِ ، وشرائكم بها القليلَ مِنَ العوضِ^(١) ، وكفرِكم بما أنزلتُ على رسولى ، ومُجْهودكم نبوءة نبيي^(٢) - أن أحِلَّ بكم ما أحللتُ بأسلافكم^(٣) الذين سلكوا سبيلكم مِنَ المثَلاتِ والنِّقَماتِ .

[٧٤/٢] القولُ فى تأويلِ قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ : ﴿ وَلَا تَلْسَوْا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ .

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : ﴿ وَلَا تَلْسَوْا ﴾ : لَا تَخْلُطُوا . واللَّبْسُ هو الخلطُ ، يقالُ منه : لَبِسْتُ عليه هذا الأمرَ ألبسُهُ لبسًا ، إذا خلطتَهُ عليه^(٤) .

كما حَدَّثَنَا عن المنجَابِ ، عن بشرٍ ، عن أبى رزقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِهِ : ﴿ وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مِمَّا يَلْسُونَ ﴾ [الأنعام : ٩] . يقولُ : خلَطْنَا عليهم ما يَخْلُطُونَ^(٥) .

ومنه قولُ العَجَّاجِ^(٦) :

لَمَّا لَبَسْنَا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ

غَيْنَيْنِ وَاسْتَبَدَلْنَا زَيْدًا مِنِّي

يعنى بقوله : لَبَسْنَا : خلَطْنَا . وأما اللَّبْسُ فإنه يقالُ منه : لَبِسْتُه ألبسُهُ لبسًا وملبَسًا . وذلك فى الكِسوة يَكْتَسِيها فيَلْبَسُها .

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « العرض » .

(٢) فى م : « نبيه » .

(٣) فى م : « بأخلافكم » .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عليهم » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٧/٤ (٧١٣٤) عن أبى زرعة ، عن منجَاب به .

(٦) ديوانه ص ١٨٥ .

ومن اللبّس قولُ الأخطل^(١) :

ولقد لبستُ لهذا الدهرِ أغصْرَه حتى تجلّل رأسى الشَّيْبُ واشتَعَلَا
ومن اللبّس قولُ الله جل ثناؤه : ﴿ وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلِيْسُوْنَ ﴾ .
فإن قال لنا قائلٌ : وكيف كانوا يلبسون الحقَّ بالباطلِ وهم كفارٌ ؟ وأئى حقٌّ
كانوا عليه مع كفرِهِم باللهِ ؟

قيل : إنه كان فيهم مُنافِقون منهم يُظهرون التَّصديقَ بمحمدٍ ﷺ وَيَسْتَبْطِنُونَ
الكفرَ به ، وكان عَظْمُهُم يَقُولون : محمدٌ نبىٌّ مبعوثٌ ، إلا أنه مبعوثٌ إلى غيرنا .
فكان لبسُ المنافقِ منهم الحقَّ بالباطلِ إظهارَه الحقَّ بلسانه وإقرارَه بمحمدٍ ﷺ وبما
جاء به جِهَارًا ، وخلطَه ذلك الظاهرَ من الحقَّ بالباطلِ الذى يَسْتَبْطِنُه ، وكان لبسُ
المُقرِّ منهم بأنه مبعوثٌ إلى غيرِهِم ، الجاحِدُ أنه مبعوثٌ إليهم ، إقرارَه بأنه مبعوثٌ إلى
غيرِهِم - وهو الحقُّ - وجحوده أنه مَبْعُوثٌ إليهم وهو الباطلُ ، وقد بعثه الله إلى
الخلقِ كافَّةً ، فذلك خلطُهُم الحقَّ بالباطلِ ولَبْسُهُم إياه به .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ
عُمارةَ ، عن أبى رَوْحٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ
بِالْبَاطِلِ ﴾ . قال : لا تَخْلِطُوا الصدقَ بالكذبِ^(٢) .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى
العالية : ﴿ وَلَا / تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ . يقولُ : لا تَخْلِطُوا الحقَّ بالباطلِ ، وأدّوا ٢٥٥/١

(١) شرح ديوان الأخطل ص ٣٤٧ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/١ إلى المصنف .

التَّصِيحَةَ لِعِبَادِ اللَّهِ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(١) .

[٢/٧٤ ظ] حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ : الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ بِالْإِسْلَامِ .

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ . قَالَ : الْحَقُّ التَّوْرَةُ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ عَلَى مُوسَى ، وَالْبَاطِلُ الَّذِي كَتَبُوهُ بِأَيْدِيهِمْ^(٢) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٤٢ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ ﴾ وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ ؛ أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ نَهَاهُمْ عَنْ أَنْ يَكْفُرُوا بِالْحَقِّ ، كَمَا نَهَاهُمْ عَنْ أَنْ يَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ . فَيَكُونُ تَأْوِيلُ ذَلِكَ حَيْثُ : وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَلَا تَكْفُرُوا بِالْحَقِّ . وَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿ وَتَكْفُرُوا ﴾ عِنْدَ ذَلِكَ مَجْزُومًا بِمَا جُزِمَ بِهِ ﴿ تَلْبِسُوا ﴾ عَطْفًا عَلَيْهِ .

وَالْوَجْهُ الْآخَرُ مِنْهُمَا : أَنْ يَكُونَ النِّهْيُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ لَهُمْ عَنْ أَنْ يَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ ﴾ خَبَرًا مِنْهُمْ بِكُفْرَانِهِمْ بِالْحَقِّ الَّذِي يَعْلَمُونَهُ . فَيَكُونُ قَوْلُهُ حَيْثُ : ﴿ وَتَكْفُرُوا ﴾ مَنْصُوبًا لَانْصِرَافِهِ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ . إِذَا كَانَ قَوْلُهُ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ ﴾ نَهْيًا ، وَقَوْلُهُ : ﴿ وَتَكْفُرُوا ﴾ خَبَرًا مَعْطُوفًا عَلَيْهِ غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يُعَادَ عَلَيْهِ مَا عَمِلَ فِي

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٩٨/١ (٤٥٤) مِنْ طَرِيقِ آدَمَ بِهِ .

(٢) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٦٤/١ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

قوله : ﴿ تَلْبَسُوا ﴾ من الحرف الجازم ، وذلك هو المعنى الذى يُسمّيه النّحويون صرّفًا^(١) . ونظير ذلك فى المعنى والإعراب قول الشاعر^(٢) :

لا تَنَّةَ عن خُلُقِي وتَأْتِي مثله عارٌّ عليك إذا فعلتَ عظيمٌ
فنصب « تأتى » على التأويل الذى قلنا فى قوله : ﴿ وَتَكُنُّوْا ﴾ ؛ لأنه لم يردّ :
لا تَنَّةَ عن خُلُقِي ولا تأتِ مثله . وإنما معناه : لا تَنَّةَ عن خُلُقِي وأنت تأتى مثله . فكان
الأول نهيًا والثانى خبرًا ، إذ عطّفه على غير شكله .

فأما الوجه الأول من هذين الوجهين اللذين ذكرنا أن الآية تحتملهما ،
فهو على مذهب ابن عباس الذى حدّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدّثنا عثمانُ
ابنُ سعيدٍ ، قال : حدّثنا بشرُ بنُ عُمارَةَ ، عن أبى رَوْحٍ ، عن الضحاكِ ، عن
ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ وَتَكُنُّوْا الْحَقَّ ﴾ . يقول : لا تَكْتُمُوا الحقَّ وأنتم
تَعْلَمُونَ^(٣) .

حدّثنا [٢/٧٥] ابنُ حميدٍ ، قال : حدّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن ابنِ إسحاقٍ ،
عن محمد بنِ أبى محمدٍ مولى زيد بن ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيد بن جبيرٍ ،
عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَتَكُنُّوْا الْحَقَّ ﴾ . أى : ولا تَكْتُمُوا الحقَّ .

وأما الوجه الثانى منهما ، فهو على مذهب أبى العالية ومجاهدٍ .

حدّثنى المثنى ، قال : حدّثنا آدمُ ، قال : حدّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن

(١) ينظر تعريف المصنف للصرف فى ٩٢/٦ ، وينظر المصطلح الكوفى ص ١٠٥ وما بعدها .

(٢) البيت مختلف فى نسبه ؛ فقال صاحب الخزانة ٥٦٤/٨ : المشهور أنه لأبى الأسود الدؤلى .
ونسبه سيبويه فى الكتاب ٤٢/٣ للأخطل . وقد نسبه الآمدى فى المؤلف والمختلف ص ٢٧٣
للمتوكل اللبثى .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/١ إلى المصنف .

أبى العالية : ﴿ وَتَكُونُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قال : كَتَمُوا نَعْتَ^(١) محمد صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ.

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عن عيسى بن ميمون ، ٢٥٦/١
عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوه^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قال : حَدَّثَنَا شَيْبُلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ،
عن مُجَاهِدٍ نحوه .

وَأَمَّا تَأْوِيلُ الْحَقِّ الَّذِي كَتَمُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَهُ ، فَإِنَّهُ مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حَمِيدٍ ، قال :
حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدٍ ، عن عِكْرَمَةَ ،
أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَتَكُونُوا الْحَقَّ ﴾ . يَقُولُ : لَا تَكْتُمُوا مَا
عِنْدَكُمْ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِرَسُولِي ، وَمَا جَاءَ بِهِ ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ عِنْدَكُمْ فِيمَا تَعْلَمُونَ مِنَ
الْكِتَابِ الَّتِي بَأْيَدِيكُمْ^(٤) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قال : حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قال : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ،
عن أَبِي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَتَكُونُوا الْحَقَّ ﴾ . يَقُولُ : إِنَّكُمْ قَدْ
عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قال : حَدَّثَنَا عَيْسَى ، عن ابنِ
أَبِي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَتَكُونُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : يَكْتُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ

(١) في ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ٢ : « بعث » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٨/١ (٤٥٦) من طريق آدم به .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٩/١ عقب الأثر (٤٥٨) معلقا .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٣٤/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٨/١ (٤٥٧) من طريق سلمة به .

محمداً ﷺ وهم يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : ﴿ وَتَكُونُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . قَالَ : الْحَقُّ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرِّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ : ﴿ وَتَكُونُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قَالَ : كَتَمُوا نَفْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ^(٣) ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : تَكْتُمُونَ مُحَمَّدًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ .

فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ [٧٥/٢] إِذَنْ : وَلَا تَخْلِطُوا عَلَى النَّاسِ أَيُّهَا الْأَحْبَارُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ، وَتَزَعَمُوا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى ^(٤) بَعْضِ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ دُونَ بَعْضٍ ، أَوْ تَنَافَقُوا فِي أَمْرِهِ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى جَمِيعِكُمْ ، وَجَمِيعِ الْأُمَمِ غَيْرِكُمْ ، فَتَخْلِطُوا بِذَلِكَ الصَّدَقَ بِالْكَذِبِ ، وَتَكْتُمُوا بِهِ مَا تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ مِنْ نَفْتِهِ وَصِفَتِهِ ، وَأَنَّهُ رَسُولِي إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٩/١ (٤٥٨) عن أبي زرعة ، عن عمرو به .

(٢) تقدم مختصراً في ص ٦٣٣ .

(٣) في ر ، ت ، ١ ، ت ٢ : « الحسن » .

(٤) - ٤ - سقط من : ص .

رسولى ، وأن ما جاء به إليكم فمن عندى ، وتعرفون أن من عهدى الذى أخذت عليكم فى كتابكم الإيمان به وبما جاء به والتصديق به .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٤٣) .

/ قال أبو جعفر : ذكر أن أحبار اليهود والمنافقين كانوا يأمرون الناس بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولا يفعلونه ، فأمرهم الله تعالى ذكره بإقام الصلاة مع المسلمين المصدقين بمحمد ﷺ ، وبما جاء به ، وإيتاء زكاة أموالهم معهم ، وأن يخضعوا لله تبارك وتعالى ولرسوله كما خضعوا .

كما حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة فى قوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ . قال : فريضتان واجبتان ، فأدوهما إلى الله جل ثناؤه .

وقد بينا معنى إقامة الصلاة فيما مضى من كتابنا هذا ، فكريهنا إعادته فى هذا الموضع ^(١) .

وأما إيتاء الزكاة فهو أداء الصدقة المفروضة ، وأصل الزكاة نماء المال وتثميته وزيادته . ومن ذلك قيل : زكا الزرع ، إذا كثر ما أخرج الله جل وعز منه ، وزكت النفقة ، إذا كثرت . وقيل : زكا الفرد ، إذا صار زوجا بزيادة الزائد عليه حتى صار به شفعاً ، كما قال الشاعر ^(٢) :

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٢٤٧ .

(٢) البيت فى اللسان (خ س ي) .

كانوا خَسًا أو زَكًا مِنْ دُونِ أَرْبَعَةٍ لَمْ يُخْلَقُوا وَجُدُو^(١) النَّاسِ تَعْتَلِجُ^(٢)
^(٣) قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : خَسًا : الْوُتْرُ ، وَزَكًا : الشَّفْعُ .
 وَقَالَ الرَّاجِزُ^(٤) :

فَلَا خَسًا عَدِيدُهُ وَلَا زَكَا

كَمَا شِرَارُ الْبَقْلِ أَطْرَافُ الشَّفَا

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : السِّفَا : شَوْكُ الْبُهْمَى ، وَالْبُهْمَى : الَّذِي يَكُونُ مَدَوَّرًا فِي
 السَّلَاءِ^(٥) . يَعْنِي بِقَوْلِهِ : وَلَا زَكَا [٧٦/٢] : لَمْ يُصَيِّرْهُمْ شَفْعًا مِنْ وَتْرٍ بِحُدُوثِهِ فِيهِمْ .
 وَإِنَّمَا قِيلَ لِلزَّكَاةِ : زَكَاةٌ ، وَهِيَ مَالٌ تَخْرُجُ مِنْ مَالٍ ؛ لِتَمْيِيزِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ -
 بِإِخْرَاجِهَا مِمَّا أُخْرِجَتْ مِنْهُ - مَا بَقِيَ عِنْدَ رَبِّ الْمَالِ مِنْ مَالِهِ . وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ
 سُمِّيَتْ زَكَاةً لِأَنَّهَا تَطْهِيهِ لِمَا بَقِيَ مِنْ مَالِ الرَّجُلِ ، وَتَخْلِيصُ لَهُ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِيهِ
 مَظْلِمَةٌ لِأَهْلِ الشُّهُمَانِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَخْبِرًا عَنْ نَبِيِّهِ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ
 عَلَيْهِ : ﴿ أَقْنَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ [الكهف : ٧٤] . يَعْنِي : بِرِثَةٍ مِنَ الذَّنُوبِ طَاهِرَةٍ . وَكَمَا
 يُقَالُ لِلرَّجُلِ : هُوَ عَدْلٌ زَكِيٌّ . بِذَلِكَ الْمَعْنَى .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَهَذَا الْوَجْهُ أَعْجَبُ إِلَيَّ فِي تَأْوِيلِ زَكَاةِ الْمَالِ مِنَ الْوَجْهِ الْأَوَّلِ ،

(١) جدود : حظوظ . اللسان (ج د د) .

(٢) تعتلج : تتصارع . اللسان (ع ل ج) .

(٣ - ٣) - مقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ .

(٤) هو هريم بن جواس التميمي ، والرجز بروايات مختلفة في الأغاني ٣٠ / ٢١ ، وطبقات فحول الشعراء

٧٣٩ / ٢ ، ومعجم الشعراء ص ٤٧٣ .

(٥) في النسخ : « السلي » . والصواب ما أثبتناه . والسلاء : جمع سلاءة وهو شوك النخل . اللسان

(س ل أ) . وينظر تعليق الشيخ شاکر .

وإن كان الوجه الأول مقولاً^(١) في تأويلها . وإيتاؤها : إعطاؤها أهلها .

وأما الركوع ، فهو الخضوع لله جل ثناؤه بالطاعة ، يقال منه : ركع فلان لكذا وكذا إذا خضع له . ومنه قول الشاعر^(٢) :

يَبِعتُ بِكَشِيرٍ لَيْثِيٍّ وَاسْتَعَاثَ بِهَا مِنْ الْهَزَالِ أَبُوهَا بَعْدَ مَا رَكَعَا
يعنى : بعد ما خضع من شدة الحاجة والجهْد .

وهذا أمرٌ من الله تعالى ذكره لمن ذكر من أحبارِ بنى إسرائيل ومُنافقيها - بالإِنيابة^(٣) والتوبة إليه ، وإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والدخول مع المسلمين فى الإسلام ، والخضوع له بالطاعة ، ونَهَى منه لهم عن كِثْمَانٍ ما قد عِلِمُوا مِنْ نَبْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ تَظَاهُرِ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ ، مما قد وَصَفْنَا قَبْلُ فيما مَضَى مِنْ كِتَابِنَا هَذَا ، وَبَعْدَ الإِغْذَارِ إِلَيْهِمْ وَالْإِنْذَارِ ، وَبَعْدَ تَذْكِيرِهِمْ نِعْمَهُ إِلَيْهِمْ وَإِلَى أَسْلَافِهِمْ ؛ تَعَطُّفاً مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَإِبْلَاغاً إِلَيْهِمْ فِي الْمَغْذِرَةِ .

/القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ . ٢٥٨/١

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « البر » الذى كان المخاطبون بهذه الآية يأْمُرُونَ النَّاسَ به ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ ، بعد إجماع جميعهم على أن كل طاعة لله فهى تُسَمَّى بِرًّا .

فروى عن ابن عباس ما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبّير ، عن ابن

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ، س : « مقبولا » .

(٢) هو عصام بن عبيد الزمانى . والبيت فى الوحشيات لأبى تمام ص ٨٦ ، والحيوان للجاحظ ٤ / ٢٨١ ، والشرط الأول فيهما : بيعت بوكس قليل فاستقل بها

(٣) فى م : « بالإبانة » .

عباس : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [٧٦/٢ ط] وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ . أى : تَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ الْكُفْرِ بِمَا عِنْدَكُمْ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْعَهْدِ مِنَ التَّوْرَةِ ، وَتَتْرَكُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِمَا فِيهَا مِنْ عَهْدِي إِلَيْكُمْ فِي تَصْدِيقِ رَسُولِي ، وَتَنْقُضُونَ مِيثَاقِي ، وَتَجْحَدُونَ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ كِتَابِي ^(١) .

وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ . يَقُولُ : أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْدُّخُولِ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أُمِرْتُمْ بِهِ مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ ^(٢) وَإِتْيَاءِ الزَّكَاةِ ^(٣) ، ﴿ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ . قَالَ : كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَهُمْ يَعْصُونَهُ ^(٥) .

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ . قَالَ : كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَبِتَقْوَاهُ وَبِالْبِرِّ وَيُخَالِفُونَ ، فَعَيَّرَهُمُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ ^(٥) .

وَحَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُجَّاجُ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ : أَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُنافِقُونَ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٠١ ، ١٠٢ (٤٧٣ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩) من طريق سلمة به .

(٢ - ٣) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٦٤ إلى المصنف ، وسيأتي تمامه في ص ٦١٦ ، ٦١٧ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٧٨) من طريق عمرو به .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٤ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٠١ (٤٧٧) عن الحسن بن يحيى به .

بالصوم والصلاة ، وَيَدْعُونَ الْعَمَلَ بِمَا يَأْمُرُونَ بِهِ النَّاسَ ، فَعَيَّرَهُمُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ بِذَلِكَ ، فَمَنْ أَمَرَ بِخَيْرٍ فَلْيَكُنْ أَشَدَّ النَّاسِ فِيهِ مُسَارَعَةً^(١) .

وقال آخرون بما حَدَّثَنِي بِهِ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زَيْدٍ : هؤلاء اليهودُ كان إذا جاء الرجلُ يَسْأَلُهُمْ ما ليس فيه حقٌّ ولا رِشوةٌ ولا شيءٌ ، أَمَرُوهُ بِالْحَقِّ ، فقال اللهُ جَلَّ ثَنَاهُ لَهُمْ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(٢) .

وحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قال : حَدَّثَنَا مُسْلِمُ الْجَزَمِيُّ ، قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، عن أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ ، عن أَبِي قَلَابَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ . قال : قال أَبُو الدَّرْدَاءِ : لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفَقْهِ حَتَّى يَمُتَ النَّاسَ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، ثُمَّ يَرْجِعَ إِلَى نَفْسِهِ فَيَكُونَ لَهَا أَشَدَّ مَقْتًا^(٣) .

/ قال أبو جعفرٍ : وَجَمِيعُ الَّذِي قَالَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ مُتْقَارِبُ ٢٥٩/١
المعنى ؛ لأنهم وإن اختلفوا في صفة « البرِّ » الذي كان القومُ يَأْمُرُونَ بِهِ غَيْرَهُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ ، فَهُمْ مُتَّفِقُونَ فِي أَنَّهُمْ [٧٧/٢] كانوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِمَا لِلَّهِ فِيهِ رِضًا مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُخَالِفُونَ مَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ بِأَفْعَالِهِمْ .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٢١/١ عن ابن جريج .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٢١/١ عن ابن زيد .

(٣) أخرجه معمر في جامعه (٢٠٤٧٣) ، وابن أبي شيبة ٣٠٦/١٣ ، والخطابي في العزلة ص ٨٢ ، وأبو نعيم في الحلية ١/٢١١ ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦١٩) من طريق أيوب به بنحوه . وزاد معمر في أوله : لَا تَفْقَهُ كُلَّ الْفَقْهِ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وَجْهًا كَثِيرًا . وأبو قلابة لم يدرك أبا الدرداء ، قال الحافظ في الفتح ٣٨٣/١٣ : رجاله ثقات إلا أنه منقطع .

فالتأويل الذى يَدُلُّ على صحته ظاهرُ التلاوة إذن : أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَتَنْتَرِكُونَ أَنْفُسَكُمْ تَغْصِيهِ ؟ فهلاً تأمرونها بما تأمرون به الناس من طاعة ربكم جلَّ وعز ؟ مُعَيَّرَهُم بِذَلِكَ وَمَقْبَحًا 'لَهُمْ قَبِيحٌ' مَا أَتَوْا بِهِ ^(١) .

ومعنى نسيانهم أنفسهم فى هذا الموضع نظيرُ النسيانِ الذى قال جل ثناؤه : ﴿سُئِلُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة : ٦٧] . بمعنى : تركوا طاعة الله فتركهم الله من ثوابه .
القول فى تأويل قوله جلَّ وعزَّ : ﴿تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ .

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : ﴿تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ : تَدْرُسُونَ وَتَقْرَأُونَ .
كما حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدثنا بشرٌ ، عن أبى رَزْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ . يقول : تَدْرُسُونَ الْكِتَابَ بِذَلِكَ ^(٣) .

ويعنى بـ ﴿الْكِتَابَ﴾ : التَّوْرَةَ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ : أَفَلَا تَفْقَهُونَ وَتَفْهَمُونَ قُبْحَ مَا تَأْتُونَ مِنْ مَعْصِيَتِكُمْ رَبَّكُمْ الَّتِي تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِخِلَافِهَا وَتَنْهَوْنَهُمْ عَنْ رُكُوبِهَا ، وَأَنْتُمْ رَاكِبُوهَا ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ فِي اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ ، مِثْلُ الَّذِي عَلَى مَنْ تَأْمُرُونَهُ بِاتِّبَاعِهِ .

كما حدثنا به محمدُ بنُ العلاءِ ، قال : حدثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدثنا

(١ - ١) فى الأصل : «لهم قبح» ، وفى م : «إليهم» .

(٢) فى ص : «منه» .

(٣) تقدم أوله فى ص ٦١٤ .

بشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عن أَبِي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابن عباس : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .
يقول : أفلا تفقهون . فنهاهم عن هذا الخلقِ القبيح ^(١) .

وهذا يدلُّ على صحة ما قلنا من أمرِ أخبارِ يهودِ بنى إسرائيلِ غيرهم باتباعِ محمدٍ ﷺ ، وأنهم كانوا يقولون : هو مبعوثٌ إلى غيرنا . كما ذكرنا قبل .

القولُ فى تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ .

قال أبو جعفر : [٧٧ / ٢] يعنى بقوله تعالى ذكره : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ﴾ :
واستعينوا على الوفاءِ بعهدى الذى عاهدتمونى فى كتابكم - من طاعتى واتباعِ
أمرى ، وتركِ ما تهوؤنه من الرِّياسَةِ وحبِّ الدنيا ، إلى ما تكرهونه من التسليمِ
لأمرى ، واتباعِ رسولى محمدٍ ﷺ - بالصبرِ عليه والصلاةِ .

وقد قيل : إن معنى الصبرِ فى هذا الموضعِ الصومُ ، والصومُ بعضُ معانى
الصبرِ ^(٢) عندنا ، بل تأويلُ ^(٣) ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره أمرهم بالصبرِ على كُلِّ ما
كرهته نفوسهم من طاعةِ الله وتركِ معاصيه .

وأصلُ الصبرِ منعُ النفسِ محابَّتها وكفُّها عن هواها ؛ ولذلك قيل للصَّابِرِ على
المصيبةِ : صابرٌ ، لكفِّه نفسه عن / الجزعِ . وقيل لشهرِ رمضانَ : شهرُ الصَّبرِ ، لصبرِ
صائميهِ عن المطاعِمِ والمشارِبِ نهارًا . وصبرُهُ إياهم عن ذلك : حبسُهُ لهم وكفُّه
إياهم عنه ، كما تصبرُ الرجلُ المسىءُ للقتلِ ، فتَحْبِسُهُ عليه حتى تَقْتُلَهُ ، ولذلك قيل :
قتل فلانٌ فلانًا صَبْرًا . يعنى به : حبسه عليه حتى قتله ، فالمقتولُ مُصْبِرٌ ، والقاتلُ صابرٌ .
وأما الصلاةُ فقد ذكرنا معناها فيما مضى ^(٣) .

(١) تقدم أوله فى ص ٦١٤ .

(٢) (٢ - ٢) فى ص : « عند تأويل من تأول » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

فإن قال قائل : قد علمنا معنى الأمر بالاستعانة بالصبر على الوفاء بالعهد والمحافظة على الطاعة ، فما معنى الأمر بالاستعانة بالصلاة على طاعة الله وترك معاصيه ، والتعزّي عن الرياسة وترك الدنيا ؟

قيل : إن الصلاة فيها تلاوة كتاب الله جل ثناؤه ، الداعية آياته إلى رفض الدنيا ، وهجر نعيمها ، المسلية النفوس عن زينتها وغرورها ، المذكّرة الآخرة وما أعد الله فيها لأهلها ، ففي الاعتبار بها المعونة لأهل طاعة الله جلّ جلاله على الجِدِّ فيها ، كما روى عن نبينا ﷺ أنه كان إذا حزبه أمرٌ ^(١) فرع إلى الصلاة .

حدّثني بذلك إسماعيل بن موسى الفزاري ، قال : أخبرنا الحسين ^(٢) بن زياد ^(٣) الهمداني ، ^(٤) عن ابن جريج ، عن عكرمة بن عمار ، عن محمد بن غنيد بن أبي قدامة ، عن عبد العزيز بن يمان ، عن حذيفة ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمرٌ فرع إلى الصلاة ^(٥) .

(١) حزبه أمر : أي إذا نزل به مُهِمٌّ أو أصابه غم . النهاية ٣٧٧/١ .

(٢) كذا في النسخ ، والصواب : الحسن . كما في الثقات ١٦٨/٨ والمصادر ، ولعله : الحسن بن زياد اللؤلؤي ، وهو ضعيف ، والله أعلم .

(٣) سقط من : ر ، وفي م : « رفاق » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، وفي م ، ر : « عن ابن جرير » .

(٥) إسناده ضعيف ؛ عبد العزيز بن يمان مجهول . وأخرجه ابن قانع في معجمه ١٨٩/٢ عن العنزي - هو الحسن بن عليل - عن إسماعيل به . وأخرجه ابن قانع أيضا ، وابن منده - كما في أسد الغابة ٣/٥٠٦ ، ٥٠٧ - من طريق عمر بن إبراهيم ومحمد بن إسحاق الثقفي ، عن إسماعيل به ، ولم يذكر في إسناده حذيفة . وهكذا ذكره ابن حبان في الثقات ١٦٨/٨ ، والمزي في التحفة ٥٠/٣ . ووقع في أسد الغابة ، والتحفة : محمد بن عبد الله بن أبي قدامة . وينظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند ٥٧/١٠ (٦٥٤٨) .

وأخرجه البخاري في الكبير ١٧٢/١ معلقا عن النضر بن محمد الجرشي ، عن عكرمة به موصولا .

وحدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثنا خلف بن الوليد الأزدي ، قال :
حدثنا يحيى بن زكريا ، عن عكرمة بن عمار ، عن محمد بن عبد الله الدؤلجي ، قال :
قال عبد العزيز أخو حذيفة : قال حذيفة : كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر
صلى^(١) .

وكذلك روى عنه [٧٨ / ٢] أنه رأى أبا هريرة منبطحا على بطنه فقال له :
« اشكنب دزد »^(٢) . قال : نعم . قال : « قُمْ فَصَلْ فَإِنَّ فِي الصَّلَاةِ شِفَاءً »^(٣) .

(١) أخرجه أحمد ٣٨٨/٥ (الميمنة) عن خلف بن الوليد به . وأخرجه أحمد - أيضا - وأبو داود
(١٣١٩) ، والخطيب ٢٧٤/٦ من طريق يحيى بن زكريا بن أبي زائدة به . ووقع عند أبي داود : ابن أخي
حذيفة .

وأخرجه ابن قانع في معجمه ١٨٩/٢ ، وأبو نعيم - كما في أسد الغابة ٥٠٧/٣ - من طريق سريج بن
يونس ، عن ابن أبي زائدة به ، ولم يذكر في إسناده حذيفة . وهكذا ذكره المزي في التحفة ٥٠ / ٣ . ووقع في أسد
الغابة : ابن أخي حذيفة . وصوبه أبو نعيم ، والحافظ في الإصابة ٢٥٠ / ٥ .

والصواب أنه أخو حذيفة . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبي إسحاق الحويني ٣٥٦ / ٢ .
(٢) في الأصل : « اشتكيت ذرنا » . وفي المسند : « اشكنب دزد » وفي سنن ابن ماجه : « اشكمت دزد » ،
وفي التاريخ الصغير : « أشكم دزد » . وهي كلمة فارسية تعني : أتشتكي بطنك ؟ ينظر الذيل على النهاية
ص ٢٧٤ ، والمعجم الذهبي ص ٣٧٥ ، وفيه « شكمت دزد : مقص » .

(٣) حديث منكر ، والصواب أنه موقوف . وأخرجه أحمد ٢٨ / ١٥ ، ٢٩ ، ١٣١ (٩٠٦٦ ، ٩٢٤٠) ، وابن
ماجه (٣٤٥٨) ، والعقيلي ٤٨ / ٢ ، وابن عدى في الكامل ٩٨٥ / ٣ ، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص
٢٧٥ ، وابن شاهين في الجزء الخامس من الأفراد (٦٥) ، وتمام في الفوائد (١١٤٣) - الروض البسام ، وابن
الجوزي في العلل المتناهية ١ / ١٧٠ ، ١٧١ ، وغيرهم من طريق ذؤاد بن غلبة ، عن ليث بن أبي سليم ، عن
مجاهد ، عن أبي هريرة ، مرفوعا . وذؤاد ضعيف ، وقال ابن حبان : منكر الحديث جدا .

ورواه الصلت بن الحجاج عن ليث مثل رواية ذؤاد بن غلبة . أخرجه أبو الشيخ ص ٢٧٦ ، وابن عدى
١٤٠٠ / ٤ ، وابن الجوزي ١ / ١٧١ .

وقال ابن عدى : هذا معروف بذؤاد بن غلبة عن ليث ، أسنده ، وغيره أوقفه على أبي هريرة . وهذا الصلت بن
الحجاج رواه أيضا كما رواه ذؤاد مرفوعا ... والصلت في بعض أحاديثه ما ينكر عليه ، بل عامته كذلك .
وقال ابن الجوزي : ولعله أخذه من ذؤاد ... وقد روى هذا الحديث عن أبي هريرة موقوفا ، وهو أصح .
والموقوف أخرجه البخاري في الصغير ٢ / ٢٣٥ - وعنه العقيلي ، وابن عدى ، وابن الجوزي ١ / ١٧٢ =

فَأَمَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّذِينَ وَصَفَ أَمْرَهُمْ مِنْ أَخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَجْعَلُوا مَفْزَعَهُمْ - فِي الْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللَّهِ الَّذِي عَاهَدُوهُ - إِلَى الْاسْتِعَانَةِ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ كَمَا أَمَرَ نَبِيُّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ : ﴿ فَأَصْبِرْ ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ [طه : ١٣٠] . فَأَمَرَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي نَوَائِبِهِ بِالْفَزَعِ إِلَى الصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ .

وقد حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ وَيَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَا : حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُثَيْمَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ نَعَى إِلَيْهِ أَخُوهُ قُتَيْبٌ وَهُوَ فِي سَفَرٍ ، فَاسْتَرْجَعَ ثُمَّ تَنَحَّى عَنِ الطَّرِيقِ ، فَأَنَاحَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، أَطَالَ فِيهِمَا الْجُلُوسَ ، ثُمَّ قَامَ يَمْشِي إِلَى رَاحِلَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ ^(١) .

وَأَمَّا أَبُو الْعَالِيَةِ فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

= عَنْ ابْنِ الْأَصْبَهَانِيِّ ، عَنْ الْحَارِثِيِّ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، مَوْقُوفًا .

وَقَالَ ابْنُ الْأَصْبَهَانِيِّ : رَفَعَهُ ذَوَادٌ ، وَلَيْسَ لَهُ أَصْلٌ ، أَبُو هُرَيْرَةَ لَمْ يَكُنْ فَارِسِيًّا ، إِنَّمَا مُجَاهِدٌ فَارِسِيٌّ . وَأَخْرَجَهُ الْعَقِيلِيُّ ، وَابْنُ عَدَى - أَيْضًا - مِنْ طَرِيقَيْنِ آخَرَيْنِ عَنْ لَيْثٍ بِهِ مَوْقُوفًا . وَلَيْثٌ ضَعِيفٌ . وَيَنْظُرُ التَّحْدِيثُ بِمَا قِيلَ : لَا يَصِحُّ فِيهِ حَدِيثٌ ص ١٣٩ .

(١) أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سَنَنِهِ (٢٣١ - تَفْسِيرٌ) - وَمِنْ طَرِيقَةِ الْبَيْهَقِيِّ فِي الشَّعْبِ (٩٦٨٢) - عَنْ ابْنِ عَلِيٍّ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٦٨/١ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

وَأَخْرَجَهُ سَعِيدٌ أَيْضًا (١٨٩ ، ٢٣٢) عَنْ هَشِيمٍ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَفِيهِ : نَعَى إِلَيْهِ ابْنُ لَهُ .

وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْكَبِيرِ ١٥٦/٣ مِنْ طَرِيقِ هَشِيمٍ بِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ أَصَابَتْهُ مَصِيبَةٌ فَصَلَّى . وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ ٢/٢٦٩ ، ٢٧٠ - وَعَنْهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ (٩٦٨١) - مِنْ طَرِيقِ هَشِيمٍ ، عَنْ خَالِدٍ ، عَنْ زَيْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ جَاءَهُ نَعَى بَعْضِ أَهْلِهِ .

وَالصَّلَاةَ ﴿١﴾ . قال : يَقُولُ : اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُمَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ ^(١) .

/ وقال ابنُ جُرَيْجٍ بما حَدَّثَنَا بِهِ الْقَاسِمُ ، قال : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قال : حَدَّثَنِي ٢٦١/١ حجاج ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ . قال : إِنَّهُمَا مَعُونَتَانِ عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ ^(٢) .

وَحَدَّثَنِي يُوسُفُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ الْآيَةَ . قال : قال الْمُشَرِّكونَ : وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ لَتَدْعُونَا إِلَى أَمْرٍ كَبِيرٍ . قال : إِلَى الصَّلَاةِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ^(٣) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ ^(٤) . قال أبو جعفرٍ : يَعْنِي جَلَّ وَعَزَّ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ : وَإِنَّ الصَّلَاةَ . وَالْهَاءُ وَالْأَلْفُ فِي ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ عَائِدَتَانِ عَلَى الصَّلَاةِ .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ . بِمَعْنَى : إِنَّ إِجَابَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ . وَلَمْ [٧٨ / ٢] يَجْرَ لَذَلِكَ بَلْفِظِ الْإِجَابَةِ ذِكْرٌ فَتُجْعَلَ الْهَاءُ وَالْأَلْفُ كَنَاءَةً عَنْهُ ، وَغَيْرُ جَائِزٍ تَرْكُ الظَّاهِرِ الْمَفْهُومِ مِنَ الْكَلَامِ إِلَى بَاطِنٍ لَا دَلَالََةَ عَلَى صَحَّتِهِ .

وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ لَكَبِيرَةٌ ﴾ : لَشَدِيدَةٌ ثَقِيلَةٌ .

كَمَا حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قال : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ ^(٤) ، قال : أَخْبَرَنَا

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٠٢/١ (٤٨١) مِنْ طَرِيقِ آدَمَ بِهِ .

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٤/١ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ .

(٣) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْثَوْر ٦٨/١ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

(٤) فِي م : « ابْنُ زَيْدٍ » .

جُوَيْرٍ، عن الضحاك في قوله: ﴿وَإِنَّمَا لَكِبْرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ . قال : إنها لثَقِيلَةٌ^(١) .

ويعنى بقوله : ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ : إلا على الخاضعين لطاعته ، الخائفين سَطَوَاتِهِ ، الْمُصَدِّقِينَ بوعده ووعيده .

كما حَدَّثَنِي المثنى بن إبراهيم ، قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قال : حَدَّثَنِي معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عن عليِّ بن أبي طَلْحَةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ : يعنى الْمُصَدِّقِينَ بما أنزل الله^(٢) .

وحدَّثَنِي المثنى ، قال : حَدَّثَنَا آدَمُ الْعَسْقَلَانِيُّ ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ : يعنى الخائفين^(٣) .

وحدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو^(٤) قال : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قال : حَدَّثَنَا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ^(٥) ، عن مُجَاهِدٍ : ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ . قال : المؤمنين حَقًّا^(٦) .

وحدَّثَنِي المثنى ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو حذيفة ، قال : حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ مثله .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٣/١ (٤٨٧) معلقا عن يزيد به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٣/١ (٤٨٩) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٣/١ (٤٩١) من طريق آدم به .

(٤) في م : « جعفر » .

(٥ - ٥) في م : « سفيان عن جابر » .

(٦) تفسير مجاهد ص ٢٠١ ، ومن طريقه عبد بن حميد - كما في تغليق التعليق ١٧٢/٤ - وابن أبي حاتم

في تفسيره ١٠٣/١ (٤٩٠) وينظر تفسير الثوري ص ٤٥ .

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ :
الْخُشُوعُ الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ خَشِعِينَ مِنْ
الَّذِلِّ ﴾ [الشورى : ٤٥] . قَالَ : قَدْ أَذْلَهُمُ الْخَوْفُ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ وَخَشَعُوا لَهُ .

وَأَصْلُ الْخُشُوعِ التَّوَاضُّعُ وَالتَّذَلُّلُ وَالِاسْتِكَانَةُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ ^(١) :
لَمَّا أَتَى خَبِيرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ
يَعْنَى : وَالْجِبَالُ خُشَعَتْ مُتَذَلِّلَةً لِعَظَمِ الْمُصِيبَةِ بِفَقْدِهِ .

فَمَعْنَى الْآيَةِ : وَاسْتَغْنَوْا أَيُّهَا الْأَحْبَارُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِحَبْسِ أَنْفُسِكُمْ عَلَى
طَاعَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، وَكَفِّهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ الْمَانِعَةِ مِنَ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ ، الْمُقَرَّبَةِ مِنْ رِضَا اللَّهِ ، الْعَظِيمَةِ إِقَامَتِهَا إِلَّا عَلَى الْمُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ الْمُشْتَكَينَ
لِطَاعَتِهِ الْمُتَذَلِّلِينَ مِنْ مَخَافَتِهِ .

٢٦٢/١

/ الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ الَّذِينَ يُظُنُّونَ ﴾ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : إِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : وَكَيْفَ أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ عَمَّنْ قَدْ
وَصَفَهُ [٧٩/٢] بِالْخُشُوعِ لَهُ بِالطَّاعَةِ أَنَّهُ يُظُنُّ أَنَّهُ مُلَاقِيهِ ، وَالظُّنُّ شَكٌّ ، وَالشَّكُّ فِي
لِقَاءِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِنْدَكَ بِاللَّهِ كَافِرٌ ؟

قِيلَ : إِنْ الْعَرَبُ قَدْ تُسَمَّى الْيَقِينَ ظَنًّا ، وَالشَّكُّ ظَنًّا ، نَظِيرَ تَسْمِيَتِهِمُ الظُّلْمَةَ
سُدْفَةً ، وَالضِّيَاءَ سُدْفَةً ، وَالْمُغِيثَ صَارِخًا ، وَالْمُسْتَغِيثَ صَارِخًا ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ
الْأَسْمَاءِ الَّتِي تُسَمَّى بِهَا الشَّيْءُ وَضَدُّهُ ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُسَمَّى بِهِ الْيَقِينُ ، قَوْلُ دُرَيْدٍ
ابْنِ الصُّعَّةِ ^(٢) :

(١) هُوَ جَرِيرٌ ، وَابْيَتَ فِي دِيْوَانِهِ ٩١٣/٢ .

(٢) الْأَصْمَعِيَّاتُ ص ١٠٧ ، وَشَرَحَ دِيْوَانَ الْحَمَاسَةِ ٨١٢/٢ .

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِالْفَنَى مُدْجِجٍ سَرَاتِهِمْ^(١) فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ^(٢)
يعنى بذلك : تَيَقَّنُوا الْفَنَى مُدْجِجٍ تَأْتِيكُمْ .
وقولُ عَمِيرَةَ بْنِ طَارِقٍ^(٣) :

بَأَنْ تَغْتَرَّزُوا^(٤) قَوْمِي وَأَقْعَدَ فِيكُمْ وَأَجْعَلَ مِنَ الظَّنِّ غَيِّبًا مُرْجَمًا
يعنى : وَأَجْعَلَ مِنَ الْيَقِينِ غَيِّبًا مُرْجَمًا .

والشواهدُ مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَكَلَامِهَا عَلَى أَنَّ الظَّنَّ فِي مَعْنَى الْيَقِينِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُخْصَى ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا لَمْ نُقِفْ لِفَهْمِهِ كِفَايَةً .

ومنه قولُ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف : ٥٣] . وبمثلِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ جَاءَ تَفْسِيرُ الْمُفَسِّرِينَ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ ،
عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُفُوا رَبِّهِمْ ﴾ . قَالَ : الظَّنُّ هَهُنَا يَقِينٌ^(٥) .
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ

(١) السراة : جمع سرى ، والسرى الرئيس ، وهو جمع عزيز لا يكاد يوجد له نظير ؛ لأنه لا يجمع فعيل على فعلة . (المصباح (س ر ي) .

(٢) المُسَرَّد : اسم جامع للدروع وسائر الخلق ، والمسرود : تداخل الخلق بعضها في بعض . اللسان (س ر د) .

(٣) الأضداد لابن الأنباري ص ١٤ ، والنقائض ٥٣ / ١ ، ٧٨٥ / ٢ .

(٤) في الأصل : « تعتزوا » ، وفي م : « يعتزوا » ، وفي ت ١ ، ت ٢ : « تعبروا » . وغير منقوطة في ص والثابت من مصادر التخريج .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٩٣) من طريق آدم به .

جابر، عن مجاهد، قال : كلُّ ظنٍّ في القرآن يقينٌ ، ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ ﴾ [الحاقة : ٢٠] ،
و﴿ ظَنُّوْا ﴾^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاق ، قال : حدَّثنا أبو داودَ الحَفَرِيُّ ، عن
سفيانَ ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : كلُّ ظنٍّ في القرآن فهو عِلْمٌ^(٢) .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ،
عن السُّدِّيِّ : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ ﴾ : أَمَّا ﴿ يَظُنُّونَ ﴾ فَيَسْتَيَقِنُونَ^(٣) .

حدَّثني القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجُ ، قال : قال ابنُ
جريرٍ : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ ﴾ : عَلِمُوا أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ . قال : هي
كقوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴾ . يقولُ : عَلِمْتُ^(٤) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِ الله :
﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ ﴾ . قال : لأنهم لم يُعَايِنُوا ، فكان ظَنُّهم يَقِينًا ،
وليس ظَنًّا في شكٍّ . [٧٩/٢ ط] وقرأ : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴾ .

٢٦٣/١

/ القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ مُلْقُوا رَبِّهِمْ ﴾ . فأُضِيفَ
المُلاقون إلى الربِّ جلَّ وعزَّ ، وقد عَلِمْتُ أن معناه : الذين يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ ؟
وإذا كان المعنى كذلك ، فَمِنْ كلامِ العربِ تركُ الإضافةِ وإثباتُ النونِ ، وإنما تُسْقِطُ

(١) ذكره ابن كثير في التفسير ١٢٥/١ عن المصنف .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٢٦/١ عن المصنف . وقال ابن كثير : وهذا سند صحيح . وأخرجه الثوري
في تفسيره ص ٤٥ ، قال : قال مجاهد ...

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٤/١ عقب الأثر (٤٩٤) من طريق عمرو به .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٢٦/١ عن ابن جرير . (تفسير الطبري ٤٠/١)

النون وتُضَيَّفُ في الأسماءِ المَبْنِيَّةِ مِنَ الأفعالِ إذا كانت بمعنى «فَعَلَ» ، فأما إذا كانت بمعنى «يَفْعَلُ» ، و«فَاعِلُ» ، فشأنها إثباتُ النونِ وتركُ الإضافةِ .

قيل : لا تَدْفَعُ بَيْنَ جميعِ أهلِ المعرفةِ بلغاتِ العربِ وألسنها في إجازةِ إضافةِ الاسمِ المَبْنِيِّ من «فَعَلَ» و«يَفْعَلُ» ، وإسقاطِ النونِ ، وهو بمعنى «يَفْعَلُ» ، و«فَاعِلُ» - أغنى بمعنى الاستيقبالِ وحالِ الفعلِ - ولما يَنْقُضُ ، فلا وجهَ لمسألةِ السائلِ عن ذلك لم قيل . وإنما اِخْتَلَفَ أهلُ العربيةِ في السببِ الذي من أجله أُضِيْفَ وأُسْقِطَتِ النونُ ؛ فقال نحوِيُّو البصرةِ : أُسْقِطَتِ النونُ مِنْ ﴿مَلِكُوا رَبَّهُمْ﴾ وما أَشَبَّهُه مِنَ الأفعالِ التي في لفظِ الأسماءِ ، وهي في معنى «يَفْعَلُ» ، أو في ^(١) معنى ما لم يَنْقُضِ ^(٢) من الفعلِ ^(٣) ، استيقبالاً لها ، وهي مُرادَةٌ ، كما قال جل ثناؤه : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] . وكما قال : ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا السَّاعَةِ وَنَنَّا لَهُمْ﴾ [القمر : ٢٧] . ولما يُوسِّلُها بعدُ ، وكما قال الشاعرُ ^(٤) :

هل أنتَ باعثُ دينارٍ لحاجتنا أو عبدَ ربِّ أخا عَوْنِ بنِ مِخْرَاقِ
فأضاف «باعثُ» ^(٥) إلى «الدينارِ» ولما يَنْعَثُ ، ونَصَبَ «عبدَ ربِّ» عطفاً على موضعِ «دينارٍ» ؛ لأنه في معنى ^(٦) نصَبٍ وإن خُفِضَ ، وكما قال الآخرُ ^(٧) :
والحافظو عورةِ العشيرةِ لا يَأْتِيهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ نَطْفُ ^(٨)

(١) في ص ، ر ، م ، : «وفى» .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ر ، م .

(٣) الكتاب لسببويه ١/ ١٧١ ، وذكر الاختلاف في نسبته في الخزانة ومما قيل : إنه مصنوع . ثم قال : والله أعلم بالحال . الخزانة ٨/ ٢١٩ .

(٤) في الأصل ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ : «باعثاً» .

(٥) في م : «موضع» .

(٦) الكتاب ١/ ١٨٦ ، وينظر الخلاف في نسبته في الخزانة ٤/ ٢٨٣ .

(٧) النطف : العيب والشر والفساد . القاموس المحيط (ن ط ف) .

ينصب « العورة » وخفضها ، فالحفضُ على الإضافة ، والنصبُ على حذف النون استئثقالاً وهي مُرادَةٌ . وهذا قولٌ نحوئِي البصرة .

وأما نحوئِي الكوفة فإنهم قالوا : جائزٌ في ﴿مُلْتَقُوا رَبَّهُمْ﴾ الإضافة ، وهو في معنى « يَلْقَوْنَ » ، وإسقاطُ النونِ منه ؛ لأنه في لفظِ الأسماءِ ، فله في الإضافة إلى الأسماءِ حظُّ الأسماءِ ، وكذلك حكمُ [٢/ ٨٠] كلِّ اسمٍ كان له نظيراً . قالوا : وإذا أُثبتت في شيءٍ من ذلك النونُ وتُركت الإضافة ، فإنما تفعلُ ذلك به لأن له معنى « يفعل » الذي لم يكن ولم يجب بعدُ . قالوا : فالإضافة فيه للفظ ، وتركُ الإضافة للمعنى .

فتأويلُ الآيةِ إذن : واستعينوا على الوفاءِ بعَهْدِي بالصبرِ عليه والصلاة ، وإن الصلاةَ لكبيرةٌ إلا على الخائفينِ عقابي ، المتواضعينِ لأمرِي ، الموقنينِ بِلِقائِي والرجوعِ إلَيَّ بعدَ مماتهم .

وإنما أخبرَ اللهُ جل ثناؤه أن الصلاةَ كبيرةٌ إلا على مَنْ هذه صفته ؛ لأن مَنْ كان غيرَ موقنٍ بمَعَادٍ ، ولا مُصدِّقٍ بمَزْجِعٍ ولا ثوابٍ ولا عقابٍ ، فالصلاةُ عنده عناءٌ وضلالٌ ؛ لأنه لا يَرجو بإقامتها إدراكَ نفعٍ ، ولا دفعَ ضرٍّ ، وحَقٌّ لَمَن كانت هذه الصفةُ صفته أن تكونَ الصلاةُ عليه كبيرةً ، وإقامتها عليه ثقيلةً ، وله فادحةٌ .

وإنما خُفَّت على المؤمنينِ المُصدِّقين بِلِقَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، الراجينِ عليها جزيلَ ثوابِهِ ، الخائفينِ بتَضْييعِهَا أَلِيمَ عقابِهِ ، لِمَا يَرجونَ بإقامتها في معادِهِم مِنَ الوصولِ إلى ما وَعَدَ اللَّهُ عليها أهلَهَا ، وَلِمَا يَحْذَرُونَ بتَضْييعِهَا / ما أُوْعِدَ مُضْيِيعِهَا . فَأَمَرَ اللَّهُ ٢٦٤/١ تعالى ذكره أحبارَ بنِي إِسْرَائِيلَ الذين خاطبهم بهذه الآياتِ أن يكونوا مِن مُقيمِهَا ، الراجينِ ثوابَهَا ، إذا كانوا أهلَ يقينٍ أَنهم إلى اللَّهِ جَلَّ وعزٌّ راجِعونَ ، وإياه في القيامةِ مُلاقونَ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

قال أبو جعفر : والهاء والميم اللتان في قوله : ﴿ وَأَنَّهُمْ ﴾ من ذكر الخاشعين ، والهاء التي في ﴿ إِلَيْهِ ﴾ من ذكر الرب جل وعز في قوله : ﴿ مُلَاقُوا رَبَّهُمْ ﴾ فتأويل الكلمة : وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الموقنين أنهم إلى ربهم راجعون .

ثم اختلف في تأويل « الرجوع » الذي في قوله : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ؛ فقال بعضهم بما حدثني به المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ . قال : يَسْتَقِيقُونَ أنهم يَرْجِعُونَ إليه يوم القيامة ^(١) .

[٢ / ٨٠ ظ] وقال آخرون : معنى ذلك أنهم إليه يَرْجِعُونَ بموتهم .

وأولى التأويلين بالآية القول الذي قاله أبو العالية ؛ لأن الله جل ثناؤه قال في الآية التي قبلها : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨] . فأخبر جل ثناؤه أن مَرْجِعَهُمْ إليه بعد نَشْرِهِمْ وإحيائِهِمْ مِنْ مَمَاتِهِمْ ، وذلك لاشك يوم القيامة ، فكذاك تأويل قوله : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ .

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك في هذه الآية نظير تأويله في التي قبلها في قوله : ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ يَهْدِيكُمْ ﴾ . وقد ذكرته

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٤/١ (٤٩٥) من طريق آدم به .

هنالك^(١) .

القول في تأويل قوله جل وعز : ﴿وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ .

قال أبو جعفر : وهذا أيضًا مما ذكرهم الله جل جلاله من آلائه ونعمه عندهم .
ويعنى بقوله : ﴿وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ : أنى فضلتُ أسلافكم . فتسبب نعمه
على آبائهم وأسلافهم إلى أنها نعم من عليهم ؛ إذ كانت مآثر الآباء مآثر للأبناء ،
والنعم عند الآباء نعمًا عند الأبناء ؛ لكون الأبناء من الآباء . وأخرج جل ذكره قوله :
﴿وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ مُخْرِجَ الْعُموم وهو يُريدُ به خصوصًا ؛ لأن المعنى :
وأنى فضلتكم على عالم من كنتم بين ظهريه وفى زمانه .

كالذى حدثنا به محمد بن عبد الأعلى الصنعائى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ،
عن معمر ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ،
عن قتادة : ﴿وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قال : فضّلهم على عالم ذلك الزمان^(٢) .

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى
العالية : ﴿وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ . قال : بما أعطوا من الملك والرسل والكتب
على عالم من كان فى ذلك الزمان ، فإن لكل زمان عالمًا^(٣) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا [٨١ / ٢] أبو عاصم ، قال : حدثنا
عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : على من هم بين ظهرائيه^(٤) .

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٥٩٣ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١ / ٤٤ ، ٤٥ ، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ١ / ٦٨ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤٩٧) من طريق آدم به .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٠١ ، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ١ / ٦٨ إلى عبد بن حميد .

/ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ قَالَ : عَلَى مَنْ هُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ ^(١)

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ زَيْدٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ : عَالَمٍ ذَلِكَ الزَّمَانُ . وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الدخان : ٣٢] . قَالَ : هَذِهِ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ الْقِرَدَةُ ، وَهُمْ أَبْغَضُ خَلْقِهِ إِلَيْهِ . قَالَ : وَقَالَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] . قَالَ : هَذِهِ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ جَلَّ وَعَزَّ وَاجْتَنَّبَ مُحَارَمَهُ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالِدِ الدَّلِيلِ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنْ تَأْوِيلَ ذَلِكَ عَلَى الْخُصُوصِ الَّذِي وَصَفْنَا مَا حَدَّثَنِي بِهِ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ ، وَحَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ابْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، جَمِيعًا عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « أَلَا إِنَّكُمْ وَفَيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً » : قَالَ يَعْقُوبُ فِي حَدِيثِهِ : « أَنْتُمْ آخِرُهَا » . وَقَالَ الْحُسَيْنُ : « أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ » .

فَقَدْ أَتَبْنَا هَذَا الْخَبْرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكُونُوا مُفَضَّلِينَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَأَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَفَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الجمانية : ٢٦] . وَقَوْلِهِ : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ . عَلَى مَا يَبَيِّنُ مِنْ تَأْوِيلِهِ ، وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى بَيَانِ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ . بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَأَعْنَى ذَلِكَ عَنْ

(١) فِي الْأَصْلِ ، ص : « ظَهْرِيهِ » .

إِعَادَتِهِ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ .
وتأويلُ قوله : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ : واتَّقُوا يومًا لا
تَجْزِي فيه نفسٌ عن نفسٍ شيئًا . وجائزٌ أيضًا أن يكونَ تأويلُهُ : واتَّقُوا يومًا لا تَجْزِيهِ
نفسٌ عن نفسٍ شيئًا ، كما قال الراجزُ^(٢) :

قد صَبَّحْتُ صَبَّحَهَا السَّلامُ

بَكَيْدٍ خَالَطَهَا سَنَامُ

في ساعةٍ يُحِبُّهَا الطَّعامُ

وهو يعنى : يُحِبُّ فيها الطَّعامُ . فحُذِفَتْ [٨١ / ٢ ظ] الهاءُ الراجعةُ على
« اليومِ » ؛ إذ فيه اجتزاءٌ بما ظهرَ من قوله : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ ﴾ الدالُّ على
المحذوفِ منه - عما حُذِفَ ؛ إذ كان معلومًا معناه .

وقد زعم قومٌ من أهلِ العربيةِ أنه لا يجوزُ أن يكونَ المحذوفُ في هذا الموضعِ إلا
الهاءُ .

٢٦٦/١ وقال آخرون : لا يجوزُ أن يكونَ المحذوفُ إلا « فيه » .

وقد دلَّلنا فيما مضى على جوازِ حذفِ كلِّ ما دلَّ الظاهرُ^(٣) من الكلامِ^(٤)
عليه^(٤) .

(١) ينظر ما تقدم في ص ١٤٤ .

(٢) الرجز في الكامل للمبرد ٣٤ / ١ .

(٣ - ٣) سقط من : ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) ينظر ما تقدم في ص ١٣٩ .

وأما المعنى فى قوله : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ . فإنه تحذير من الله تعالى ذكره عباده الذين خاطبهم بهذه الآية ، عقوبته أن تحل بهم يوم القيامة ، وهو اليوم الذى لا تجزى فيه نفس عن نفس شيئاً ، ولا يجزى فيه والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً .

وأما تأويل قوله : ﴿ لَا تَجْزَى نَفْسٌ ﴾ . فإنه يعنى : لا تُغْنى .

كما حدثنى به موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ : أما ﴿ تَجْزَى ﴾ فتُغْنى ^(١) . وأصل الجزاء فى كلام العرب القضاء والتعويض ، يقال : جزيتك قرضه ودينه ، أجرته جزاء . بمعنى : قضيتك دينه . ومن ذلك قيل : جزى الله فلاناً عنى خيراً أو شراً . بمعنى : أثابه عنى ، وقضاه عنى ما لزمنى له بفعله الذى سلف منه إلى .

وقد قال قوم من أهل العلم بلغة العرب : يقال : أجزيت عنه كذا . إذا أعتته عليه ، وجزيت عنك فلاناً . إذا كافأته .

وقال آخرون منهم : بل : جزيت عنك : قضيت عنك ، وأجزيت : كفييت .

وقال آخرون منهم : بل هما بمعنى واحد ، يقال : جزت عنك شاة وأجزت ، وجزى عنك درهم وأجزى ، ولا تجزى عنك شاة ولا تجزى . بمعنى واحد . إلا أنهم ذكروا أن : جزت عنك ، ولا تجزى عنك ، من لغة أهل الحجاز ، وأن : أجزاً وتجزى ، من لغة غيرهم . وزعموا أن تميماً خاصة من بين قبائل العرب تقول : أجزأت عنك شاة ، وهى تجزى عنك .

وزعم آخرون أن « جزى » بلا همز : قضى ، و « أجزأ » بالهمز : كافأ .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٤/١ (٤٩٨) من طريق عمرو بن حماد به .

فمعنى الكلام إذن : وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَقْضِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا تُغْنِي عَنْهَا غِنًى .

فإن قال قائلٌ : وما معنى : لَا تَقْضِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا^(١) ، وَلَا تُغْنِي عَنْهَا غِنًى ؟

قيل : هو أن أحدنا اليوم ربّما قضى عن ولده أو والده أو ذى الصداقة والقربة دَيْنَهُ ، وأما فى الآخرة - فإنه فيما أتتْنَا به الأخبارُ [٨٢ / ٢] عنها - يَسُرُّ الرجلَ أن يَبْرُدَ^(٢) له على ولده أو والده حقٌّ ، وذلك أن قضاء الحقوقِ فى القيامةِ مِنَ الحسناتِ والسيئاتِ .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ونَصْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْدِيُّ ، قَالَا^(٣) : حَدَّثَنَا الْحَارِثِيُّ ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الدَّالَانِيِّ^(٤) يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَنْيَسَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « رَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا كَانَتْ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلِمَةٌ فِى عِرْضٍ - قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ^(٥) فِى حَدِيثِهِ : أَوْ مَالٍ - جَاءَهُ^(٦) فَاسْتَحْلَهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ وَلَيْسَ ثَمَّ دِيْنَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذُوا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ حَمَلُوا عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ »^(٧) .

(١) سقط من ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

(٢) برد لى حقى على فلان : وجب ولزم وثبت . تاج العروس (ب ر د) .

(٣) فى ر ، م : « قال » .

(٤) فى م : « الدولابى » .

(٥) فى م : « بكر » .

(٦) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « أو جاء » .

(٧) أخرجه الترمذى (٢٤١٩) عن نصر بن عبد الرحمن به . وأخرجه الترمذى أيضا ، وأبو يعلى (٦٥٣٩) من طريق المحاربى به . وأخرجه الطيالسى (٢٤٤٠ ، ٢٤٤٦) ، وأحمد (٣٧٧ / ١٥ ، ٣٣٧ / ١٦) ، (٩٦١٥ ، ١٠٥٧٣) ، والبخارى (٢٤٤٩) من طريق سعيد المقبرى به .

وَحَدَّثَنِي أَبُو عِثْمَانَ الْمُقَدَّمِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْفَرَوِيُّ ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَالِكٌ ، عَنْ الْمُقَبَّرِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ أَسْلَمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو هَمَامٍ الْأَهْوَازِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ .

/ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ سَهْلٍ الرَّمْلِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الدَّرَاوَزِيُّ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمِيْرٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ؛ إِنَّمَا تَقْتَسِمُونَ هُنَاكَ ^(٣) الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ » . وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا . ٢٦٧/١

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمٌ بْنُ قَادِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ هَاشِمُ بْنُ عَيْسَى ، قَالَ : أَخْبَرَنِي الْحَارِثُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ^(٤) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ . يَعْنِي أَنَّهَا

(١) فِي ر ، م ، ت ٣ : « الْقُرَوِيُّ » . وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٢ / ٤٧١ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيقَةِ ٦ / ٣٤٤ مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقُرَوِيِّ بِهِ .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَانَ (٧٣٦٢) مِنْ طَرِيقِ خَالِدِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَنَيْسَةَ ، عَنْ مَالِكٍ بِهِ .

وِخَالَفَهُ أَبُو خَالِدٍ الدَّلَانِيُّ ، فَرَوَاهُ عَنْ زَيْدٍ ، عَنْ سَعِيدِ الْمُقَبَّرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، كَمَا سَبَقَ .

وَأَصْحَابُ مَالِكٍ يَرَوْنَهُ عَنْهُ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٥٣٤) ، وَغَيْرُهُ . وَيَنْظُرُ عَلَلْ

الدَّارِقُطْنِي ١٠ / ٣٥٦ - ٣٥٨ ، وَمُسْنَدُ الطَّلِيَّالْسِيِّ (٢٤٤٠) .

(٣) فِي ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هُنَاكَ » .

(٤) إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ ؛ هَاشِمُ بْنُ عَيْسَى ، هُوَ ابْنُ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ الْعَقِيلِيُّ : مَنكَرُ الْحَدِيثِ ، وَهُوَ وَأَبُوهُ مَجْهُولَانِ

بِالنَّقْلِ . وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (٥١٥٩) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَمَّاطِيِّ ، عَنْ سَلَمٍ بِهِ . وَيَنْظُرُ الْمُجْمَعُ

لا تَقْضِي عنها شيئًا لِرِمِّها لغيرِها ؛ لأنَّ الْقَضَاءَ هنالك مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ عَلَى مَا وَصَفْنَا . وَكَيْفَ يَقْضِي عَنْ غَيْرِهِ غُرْمًا ^(١) لِرِمِّهِ مَنْ كَانَ يَشْرُهُ أَنْ يَثْبُتَ لَهُ عَلَى وَلَدِهِ أَوْ وَالِدِهِ حَقٌّ فَيَأْخُذَهُ مِنْهُ وَلَا يَتَجَاوَى لَهُ عَنْهُ ؟

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرَةِ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ : لَا تَجْزِي مِنْهَا أَنْ تَكُونَ مَكَانَهَا .

وَهَذَا قَوْلٌ يَشْهَدُ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ عَلَى فَسَادِهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ مَعْقُولٍ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ : مَا أَغْنَيْتَ عَنِّي شَيْئًا . [٨٢ / ٢ ط] بِمَعْنَى : مَا أَغْنَيْتَ مِنِّي أَنْ تَكُونَ مَكَانِي . بَلْ إِذَا أَرَادُوا الْخَبَرَ عَنْ شَيْءٍ أَنَّهُ لَا يَجْزِي مِنْ شَيْءٍ ، قَالُوا : لَا يَجْزِي هَذَا مِنْ هَذَا . وَلَا يَسْتَجِيزُونَ أَنْ يَقُولُوا : لَا يَجْزِي هَذَا مِنْ هَذَا شَيْئًا .

فَلَوْ كَانَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ : ﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ . مَا قَالَهُ مَنْ حَكَمْنَا قَوْلَهُ ، لَقَالَ : وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ . كَمَا يُقَالُ : لَا تَجْزِي نَفْسٌ مِنْ نَفْسٍ . وَلَمْ يَقُلْ : ﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ . وَفِي صَحِيحَةِ التَّنْزِيلِ بِقَوْلِهِ : ﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ أَوْضَحُ الدَّلَالَةِ عَلَى صَحَّةِ مَا قُلْنَا ، وَفَسَادِ قَوْلِ مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ فِي ذَلِكَ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ ﴾ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَ« الشَّفَاعَةُ » مُصَدَّرٌ مِنْ قَوْلِ الرَّجُلِ : شَفَعَ لِي فَلَانٌ إِلَى فَلَانٍ شَفَاعَةً . وَهُوَ طَلَبُهُ إِلَيْهِ فِي قَضَائِ حَاجَتِهِ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلشَّفِيعِ : شَفِيعٌ وَشَافِعٌ . لِأَنَّهُ ثَنَى الْمُشْتَفِيعَ بِهِ ^(٢) ، فَصَارَ لَهُ شَفَعًا ، وَكَانَ ذُو الْحَاجَةِ قَبْلَ اسْتِشْفَاعِهِ بِهِ فِي حَاجَتِهِ فَرَدًّا ،

(١) فِي ر ، م : « مَا » ، وَفِي ت ٢ ، ت ٣ : « عَنْ مَا » .

(٢) فِي م : « لَهُ » .

فصار صاحبه له فيها شافعاً ، وطلبه فيه وفي حاجته شفاعاً ، ولذلك سُمي الشفيع في الدار والأرض شفيعاً ؛ لمصير البائع به شفعاً .

فتأويل الآية إذن : وأتقوا يوماً لا تقضى نفس عن نفس حقاً لزمها لله عز وجل ولا لغيره ، ولا يقبل الله منها شفاعاً شافع ، فيترك لها ما لزمها من حق .

وقيل : إن الله جل ثناؤه خاطب أهل هذه الآية بما خاطبهم به فيها ؛ لأنهم كانوا من يهود بنى إسرائيل ، وكانوا يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه ، وسيشفع لنا عنده آباؤنا . فأخبرهم الله تعالى ذكره أن نفساً لا تجزى عن نفس شيئاً في القيامة ، ولا يقبل منها شفاعاً أحد فيها حتى يستوفى لكل ذى حق منها حقه .

كما حدثني عباس بن أبي طالب ، قال : حدثنا حجاج بن نصير ، عن شعبة ، عن العوام بن مَرَجِم^(١) - / رجل من بنى قيس بن ثعلبة - عن أبي عثمان التَّهْدِي ، عن عثمان بن عفان ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ الْجَمَاءَ لَتَقْتَصَّ مِنَ الْقِرْنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٢) .

وكما قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ

(١) هكذا في النسخ ، وهو قول ابن معين . وفي ر : « مراحم » . والصواب : مراجم . بالراء والجيم . ينظر المؤلف للدارقطني ٢٠٧٨ / ٤ ، وتعجيل المنفعة ٨٨ / ٢ .

(٢) إسناده ضعيف ؛ حجاج بن نصير ضعيف . وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ٥٤٢ / ١ (٢٠٥) ، والبخاري (٣٨٧) ، والعقيلي في الضعفاء ٢٨٥ / ١ ، وابن عدى في الكامل ٦٤٩ / ٢ ، والدارقطني في اللعل ٦٤ / ٣ من طرق عن حجاج بن نصير به .

وأخرجه العقيلي ٢٨٥ / ١ ، وابن عدى ٢ / ٦٥٠ ، والدارقطني ٦٥ / ٣ من طريق غندر ، عن العوام ، عن أبي السليل ، عن سلمان ، موقوفاً . وهو الصواب . قال ابن عدى : قال لنا ابن صاعد : وليس هذا من حديث عثمان عن النبي ﷺ ، إنما رواه أبو عثمان ، عن سلمان من قوله . وينظر اللعل لابن أبي حاتم (٢١٤٢ ، ٢١٦٦) ، وعلل الدارقطني .

ومعناه في صحيح مسلم (٢٥٨٢) عن أبي هريرة مرفوعاً .

نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِنْكَ حَبْكٌ مِنْ خَرَدٍ أَيْنَا بِهَا» [الأنبياء : ٤٧] .
 فَأَيَسَّهَمَ اللَّهُ جَلْ ذِكْرَهُ مَا كَانُوا أَطْمَعُوا فِيهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ النِّجَاةِ مِنْ عَذَابِ
 اللَّهِ - [٨٣/٢] مع تكذيبهم بما عَزَفُوا مِنَ الْحَقِّ ، وَخِلَافِهِمْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ فِي
 اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ - بِشَفَاعَةِ آبَائِهِمْ وَغَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ
 كُلِّهِمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ نَافِعِهِمْ عِنْدَهُ إِلَّا التَّوْبَةُ إِلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِمْ ، وَالْإِنَابَةُ مِنْ
 ضَلَالِهِمْ ، وَجَعَلَ مَا سَنَّ فِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ إِمَامًا لِكُلِّ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَنْهَا جِهَهُمْ ؛ لِئَلَّا
 يَظْمَعَ ذُووُ الْإِلْحَادِ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ .

قال أبو جعفر : وهذه الآية وإن كان مَخْرُجُهَا عَامًّا فِي التَّلَاوَةِ ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهَا
 خَاصًّا فِي التَّأْوِيلِ ؛ لِتَظَاهِرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « شَفَاعَتِي لِأَهْلِ
 الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي » ^(١) . وَأَنَّهُ قَالَ : « لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ دَعْوَةٌ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ
 دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي ، وَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْهُمْ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا » ^(٢) . فَقَدْ تَبَيَّنَ بِذَلِكَ
 أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ يَصْفَحُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِشَفَاعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ لَهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ
 عُقُوبَةِ إِجْرَامِهِمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، وَأَنْ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ . إِنَّمَا هِيَ لِمَنْ مَاتَ
 عَلَى كُفْرِهِ غَيْرَ نَائِبٍ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَلَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاضِعِ الْإِطَالَةِ فِي الْقَوْلِ فِي
 الشَّفَاعَةِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعْدِ فَتَشْتَقِصِي الْحِجَاجَ فِي ذَلِكَ ، وَسَنَأْتِي عَلَى مَا فِيهِ الْكِفَايَةُ
 فِي مَوَاضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ .

قال أبو جعفر : و« الْعَدْلُ » فِي كَلَامِ الْعَرَبِ - بَفَتْحِ الْعَيْنِ - الْفِدْيَةُ .

(١) أخرجه الطيالسي (٢١٣٨) ، وأحمد ٤٣٩/٢٠ (١٣٢٢٢) ، وأبو داود (٤٧٣٩) ، والترمذي (٢٤٣٥) ، وغيرهم من حديث أنس .

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٤ ، ٧٤٧٤) ، ومسلم (١٩٨ ، ١٩٩) من حديث أبي هريرة بنحوه .

كما حَدَّثَنِي المثنى بْنُ إبراهيم، قال: أنبأنا آدم، قال: حَدَّثَنَا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ قال: يعنى فِداءً^(١).

حَدَّثَنِي موسى بْنُ هارون، قال: حَدَّثَنَا عمرو بْنُ حماد، قال: حَدَّثَنَا أسباط، عن السدي: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: أما ﴿عَدْلٌ﴾ فيُعْدِلُها، من العَدْل. يقول: لو جاءت بملء الأرض ذهبًا تَفْتَدِي به ما تُقْبَل منها.

حَدَّثَنَا الحسنُ بْنُ يحيى، قال: أَخْبَرَنَا عبدُ الرزاق، قال: أَخْبَرَنَا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾. قال: لو جاءت بكل شيء لم يُقْبَل منها^(٢).

حَدَّثَنَا القاسم، قال: حَدَّثَنَا الحسين، قال: حَدَّثَنِي حجاج، عن ابنِ جُرَيْج، قال: قال مُجاهد: قال ابنُ عباس: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾. قال: بَدَل، والبَدَلُ الفِدية^(٣).

حَدَّثَنِي يونسُ بْنُ عبدِ الأعلى، قال: أَخْبَرَنَا ابنُ وهب، قال: قال ابنُ زيد: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾. قال: لو أن لها مِلاءً^(٤) الأرضِ ذهبًا لم يُقْبَل منها؛ لم يُؤْخَذْ منها^(٥) فِداءً. قال: ولو جاءت بكل شيء لم يُقْبَل منها.

حَدَّثَنَا نجيعُ بْنُ إبراهيم، قال: أَخْبَرَنَا عليُّ بْنُ حكيم، قال: أَخْبَرَنَا حميدُ بْنُ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٥/١ (٥٠١) من طريق آدم به.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٤٥/١.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٨/١ إلى المصنف وابن المنذر.

(٤) في ص: «مثل».

(٥ - ٥) سقط من: ر، م.

عبد الرحمن ، عن أبيه ، / عن [٨٣/٢ ظ] عمرو بن قيس الخلّاثي ، عن رجل من بني أمية من أهل الشام ، أحسن عليه الثناء ، قال : قيل : يا رسول الله ، ما العَدْلُ ؟ قال : « العَدْلُ الفِديّةُ » ^(١) .

قال أبو جعفر : وإنما قيل للفِديّة من الشيء والبَدَل منه : عَدْلُهُ ؛ لمُعَادِلَتِهِ إياه وهو من غير جنسِهِ ، ومَصِيرِهِ له مثلاً من وَجِهٍ الجزاء ، لا من وَجِهٍ المُشَابَهَةِ في الصّورة والخلقة ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا ﴾ [الأنعام : ٧٠] . بمعنى : وإن تَقَدَّرَ كلُّ فِديّةٍ لا يُؤْخَذُ منها . يقالُ منه : هذا عَدْلُهُ وعَدِيلُهُ . وأما العَدْلُ - بكسر العين - فهو مِثْلُ الحِمْلِ المَحْمُولِ على الظهر ، يقالُ من ذلك : عندى غلامٌ عَدْلٌ غلامِكَ ، وشاةٌ عَدْلٌ شاتِكَ . بكسر العين ، إذا كان غلامًا يَعْدِلُ غلامًا ، وشاةً تَعْدِلُ شاةً ، وكذلك ذلك في كلِّ مِثْلٍ للشيء من جنسِهِ ، فإذا أُريدَ أن عنده قيمته من غير جنسِهِ نُصِبَتِ العينُ ، فقول : عندى عَدْلٌ شاتِكَ من الدراهم . وقد ذُكِرَ عن بعض العرب أنه يَكْسِرُ العينَ من العَدْلِ الذي هو بمعنى الفِديّة ^(٢) والمعادلة ^(٣) ما عادَلْتَهُ من جهة الجزاء ؛ وذلك لتقارب معنى العَدْلِ والعَدْلِ عندهم . وأما واحدُ الأعدالِ فلم يُسَمَّعَ فيه إلا عَدْلٌ بكسر العين .

القولُ في تأويلِ قوله جل وعز : ﴿ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ ^(٤٨) .

وتأويلُ قوله جلّ جلاله : ﴿ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ . يعني : إنهم يومئذٍ لا يُنْصَرُهُم ناصِرٌ ، كما لا يَشْفَعُ لهم شافعٌ ، ولا يُقْبَلُ منهم عَدْلٌ ولا فِديّةٌ ، بَطَلَتْ هنالك المُحَابَاةُ ، واضْمَحَلَّتِ الرُّشَا والشفاعاتُ ، وارتَفَعَ من القومِ التعاونُ

(١) [إسناده ضعيف ؛ عمرو بن قيس من أتباع التابعين ، وشيخه مجهول . وعزاه السيوطي في الدر

المشور ٦٨/١ إلى المصنف . وينظر تفسير ابن كثير ١٢٧/١ .

(٢ - ٢) في ر ، م ، ت ٢ : « لمعادلة » ، وفي ت ١ ، ت ٣ : « المعادلة » .

والتَّائَصُّرُ، وصار الحكم إلى العدلِ الجبارِ الذي لا يَنْفَعُ لديه الشُّفَعَاءُ والتَّصَرُّاءُ، فيجزي بالسيئةِ مثلها، وبالحسنةِ أضعافها، وذلك نظيرُ قوله جل ثناؤه: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنِّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا نَنَاصِرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿[الصافات: ٢٤ - ٢٦]﴾.

وكان ابنُ عباسٍ يقولُ في معنى: ﴿لَا نَنَاصِرُونَ﴾. ما حَدَّثْتُ به عن المِنْجَابِ، قال: حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ، عن أَبِي رَزْوِجٍ، عن الضُّحَّاكِ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿مَا لَكُمْ لَا نَنَاصِرُونَ﴾: ما لكم ^(١) لا تَمَانَعُونَ منا، هَيْهَاتَ ^(٢)، ليس ذلك لكم اليومَ ^(٣).

وقد قال بعضهم في معنى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: وليس لهم من الله يومئذ نصيرٌ يُنصِرُهُم من الله إذا عَاقَبَهُم.

وقد قيل: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ بالطلبِ فيهم والشفاعةِ والفديةِ.

قال أبو جعفر: [٢/٨٤] والقولُ الأولُ أولى بتأويلِ الآية؛ لما وَصَفْنَا من أن الله جل ثناؤه إنما أَعْلَمَ المخَاطِبِينَ بهذه الآية أن يومَ القيامةِ يومٌ لا فِدْيَةَ فيه ^(٤) لمن اسْتَحَقَّ من خَلْقِهِ عُقُوبَتَهُ، ولا شَفَاعَةَ فيه، ولا ناصِرَ له، وذلك أن ذلك قد كان لهم في الدنيا، فأخبر أن ذلك يومَ القيامةِ مَغْدُومٌ لا سبيلَ لهم إليه.

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾.

(١) بعده في ت ١، ت ٢، ت ٣: «اليوم».

(٢) في الأصل: «أيهات»، على إبدال الهاء همزة، مثل هراق وأراق.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٧٣/٥ إلى المصنف.

(٤) سقط من: ص، ر، م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

وأما تأويل قوله : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ . فإنه عطفٌ على قوله : ﴿يَبْنِيْ-
إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ . / فكأنه قال : اذكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ، وَاذْكُرُوا
إِنْعَامَنَا عَلَيْكُمْ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، بِإِنجَائِنَا لَكُمْ مِنْهُمْ .

وأما : ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾^(١) فإنهم أهل دينه وقومه وأشياؤه .

وأصل «آل» : أهلٌ ، أُبْدِلَتِ الهاءُ همزةً ، كما قالوا : ماءً^(٢) . فأُبدِلوا الهاءُ
همزةً ، فإذا صَغُرُوهُ قالوا : مُؤَيَّةٌ . فَرُدُّوا الهاءُ فِي التَّصْغِيرِ ، وَأَخْرَجُوهُ عَلَى أَصْلِهِ ،
وكَذَلِكَ إِذَا صَغُرُوا «آلًا» ، قالوا : أَهْيَلٌ . وَقَدْ حُكِيَ سَمَاعًا مِنَ الْعَرَبِ فِي تَصْغِيرِ
«آلٍ» : أُوَيْلٌ . وَقَدْ يُقَالُ : فَلَانٌ مِنْ آلِ النِّسَاءِ . يُرَادُ أَنَّهُ مِنْهُمْ خُلِقَ . وَيُقَالُ ذَلِكَ
أَيْضًا بِمَعْنَى أَنَّهُ يُرِيدُهُنَّ وَيَهْوَاهُنَّ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(٣) :

فَإِنَّكَ^(٤) مِنْ آلِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا يَكُنُّ لِأَذْنَى لَا وَصَالَ لِيْغَائِبِ

وَأَحْسَنُ أَمَا كِنْ «آلٍ» أَنْ يُنْطَقَ بِهِ مَعَ الْأَسْمَاءِ الْمَشْهُورَةِ ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ : آلُ النَّبِيِّ
مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَآلُ عَلِيٍّ ، وَآلُ الْعَبَّاسِ ، وَآلُ عَقِيلٍ . وَغَيْرُ مُسْتَحْسِنٍ اسْتِعْمَالُهُ مَعَ
الْمَجْهُولِ وَفِي أَسْمَاءِ الْأَرْضِيِّينَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . غَيْرُ حَسَنِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِلِسَانِ^(٥)
الْعَرَبِ أَنْ يُقَالَ : رَأَيْتُ آلَ الرَّجُلِ ، وَزَارَنِي^(٦) آلُ الْمَرْأَةِ . وَلَا : رَأَيْتُ آلَ الْبَصْرَةِ ، وَآلَ

(١ - ١) سقط من : ر ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) فِي ر ، م : « ماء » .

(٣) الْبَيْتُ فِي الصَّاحِبِيِّ ص ٤٣٤ غَيْرُ مَنْسُوبٍ ، وَنَسَبَهُ فِي الْخَصَائِصِ ٢٧/٣ إِلَى كُثَيْبٍ ، وَلَيْسَ فِي دِيْوَانِهِ ،
وَإِنَّمَا نَسَبَهُ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ٢٦٢/٢ إِلَى جَمِيلٍ ، وَلَيْسَ فِي دِيْوَانِهِ أَيْضًا .

(٤) فِي مَصَادِرِ التَّخْرِيجِ : « بَثِينَةٌ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « بَلْغَاتٌ » .

(٦) فِي م : « رَأَى » .

الكوفة . وقد ذُكر عن ^(١) العربِ سَمَاعًا أنها تقول : رَأَيْتُ آلَ مَكَّةَ ، وَآلَ الْمَدِينَةِ .
وليس ذلك في كلامِهِم بالمستعملِ الفاشي .

وأما ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فإنه يقالُ : إنه اسمٌ كانت ملوكُ الْعَمَالِيقَةِ بمصرَ تُسَمِّي به ،
كما كانت ملوكُ الرومِ يُسَمِّي بعضهم قَيْصَرَ ، وبعضُهُم هِرْقُلَ ، وكما كانت ملوكُ
فَارَسَ تُسَمِّي الْأَكاسِيرَةَ ، [٨٤/٢ ظ] واحدُهُم كِشْرَى ، وملوكُ الْيَمَنِ تُسَمِّي
الْتَّبَاعِيَةَ ، واحدُهُم تَبَّعَ .

وأما فرعونُ موسى الذي أَخْبَرَ اللَّهُ تعالى ذكرَهُ عن بني إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ نَجَّاهُمْ مِنْهُ ،
فإنه يقالُ : إن اسمه ^(٢) الذي هو اسمُهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُصْعَبٍ . كذلك ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ
إِسْحَاقَ أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ اسمِهِ . حَدَّثَنَا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ
ابْنِ إِسْحَاقَ ^(٣) .

^(٤) وقد قيل : إن اسمه ^(٤) مُصْعَبُ بْنُ الرَّيَّانِ .

ولمَّا جازَ أَنْ يُقالَ : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ . والخطابُ به لمن
لَمْ يُذَرِكْ فرعونَ وَلَا الْمُتَنَجِّينَ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ كانوا أَبْنَاءَ مَنْ نَجَّاهُمْ مِنْ
فرعونَ وَقَوْمِهِ ، فَأُضِيفَ ما كانَ مِنْ نَعِيمِهِ على آبائِهِمْ إِلَيْهِمْ ، وكذلك ما كانَ مِنْ
كُفْرانِ آبائِهِمْ ، على وَجْهِ الإِضَافَةِ ، كما يَقُولُ القائلُ لآخرَ : فَعَلَّنا بِكُمْ كِذا وَكَذا ^(٥) ،

(١) بعده في ص ، م : « بعض » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ٣٨٧/١ .

(٤ - ٤) في م : « أن اسمه الوليد بن » .

(٥) سقط من : ص ، ر ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

وفعلنا بكم كذا ، وقتلناكم وسببناكم . والخير إما أن يكونَ يعنى قومه وعشيرته بذلك ، أو أهل بلده ووطنه ، كان المَقولُ له ذلك أدركَ ما فُعلَ بهم من ذلك أو لم يُدرِكْه ، كما قال الأخطلُ يُهاجى جريرَ بنَ عَطِيَّةَ^(١) :

ولقد سَمَا^(٢) لكمُ الهذيلُ^(٣) فنالكم^(٤) بِإِرَابٍ^(٥) حيثُ يُقَسِّمُ الأنفالَ^(٥)
فِي فَيْلَقِي^(٦) يَدْعُو الأرقامَ^(٧) لَمْ تَكُنْ فُزْسَانُهُ غَزْلًا وَلَا أَكْفَالًا^(٨)
وَلَمْ يَلْقَ^(٩) جَرِيرٌ هُذَيْلًا وَلَا أَدْرَكَ^(١٠) وَلَا أَدْرَكَ إِرَابَ وَلَا شَهْدَهُ ، ولكنه لما كان
يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ قَوْمِ الأخطلِ على قومِ جرير ، أَضَافَ الخطابُ إِلَيْهِ وإلى قَوْمِهِ ، فَكَذَلِكَ
خَطَابُ اللَّهِ عز وجل مَنْ خَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ . لَمَّا
كَانَ فَعْلُهُ مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ بِقَوْمٍ مَنْ خَاطَبَهُ بِالآيَةِ وَأَبَائِهِمْ ،^(١١) أَضَافَ فَعْلَهُ ذَلِكَ الَّذِي
فَعَلَهُ بِأَبَائِهِمْ إِلَى الْمُخَاطَبِينَ بِالآيَةِ^(١٢) وَقَوْمِهِمْ .

(١) ديوان الأخطل ص ٣٩١ .

(٢) سَمَا لَهُمْ : نهض لقتالهم ، وتساموا : تباروا . اللسان (س م و) .

(٣) الهذيل : هو الهذيل بن هبيرة التغلبي . النقائض ص ٧٧ .

(٤) إِرَاب : ماء من مياه بنى يربوع ، كانت فيه لتغلب وقعة على بنى يربوع . معجم ما استعجم ١/ ١٣٣ .

(٥) فى الأصل ، ص : « الأنفال » ، وفى ت ١ ، ت ٣ : « الأنفال » والنفل : الغنيمة والهبة . اللسان (ن ف ل) .

(٦) الفيلق : الكتيبة الكثيرة السلاح . اللسان (ف ل ق) .

(٧) الأرقام من الحيات ما فيه بياض وسواد ، والجمع أرقام . اللسان (ر ق م) .

والأرقام هنا : هم من بنى تغلب ، جشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث بنو بكر بن حبيب ،
مركاهن بأمرهم وهم فى قطيفة لها فقالت : ينظر إلى ولدى هؤلاء . فقال : والله لكأنا رمونى بعيون الأرقام .
النقائض ص ٧٨ .

(٨) الكفل من الرجال : الذى يكون فى مؤخر الحرب ، وإنما همته فى التأخير والفرار . اللسان (ك ف ل) .

(٩) فى ص : « يلحق » .

(١٠ - ١٠) سقط من : ص ، ر .

القول في تأويل قوله جلّ وعزّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ .

٢٧١/١ قال أبو جعفر : / وفي قوله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ . وجهان من التأويل ؛ أحدهما : أن يكون خبراً مُشْتَاتِفاً عن فعلِ فرعونَ بيني إسرائيل ، فيكون معناه حيثئذ : واذكروا نعمتي عليكم إذ نَجَّيْنَاكُمْ ^(١) من آلِ فرعونَ ، وكانوا من قبلُ يسْأَلُونَكم سُوءَ الْعَذَابِ . وإذا كان ذلك تأويله كان موضع ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ رفعا ^(٢) .

والوجهُ الثاني : أن يكون ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ حالا ، فيكون تأويله [٨٥/٢] حيثئذ : وإذا نَجَّيْنَاكم من آلِ فرعونَ سائِمِكم سُوءَ الْعَذَابِ . فيكون حالا من ﴿ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ . وأما تأويلُ قوله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ . فإنه : يُورِدُونَكُمْ ، ويُذِيقُونَكُمْ ، ويُؤْلُونَكُمْ . يقالُ منه : سامه حُطَّةً ضَمِيمٌ . إذا أولاه ذلك وأذاقه ^(٣) ، كما قال الشاعر ^(٤) :
* إن سيمَ حَشَفًا ^(٥) وجهه تَرَبَّدًا ^(٦) *

وأما تأويلُ قوله : ﴿ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ . فإنه يعني : ما ساءَهم من العذابِ . وقد قال بعضهم : أشدَّ العذابِ . ولو كان ذلك معناه لقليل : أسوأ العذابِ . فإن قال لنا قائلٌ : وما ذلك العذابُ الذي كانوا يسْأَلُونَهم ^(٧) ؟

قيل : هو ما وصفه الله تعالى ذكره في كتابه فقال : ﴿ يُذِخُّونَ أَبْنَاءَكُمْ

(١) في ص : « نَجَّيْتُمْ » .

(٢) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وجهها » .

(٣) سقط من : ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) هو عمرو بن سالم الخزاعي ، من أبيات قالها يستنصر فيها النبي ﷺ على قريش وبنى بكر . والأبيات في سيرة ابن هشام ٣٩٤/٢ ، ٣٩٥ .

(٥) الحسف : الإذلال ، وأن يحملك الإنسان ما تكره . التاج (خ س ف) .

(٦) تربد وجهه : تغير من الغضب . التاج (ر ب د) .

(٧) بعده في ر ، م ، ت ٢ ، ت ٣ : « الذي كان يسوءهم » ، وفي ت ١ : « الذي يسوءهم » .

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴿٤٩﴾ .

وقد قال محمد بن إسحاق في ذلك ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابن إسحاق ، قال : كان فرعون يُعَذِّبُ بنى إسرائيل ، فيجعلهم خَدَمًا وَخَوَلًا^(١) ، وصنّفهم في أعماله^(٢) ؛ فصنّف يَتَنُونَ ، وصنّف يَزْرَعُونَ له ، فهم في أعماله ، ومن لم يكن منهم في صنعة له من عمله ، فعليه الجزية ، فسأهم كما قال الله عز وجل : ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾^(٣) .

وقال السدي : جعلهم في الأعمال القذرة ، وجعل يقتل أبناءهم ، ويستحي نساءهم . حدثني بذلك موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي^(٤) .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿يُذَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ .

فأضاف الله جل ثناؤه ما كان من فعل آل فرعون بينى إسرائيل من سوءهم إياهم سوء العذاب ، وذبحهم أبناءهم ، واستحيائهم نساءهم ، إليهم دون فرعون - وإن كان فعلهم ما فعلوا من ذلك كان بقوة فرعون وعن أمره - لمباشرتهم ذلك بأنفسهم ، فينّ بذلك أن كل مباشر قتل نفس أو تعذيب حي بنفسه ، وإن كان عن أمر غيره ، ففاعله المتوَلَّى ذلك هو المستحق إضافة ذلك إليه ، وإن كان الأمر قاهرًا الفاعل المأمور بذلك - سلطانًا كان الأمر ، أو لصًا حاربا^(٥) ، أو مُتَغَلِّبًا فاجرا - كما أضاف جل ثناؤه تذييح أبناء بنى إسرائيل واستحياء نساءهم إلى آل فرعون دون فرعون ، وإن كانوا بقوة فرعون وأمره إياهم بذلك [٨٥ / ٢] فعلوا ما فعلوا ، مع غلبته إياهم

(١) الخَوْل : حشم الرجل وأتباعه ، ويقع على العبد والأمة . ينظر النهاية ٨٨ / ٢ .

(٢) في الأصل : « أعمالهم » .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ٣٨٧ / ١ . وتقدم أوله في ص ٦٤٢ .

(٤) سيأتي مطولا في ص ٦٤٩ .

(٥) في م : « حاربا » . والحارب : المُشْلَح ، وهو قاطع الطريق . ينظر اللسان (ح ر ب ، ش ل ح) .

وقهره لهم ، فكَذَلِكَ كُلُّ قَاتِلٍ نَفْسًا بِأَمْرِ غَيْرِهِ ظَلَمًا ، فهو المقتولُ به عندنا قِصاصًا ، وإن كان قتله إياه يكره غيره له على قتله .

وأما تأويلُ ذَبِحَهُمْ أَبْنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، واستحيائهم نساءهم ، فإنه كان فيما ذَكَرَ لنا عن ابن عباس وغيره كالذى حَدَّثَنَا به العباسُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَمَلِيُّ وَتَمِيمُ بْنُ الْمُتَنَصِّرِ الْوَاسِطِيُّ ، قالا : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، قال : / أَخْبَرَنَا الْأَصْبَغُ بْنُ زَيْدٍ ، قال : حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي ^(١) أَيُوبَ ، قال : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، عن ابن عباس ، قال : تَذَاكَرَ فِرْعَوْنُ وَجُلَسَاؤُهُ مَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ وَعَدَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ أَنْبِيَاءَ وَمُلُوكًا ، فَأَتَمُّوْا وَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى أَنْ يَنْتَحِتَ رَجَالًا مَعَهُمُ الشُّفَارُ ^(٢) ، يَطُوفُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلَا يَجِدُونَ مَوْلُودًا ذَكَرًا ^(٣) إِلَّا ذَبَحُوهُ ، ففَعَلُوا ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْكِبَارَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَمُوتُونَ بِأَجَالِهِمْ ، وَأَنَّ الصِّغَارَ يُذَبِّحُونَ ، قال : تُوشِكُونَ أَنْ تُقْتُلُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَتَصِيرُوا إِلَى أَنْ تُبَاشِرُوا مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْخِدْمَةِ مَا كَانُوا يَكْفُونَكُمْ ، فاقْتُلُوا عَامًّا كُلَّ مَوْلُودٍ ذَكَرٍ ، فَيَقِلَّ ^(٤) أَبْنَاؤُهُمْ ، وَدَعُّوا عَامًّا . فَحَمَلَتْ أُمُّ مُوسَى بِهَارُونَ فِي الْعَامِ الَّذِي لَا يُذْبَحُ فِيهِ الْعِلْمَانُ ، فَوَلَدَتْهُ عِلَانِيَةً آمَنَةً ^(٥) ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْقَابِلُ حَمَلَتْ بِمُوسَى ^(٦) .

وقد حَدَّثَنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ الْهَيْثَمِ ، قال : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ الرَّمَادِيُّ ،

(١) سقط من النسخ ، وينظر تهذيب الكمال ٣٣٦/٢٣ .

(٢) الشفار جمع شفرة ، وهو السكين العظيم وما غُرِضَ من الحديد وحُدِّد . القاموس المحيط (ش ف ر) .

(٣) سقط من : ص ، ر .

(٤) في ص ، ت ٣ : « فقتل » ، وفي ت ١ : « فيقتل » .

(٥) في ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أمه » . وغير واضحة في الأصل ، والمثبت موافق لما في تفسير ابن

كثير ٢٧٩/٥ ، والدر المنثور ٢٩٦/٤ ، وغيرهما كما سيأتي .

(٦) سيأتي تخريجه في تفسير الآية ٤٠ من سورة طه ، في حديث الفتون الطويل .

قال : حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ ^(١) ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قالت الكهنة لفرعون : إنه يُولَدُ في هذا العام مولودٌ يَذْهَبُ بِمُلْكِكَ . قال : فجعل فرعونُ على كلِّ ألفِ امرأةٍ مائةَ رجلٍ ، وعلى كلِّ مائةٍ ^(٢) عشرةً ، وعلى كلِّ عشرةٍ رجلاً ، فقال : انظروا كلَّ امرأةٍ حاملٍ في المدينة ، فإذا وضعت حملها فانظروا إليه ، فإن كان ذكراً فاذبحوه ، وإن كان أنثى فخلوها عنها ^(٣) . وذلك قوله : ﴿يُذَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ^(٤) .

حَدَّثَنِي المثنى بْنُ إبراهيم ، قال : حَدَّثَنَا آدَمُ ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿وَإِذْ يَخْنَكُكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ . قال : إن فرعونَ ملكهم أربعمئةَ سنةٍ ، فقالت الكهنة : إنه سيُولَدُ العامَ بمصرَ غلامٌ يَكُونُ هلاكُك ^(٥) على يديه . فبعث في أهلِ مصرَ نساءً قَوَائِلَ ، فإذا ولدت امرأةً غلاماً أُتِيَ به فرعونُ [٨٦/٢] فقتله ، وَيَسْتَحْيِي الجَوَارِي ^(٦) .

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحِجَّاجِ ، قال حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بْنِ أَنَسٍ في قوله : ﴿وَإِذْ يَخْنَكُكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ الآية . قال : إن فرعونَ ملكهم أربعمئةَ سنةٍ ، وإنه أتاه آتٍ ، فقال : إنه سَيُشْأُ في

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « سعيد » . وهو أبو سعد سعيد بن المرزبان البقال الأعور . وليس هو أبا سعيد عبد الكريم بن مالك الجزري ، فقد جاء مصرحاً بأنه أبو سعد الأعور في تفسير ابن أبي حاتم ٢٧٧٣/٨ (١٥٦٧٥) .

(٢) بعده في الأصل : « امرأة » .

(٣) في الأصل : « عنه » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٩/١ إلى المصنف . وأبو سعد البقال ضعيف .

(٥) في ص ، ر : « هلاكه » .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٥/١ (٥٠٥) من طريق آدم به .

مَصْرَ غِلَامٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَيُظْهِرُ عَلَيْكَ ، وَيَكُونُ هَلَاكُكَ عَلَى يَدَيْهِ . فَبَعَثَ فِي أَهْلِ مِصْرَ نِسَاءً . فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ آدَمَ .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَشْبَاطُ بْنُ نَصْرِ ، عَنِ الشَّدَّادِيِّ ، قَالَ : كَانَ مِنْ شَأْنِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ رَأَى رُؤْيَا^(١) فِي مَنَامِهِ ، أَن نَارًا أَقْبَلَتْ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى اشْتَمَلَتْ عَلَى بَيْوتِ مِصْرَ ، فَأُخْرِقَتْ الْقَبْطُ وَتَرَكَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأُخْرِبَتْ بَيْوتُ مِصْرَ ، فَدَعَا السَّحَرَةَ وَالْكَهَنَةَ^(٢) وَالْقَافَةَ وَالْحَازَةَ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ رُؤْيَاهُ ، فَقَالُوا لَهُ : يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْبَلَدِ الَّذِي جَاءَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْهُ - يَغْنُونُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ - رَجُلٌ يَكُونُ عَلَى وَجْهِهِ هَلَاكُ مِصْرَ . فَأَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يُؤَلَّدَ لَهُمْ غِلَامٌ إِلَّا ذَبَحُوهُ ، وَلَا تُؤَلَّدَ لَهُمْ جَارِيَةٌ إِلَّا تُرِكَتْ . وَقَالَ لِلْقَبْطِ : انْظُرُوا تَمْلُوكِيكُمْ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ خَارِجًا فَأَدْخِلُوهُمْ ، وَاجْعَلُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ يَلُونُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ الْقَدِيرَةِ . فَجَعَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي أَعْمَالِ غِلْمَانِهِمْ ، وَأَدْخَلُوا غِلْمَانَهُمْ ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ . يَقُولُ : تَجَبَّرَ فِي الْأَرْضِ ، ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا / شَيْعًا ﴾ يَعْنِي بَنِي إِسْرَائِيلَ^(٣) حِينَ جَعَلَهُمْ فِي الْأَعْمَالِ الْقَدِيرَةِ ، ﴿ يَسْتَضِعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [القصص : ٤] . فَجَعَلَ لَا يُؤَلَّدُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ^(٤) مَوْلُودٌ إِلَّا ذُبِحَ ، فَلَا يَكْبُرُ الصَّغِيرُ ، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي مَشِيخَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمَوْتَ ، فَأُسْرِعَ فِيهِمْ ، فَدَخَلَ رَعَوْسُ الْقَبْطِ عَلَى فِرْعَوْنَ ، فَكَلَّمُوهُ ، فَقَالُوا : إِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ^(٥) قَدْ وَقَعَ فِيهِمْ الْمَوْتُ ، فَيُوشِكُ أَنْ يَقَعَ الْعَمَلُ عَلَى غِلْمَانِنَا بِذَبْحِ أَبْنَائِهِمْ ، فَلَا تَبْلُغِ الصُّغَارُ وَتَقْتَنِى

٢٧٣/١

(١) سقط من : ر ، م .

(٢) بعده في م : « والعافة » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

الْكِبَارُ ، فَلَوْ أَنَّكَ كُنْتَ تُبْقِي مِنْ أَوْلَادِهِمْ . فَأَمْرٌ أَنْ يُدَبَّحُوا سَنَةً وَيُتْرَكُوا سَنَةً ، فَلَمَّا كَانَ فِي السَّنَةِ الَّتِي لَا يُدَبَّحُونَ فِيهَا ، وُلِدَ هَارُونُ فَتَرَكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي السَّنَةِ الَّتِي يُدَبَّحُونَ فِيهَا حَمَلَتْ بِمُوسَى ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ذَكَرَ لِي أَنَّهُ لَمَّا تَقَارَبَ زَمَانُ مُوسَى أَتَى مُنَجِّمُو فِرْعَوْنَ وَحُزْرَاؤُهُ ^(٢) [٨٦/٢] إِلَيْهِ ، فَقَالُوا ^(٣) : تَعَلَّمَ ^(٤) أَنَّا نَجِدُ فِي عَلَمِنَا أَنَّ مَوْلُودًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَظْلَلَ زَمَانَهُ الَّذِي يُؤْلَدُ فِيهِ ، يَسْلُبُكَ مُلْكَكَ ، وَيَغْلِبُكَ عَلَى سُلْطَانِكَ ، وَيُخْرِجُكَ مِنْ أَرْضِكَ ، وَيُتَدَلُّ دِينَكَ . فَلَمَّا قَالُوا لَهُ ذَلِكَ أَمَرَ بِقَتْلِ كُلِّ مَوْلُودٍ يُؤْلَدُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ^(٥) مِنَ الْعِلْمَانِ ، وَأَمَرَ بِالنِّسَاءِ يُسْتَحْيَيْنَ ، فَجَمَعَ الْقَوَابِلَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ ^(٦) مَمْلَكَتِهِ ، فَقَالَ لَهُنَّ : لَا يَسْقُطُ عَلَى أَيِّدِكُنَّ غُلَامٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ^(٧) إِلَّا قَتَلْتُمُوهُ ^(٨) . فَكُنَّ يَفْعَلْنَ ذَلِكَ ، وَكَانَ يَذْبَحُ مَنْ فَوْقَ ذَلِكَ مِنَ الْعِلْمَانِ ، وَيَأْمُرُ بِالْحَبَالَى فَيُعَذِّبْنَ حَتَّى يَطْرَحْنَ مَا فِي بُطُونِهِنَّ ^(٩) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مُوسَى » .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٠٦/١ (٥٠٦) مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بِهِ .

وَأَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٣٨٨/١ عَنْ مُوسَى بْنِ هَارُونَ بِهِ عَنْ السَّدِيِّ بِإِسْنَادِهِ الْمَعْرُوفِ . وَسَيُفْرَقُ الْمُصَنِّفُ بِقِيَّتِهِ فِيمَا يَأْتِي .

(٢) فِي م : « أَحْزَابِهِ » .

(٣) بَعْدَهُ فِي ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لَهُ » .

(٤) فِي م : « نَعَمْ » .

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) سَقَطَ مِنْ : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧) فِي ص ، م : « قَتَلْتُهُ » .

(٨) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٣٨٧/١ . وَتَقَدَّمَ أَوَّلُهُ فِي ص ٦٤٥ .

أبى نجيح ، عن مُجاهدٍ ، قال : لقد ذُكر أنه كان ليَأْمُرُ بالقَصَبِ فيشَقُّ حتى يُجْعَلَ
أمثالَ الشَّفَارِ ، ثم يُصَفُّ بعضُهُ إلى بعضٍ ، ثم يُؤْتَى بالحَبَالِى مِنْ بَنى إِسْرَائِيلَ ، فيُوقَفْنَ
عليه فيَحْزُرُ أَقْدَامَهُنَّ ، حتى إن المرأةَ مِنْهُنَّ لَتَمْصَعُ ^(١) بولِهَا فيَقْعُ ^(٢) بَيْنَ رِجْلَيْهَا ،
فَتَظَلُّ تَطْوُهُ تَتَقَى ^(٣) به حَدَّ الْقَصَبِ عَنْ ^(٤) رِجْلَيْهَا ^(٥) ، لِمَا بَلَغَ مِنْ جَهْدِهَا ، حتى أُسْرِفَ
فى ذلك ، وكاد يُفْنِيَهُمْ ، فقليل له : أَفْنَيْتِ النَّاسَ ، وَقَطَعْتَ النَّسْلَ ، وَإِنَّهُمْ خَوْكُكَ
وَعُمَّالُكَ ^(٦) . فَأَمَرَ ^(٧) أَنْ يُقْتَلَ الْعِلْمَانُ عَامًا وَيُسْتَحْيَا عَامًا ، فوُلِدَ هَارُونُ فى السَّنَةِ التى
يُسْتَحْيَا فيها الْعِلْمَانُ ، ووُلِدَ موسى فى السَّنَةِ التى فيها يُقْتَلُونَ ^(٨) .

فالذى قاله مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ كَانَ ذَبْحُ آلِ فِرْعَوْنَ أَبْنَاءَ بَنى إِسْرَائِيلَ
وَاسْتَحْيَاءَهُمْ نِسَاءَهُمْ . فتَأْوِيلُ قَوْلِهِ إِذَنْ - على ما تَأَوَّلَهُ الَّذِينَ ذَكَرْنَا قَوْلَهُمْ -
﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ ^(٩) ﴾ : يَسْتَبْقُونَهُنَّ فَلَا يَقْتُلُونَهُنَّ .

وقد يَجِبُ على تَأْوِيلِ مَنْ قال بالقَوْلِ الذى ذَكَرْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأبى الْعَالِيَةِ
وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ وَالسُّدِّىِّ فى تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ ﴾ . أَنَّهُ تَرْكُهُمُ
الْإِنَاثَ مِنَ الْقَتْلِ عِنْدَ وِلَادَتِهِنَّ إِيَّاهُنَّ - أَنْ يَكُونَ جَائِزًا أَنْ تُسَمَّى الْطِفْلُ ^(١٠) مِنْ

(١) مصعت المرأة بولدها : أَلْقَتْ به . التاج (م ص ع) .

(٢) بعده فى : ص ، ر ، م ، ت ٢ : « من » .

(٣) فى الأصل : « وتقى » .

(٤) فى الأصل : « من » .

(٥) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « رجليها » .

(٦) فى ص : « غلمانك » .

(٧) فى الأصل ، ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فتأمر » . والمثبت موافق لما فى تاريخ المصنف .

(٨) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٣٨٧ ، ٣٨٨ .

(٩) فى الأصل ، ت ٢ : « نساءهم » .

(١٠) فى م ، ت ٢ : « الطفلة » .

الإناث في حال صباها وبعد ولادتها^(١) امرأة، والصبايا الصغار وهن أطفال نساء؛ لأنهم تأولوا قول الله جل وعز: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ : يَسْتَبْقُونَ الإناث من الولدان عند الولادة فلا يقتلونهن .

وقد أنكر ذلك من قولهم ابن جريج ، فقال بما حدثنا به القاسم ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ . قال : يَسْتَرْقُونَ نساءكم .

فحاد ابن جريج بقوله هذا عما قاله^(٢) مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ^(٣) في قوله : ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ . إنه استحياء / الصبايا الأطفال^(٤) ، إذ لم يجدْهن يلزمن اسم نساء ، ٢٧٤/١ ثم دخل فيما هو أعظم مما أنكر بتأويله ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ : وَيَسْتَرْقُونَ . وذلك تأويل غير [٨٧/٢] موجود في لغة عربية ولا أعجمية ، وذلك أن الاستحياء إنما هو استفعال من الحياة ، نظير الاستبقاء من البقاء ، والاستشقاء من الشقي ، وهو من معنى الاسترقاق بمعزل .

وقد تأول^(٥) آخرون قوله : ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ . بمعنى : يُذَبِّحُونَ رجالكم^(٥) «أبناء آبائكم» . وأنكروا أن يكون المذبحون الأطفال ، وقد قرن بهم النساء ، فقالوا : في إخبار الله جل ثناؤه أن المستحيين هم النساء ، الدلالة الواضحة على أن الذين كانوا يُذَبِّحُونَ هم الرجال دون الصبيان ؛ لأن المذبحين لو كانوا هم

(١) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : «ولادها» .

(٢ - ٣) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) بعده في ص ، ر ، م : «قال» .

(٤) في ر ، م : «قال» .

(٥ - ٥) في م : «آباء آبائكم» .

الأطفال لَوْجِبَ أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَحْيُونَ هُمُ الصَّبَايَا . قالوا : وفي إخبارِ الله عز وجل أنهم النساء ما يُبَيِّنُ عن^(١) أَنَّ الْمُذَبِّحِينَ هُمُ الرِّجَالُ .

وقد أَغْفَلَ قائلو هذه المقالة - مع خروجهم مِنْ تَأْوِيلِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ - مَوْضِعَ الصَّوَابِ ، وذلك أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قد أَخْبَرَ عَنْ وَحْيِهِ إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنَّهُ أَمَرَهَا أَنْ تُرْضِعَ مُوسَى ، فَإِذَا خَافَتْ عَلَيْهِ أَنْ تُلْقِيَهُ فِي التَّابُوتِ ، ثُمَّ تُلْقِيَهُ فِي الْيَمِّ ، فمعلومٌ بذلك أَنَّ الْقَوْمَ لَوْ كَانُوا إِنَّمَا كَانُوا^(٢) يَقْتُلُونَ الرِّجَالَ وَيَتْرَكُونَ النِّسَاءَ ، لَمْ يَكُنْ بِأُمِّ مُوسَى حَاجَةٌ إِلَى إِلْقَاءِ مُوسَى فِي الْيَمِّ ، أَوْ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا لَمْ تَجْعَلْهُ أُمُّهُ فِي التَّابُوتِ .

ولكن ذلك عِنْدَنَا عَلَى مَا تَأَوَّلَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَنْ حَكَيْتَنَا قَوْلَهُ قَبْلَ ، مِنْ ذَنْبِ آلِ فِرْعَوْنَ الصَّبِيَّانَ وَتَرْكِهِمَ مِنَ الْقَتْلِ الصَّبَايَا . وإنما قيل : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾^(٣) إِذْ كَانَ الصَّبَايَا دَاخِلَاتٍ مَعَ أُمَهَاتِهِنَّ - وَأُمَهَاتِهِنَّ لَا شَكَّ نِسَاءٌ - فِي الْاِسْتِحْيَاءِ ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَقْتُلُونَ صِغَارَ النِّسَاءِ وَلَا كِبَارَهُنَّ ، فَقِيلَ : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ يعني بذلك الْوَالِدَاتِ وَالْمَوْلُودَاتِ ، كَمَا يُقَالُ : قد أَقْبَلَ الرِّجَالُ . وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ صَبِيَّانَ . فكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ . وَأَمَّا مِنَ الذَّكُورِ فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ يُذْبِحُ إِلَّا الْمَوْلُودُونَ قِيلَ : ﴿ يُذْبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ ولم يَقُلْ : يُذْبِحُونَ رِجَالَكُمْ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾^(٤) .

قال أبو جعفر : أما قَوْلُهُ : ﴿ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ . فإنه يعني : وفي الذي فعلنا بكم مِنْ إِنْجَائِنَاكُمْ^(٤) مما كنتم فيه مِنْ عَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ إِيَّاكُمْ - عَلَى

(١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) سقط من : م .

(٣) في الأصل : « إِذَا » .

(٤) في ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « إِنْجَائِنَا إِيَّاكُمْ » .

ما وَصَفْتُ - بلاءٌ لكم من ربِّكم [٢/٨٧ ظ] عظيمٌ .

ويعنى بقوله ﴿بَلَاءٌ﴾ : نعمةٌ ، كما حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ ، قال : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ . قال : نعمةٌ ^(١) .

وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قال : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قال : حَدَّثَنَا أَشْبَاطُ ، عن الشَّدِيِّ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ : أما البلاءُ فالنَّعمةُ ^(٢) .

وَحَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ ، قال : حَدَّثَنَا أَبِي ، عن سَفْيَانَ ، عن رجلٍ ، عن مُجَاهِدٍ : ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ . قال : نعمةٌ من ربِّكم عظيمةٌ ^(٣) . حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قال : حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ ، عن ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ مِثْلَ حَدِيثِ سَفْيَانَ .

/ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قال : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عن ابْنِ جُرَيْجٍ : ٢٧٥/١ ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ . قال : نعمةٌ عظيمةٌ .

وأصلُ البلاءِ في كلامِ العربِ الاختبارُ والامتحانُ ، ثم يُسْتَعْمَلُ في الخيرِ والشرِّ ؛ لأنَّ الامتحانَ والاختبارَ قد يَكُونُ بِالْخَيْرِ كما يَكُونُ بِالشَّرِّ ، كما قال اللهُ جلَّ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٦/١ (٥٠٧) من طريق أبي صالح به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٦/١ عقب الأثر (٥٠٧) من طريق عمرو به . وينظر ما تقدم في ص ٦٤٨ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٩/١ إلى وكيع . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٦/١ عقب الأثر (٥٠٧) معلقا .

ثَنَّاوُهُ : ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف : ١٦٨] .
 يقول : اخْتَبَرْنَاهُمْ . وكما قال جل ثناؤه : ﴿وَبَلَوَكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾
 [الأنبياء : ٣٥] . ثم تُسَمَّى العربُ الخيرَ بلاءً ، والشرَّ بلاءً ، غيرَ أن الأكثرَ في الشرِّ أن
 يُقالَ : بَلَوْتُهُ أَبْلَوُهُ بلاءً ، وفي الخيرِ : أَبْلَيْتُهُ أَبْلَاءً وبلاءً . ومن ذلك قولُ زهيرِ بنِ
 أبي سُلمى ^(١) :

جَزَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو
 فَجَمَعَ بَيْنَ اللَّغَتَيْنِ ؛ لأنه أراد : فَأَنْعَمَ اللَّهُ عليهما خَيْرَ النَّعْمِ التِي يَخْتَبِرُ بِهَا
 عِبَادَهُ .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ وعزَّ : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ .

أما تأويلُ قوله : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ . فإنه عطفٌ على : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ ،
 بمعنى : واذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ، واذْكُرُوا إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ،
 وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ .

ومعنى قوله : ﴿فَرَقْنَا بِكُمْ﴾ : فَصَلْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ ؛ لأنهم كانوا اثنتي عشرة
 سَيْطًا ، ففَرَّقَ الْبَحْرَ اثْنَيْ عَشَرَ طَرِيقًا ، فَسَلَّكَ كُلَّ سَيْطٍ مِنْهُمْ طَرِيقًا مِنْهَا ، فَذَلِكَ
 فَرَقُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ بِهِم الْبَحْرَ ، وَفَصَلَّهُ بِهِمْ بِتَفْرِيقِهِمْ ^(٢) فِي طَرَفِ الْاِثْنَيْنِ عَشَرَ ^(٣) .

كما حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ :
 [٨٨/٢] لَمَّا أَتَى مُوسَى الْبَحْرَ كَنَّا أَبَا خَالِدٍ ، وَضَرَبَهُ فَأَنْفَلَقَ ، فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّودِ

(١) شرح ديوان زهير ص ١٠٩ .

(٢) في الأصل ، ص : «بتفرقهم» .

(٣) في الأصل : «العشر» .

العظيم ، فدخلت بنو إسرائيل ، وكان في البحر اثنا عشر طريقاً ، في كل طريق سبط^(١) .

وقد قال بعض نحوئي البصرة : معنى قوله : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾ : فرقنا بين الماء وبينكم ، يريد بذلك : فصلنا بينكم وبينه وحجزنا حيث مرزئهم فيه .

وذلك خلاف ما في ظاهر التلاوة ؛ لأن الله جل ثناؤه إنما أخبر أنه فرق البحر بالقوم ، ولم يخبر أنه فرق بين القوم وبين البحر فيكون التأويل ما قاله قائل^(٢) هذه المقالة . وفرقه البحر بالقوم إنما هو تفريقه البحر بهم على ما وصفنا من افتراق سبيله^(٣) بهم على ما جاءت به الآثار .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنَسَرْنَا نَقْرُورَ ﴾ .

إن قال لنا قائل : كيف غرق الله آل فرعون ونجى بنى إسرائيل ؟

قيل : كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : لقد ذكر لي أنه خرج فرعون في طلب موسى على سبعين ألفاً من دهم الخيل سوى ما في جنده من شية^(٤) الخيل ، وخرج موسى حتى إذا قابله البحر فلم يكن له عنه مُنصرف ، طلع فرعون في جنده من خلفهم ، ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴾ (٦٦) قَالَ ﴿ مُوسَى ﴾ ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء : ٦١ ، ٦٢] . أى :

(١) سيأتي بتمامه في ص ٦٨١ .

(٢) في ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قائلو » .

(٣) في ص ، م : « سبيله » .

(٤) الشية : سواد في بياض أو بياض في سواد . اللسان (و ش ي) .

لِلنَّجَاةِ - وَقَدْ وَعَدَنِي ذَلِكَ ، وَلَا تُخْلَفْ لَوْعِدِهِ ^(١) .

٢٧٦/١

/ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : أَوْحَى اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ - فِيمَا ذُكِرَ لِي - إِلَى الْبَحْرِ : إِذَا ضَرَبَكَ مُوسَى بِعَصَاهُ فَانْفَلِقْ لَهُ . قَالَ : فَبَاتَ ^(٢) الْبَحْرُ يَضْرِبُ بَعْضُهُ بَعْضًا فَرَقًا ^(٣) مِنْ اللَّهِ وَانْتِظَارَهُ ^(٤) أَمْرَهُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى : ﴿ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾ ، فَضْرِبَهُ بِهَا ، وَفِيهَا سُلْطَانُ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاهُ ، ﴿ فَانْفَلَقَ ﴾ ^(٥) فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿ [الشعراء: ٦٣] . أَيْ : كَالْجَبَلِ عَلَى نَشْرِ ^(٦) مِنَ الْأَرْضِ . يَقُولُ اللَّهُ لِمُوسَى : ﴿ فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ [طه: ٧٧] . فَلَمَّا اسْتَقَرَّ لَهُ ^(٧) الْبَحْرُ عَلَى طَرِيقِ قَائِمَةِ يَسَّى سَلَكَ فِيهِ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَاتَّبَعَهُ [٢/ ٨٨ ط] فَرَعُونَ بِجُنُودِهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ اللَّيْثِيِّ ، قَالَ : حَدَّثْتُ أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ^(٩) ، فَلَمْ يَتَّقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، أَقْبَلَ فَرَعُونُ وَهُوَ عَلَى حِصَانٍ لَهُ مِنَ الْخَيْلِ

(١) فِي ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لَوْعِدِهِ » .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٤٢٠/١ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٧٦٩/٨ (١٥٦٥٥) مِنْ طَرِيقِ سَلْمَةَ بِهِ .

(٢) فِي م : « فَبَاتَ » .

(٣) الْفِرْقُ : الْخَوْفُ . اللَّسَانُ (ف ر ق) .

(٤) فِي م : « انتظار » .

(٥) فِي الْأَصْلِ ، ص : « فانفلق » .

(٦) فِي م : « يس » . وَالنَّشْرُ : الْمَتْنُ الْمَرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ . اللَّسَانُ (ن ش ز) .

(٧) فِي ر ، م : « لهم » .

(٨) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٤٢٠/١ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٧٧٢/٨ ، ٢٧٧٣ (١٥٦٧٠) ،

(١٥٦٧٧) مِنْ طَرِيقِ سَلْمَةَ بِهِ .

(٩) بَعْدَهُ فِي ص ، م : « البحر » .

حتى وقف على شَفِيرِ البحرِ ، وهو قائمٌ على حاله ، فهاب الحصانُ أن يَنْفُذَ ، فعرض له جبريلُ عليه السلامُ على فرسٍ أنثى وَدِيقٍ ^(١) ، فقرَّبها منه فشَمَّها الفحلُ ، فلَمَّا شَمَّها قَدَّمها ^(٢) ، فتقدَّم معه ^(٣) الحصانُ عليه فرعونُ ، فلما رأى جندُ ^(٤) فرعونَ فرعونَ قد دَخَلَ ، دَخَلوا معه ، وجبريلُ أمامه ، وهم يَتَّبِعُونَ فرعونَ ، وميكائيلُ على فرسٍ من خَلْفِ القومِ يَشْحَذُهُمْ ^(٥) ، يقولُ : الْحَقُّوا بِصَاحِبِكُمْ . حتى إذا فَصَلَ جبريلُ مِنَ البحرِ ليس أمامه أحدٌ ، ووقف ميكائيلُ على ناحيته الأخرى ليس خلفه أحدٌ ، طَبَّقَ عليهم البحرُ ، ونادى فرعونُ حينَ رأى مِنْ سُلْطَانِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ ما رأى ، وعرف ذلَّهُ ^(٦) ، وَخَذَلَتْهُ نَفْسُهُ - : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَآنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ^(٨) [يونس : ٩٠] .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ ، عن عمرو بن مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ في قوله : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴾ . قال : لما أخرج موسى بنى إسرائيلَ بَلَغَ ذلك فرعونُ ، فقال : لَا تَتَّبِعُوهُمْ حَتَّى يَصِيحَ الدِّيكُ . قال : فوالله ما صاح ليلَتِيذِ دِيكٍ حَتَّى أَصْبَحُوا ، فدعا بشاةٍ فَذَبَحَتْ ، ثم قال : لَا أَفْرُغُ مِنْ كِبْدِهَا حَتَّى يَجْتَمِعَ إِلَى سِتْمَائَةِ أَلْفٍ مِنَ الْقَبِيطِ . فلم يَفْرُغُ مِنْ كِبْدِهَا حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ سِتْمَائَةُ أَلْفٍ مِنْ

(١) الفرس الوديق : هى التى تشتهى الفحل . النهاية ١٦٨/٥ .

(٢) فى م : « تبعها » ، وقدمها : أى زجرها وأمرها بالتقدم . ينظر اللسان (ق د م) .

(٣) فى م : « معها » .

(٤) فى الأصل : « جنود » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « خيل » .

(٥) فى م : « يسوقهم » . ويشحذهم يسوقهم بمعنى .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « زلته » .

(٧ - ٧) فى ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « آمنت بالذى » ، وفى م : « آمنت أنه لا إله إلا الذى » .

(٨) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٢٠ ، ٤٢١ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨/ ٢٧٧٥ ، ٢٧٧٦ .

(١٥٦٨٧) من طريق سلمة به .

(تفسير الطبرى ١/ ٤٢)

القبط، ثم سار، فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه يُقال له: يُوشع بن نون: أين أمرك ربك يا موسى؟ قال: أمامك. يُشير إلى البحر، فأقحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ العَمَرُ^(١)، فذهب به، ثم رجع، فقال: أين أمرك ربك يا موسى؟ فوالله ما كذبت ولا كُذِّبت، ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم أوحى الله إلى موسى: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَيَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾. يقول: مثل جبل. ثم سار موسى ومن معه، وأتبعهم فرعون في طريقهم، حتى إذا تناثروا فيه أطبقه الله عليهم، فلذلك قال: ﴿وَأَغْرَقْنَاهُ آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾. قال مَعْمَرُ: قال قتادة: كان مع موسى ستمائة ألف، وأتبعه فرعون على ألف ألف ومائتي ألف حصان^(٢).

حدثنا عبد الكريم بن الهيثم، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي، قال: حدثنا سفيان، قال: قال 'أبو سعيد'، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: أوحى الله إلى موسى أن أسر بعبادي [٢/٨٩] ليلاً إنكم متبعون. قال: فسرى موسى بيني إسرائيل ليلاً، فأتبعهم فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث، وكان موسى في ستمائة ألف، فلما عاينهم فرعون، قال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۖ وَإِنَّهُمْ لَنَا

(١) الغمر: معظم البحر. تاج العروس (غ م ر).

(٢) في م: «مائة».

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٥، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٠٦، ١٠٧ (٥٠٨) عن الحسن بن يحيى به. وأخرجه أيضاً ٨/ ٢٧٧١ (١٥٦٦٧) من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق به، ببعضه. وينظر تاريخ المصنف ١/ ٤١٤.

وأخرج ابن أبي حاتم أيضاً ٨/ ٢٧٧٤، ٢٧٧٥ (١٥٦٨٢، ١٥٦٨٦) من طريق يونس وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود نحوه. (٤ - ٤) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «أبو سعيد». وينظر ما تقدم في ص ٦٤٧.

لَعَايَظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ [الشعراء : ٥٤ - ٥٦] . فسرى موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر ، فالتفتوا ، فإذا هم برهج^(١) دواب فرعون فقالوا : يا موسى : ﴿٥٧﴾ أَوَدِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴿٥٨﴾ [الأعراف : ١٢٩] . هذا البحر أمامنا ، وهذا فرعون قد رهقنا^(٢) بمن معه : ﴿٥٩﴾ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ [الأعراف : ١٢٩] . قال : فأوحى الله جل ثناؤه إلى موسى ﴿٦١﴾ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴿٦٢﴾ . وأوحى إلى البحر أن اسمع لموسى ، وأطع إذا ضربك . قال : فبات^(٣) البحر له أفكل - يعنى : له رعدة - لا يدرى من أى جوانبه يضربه . قال : فقال يوشع لموسى : بماذا أمرت ؟ قال : أمرت أن أضرب البحر . قال : فاضربه . قال : فاضرب موسى البحر بعصاه ، فانفلق ، فكان فيه اثنا عشر طريقاً ، كل طريق كالطود العظيم ، فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه ، فلما أخذوا فى الطريق ، قال بعضهم لبعض : ما لنا لا نرى أصحابنا ؟ قالوا لموسى : أين أصحابنا لا نراهم ؟ قال : سيروا فإنهم على طريق مثل طريقكم . قالوا : لا نرعى حتى نراهم .

قال سفيان : قال عمار الدُّهْنِيُّ : قال موسى : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ أَخْلَاقِهِمُ السَّيِّئَةِ . قال : فأوحى الله إليه أن قل بعصاك هكذا . وأومأ إبراهيم بيده يديها على البحر ، قال موسى بعصاه على الحيطان هكذا ، فصار فيها كِوَاءً^(٤) ينظر بعضهم إلى بعض .

(١) الرهج : الغبار . اللسان (ر ه ج) .

(٢) رهق فلان فلانا : تبعه فقارب أن يلحقه . اللسان (ر ه ق) .

(٣) فى م : « فتاب » .

(٤) فى م : كوى . وكواء وكؤى : جمع كؤة ، وهى الخرق فى الحائط . اللسان (ك و ي) .

قال سفيان: قال أبو سعيد^(١)، عن عكرمة، عن ابن عباس: فساروا حتى خرجوا من البحر، فلما جاز آخِرُ قوم موسى هَجَمَ فرعونُ على البحرِ هو وأصحابه، وكان على فرسٍ أدهمَ ذَنُوبٍ^(٢) حِصَانٍ، فلما هَجَمَ على البحرِ هاب الحِصَانُ أن يَتَقَحَّم^(٣) في البحرِ، فمثل له جبريلُ عليه السلامُ على فرسٍ أنثى وَدِيقٍ، فلما رآها الحِصَانُ تَقَحَّمَ خَلَفَهَا، وقيل لموسى: اترك البحرَ رَهْوَا - قال: طُرُقًا على حاله - قال: ودخل فرعونُ وقومه البحرَ، فلَمَّا دَخَلَ آخِرُ قومِ فرعونَ، وجاز آخرُ قومِ موسى، أَطْبَقَ البحرُ على فرعونَ وقومه فَأَغْرَقُوا^(٤).

وحدَّثني موسى بنُ هارونَ، قال: حدَّثنا عمرو، قال: حدَّثنا أشباطُ، عن السدي، أن الله أمر موسى أن يخرج بني إسرائيلَ، فقال: ﴿فَأَسْرِ بِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾. فخرج موسى [٨٩/٢ ط] وهارونُ في قومهما، وأُلْقِيَ على القِنَيطِ الموتُ، فمات كلُّ بِكْرٍ رَجُلٍ، فأَضْبَحُوا يَذْفُونَهُمْ، فَشَغَلُوا عن طلبهم حتى طَلَعَت الشمسُ، فذلك حينَ يَقُولُ اللهُ جل وعزَّ: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾. وكان موسى على ساقية بني إسرائيلَ، وكان هارونُ أمامهم يَقْدُمُهُمْ، فقال المؤمنُ لموسى: يا نبيَّ اللهِ، أين أُمِرْتُ؟ قال: البحرُ. فأراد أن يَفْتَحِمَ، فَمَنَعَهُ موسى، وخرج موسى في سِتِّمِائَةِ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ - لا يَعُدُّونَ ابْنَ الْعِشْرِينَ لَصِغَرِهِ، ولا ابْنَ السِّتِينَ لِكِبَرِهِ، وإنما عَدُّوا ما بَيْنَ ذَلِكَ سوى الذرية، وتبعهم فرعونُ على مُقَدِّمَتِهِ هَامَانُ في أَلْفِ أَلْفٍ وَسَبْعِمِائَةِ أَلْفِ حِصَانٍ، ليس فيها مَادِيَانَةٌ^(٥) - يعني الأثني - وذلك حينَ

(١) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «سعيد». وينظر ما تقدم في ص ٦٤٧.

(٢) الذنوب: وافر شعر الذنب. النهاية ١٧٠/٢.

(٣) في م: «يقتحم».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٧٧١/٨، ٢٧٧٣ (١٥٦٦٥، ١٥٦٧٥) من طريق ابن عيينة به، مختصرا. وينظر ما سيأتي في ص ٦٦٩ - ٦٧١.

(٥) في الأصل: «مادبانة»، وفي م: «مادبانة»، وفي ت ١، ت ٣: «مادبانة»، وفي ت ٢: «ماربانة». =

يقول الله : ﴿ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ [الشعراء : ٥٣، ٥٤] . يعنى بنى إسرائيل ، فتقدم هارون فضرِب البحر ، فأبى البحر أن ينفتح ، وقال : مَنْ هذا الجبار الذى يضرِبُنِي ؟ حتى أتاه / موسى ، فكتاه أبا خالد وضربه ، ٢٧٨/١
﴿ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء : ٦٣] . يقول : كالجبل العظيم . فدخلت بنو إسرائيل ، وكان فى البحر اثنا عشر طريقاً ، فى كل طريق سببط - وكانت الطرق انفلقت بجدران - فقال كل سببط : قد قُتِل أصحابنا . فلما رأى ذلك موسى ، دعا الله ، فجعلها ^(١) لهم قناطر كهيفة الطيقان ، فنظر آخرهم إلى أولهم ، حتى خرجوا جميعاً ، ثم دنا فرعون وأصحابه ، فلما نظر فرعون إلى البحر مُنْفَلِقاً ، قال : ألا تَرَوْنَ البحرَ فَرِقَ منى ؟ قد انفتح لى حتى أدرك أعدائى فأقتلهم . فذلك قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَأَرْسَلْنَا نَمَّ الْآخَرِينَ ﴾ [الشعراء : ٦٤] . يقول : قربنا ثم الآخرين . يعنى آل فرعون . فلما قام فرعون على أفواه الطُّرُق أبْت خيله أن تفتَح ^(٢) ، فنزل جبريل عليه السلام على ماديانة ^(٣) ، فشامت ^(٤) الحصن ^(٥) رِيح الماديانة ^(٦) ، فافتحمت ^(٧) فى أثرها ، حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم ، أمر البحر أن يأخذهم ، فالتطم عليهم ^(٨) .

= وماديانة : فارسية معربة . ينظر المعجم الذهبى ص ٥٣٢ .

(١) فى الأصل : « فجعله » .

(٢) فى الأصل : « تنفتح » .

(٣) فى الأصل ، ص ، ر : « ماديانة » ، فى م : « ماذبانة » ، وفى ت ٢ : « ماربانه » .

(٤) فى الأصل : « فشمت » .

(٥) فى م : « الحصان » .

(٦) فى الأصل : « المازيانه » ، وفى ت ٢ : « الماربانه » .

(٧) فى م : « فافتحمت » .

(٨) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٧٠/٨ ، ٢٧٧٢ ، ٢٧٧٣ - ٢٧٧٥ (١٥٦٦١ ، ١٥٦٦٩) ،

= ١٥٦٧٦ ، ١٥٦٧٩ ، ١٥٦٨٤) مفرقا عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : لما أَخَذَ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ الْأَرْضَ إِلَى الْبَحْرِ قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ : قُولُوا لَهُمْ يَدْخُلُوا الْبَحْرَ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ . فلما رَأَاهُمْ أَصْحَابُ مُوسَى قَالُوا : ﴿ إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴾ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿ [الشعراء : ٦١ ، ٦٢] . فقال موسى للبحر : أَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلَى . قال : وَتَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءَ عِبَادٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، أَمَرَنِي أَنْ آتِيَ بِهِمْ ؟ قَالَ : بَلَى . قال : وَتَعْلَمُ أَنَّ هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلَى . قال : فَافْرُقْ ^(١) لِي طَرِيقًا وَلِمَنْ مَعِيَ . قال : يَا مُوسَى ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَمْلُوكٌ ، [٢ / ٩٠] لَيْسَ لِي أَمْرٌ إِلَّا أَنْ يَأْمُرَنِي اللَّهُ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْبَحْرِ إِذَا ضَرَبَكَ مُوسَى بِعَصَاهُ فَانْفِرْ ، وَأَوْحَى إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبِ الْبَحْرَ . وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ [طه : ٧٧] . وَقَرَأَ قَوْلَهُ : ﴿ وَاتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ [الدخان : ٢٤] : سَهْلًا لَيْسَ فِيهِ تَعَدُّ ، فَانْفَرَقَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِرْقَةً ، فَسَلَكَ كُلُّ سِبْطٍ فِي طَرِيقٍ . قال : فَقَالُوا الْفِرْعَوْنُ : إِنَّهُمْ قَدْ دَخَلُوا الْبَحْرَ . قال : اذْخُلُوا عَلَيْهِمْ . قال : وَجَبْرِيلُ فِي آخِرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقُولُ لَهُمْ : لِيَلْحَقْ آخِرُكُمْ أَوَّلُكُمْ . وَفِي أَوَّلِ آلِ فِرْعَوْنَ يَقُولُ لَهُمْ : زُوَيْدًا يَلْحَقْ آخِرُكُمْ أَوَّلُكُمْ . فَجَعَلَ كُلُّ سِبْطٍ فِي الْبَحْرِ يَقُولُونَ لِلْسِّبْطِ الَّذِينَ دَخَلُوا قَبْلَهُمْ : قَدْ هَلَكُوا . فلما دَخَلَ ذَلِكَ قُلُوبُهُمْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْبَحْرِ فَجَعَلَ لَهُمْ قَنَاطِرَ يَنْظُرُ هَؤُلَاءَ إِلَى هَؤُلَاءَ ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ آخِرُ هَؤُلَاءَ ، وَدَخَلَ آخِرُ هَؤُلَاءَ ، أَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ فَأَطْبَقَ عَلَى هَؤُلَاءَ .

ويعنى بقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ . أى : تَنْظُرُونَ إِلَى فِرْقِ اللَّهِ بِكُمْ الْبَحْرِ ، وَإِهْلَاكِهَ آلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي نَجَّاهُمْ فِيهِ ، وَإِلَى عَظِيمِ سُلْطَانِهِ فِي الَّذِي أَرَاكُمْ مِنْ طَاعَةِ الْبَحْرِ إِيَّاهُ ، مِنْ مَصِيرِهِ زُكَاةً فِرْقًا كَهَيْئَةِ الْأَطْوَادِ الشَّامِخَةِ ، غَيْرِ زَائِلٍ عَنْ حَدِّهِ ؛ انْقِيَادًا لِأَمْرِهِ ، وَإِذْعَانًا لَطَاعَتِهِ ، وَهُوَ سَائِلٌ ذَائِبٌ قَبْلَ ذَلِكَ .

= وأخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٤١٣ - ٤١٥ عن موسى بن هارون به عن السدي بإسناده المعروف . وتقدم أوله في ص ٦٤٩ .

(١) في م : « انفرق » .

يُوقِفُهُمْ بِذَلِكَ جَلَّ ذِكْرُهُ عَلَى مَوْضِعِ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ ، وَيُذَكِّرُهُمْ آلَاءَهُ عِنْدَ
أَوَائِلِهِمْ ، وَيُحَذِّرُهُمْ - 'بِتَكْذِيبِهِمْ' ^(١) نَبِيِّنَا مُحَمَّدًا ﷺ - أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ
بِفِرْعَوْنَ وَآلِهِ فِي تَكْذِيبِهِمْ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ . كَمَعْنَى قَوْلِ
الْقَائِلِ : ضَرَبْتُ وَأَهْلُكَ يَنْظُرُونَ ، فَمَا أَتَوَكَ وَلَا أَغَاثُوكَ ^(٢) . يَعْنِي : وَهُمْ قَرِيبٌ بِمَزْأَى
وَمَسْمَعٍ . وَكَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [الفرقان :
٤٥] . وَلَيْسَ هُنَاكَ رُؤْيَةٌ ، إِنَّمَا هُوَ عَلَمٌ .

وَالَّذِي دَعَاهُ إِلَى هَذَا التَّأْوِيلِ أَنَّهُ وَجَّهَ قَوْلَهُ : ﴿ وَأَنْتُمْ / تَنْظُرُونَ ﴾ . إِلَى غَرَقِ آلِ
فِرْعَوْنَ ، فَقَالَ : قَدْ كَانُوا فِي شُغْلٍ مِنْ أَنْ يَنْظُرُوا مِمَّا اكْتَنَفَهُمْ مِنَ الْبَحْرِ مِنْ أَنْ يَرَوْا
فِرْعَوْنَ وَغَرَقَهُ .

وَلَيْسَ الَّذِي تَأْوَلَهُ تَأْوِيلَ الْكَلَامِ ، إِنَّمَا التَّأْوِيلُ : وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَى فَوْقِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ الْبَحْرَ لَكُمْ - مِمَّا قَدْ وَصَفْتُ أَنْفًا - وَالتَّيْطَامُ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ بِآلِ فِرْعَوْنَ فِي الْمَوْضِعِ
الَّذِي صَيَّرَ لَكُمْ مِنَ الْبَحْرِ طَرِيقًا يَبَسًا . وَذَلِكَ لَا شَكَّ كَانَ نَظَرٌ عَيَانٍ لَا نَظَرَ عِلْمٍ ،
عَلَى مَا ظَنَّنْهُ قَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي حَكَيْتُنَا .

[٩٠/٢] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا ﴾ .

اِخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَهُ بَعْضُهُمْ : ﴿ وَعَدْنَا ﴾ ^(٣) . بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى وَاعَدَ مُوسَى مُوَافَاةً ^(٤) الطُّورِ لِمُنَاجَاتِهِ ، فَكَانَتْ الْمَوْاعِدَةُ مِنَ اللَّهِ لِمُوسَى ، وَمِنْ
مُوسَى لِرَبِّهِ . وَكَانَ مِنْ حُجَّتِهِمْ عَلَى اخْتِيَارِهِمْ قِرَاءَةَ : ﴿ وَعَدْنَا ﴾ عَلَى : (وَعَدْنَا)

(١ - ١) فِي م ، ت ١ : « فِي تَكْذِيبِهِمْ » .

(٢) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أَغَاثُوكَ » .

(٣) وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَعَاصِمٍ وَابْنِ عَامِرٍ وَالْكَسَائِيُّ وَحُمَزَةُ . السَّبْعَةُ لِابْنِ مَجَاهِدٍ ص ١٥٤ .

(٤) فِي ر : « مُرَاقَاةً » ، وَفِي م : « مُلَاقَاةً » .

أَن قَالُوا: كُلُّ اتِّعَادٍ^(١) كَانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ لِلالتِّقَاءِ أَوْ^(٢) لِلاجْتِمَاعِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُوَاعِدٌ صَاحِبُهُ ذَلِكَ، فَلِذَلِكَ - زَعَمُوا^(٣) - وَجِبَ أَنْ يُقْضَى لِقَاءُهُ مَنْ قَرَأَ: ﴿وَعَدْنَا﴾ بِالِاخْتِيَارِ عَلَى قِرَاءَةٍ مَنْ قَرَأَ: (وَعَدْنَا).

وَقَرَأَهُ بَعْضُهُمْ: (وَعَدْنَا)^(٤). بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ الْوَاعِدُ مُوسَى، وَالْمَنْفَرْدُ بِالْوَعْدِ دُونَهُ. وَكَانَ مِنْ حُجَّتِهِمْ فِي اخْتِيَارِهِمْ ذَلِكَ أَنْ قَالُوا: إِنَّمَا تَكُونُ الْمُوَاعِدَةُ بَيْنَ الْبَشَرِ، فَأَمَّا اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَإِنَّهُ الْمَنْفَرْدُ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ فِي كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ. قَالُوا: وَبِذَلِكَ جَاءَ التَّنْزِيلُ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]. وَقَالَ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٧]. قَالُوا: فَكَذَلِكَ الْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَنْفَرْدُ بِالْوَعْدِ فِي قَوْلِهِ: (وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَالصُّوَابُ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ^(٥) مِنَ الْقَوْلِ^(٥) أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ قَدْ جَاءَتْ بِهِمَا الْأُمَّةُ، وَقُرِئَتْ بِهِمَا الْقِرَاءَةُ، وَلَيْسَ فِي الْقِرَاءَةِ إِحْدَاهُمَا إِبْطَالُ مَعْنَى الْأُخْرَى، وَإِنْ كَانَ فِي إِحْدَاهُمَا زِيَادَةٌ مَعْنَى عَلَى الْأُخْرَى مِنْ جِهَةِ الظَّاهِرِ وَالتَّلَاوَةِ؛ فَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْمَفْهُومِ بِهِمَا، فَإِنَّهُمَا مُتَّفِقَتَانِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ شَخْصٍ أَنَّهُ وَعَدَ غَيْرَهُ اللَّقَاءَ بِمَوْضِعٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَوْعِدَ ذَلِكَ وَاعِدٌ صَاحِبُهُ مِنْ لِقَائِهِ بِذَلِكَ الْمَكَانِ مِثْلَ الَّذِي وَعَدَهُ مِنْ ذَلِكَ صَاحِبُهُ^(٦)، إِذَا كَانَ رَاضِيًا مُجِيبًا صَاحِبَهُ إِلَى مَا وَعَدَهُ مِثْلَ الَّذِي وَعَدَهُ مِنْ ذَلِكَ صَاحِبُهُ^(٦)، إِذَا كَانَ وَعَدَهُ إِيَّاهُ ذَلِكَ عَنْ اتِّفَاقٍ مِنْهُمَا عَلَيْهِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمْ يَعِدْهُ رَبُّهُ الطُّورَ إِلَّا عَنْ رِضَا مُوسَى بِذَلِكَ؛ إِذْ

(١) فِي م: «إِعَاد».

(٢) فِي ص: «و».

(٣) بَعْدَهُ فِي م: «أَنَّهُ».

(٤) وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو. السَّبْعَةُ لَابْنِ مُجَاهِدٍ ص ١٥٤.

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ: ص.

(٦ - ٦) سَقَطَ مِنْ: ص، ر، م، ت، ١، ت، ٢.

كان موسى غيرَ مشكوكٍ فيه ، أنه كان بكلِّ ما أمره الله به راضيًا ، وإلى محبته فيه مُسارِعًا ، ومعقولٌ أن الله تعالى لم يَعِدْ موسى ذلك إلا وموسى عليه السلامُ له ^(١) مُسْتَجِيبٌ ، وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلومٌ أن الله تعالى ذكره كان قد وعد موسى الطورَ ، ووعدَه موسى اللقاءَ ، فكان الله عز ذكره لموسى واعدًا مُواعِدًا له المناجاةَ على الطورِ ، وكان موسى واعدًا لرَبِّه مُواعِدًا له اللقاءَ ، فبأَيِّ القراءَتَيْنِ مِنْ : « وعد وواعد » قرأ القارئُ ، فهو للحقِّ ^(٢) في ذلك - مِنْ جهةِ التأويلِ واللغة - مُصِيبٌ ؛ لما وصفنا مِنَ العِلَلِ قبلُ .

ولا معنى لقول [٩١/٢] القائل : إنما تكونُ المُواعِدةُ بَيْنَ البَشَرِ ، وإن الله تبارك وتعالى بالوعدِ والوَعِيدِ مُتَّفِرِّدٌ فِي كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ . وذلك أن انفرادَ الله بالوعدِ والوَعِيدِ فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ ، الَّذِي هُوَ بِيَدِهِ ، وَإِلَيْهِ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ - لَا يُحِيلُ الْكَلَامَ الْجَارِي بَيْنَ النَّاسِ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهُ عَنْ وُجُوهِهِ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ عَنْ مَعَانِيهِ . وَالْجَارِي بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْكَلَامِ الْمَفْهُومِ مَا وَصَفْنَا ، مِنْ أَنَّ كُلَّ اتِّعَادٍ ^(٣) كَانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، فَهُوَ / وَعْدٌ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَمُواعِدةٌ بَيْنَهُمَا ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاعِدٌ صَاحِبُهُ مُواعِدُهُ ^(٤) ، وَأَنَّ الوعدَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْانْفِرَادُ مِنَ الْوَاعِدِ دُونَ الْمَوْعودِ ، إِنَّمَا هُوَ مَا كَانَ بِمَعْنَى الْوَعْدِ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الْوَعِيدِ .

القولُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ مُوسَى ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وموسى - فيما بَلَّغْنَا - كَلِمَتَانِ بِالْقِبْطِيَّةِ ، يُغْنَى بِهِمَا : ماءٌ وشَجَرٌ . ف « مو » : هُوَ الْمَاءُ ، وَ « سا » : هُوَ الشَّجَرُ . وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ - فيما

(١) فِي ر : « لَهُ إِلَهٌ » ، وَفِي م : « إِلَهٍ » .

(٢) فِي م : « الْحَقُّ » .

(٣) فِي م : « إِيعَادٌ » .

(٤) فِي ص ، ر ، م : « مَوَاعِدٌ » .

بَلَّغْنَا - لَأَنْ أُمَّهُ لَمَّا جَعَلَتْهُ فِي التَّابُوتِ - حِينَ خَافَتْ عَلَيْهِ مِنْ فِرْعَوْنَ - وَأَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ ، كَمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا ، وَقِيلَ : إِنَّ الْيَمَّ الَّذِي أُلْقَتْهُ فِيهِ هُوَ النَّيْلُ ؛ دَفَعَتْهُ أَمْوَاجُ الْيَمِّ حَتَّى أَدْخَلَتْهُ بَيْنَ أَشْجَارٍ عِنْدَ بَيْتِ فِرْعَوْنَ ، فَخَرَجَ جَوَارِيَّ آسِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ يَغْتَسِلْنَ ، فَوَجَدْنِ التَّابُوتَ ، فَأَخَذْنَهُ ، فَسَمَّيْ «بِاسْمِ الْمَكَانِ» الَّذِي أُصِيبَ فِيهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِمَكَانٍ^(٢) فِيهِ مَاءٌ وَشَجَرٌ ، فَقِيلَ : «مُوسَى» ، مَاءٌ وَشَجَرٌ .

كَذَلِكَ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ السُّدِّيِّ^(٣) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَهُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ يَصْهَرَ^(٤) بْنِ قَاهَتْ^(٥) بْنِ لَأَوِي بْنِ يَعْقُوبَ إِسْرَائِيلَ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ ذِيحِ اللَّهِ^(٦) بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ ، فِيمَا زَعَمَ ابْنُ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ عَنْهُ^(٧) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَمَعْنَى ذَلِكَ : وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً بِتَمَامِهَا . فَالْأَرْبَعُونَ اللَّيْلَةُ^(٨) كُلُّهَا دَاخِلَةٌ فِي الْمِيعَادِ .

[٩١/٢ ظ] وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْبَصْرَةِ أَنَّ مَعْنَاهُ : وَإِذْ^(٩) وَاَعَدْنَا مُوسَى

(١ - ١) فِي ر : « بِالْمَكَانِ » .

(٢) فِي م : « الْمَكَانِ » .

(٣) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٣٩٠/١ عَنْ مُوسَى بْنِ هَارُونَ بِهِ عَنِ السُّدِّيِّ بِإِسْنَادِهِ . وَفِيهِ أَنَّ الشَّجَرَ : شَا - بِالشَّيْنِ الْمُجَمَّةِ . وَتَقْدَمُ أَوَّلُهُ فِي ص ٦٤٩ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « يَسْهَرُ » .

(٥) فِي ر : « قَاهَتْ » .

(٦) سَيَأْتِي تَعْلِيلُنَا فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الصَّافَّاتِ أَنَّ الصَّحِيحَ فِي الذِّيحِ أَنَّهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٧) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٣٨٥/١ .

(٨) فِي م : « لَيْلَةٌ » .

(٩) فِي م : « إِذَا » .

انْقِضَاءُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، أَى رَأْسَ الْأَرْبَعِينَ . وَمِثْلُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿وَسَلَّى الْقَرِيَّةَ﴾ [يوسف : ٨٢] . وَبِقَوْلِهِمْ : الْيَوْمَ أَرْبَعُونَ مِنْذُ خَرَجَ فُلَانٌ ، وَالْيَوْمَ يَوْمَانِ . أَى الْيَوْمُ تَمَامُ يَوْمَيْنِ وَتَمَامُ أَرْبَعِينَ .

قال أبو جعفر : وذلك خلاف ما جاءت به الرواية عن أهل التأويل ، وخلاف ظاهر التلاوة . فأما ظاهر التلاوة ، فإن الله جل وعز قد أخبر أنه واعد موسى أربعين ليلة ، فليس لأحد إحالة ظاهر خبره إلى باطنٍ بغير بُزْهَانٍ دالٍّ على صحته .

وأما أهل التأويل ، فإنهم قالوا فى ذلك ما أنا ذاكره ، وهو ما حدّثنى به المشئى ، قال : حدّثنا آدم ، قال : حدّثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية قوله : ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ . قال : يعنى ذا القعدة وعشرا من ذى الحجة ، وذلك حين خلف موسى أصحابه ، واستخلف عليهم هارون ، فمكث على الطور أربعين ليلة ، وأنزل عليه التوراة فى الألواح - وكانت الألواح من بردي^(١) - فقرّبه الرب^(٢) نجيا وكلمه ، وسمع صريف^(٣) القلم ، وبلغنا أنه لم يُحدِث حَدَثًا فى الأربعين ليلة حتى هبط من الطور^(٤) .

حدّثت عن عمار بن الحسين ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه .

(١) فى م : « زبرجد » .

(٢) بعده فى م : « إليه » .

(٣) فى ر : « صرير » . وهما بمعنى .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٧/١ (٥١١) من طريق آدم به ، دون قوله : وكانت الألواح من برد . وأخرجه ابن أبى حاتم أيضا ١٥٦٣/٥ (٨٩٥٩) . وفيه : من بردى .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَعَدَ اللَّهُ مُوسَى - حِينَ أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، وَنَجَّاهُ وَقَوْمَهُ - ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَتَمَّهَا بِعَشْرِ، فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، يَلْقَاهُ ^(١) فِيهَا بِمَا ^(٢) شَاءَ، وَاسْتَخْلَفَ مُوسَى هَارُونَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ: إِنِّي مُتَعَجِّلٌ إِلَى رَبِّي، فَاخْلُفْنِي فِي قَوْمِي، وَلَا تَتَّبِعْ / سَبِيلَ الْمَفْسِدِينَ. فَخَرَجَ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ مُتَعَجِّلاً لِلِقَائِهِ شَوْقاً إِلَيْهِ، وَأَقَامَ هَارُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَعَهُ السَّامِرِيُّ، يَسِيرُ بِهِمْ عَلَى أَثَرِ مُوسَى لِيُلْحِقَهُمْ بِهِ ^(٣).

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنْ الشَّدَّادِيِّ، قَالَ: انْطَلَقَ مُوسَى وَاسْتَخْلَفَ هَارُونَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَوَاعَدَهُمْ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، وَأَتَمَّهَا اللَّهُ بِعَشْرِ ^(٤).

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾: ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ فِي أَيَّامِ مُوَاعَدَتِي مُوسَى الْعِجْلَ إِلَهًا مِنْ بَعْدِ أَنْ فَارَقَكُمْ مُوسَى مُتَوَجِّهًا إِلَيَّ لِلْمَوْعِدِ. وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ عَائِدَةٌ عَلَى ذِكْرِ مُوسَى.

[٩٢/٢] فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُخَالِفِينَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ، الْمُخَاطَبِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَنْ فِعْلِ آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ، وَخِلَافِهِمْ أَنْبِيََاءَهُمْ، مَعَ تَتَابُعِ نَعْمِهِ عَلَيْهِمْ، وَشُبُوحِ ^(٥) آيَاتِهِ لَدَيْهِمْ، مُعْرِفِهِمْ بِذَلِكَ

(١) فِي م: «تَلْقَاهُ رَبَّهُ».

(٢) فِي ص: «مَا».

(٣) يَنْظُرُ تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٤٢١/١، ٤٢٥. وَمَا سَيَأْتِي فِي ص ٦٧١.

(٤) سَيَأْتِي بِتَمَامِهِ فِي ص ٦٧٠، ٦٧١.

(٥) فِي ص، ت ٣: «شُبُوحِ»، وَفِي ت ١، ت ٢: «وَبَسْبُوحِ».

أنهم - من ^(١) خلافيهم محمدًا ^(٢) ، وتكذيبهم به ^(٣) ، وجحودهم رسالته ، مع عليهم بصدقه - على مثل منهاج آبايهم وأسلافهم ، ومُخَذَّرهم من نزول سَطَوَاتِهِ بهم - بمقامهم على ذلك من تكذيبهم - ما نزل بأوائلهم المُكْذِبِينَ بالرسل من المَشْخِ واللَّغْنِ وأنواع التَّعَمَّاتِ .

وكان سبب اتخاذهم العجل ما حَدَّثَنِي به عبدُ الكريم بنُ الهيثم ، قال : حَدَّثَنَا إبراهيم بنُ بشار ، قال : حَدَّثَنَا ابنُ عُيَيْنَةَ ، قال : حَدَّثَنَا أبو سعيد ^(٤) ، عن عكرمة ، عن ابنِ عباس ، قال : لما هجم فرعونُ على البحرِ هو وأصحابه ، وكان فرعونُ على فرسٍ أَدْهَمَ ذُنُوبٍ حِصَانٍ ، فلما هجم على البحرِ هاب الحِصَانُ أن يَتَقَحَّم ^(٥) في البحرِ ، فَتَمَثَّلَ له جبريلُ على فرسٍ أنثى وَدِيقٍ ، فلما رآها ^(٦) حِصَانُ فرعونَ ^(٧) تَقَحَّم خَلْفَهَا . قال : وعَرَفَ السامريُّ جبريلَ ؛ لَأَن أُمَّه حِينَ خَافَتْ أَنْ يُذْبَحَ خَلْفَتُهُ فِي غَارٍ وَأُطْبِقَتْ عَلَيْهِ ، فكان جبريلُ يَأْتِيهِ فَيَغْذُوهُ بِأَصَابِعِهِ ، فَيَجِدُ فِي إِخْدَى ^(٨) أَصَابِعِهِ لَبَنًا ، وَفِي الْآخَرَى عَسَلًا ، وَفِي الْآخَرَى سَمَنًا ، فلم يَزَلْ يَغْذُوهُ حَتَّى نَشَأَ ، فلما عَايَنَهُ فِي الْبَحْرِ عَرَفَهُ ، فَقَبِضَ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ فَرَسِهِ . قال : أَخَذَ مِنْ تَحْتِ الْحَافِرِ قَبْضَةً - قال سفيانُ : وكان ابنُ مسعودٍ يَقْرَأُهَا : (قَبِضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ فَرَسِ الرَّسُولِ) - قال أبو سعيد : قال عكرمة ، عن ابنِ عباس : وأَلْقَى فِي رُوعِ ^(٩) السامريِّ أَنْكَ لَا تُلْقِيهَا عَلَى

(١ - ١) في ص : «خلاف محمد» .

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «سعيد» . وينظر ما تقدم في ص ٦٤٧ .

(٤) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «يقتحم» .

(٥ - ٥) في ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «الحصان» .

(٦) سقط من : ص ، وفي ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «بعض» .

(٧) الروع ، بالضم : القلب والعقل ، ووقع ذلك في روعي . أَى : في نفسى وخلدى وبالى . اللسان (روع) .

شئٍ فقول : كُنْ كذا وكذا . إلا كان ^(١) ، فلم تَزَلِ الْقَبْضَةُ معه في يده حتى جاوز البحر ، فلما جاوز موسى وبنو إسرائيل البحر ، وأغرق الله آل فرعون قال موسى لأخيه هارون : ﴿ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٢] . ومضى موسى لموعِدِ رَبِّهِ ، قال : وكان مع بني إسرائيل حَلْيٌ مِنْ حَلْيِ آلِ فرعون قد تَعَوَّزُوهُ ^(٢) ، فكانهم تَأْتَمُّوا منه ، فأخرجوه لَتَنْزِلَ النَّارُ فَتَأْكُلَهُ ، فلما جمَعوه ، قال السامريُّ بالقَبْضَةِ التي كانت في يده هكذا ، فَقَذَفَهَا فِيهِ - وَأَوْمَأَ أَبُو إِسْحَاقَ بِيَدِهِ هَكَذَا - وقال : كُنْ عِجْلاً جَسَداً له خُوَارٌ . فصار عِجْلاً جَسَداً له خُوَارٌ ، فكان تَدْخُلُ الرِّيحُ فِي دُبُرِهِ وَتَخْرُجُ مِنْ فِيهِ ، وَيُسْمَعُ لَهُ صَوْتُ ، فقال : ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ﴾ [طه : ٨٨] . فعكفوا على العجلِ يَعْْبُدُونَهُ ، فقال هارون : ﴿ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ [٩٢/٢] فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۖ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ ^(٤) [طه : ٩٠ ، ٩١] .

٢٨٢/١ / حَدَّثَنِي مُوسَى ، قال : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قال : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عن السدي : لما أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ - يَعْنِي مِنْ أَرْضِ مِصْرَ - أَمَرَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَخْرِجُوا ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَعِيرُوا الْحَلْيَ مِنَ الْقَبْضِ ، فلما نَجَّى اللَّهُ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْبَحْرِ ، وَغَرَّقَ آلَ فِرْعَوْنَ ، أَتَى جَبْرِيلُ إِلَى مُوسَى يَذْهَبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ ، فَرَأَاهُ السَّامِرِيُّ فَأَنْكَرَهُ ، وَيُقَالُ ^(٥) : إِنَّهُ فَرَسُ الْحَيَاةِ . فقال حينَ رَأَاهُ : إِنَّ لِهَذَا لَشَأْناً . فَأَخَذَ مِنْ تَرْبَةِ الْحَافِرِ حَافِرِ الْفَرَسِ ، فَانْطَلَقَ مُوسَى وَاسْتَخْلَفَ هَارُونَ

(١) في ر ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يكون » .

(٢) تَعَوَّزَ الشَّيْءَ : اسْتَعَارَهُ . اللسان (ع و ر) .

(٣) في ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ابن » . وأبو إسحاق هو إبراهيم بن بشار .

(٤) ينظر ما تقدم في ص ٦٥٨ - ٦٦٠ .

(٥) في ص ، م : « قال » .

على بنى إسرائيل ، وواعدهم ثلاثين ليلةً ، وأتمها الله بعشرين ، فقال لهم هارون : يا بنى إسرائيل : إن الغنيمة لا تحل لكم ، وإن حلّى القبط إنما هو غنيمة ، فاجتمعوها^(١) جميعاً ، واخفروا^(٢) لها حفرة^(٣) فاذفنوها ، فإن جاء موسى فأحلّها أخذتموها ، وإلا كان شيئاً لم تأكلوه . فجمعوا ذلك الحلى فى تلك الحفرة ، وجاء السامريّ بتلك القبضة فقذفها ، فأخرج الله من الحلى عجلاً جسداً له خوار ، وعدت بنو إسرائيل موعدَ موسى ، فعذبوا الليلة يوماً واليوم يوماً ، فلما كان تمام العشرين ، خرج لهم العجل ، فلما رأوه قال لهم السامريّ : ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسَى ﴾ . يقول : ترك موسى إلهه ههنا وذهب يطلبه . فعكفوا عليه يغبدونه ، وكان يخور ويمشي ، فقال لهم هارون : يا بنى إسرائيل ﴿ إِنَّمَا قُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ . يقول : إنما ابتليتم به . يقول^(٤) : بالعجل ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَآرْحَمَنٌ ﴾ . فأقام هارون ومن معه من بنى إسرائيل لا يقايلونهم ، وانطلق موسى إلى إلهه يكلمه ، فلما كلمه قال له : ﴿ مَا أَعَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴾ (٨٧) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٨) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ [طه : ٨٣ - ٨٥] . فأخبره خبرهم ، قال موسى : يا رب ، هذا السامريّ أمرهم أن يتخذوا العجل ، أرايت الروح من نفخها فيه ؟ قال الرب : أنا . قال : رب ، أنت إذن أضللتهم^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان فيما ذكر لى

(١ - ١) فى ص : « جميعها فاحفروا » .

(٢) فى الأصل : « حفيرة » .

(٣) فى ر : « أى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٦٨/٨ (١٥٦٥٠) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به ، بأوله .

وأخرجه المصنف فى تاريخه ٤٢١/١ ، ٤٢٢ عن موسى بن هارون به ، عن السدى بإسناده . وتقدم أوله فى

أن موسى قال لبنى إسرائيل فيما أمره الله عز وجل به : اسْتَعْبِرُوا مِنْهُمْ - يعنى من آلِ فرعونَ - الأمتعة والحلى والثياب ، فإننى مُتَقَلِّكُمْ أموالهم مع هلاكهم . فلما أذن فرعونُ فى الناس ، كان مما يُخَرِّضُ به على بنى إسرائيل أن قال حينَ ^(١) «ساروا : لم يَرْضَوْا أنْ خَرَجُوا» بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالكم معهم ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ سَعِيدٍ [٩٣/٢] بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَانَ السَّامِرِيُّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَاجِرْمَا ^(٣) ، وَكَانَ مِنْ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ ، وَكَانَ حُبُّ عِبَادَةِ الْبَقْرِ فِي نَفْسِهِ ، وَكَانَ قَدْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلَمَّا فَضَّلَ ^(٤) هَارُونُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَفَضَّلَ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ ، قَالَ لَهُمْ هَارُونُ : أَنْتُمْ قَدْ حُمِّلْتُمْ أَوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ - آلِ فِرْعَوْنَ - وَأَمْتَعَةٌ وَحُلِيٌّ ، فَتَطَهَّرُوا مِنْهَا ، فَإِنَّهَا نَجَسٌ . وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا فَقَالَ : اقْذِفُوا مَا كَانَ مَعَكُمْ مِنْ ذَلِكَ فِيهَا . قَالُوا : نَعَمْ . فَجَعَلُوا يَأْتُونَ بِمَا كَانَ فِيهِمْ ^(٥) مِنْ تِلْكَ الْأَمْتَعَةِ وَذَلِكَ الْحَلِيِّ فَيَقْذِفُونَ بِهِ فِيهَا ، حَتَّى إِذَا تَكَثَّرَ الْحَلِيُّ فِيهَا ، وَرَأَى السَّامِرِيُّ أَثَرَ فَرَسِ جَبْرِيلَ ، فَأَخَذَ تَرَابًا مِنْ أَثَرِ حَافِرِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى النَّارِ ^(٦) ، فَقَالَ لَهُارُونَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَلْقِ مَا فِي يَدِي ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَلَا يَظُنُّ هَارُونُ إِلَّا أَنَّهُ كَبَعَضٍ مَا جَاءَ بِهِ غَيْرُهُ مِنْ ذَلِكَ الْحَلِيِّ وَالْأَمْتَعَةِ ، فَقَذَفَهُ / فِيهَا وَقَالَ : كُنْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ . فَكَانَ لِلْبَلَاءِ

٢٨٣/١

(١ - ١) فى م : « سار ولم يرضوا أن يخرجوا » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٤١٩ / ١ .

(٣) باجرما ؛ بفتح الجيم وسكون الراء وميم وألف مقصورة : قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة . معجم البلدان ٤٥٤ / ١ .

(٤) فى م : « فضل » . وفصل فلان من عندى فصولا : إذا خرج . اللسان (ف ص ل) .

(٥) فى ر ، م : « معهم » .

(٦) فى تاريخ المصنف : « الحفرة » .

والفتنة ، فقال : ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ﴾ . فعكفوا عليه ، وأحبوه حباً لم يُحِبُّوا مثله شيئاً قط ، يقول الله جل ذكره : ﴿ فَنَسِيَ ﴾ . أى ترك ما كان عليه من الإسلام - يعنى السامرى - ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه : ٨٩] . قال ^(١) : وكان اسم السامرى موسى بن ظفر ، وقع فى أرض مصر فدخل فى بنى إسرائيل ، فلما رأى هارون ما وقعوا فيه قال : ﴿ يَقُولُونَ إِنَّمَا قُتِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَالْيَعُونِى وَأَطِيعُوا أَمْرِى ﴾ ﴿ ٩١ ﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ . فأقام هارون فى مَنْ معه مِنَ المسلمين مَن لم يُفْتَنَ ، وأقام مَنْ يَعْبُدُ الْعِجْلَ عَلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ ، وتَخَوَّفَ هارونُ إن سارَ بِمَنْ معه مِنَ المسلمين أَن يَقُولَ لَهُ موسى : ﴿ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنَى إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ [طه : ٩٤] . وكان له هائبا مُطِيعاً ^(٢) .

حدثنى يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيد : لما أُنْجِيَ اللَّهُ عز وجل بنى إسرائيلَ مِنْ فرعونَ ، وَأَغْرَقَ فرعونَ وَمَنْ معه ، قال موسى لأخيه هارونَ : ﴿ أَخْلَفْنِى فِي قَوْمِى وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ . قال : لما خَرَجَ موسى وأمر هارونَ ^(٣) ما أمره ^(٤) ، وخَرَجَ موسى مُتَعَجِّلًا مَسْرُورًا إِلَى اللَّهِ ، قد عَرَفَ موسى أَنَّ المرَّةَ إِذَا أُنْجِحَ ^(٥) فى حَاجَةِ سَيِّدِهِ كَانَ يَشْرُهُ أَن يَتَعَجَّلَ إِلَيْهِ . قال : وكان حينَ خَرَجُوا اسْتَعَارُوا حُلِيًّا وَثِيَابًا مِنْ آلِ فرعونَ ، فقال لهم هارونَ : إن هذه الثيابَ وَالْحُلِيَّ لَا تَحِلُّ لَكُمْ ، فَاجْمَعُوا نَارًا فَالْقُوْهُ فِيهَا فَأَحْرِقُوْهُ . قال : فَجَمَعُوا نَارًا .

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٤٢٤/١ ، ٤٢٥ .

(٣ - ٣) فى ص : « بما أمره » ، وفى م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بما أمره به » .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « نجح » . يقال : نجح فلان ، وأُنْجِح : إذا أصاب طلبته . النهاية

قال : فكان السامريُّ قد نظرَ إلى أثرِ دَابَّةِ جبريلَ ، وكان جبريلُ على فرسٍ أنثى ، وكان السامريُّ فى قومِ موسى . قال : فنظرَ إلى أثرِهِ فقبَضَ منه قبضةً ، فبيستَ عليها يدهُ ، فلما ألقى قومُ موسى الحليَّ فى النارِ ، وألقى السامريُّ معهم القَبْضةَ ، صوّرَ اللهُ جَلَّ وعزَّ [٩٣/٢ ظ] ذلكَ لهم عَجَلاً ذهباً ، فدخلتهُ الريحُ ، فكان له حُورًا ، فقالوا : ما هذا ؟ فقال السامريُّ الخبيثُ : ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ . الآية إلى قوله : ﴿ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ [طه : ٨٨ - ٩١] . قال : حتى إذا أتى موسى الموعدَ قالَ اللهُ : ﴿ مَا أَعَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَّى قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي ﴾ . فقرأ حتى بلغ : ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ ﴾ [طه : ٨٤ - ٨٦] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عن مُجاهِدٍ فى قوله : ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . قال : العِجْلُ حَسِيلٌ^(١) البقرة . قال : حلَّى استعاروه من آلِ فرعونَ ، فقال لهم هارونُ : أخرجوه فتطهَّروا منه وأخْرِقوه . وكان السامريُّ^(٢) أخذَ قَبْضةً من أثرِ فرسِ جبريلَ ، فطرحه فيه فانسَبَكَ ، وكان له كالجوفِ تَهْوَى فيه الرياحُ .

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : إنما سُمِّى العِجْلُ ؛ لأنهم عَجِلُوا فاتَّخَذوه قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ موسى^(٣) .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنى

(١) الحَسِيلُ : ولد البقرة الأهلية ، وعم به بعضهم فقال : هو ولد البقرة . اللسان (ح س ل) .

(٢) بعده فى م : « قد » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٨/١ (٥١٢) من طريق آدم به .

عيسى ، / ^(١) وحدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، ٢٨٤/١ جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾ : حسيل البقرة . قال : حلّى استعاروه من آل فرعون ، فقال لهم هارون : أخرجوه فتطهروا منه وأحرقوه . وكان السامري أخذ قبضة من أثر فرس جبريل فطرحه فيه فانسبك ، وكان له كالجوف تهوى فيه الرياح ^(٢) .

وتأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ . يعنى : وأنتم واضعو العبادة فى غير موضعها ؛ لأن العبادة لا تنبغى إلا لله تعالى ذكره ، وعبدتم أنتم العجل ظلماً منكم ، ووضعاً للعبادة فى غير موضعها .

وقد دللنا فى غير هذا الموضع مما مضى من كتابنا ، أن أضل كل ظلم وضع الشئ فى غير موضعه ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع ^(٣) .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ . يقول : ثم ^(٤) تركنا معاجلتكم بالعقوبة من بعد ذلك . أى : من بعد اتخاذكم العجل إلهاً .

كما حدثنى به المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا [٩٤/٢] آدم العسقلاني ، قال :

(١ - ١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحو حديث القاسم ، عن الحسن ، حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه » . وقوله : « الحسن » . صوابه : الحسين ، كما تقدم .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ٤/١١٠٤ ، (٥١٣ ، ٥٢٤ ، ٦١٩٦) مفرقا من طريق ورقاء ، عن ابن أبى نجيح إلى قوله : فتطهروا منه .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٥٥٩ .

(٣) سقط من : ص ، م .

حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرِّبِّيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ : ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ .
يعنى : مِنْ بَعْدِ مَا اتَّخَذْتُمْ الْعَجَلَ ^(١) .

وَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ : لَتَشْكُرُوا . وَمَعْنَى :
« لَعَلَّ » فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنَى « كَى » ^(٢) . وَقَدْ بَيَّنَّتُ فِيمَا مَضَى قَبْلُ أَنَّ أَحَدَ مَعَانِي
« لَعَلَّ » مَعْنَى « كَى » بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ^(٣) .

فَمَعْنَى الْكَلَامِ إِذَنْ : ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ اتِّخَاذِكُمُ الْعَجَلَ
إِلَهًا ^(٤) لَتَشْكُرُوا لِي عَلَى عَفْوِي عَنْكُمْ ، إِذْ كَانَ الْعَفْوُ يُوجِبُ الشُّكْرَ عَلَى
أَهْلِ اللَّبِّ وَالْعَقْلِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴾ ^(٥٣) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : يَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ : وَادَّكُرُوا أَيْضًا إِذْ
آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ . وَيَعْنِي بِالْكِتَابِ التَّوْرَةَ ، وَبِالْفُرْقَانِ الْفَصْلَ بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ .

كَمَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرِّبِّيعِ ، عَنْ
أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ﴾ . قَالَ : فَرَّقَ فِيهِ ^(٥) بَيْنَ
الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٨/١ (٥١٥) من طريق آدم به .

(٢) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) ينظر ما تقدم في ص ٣٨٧ .

(٤ - ٤) في ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لتشكروني » .

(٥) في ص : « الله فيه » ، وفي م : « به » .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٩/١ (٥٢١) من طريق آدم به .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْبَاهِلِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عِيسَى ،
عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ .
قَالَ : الْكِتَابُ هُوَ الْفُرْقَانُ ، فُرْقَانٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَانُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ . قَالَ : الْكِتَابُ هُوَ
الْفُرْقَانُ ، فَرَقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

/ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ
جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْفُرْقَانُ جَمَاعُ اسْمِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ
وَالْفُرْقَانِ ^(٢) .

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي ذَلِكَ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ،
قَالَ : سَأَلْتُهُ - يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ - عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى
الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ . فَقَالَ : أَمَا «الْفُرْقَانُ» الَّذِي قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿يَوْمَ
الْفُرْقَانِ يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال : ٤١] . فَذَلِكَ يَوْمٌ بَدَرَ ، يَوْمَ فَرَقَ اللَّهُ بَيْنَ
الْحَقِّ [٩٤/٢] وَالْبَاطِلِ ، وَالْقَضَاءِ الَّذِي فَرَقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . قَالَ : فَكَذَلِكَ
أَعْطَى اللَّهُ مُوسَى الْفُرْقَانَ ، فَرَقَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ، وَسَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَنْجَاهُ ، فَرَقَ بَيْنَهُمُ بِالنَّصْرِ ،
فَكَمَا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ ^(٣) وَالْمُشْرِكِينَ ، فَكَذَلِكَ جَعَلَهُ بَيْنَ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٢ ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٦٩/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) عزه السيوطي في الدر المنثور ٦٩/١ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) في ص : «وين» .

قال أبو جعفر : وأولى^(١) هذين التأويلين^(٢) بتأويل الآية ما روى عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد ، من أن الفرقان الذي ذكر الله أنه آتاه موسى في هذا الموضع هو الكتاب الذي فرق به^(٣) بين الحق والباطل ، وهو نعت للثورة وصفة لها . فيكون تأويل الآية حينئذ : وإذ آتينا موسى الثورة التي كتبناها^(٤) له في الألواح ، وفرقنا بها بين الحق والباطل . فيكون الكتاب نعتاً للثورة أُقيم مقامها استغناءً به عن ذكر الثورة ، ثم عطف عليه الفرقان ، إذ^(٥) كان من نعتها . وقد بيّنا معنى الكتاب فيما مضى من كتابنا هذا ، وأنه بمعنى المكتوب^(٦) .

وإنما قلنا : هذا التأويل أولى بالآية - وإن كان مُحتملاً غيره من التأويل - لأن الذي قبله من^(٧) ذكر الكتاب ، وأن معنى الفرقان الفصل - وقد دللنا على ذلك فيما مضى من كتابنا هذا - فالحاقه ، إذ كان كذلك ، بصفة ما وليه أولى من إلحاقه بصفة ما بُعد منه .

وأما تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ . فنظير قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ . ومعناه : لِيَهْتَدُوا . فكأنه قال تعالى : واذكروا أيضاً إذ آتينا موسى الثورة التي تفرق بين الحق والباطل ، لِيَهْتَدُوا بها وتَتَّبِعُوا الحق الذي فيها ؛ لأنني جعلتها كذلك هُدى لمن اهتدى بها واتبع ما فيها .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ

(١ - ١) في ص : « هذه التأويلات » .

(٢) في ص : « فيه » .

(٣) في ر : « اكتبناها » .

(٤) بعده في ر : « الفرقان » .

(٥) ينظر ما تقدم في ص ٩٥ .

(٦) سقط من : م .

أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ
فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ .

وتأويل ذلك : واذكروا أيضًا إذ قال موسى لقومه من بنى إسرائيل : يا قوم
إنكم ظلمتم أنفسكم . وظلمهم إياها كان فعلهم بها ما لم يكن لهم أن يفعلوه
بها ، مما أوجب لهم العقوبة من الله تعالى ، وكذلك كل فاعل فعلاً يستوجب
به العقوبة من الله تعالى ، فهو ظالم لنفسه بإيجابه العقوبة لها من الله تعالى ،
وكان الفعل الذى فعلوه فظلموا به أنفسهم ، هو ما أخبر [٥٩/٢] الله عنهم
من ارتدادهم باتخاذهم العجل ربًا بعد فراق موسى إياهم . ثم أمرهم موسى
بالمراجعة من ذنبهم ، والإنابة إلى الله جلَّ وعزَّ من ردتهم بالتوبة إليه ، والتسليم
لطايعته فيما / أمرهم به ، وأخبرهم أن توبتهم من الذنب الذى ركبوه قتلهم ٢٨٦/١
أنفسهم - وقد دللنا فيما مضى على أن معنى التوبة الأوبة مما يكرهه الله إلى ما
يرضاه من طاعته ^(١) - فاستجاب القوم لما أمرهم به موسى من التوبة مما ركبوا
من ذنوبهم إلى ربهم ، على ما أمرهم به .

كما حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة
ابن الحجاج ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبد الرحمن أنه قال فى هذه الآية : ﴿ فَاقْتُلُوا
أَنفُسَكُمْ ﴾ . قال : عمدوا إلى الخناجر ، فجعل يطعن بعضهم بعضاً .

حدثنى عباس بن محمد ، قال : حدثنا حجاج بن محمد ، قال ابن جرير :
أخبرنى القاسم بن أبى بزة ، أنه سمع سعيد بن جبيرة ومجاهداً قالا : قام بعضهم إلى

بعض بالخناجر يَقْتُلُ بعضهم بعضًا ، لا يَحْنُ^(١) رجلٌ على رجلٍ قريبٍ ولا بعيدٍ ، حتى أُلْوَى^(٢) موسى بثوبه ، فطرحوا ما بأيديهم ، فتكشَّفَ عن سبعين ألفَ قتيلٍ ، وإن الله أَوْحَى إلى موسى أن حَسْبِيَ فقد اكْتَفَيْتُ . فذلك حينَ أُلْوَى بثوبه^(٣) .

حدَّثني عبدُ الكريمِ بنُ الهيثمِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُيَيْنَةَ ، قال : قال أبو سعيدٍ^(٤) ، عن عكرمة ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال موسى لقومه : ﴿ تَوْبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴾ . قال : أمر موسى قومه - عن أمرِ ربِّه - أن يَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ . قال : فَاحْتَبَى^(٥) الذين عَكَفُوا على العجلِ فجلَسُوا ، وقام الذين لم يَعَكَفُوا على العجلِ وأخذوا الخناجرَ بأيديهم ، وأصابتهم ظلمةٌ شديدةٌ ، فجعلَ يَقْتُلُ بعضهم بعضًا ، فَانْجَلَّتِ الظُّلُمَةُ عَنْهُمْ وقد أَجْلَوْا عن سبعين ألفَ قتيلٍ ، كُلُّ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ كانت له توبةٌ ، وكلُّ مَنْ بَقِيَ^(٦) كانت له توبةٌ^(٧) .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قال : لما رجع موسى إلى قومه قال : ﴿ يَقْوَرِ أَلَمَ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ﴾ . إلى قوله : ﴿ فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ [طه : ٨٦ ، ٨٧] . فَأَلْقَى مُوسَى

(١) في ر : « يحزن » ، وفي تفسير ابن أبي حاتم : « يحنو » . وحن عليه : عطف . اللسان (ح ن ن) .

(٢) أُلْوَى بثوبه : إذا لمع وأشار . اللسان (ل و ي) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٠/١ (٥٢٨) من طريق حجاج به .

(٤) في م : « سعيد » . وينظر ما تقدم في ص ٦٤٧ .

(٥) في م : « فاحتبأ » . والاحتباء : أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ، ويشده عليها ، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب . النهاية ١/ ٣٣٥ .

(٦) بعده في ص : « منهم » .

(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٣١/١ عن المصنف . وينظر ما تقدم في ص ٦٤٧ .

الْأُلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ . إلى قوله : ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه : ٩٤] . فترك هارون ومال إلى السامري ، فقال : ﴿مَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي﴾ . إلى قوله : ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّ فِي أَلَمٍ نَّسْفًا﴾ [طه : ٩٥ - ٩٧] . ثم أخذه فذبّحه ، ثم حرّقه ^(١) بالمبرد ، ثم ذرّاه في اليم ، فلم يبق بحر يجرى يومئذ إلا وقع فيه شيء منه ، ثم قال لهم موسى : اشربوا منه . فشرّبوا ، فمن كان يُحبّه [٩٥/٢ ط] خرج على شاربهِ ^(٢) الذهب ، فذلك حين يقول : ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة : ٩٣] . فلما شقّط في أيدي بني إسرائيل حين جاء موسى ، ورأوا أنهم قد ضلّوا قالوا : ﴿لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٩] . فأبى الله أن يقبل توبة بني إسرائيل إلا بالحال التي كرهوا أن يقاتلوه حين عبدوا العجل ، فقال لهم موسى : ﴿يَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ . قال : فصفّوا صفّين ، ثم اجتمعوا بالسيوف ، فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف ، فكان من قُتل من الفريقين شهيداً ، حتى كثر القتل ، حتى كادوا أن يهلكوا ، حتى قُتل بينهم سبعون ألفاً ، وحتى دعا موسى وهارون : ربّنا هلكت بنو إسرائيل ، ربّنا البقية البقية . فأمرهم أن يصبّوا السلاح ، وتاب عليهم ، فكان من قُتل شهيداً ، ومن بقي كان مكفراً عنه ، فذلك قوله : ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ ^(٣) .

(١) حرق الحديد بالمبرد : برده وحك بعضه ببعض . اللسان (ح ر ق) .

(٢) في الأصل ، م : «شاربيه» .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ١/٤٢٣ ، ٤٢٤ عن موسى ، عن عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس .

وأخرج آخره ابن أبي حاتم في تفسيره ١١١/١ (٥٣٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي .

حدثني محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى : ﴿ يَا تَحَاذِكُمْ الْعَجَل ﴾ . قال : كان موسى أمر قومه - عن أمر ربّه - أن يقتل بعضهم بعضاً بالخنجر ، فجعل الرجل يقتل أباه ويقتل ولده ، فتاب الله عليهم ^(١) .

^(٢) وحدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ يَا تَحَاذِكُمْ الْعَجَل ﴾ . قال : كان أمر موسى قومه - عن أمر ربّه - أن يقتل بعضهم بعضاً ، ولا يقتل الرجل أباه ولا أخاه ، فبلغ ذلك في ساعة من نهار سبعين ألفاً ^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ الآية . قال : فصاروا صفين ، فجعل يقتل بعضهم بعضاً ، فبلغ القتل ما شاء الله ، ثم قيل لهم : قد تيب على القاتل والمقتول .

حدثنا المثنى ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني الليث ، قال : حدثني عُقَيْلٌ ، عن ابن شهاب ، قال : لما أمرت بنو إسرائيل بقتل أنفسها برزوا ومعهم موسى ، فاضطربوا ^(٣) بالسيوف ، وتطاعنوا بالخنجر ، وموسى رافع يديه ، حتى إذا فتر ، أتاه بعضهم فقالوا : يا نبي الله ، اذع الله لنا . وأخذوا بعضديّه يستدّون ^(٤) يديه ، فلم يزل أمرهم على ذلك حتى إذا قبل الله توبتهم ، قبض أيدي بعضهم عن بعض ،

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٢ ، وفيه : ففعلوا . بدل قوله : فجعل الرجل يقتل أباه ويقتل ولده .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) في م : « فاضربوا » .

(٤) في م : « يشدون » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يسدون » .

فَأَلْقُوا السَّلَاحَ ، وَحَزَنَ مُوسَى [٩٦/٢] وَبَنُو إِسْرَائِيلَ لِلَّذِي كَانَ مِنَ الْقَتْلِ فِيهِمْ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى : مَا ^(١) يَحْزُنُكَ ؟ أَمَّا مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ ^(٢) فَحَيٌّ عِنْدِي يُرْزَقُ ^(٣) ، وَأَمَّا مَنْ بَقِيَ فَقَدْ قَبِلْتُ تَوْبَتَهُ . ^(٤) فَبَشِّرْ بِذَلِكَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ^(٥) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ وَقَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ . قَالَ ^(٦) : قَامُوا صَفَيْنِ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، حَتَّى قِيلَ لَهُمْ : كُفُّوا . قَالَ قَتَادَةُ : كَانَتْ شَهَادَةً لِلْمَقْتُولِ ، وَتَوْبَةً لِلْحَيِّ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسِينُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ لِي عَطَاءٌ : سَمِعْتُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ : قَامَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، مَا يَتَوَقَّى ^(٧) الرَّجُلُ أَبَاهُ وَلَا أَخَاهُ وَلَا ابْنَتَهُ ^(٨) وَلَا ^(٩) أَحَدًا ، حَتَّى نَزَلَتْ التَّوْبَةُ . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : بَلَغَ قَتْلَاهُمْ سَبْعِينَ أَلْفًا ، ثُمَّ رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْقَتْلَ ، وَتَابَ عَلَيْهِمْ .

(١) فِي م : « لَا » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مِنْهُمْ » . وَالْمَثْبُوتُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « يُرْزَقُونَ » .

(٤ - ٥) فِي م ، وَتَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ : « فَسَرَّ بِذَلِكَ مُوسَى وَبَنُو » .

(٥) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣١/١ عَنْ الْمُصَنِّفِ ، وَقَالَ : إِسْنَادٌ جَيِّدٌ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١/٧٠ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَأَحْمَدَ فِي الزُّهْدِ .

(٦) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قَالَ » .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « يَدْنَاهُ » ، وَفِي ص : « تَبْرَأَانَا » .

وَلَعَلَّ مَا فِي الْأَصْلِ وَصَّ تَصْحِيفٌ مِنْ : « يَتَرَأَى » . كَمَا أَثْبَتَهَا الشَّيْخُ شَاكِرٌ ، وَرَبَّاتُ الشَّيْءِ وَرَبَّاتُ فَلَانَا : حَذَرْتَهُ وَاتَّقَيْتَهُ . وَرَبَّاءُ الرَّجُلِ : اتَّقَاهُ . اللَّسَانُ (ر ب أ) .

(٨ - ٩) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ .

قال ابنُ جريرٍ: قاموا صَفَيْنِ فافْتَنَلوا بَيْنَهُمْ ، فجعلَ اللهُ القَتْلَ لِمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ شَهادَةً ، وكانت توبةً لِمَنْ بَقِيَ ، وكان قتلُ بعضهم بعضًا أن الله عليمٌ أن ناسًا مِنْهُمْ عَلِمُوا أن العِجْلَ باطلٌ ، فلم يَمْنَعَهُمْ أن يُنْكِرُوا عَلَيْهِمْ إلا مخافةَ القتالِ ، فلذلك أُمِرُوا^(١) أن يَقْتُلَ بعضهم بعضًا .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةٌ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : لما رَجَعَ موسى إلى قومه ، وأحرقَ العِجْلَ وذَرَّاهُ في النَّيْمِ ، خرَّجَ إلى رَبِّهِ بَمَنْ اخْتارَ مِنْ قومه ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ثُمَّ بُعِثُوا ، سألَ موسى رَبَّهُ التَّوبَةَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عِبادةِ^(٢) العِجْلِ ، فقال : لا ، إلا أن يَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ . قال : فبلغَنِي أَنَّهُمْ قالُوا لموسى : نَصْبِرْ لأَمْرِ اللَّهِ . فَأَمَرَ موسى مَنْ لَمْ يَكُنْ عَبْدَ العِجْلِ أن يَقْتُلَ مَنْ عَبْدَهُ ، فجلَسُوا بِالْأَفْنِيَةِ ، وَأَصْلَتْ^(٣) عَلَيْهِمُ الْقَوْمُ / السَّيُوفُ ، فجعلُوا يَقْتُلُونَهُمْ ، وبَكَى موسى وَبَهَشَ^(٤) إِلَيْهِ الصَّيَّيَّانُ وَالنِّسَاءُ يَطْلُبُونَ الْعَفْوَ عَنْهُمْ ، فتابَ عَلَيْهِمْ وَعفا عَنْهُمْ ، وأَمَرَ موسى أن « يُرْفَعَ عَنْهُمْ السَّيْفُ » .

٢٨٨/١

حدَّثني يُونُسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زَيْدٍ : لما رَجَعَ موسى إلى قومه ، وكان^(٥) سَبْعُونَ رَجُلًا قَدْ اغْتَرَلُوا مَعَ هَارُونَ العِجْلَ لَمْ يَعْبُدُوهُ ، فقالَ لَهُمْ

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أَمَر » .

(٢) بداية خرم في النسخة (ص) وينتهي في ص ٦٩١ .

(٣) في م : « سَلَتْ » . وَأَصْلَتْ السَّيْفُ : جَرَدَهُ مِنْ غِمْدِهِ . اللِّسَانُ (ص ل ت) .

(٤) بَهَشْتُ إِلَى الرَّجُلِ وَبَهَشَ إِلَيْهِ : تَهَيَّأْتُ لِلْبُكَاءِ وَتَهَيَّأَ لَهُ . اللِّسَانُ (ب ه ش) .

(٥ - ٥) في م ، وتفسير ابن كثير : « تَرَفَعَ عَنْهُمْ السَّيْفُ » .

والأثر ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٣١ ، ١٣٢ عن ابن إسحاق .

وأخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صدقة بن

يسار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

(٦) في م ، ت ٣ : « كَانُوا » .

موسى : انْطَلِقُوا إِلَى مَوْعِدِ رَبِّكُمْ . فقالوا : يا موسى ، أَمَا مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قال : بلى ^(١) ، اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية . فَاخْتَرَطُوا السِّيفَ وَالْجِزْزَةَ ^(٢) وَالْخَنَاجِرَ وَالسَّكَاكِينَ ، قال : وَبُعِثْتَ عَلَيْهِمْ ضَبَابَةٌ . قال : فَجَعَلُوا يَتَلَامَسُونَ [٩٧/٢ ط] بِالْأَيْدَى وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . قال : وَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ فَيَقْتُلُهُ وَلَا يَدْرِي ، قال : وَيَتَنَادَوْنَ فِيهَا : رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا صَبَرَ حَتَّى يَتَلَعَّ اللَّهُ رِضَاهُ . وقرأ قولَ اللَّهِ جل ثناؤه : ﴿ وَءَايَيْنَهُمْ مِنَ الْأَيِّنَاتِ مَا فِيهِ بَلَكُوتٌ مُبِينٌ ﴾ [الدخان : ٣٣] قال : فَقَتَلَهُمْ شُهَدَاءُ ، وَتَيْبَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ . وقرأ : ﴿ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

فالذى ذكرنا - عَمَّنْ رَوَيْنَا عَنْهُ الْأَخْبَارَ الَّتِي رَوَيْنَاهَا - كَانَ تَوْبَةَ الْقَوْمِ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي أَتَوْهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ ، بَعَادَتِهِمُ الْعَجَلَ ، مَعَ نَدَمِهِمْ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ .

وَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ فَتَوْبُوا إِلَى بَارِيكُمْ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : ارْجِعُوا إِلَى طَاعَةِ خَالِقِكُمْ وَإِلَى مَا يُرْضِيهِ عَنْكُمْ .

كَمَا حَدَّثَنِي الْمُتَنَبِّئُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا آدَمُ ، قَالَ : ثنا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرِّبِّيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ : ﴿ فَتَوْبُوا إِلَى بَارِيكُمْ ﴾ . أَيْ : إِلَى خَالِقِكُمْ ^(٣) .

وَهُوَ مِنْ : بَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ^(٤) يَبْرُؤُهُمْ بَرَاءً ، فَهُوَ بَارِيهِمْ ^(٥) . وَالْبَرِيَّةُ

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بلى » .

(٢) الجزرة ، جمع الجُرُز : العمود من الحديد . اللسان (ج ر ز) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٠/١ (٥٢٦) من طريق آدم به .

(٤ - ٤) فى م : « يبرؤه » .

(٥) فى م : « بارئ » .

الخلق ، وهى فَعِيلَةٌ بمعنى مفعولة ، غير أنها لا تُهَمَزُ ، كما لا يُهَمَزُ «مَلَكٌ» ، وهو مِن «لَأَكُنْتُ» ؛ لأنه^(١) جَرَى بِتَرْكِ الهمزِ كذلك . كما قال نابغة بنى دُيَّانَ^(٢) :

إلا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ لِلإِلهِ^(٣) لَهُ قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ فَاحْذُذْهَا^(٤) عَنِ الْفَنَدِ^(٥)
وقد قيل : إن الْبَرِّيَّةَ إنما لم تُهَمَزْ لأنها فَعِيلَةٌ مِنَ الْبَرَى ، وَالْبَرَى الترابُ . فكأنَّ
تَأْوِيلَهُ عَلَى قَوْلٍ مَنْ تَأْوَلَهُ كَذَلِكَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنَ الترابِ .

وقال بعضهم : إِنَّمَا أُخِذَتِ الْبَرِّيَّةُ مِنْ قَوْلِكَ : بَرَيْتُ الْعُودَ . فَلِذَلِكَ لَمْ يُهَمَزْ .
قال أبو جعفر : وَتَرْكُ الهمزِ مِنْ «بَارِئِكُمْ» جَائِزٌ ، وَالْإِبْدَالُ مِنْهَا جَائِزٌ . فَإِذَا كَانَ
ذَلِكَ جَائِزًا فِي «بَارِئِكُمْ» ، فَغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ أَنْ تَكُونَ الْبَرِّيَّةُ مِنْ : بَرَى اللَّهُ الْخَلْقَ . بِتَرْكِ
الهمزة .

وأما قَوْلُهُ : ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ : تَوْبَتُكُمْ
بِقَتْلِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، وَطَاعَتُكُمْ رَبِّكُمْ ، خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ ؛ لِأَنَّكُمْ تَنْجُونَ بِذَلِكَ مِنْ
عِقَابِهِ فِي الْآخِرَةِ عَلَى ذُنُوبِكُمْ ، وَتَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الثَّوَابَ مِنْهُ .

وقَوْلُهُ : ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ . ^(٦) يَقُولُ : فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ^(٦) بِمَا فَعَلْتُمْ مِمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ

(١ - ١) فى م : «لأك، لكنه» .

(٢) ديوانه ص ١٣ .

(٣) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «المليك» .

(٤) حد الرجل عن الأمر يحده حدا : منه وحجسه ، تقول : حددت فلانا عن الشر . أى منعه .
اللسان (ح د د) . والبيت فيه .

(٥) الفند : الخطأ فى القول والرأى . تاج العروس (ف ن د) .

(٦ - ٦) فى م : «أى» .

مِنْ قَتْلِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا . وَهَذَا مِنَ الْمَحْذُوفِ الَّذِي اسْتُغْنِيَ بِالظَّاهِرِ مِنْهُ عَنِ الْمَتْرُوكِ ؛
لأن معنى الكلام : فُتُّبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ ،
فَتُبْتُمْ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ . فَتَرَكَ ذِكْرَ قَوْلِهِ : فَتُبْتُمْ . إِذْ كَانَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ ﴾ . دَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ عَلَى اقْتِضَاءِ الْكَلَامِ : فَتُبْتُمْ .

ويعنى بقوله : ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ : رَجَعَ لَكُمْ رَبُّكُمْ إِلَى مَا أُخْبِئْتُمْ مِنَ
الْعَفْوِ عَنْ ذُنُوبِكُمْ وَعَظِيمِ مَا رَكِبْتُمْ ، وَالصَّفْحِ عَنْ جُزْئِكُمْ ، ﴿ إِنَّهُ هُوَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ . يعنى : الرَّاجِعُ لِمَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى مَا يُجِبُّ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُ .
ويعنى بـ ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ : الْعَائِدُ عَلَيْهِ ^(١) بِرَحْمَتِهِ الْمُنْجِيَةِ مِنْ عِقَابِهِ .

[٢/٩٨] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ ۚ ۲٨٩/١

جَهْرَةً ۚ .

وتأويل ذلك : واذكروا أيضًا إذ قلتم : يَا مُوسَى لَنْ نُصَدِّقَكَ وَلَنْ نُقَرِّ بِمَا جَعَلْتَنَا
بِهِ حَتَّى نَرَى اللَّهَ ^(٢) عِيَانًا ، بَرَفِ السَّاتِرِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، وَكَشْفِ الْغِطَاءِ دُونَنَا وَدُونَهُ ،
حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْهِ بِأَبْصَارِنَا . كَمَا تُجَهَّرُ الرِّكِيَّةُ ^(٣) ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ مَاؤُهَا قَدْ غَطَّاهُ
الطُّيْنُ ، فَتُنْقَى ^(٤) مَا قَدْ غَطَّاهُ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ وَصَفَا . يُقَالُ مِنْهُ ^(٥) : جَهْرَتْ
الرِّكِيَّةُ أَجْهَرَهَا جَهْرًا وَجَهْرَةً . وَلِذَلِكَ قِيلَ : قَدْ جَاهَرَ ^(٦) فَلَانٌ بِهَذَا الْأَمْرِ

(١) فِي م : « إِلَيْهِ » .

(٢) بَعْدَهُ فِي ر : « جَهْرَةً أَيْ » ، وَبَعْدَهُ فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « جَهْرَةً » .

(٣) الرِّكِيَّةُ : الْبُيْرُ . اللِّسَانُ (ر ك ي) .

(٤) غَيْرُ مَنْقُوطَةٍ فِي الْأَصْلِ ، وَفِي ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « نَفَى » ، وَالْمَثْبُتُ كَمَا فِي اللِّسَانِ نَقْلًا عَنْ
الْأَخْفَشِ ، وَيَحْتَمِلُهُ مَا فِي الْأَصْلِ . وَيَنْظُرُ اللِّسَانُ (ج ه ر) .

(٥) بَعْدَهُ فِي ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قَدْ » .

(٦) فِي م ، ت ، ١ : « جَهْرًا » .

مُجَاهَرَةً وَجِهَارًا. إِذَا أَظْهَرَ لِرَأْيِ الْعَيْنِ وَأَعْلَنَهُ، كَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ بْنُ
غَالِبٍ^(١):

مِنَ اللَّائِي يَظَلُّ^(٢) الْأَلْفُ مِنْهُ مُنِيخًا^(٣) مِنْ مَخَافَتِهِ جِهَارًا^(٤)

وكما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ
جُرَيْجٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾. قَالَ: عَلَانِيَةً^(٥).

وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: ثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الرَّبِيعِ:
﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾. قَالَ^(٦): عِيَانًا^(٧).

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ
جَهْرَةً﴾: حَتَّى يَطْلُعَ إِلَيْنَا^(٨).

حَدَّثَنَا بَشِيرٌ، قَالَ: ثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: ثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ
جَهْرَةً﴾. أَيْ: عِيَانًا^(٩).

(١) شرح ديوان الفرزدق ص ٤٤٣.

(٢) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «يضل».

(٣) في م، ت، ٢: «مسحا»، وفي ت، ٣: «متيحا».

(٤) في شرح الديوان: «نهارا». فلا شاهد فيه للمصنف.

والشاهد في بيت آخر للفرزدق من نفس القصيدة هو قوله:

ولكن اللعاب إذا هجوني غضبت فكان نصرتي الجهارا

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٣٢/١ عن ابن جريج به. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١١/١ (٥٣٤) من طريق أبي الخويرث، عن ابن عباس، وأبو الخويرث صدوق سيئ الحفظ.

(٦) في ر: «قال علانية»، وفي م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «يقول».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١١/١ عقب الأثر (٥٣٥) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٨) سيأتي بتمامه في ص ٦٩٦، ٤٧/٢.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١١/١ (٥٣٥) من طريق سعيد بن بشير، عن قَتَادَةَ.

فذكرهم بذلك جلّ ذكره كثرة^(١) اختلاف آباؤهم ، وسوء استقامة أسلافهم
 لأنبيائهم ، مع كثرة معاينتهم من آيات الله وعبره^(٢) ما تتلج^(٣) بأقلها الصدور ،
 وتطمئن بالتصديق معها النفوس ، وذلك مع تنابح الحجج عليهم ، وسبوغ النعم من
 الله لديهم ، وهم مع ذلك مرة يسألون نبيهم أن يجعل لهم إلها غير الله ، ومرة
 يعبدون العجل من دون الله ، ومرة يقولون : لن^(٤) نصدقك حتى نرى الله جهرة .
 وأخرى يقولون له إذا دُعوا إلى القتال : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون .
 ومرة يقال لهم : ﴿ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٨] . فيقولون : حنطة
 فى شعيرة . ويدخلون الباب من قبل أستاذهم ، مع غير ذلك من أفعالهم التى آذوا بها
 نبيهم عليه السلام التى يكثر إحصاؤها .

فأعلم ربنا تبارك اسمه وتعالى ذكره الذين خاطبهم بهذه الآيات من
 يهود بنى إسرائيل كانوا بين ظهرائى مهاجر رسول الله ﷺ ، أنهم لن
 يعقدوا أن يكونوا - فى تكذيبهم محمدا ﷺ ، وجحودهم نبوته ، / وتركهم الإقرار
 ٢٩٠/١ [٢/٩٨ ظ به ، وبما جاء به ، مع علمهم به ، ومعرفتهم بحقيقة أمره - كأسلافهم
 وآباؤهم الذين قص الله^(٥) عليهم قصصهم فى ارتدادهم عن دينهم مرة بعد أخرى ،
 وتوثيبهم على نبيهم موسى صلوات الله وسلامه عليه تارة بعد أخرى ، مع عظيم بلاء
 الله عندهم ، وسبوغ آلائه عليهم .

(١) سقط من : ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) فى الأصل ، ت ٣ : « غيره » .

(٣) تلجت نفسى بالشئ تلجا ، وتلجت ، تلج وتلج ثلجا : اشتقت به واطمأنت إليه . اللسان
 (ث ل ج) .

(٤) فى ر ، م : « لا » .

(٥ - ٥) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٣ : « فصل » ، وفى ت ٢ : « فصل الله » .

(تفسير الطبرى ٤٤/١)

القول في تأويل قوله جلّ وعزّ: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ﴾ ٥٥ .

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في صفة الصاعقة التي أخذتهم؛ فقال بعضهم بما حدثنا به الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ . قال: ماتوا^(١).

وحدثت عن عمار بن الحسين، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ^(٢) الصَّاعِقَةُ﴾ . قال: سمعوا صوتاً فصعقوا. يقول: ماتوا^(٣).

وقال آخرون بما حدثني موسى بن هارون الهمداني، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ : والصاعقة نار^(٤).

وقال آخرون بما حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: أخذتهم الرجفة، وهي الصاعقة، فماتوا جميعاً^(٥).

وأصل الصاعقة كل أمر هائل من^(٦) رآه أو عاينه أو أصابه، حتى يصير من هوله

(١) تفسير عبد الرزاق ٤٦/١. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٢/١ (٥٣٨) عن الحسن بن يحيى به.

(٢) في الأصل، ر، ت ٣: «فأخذتهم».

(٣) في ر، م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «فماتوا».

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٢/١ (٥٣٩) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٢/١ (٥٤٠) من طريق عمرو به. وستأتي بقيته في ص ٦٩٥.

(٥) جزء من الأثر المتقدم في ص ٦٨٤.

(٦) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

وعَظِيمٍ شَأْنُهُ إِلَى هَلَاكِ وَعَطِيٍّ أَوْ^(١) إِلَى ذَهَابِ عَقْلِ وَغُمُورِ فَهْمٍ أَوْ فَقْدِ بَعْضِ آلَاتِ
الْجِسْمِ ؛ صَوْتًا كَانَ ذَلِكَ أَوْ نَارًا أَوْ زَلْزَلَةً أَوْ رَجْفًا . وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مَضْعُوقًا
وَهُوَ حَيٌّ غَيْرُ مَيِّتٍ ، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .
يَعْنِي مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . وَمِنْهُ قَوْلُ جَبْرِ بْنِ عَطِيَّةَ^(٢) :

وَهَلْ كَانَ الْفَرْزْدَقُ غَيْرَ قَرِيدٍ أَصَابَتْهُ الصَّوَاعِقُ فَاسْتَدَارًا
فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ مُوسَى لَمْ يَكُنْ حِينَ غُشِيَ عَلَيْهِ وَصَعِقَ ، مَيِّتًا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ
قَدْ أَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّا أَفَاقَ قَالَ : ﴿ بُنْتُ إِلَيْكَ ﴾ . وَلَا شَبَّهَ جَبْرِ الْفَرْزْدَقُ وَهُوَ حَيٌّ
بِالْقَرِيدِ مَيِّتًا ، وَلَكِنْ مَعْنَى ذَلِكَ مَا وَصَفْنَا .

وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ : وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَى الصَّاعِقَةِ^(٣) الَّتِي
أَصَابَتْكُمْ . يَقُولُ : أَخَذْتُكُمْ الصَّاعِقَةَ عَيَانًا^(٤) جَهَارًا وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيْهَا^(٥) .

[٩٩/٢] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٥٦) .

يَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ ﴾ : أَخْيَيْنَاكُمْ .

وَأَصْلُ الْبَعْثِ إِثَارَةُ الشَّيْءِ مِنْ مَحَلِّهِ . وَمِنْهُ قِيلَ : بَعَثَ فُلَانٌ رَاحِلَتَهُ . إِذَا أَثَارَهَا
مِنْ مَبْرَكِهَا لِتَسِيرَ^(٥) ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(٦) :

(١) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « و » .

(٢) دِيَوَانُهُ ٨٨٧/٢ .

(٣) ٣ - ٣ سَقَطَ مِنْ : ر .

(٤) إِلَى هُنَا يَنْتَهِي الْحَرَمُ بِالنَّسْخَةِ ص وَالْمَشَارُ إِلَى بَدَايَتِهِ فِي ص ٦٨٤ .

(٥) فِي ر ، م : « لِلْسِير » .

(٦) هُوَ النَّابِغَةُ الذِّيَّانِي ، وَالْبَيْتُ فِي دِيَوَانِهِ ص ٢٥١ .

فَأَبْعَثْهَا وَهِيَ صَنِيعٌ^(١) حَوْلٍ كَرْكِنِ الرَّغْنِ ذِغْلِبَةُ وَقَاحَا
وَالرَّغْنُ : مُتَقَطِّعٌ أَنْفِ الْجَبَلِ ، وَالذِّغْلِبَةُ : الْخَفِيفَةُ ، وَالْوَقَاحُ : الشَّدِيدَةُ الْحَافِرِ أَوْ
الْحُفٌّ . وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ : بَعَثْتُ فَلَانًا لِحَاجَتِي . إِذَا أَقَمْتَهُ مِنْ مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ
لِلتَّوَجُّهِ فِيهَا . وَمِنْهُ قِيلَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ : يَوْمَ الْبَعْثِ ؛ لِأَنَّهُ يَوْمٌ يُثَارُ النَّاسُ فِيهِ مِنْ قُبُورِهِمْ
لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ .

/ ويعنى بقوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ : مِنْ بَعْدِ^(٢) مَوْتِكُمْ بِالصَّاعِقَةِ الَّتِي
أَهْلَكَكُمْ .

٢٩١/١

وقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . يَقُولُ : فَعَلْنَا ذَلِكَ بِكُمْ لِتَشْكُرُونِي عَلَى مَا
أَوْلَيْتُكُمْ مِنْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ^(٣) ، بِإِخْيَائِي لِإِيَّاكُمْ ،^(٤) اسْتِثْنَاءً مِنْي لَكُمْ ؛ لِتُرَاجِعُوا
التَّوْبَةَ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبِكُمْ ، بَعْدَ إِحْلَالِي الْعُقُوبَةَ بِكُمْ بِالصَّاعِقَةِ الَّتِي أَهْلَلْتُهَا بِكُمْ ،
فَأَمَّا تَتَّكِمُ بِعَظِيمٍ^(٥) خَطَايَاكُمْ الَّتِي كَانَتْ^(٦) مِنْكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ .

وهذا القول على تأويل مَنْ تَأَوَّلَ قَوْلَهُ : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ ﴾ : ثُمَّ أَخْيَيْنَاكُمْ .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ ﴾ . أَيْ : بَعَثْنَاكُمْ أَنْبِيَاءَ .

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : ثَنَا أَشْبَاطُ ،

(١) صَنِيعٌ حَوْلٌ : رَعَتْ وَعَلَفَتْ حَوْلًا حَتَّى سَمِنَتْ ؛ وَصِنْعَةُ الْفَرَسِ : حَسَنُ الْقِيَامِ عَلَيْهِ ، اللِّسَانُ
(ص ن ع) .

(٢) سَقَطَ مِنْ : ص .

(٣) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ .

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ : ر ، وَفِي م : « اسْتِثْنَاءً مِنْي لَكُمْ » ، وَفِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « اسْتِثْنَاءً مِنْي لَكُمْ » .
وَاسْتِثْنَاءُ بَفْلَانٍ : لَمْ أَعْجَلْهُ ، وَيُقَالُ : اسْتَأْنَى فِي أَمْرٍ . أَيْ لَا تَعْجَلْ . اللِّسَانُ (أ ن ي) .

(٥ - ٥) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « خَطَايَاكُمْ الَّتِي كَانَتْ » ، وَفِي ر : « خَطَايَاكُمْ الَّتِي كَانَتْ » .

عن السدي^(١) .

وتأويل الكلام على ما تأوله السدي : فأخذتكم الصاعقة ، ثم أخيفناكم من بعد موتكم ، وأنتم^(٢) تنظرون إلى إحيائناكم^(٣) من بعد موتكم ، ثم بعثناكم أنبياء لعلكم تشكرون .

وزعم السدي أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير ، والمؤخر الذي معناه التقديم .

حدثنا بذلك موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أنسباط ، عن السدي .

وهذا تأويل يدل ظاهره التلاوة على خلافه ، مع إجماع أهل التأويل على تخطئته ، فالواجب على تأويل السدي الذي حكيناه عنه أن يكون معنى قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ : تشكروني^(٤) على تضييري إياكم أنبياء .

وكان سبب قيلهم لموسى ما أخبر الله عنهم أنهم قالوه له من قولهم : ﴿ لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَقٌّ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة^(٥) ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رجع [٢/٩٩] موسى إلى قومه ، ورأى ما هم فيه من عبادة العجل ، وقال لأخيه وللسامري ما قال ، وحرّق العجل وذراه في البحر^(٦) اختار موسى منهم سبعين رجلاً ؛ الخيّر فالخيّر ، وقال : انطلقوا إلى الله

(١) سيأتي بتمامه في ص ٦٩٥ .

(٢) في الأصل : « لعلكم » .

(٣) في م : « إحيائنا إياكم » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) في ر : « مسلمة » .

(٦) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « اليم » .

فَتُوبُوا إِلَيْهِ مِمَّا صَنَعْتُمْ ، وَسَلُّوهُ التَّوْبَةَ عَلَى مَنْ تَرَكْتُمْ وِرَاءَكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ ، صُومُوا وَتَطَهَّرُوا وَطَهَّرُوا ثِيَابَكُمْ . فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى طُورٍ سَيْنَاءَ لِمِقَاتٍ وَقَتَهُ لَهُ رَبُّهُ ، وَكَانَ لَا يَأْتِيهِ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنْهُ وَعَلِمَ ، فَقَالَ لَهُ السَّبْعُونَ - فِيمَا ذَكَرَ لِي - حِينَ صَنَعُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، وَخَرَجُوا لِلِقَاءِ رَبِّهِ ، قَالُوا : يَا مُوسَى ، اطْلُبْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ نَسْمَعِ كَلَامَ رَبِّنَا . فَقَالَ : أَفْعَلُ . فَلَمَّا دَنَا مُوسَى مِنَ الْجَبَلِ وَقَعَ عَلَيْهِ ^(١) «عَمُودُ الْغَمَامِ» حَتَّى تَغَشَّى الْجَبَلَ كُلَّهُ ، وَدَنَا مُوسَى فَدَخَلَ فِيهِ ، وَقَالَ لِلْقَوْمِ : اذْثُوبُوا . وَكَانَ مُوسَى إِذَا كَلَّمَهُ ^(٢) وَقَعَ عَلَى جَبْهَتِهِ نَوَّرٌ سَاطِعٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَضُرِبَ دُونَهُ بِالْحِجَابِ ^(٣) ، وَدَنَا الْقَوْمُ حَتَّى إِذَا دَخَلُوا فِي الْغَمَامِ وَقَعُوا سُجُودًا ، فَسَمِعُوهُ وَهُوَ يُكَلِّمُ مُوسَى يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ : أَفْعَلْ وَلَا تَفْعَلْ . فَلَمَّا فَرَّغَ إِلَيْهِ ^(٤) مِنْ أَمْرِهِ انْكَشَفَ ^(٥) عَنْ مُوسَى الْغَمَامُ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا لِمُوسَى : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ ، وَهِيَ الصَّاعِقَةُ ، فَمَاتُوا جَمِيعًا ، وَقَامَ مُوسَى يُنَادِي رَبَّهُ وَيَدْعُوهُ وَيَزْعَبُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّيَّ ﴾ [الأعراف : ١٥٥] . قَدْ سَفِهُوا ، أَفْتَهْلِكُ مَنْ وَرَائِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ^(٦) بِمَا فَعَلَ ^(٧) الشَّفْهَاءُ مِنَّا ؟ - أَيْ : إِنْ هَذَا لَهُمْ هَلَاكٌ - اجْتَرَأَتْ مِنْهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا ، الْخِيَرُ فَالْخِيَرُ ، أَرْجَعُ إِلَيْهِمْ وَلَيْسَ مَعِيَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، فَمَا الَّذِي يُصَدِّقُونِي بِهِ أَوْ يَأْمَنُونِي عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا ؟ ﴿ إِنَّا هَذَاكَ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] . فَلَمْ يَزَلْ مُوسَى يُنَادِي رَبَّهُ ^(٨) وَيَسْأَلُهُ ^(٩)

(١ - ١) فى ص : « عمود غمام » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الغمام » .

(٢) بعده فى م : « ربه » .

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الحجاب » .

(٤) سقط من : ص ، م .

(٥) فى م : « وانكشف » .

(٦ - ٦) فى م : « بما تفعل » . وفى ت ١ : « بما يفعل » ، وفى ت ٢ : « بما تفعل » .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

وَيَطْلُبُ إِلَيْهِ ، حَتَّى رُدُّ إِلَيْهِمْ ^(١) أَزْوَاجَهُمْ ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ التَّوْبَةَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ ، فَقَالَ : لَا ، إِلَّا أَنْ يَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ ^(٢) .

٢٩٢/١ / حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ بْنُ نَصْرِ ، عَنِ السَّدِيِّ : لَمَّا تَابَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ ، وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا كَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى أَنْ يَأْتِيَهُ فِي نَاسٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ ، وَوَعَدَهُمْ مُوعِدًا ، فَاخْتَارَ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ سَبْعِينَ رَجُلًا عَلَى عَيْنِهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِمْ لِيَعْتَذِرُوا ، فَلَمَّا أَتَوْا ذَلِكَ الْمَكَانَ قَالُوا : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . فَإِنَّكَ قَدْ كَلَّمْتَهُ فَأَرِنَاهُ ، فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ فَمَاتُوا ، فَقَامَ مُوسَى يَبْكِي وَيَدْعُو اللَّهَ وَيَقُولُ : رَبِّ مَاذَا أَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا أَتَيْتَهُمْ وَقَدْ أَهْلَكْتَ خِيَارَهُمْ ؟ ﴿ رَبِّ لَوْ سِئْتَ أَهْلَكْنَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَلِئِنِّي أَتَّهِلْكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى : إِنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ مِمَّنْ اتَّخَذَ الْعِجْلَ . فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ [١٠٠/٢] مُوسَى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ ^(٣) إِلَى قَوْلِهِ ^(٤) : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ ^(٥) [الأعراف : ١٥٥ ، ١٥٦] . وَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسَّى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَحْيَاهُمْ فَقَامُوا وَعَاشُوا رَجُلًا رَجُلًا ^(٦) ، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ كَيْفَ يَحْيَوْنَ ، فَقَالُوا : يَا مُوسَى أَنْتَ تَدْعُو اللَّهَ فَلَا تَسْأَلُهُ ^(٧) شَيْئًا إِلَّا أُعْطَاكَ ، فَادْعُهُ يَجْعَلْنَا

(١) فِي ص : « إِلَيْهِ » .

(٢) تَقْدِمُ تَخْرِيجُهُ فِي ص ٦٨٤ .

(٣ - ٣) زِيَادَةٌ مِنْ تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ .

(٤) بَعْدَهُ فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ : « يَقُولُ : تَبْنَا إِلَيْكَ » .

(٥) سَقَطَ مِنْ : ص .

(٦) فِي ص : « تَطْلُبُ » .

أَنْبِيَاءَ ، فدعا الله فجعلهم أنبياء ، فذلك قوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ ﴾ . ولكنه قدّم حرفاً وآخر حرفاً^(١) .

حدثني يونس ، قال : أنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قال لهم موسى - لما رجع من عند ربه بالألواح قد كُتِبَ فيها التوراة ، فوجدهم يَعْبُدُونَ الْعِجْلَ ، فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا ، فتاب الله عليهم^(٢) - : إن هذه الألواح فيها كتاب الله ، فيه أمره الذى أَمَرَكم به^(٣) ، ونَهْيُهُ الذى نهاكم عنه . فقالوا : وَمَنْ يَأْخُذْهُ بِقَوْلِكَ أَنْتَ ! لا والله حتى نَرَى الله جَهْرَةً ، حتى يَطْلُعَ اللهُ إِلَيْنَا^(٤) فيقول : هذا كتابى فخذوه ، فما له لا يُكَلِّمُنَا كما كَلَّمَكَ^(٥) أَنْتَ يا موسى ، فيقول : هذا كتابى فخذوه ؟ وقرأ قول الله تعالى : ﴿ لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . قال : فجاءت غَضَبَةٌ مِنَ اللَّهِ ، فجاءتهم صاعقة بعد التوبة ، فَصَعَقَتْهُمْ فماتوا أَجْمَعُونَ . قال : ثم أحياهم الله من بعد موتهم . وقرأ قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . فقال لهم موسى : خذوا كتاب الله . فقالوا : لا . فقال : أى شئ أصابكم ؟ قالوا : أصابنا أَنَّا مِتْنَا ثُمَّ حَيَّيْنَا . قال : خذوا كتاب الله . فقالوا : لا . قال : فبعث الله ملائكة فَنَتَقَتِ الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ^(٦) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قتادة فى قوله : ﴿ فَأَخَذْنَاكُمْ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾^(٧) ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٤٢٨ ، ٤٢٩ عن موسى بن هارون به عن السدى بإسناده .

(٢) بعده فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فقال » .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « علينا » .

(٥) سقط من : ص ، م .

(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٣٣ عن ابن زيد .

مَوْتِكُمْ ﴿١﴾ . قال : أَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ، ثُمَّ بَعَثَهُمُ اللَّهُ لِيُكْمِلُوا بَقِيَّةَ آجَالِهِمْ ^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ابن أنس في قوله : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ . قال : هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه . قال : فسمعوا كلاماً ، فقالوا : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . قال : فسمعوا صوتاً فصعقوا . يقول : ماتوا ^(٢) . فذلك قوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ ١٠٠/٢ مَوْتِكُمْ ﴾ . فبعثوا من بعد موتهم ؛ لأن موتهم ذاك كان / عقوبة لهم ، فبعثوا لبقية آجالهم ^(٣) .

٢٩٣/١

فهذا ما روى في السبب الذي من أجله قالوا لموسى : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ .

ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم ذلك لموسى تقوم به حجة ^(٤) فيسلم له ^(٥) ، وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه ، فإذا كان لا خبر بذلك تقوم به حجة ، فالصواب من القول فيه أن يقال : إن الله تعالى ذكره قد أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له : ﴿ يَكُومُونَ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . كما أخبر عنهم أنهم قالوه ، وإنما أخبر الله بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات توبيخاً

(١) تفسير عبد الرزاق ٤٦/١ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٢/١ (٥٤٣) عن الحسن بن يحيى به .
(٢) بعده في الأصل : « قوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ ﴾ . قال : أَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ثُمَّ بَعَثَهُمُ اللَّهُ لِيُكْمِلُوا بَقِيَّةَ آجَالِهِمْ ... حدثنا إسحاق ، قال : حدثني ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس في قوله : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ . قال : هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه فقالوا : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . فصعقوا . يقول : ماتوا » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٢/١ (٥٣٩ ، ٥٤٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤ - ٥) في م : « فيسلم لهم » .

لهم على كفرهم بمحمد ﷺ ، ^(١) وقد ^(٢) قامت حجته على من احتج به عليه ، ولا حاجة لمن انتهت إليه معرفة السبب الداعي كان ^(٣) لهم إلى قيل ذلك ، وقد قال الذين أخبرنا عنهم الأقوال التي ذكرناها ، وجائز أن يكون بعضها حقًا كما قالوا .

القول في تأويل قوله جل وعز : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ .

قال أبو جعفر : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ . عطفت على قوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ . فتأويل الآية : ثم بعثناكم من بعد موتكم ، وظللنا عليكم الغمام - وعدد عليهم سائر ما أنعم به عليهم - لعلكم تشكرون .

والغمام جماع غمامة ، كما السحاب جماع سحابة ، والغمام هو ما غم السماء فألبسها ، من سحاب وقتام ، وغير ذلك مما يشتقها عن أعين الناظرين ، وكل مغطى ^(٣) فإن العرب ^(٤) تسميه مغمومًا .

وقد قيل : إن الغمام التي ظللها الله على بنى إسرائيل لم تكن ^(٤) سحابة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ . قال : ليس بالسحاب ^(٥) .

حدثنا المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ،

(١ - ١) في الأصل ، ص ، ر : « فقد » .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) في ص : « فالعرب » .

(٤) في الأصل ، ر : « يكن » .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٣٤/١ عن الثوري به .

عن مُجاهِدٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ . قال : ليس بالسَّحابِ ^(١) ، هو الغَمَامُ الذى يَأْتِى اللّهُ فيه يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لم يكنْ إِلا لَهُمْ ^(٢) .

حَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قال : حَدَّثَنَا عِيسَى ، عن ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ فى قولِ اللّهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ . قال : هو بِمَنْزِلَةِ السَّحابِ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قال : حَدَّثَنِى حُجَّاجٌ ، عن ابْنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ . قال : غَمَامٌ أُبْرِدُ مِنْ هَذَا وَأَطْيَبُ ، وهو الذى يَأْتِى اللّهُ جَلَّ وَعَزَّ فيه يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فى قَوْلِهِ : ﴿ فِي ظُلُلٍ ^(٣) مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] . وهو الذى جَاءَتْ فيه الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ بَدْرٍ . قال ابْنُ عَبَّاسٍ : وَكَانَ مَعَهُمْ فى التَّيِّهِ ^(٤) .

وَإِذْ كَانَ معنى الغَمَامِ ما وَصَفْنَا ، مما غَمَّ السَّمَاءُ مِنْ شَيْءٍ فُغِطَى وَجْهُهَا عنِ النَّاظِرِ إِلَيْهَا ، فليس / الذى ظَلَّلَهُ اللّهُ على بَنِي إِسْرَائِيلَ فَوْصَفَهُ بِأَنَّهُ كَانَ غَمَامًا ، بِأَوَّلَى ٢٩٤/١ بوصفه إِيَّاهُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ سَحَابًا ، مِنْهُ بَأْنُ يَكُونَ غَيْرَ ذَلِكَ مما أَلْبَسَ وَجْهَ السَّمَاءِ مِنْ شَيْءٍ .

وقد قيل : إنه ما أبيضُ مِنَ السَّحابِ ^(٥) .

(١) بعده فى ص : « وَيَسْنَدُهُ عن مجاهد قال ليس بالسحاب » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٣/١ (٥٤٩) من طريق أبى حذيفة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٠/١ إلى وكيع وعبد بن حميد .

(٣) فى الأصل : « ظل » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣٤/١ عن الحسين به . وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٣/١ (٥٥٠) بإسناده عن ابن جريج ، قال : قال آخرون : هو غمام أبرد من هذا وأطيب .

(٥) بعده فى الأصل طمس مقداره ست كلمات .

[١٠١/٢] القول في تأويل قوله جل وعزّ: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ .

اختلف أهل التأويل في صفة المنّ ؛ فقال بعضهم بما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ . قال : المنّ صمغة^(١) .

وحدثني المشني ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ . يقول : كان المنّ ينزل عليهم مثل الثلج^(٢) . وقال آخرون : هو شراب .

ذكر من قال ذلك

حدثني المشني ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : المنّ شراب كان ينزل عليهم مثل العسل ، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه^(٣) .

وقال آخرون : المنّ عسل .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٣ ، ومن طريقه عبد بن حميد والفرياي ، كما في تعليق التعليق ١٧٣/٤ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٤/١ (٥٥٣) من طريق سفيان ، عن ابن أبي نجيح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٠/١ إلى وكيع .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٤٦/١ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٤/١ (٥٥٦) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، مطولا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٥/١ (٥٥٨) من طريق ابن أبي جعفر به .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : الْمُنْ عَسَلُ كَانَ يَنْزِلُ لَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ ^(١) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ عَامِرٍ ، قَالَ : عَسَلَكُمْ هَذَا جِزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنَ الْمُنِّ ^(٢) .
وَقَالَ آخَرُونَ : الْمُنُّ الْخَبْزُ ^(٣) الرُّقَاقُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ ، قَالَ : سَمِعْتُ وَهْبًا ، وَسُئِلَ مَا الْحَمُّ ؟ قَالَ : خَبْزُ الرُّقَاقِ ، مِثْلُ الذَّرَّةِ ، أَوْ ^(٤) مِثْلُ النَّقِيِّ ^(٥) .

وَقَالَ آخَرُونَ : الْمُنُّ الرَّنْجِيلُ ^(٦) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ : الْمُنُّ

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٣٥ . عن ابن زيد .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٣٥ عن المصنف .

(٣) في م : « خبز » .

(٤) في م ، ت ٢ : « و » .

(٥) النقي : هو الدقيق الحواري ، وهو الذي يُنْقَى من لُبَابِ الْبُرِّ . ينظر تاج العروس (ح و ر) .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١١٥ (٥٥٧) من طريق إسماعيل به ، وعزه السيوطي في الدر

المنثور ١/ ٧٠ إلى عبد بن حميد . وسيأتي بتمامه في ص ٧٠٩ .

(٦) في م : « الترنجين » . وسيأتي التعليق عليها .

كَانَ يَشْقُطُ عَلَى 'الشَّجَرِ الرَّجْبِيلِ' .

وَقَالَ آخَرُونَ : الْمُنُّ هُوَ الَّذِي يَشْقُطُ عَلَى الشَّجَرِ الَّذِي يَأْكُلُهُ النَّاسُ .

/ ذَكُرْ مِنْ قَالَ ذَلِكَ /

٢٩٥/١

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحِمَّانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَرِيكٌ ، عَنْ مُجَالِيدٍ ، عَنْ عَامِرٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ ﴾ . قَالَ : الْمَنَّاءُ الَّذِي يَقَعُ عَلَى الشَّجَرِ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَرِيكٌ ، عَنْ مُجَالِيدٍ ، عَنْ عَامِرٍ ، قَالَ : الْمَنَّاءُ هَذَا الَّذِي يَقَعُ عَلَى الشَّجَرِ .

وَحَدَّثْتُ عَنْ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ الْمَنَّاءَ ﴾ . قَالَ : الْمَنَّاءُ الَّذِي يَشْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الشَّجَرِ فَيَأْكُلُهُ النَّاسُ .

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانَ الْمَنَّاءُ يَنْزِلُ عَلَى شَجَرِهِمْ ، فَيَغْدُونَ إِلَيْهِ ^(١) فَيَأْكُلُونَ مِنْهُ مَا شَاءُوا ^(٢) .

(١ - ١) في م : « شجر الترنجيبين » ، وفي تاريخ المصنف : « الشجر الترنجيبين » ، والمثبت موافق لما في تفسير ابن أبي حاتم ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٣٤ .

والأثر أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٤٣٠ عن موسى بن هارون به عن السدي بإسناده ، مطولا . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١١٤ (٥٥٥) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وسيأتي مطولا في ص ٧٠٧ ، ٧٠٨ .

(٢) في ص ، م : « عليه » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١١٤ (٥٥٢) من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، =

^(١) وقد قيل : إن المنَّ التَّرنَجِينُ^(١) .

وقال بعضهم : المنُّ : الذى يَشْقُطُ على الثَّمَامِ^(٢) والعَشِيرِ^(٣) ، وهو حُلْوٌ كالعسلِ ، وإياه عَنَى الْأَعْشَى ميمونُ بْنُ قيسٍ بقوله^(٤) :
[١٠١/٢] لو أَطْعِمُوا المنَّ والسَّلْوَى مكانَهُمْ ما أَبْصَرَ الناسُ طَعْمًا فِيهِمْ نَجَعًا
وتَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « الْكَمَاةُ مِنَ المنِّ ، وماؤُها
شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ »^(٥) .

وقال بعضهم : المنُّ شرابٌ حُلْوٌ كانوا يَطْبُخُونَهُ فيَشْرَبُونَهُ .
وأما أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ فإنه جَعَلَهُ فى شِجْرِهِ عَسَلًا ، فقال يَصِفُ أَمْرَهُمْ
فى التِّيهِ وما رُزِقُوا فِيهِ^(٦) :
فَرَأَى اللَّهَ أَنَّهُمْ بِمَضِيعٍ لا بَدَى مَزْرَعٍ ولا مَشْمُورًا^(٧)

= وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٠/١ إلى ابن المنذر .

(١ - ١) فى ر : « وقيل : المن عسل » .

والترنجين : طل يقع من السماء ، ندى شبيه بالعسل ، جامد متحجب ، وتأويله عسل الندى . الجامع لمفردات
الأدوية والأغذية ١/١٣٧ .

(٢) الثمام : نبت معروف فى البادية ، ولا تجهده النعم إلا فى الجدوية . اللسان (ث م م) .

(٣) العشير : شجر له صمغ وفيه حراق مثل القطن يقتدح به . اللسان (ع ش ر) .

(٤) زيادة من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ . والبيت فى ديوان الأعشى ص ١٠٩ .

(٥) أخرجه البخارى (٥٧٠٨) ، ومسلم (٢٠٤٩) ، وغيرهما من حديث سعيد بن زيد . وينظر مسند

الطيالسى (٢٥١٩) ، وتفسير ابن كثير ، تحقيق أبى إسحاق الحوينى ٤٠٥/٢ - ٤١٦ .

(٦) ديوان أُمِيَّة ص ٤٤ .

(٧) المضيع والمضيعة : الاطراح والهوان . اللسان (ض ي ع) .

فَسَنَّاها^(١) عَلَيْهِمْ غَاديَاتٍ وَمَرَى مُزْنَهُمْ خَلَايَا وَخُورًا^(٢)
عَسَلًا نَاطِقًا وَمَاءً فُرَاتًا وَحَلِيْبًا ذَا بَهْجَةٍ مُزْمُورًا^(٣)
فَجَعَلَ الْمُنَّ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ عَسَلًا نَاطِقًا، وَالنَّاطِفُ هُوَ الْقَاطِرُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَالسَّلَوَى﴾ .

و«السَّلَوَى» اسْمُ طَائِرٍ يُشْبِهُ السَّمَانِيَّ ، وَاحِدُهُ^(٤) وَجَمَاعُهُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ ،
وَكَذَلِكَ السَّمَانِيُّ لَفْظُ جَمَاعِهَا وَوَاحِدُهَا سَوَاءٌ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ وَاحِدَ السَّلَوَى
سَلَوَةٌ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ
الشَّدْيِ ،^(٥) فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مَرَّةَ
الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : السَّلَوَى طَيْرٌ يُشْبِهُ

(١) فِي م : «فَعْنَاهَا» ، وَهِيَ رَوَايَةٌ ، وَفِي الدِّيَوَانِ : «فَعْفَاهَا» . وَسَنَّاها : سَقَاهَا . اللِّسَانُ (س ن و) .

(٢) غَاديَاتٍ جَمْعُ غَادِيَةٍ : وَهِيَ السَّحَابَةُ الَّتِي تَنْشَأُ غَدْوَةً ، وَمَرَى النَّاقَةُ مَرِيًا : مَسَحَ ضَرْعَهَا لِلدَّرَةِ .
وَالْخَلَايَا : جَمْعُ خَلِيَةٍ ، وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي خَلِيَتْ لِلْحَلَبِ . وَالْخُورُ : الْإِبِلُ الْحَمْرُ إِلَى الْغَبَرَةِ ، رَقِيقَاتُ
الْجُلُودِ طَوَالَ الْأَدْبَارِ ، وَلَهَا شَعْرٌ يَنْفَذُ ، وَبَرِّهَا أَطْوَلُ مِنْ سَائِرِ الْوَبَرِ . يَنْظُرُ اللِّسَانُ (غ د و ، م ر ي ، خ
ل ي ، خ و ر) .

(٣) فِي ص : «مَزْمُورًا» ، وَفِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وَالدِّيَوَانُ : «مَمْرُورًا» . وَبَعْدَهُ فِي م : «الْمَمْرُورُ
الصَّافِي مِنَ اللَّبَنِ» . وَبَعْدَهُ فِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «الْمَمْرُورُ الصَّافِي مِنَ اللَّبَنِ» ، وَفِي حَاشِيَةِ
ص : «الْمَمْرُورُ الصَّافِي مِنَ اللَّبَنِ» . وَفِي الْقَامُوسِ مَادَّةُ (مَمْرَمَر) : الْمُرْمُورَةُ بِالضَّمِّ الْجَارِيَةُ النَّاعِمَةُ
الرُّجْرَاجَةُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ ، م : «وَاحِدَةٌ» .

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنَ الْأَصْلِ ، ص .

السَّمَانِي^(١) .

وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ
السَّدِيِّ ، قَالَ : كَانَ طَيْرًا أَكْبَرَ مِنَ السَّمَانِي .

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ
قَتَادَةَ ، قَالَ : السَّلْوَى طَيْرٌ^(٢) كَانَتْ تَحْشُرُهَا عَلَيْهِمُ الرِّيحُ الْجَنُوبُ^(٣) .

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْسَى ، عَنْ
ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : السَّلْوَى طَائِرٌ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ : السَّلْوَى طَائِرٌ^(٥) .

وَحَدَّثَنِي عَنْ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ
الضُّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : السَّلْوَى هُوَ السَّمَانِي^(٦) .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شَرِيكٌ ، عَنْ

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٣٨/١ عن المصنف به . وسيأتي مطولا في ص ٧٠٧ ، ٧٠٨ .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٣ : « طائر » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٤٦/١ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٥/١ (٥٦٢) من طريق سعيد بن بشير ،
عن قتادة ، مطولا .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٠٣ .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « طير » .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٥/١ (٥٦٠) من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس .
وأخرجه ابن أبي حاتم أيضا (٥٥٩) من طريق جهم ، عن ابن عباس . وينظر تفسير ابن كثير ، تحقيق أبي
إسحاق الحويني ٤١٦/٢ ، ٤١٧ .

مُجَالِيدٍ ، عن عامرٍ ، قال : السَّلَوَى السُّمَانَى .

^(١) حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا الْحِثَّانِيُّ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن مُجَالِيدٍ ، عن عامرٍ ، قال : السَّلَوَى السُّمَانَى ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أَبِيهِ ، عن الرَّبِيعِ ابْنِ أَنَسٍ : السَّلَوَى كَانَ طَيْرًا يَأْتِيهِمْ مِثْلَ [١٠٢/٢] السُّمَانَى ^(٣) .

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابْنُ زَيْدٍ : السَّلَوَى طَيْرٌ .
وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، قال :
حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ ، قال : سَمِعْتُ وَهْبًا وَشُعَيْلَ : مَا السَّلَوَى ؟ فَقَالَ : طَيْرٌ سَمِيٌّ مِثْلُ
الْحَمَامِ ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا أَبُو عامرٍ ، قال : ثنا قُؤَّةٌ ، عن الضَّحَّاكِ ، قال :
السُّمَانَى هُوَ السَّلَوَى ^(٥) .

قال أبو جعفرٍ : فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَمَا كَانَ سَبَبُ تَطْلِيلِ اللَّهِ الْعَمَامَ وَإِنْزَالِهِ الْمُنَّ
وَالسَّلَوَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ؟

قِيلَ : قَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ ، وَنَحْنُ ذَاكِرُونَ مَا حَضَرَنَا مِنْهُ .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

والأثر ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٥/١ عقب الأثر (٥٦١) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٥/١ عقب الأثر (٥٦١) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٦/١ (٥٦٣) من طريق إسماعيل به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧١/١ إلى عبد بن حميد .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧١/١ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

فحدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : لما تاب الله على قوم^(١) موسى وأخيا السبعين الذين اختارهم موسى بعد ما أماتهم ، أمرهم الله بالسير^(٢) إلى أريحا ، وهي أرض بيت المقدس ، فساروا حتى إذا كانوا قريبا منها^(٣) بعث موسى اثني عشر نقيبا ، فكان من أمرهم وأمر الجبارين وأمر قوم موسى ما قد قص الله في كتابه ، فقال قوم موسى لموسى : ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنْنا هَهُنَا فَتَعْدُونَ ﴾ . فغضب موسى فدعا عليهم ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ ، فكانت عجلة من موسى عجلها ، فقال الله : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [المائدة : ٢٥ ، ٢٦] . فلما ضرب عليهم اللية ندم موسى ، وأتاه قومه الذين كانوا معه يُطِيعونه فقالوا له : ما صنعت بنا يا موسى ؟ فلما ندم أوحى الله إليه : ﴿ لَا تَأْسَ ﴾ على القوم الفاسقين - أى : لا تحزن على القوم الذين سميتهم فاسقين - فلم يحزن . فقالوا : يا موسى ، فكيف لنا بماء ههنا ؟ أين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن ، فكان يشقظ على^(٤) الشجر^(٥) الرزجيل^(٥) ، والسلولى وهو طير يشبه السمانى ، فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير فإن كان سمينا ذبحه وإلا أرسله ، فإذا سمين أتاه . فقالوا : هذا الطعام ، فأين الشراب ؟ فأمر موسى ، فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، فشرب / كل سبط من عين . فقالوا : هذا الطعام والشراب ، فأين الظل ؟ فظلل عليهم الغمام . فقالوا : هذا الظل ، فأين اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول

(١) سقط من : ص .

(٢) فى م : « بالسير » .

(٣) فى ص ، ونسخة من تاريخ المصنف : « منهم » .

(٤ - ٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أن لا تأس » .

(٥ - ٥) فى م ، وتاريخ المصنف : « شجر الترنجبين » . وينظر ما تقدم فى ص ٧٠٢ .

مَعَهُمْ كَمَا تَطُولُ الصَّبِيَّانُ ، وَلَا يَتَخَرَّقُ لَهُمْ ثَوْبٌ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴾ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، [١٠٢/٢ ط] قَالَ : ثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : لَمَّا تَابَ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَمَرَ مُوسَى أَنْ يَزِفَّ عَنْهُمْ السَّيْفَ مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ ، أَمَرَ مُوسَى أَنْ يَسِيرَ ^(٢) بِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَقَالَ : إِنِّي قَدْ كَتَبْتُهَا لَكُمْ دَارًا وَقَرَارًا وَمَنْزِلًا ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهَا وَجَاهِذَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْعَدُوِّ ، فَإِنِّي نَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ . فَسَارَ بِهِمْ مُوسَى إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، حَتَّى إِذَا نَزَلَ الثِّيَّاءُ بَيْنَ مِصْرَ وَالشَّامِ ، وَهِيَ بِلَادٌ لَيْسَ فِيهَا خَمَرٌ ^(٣) وَلَا ظِلٌّ ، دَعَا مُوسَى رَبَّهُ حِينَ آذَاهُمُ الْحَرُّ ، فَظَلَّلَ عَلَيْهِمُ بِالْغَمَامِ ، وَدَعَا لَهُمُ بِالرِّزْقِ ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّيِّعِ ^(٤) بْنِ أَنَسٍ ، وَحَدَّثَتْ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، ثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّيِّعِ ^(٤) قَوْلَهُ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ . قَالَ : ظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ فِي الثِّيَّاءِ ، ^(٥) « مَا هُوَ فِي قَدْرِ » خَمْسَةَ فَرَاسِخٍ أَوْ سِتَّةٍ ، كُلَّمَا أَصْبَحُوا سَارُوا غَادِينَ ، فَأَمْسَوْا فَإِذَا هُمْ فِي مَكَانِهِمْ الَّذِي ارْتَحَلُوا مِنْهُ ، فَكَانُوا كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ أَرْبَعُونَ سَنَةً . قَالَ : وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءُ وَالسَّلْوَى ، وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ ، وَمَعَهُمْ حَجَرٌ مِنْ حِجَارَةِ الطُّورِ يَحْمِلُونَهُ مَعَهُمْ ، فَإِذَا

(١) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ١/ ٤٢٩ ، ٤٣٠ عَنْ مُوسَى بْنِ هَارُونَ بِهِ عَنِ السَّدِيِّ بِإِسْنَادِهِ .

(٢) فِي ص : « يَسْبِقُ » .

(٣) الْخَمْرُ بِالتَّحْرِيكِ : مَا وَارَاكَ مِنْ شَجَرٍ وَغَيْرِهِ ، كَالْجَبَلِ وَغَيْرِهِ . التَّاج (خ م ر) .

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، ص .

(٥ - ٥) فِي ص : « فَإِذَا هُوَ فِي قَدْرِ » ، وَفِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تَاهُوا فِي » .

نَزَّلُوا ضَرْبَهُ مُوسَى بِعَصَاهُ ، فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، قَالَ :
 حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ ، قَالَ : سَمِعْتُ وَهْبًا يَقُولُ : إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لما حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ
 يَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَّبِعُهُمْ فِي الْأَرْضِ ، شَكَّوْا إِلَى مُوسَى فَقَالُوا :
 مَا نَأْكُلُ ؟ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ سَيَأْتِيكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ . قَالُوا : مِنْ أَيْنَ لَنَا إِلَّا أَنْ يُنْزِلَ
 عَلَيْنَا خُبْزًا ! قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ خُبْزًا مَخْبُوزًا . فَكَانَ يُنْزَلُ
 عَلَيْهِمُ الْمَنَّ - سُيْلٌ وَهَبٌ : مَا الْمَنَّ ؟ قَالَ : خُبْزُ الرِّقَاقِ مِثْلُ الذَّرَّةِ أَوْ مِثْلُ
 النَّقِيِّ - قَالُوا : وَمَا تَأْتِيكُمْ ؟ وَهَلْ بُدِّ لَنَا مِنْ لَحْمٍ ؟ قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيكُمْ بِهِ .
 فَقَالُوا : مِنْ أَيْنَ لَنَا إِلَّا أَنْ تَأْتِيَنَا بِهِ الرِّيحُ ! قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيكُمْ^(١) بِهِ .
 فَكَانَتِ الرِّيحُ تَأْتِيهِمْ بِالسَّلْوَى - فَسُئِلَ وَهْبٌ : مَا السَّلْوَى ؟ قَالَ : طَيْرٌ سَمِينٌ
 مِثْلُ الْحَمَامِ ، كَانَ يَأْتِيهِمْ فَيَأْخُذُونَ مِنْهُ مِنْ سَبْتٍ إِلَى سَبْتٍ - قَالُوا : فَمَا
 نَلْبَسُ ؟ قَالَ : لَا يَخْلُقُ لِأَحَدِكُمْ ثَوْبَ أَرْبَعِينَ سَنَةً . قَالُوا : فَمَا نَحْتَدِي ؟ قَالَ : لَا
 يَنْقَطِعُ لِأَحَدِكُمْ شَيْءٌ^(٢) أَرْبَعِينَ سَنَةً . قَالُوا : فَإِنَّهُ يُولَدُ فِينَا أَوْلَادٌ ، فَمَا نَكْشُوهُمْ ؟
 قَالَ : ثَوْبٌ^(٣) الصَّغِيرِ يَثْبُتُ مَعَهُ . قَالُوا : فَمِنْ أَيْنَ لَنَا الْمَاءُ ؟ قَالَ : يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ .
 قَالُوا : فَمِنْ أَيْنَ إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ لَنَا مِنَ الْحَجَرِ ! فَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ
 الْحَجَرَ . قَالُوا : فَبِمَ تُبْصِرُ إِذْ تَعْشَانَا الظُّلْمَةَ ؟ / فَضْرَبَ لَهُمْ عَمُودًا^(٤) مِنْ نُورٍ فِي ٢٩٨/١
 وَسَطِ عَسْكَرِهِمْ أَضَاءَ عَسْكَرِهِمْ كُلَّهُ . قَالُوا : فَبِمَ نَسْتَظِلُّ ، فَإِنَّ الشَّمْسَ^(٥) عَلَيْنَا

(١ - ١) غير واضحة في الأصل ، وفي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «الريح تأتيتكم» .

(٢) الشَّعْصَعُ : سِيرٌ يَمْسُكُ النَّمْلَ بِأَصَابِعِ الْقَدَمِ . الْوَسِيطُ (ش س ع) .

(٣) فِي ص ، ر ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : «الثوب» .

(٤) فِي م : «عمود» .

(٥) بَعْدَهُ فِي ص : «قال» .

شديدة؟ قال : يُظْلِكُمُ اللَّهُ بِالْعَمَامِ^(١) .

حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا [١٠٣/٢] ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيد . فذكر
نحوَ حديثِ موسى ، عن عمرو بن حمادٍ^(٢) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجُ ، قال : قال ابنُ
جُرَيْجٍ : قال ابنُ عباسٍ : خُلِقَ لَهُمْ فِي التَّيِّهِ ثِيَابٌ لَا تَخْلُقُ وَلَا تَذَرُنُ .

قال : وقال ابنُ جُرَيْجٍ : إِنْ أَخَذَ الرَّجُلُ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى فَوْقَ طَعَامِ يَوْمٍ
فَسَدَّ ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ طَعَامَ يَوْمِ السَّبْتِ فَلَا يُضْبِحُ
فَاسِدًا^(٣) .

[١٣/٣] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ .
قال أبو جعفرٍ : وهذا مما اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ ظَاهِرِهِ^(٤) عَنْ ذِكْرِ " مَا تَرَكَ مِنْهُ ، وَذَلِكَ أَنْ
تَأْوِيلَ الْآيَةِ : وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ، وَقُلْنَا لَكُمْ : كُلُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ . فَتَرَكْ ذِكْرَ قَوْلِهِ : وَقُلْنَا لَكُمْ . لِمَا يَبَيِّنُ مِنْ دَلَالَةِ الظَّاهِرِ فِي الْخُطَابِ
عَلَيْهِ .

وَعَنَى جَلَّ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ : كُلُوا مِنْ شَهَائِدِ^(٥) رِزْقِنَا

(١) تقدم طرف منه في ص ٧٠١ ، ٧٠٦ .

(٢) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن أسباط عن السدي » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٣٩/١ عن الحسين به .

وبعده في الأصل : « ثم الجزء الثاني والحمد لله حمداً كثيراً [...] وصلى الله على [...] وأهله الطيبين
وسلم تسليمًا . يتلوه الجزء الثالث القول في تأويل قول الله جلَّ ثَنَاؤُهُ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ . قال أبو
جعفر » .

(٤) (٤ - ٤) في م : « على » .

(٥) في م : « مشتهيات » .

الذى رَزَقْنَاكموه .

وقد قيل : عَنِ بَقُولِهِ : ﴿ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ : مِنْ حِلَالِهِ الذى أَبْخَنَاهُ لَكُمْ فَجَعَلْنَاهُ لَكُمْ رِزْقًا .

والأولُ مِنَ الْقَوْلَيْنِ أَوْلَى بِالتَّأْوِيلِ ؛ لِأَنَّهُ وَصَفُ مَا كَانَ الْقَوْمُ فِيهِ مِنْ هَنِيءٍ الْعَيْشِ الذى أَعْطَاهُمْ ، فَوْصَفُ ذَلِكَ بِالطَّيِّبِ الذى هُوَ بِمَعْنَى اللَّذَّةِ أُخْرَى مِنْ وَصْفِهِ بِأَنَّهُ حِلَالٌ مُبَاحٌ .

و ﴿ وَمَا ﴾ التى ^(١) مع : ﴿ رَزَقْنَاكُمْ ﴾ بِمَعْنَى الذى ، كَأَنَّهُ قَالَ ^(٢) : كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ الذى رَزَقْنَاكموه .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .
وهذا أَيْضًا مِنَ الذى اسْتَعْنَى بِدَلَالَةِ ظَاهِرِهِ عَلَى مَا تُرِكَ مِنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ : كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، فَخَالَفُوا مَا أَمَرْنَاكُمْ بِهِ ، وَعَصَوْا رَبَّهُمْ ، ثُمَّ رَسَلْنَا إِلَيْهِمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا . فَكُتِفَى بِمَا أُظْهِرَ عَمَّا تُرِكَ .

وقوله : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ . يَقُولُ : وَمَا ظَلَمُونَا بِفَعْلِهِمْ ذَلِكَ وَمَعْصِيَتِهِمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

ويعنى بقوله : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ . وَمَا وَضَعُوا فَعْلَهُمْ ذَلِكَ وَعِصْيَانَهُمْ إِيَانَا مَوْضِعَ مَضَرَّةٍ [٢/٣] عَلَيْنَا ، وَمَنْقَصَةٌ لَنَا ، ^(٣) وَلَكِنْهُمْ وَضَعُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَوْضِعَ مَضَرَّةٍ عَلَيْهَا وَمَنْقَصَةٌ لَهَا ^(٤) .

(١) فى الأصل : « الذى » .

(٢) فى ص ، م : « قيل » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

كما حَدَّثْتُ عَنْ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : ثَنَا بَشْرٌ ، عَنْ أَبِي رَزْوَقٍ ، عَنْ الضُّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ . قَالَ : يَضُرُّونَ ^(١) .
وقد دَلَّلْنَا فيما مضى على أن أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، بما فيه الكفاية ، فأغنى ذلك عن إعادته ^(٢) .

وكذلك ربُّنا جلَّ ثناؤه لا تُضِرُّهُ معصية عاصٍ ، ولا يَحْزِنُهُ خِزائِهِ ظالمٌ ، ولا تَنْفَعُهُ طاعة مُطِيعٍ ، ولا يَزِيدُ فِي مُلْكِهِ عدلٌ عادلٍ ، بل نفسه يَظْلِمُ الظالمُ ، وحظُّها يَنْحَسُ العاصي ، وإياها يَنْفَعُ الطائع ^(٣) ، وحظُّها يُصِيبُ العادل .

/ القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ .

٢٩٩/١

والقرية التي أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَدْخُلُوهَا فَيَأْكُلُوا مِنْهَا رَغَدًا حيث شاءوا - فيما ذَكَرَ لنا - بَيْتُ الْمُقَدَّسِ .

ذكرُ الروايةِ بذلك

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ . قَالَ : بَيْتُ الْمُقَدَّسِ ^(٤) .

وَحَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : ﴿ وَإِذْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٦/١ (٥٦٧) عن أبي زرعة ، عن المنجاب به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧١/١ إلى أبي الشيخ .

(٢) ينظر ما تقدم في ص ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «المطيع» .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٤٦/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٦/١ (٥٦٩) عن الحسن بن يحيى به .

قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴿١﴾ فَبَيْتُ الْمَقْدِسِ ﴿٢﴾ .

حَدَّثَنِي عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبِيعِ :
﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ : يَعْنِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ ﴿٣﴾ .

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : سَأَلْتُهُ - يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ - عَنْ
قَوْلِهِ : ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا﴾ . قَالَ : هِيَ أَرِيحَا ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ بَيْتِ
الْمَقْدِسِ ﴿٤﴾ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ .

يَعْنِي بِذَلِكَ : فَكُلُوا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ حَيْثُ شِئْتُمْ عَيْشًا هَنِيئًا وَاسْعًا بغيرِ
حِسَابٍ .

وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الرَّغَدِ فِيمَا مَضَى مِنَ الْكِتَابِ ﴿٥﴾ ، وَذَكَرْنَا أَقْوَالَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِيهِ .
[٢/٣ ظ] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ .
أَمَّا الْبَابُ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوهُ ، فَإِنَّهُ قِيلَ : هُوَ بَابُ الْحِطَّةِ مِنْ بَيْتِ
الْمَقْدِسِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي

(١) فِي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قَرْيَةِ بَيْتِ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١١٦/١ عَقِبَ الْأَثَرِ (٥٦٩) عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حَمَادٍ بِهِ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١١٦/١ عَقِبَ الْأَثَرِ (٥٦٩) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

(٤) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٩/١ .

(٥) فِي ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كِتَابِنَا » . وَيَنْظُرُ مَا تَقَدَّمَ فِي ص ٥٤٩ ، ٥٥٠ .

نَجِيح ، عن مُجَاهِدٍ : ﴿وَادْخُلُوا أَبْوََابَ سُجْدَا﴾ . قال : بَابُ الْحِطَّةِ مِنْ بَابِ إِيْلَاءٍ ^(١) بَيْتِ الْمَقْدِسِ ^(٢) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قال : ثنا شَيْثَلٌ ، عن ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قال : ثنا عَمْرُو ، قال : ثنا أَشْبَاطُ ، عن الشَّدْيِ : ﴿وَادْخُلُوا أَبْوَابَ﴾ : أما البابُ فبَابُ مِنْ أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قال : حَدَّثَنِي أَبِي ، قال : حَدَّثَنِي عَمِي ، قال : حَدَّثَنِي أَبِي ، عن أَبِيهِ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿وَادْخُلُوا أَبْوَابَ سُجْدَا﴾ : فإنه أَحَدُ أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وهو يُدْعَى بَابَ حِطَّةٍ .

وَأما قَوْلُهُ : ﴿سُجْدَا﴾ . فإن ابْنَ عَبَّاسٍ كان يَتَأَوَّلُهُ بِمعْنَى الرُّكْعِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : ثنا سُفْيَانُ ، عن الْأَعْمَشِ ، ٣٠٠/١ عن الْمِنْهَالِ / بنِ عَمْرٍو ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَادْخُلُوا أَبْوَابَ سُجْدَا﴾ . قال : رُكْعًا مِنْ بَابِ صَغِيرٍ ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْقَانِ النَّخَعِيُّ ، قال : ثنا أَبُو أُسَامَةَ ، عن سُفْيَانَ ، عن الْأَعْمَشِ ، عن الْمِنْهَالِ ، عن سَعِيدٍ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَادْخُلُوا أَبْوَابَ

(١) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم « من » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٣ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٧/١ (٥٧٤) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧١/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٧/١ عقب الأثر (٥٧٤) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٤) سيأتي مطولاً في ص ٧٢٥ ، ٧٢٦ .

سُجَّدًا ﴿١﴾ . قال : أَمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا رُكْعًا ^(١) .

قال أبو جعفر : وأصل السجود الانحناء لمن سجد له مُعَظِّمًا بذلك ، فكلُّ مُنْحَنِ لشيءٍ تَعْظِيمًا له ^(٢) وَخُشُوعًا ^(٣) فهو له ساجدٌ ، ومنه قولُ الشاعر ^(٤) :

بِجَمْعٍ ^(٤) تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ ^(٥) سُجَّدًا لِلْحَوَافِرِ ^(٦)
يعنى بقوله : سُجَّدًا : خاشعةٌ خاضعةٌ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَغَشَى بَنِي قَيْسٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ ^(٧) :

يُرَاوِخُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارًا
[٣/٣] فلذلك تأوّل ابنُ عباسٍ قوله : ﴿سُجَّدًا﴾ : رُكْعًا ؛ لأنَّ الرَّاكِعَ مُنْحَنِ ، وإن كان الساجدُ أشدَّ انحناءً منه .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ وعزَّ : ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ .

وتأويلُ قوله : ﴿حِطَّةٌ﴾ : فِعْلَةٌ . مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : حَطَّ اللَّهُ عَنْكَ خَطَايَاكَ ، فهو

(١) سيأتي مطولاً في ص ٧٢٥ ، ٧٢٦ .

(٢ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) هو زيد الخيل ، والبيت له في المعاني الكبير ٨٩٠/٢ ، والكمال ٢٠١/٢ ، وغير منسوب في الصناعتين ص ٢٨٦ .

(٤) في الصناعتين ، والكمال : « بجيش » .

(٥) في المعاني الكبير ، والكمال : « منه » .

(٦) البلق : جمع أبلق وبلقاء ، وهى الفرس التى يرتفع تحجيلها إلى الفخذين . والحجرات : جمع حجرة ، وهى الناحية ، والأكم جمع أكمة وهى التل . اللسان (ح ج ر ، ب ل ق ، أ ك م) .

(٧) فى م : « بن » .

(٨) ديوانه ص ٥٣ .

يَخْطُهَا حِطَّةً . بِمَنْزِلَةِ الرُّدَّةِ وَالْجِدَّةِ ^(١) وَالْمِدَّةِ ، مِنْ : جَدَدْتُ ^(٢) وَمَدَدْتُ .
وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ : ﴿ حِطَّةٌ ﴾ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ بِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ :
﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ . قَالَ : قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ : أَيْ : اخْطُطْ عَنَا خَطَايَانَا ^(٣) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ :
يَحِطُّ اللَّهُ بِهَا عَنْكُمْ ذَنْبَكُمْ وَخَطِيئَتَكُمْ ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ
جُرَيْجٍ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ . قَالَ : يَحِطُّ اللَّهُ ^(٥) عَنْكُمْ خَطَايَاكُمْ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ
الْمِنْهَالِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ : مَغْفِرَةٌ ^(٦) .

وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبْعِ : ﴿ وَقُولُوا
حِطَّةٌ ﴾ . قَالَ : تُحِطُّ عَنْكُمْ خَطَايَاكُمْ ^(٧) .

(١) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الْحِدَّة » .

(٢) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حَدَدْتُ » .

(٣) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ٤٧/١ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١١٩/١ (٥٨٤) عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى بِهِ .

(٤) فِي م : « خَطَايَاكُمْ » .

(٥) سَقَطَ مِنْ : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) سَيِّئَاتِي مَطُولًا فِي ص ٧٢٥ ، ٧٢٦ .

(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١١٨/١ عَقِبَ الْأَثَرِ (٥٨٠) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ لِي عَطَاءٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ . قَالَ : سَمِعْنَا أَنَّهُ يَحُطُّ عَنْهُمْ خَطَايَاهُمْ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . كَانَهُمْ وَجَّهُوا تَأْوِيلَهُ : قُولُوا الَّذِي يَحُطُّ عَنْكُمْ خَطَايَاكُمْ ، وَهُوَ قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى وَسَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، قَالَا : حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عَمَرَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ [٣/٣ ظ] : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ . قَالَ : قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ^(٢) .

/ وَقَالَ آخَرُونَ بِمَثَلٍ مَعْنَى قَوْلِ عِكْرَمَةَ ، إِلَّا أَنَّهُمْ جَعَلُوا الْقَوْلَ الَّذِي أُمِرُوا بِقِيلِهِ ٣٠١/١
الاسْتِغْفَارَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَانٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ،

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٨/١ عقب الأثر (٥٨٠) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٨/١ (٥٨٢) من طريق حفص به . وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٥) من طريق حفص ، عن الحكم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مطولا .

وأخرجه سلمة بن شبيب في زوائده على تفسير عبد الرزاق ٤٧/١ ، والطبراني في الدعاء (١٥٦٤) من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان ، عن أبيه ، عن عكرمة قوله . وإبراهيم بن الحكم ضعيف .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ٧١/١ إلى عبد بن حميد . وسيأتي في سورة الأحزاب : ٧٠ ، وسورة فصلت : ٦ ، ٧ ، ٣٠ ، وسورة الفتح : ٢٦ ، وسورة النبأ : ٣٨ ، وسورة النازعات : ١٨ ، وسورة الأعلى : ١٤ .

عن المِثَالِ ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ . قال : أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا ^(١) .

وقال آخرون نحو ^(٢) قولِ عِكْرَمَةَ ، إلا أنهم قالوا : القول الذى أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوهُ هو أن يَقُولُوا : هذا الأمرُ حقٌّ كما قيل لكم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حُدِّثْتُ عن المِثْجَابِ ، قال : ثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قوله : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ . قال : قولوا : هذا الأمرُ حقٌّ كما قيل لكم ^(٣) .

واخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فى المعنى الذى مِنْ أَجْلِهِ رُفِعَتْ « الْحِطَّةُ » ؛ فقال بعضُ نحويِّ أهلِ البصرة : رُفِعَتْ « الْحِطَّةُ » بمعنى قولوا : ليكنْ منك ^(٤) حِطَّةٌ لذنوبنا . كما تقولُ للرجل : سَمْعُكَ .

وقال آخرون منهم : هى كلمةٌ أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَقُولُوهَا مرفوعةً ، وفرض عليهم قِيلَها كذلك .

وقال بعضُ نحويِّ الكوفة ^(٥) : رُفِعَتْ « الْحِطَّةُ » بضميرٍ « هذه » ، كأنه قال : وقولوا : هذه حِطَّةٌ .

وقال آخَرُ منهم : هى مرفوعةٌ بضميرٍ معناه الخبرُ ، كأنه قال : قولوا : ما هو

(١) سيأتى مطولاً فى ص ٧٢٥ ، ٧٢٦ .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « نظير » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٨/١ (٥٨١) عن أبى زُرْعَةَ ، عن منجاب .

(٤) فى ص ، ر ، م ، ت ، ٣ : « منكم » .

(٥) فى ص ، ر ، م : « الكوفيين » .

حِطَّةٌ . فَتَكُونُ « حِطَّةٌ » حِينَئِذٍ خَيْرًا لَّ « مَا » .

قال أبو جعفر: والذي هو أقربُ عندى فى ذلك إلى الصوابِ وأشبهُ بظاهرِ الكتابِ ، أن يكونَ رَفَعَ ﴿ حِطَّةٌ ﴾ بنيةَ خيرٍ محذوفٍ قد دلَّ عليه ظاهرُ التَّلاوةِ ، وهو : دخولنا البابَ سجَّدًا حِطَّةً . فكفى من تَكَرُّره بهذا اللفظِ ما دلَّ عليه الظاهرُ من التنزيلِ ، وهو قوله ^(١) : ﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ . كما قال جلُّ ثناءه : (وإذ قالت أمةٌ منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو מעذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرةٌ ^(٢) إلى ربكم) [الأعراف : ١٦٤] . بمعنى : مؤعظتنا إياهم معذرةٌ إلى ربكم . فكذلك عندى تأويلُ قوله : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ . يعنى بذلك : وإذ قلنا : ادخلوا هذه القريةَ وادخلوا البابَ سُجَّدًا ، وقولوا : دخولنا ذلك سُجَّدًا حِطَّةً لذُنوبنا . وهذا القولُ على نحوِ تأويلِ الربيعِ بنِ أنسٍ وابنِ ^(٣) مجزيجٍ وابنِ ^(٤) زيدٍ [٤/٣] الذى ذكرناه آنفاً .

وأما على تأويلِ قولِ عكرمةَ ، فإن الواجبُ أن تكونَ القراءةُ بالنصبِ فى : ﴿ حِطَّةٌ ﴾ ؛ لأن القومَ إن كانوا أمروا أن يقولوا : لا إلهَ إلا اللهُ . أو أن يقولوا : نَسْتَغْفِرُ اللهَ . فقد قيلَ لهم : قولوا هذا القولَ . فـ « قولوا » حينئذٍ واقعٌ على الحِطَّةِ ؛ لأن الحِطَّةَ على قولِ عكرمةَ هى قولُ : لا إلهَ إلا اللهُ . وإذا ^(٥) كانت هى قولُ : لا إلهَ إلا اللهُ . فالقولُ عليها واقعٌ ، كما لو أمر رجلٌ رجلاً بقولِ الخيرِ ، لقال ^(٥) له : قل خيراً . نصباً ، ولم يكنْ صواباً أن يقولَ له : قل خيراً . إلا على استكراهٍ شديدٍ .

(١) فى الأصل : « قولوا » .

(٢) سيأتى تعليق المصنف على قراءة الرفع فى سورة الأعراف .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) فى ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إذ » .

(٥) فى م ، ت ٢ : « فقال » .

وفى إجماع القراءة على رفع « الحطة » بيان واضح على خلاف الذى قاله
عكرمة من التأويل فى قوله : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ .

وكذلك الواجب على التأويل الذى رويناه عن الحسن وقتادة فى قوله :
﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ . أن تكون / القراءة فى ﴿ حِطَّةٌ ﴾ نصبًا ؛ لأن من شأن العرب إذا
وضَعوا المصادر مواضع الأفعال ، وحذَفوا الأفعال ، أن ينصبوا المصادر ، كما قال
الشاعر^(١) :

أُيِّدُوا^(٢) بِأَيْدِي غَضَبِيَّةٍ^(٣) وَسُيُوفُهُمْ عَلَى أُمَّهَاتِ الْهَامِ ضَرْبًا شَامِيًا
وكقول القائل للرجل : سمعًا وطاعة . بمعنى : أَسْمَعُ^(٤) سَمْعًا وَأَطِيعُ^(٥)
طَاعَةً . وكما قال جل ثناؤه : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ [يوسف : ٢٣ ، ٧٩] . بمعنى : نعوذ
بالله .

القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ : نَتَعَمَّدُ لَكُمْ بِالرَّحْمَةِ خَطَايَاكُمْ ،
وَنَسْتُرُهَا عَلَيْكُمْ ، فَلَا نَقْضُحُكُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا .

وأصلُ الغفرِ التغطيةُ والسترُ ، فكلُّ ساترٍ شيئًا فهو غافره . ولذلك^(٦) قيل للبيضة
من الحديد التى تُتَّخَذُ جُثَّةً للرأس : مِغْفَرٌ ؛ لأنها تُغْطِي الرأسَ وتُجَنِّهُ . ومنه غمْدُ

(١) هو الفرزدق ، والبيت فى ديوانه ص ٨٩٠ .

(٢) فى الديوان : « أناخوا » .

(٣) فى الديوان : « طاعة » .

(٤) فى الأصل ، ر ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « اسمع » .

(٥) فى الأصل ، ر ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أطع » .

(٦) فى ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ومن ذلك » .

السيف ، وهو ما ^(١) تَعَمَّدَهُ فَوَارَاهُ ^(٢) ، ومن ذلك ^(٣) قِيلَ لِزُبَيْرٍ ^(٤) الثوب : غَفْرَةٌ ^(٥) .
لتغطيته الثوب ^(٦) ، وحواله ^(٧) بين الناظر والنظر إليه ^(٨) . ومنه قول أوس بن
حُجْرٍ ^(٩) :

أَلَا ^(١٠) أُنْغِبَ ^(١١) ابْنَ الْعَمِّ إِنْ كَانَ جَاهِلًا وَأَغْفِرُ عَنْهُ الْجَهْلَ إِنْ كَانَ أَجْهَلًا
يعنى بقوله : وأغفرُ عنه الجهل : أسترُ عليه جهله بحلمى عنه .
[٤/٣] القول فى تأويل قوله جل وعزّ : ﴿ خَطَايَكُمْ ﴾ .

والخطايا جمع خطيئة بغير همز ، كما المطايا جمع مطيئة ، والحشايا جمع
حشيئة ، وإنما ترك جمع الخطايا بالهمز ؛ لأن ترك الهمز فى خطيئة أكثر من الهمز ،
فجميع على ^(١٢) خطايا ، على أن ^(١٣) واحدتها غير مهموزة . ولو كانت الخطايا
مجموعة على خطيئة بالهمز ل قيل : خطائى . على مثال قبيلة وقبائل ، وصحيفة
وصحائف . وقد تُجمع خطيئة بالتاء فتهمز ، فيقال : خطيئات .

(١ - ١) فى م : « يغمده فيواراه » .

(٢ - ٢) فى ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ولذلك » .

(٣) الزئير : ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخز . اللسان (زأبر) .

(٤) فى م : « غفر » .

(٥) فى م : « العورة » ، وفى ت ١ : « العيون » ، وفى ت ٣ : « للعيون » .

وبعد خرم فى النسخة « ص » إلى ص ٦٧٢ من الجزء الثانى ، أثناء تفسير الآية ١٤٦ من سورة البقرة .

(٦) فى ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حوله » .

(٧) فى م : « إليها » .

(٨) ديوانه ص ٨٢ .

(٩) فى م : « فلا » .

(١٠) أعته : أعطاه العتيى ورجع إلى مسرته ، وتقول : قد أعطينى فلان . أى ترك ما كنت أجد عليه من أجله ،

ورجع إلى ما أرضانى عنه ، بعد إسقاطه إياى عليه . اللسان (ع ت ب) .

(١١) سقط من : الأصل . (تفسير الطبرى ٤٦/١)

وَالْخَطِيئَةُ فَعِيلَةٌ ، مِنْ : خَطِئَ الرجلُ يَخْطِئُ خِطَاءً . وذلك إذا عدَلَ عن سبيلِ الحقِّ . ومنه قولُ الشاعر^(١) :

وَأَنَّ مُهَاجِرِينَ^(٢) تَكْتَفَاهُ^(٣) عِبَادُ اللَّهِ قَدْ^(٤) خَطِئُوا وَحَابَا^(٥)
يعنى : أضلَّ الحقُّ وأثما .

القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وتأويلُ ذلك ما روى لنا عن ابنِ عباسٍ ، وهو ما حدَّثنا به القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجُ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ : مَنْ كان منكم مُحْسِنًا زِيدَ فى إِحْسَانِهِ ، وَمَنْ كان مُخْطِئًا نَغْفِرْ لَهُ خَطِيئَتَهُ .

فتأويلُ الآية : وإذ قلنا : ادْخُلُوا هذه القريةَ ، مُبَاحًا لَكُمْ أَكْلُ^(٦) ما فيها مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَمُوسَعًا عَلَيْكُمْ بغيرِ حِسَابٍ ، وَادْخُلُوا البابَ سُجَّدًا ، وَقُولُوا : سَجُودُنَا هَذَا لِلَّهِ حِطَّةٌ مِنْ رَبَّنَا لِدُنُوبِنَا ، يَخْطُ بِهِ آثَامُنَا . نَتَعَمَّدُ لَكُمْ ذُنُوبَ الْمُذْنِبِ مِنْكُمْ ، فَتَسْتُرْهَا عَلَيْهِ ، وَنُحْطُ أَوْزَارَهَا عَنْهُ ، وَنَزِيدُ^(٧) الْمُحْسِنَ^(٨) مِنْكُمْ -

(١) هو أمية بن الأُسَكر ، والبيت فى ذيل الأُمالى ص ١٠٩ ، والأغانى ١٠ / ٢١ ، والخزانة ١٩ / ٦ .

(٢ - ٢) فى الأغانى ، والخزانة : « أتاه مهاجران » .

(٣ - ٣) فى ذيل الأُمالى : « ليرتكَ شيخه » ، وفى الأغانى ، والخزانة : « ففارق شيخه » .

(٤) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لعمر » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، ومصادر التخرىج : « خابا » .

(٦) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كل » .

(٧) فى م : « سنزيد » .

(٨) فى الأصل ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المحسنين » .

إلى إحساننا^(١) السالفِ عنده - إحصائاً .

ثم أخبر الله تعالى ذكره عن عظيم جهالتهم ، وشوء طاعتهم ربهم ، وعصيانهم لأنبيائهم ، واشتزازهم برسليهم^(٢) ، مع عظيم آلاء الله عندهم ، وعجائب ما أراهم من آياته وعبره ، مؤبّخاً بذلك أبناءهم الذين خوطبوا بهذه الآيات ، ومعلمهم أنهم^(٣) «لن يعدوا» - في تكذيبهم محمداً ﷺ ، / وجحودهم^(٤) نبوته ، مع عظيم إحسان الله ببعثه فيهم إليهم ، وعجائب ما أظهر على يديه من الحجج بين أظهرهم - أن يكونوا كأشلافهم [٥/٣] الذين وصف صفتهم ، وقص عليهم^(٤) أبناءهم في هذه الآيات ، فقال جل ثناؤه : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ .

وتأويل قوله : ﴿فَبَدَّلَ﴾ : فعَيَّر . ويعنى بقوله : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ : الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله . ويعنى بقوله : ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ : بدلوا قولاً غير الذى أمروا أن يقولوه ، فقالوا خلافه . وذلك هو التبديل والتغيير الذى كان منهم .

وكان تبديلهم بالقول الذى أمروا أن يقولوه قولاً غيره ، ما حدثنى به محمد بنُ

(١) فى الأصل : «إحسانه» .

(٢) فى م : «برسله» .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «إن تعدوا» .

(٤) فى م : «علينا» .

عُبَيْدٌ^(١) الْحَارِثِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ هَمَامٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ : ﴿ حِطَّةٌ ﴾ . قَالَ : « بَدَّلُوا فَقَالُوا : حِبَّةٌ »^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَامِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : ﴿ اذْخُلُوا أَلْبَابَ سُجَّدَا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ ﴾^(٣) لَكُمْ خَطَايَكُمْ ﴾ . فَبَدَّلُوا ، فَدَخَلُوا الْبَابَ يَزْحَفُونَ^(٤) عَلَى أَسْتَاهِمِهِمْ ، وَقَالُوا : حِبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ^(٥) »^(٦) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ وَعَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنْ صَالِحِ مَوْلَى التَّوْأَمَةِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . قَالَ^(٧) : وَحَدَّثَنِي^(٨) مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ سَعِيدِ

(١) فِي م ، ت ٢ : « عَبْدُ اللَّهِ » ، وَفِي ت ١ ، ت ٣ : « عَبْد » . وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٧٠/٢٦ .

(٢) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الْكِبَرِيِّ (١٠٩٩٠) ، وَابْنُ الْمُقَرَّرِ فِي مَعْجَمِهِ (١٥٨) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ بِهِ .

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٤٧١/١٣ (٨١١٠) ، وَابْنُ الْبَخَارِ (٤٤٧٩) ، وَالنَّسَائِيُّ (١٠٩٨٩) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ

الْمُبَارَكِ بِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ مَوْقُوفًا .

(٣) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : « يُغْفَرُ » . وَهِيَ قِرَاءَةٌ نَافِعٍ . يَنْظُرُ حِجَةُ الْقِرَاءَاتِ ص ٩٧ .

(٤) فِي ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يَرْجِعُونَ » .

(٥) فِي ر ، م : « شَعِيرَةٌ » . وَهِيَ رِوَايَةُ الْكَشْمِينِيِّ . فَتَحَ الْبَارِيُّ ٣٠٤/٨ .

(٦) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٥٣٥/١٣ (٨٢٣٠) ، وَابْنُ الْبَخَارِ (٣٤٠٣ ، ٤٦٤١) ، وَمُسْلِمٌ (٣٠١٥) ، وَالتِّرْمِذِيُّ

(٢٩٥٦) ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١١٧/١ ، ١١٩ (٥٧٥ ، ٥٨٧) ، وَابْنُ حِبَانَ (٦٢٥١) مِنْ

طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَاقِ بِهِ .

(٧) يَعْنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ .

(٨) فِي م : « حَدَّثْتُ عَنْ » .

ابن جبير، أو عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال : « دَخَلُوا الْبَابَ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا مِنْهُ سَجْدًا ، يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ يَقُولُونَ : حِنْطَةٌ فِي شَعِيرَةٍ »^(١).

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ السُّدِّيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ^(٢) ، عَنْ أَبِي الْكَنُودِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ : ﴿ اَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا [٥/٣] حِنْطَةٌ ۖ ﴾ . قَالُوا : حِنْطَةٌ حَمْرَاءُ فِيهَا شَعِيرَةٌ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ۖ ﴾^(٣) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ السُّدِّيِّ : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ۖ ﴾ . فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ وَبَدَّلُوا . فَرَعَمَ السُّدِّيُّ ، عَنْ مَرْثَةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّهُمْ قَالُوا : هَطَى سُمْقَاتِنَا أَزْبَهُ هَزْبًا . وَهُوَ بِالْعَرَبِيَّةِ : حَبَّةٌ حِنْطِيَّةٌ حَمْرَاءُ مَثْقُوبَةٌ ، فِيهَا شَعْرَةٌ سَوْدَاءُ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ۖ ﴾^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمِيْرٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ :

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٥/١ ، وفيه : عن ابن إسحاق قال : حدثني صالح بن كيسان ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبي هريرة ، وعن لا أتهم ، عن ابن عباس . وصالح مولى التوأمة اختلط . وينظر تفسير ابن كثير ١٤١/١ .

(٢) في م : « سعيد » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٩/١ (٥٨٨) من طريق ابن مهدي به ، دون ذكر ابن مسعود . وأخرجه الطبراني في الكبير (٩٠٢٧) من طريق الفرياني ، عن سفيان به عن ابن مسعود . وينظر علل أحمد ١٤٤/٢ ، ١٤٥ (٩٢٢) ، وتفسير ابن كثير ١٤٢/١ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٩/١ (٥٨٩) عن أبي زرعة ، عن عمرو به ، دون قول السدي .

﴿ اَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾^(١) . قال : رُكَّعًا^(٢) مِنْ بَابٍ صَغِيرٍ ، فَجَعَلُوا يَدْخُلُونَ مِنْ قِبَلِ أَسْتَاهِهِمْ ، وَيَقُولُونَ : حِنْطَةٌ . فذلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾^(٣) .

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ^(٣) بْنُ الزُّبَيْرِ قَانَ النَّخَعِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو ، / عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا رُكَّعًا وَيَقُولُوا : ﴿ حِنْطَةٌ ﴾ . قَالَ : أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا . قَالَ : فَجَعَلُوا يَدْخُلُونَ مِنْ قِبَلِ أَسْتَاهِهِمْ مِنْ بَابٍ صَغِيرٍ ، وَيَقُولُونَ : حِنْطَةٌ . يَسْتَهْزِئُونَ ، فذلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ .

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ وَالْحَسَنِ : ﴿ اَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ . قَالَا : دَخَلُوهَا عَلَى غَيْرِ الْجِهَةِ الَّتِي أُمِرُوا بِهَا^(٤) ، دَخَلُوهَا مُتَزَحِّفِينَ عَلَى أَوْرَاقِهِمْ ، وَبَدَّلُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ، فَقَالُوا : حَبَّةٌ فِي شَعِيرَةٍ^(٥) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : "أَمَرَ مُوسَى قَوْمَهُ^(٦) أَنْ يَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَيَقُولُوا :

(١) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « رُكَّعًا » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١١٧/١ ، ١١٩ ، (٥٧٢ ، ٥٧٦ ، ٥٩٠) ، وَالْحَاكِمُ ٢/٢٦٢ مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ بِهِ . وَقَالَ الْحَاكِمُ : صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ . وَتَقَدَّمَ طَرَفٌ مِنْهُ فِي ص ٧١٦ ، ٧١٨ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْحَسَنِ » .

(٤) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « شَعْرَةٌ » . وَالْأَثَرُ تَقَدَّمَ تَخْرِيجَهُ فِي ص ٧١٦ :

(٦ - ٦) كَذَا . وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ فِي التَّيِّهِ الَّذِي عَاقِبَهُمُ اللَّهُ بِهِ بَعْدَ خِذْلَانِهِمْ إِيَّاهُ وَعَصْيَانِهِمْ أَمْرَهُ فِي دُخُولِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَقِتَالِ الْعِمَالِقَةِ . وَلَمَّا انْقَضَتْ الْمُدَّةُ الَّتِي كَتَبَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ . دَخَلُوا بَيْتَ الْمَقْدَسِ وَقَاتَلُوا الْعِمَالِقَةَ وَفَتَحَهَا اللَّهُ لَهُمْ عَلَى يَدِ نَبِيِّ اللَّهِ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ . وَلَمَّا فَتَحُوهَا أَمَرُوا أَنْ يَدْخُلُوا الْبَابَ =

حِطَّةٌ . وَطُوطِئَ لَهُمُ الْبَابُ لِيَسْجُدُوا ، فَلَمْ يَسْجُدُوا ، وَدَخَلُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ ، وَقَالُوا : حِطَّةٌ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : أَمَرَ مُوسَى قَوْمَهُ أَنْ يَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ وَيَقُولُوا : حِطَّةٌ . وَطُوطِئَ لَهُمُ الْبَابُ لِيُخَفِّضُوا^(٢) رُءُوسَهُمْ ، فَلَمْ يَسْجُدُوا ، فَدَخَلُوا عَلَىٰ أَجْنُيهِمْ^(٣) إِلَى الْجَبَلِ - وَهُوَ الْجَبَلُ الَّذِي تَجَلَّى لَهُ رَبُّهُ جَلِ ثَنَاؤُهُ - وَقَالُوا : حِطَّةٌ . فَذَلِكَ التَّبْدِيلُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، [٦/٣] قَالَ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ الْمُنْهَالِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ . قَالَ : فَدَخَلُوا عَلَىٰ أَسْتَاهِهِمْ مُقْنَعِي^(٤) رُءُوسِهِمْ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ^(٥) النَّضْرِ بْنِ عَرَبٍ^(٦) ، عَنْ عِكْرَمَةَ : ﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ . قَالَ^(٧) : فَدَخَلُوا مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ . ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ . فَقَالُوا : حِطَّةٌ ، حَبَّةٌ حُمْرَاءُ فِيهَا شَعْرَةٌ^(٨) . قَالَ^(٩) : فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ فَبَدَّلَ

= سَجَّدًا ويقولوا حطة . وينظر تاريخ المصنف ١/٤٣٢ - ٤٤٢ ، وتفسير ابن كثير ١/١٣٩ ، والبداية والنهاية ٢/٢٢١ - ٢٤٢ .

(١) تقدم تخريجه في ص ٧١٣ .

(٢) في م : « ليقولوا » .

(٣) في م : « أَسْتَاهِهِمْ » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أَسْتَهُمْ » .

(٤) الْمُقْنَعِي : الرَّافِعُ رَأْسَهُ فِي السَّمَاءِ . التَّاجِ (ق ن ع) .

(٥) سقط من : م .

(٦) في م : « عدى » .

(٧) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٨) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « شَعِيرَةٌ » .

الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ^(١) .

/ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قال : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عن ابن جُرَيْجٍ ،^(٢) قال : قال لى عطاءً فى قوله : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ . قال : أما تبديلهم فسمعنا أنهم قالوا : حنطة . قال ابن جُرَيْجٍ^(٣) : وقال ابن عباس : لما دخلوا قالوا : حبة فى شعرة^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قال : حَدَّثَنِي أَبِي ، قال : حَدَّثَنِي عَمِي ، قال : حَدَّثَنِي أَبِي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما دخلوا الباب قالوا : حبة فى شعيرة . فبدلوا قولاً غير الذى قيل لهم .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : ﴿ وَأَدْخُلُوا أَبْأَبَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾^(٥) : فكان سجود أحدهم على خده . ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ يحط عنكم خطيئاتكم^(٦) . فقالوا : حنطة . وقال بعضهم : حبة فى شعيرة . ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾^(٧) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابن زيد : ﴿ وَأَدْخُلُوا أَبْأَبَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ : يَحُطُّ اللَّهُ بِهَا عَنْكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَخَطِيئَاتِكُمْ . قال : فاستهزءوا

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٠/١ عقب الأثر (٥٩٠) معلقا .

(٢ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « شعيرة » .

(٤) بعده فى م ، ت ١ : « قال » .

(٥) فى م : « خطاياكم » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٨/١ (٥٧٨) من طريق ابن أبى جعفر به إلى قوله : على خده .

به - يعنى بموسى - وقالوا : ما يشاء موسى أن يلعب بنا إلا لعب بنا ، حِطَّةً حِطَّةً !
أى شىء حِطَّةً ؟ وقال بعضهم لبعض : حِطَّةً .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ : على الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله من تبدلهم القول الذى أمرهم الله أن يقولوه قولاً غيره ، ومغصبتهم إياه فيما أمرهم به ، وزكوبهم ماقد نهاهم^(١) عنه^(٢) وعن زكوبه ﴿ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ .

والرَّجْزُ فى لغة^(٢) أهل الحجاز^(٢) [٦/٣ ظ] العذاب ، وهو غير الرَّجْسِ^(٣) ، وذلك أن^(٤) الرَّجْسَ هو التَّنُّ^(٤) . ومنه الخبر الذى روى عن النبى ﷺ فى الطاعون أنه قال : « إنه رِجْزٌ عُذِّبَ به بعض الأمم الذين قبلكم » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى عامر بن سعد بن أبى وقاص ، عن أسامة بن زيد ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن هذا الوجع - أو السقم - رِجْزٌ عُذِّبَ به بعض الأمم قبلكم »^(٥) .

(١ - ١) زيادة من : ر .

(٢ - ٢) فى م : « العرب » .

(٣) فى م : « الرجز » .

(٤ - ٤) فى م : « الرجز : البشر » .

(٥) أخرجه مسلم (٩٦/٢٢١٨) من طريق ابن وهب به .

وأخرجه أحمد ٥/٢٠٧، ٢٠٨ (الميمية)، والبخارى (٦٩٧٤)، ومسلم (٩٦/٢٢١٨)، وغيرهم من

طريق الزهرى به نحوه . وينظر تفسير ابن كثير ١/١٤٢، ١٤٣ .

حَدَّثَنِي أَبُو شَيْبَةَ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ الشَّيْبَانِيِّ ، عَنْ رِيَّاحٍ ^(١) بْنِ عُبَيْدَةَ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعِيدٍ ، قَالَ : شَهِدْتُ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ الطَّاعُونَ رَجَزُوا أَنْزَلَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - أَوْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ - » .

وَبِمَثَلِ الَّذِي قُلْنَا فِي ^(٢) ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَجَزًا ﴾ . قَالَ : عَذَابًا ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجَزًا ﴾ . قَالَ : الرَّجَزُ الْغَضَبُ ^(٤) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، عَنْ أَبِي رَوْحٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ رَجَزًا ﴾ . قَالَ : كُلُّ شَيْءٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلُّ ثَنَائِهِ مِنَ الرَّجْزِ يَعْنِي بِهِ الْعَذَابُ ^(٥) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : لَمَّا قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : ادْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا وَقُولُوا : حَطَّةٌ . فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ

(١) فِي م : « رِيَّاح » .

(٢) بَعْدَهُ فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تَأْوِيل » .

(٣) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ٤٥ / ١ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٠ / ١ (٥٩٣) مِنْ طَرِيقِ آدَمَ بِهِ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٠ / ١ (٥٩٢) عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنِ الْمُنْجَابِ بِهِ .

الذى قيل لهم ، بعث الله عليهم الطاعونَ ، فلم يُتَقِ منهم أحداً . وقرأ : ﴿ فَأَنْزَلْنَاهُ عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ . قال : وبقي الأبناء ، ففيهم الفضل والعبادة التى تُوصَفُ فى بنى إسرائيل والخير ، وهلك الآباء كلهم ؛ أهلَكهم الطاعونُ .

حدَّثنى يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيد : الرَّجْزُ العذابُ ، وكلُّ شَيْءٍ فى القرآنِ رِجْزٌ فهو عذابٌ .

/ قال أبو جعفر : وقد دلَّلنا على أن تأويلَ الرَّجْزِ العذابُ . وعذابُ اللهِ عزَّ وجلَّ أصنافٌ مختلفةٌ ، وقد أَخْبَرَ جل ثناؤه أنه أنزلَ على الذين وَصَفْنَا أمرهم الرَّجْزَ مِنَ السَّمَاءِ ، وجائزٌ أن يكونَ ذلكَ كان طاعونًا ، وجائزٌ أن يكونَ ذلكَ كان غيره ، ولا دَلالةٌ فى [٧/٣] ظاهر القرآن ولا فى أثرٍ عن الرسولِ صلى الله عليه وآله ثابتٍ أى أصنافِ العذابِ كان ذلك .

فالصوابُ مِنَ القولِ فيه أن يُقالَ كما قال جل ثناؤه : ^(١) « أنزل الله عليهم رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِفَسْقِهِمْ . غَيْرَ أَنَّهُ يَغْلِبُ عَلَى نَفْسِي ^(٢) » صحَّةُ ما قاله ابنُ زيد ، للخبرِ الذى ذَكَرْتُ عن رسولِ اللهِ ﷺ فى إخبارِهِ عن الطاعونِ أنه رِجْزٌ ، وأنه عُذِبَ به قومٌ قبلنا ، وإن كنتُ لا أقولُ : إن ذلكَ كذلكَ يَقِينًا ؛ لأنَّ الخبرَ عن رسولِ اللهِ ﷺ لا يَبَيِّنُ فيه أى أُمَّةٍ عُذِّبَتْ بذلكَ ، وقد يجوزُ أن يكونَ الذينَ عُذِّبُوا به كانوا غيرَ الذينَ وَصَفَ اللهُ صَفَتَهُمْ فى قوله : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ .

(١ - ١) فى م : « فَأَنْزَلْنَاهُ » .

(٢) فى ر ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « النفس » .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٥٩) .

^(١) ومعنى ذلك : يَفْسُقُهُمْ .

وقد دللنا فيما مضى من كتابنا ^(٢) على أن معنى الفسق الخروج من الشيء ^(٣) .

فتأويلُ قوله : ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ . إذن : بما كانوا يتركون طاعة الله فيخرجون عنها إلى معصيته وخلاف أمره .

(١ - ١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) بعده في ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « هذا » .

(٣) ينظر ما تقدم في ص ٤٣٤ .

فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
- مقدمة التحقيق	(١٩١ - ٥)
- مقدمة المصنف	٣
- القول فى البيان عن اتفاق معانى آى القرآن ومعانى منطق من نزل بلسانه من وجه البيان والدلالة على أن ذلك من الله جل وعز هو الحكمة البالغة مع الإبانة عن فضل المعنى الذى به باين القرآن	
سائر الكلام	٨
- القول فى البيان عن الأحرف التى اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم	١٣
- القول فى اللغة التى نزل بها القرآن من لغات العرب	٢٠
- القول فى البيان عن معنى قول رسول الله ﷺ : « أنزل القرآن من سبعة أبواب الجنة » وذكر الأخبار المروية بذلك	٦٢
- القول فى الوجوه التى من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن	٦٧
- ذكر بعض الأخبار التى رويت بالنهى عن القول فى تأويل القرآن بالرأى	٧١
- ذكر بعض الأخبار التى رويت فى الحض على العلم بتفسير القرآن ومن كان يفسره من الصحابة	٧٤
- ذكر الأخبار التى غلط فى تأويلها منكرها القول فى تأويل القرآن	٧٨
- ذكر الأخبار عن بعض السلف فى من كان من قدماء المفسرين محمودًا علمه بالتفسير ومن كان منهم مذمومًا علمه به	٨٤
- القول فى تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه	٨٩
- القول فى تأويل أسماء فاتحة الكتاب	١٠٥
- القول فى تأويل الاستعاذة	١٠٩

- ١١١ تفسير البسمة
- ١٢١ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه : ﴿ الله ﴾
- ١٣٥ القول فى تأويل فاتحة الكتاب
- ١٤١ القول فى تأويل قوله : ﴿ رب ﴾
- ١٤٤ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ العالمين ﴾
- ١٤٧ القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾
- ١٥٧ القول فى تأويل قوله جل ذكره : ﴿ يوم الدين ﴾
- ١٥٩ القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ إياك نعبد ﴾
- ١٦٠ القول فى تأويل قوله : ﴿ وإياك نستعين ﴾
- ١٦٥ القول فى تأويل قوله : ﴿ اهدنا ﴾
- ١٧٠ القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ الصراط المستقيم ﴾
- القول فى تأويل قوله : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾
- ١٧٦ غير المغضوب عليهم
- ١٨٠ القول فى تأويل قوله : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾
- ١٩٠ القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ ولا الضالين ﴾
- ١٩٩ مسألة يسأل عنها أهل الإلحاد الطاعنون فى القرآن
- ٢٠٣ آخر تفسير سورة فاتحة الكتاب
- ٢٠٤ تفسير السورة التى يذكر فيها البقرة
- ٢٠٤ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ آلم ﴾
- ٢٢٨ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ذلك الكتاب ﴾
- ٢٣١ القول فى تأويل قوله : ﴿ لا ريب فيه ﴾
- ٢٣٣ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ هدى ﴾
- ٢٣٧ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ للمتقين ﴾
- ٢٤٠ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الذين يؤمنون ﴾
- ٢٤١ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ بالغيب ﴾
- ٢٤٧ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ويقىمون الصلاة ﴾

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما رزقناهم ينفقون ﴾ ٢٤٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ ٢٥٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ ٢٥١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ ٢٥٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ ٢٥٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إن الذين كفروا ﴾ ٢٥٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ ٢٦٣
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ ٢٦٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ ٢٦٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ ٢٧٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ ٢٧٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا ﴾ ٢٧٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما يخدعون إلا أنفسهم ﴾ ٢٨٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما يشعرون ﴾ ٢٨٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فى قلوبهم مرض ﴾ ٢٨٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ ٢٩١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾ ٢٩٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض ﴾ ٢٩٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ ٢٩٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ ٣٠١

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾ ٣٠١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ ٣٠٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٣٠٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ ٣٠٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴾ ٣١١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ٣١٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيُعَذِّبُهُمْ ﴾ ٣١٨
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ ٣٢٠
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ يَعْصُونَ ﴾ ٣٢٢
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ ﴾ ٣٢٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾ ٣٣٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ٣٣٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ... ﴾ ٣٣٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ صَمَّ بَكُمْ عَمًى ﴾ ٣٤٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ٣٤٨
- القول فى تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ٣٥٠
- القول فى تأويل قول الله جل ثناؤه : ﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ... ﴾ ٣٥٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ .. ٣٨١
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ٣٨٤
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ... ﴾ ٣٨٤
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ٣٨٦
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَاشًا ﴾ .. ٣٨٧

- ٣٨٨ - القول فى تأويل قوله جلّ وعز : ﴿ والسمااء بناء ﴾
- ٣٩٠ - القول فى تأويل قوله جلّ ثناؤه : ﴿ وأنزل من السمااء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم ﴾
- ٣٩٠ - القول فى تأويل قوله جلّ ثناؤه : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادًا ﴾
- ٣٩٢ - القول فى تأويل قوله جلّ وعز : ﴿ وأنتم تعلمون ﴾
- ٣٩٥ - القول فى تأويل قوله جلّ ثناؤه : ﴿ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾
- ٣٩٩ - القول فى تأويل قوله جلّ وعز : ﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾
- ٤٠٢ - القول فى تأويل قوله جلّ وعز : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾
- ٤٠٣ - القول فى تأويل قوله جلّ وعز : ﴿ فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ﴾
- ٤٠٥ - القول فى تأويل قوله جلّ وعز : ﴿ أعدت للكافرين ﴾
- ٤٠٥ - القول فى تأويل قوله جلّ وعز : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾
- ٤٠٧ - القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ﴾
- ٤١٢ - القول فى تأويل قوله جلّ وعز : ﴿ وأتوا به متشابها ﴾
- ٤١٩ - القول فى تأويل قوله : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾
- ٤٢٢ - القول فى تأويل قوله جلّ ثناؤه : ﴿ وهم فيها خالدون ﴾
- ٤٢٢ - القول فى تأويل قوله جلّ وعز : ﴿ إن الله لا يستحيى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ﴾
- ٤٣١ - القول فى تأويل قوله جلّ ثناؤه : ﴿ فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ... ﴾
- ٤٣٢ - القول فى تأويل قوله جلّ ثناؤه : ﴿ يضل به كثيرًا ويهدى به كثيرًا ﴾
- ٤٣٤ - القول فى تأويل قوله جلّ ثناؤه : ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾

- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ ٤٣٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ ٤٤٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ويفسدون فى الأرض﴾ ٤٤١
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ ٤٤١
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿كيف تكفرون ... ثم إليه ترجعون﴾ ٤٤٣
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾ ٤٥١
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ ٤٥٤
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿وهو بكل شىء عليم﴾ ٤٦٥
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿وإذ قال ربك﴾ ٤٦٦
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿للملائكة﴾ ٤٧٢
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿إنى جاعل فى الأرض﴾ ٤٧٥
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿خليفة﴾ ٤٧٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿قالوا أتعجل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ ٤٨٢
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ ٥٠٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ونقدس لك﴾ ٥٠٥
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿قال إنى أعلم ما لا تعلمون﴾ ٥٠٧
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿وعلم آدم﴾ ٥١١
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿الأسماء كلها﴾ ٥١٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ثم عرضهم على الملائكة﴾ ٥١٩
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿فقال أنبئونى﴾ ٥٢١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿إن كنتم صادقين﴾ ٥٢٢

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ ٥٢٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ... ﴾ ٥٢٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ... ﴾ ٥٣٤
- القول فى معنى : ﴿ إبليس ﴾ ٥٤٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ ٥٤٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وكلا منها رغدا حيث شئتما ﴾ ... ٥٤٩
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ ٥٥٧
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ فأزلهما الشيطان عنها ﴾ ٥٦٠
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ ٥٧٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم عدو ﴾ ٥٧١
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ ولكم فى الأرض مستقر ﴾ ٥٧٥
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ ومتاع إلى حين ﴾ ٥٧٧
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ ٥٧٩
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ ٥٨٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ اهبطوا منها جميعاً ﴾ ٥٨٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فيما يأتينكم منى هدى ﴾ ٥٨٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فمن تبع هداى ... خالدون ﴾ ٥٨٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يا بنى إسرائيل ﴾ ٥٩٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ﴾ ٥٩٤
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم ﴾ ... ٥٩٦

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإياى فارهبون ﴾ ٥٩٨
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم ﴾ ٥٩٩
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ ولا تكونوا أول كافر به ﴾ ٦٠٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلًا ﴾ ٦٠٣
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ وإياى فاتقون ﴾ ٦٠٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ ٦٠٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ ٦٠٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
- واركعوا مع الراكعين ﴾ ٦١١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ تأمرون الناس بالبر وتنسون
- أنفسكم ﴾ ٦١٣
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ ٦١٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ ٦١٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ ٦٢١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الذين يظنون ﴾ ٦٢٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أنهم ملاقوا ربهم ﴾ ٦٢٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وأنهم إليه راجعون ﴾ ٦٢٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت
- عليكم ﴾ ٦٢٨
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ وأنى فضلتكم على العالمين ﴾ ٦٢٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزى نفس
- عن نفس شيئًا ﴾ ٦٣١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولا يقبل منها شفاعة ﴾ ٦٣٥
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ ولا يؤخذ منها عدل ﴾ ٦٣٧
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ ٦٣٩
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ﴾ ٦٤٠

- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ يسومونكم سوء العذاب ﴾ ٦٤٤
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ ٦٤٥
- القول فى تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ ٦٥٢
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر ﴾ ٦٥٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ ٦٥٥
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ وإذ واعدنا ﴾ ٦٦٣
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ موسى ﴾ ٦٦٥
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ أربعين ليلة ﴾ ٦٦٦
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده ﴾ ٦٦٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ ٦٧٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ﴾ ٦٧٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ ٦٧٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإذا قال موسى لقومه يا قوم... هو التواب الرحيم ﴾ ٦٧٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ ٦٨٧
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ ٦٩٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ ٦٩١
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ وظللنا عليكم الغمام ﴾ ٦٩٨
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ وأنزلنا عليكم المن ﴾ ٧٠٠

- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ والسلى ﴾ ٧٠٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ ٧١٠
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ ٧١١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ﴾ ٧١٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فكلوا منها حيث شئتم رغدا ﴾ ... ٧١٣
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ وقولوا حطة ﴾ ٧١٥
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ نغفر لكم ﴾ ٧٢٠
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ خطاياكم ﴾ ٧٢١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وسنزيد المحسنين ﴾ ٧٢٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم ﴾ ٧٢٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا ﴾ ٧٢٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ ٧٣٢

تم الجزء الأول بحمد الله ومنه

ويليه الجزء الثانى ، وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ تأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ... ﴾ .